مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

تصنيف

شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزأوغلي بن عبد الله
المعروف بسبط ابن الجوزي
٥٨١ - ٦٥٤ هـ

الجزء السابع عشر
٣١٨ - ٣٧٢ هـ

حققه هذا الجزء وعلق عليه

عمار ريحاوي

الرسالة العالمية

بسم الله الرحمن الرحيم

مرآة الزمان في تواريخ الأعيان

١٧



بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

٢٠١٣م / ١٤٣٤هـ



دار الرسالة العالمية

شركة الرسالة العالمية م.م.

Al-Resalah Al-A'lamiah m.
Publishers

الإدارة العامة
Head Office

دمشق - الحجاز

شارع مسلم البارودي

بناء خولي و صلاحي

2625

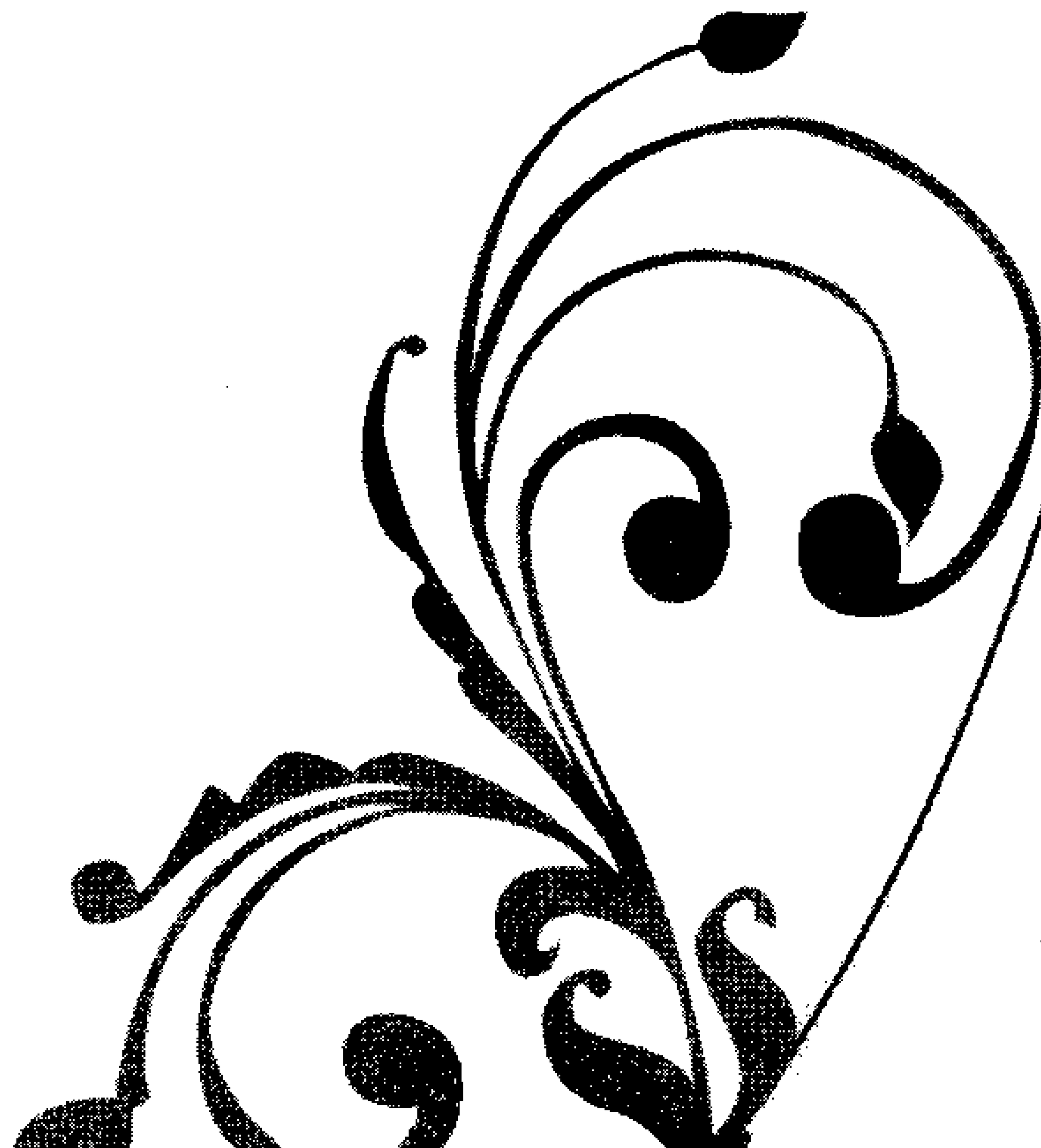
(963)11-2212773

(963)11-2234305

الجمهورية العربية السورية
Syrian Arab Republic

info@resalahonline.com
http://www.resalahonline.com

فرع بيروت
BEIRUT/LEBANON
TELEFAX: 815112- 319039- 818615
P.O. BOX:117460



السنة الثامنة عشرة وثلاث مئة

فيها في المحرم صرَفَ المقتدرُ ابنَي رائق عن الشرطة ببغداد، وقلَّدها أبا بكر محمد ابن ياقوت.

وفي ربيع الآخر ظهر في الجوِّ أعمدةٌ بيضٌ في الآفاق كلِّها مع ريح هائلةٍ، وهبَّت ريح من المغرب في آذار، فحملت رملاً أحمر يُشبه رملَ الصَّاغة، امتلأت به أسواقُ بغداد ومنازلُهم، وقيل: إنَّه من جبل زَرُود من الهَبير بطريق مكة.

وفيها قبض المقتدرُ على الوزير أبي علي بن مُقْلَة، وكان متَّهماً له، مستوحشاً منه، وخرج مؤنس إلى أَوانا مُتصيّداً، وانحدر ابنُ مقلة إلى دار السلطان في جمادى الأولى، فاغتنم المقتدرُ غيبةَ مؤنس عن الحَضرة فقبض عليه.

وكان ابن ياقوت مُعادياً له، فبعث إلى داره مَن أحرقها، وكانت بمكان يقال له: الزَّاهر شرقي بغداد، فلمَّا احترقت نَهبت العامةُ خشبَها ورصاصَها ورُخامَها وجميعَ ما فيها.

وكان ابن مُقْلَة قد أنفق عليها مئة ألف دينار غير ما أخذَه من أنقاض دور الناس وآلاتهم، وكان من عادته أن يُصادر الناس لمَّا كان كاتباً قبل الوزارة، ويَنقُضَ دورَهم، ويبني بأنقاضها هذه الدار، فيأتي مَن يَحرقُها في الليل، واحترقت مراراً، وكان يجلس عند الصُّنَّاع ويقرأ القرآن، وفي كُمِّه اسطرلاب يأخذُ به طالعَ الوقت.

فلما احترقَت مرَّ بها بعضُ شعراء العراق فكتب على حائطها: [من البسيط]

قُل لابن مُقْلَةَ [مَهْلاً] لا تكن عَجِلاً ... واصبر فإنَّك في أضغاثِ أحلامِ
تَبني بأنقاضِ دُورِ الناسِ مُجْتَهِداً ... داراً ستُنْقَضُ قَهْراً بعد أيامِ
وعادةُ الدَّهرِ فيها أن نُغادِرَها ... والنَّارُ تُضْرَم فيها أيَّ إضرامِ
ما زلتَ تختارُ سعدَ المُشْتري بَلَهاً ... فلم تُوَقَّ به من نَحْس بَهْرامِ

تَـتـلـو الـقُـران عـلـيـهـا ثـمَّ تُـتْـبِـعُـه أحـكـامَ هـرْمـسَ تـلـك شـرُّ أحـكـام
إنَّ الـقُـران وبَـطْـلـيْـمـوسَ مـا اجْـتَـمَـعـا فـي حـال نَـقْـضٍ ولا فـي حـال إبـرامِ[1]

ثم دخل مؤنس بغداد في اليوم الذي قبض فيه ابن مُقْلَة، وكان المقتدرُ قد عزم على أن يَستوزرَ أبا علي الحسينَ بن القاسم بن عبيد الله، فامتنع مؤنس من ذلك، وراسل المقتدرَ على يد علي بن عيسى يسألُه ردَّ ابن مُقْلَة، فانحرج المقتدر وتهدَّد ابنَ مُقْلَة، فسكَّن منه علي بنُ عيسى.

وأقام مؤنس على الاستيحاش من الحسين بن القاسم، وكان المقتدرُ لمَّا قبض ابنَ مُقْلَة أحضرَ الحسين وتَلَبَّثَه عنده، وخاطبه، واعتمد عليه في أمر وزارته، وعزم على أن يخلع عليه خِلعة الوزارة صَبيحة تلك الليلة.

وعَزَّ على مؤنس حيث انفرد المقتدرُ بهذا الأمر ولم يشاوره، وراسل المقتدرَ مرةً ثانيةً وثالثةً في إعادة ابنِ مُقْلَة فامتنع، وقال مؤنس: لا تستوزر الحسين، فشاور المقتدرُ عليَّ بنَ عيسى: مَن نستوزر؟ فأشار عليه بسليمان بن الحسن بن مَخْلَد، فاستوزره.

وكانت وزارةُ ابن مُقْلَة سنتين وأربعة أشهر وثلاثة أيام.

وكان [سليمان بن] الحسن[2] بن مَخْلَد لا يصدر عن أمرٍ حتى يُشاور علي بن عيسى.

ثم أمر المقتدر سليمان بن الحسن بن مخلد وعلي بنَ عيسى بمُناظرة ابن مُقْلَة، فأحضروه، ووَبَّخه سليمان وقال: ضَريْتَ[3] بين السلطان وبين أوليائه، وأغلَظَ له.

ثم تقرَّر أمرُه على مئتي ألف دينار، فأرسل مؤنس إلى المقتدر يسألُه أن يُعفى من المصادرة، وأن يكون مُعتَقلاً عند مُرشد الخادم، فأجابه إلى ذلك.

وحجَّ بالناس عبد السَّميع بن أيوب بن عبد العزيز الهاشمي، وقيل: عمر بن الحسن ابن عبد العزيز، والظاهر أنَّه لم يحجَّ أحدٌ سنة سبع عشرة وثلاث مئة إلى سنة ستٍّ وعشرين وثلاث مئة خوفاً من القِرمِطي.

---

(١) تكملة الطبري ٢٩٩، والمنتظم ١٣/ ٣٩٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٦٠-٥٦١، والسير ١٥/ ٢٢٨، والبداية والنهاية ١١/ ١٩٥ وما بين معكوفين منها.

(٢) ما بين معكوفين سقط من (خ ف)، وأثبتناه من الكامل ٨/ ٢١٨.

(٣) أغريت وأوقعت بينه وبينهم العداوة.

وفيها توفي

أحمد بن إسحاق

ابن البُهْلول بن حسَّان بن سِنان، أبو جعفر، التَّنُوخيّ[١].

ولد بالأنبار في المُحرَّم سنة إحدى وثلاثين ومئتين، وطلب الحديث، وسمع الكثير.

وكان عالماً بالنحو، والعربية، والتفاسير، والسير، شاعراً، فصيحاً، لَسِناً، وَرِعاً، مُتَخَشِّياً في القضاء، عظيمَ القدر، واسعَ الأدب، تامَّ المروءة، حسنَ المعرفة بمذهب أهل العراق.

ولي قضاء الأنبار، وهِيت، وطريق الفرات، والأهواز، ومدينة أبي جعفر، وقُطْرَبُّل، ومَسْكِن، فما زال على هذه الأعمال حتى صُرف عنها سنةَ سبع عشرة وثلاث مئة.

قال ولدُه محمد: كنتُ مع أبي في جنازةٍ، فأخذ يَعِظُ صاحبَ المُصيبة ويُسلِّيه، وينشدُه الأشعار، ويروي له الأخبار، وإلى جانبه أبو جعفر الطَّبري، فداخَلَه في ذلك، واتَّسع الأمرُ بينهما، وخرجا إلى فنونٍ من الآداب استَحْسَنها الحاضرون.

وافترقا، فقال لي أبي: يا بني، مَن هذا الشيخ الذي داخلَنا اليوم في المذاكرة؟ فقلتُ: هذا أبو جعفر الطبري، فقال: إنا لله، ما أحسنتَ عِشْرَتي، هلاَّ قلتَ لي حتى كنتُ أذاكرُه غيرَ تلك المُذاكرة؟! هذا رجلٌ مشهور بالحفظ والاتِّساع في صنوف العلم، ما ذاكرتُه بحسب ذلك.

ومضت مدةٌ، فحضرْنا في جنازة، فإذا بالطبري فيها، فأخبرتُه فجاء، فأومأ إليه أبي بالجلوس عنده، وأخذ يحادثُه، فكلَّما ذكر الطبريُّ أبياتاً من قصيدة تمَّمها أبي، وكلَّما ذُكر شيءٌ من العلوم والسير بَيَّنه أبي ويقول: هذا كان في وقت كذا وكذا، فما سكت أبي إلى الظُّهر، فبان للحاضرين تقصيرُ الطبري، فلمَّا قمنا قال أبي: الآن شفيت صدري.

وقال القاضي علي بن المُحَسِّن التنوخي: طلبت السيدةُ أمُّ المقتدر من القاضي أبي جعفر كتابَ وَقْفٍ لضيعة اشترتْها[٢]، وأرادت تمزيقَ الكتاب وتَملُّكَ الوقف، فأرسلتْ

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٥١، والمنتظم ١٣/ ٢٩٢، والسير ١٤/ ٤٩٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٣٥.
(٢) في (خ ف): كتاب مضيعة وقف اشترتها، والمثبت من نشوار المحاضرة ١/ ٢٤٢، والمنتظم ١٣/ ٢٩٤.

إليه، فقال لأمِّ موسى القهرمانة: هذا الكتاب عندي، وأنا خازنُ المسلمين، فإن مكَّنتُموني من خَزْنه كما يَجب وإلا فاصرفوني، والله لا أُعطيكم إيَّاه ولو عُرِضتُ على السيف.

فشكَتْه أمُّ المقتدر إلى ابنها وقالت: اعزِلْه، فقال له المقتدر: كيف الحال؟ فكشَفَه له، فقال: مثلُك يا أحمد مَن قُلِّد القضاء، أقم على ما أنت عليه، بارك الله عليك.

فلمَّا عاودَتْه أمُّه قال لها: الأحكام لا طريقَ إلى اللَّعب بها، وأحمد مأمونٌ عندنا، مُحبٌّ لدولتنا، وكشف لها الحال، فقالت: ما علمتُ أنَّ هذا لا يجوز، فارْتَجعَت المال، وفَسخت البيع، وشكرت أبا جعفر على ذلك، فقال أبو جعفر: مَن قدَّم أمرَ الله على أمر المخلوقين كفاه الله شرَّهم.

ذكر وفاته:

تُوفِّي في ربيع الآخر من هذه السنة، وقيل: في سنة سبع عشرة وثلاث مئة.

سمع أباه، وكان أبوه فاضلاً صنَّف «المسند» وغيره، وروى أبو جعفر أيضاً عن إبراهيم بن سعيد الجوهري، ومؤمَّل بن إهاب، وأبي سعيد الأشَجّ، وغيرهم.

وروى عنه الدارقطني، وأبو حفص بن شاهين، وآخرون. وحمل الناسُ العلمَ عن أبيه وجدِّه، وعنه وعن ابنه محمد، وعن ابن أخيه داود بن الهيثم بن إسحاق، وهم بيتُ العلم، واتَّفقوا عليه.

جعفر بن محمد بن يعقوب

أبو الفضل، الصَّنْدَلي، البغدادي[١].

كان صالحاً من الأبدال، سمع علي بن حَرْب وغيره، واتَّفقوا عليه.

سعيد بن عبد العزيز بن مروان

أبو عثمان، الحَلَبيّ، الزَّاهد[٢].

(١) تاريخ بغداد ٨/ ١٢٠، والمنتظم ١٣/ ٢٩٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٣٧.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، وتاريخ دمشق ٧/ ٢٩٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٤٠، والسير ١٤/ ٥١٣.

كان من أوتاد الأرض[١]، نزل دمشق، وحدَّث عن أحمد بن أبي الحَواري، وقاسم الجُوعي، وسَرِيّ السَّقطي، وَصحبِه، وهو من جلَّة مشايخ الشام وعلمائها، وروى عنه أبو الحسين الرازي وغيرُه، ومات بدمشق.

عبد الواحد بن محمد بن المهتدي[٢]

أبو أحمد، الهاشمي.

سمع يحيى بن أبي طالب، وروى عنه الدارقطنيُّ وغيرُه.

وكان ثقةً، ويُسمَّى راهبَ بني هاشم ديناً وورعاً وزهداً.

عبد الله بن محمد بن مسلم

أبو بكر، الإِسْفَراييني[٣].

ولد في رجب سنة تسعٍ وثلاثين ومئتين بقريةٍ من أعمال إسفرايين يقال لها: جُوْرْبَذ، وسافر إلى البلاد في طلبِ الحديث، وكان من الأثبات المجوِّدين.

سمع محمد بن يحيى الذُّهلي وغيره، وروى عنه أحمد بن علي بن شهريار وغيره.

محمد بن سعيد بن محمد

أبو عبد الله، البُوْرَقي[٤].

قدم بغداد وحدَّث بها، وروى عنه أبو بكر الشافعي وغيرُه.

وقد تكلَّموا فيه، قال الخطيب: هو الذي وضع على النبي ﷺ: «سيكون في أُمَّتي رجلٌ يقال له: أبو حنيفة هو سراجُ أمتي، ويكون فيهم رجلٌ يقال له محمد بن إدريس، فتنتُهُ على أمتي أضرُّ من إبليس».

---

(١) الأوتاد في اصطلاحات الصوفية: أربعة أشخاص من أولياء الله تعالى، معيَّنون لأركان العالم الأربعة، يحفظ الله بهم تلك الجهات؛ لكونهم محلّ نظره تعالى. انظر معجم مصطلحات الصوفية ٢٨ ، ٢٦٤ ، وكشاف اصطلاحات العلوم ٢/ ١٧٥٥ . وهذا مما نبرأ إلى الله منه، ولا دليل عليه من كتاب أو سنة.

(٢) كذا في النسخ والمنتظم ١٣/ ٢٩٦ ، وفي تاريخ بغداد ١٢/ ٢٥٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٤٣ : عبد الواحد ابن محمد المهتدي بالله.

(٣) تاريخ دمشق ٣٢/ ٣٦٧ ، ومعجم البلدان ٢/ ١٨٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٤١ ، والسير ١٤/ ٥٤٧ .

(٤) سؤالات السهمي ٢٦٧ ، وتاريخ بغداد ٣/ ٢٤٤ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٤٦ ، وميزان الاعتدال (٧١٧٥).

قال أبو عبد الله الحاكم: حدَّث بنصف الحديث الذي يتعلَّق بأبي حنيفة بخُراسان، ثم زاد فيه بالعراق ذكر الشافعي.

وقال الحاكم أيضاً: وضع البُورقيُّ على الثقات من المناكير ما لا يُحصى، وكانت وفاتُه بمَرْو.

يحيى بن محمد بن صاعِد

أبو محمد مولى أبي جعفر المنصور(١).

ولد سنة ثمانٍ وعشرين ومئتين، وسافر في طلب الحديث إلى البلاد، وكتب الحديثَ، وسمع وحفظ، وله تصانيف في السُّنن تدلُّ على فقهه وفَهمه.

وقال الدارقطني: بنو صاعد ثلاثةٌ: يوسف، وأحمد، ويحيى بنو محمد بن صاعد، [ولهم عمٌّ يقال له: عبد الله بن صاعد] حدَّث عن سفيان بن عُيينة(٢).

توفي يحيى ببغداد في هذه السنة وقد بلغ تسعين سنةً، ودُفن بباب الكوفة.

سمع محمد بن إسماعيل البُخاري وخلقاً كثيراً، وروى عنه الدارقُطنيّ.

وحكى الخطيب عن بعض طلبة الحديث قال: حضرتُ عند ابن صاعد ومعي جُزءٌ من سماع أبي القاسم البَغَويّ عن شيوخه، فغلِطْتُ وقرأتُه عليه وهو مصغٍ إليَّ، فلمَّا فرغتُ من القراءة تذكرتُ فقلتُ: أيها الشيخ، إنِّي غلطتُ وليس هذا من حديثك بل من حديث البغوي، قال: بل هو سماعي من الشيوخ الذين ذكرتَهم، ثم قام وأخرج أصولَ المشايخ، وأراني كلَّ حديثٍ قرأتُه عليه مكتوبٌ في جزء، رحمة الله عليه.

أبو جعفر الهِلاليّ الزاهد

من [أهل] أعمال صَرْخَد(٣).

كان مُرابطاً بالساحل لا يُجالس أحداً، وأنشد: [من السريع]

علامةُ الخائف في قلبه ... بأنه أصفرُ مَنْحوفُ
ليس كمَن كانت له جُثَّةٌ ... كأنَّه للذَّبحِ مَعْلوفُ

(١) سؤالات السهمي ٢٥٨، وتاريخ بغداد ١٦/ ٣٤١، وتاريخ دمشق ١٨/ ١٧٦ (مخطوط)، والمنتظم ١٣/ ٢٩٨، والسير ١٤/ ٥٠١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٤٨.

(٢) ما بين معكوفين من مصادر ترجمته، توفي ابن عيينة سنة (١٩٨هـ)، وولد يحيى بن صاعد سنة (٢٢٣هـ).

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٣٦ واسمه عنده: أحمد بن جعفر، وما بين معكوفين منه.

السنة التاسعة عشرة وثلاث مئة

فيها قدم مؤنس الوَرْقانيّ بالحاج سالمين إلى بغداد، وضُربت له القِباب في جانبي بغداد، وكان عددها مئةً ونيِّفاً وثلاثين قُبَّةً، وسُرَّ الناس بتمام الحجِّ وانفتاح الطريق.

وكان مؤنس لمَّا انصرف من مكة بلغه أنَّ القِرمطيَّ على الطريق، فعدل بالحاجِّ، وتاه في البرية، ووجد آثاراً عجيبةً، وعظاماً مُفرِطةً في الكبر، وصُوَرَ ناسٍ من حجارة، فحمل بعضها إلى الخليفة، فوجد امرأةً على تنُّور وهي من حَجَر، والتَّنُّور فيه الخبزُ من حجارة[1].

وفيها قبض المقتدر على الوزير سليمان بن الحسن، وكان قد أضاق إضاقةً شديدة، وكَثُرَت عليه المُطالبات، فلمَّا كان يوم السبت لخمسٍ بقين من رجب صار بليق وبشرى إلى دار الوزير بباب المُحَوَّل، وقبضا عليه وعلى أبي القاسم عبيد الله بن محمد الكَلْوَذاني معه، فارتاع الكَلْوذاني وجَزع جَزَعاً شديداً، فلمَّا تقلَّد الوزارة ردَّه إليه، فكانت مدَّةُ وزارة سليمان سنةً واحدةً وشهرين وتسعة أيام.

وكان المقتدر يميلُ إلى وزارة الحسين بن القاسم، فلم يُمكِّنه مؤنس، وأشار بالكَلْوَذاني، فاستحضَره من دار مؤنس، وخلع عليه، وشافَهَه بالوزارة، وأمر علي بنَ عيسى أن يكون على عادته في الإشراف على الأمور مع الكلوذاني.

وفيها كانت وقعةٌ بين هارون بن غَريب وبين مَرْداويج الدَّيْلميّ بنواحي هَمَذان، فانهزم هارون، وملك الدَّيْلميّ الجَبلَ بأسره إلى حُلْوان.

وفيها استوزر المقتدر الحسين بنَ القاسم بن عبيد الله، وصرف الكَلْوَذاني، وكانت الأموال قد قلَّت، وكَثُرَت النفقات، فكتب الحسين إلى المقتدر رقعةً يقول: أنا أقوم بالنَّفَقات بمبلغ ألف ألف دينار في كلِّ سنة.

وبعث المقتدر بالنفقة إلى الكَلْوَذاني مع طفل الخادم، فقال الكلوذاني: قد يجوز أن يتمَّ لهذا الرجل ما لا يتمُّ لي، وسأله تقليده ولم يعلم مَن هو، واستعفاه.

---

(١) انظر صلة تاريخ الطبري ١٣٥، والمنتظم ١٣/ ٢٩٩.

وكان مؤنس شديدَ البُغض للحسين بن القاسم، فدخل مُفلحٌ في قضيَّته، وأصلح حاله معه ومع غيره، وضمن لهم الأموال، والكَلْوذاني يُواصل الاستعفاء، واتَّفق أنَّ جماعةً من الجند تأخَّرت أرزاقُهم، فصاروا إلى باب الكلوَذاني، ورَمَوه بالآجُرّ، ونالوا منه ـ وكان في طيَّاره ـ فدخل دارَه، وأغلق بابَه، وحلف لا ينظر في الوزارة، فكانت مُدَّة وزارته شهرين وثلاثة أيام.

وخلع المقتدر على الحسين خِلَع الوزارة، وفوَّض إليه الأموال والأمور في رمضان، وصار إليه علي بن عيسى فهنَّأه.

وكان الحسين قد شرط أن لا يَنظُرَ علي بن عيسى في شيءٍ من الأمور، ولا يجلس للمظالم، فأُجيب إلى ذلك، وحمل الحسين إلى جارية المقتدر وحَظِيَّته مالاً كثيراً؛ لأنَّها كانت تُوصل إلى المقتدر رِقاعَه.

وفيها استوحش مؤنس المُظَفَّر من المُقتدر في ذي الحجة، وسببه: أنَّه بلغه اجتماعُ الوزير وجماعة من القُوَّاد والحجرية على التدبير عليه، فتَنَكَّر له مؤنس، وعزم خواصُّه على كَبْس الوزير في الليل في منزله والقَبْضِ عليه، فكان ينتقل من دارٍ إلى دار ولا يبيت في داره، وراسلَ مؤنس الخليفة بعزله فأجابه وقال: ننفيه إلى عُمان، فامتنع المقتدر.

وأوقع الوزيرُ في قلب المقتدر أنَّ مؤنساً يريد أن يأخذَ الأميرَ أبا العباس من داره بالمُخَرِّم، ويذهب به إلى الشام ومصر، ويَعقدَ له الأمرَ هناك، وأشار بردِّ أبي العباس إلى داره بدار الخلافة، ففعل، فحَقدها على الحسين، فلمَّا أفضَتْ إليه الخلافة أنزل به ما سنذكره إن شاء الله تعالى في السنة الثانية والعشرين عند مقتل الشَّلْمَغاني.

وكتب الحسين إلى هارون وهو بدير العاقول بأن يَحضُرَ إلى الحضرة، فصحَّ عند مؤنس أنَّ الوزير يُدَبِّر عليه، ومعه مُفلح الأسود ـ وكان مفلحٌ صديقاً للحسين ومُبايناً لمؤنس ـ فخرج مؤنس إلى الشَّمَّاسية بأصحابه، ونزل في مضاربه، وكتب إلى المقتدر أنَّ مُفلحاً صديق مطابقٌ الحسين، وأنَّ نفسه لا تسكُن حتى يُنفذَ إليه مفلحاً ليقلِّده أجلَّ الأعمال، ويخرج إليها، فكتب إليه المقتدر: أنَّ مُفلحاً الخادم خادم يوثَقُ به في خدمته، وليس يُدخل نفسَه فيما نظنُّه به.

فلمَّا بلغ مؤنساً الجواب، وأنَّ الوزير قد جمع الرجال وشَرع يُنفق فيهم، وأنَّ هارون قد قَرُب من بغداد: أظهر الغضبَ وخرج إلى المَوصل، ولحق به أصحابه، ووجَّه بشرى خادمَه ليؤدِّي الرسالة إلى المقتدر، فقال له الوزير: أدِّها إليَّ، فقال: هي إلى الخليفة، ولا أُؤدِّيها إلا إليه.

فعرَّف الوزير الخليفةَ، فقال: يؤدِّيها إليك، فامتنع وقال: حتى أرجِعَ إلى صاحبي، فإن أمرني أدَّيتُها.

فشَتمه الوزيرُ وشتم صاحبه، وضربه عشرين مِقْرَعةً وحَبسه، وأخذ خطَّه بثلاث مئة ألف دينار ومئتي ألف درهم، وأحضر زوجتَه وتهدَّدها، فأقرَّت بثلاثة وثلاثين ألف دينار ومئتي ألف درهم.

وسار مؤنس إلى الموصل، فكتب الوزير إلى عسكره وقوَّاده بالانصراف عنه إلى الخليفة، فانصرف أكثرُهم، وسار إلى الموصل في خواصِّه وغلمانه، وقبض الوزيرُ على أسبابه وأمواله وضياعه، وأفرد لها ديواناً سمَّاه: ديوان ضياع المخالفين.

وهنَّأ الناسُ الوزيرَ بانصراف مؤنس عن بغداد، وزاد مَحلُّه عند المقتدر، وكنَّاه عميدَ الدولة، وكتب ذلك على الدنانير والدراهم.

وكُتبت الكتب إلى الآفاق بذلك، وأطلق الحسين للجُند أرزاقَهم، ونفى الغلمان السَّاجيَّة من بغداد لميلهم إلى مؤنس، وكتب إلى داود وسعيد ابني حَمدان والحسن بن عبد الله بن حمدان بمحاربة مؤنس ودفعه عن المَوصل، وأنَّه عاصٍ، فامتنع داود، فما زال به أهلُه إلى أن ثَنَوا رأيَه، وخوَّفوه وقالوا: بعد، ما غَسَلْنا رؤوسَنا ممَّا عمله الحسين بن حمدان، ثم مما عمله أبو الهيجاء عبد الله بن حمدان بالأمس، ويريد أن يعمل لنا حديثاً ثالثاً؟ فخرج معهم وكانوا في ثلاثين ألفاً، ومؤنس في ثمان مئة رجل، فنُصِر عليهم وهزمهم ـ وذلك في صفر سنة عشرين وثلاث مئة ـ وقال: يا قوم، يُقاتلُني داود وفي حِجري طُهِّرَ وإخوتُه؟!

وقال محمود الأصبهاني: وفي سنة تسع عشرة وثلاث مئة استوحش مؤنس من محمد بن ياقوت؛ لأنَّه كان قد استظهر بالرجال، فقيل لمؤنس: يريد أن يَكبس دارَك الليلة، فخرج إلى الشَّمَّاسية، وراسل المقتدرَ بأن يَصرفه من الشرطة، وأباه من

الحِجابة، فامتنع، وبعث إلى مؤنس بالوزير وخواصِّه يَستعرضونه فقال: لا بدَّ من إبعاد محمد بن ياقوت وأبيه، ثم حبس الوزير ومَن معه عنده، وعلم ياقوت فخرج بابنيه إلى المدائن.

ولمَّا خرج ياقوت أطلق مؤنسُ الوزيرَ ومَن معه، وسار ياقوت فأقام بشيراز.

وقدم هارون بن غَريب إلى بغداد، وكذا محمد بن ياقوت من الأهواز، وقُبِضَ على محمد بن المعتضد المسمّى بالقاهر، وعلى أبي أحمد بن المكتفي، وأُحْدِرا من دار ابن طاهر فاعتُقِلا بدار الخليفة، وكانت السيدة تُكرِم محمد بنَ المعتضد وتُنزِّهُه في البساتين، وتُشرف على طعامه، وتتولَّى ذلك بنفسها.

وفيها نزل القرمطيُّ الكوفة، فهرب أهلُها إلى بغداد.

وفيها دخل الدَّيلَم الدِّيْنَوَر، فقتلوا أهلها وسَبَوا، فورد بعضُهم بغداد قد سوَّدوا وجوههم، ورفعوا المصاحفَ على رؤوس القُضُب، وحضروا يوم عيد النَّحر إلى الجامع واستغاثوا، وساعدهم العوامُّ، ومنعوا الخطيبَ من الخطبة والصلاة، وثار معهم عوامُّ بغداد، وأعلنوا بسبِّ المقتدر، ولازم الناس المساجد والصَّلوات، وأغلقوا أسواقَ بغداد خوفاً من القِرمطي.

وفيها ولد أبو تميم المُعِزُّ رابع الخلفاء المصريين، ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ[1].

وفيها توفي

الحسن بن علي

ابن أحمد بن بشار، أبو بكر، الشاعر، ويُعرف بابن العلاَّف[2].

أحد نُدماء المعتضد، مات في هذه السنة عن مئة سنة[3].

حدّث عن أبي عمر الدُّوري وغيره، وروى عنه ابنُ شاهين وغيرُه.

---

(١) في صلة الطبري ١٤١ : وحج بالناس في هذه السنة جعفر بن علي الهاشمي من أهل مكة خليفة لأبي حفص عمر بن الحسن بن عبد العزيز. وانظر تاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٥ .

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٥ ، والمنتظم ١٣/ ٣٠٠ ، والسير ١٤/ ٥١٤ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٣٨ .

(٣) وقيل: في السنة السالفة (٣١٨) انظر مصادر ترجمته.

ومن رواياته عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾[آل عمران:١٠٦] قال: الذين تَبْيضُّ وجوهُهم أهلُ السنة والجماعة، والذين تَسودُّ وجوهُهم أهلُ البدع(١).

الحسن بن علي

ابن زكريا بن صالح بن عاصم بن زُفَر، أبو سعيد، العَدَويّ، البَصْري(٢).

ولد سنة عشر ومئتين، حدَّث عن مُسَدَّد بن مُسَرْهَد وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره، وعاش مئةً وثماني سنين.

قال ابن شاذان: رأيتُه وقد اسودَّت طاقاتٌ يسيرةٌ من شعر لحيته بعد بياضها لفَرْط الكبر.

واتَّفقوا على أنَّه كان يَضَع الحديث، ويَسرقُ، ويُلْزِق الحديث بآخر ويضعه على آخرين.

علي بن الحسين بن حَرْب

أبو عُبيد، القاضي، البغدادي، ويُعرف بابن حَرْبويه(٣).

ولي قضاء مصر، وأقام بها دهراً طويلاً، قال ابن يونس: وكان شيخاً عجيباً(٤)، ما رأينا مثلَه لا قبله ولا بعده، وكان يتفقَّه على مذهب أبي ثَور، وعُزل عن القضاء سنة إحدى عشرة وثلاث مئة، وسبب عزله أنَّه كتب يَستعفي من القضاء، وبعث رسولَه إلى بغداد، وأغلق بابَه وامتنع من القضاء بين الناس، فأُعفي، فرجع إلى بغداد فتوفِّيَ بها ودُفن بداره، وصلى عليه يحيى الإصْطَخْري(٥).

---

(١) في (ف): البدعة، والأثر أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره (١١٣٩)، واللالكائي في أصول الاعتقاد (٧٤)، والخطيب في تاريخه ٨/ ٣٧٥، وأبو نصر في الإبانة ـ كما ذكر السيوطي في الدر المنثور ٢/ ٦٣ ـ وفيه مجاشع ابن عمرو متروك، وميسرة بن عبد ربه يضع الحديث.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٣٧٨، والمنتظم ١٣/ ٣٠١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٥٣، وميزان الاعتدال (١٨١٨).

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٤، والمنتظم ١٣/ ٣٠٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٥٦، والسير ١٤/ ٥٣٦، وطبقات الشافعية ٣/ ٤٤٦، وفي هوامشها مصادر أخرى.

(٤) في تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٧ وعنه بقية المصادر: وكان شيئاً عجباً.

(٥) كذا؟! والذي في مصادر ترجمته: وصلى عليه أبو سعيد الإصطخري. وأبو سعيد هو الحسن بن أحمد بن يزيد، انظر السير ١٥/ ٢٥٠.

قال الدارقطني: كان فاضلاً، جليلاً، نبيلاً، ثقةً، مأموناً.

قال الرّقاشي: سألتُ عنه الدارقطنيَّ فقال: ذاك الجليل الفاضل، حدَّث عنه أبو عبد الرحمن السُّلمي[١]. حدَّث القاضي عن الحسن بن عَرَفة وغيره، وروى عنه ابن شاهين وغيره.

محمد بن سعيد

- وقيل: ابن سعد - أبو الحسين، الوَرَّاق، النَّيسابوري، صاحبُ أبي عثمان الحِيريّ[٢].

من كبار المشايخ، وكان عالماً بعلم الشَّريعة والباطن وعلوم المُعاملات، من كبار مشايخ خُراسان وجِلَّتهم[٣].

ومن كلام محمد بن سعيد[٤] المذكور قال: مَن غضَّ بصرَه عن محارم الله تعالى أورثه الله بذلك حكمةً على لسانه يهتدي بها سامعوه، ومَن تورَّع عن شُبهةٍ نوَّر الله قلبَه بنور يهدي به إلى طريق مَرضاته.

وقال: الكرمُ في العفو أن لا تذكر خيانةَ[٥] صاحبك بعد أن عفوتَ عنه.

وقال: كنَّا في مسجد أبي عثمان الحِيري في مبادئ أمرنا نؤثر بما يُفتَح علينا، ولا نَبيتُ على معلوم، ومَن استقْبَلَنا بما نكره لا نَنتقمُ لأنفسنا بل نتواضع له ونَعتذر إليه، وإذا وقع في قلوبنا حَقارةُ أحدٍ قُمنا بخدمته والإحسان إليه حتى يزول ذلك.

---

(١) كذا؟! والذي في مصادر ترجمته: قال البرقاني: ذكرت لأبي الحسن الدارقطني أبا عبيد بن حربويه، فذكر من جلالته وفضله وقال: حدث عنه أبو عبد الرحمن النسائي في الصحيح، ولعله مات قبله بعشرين سنة.

(٢) طبقات الصوفية ٢٩٩ ، والمنتظم ١٣/ ٣٠٤ ، ومناقب الأبرار ٢/ ٥ ، والبداية والنهاية ١١/ ١٦٧ ، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٣١ .

(٣) في (ف خ) بعد: وجلتهم ما نصه: ولم يكن أبو عثمان الحيري يميل إلى أحد ميله إليه، وكان يقول: لو وجدت من نفسي قوة لرحلت إلى أخي محمد بن الفضل ليرتاح سري برؤيته فإنه سمسار الرجال. وهذا موضعه في ترجمة محمد بن الفضل الآتي، وسننقله إلى حاق موضعه ثمة.

(٤) في (خ ف): الفضل، وهو سبق قلم.

(٥) في طبقات الصوفية ٢٩٩ : جناية.

وقال: خوفُ القطيعة أذابَ نفوسَ المحبِّين، وأحرق أكبادَ العارفين، وأسهر ليالي العابدين، وأَظْمأ نهارَ الزَّاهدين، وأكثرَ بكاء الباكين.

وقال: الأنسُ بالخلق وَحْشةٌ، والطُّمأنينة إليهم عَجْزٌ، والاعتمادُ عليهم وَهْنٌ، والثقةُ بهم خِذلان، وإذا أراد الله بعبد خيراً جعل أُنْسَه به، وتوكُّلَه عليه، وصان سرَّه عن النَّظَر إليهم، وظاهرَه عن الاعتماد عليهم.

وقال: مَن أسكن قلبَه شيئاً من أمور الدنيا فقد قتل نفسَه بسيف الطَّمع، ومَن طَمِع في شيءٍ ذَلَّ له، وذُلُّه يُهلكُه وأنشد: [من الطويل]

أتَطْمَعُ في ليلى وتعلمُ أنَّما ... تُقَطِّعُ أعناقَ الرجالِ المَطامعُ

قال السُّلمي: مات أبو الحسين قبل العشرين وثلاث مئة.

محمد بن الفضل بن العباس

أبو عبد الله، البَلْخيّ، الزَّاهد(١).

ولم يكن أبو عُثمان الحِيريّ يَميل إلى أحدٍ مَيلَه إليه، وكان يقول: لو وَجدتُ من نفسي قُوَّةً لرَحَلْتُ إلى أخي محمد بن الفضل ليرتاح سِرِّي برؤيته، فإنه سِمْسار الرِّجال(٢).

قال: ما خَطوتُ أربعين سنةً خُطوةً لغير الله، وما نظرتُ أربعين سنةً في شيء فاستحسنتُه حياءً من الله تعالى، وما أمليتُ على مَلَكَيَّ منذ ثلاثين سنةً خَطيئةً، ولو فعلتُ ذلك لاستحيَيْتُ منهما.

وقال: العَجَبُ لمَن يقطعُ الأوديةَ والمَفاوزَ ليصلَ إلى البيت والحَرَم الذي فيه آثارُ الأنبياء، كيف لا يَقطعُ نفسَه عن هواها حتى يصلَ إلى قلبه فيشاهدَ فيه آثار مولاه؟! فمات أربعة نَفَرٍ ممَّن سمعوا كلامَه.

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٢٣٢، وطبقات الصوفية ٢١٢، والرسالة القشيرية ٩٢، والمنتظم ١٣/ ٣٠٣، وصفة الصفوة ٤/ ١٦٥، ومناقب الأبرار ١/ ٣٧٣، والسير ١٤/ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٣١ (وفيات سنة ٣١٧هـ)، ووهَّم الذهبي من قال بوفاته في هذه السنة.

(٢) من قوله: ولم يكن أبو عثمان الحيري ... إلى هنا جاء في ترجمة محمد بن سعيد السالفة، وهنا موضعها.

وقال: خطأ العالم أضرُّ من عَمْد الجاهل.

وقال: العلوم ثلاثة: فعلمٌ بالله، وعلمٌ من الله، وعلم مع الله، فالعلمُ بالله معرفةُ صفاته، والعلمُ من الله علمُ الظَّاهر والباطن، والعلم مع الله هو علمُ الخوف والرَّجاء، والمحبَّة، والأُنس، والشَّوق ونحوه.

وقال: البكاء نوعان: بكاءُ الزَّاهدين بعيونهم، وبكاء العارفين بقلوبهم، وأنشد: [من الكامل]

ومن البَلاء وللبلاء علامةٌ   أنْ لا يُرى لك عن هواك نُزوعُ
والعبدُ عبد النَّفْسِ في شَهَواتِها   والحُرُّ يَشبعُ تارةً ويجوعُ

وقال ابنُ خَميس: أصلُه من بلخ لكنَّه أُخرج منها بسبب المذهب، فدعا عليهم وقال: اللهم امنَعْهم الصِّدق، فلم يخرج منها بعدَه صِدِّيق، ورحل إلى سَمَرْقَند فأقام بها حتى مات هذه السنة[١].

---

(١) مناقب الأبرار لابن خميس ١/ ٣٧٣، ونقل الذهبي في السير ١٤/ ٥٢٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٣٢ عن السلمي قال: لما تكلم محمد بن الفضل ببَلْخ في فهم القرآن وأحوال الأئمة أنكر عليه فقهاء بلخ وعلماؤها وقالوا: مبتدع، وإنما ذاك بسبب اعتقاده مذهب أهل الحديث....

السنة العشرون وثلاث مئة

فيها عزل المقتدرُ الحسين بن القاسم من الوزارة، واستَوزر أبا الفتح بن جعفر بن الفرات، وخَلَع عليه، وسلَّم إليه الحسين في جُمادى الأولى، فاعتقَلَه في داره، وقرَّر عليه أربعين ألف دينار، فلمَّا أدَّاها سأل الفضل[١] المقتدر أن يُقلِّدَه الإشراف على الشام ومصر، فأذن له، ثم توقَّف حالُه وطُلِب منه المال، فيقال: إنه استتر.

وفيها أرسل مرداويج بن زيار الدَّيْلَميّ يسأل أن يُقاطَع على الأعمال التي غَلَب عليها من المَشرق، فأُجيب إلى ذلك، وأُنفذت له الخِلَع والعهد واللواء، وكان العهد يشتمل على كُوَر أذْرَبِيْجان وأَرْمينية ونَهاوَنْد وقُم وسِجِسْتان، وغير ذلك من الأعشار والصَّدقات ووجوه الجِبايات.

وفيها نَهبت الجُند العوامُّ دورَ الوزير الفضل بن جعفر وإِصْطَبْلاته، وهرب الوزير إلى طيَّاره، فوقف في وَسْط الشَّطّ، وشَغَب الجند، وأحرقوا الطيارات والحَرَّاقات، وسَوَّد الهاشميون وجوهَهم وصاحوا: الجوعَ الجوعَ، وكان القِرمطيُّ قد منع الغَلَّة، وهو حول بغداد يتردَّد من الكوفة إلى الأنبار، ونَهَب السَّواد، ومنع مؤنس الغلَّة والمِيْرَه من ناحية المَوصل، ولم يحجَّ في هذه السَّنة أحد.

وفي شوال قُتِل المقتدرُ، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

الباب التاسع عشر في خلافة محمد القاهر بن المُعْتَضد

وكنيته أبو منصور، وأُمُّه أمُّ ولد يقال لها: قَبول، ماتَتْ قبل خلافته، ومَولدُه في جمادى الأولى سنة سبع وثمانين ومئتين، فكان عمره يوم وَلي ثلاثاً وثلاثين سنة[٢].

ذكر بيعته:

قال ثابت: لمَّا قُتِل المقتدر انحدَر مؤنس من الرَّاشِديّة إلى الشَّمَّاسِيَّة آخرَ نهار الأربعاء لثلاث بقين من شوال، ورأى رأسَ المقتدر فبكى وقال: قتلتُموه، والله لَنُقتَلَنَّ

---

(١) هو ابن جعفر بن الفرات أبو الفتح.

(٢) في صلة الطبري ١٥٤ : وهو ابن خمس وثلاثين سنة، والمثبت موافق للمنتظم ٣٠٦/١٣ .

كلُّنا، فأقلُّ ما يكون أن تُظهِروا أنَّ ذلك جرى عن غير قَصْد منكم، وأن تَنصِبوا في الخلافة ابنَه أبا العباس، فإنَّه تَرْبيتي، وإذا جلس في الخلافة سَمَحَت نفسُ جدَّته وإخوته وغلمان أبيه بإخراج ما عندهم من المال، فقال إسحاق بن إسماعيل النُّوبَخْتي لحِينه: من بعد الكَبَد[1]؛ استرَحْنا ممَّن له والدة وخالة وحُرَم وخَدَم، فنعود إلى تلك الحال، ومازال بمؤنس حتى ثَنى رأيَه عن أبي العباس، وعدَلَ إلى القاهر.

وقال: إنَّ والدةَ المقتدر لمَّا بلغها قتلُه أرادت الهَربَ، وأنَّه وكَّل بها، وأنَّ محمد بن المعتضد ومحمد بن المكتفي مُعتقَلان في يده في دار الخلافة، فأمر بإحضار محمد بن المعتضد ومحمد بن المكتفي، فقال مؤنس لمحمد بن المكتفي: تولَّى هذا الأمر، فقال لا حاجةَ لي فيه، وعمِّي محمد أحقُّ به.

فخاطب محمد بنَ المعتضد فأجاب، فاستحلفَه مؤنس لنفسه ولبليق ولعلي بن بليق وكاتب بليق يحيى بن عبد الله الطبري، فلما توثَّقوا منه بالأيمان والعهود بايعوه، وبايعه مَن حضر من القضاة والقوَّاد، ولُقِّب القاهر بالله، وكان ذلك سحر ليلة الخميس لليلتين بقيتا من شوال.

وقال الصولي: لمَّا قُتِل المقتدر بالشمَّاسية أحضر مؤنس محمد بنَ المُعْتَضد وأبا أحمد بنَ المُكْتَفي، فباتا عنده في مكان واحد، فقال محمد بن المعتضد لأبي أحمد: أنا فقيرٌ لا مال لي، فتولَّى أنت الأمر، فقال أبو أحمد: أنت شيخي وعمِّي، وقد وُلِّيت هذا الأمر وسمِّيتَ له، فأنت أحقُّ به منِّي من جميع الجهات.

وعزم مؤنس على مبايعة أبي أحمد لأنَّهم رأَوه أتمَّ رأياً، وأكثرَ أدباً، وأوفرَ عقلاً، فبات النُّوبَخْتي يمشي إلى أرباب الدولة ويقول: ابنُ المعتضد أحقُّ، فقيل له: فلم تكرَّهت من ابن المكتفي مع ما هو عليه؟ فقال: أخاف أن يَنْتَقِض الأمر علينا بخليفةٍ كنَّا قد سمَّيناه وبايعناه ـ يعني القاهر ـ فيطولَ تَعَبُنا، ولم يَدْر أنه سعى في حَتْفه، فبايعوه،

---

(١) في الكامل ٨/ ٢٤٤: بعد الكد والتعب استرحنا. ولعل العبارة: فقال إسحاق لحَينه من بعد الكيد: استرحنا، وانظر تكملة الطبري ٢٧٣ فالخبر فيه أوضح مما هنا.

فضَمِن لهم مالَ البيعة بعد عشرة أيام، ونقش على سِكَّة الدنانير والدراهم: محمد رسول الله، القاهر بالله، المنتقم من أعداء الله [لدين الله](١).

وكان رَبْعَةً ليس بالطويل ولا بالقصير، أسمر، معتدلَ الجسم، أَصْهبَ الشعر، أَقْنَى الأنف.

وأول ما شَرع فيه: أنَّه بحث عن المستورين من ولد المقتدر وأُمَّهات أولاده وحُرَمه وخواصِّه ووالدته فصادرهم، وعذَّبهم بأنواع العَذاب، وأحضر أمَّ المقتدر وهي مريضةٌ، فضربها بيده ضرباً مُبَرِّحاً، فلم تُظهر من مالها سوى خمسين ألف دينار، وأحضر القضاةَ والشُّهودَ فشهدوا عليها ببيع أملاكها بعد أن كَشَفَت وجهَها ونظروا إليها، فلمَّا رأَوا ما بها من الضُّرِّ بَكَوا، وما انتفعوا بعيشهم في ذلك اليوم، ومازال يُعذِّبها حتى ماتت معلَّقةً بحَبْل البَرَّادة(٢).

وضرب أمَّ موسى القَهْرَمانة وعذَّبها، ووجد عندها أبا العباس بن المقتدر فقبض عليه، وما أبقى في الإساءة إلى عِيال المقتدر، ولم يَظفَر منهم بطائل، ونَفَرَت قلوبُ الناس عنه.

وكان المقتدر قد نفى أبا علي بن مُقْلَة إلى الأهواز، فكتب إليه القاهرُ رُقْعةً بخطِّه: يا أبا علي، أدام الله إمتاعي بك، مَحَلُّك عندي جليلٌ، ومَكانك من قلبي مَكين، وأنا حامدٌ لمذهبك، مُرتَضٍ لأفعالك، عارفٌ بنصيحتك، ولم أجد مع قصور الأحوال عن ما أُضمِره لك ما يَزيد في محلِّك وكمال سرورك غيرَ تَشريفِك بالكُنية، وأنا أسأل الله عَوناً على ما أحبُّه لك، والسلام(٣).

وأحضره، واستوزَره، وخلَع عليه، وفوَّض الأمورَ إليه.

وقال ثابت: أشار مؤنس بعلي بن عيسى ووَصَفَه، فقال بليق وابنه: الحالُ لا يَحتملُ أخلاقَه، ويُحتاجُ إلى مَن هو أسمَحُ منه وأوسعُ أخلاقاً، فأشار بابن مُقْلَة، وأن يُستَخلَف له أبو القاسم الكَلْوَذاني إلى حين يَقدم.

---

(١) ما بين معكوفين من المنتظم ١٣/ ٣٠٦.

(٢) البرادة: إبريق من الطين مدور الشكل ذو عنق ضيق طويل يُبَرَّد فيه الماء. تكملة المعاجم ١/ ٢٨٠.

(٣) المنتظم ١٣/ ٣١٦.

وكتب إلى ابن مقلة بالقدوم وكان بشيراز.

وصُرِف محمد بن المكتفي إلى داره بحريم دار ابن طاهر، واستَحْجَب القاهر عليَّ ابنَ بليق، وقلَّد مؤنسٌ الشرطةَ ببغداد غلامَه يُمناً الأعور.

وكتب مؤنس إلى علي بن عيسى وكان بالصافية أن يَحضُر، فقدم بغداد، ودخل على القاهر فأكرمه ووعده جميلاً، ثم صرفه إلى منزله.

وكتب القاهرُ كتاباً إلى الآفاق بإشارة مؤنس: أنَّ المقتدر قتله بعضُ جنده ورجالٌ من عسكره.

وفي مُستهلِّ ذي القعدة دخل بليق وابنُه وأبو القاسم الكلوذاني على القاهر، فطالبوه بمال البيعة ورِزقِ الجند، فحدَّثهم بما فعل بوالدة المقتدر، وأنَّه ضربها مئةَ مِقْرَعة على المقاتل فما أقرَّت إلا بعَقار ثمنُه ثلاثون ألف دينار، ثم قال: وها هي بين أيديكم إن شئتم سلَّمتُها إليكم، ثم أدخلهم إلى الدار التي فيها الصناديق، وفيها ثيابُ وَشْيٍ وديباجٌ، وصياغاتٌ من ذهب يسيرة وفضةٌ، وطيبٌ وغيره ما قيمتُه مئةٌ وثلاثون ألف دينار وثلاثُ مئة ألف درهم، فتسلَّمَه أصحابُه، وتفرَّق على الجند.

قال ثابت: وتقدَّم القاهر بكَبْس الأماكن التي فيها أولادُ المقتدر مُستَترين، فكُبست، ووُجد أبو العباس وعلي وهارون والعباس وإبراهيم والفضل، فحُمِلوا إلى دار السلطان، وسُلِّموا إلى الحسن بن هارون كاتب بليق، فأحسن إليهم إحساناً كثيراً، وكتب لهم أماناتٍ، وكتب القاهرُ عليها خطَّه، وحُمِّلوا نحواً من ثلاث مئة ألف دينار مُصادرةً.

وكان شَفيع المُقْتَدري قد استَتَر يوم قُتل المقتدر، وكانت بينه وبين أبي القاسم الكلوذاني مَودَّةٌ، فكتب إليه رُقعةً يسأله عَرْضَ حاله على القاهر، ففعل، فوقَّع القاهرُ عليها: يَحضُر آمناً من مَكروه يَنالُه، ويُصادر آمناً من مَكروه يَلْحقُه، فظهر شفيع، فصادره الكَلْوَذاني على عشرين ألف دينار، فأمضاها القاهر، فقال الحسن بن هارون كاتب بليق: هذا مالٌ قليل، وليس عندنا ما نَدفع به مالَ البيعة إلا من شفيع وأمثاله.

واستأذن القاهرَ في الدُّخول على شفيع ومُخاطبته، فأذِن له، فدخل عليه، وخاطبه ولاطَفه فلم يُذْعِن بشيء، فأغلظ له وقال: يا شفيع، إن لم تعرف حقَّ مولاك، ولم تُعاونْه على أمره بما يُثَبِّتُ دولتَه وإلا صُفِعْتَ بالنِّعال، فبكى شَفيع، ولَطَم على رأسه، ولم يُفارقه الحسن حتى أخذ خَطَّه بخمسين ألف دينار مُعَجَّلةً، ودخل بالخطِّ إلى القاهر، فوَقَع منه أحسنَ مَوْقع.

ودخل شفيعٌ على مؤنس فشكا إليه، فخاطبه مؤنس بمَحْضَرٍ من الناس أغلظَ خِطاب، فقال: أنت غلامي، اشتريتُك بعد أن أعتقَني المعتضد، وضَمَمْتُك إلى المقتدر، وولَّيتُك البصرة، وجعلتُ لك الإقطاعات، وتَبِعك الرجال، وضُرِبَت على بابك الدَّبادِب في أوقات الصَّلوات، وبلَّغتُك أعلى المراتب، فكافئتَني بأن سعيتَ في دمي ودم خواصِّي الذين هم عندي أولادي، ثم لم يكن لي عندكَ من المقدار ما تُكاتبني وتَعتذرُ إليَّ، أوتنافقني وتطلب منِّي أماناً، وأن أُوصلَك إلى أمير المؤمنين؟! وبعد هذا، فلستُ أعارضُ أمير المؤمنين في أمرك وأمانِه لك، ولكنِّي ما بعتُك من المقتدر ولا وهبتُك له، وقد حلفتُ يميناً غليظةً على أنَّني متى تمكَّنتُ منك ناديتُ عليك، وبعتُك كما يُباع مثلُك.

ثم أمر مُنادياً فنادى عليه، فبلغ سبعين ألف دينار بحضرة مؤنس في داره، فاشتراه الكلوذاني للقاهر، وكتب العُهْدةَ بالبيع، وأشهد فيها القُضاة والعُدول، فقال مؤنس: يُعتَقلُ في دار بليق حتى يؤدِّي المال.

وأحسن إليه بليق وكان يأكل معه، وأشهد عليه القاهر بعتقه، وأدَّى بعض مال المُصادرة، وبقي عليه عشرون ألفاً فضمنها بليق والكلوذاني وبشرى.

وأُطلق شَفيع إلى داره، ثم صار إلى دار مؤنس واستعطفه، فعَطَف عليه، وأحسن إليه، وضمَّ إليه خمسين فارساً ورجَّالةً يخدمونه، وأطلق ضياعه وأسبابه.

وأمر القاهرُ القضاةَ والعُدول بأن يَشهدوا على والدة المقتدر بأنَّها قد حَلَّت أوقافَها، وأذِنَت في بيعها لعلي بن العباس النُّوبَختي، وقالت: هذه أماكنُ وقفتُها على مكة والثغور والفقراء والمساكين، فلا يَحِلُّ لي حَلُّها، فاستدعى القاهر القاضي عمر بن محمد والشهود، وأَشهَدَهم على نفسه أنَّه قد حلَّ وُقوفَها، وأذن في بيعها النوبختي.

وفيها عزم مؤنس على تقليد الوزارة لعلي بن عيسى لمَّا تأخَّر قدوم ابن مُقْلة من شِيراز، وأنَّه يُكاتب ابن مُقْلَة ليرجع إلى شيراز، وبلغ زوجةَ ابن مُقْلَة، فأرسلت إلى عيسى طبيب القاهر مئة ألف درهم ليُلاطفَ الحال، فخاطب القاهرَ ومؤنساً، فتوقَّف الأمرُ.

وقدم ابنُ مُقْلَة بغداد يومَ النَّحْر، وكتب إلى القاهر يسألُه أن يجتمع به في الليل بطالع الجَدْي، وفيه أحد السَّعْدَين، والآخر في وسط السماء، فجلس له في الوقت المُعَيَّن، واجتمعا وأكرمه، وأصبح فخلع عليه خِلْعَة الوزارة، ومضى إلى دار مؤنس فسلَّم عليه، وانصرف إلى داره بدرب جردة ـ وكانت لابن مقلة ـ وجلس للتهنئة، وراح إليه في آخر النهار علي بن عيسى فلم يَقُم له، فاستَقْبح الناس ذلك.

وفيها توفي

إبراهيم بن محمد

ابن علي بن بَطْحاء، أبو إسحاق، التَّميمي(١).

وَلي حِسْبَةَ بغداد من الجانبين، وكان صارماً، مرَّ على باب قاضي القضاة أبي عمر، فرأى الخصومَ جلوساً ببابه ينتظرونه للنظر بينهم وقد هَجَّرت الشمسُ عليهم، فوقف، وقال لحاجبه: تقول للقاضي: الخصومُ جلوسٌ بالباب قد بلغتهم الشمسُ وتأذَّوا بالانتظار، فإما خرجتَ إليهم فحكمتَ بينهم، أو عرَّفتَهم عُذْرَك لينصرفوا ويعودوا.

روى عن علي بن حَرْب الطَّائي وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة رحمه الله.

أحمد بن عُمَيْر(٢) بن يوسف

أبو الحسن، ابن جَوْصا، الحافظ، الدِّمشقي، مولى بني هاشم.

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٠٧ ، وذكر الخطيب في تاريخه ٧/ ١٠٠ ، والذهبي في تاريخ الإسلام ٧/ ٦٥٩ أن وفاته في سنة (٣٣٢هـ).

(٢) في (خ ف): عدي، وهو تحريف، والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٥١ (مخطوط)، والمنتظم ١٣/ ٣٠٦ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٦٣ ، والسير ١٥/ ١٥ .

شيخ الشام في وقته، رحل إلى البلاد، ولقي الشيوخ، وصنَّف، وتوفي بدمشق، ودُفن بالباب الصغير.

سمع الرَّبيع بن سليمان وغيره، وروى عنه أبو أحمد بن عدي وغيره.

ووَثَّقه أبو أحمد الحاكم، وقال الدارقطني: تفرَّد بأحاديث وليس بالقوي.

أحمد بن القاسم بن نَصْر، أبو بكر(١)

ولد سنة اثنتين وعشرين ومئتين، وسمع الحسن بن حَمَّاد سَجَّادة وغيره، وروى عنه ابن شاذان وغيره، وكان ثقةً، وأنشد: [من البسيط]

لا تَتْرُكِ الحَزْمَ في أمرٍ هَمَمْتَ به فإن سَلِمْتَ فما في الحَزْمِ من باسِ
العَجْزُ ضُرٌّ وما بالحَزْمِ من ضَرَرٍ وأحْزَمُ الحَزْمِ(٢) سوء الظَّنِّ بالناسِ

جعفر المُقْتَدر بن أحمد المُعْتَضِد

ابن أبي أحمد المُوَفّق بن المُتَوكّل(٣).

قد ذكرنا خبرَ مؤنس ونفوره منه، واستيلائه على الموصل وديار ربيعة، ولمَّا بلغ الفُرسانَ المقيمين بالحَضْرة ذلك، وما أخذ من أموال بني حَمْدان؛ تَسلَّلوا إليه، وحملوه على العَوْد إلى بغداد بعد أن أقام بالموصل تسعة أشهر.

ولمَّا بلغ الجُندَ المُقيمين بالحَضْرة انحدارُه شَغَبوا وطلبوا المال، فأطلق لهم المقتدر أموالاً عظيمةً، وأخرج مِضرَبَه إلى باب الشَّمَّاسيَّة، وبعث أبا العلاء سعيد إلى سامُرَّاء في ألف فارس، ثم أرْدَفه بمحمد بن ياقوت في مثلها وجماعة من الحُجَرِيَّة، فلما قَرُب مؤنس من عُكْبَرَا انعطَفُوا راجعين إلى باب الشمَّاسية، فعسكروا به.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٥٧٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٦٦ ، والسير ١٤/ ٤٦٦ .

(٢) في (خ ف): وأحزم الناس، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٣) مروج الذهب ٨/ ٢٤٧ ، ٢٧٢ ، وصلة الطبري ١٤٢ ، وتكملته ٢٦٩ ، وتاريخ بغداد ٨/ ١٢٦ ، والمنتظم ١٣/ ٥٩ ، ٣٠٨ ، والكامل ٨/ ٢٤١ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٦ ، ٣٦٨ ، والسير ١٥/ ٤٣ .

واجتهد المقتدرُ بهارون بن غريب أن يحارب مؤنساً [فلم يفعل، وقال: أخاف من عسكري][(١)]. وقيل: إنه خرج وعسكر.

ثم اجتمعوا إلى المقتدر وقالوا: إنَّ الرجال لا يقاتِلون إلا بالمال، وإن أُخرِجَ المال استأمن رجالُ مؤنس، ودفعَتْه الضرورةُ إلى الهرب والاستتار، وسألوه مئتي ألف دينار.

فتقدَّم بجمع الطَّيَّارات والشَّذا[(٢)] لينحدر وأولاده وحُرَمه وأُمُّه مع الحُجَريّة إلى واسط، ويَستنجدَ مَن بالبصرة والأهواز وفارس على مؤنس، فقال محمد بن ياقوت: اتَّق الله يا أمير المؤمنين في المسلمين وفي غِلمانك وخَدَمك، ولا تُسلِّم بغداد بغير حرب، واخرُج إلى العَسْكر ليراك الناسُ ويقاتلون بين يديك، وإذا رآك رجال مؤنس أَحْجَموا عن قتالك. فقال له المقتدر: أنت رسول إبليس.

فلمَّا أصبح ركب ومعه الجماعة، وعليه البُرْدَة وبيده القضيب، وبين يديه الأُمراء والقُوَّاد وأولاده، ومعهم المَصاحفُ المَنشورة، والقُرَّاء يقرؤون القرآن، وخلفه الفضل ابن جعفر الوزير، وشَقَّ بغداد إلى الشمَّاسية والناس يَدعون له بالنَّصر.

وجاء عسكر مؤنس، ووقع الحرب، والمقتدر على تلٍّ، ومؤنس بالرَّاشدية لم يباشر الحرب، وثبت محمد بن ياقوت وهارون بن غريب، فجاء أبو العلاء سعيد بن حَمْدان ومحمد بن ياقوت إلى المقتدر وقالا: تقدَّم، فإذا رآك أصحاب مؤنس استأمنوا، فلم يَبْرَح، وتردَّدَت إليه رسائلُ القُوَّاد بالتقدُّم، وألَحُّوا عليه فتقدَّم، ولم يزالوا يَستدرجونَه[(٣)] حتى أوقعوه في وَسَط الحرب في جماعة يسيرة، وقد قدَّم الغِلْمان والحُجَريّة، وابنُ حمدان[(٤)] وابن ياقوت ومُفلح وغيرهم بين يديه يقاتلون، فانكشف أصحابُ المقتدر، واستُؤسر[(٥)] منهم جماعة.

---

(١) في (خ ف): يحارب مؤنساً ولا يثق بهم وربما يخرج من منزله. والمثبت من الكامل ٨/ ٢٤١ .

(٢) ضرب من السفن الصغار.

(٣) هنا ينتهي السقط المشار إليه في (م١).

(٤) بعدها في (م١): والحجرية بين يديه يقاتلون والذين أشاروا عليه بالتقدم ابن حمدان.

(٥) كذا في النسخ وأصل تكملة الطبري ٢٧٢ ، وفي صلة الطبري ١٥٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٦ : وأُسر منهم جماعة.

وأبلى هارون [بن غريب] ومحمد بن ياقوت بلاءً حسناً، وبقي المقتدر في نَفَرٍ يسيرٍ.

وكان مُعظمُ عسكر مؤنس البَرْبرَ، فبينا المقتدر واقف في المعركة وقد انهزم أصحابُه رآه علي بنُ بليق، فعرفه، فترجَّل وقال: مولاي أمير المؤمنين، وقبَّل الأرضَ وقبَّل رُكْبتَه.

ووافى جماعةٌ من البَرْبر فأحاطوا بالمقتدر، فضرَبه رجلٌ منهم من خلفه ضَرْبةً سقط إلى الأرض، فقال له: ويلَك، أنا الخليفة، فقال البربري: فأنت المطلوب، [وأضجعه] وذبحه بالسيف، وشال رأسَه على خشبة، ثم سلب ثيابَه وسراويلَه، وبقي[(١)] مَكشوف العَورة، حتى مرَّ به بعضُ الأَكَرَةِ[(٢)] فسَتَرَ عَورتَه بحَشيش، ثم حفر له في الموضع، ودُفِن وعُفِّي أثَرُه، وأنفذ بليق وابنُه إلى دار السلطان مَن يحفظها.

وجاء مؤنس من الرَّاشِدية، فنزل الشمَّاسية فبات بها، ومضى هارون بن غريب ومحمد بن ياقوت وابنا رائق ومفلح الأسود إلى المدائن.

ولمَّا أُحضِرَ رأس المقتدر إلى مؤنس تمثَّل يحيى بن عبد الله الطَّبَري كاتب بليق: [من الكامل]

وإذا الـمَـنـيَّـةُ أنْـشَـبَـتْ أظْـفـارَهـا ... أَلْـفَـيْـتَ كـلَّ تَـمـيْـمَـةٍ لا تَـنْـفـعُ

[قال ثابت بن سِنان: وكان ما فعلَه مؤنس من قَتْل المقتدر، والضرب في وجهه بالسيف، ودخوله بغداد على ذلك: سَبباً لجُرْأة الأعداء وطمعهم في الخلافة، وانخراق الهيبة، وابتداء ضَعْف الخلافة، وتفاقُم الأمور.

قلت: وقد وهم ثابت بن سنان؛ فإن الذي جرَّأ الموالي على الخلفاء بالقتل إنما هو باغر[(٣)] قاتل المتوكِّل، وهو الذي أطمعهم في قتل المستعين والمعتز والمهتدي والمقتدر.][(٤)]

---

(١) في (ف): وألقي.

(٢) بعض الحُرَّاث.

(٣) في (ف): جرأ الموالي على قتل الخلفاء باغر، وانظر الطبري ٩/ ٢٢٧، ٢٧٨.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م١).

وقال الصولي: لمَّا كان يوم الأربعاء لثلاثٍ بقين من شوال ركب المقتدر وعليه قَباءٌ فضِّي وعمامة سوداء، وعلى كتفَيه البُرْدَة، وبيده القَضيب، وحوله أصحابُه، والمصاحف بأيديهم منشورة، وكان وزيرُه الفضل بن جعفر قد أخذ له طالعَ الوقت، فقال له المقتدر عند رُكوبه: أيُّ وقتٍ هو؟ قال: وقت الزَّوال، فتطيَّر وهمَّ بالرُّجوع، فأشْرَفَت خيلُ مؤنس وبليق في أوائلها، ونَشِبت الحرب، وتفرَّق عن المقتدر أصحابُه، وقتله البَرْبري على ما ذكرنا. وقيل: إنَّ الذي قتله غلامٌ لبليق. [وهذا هو المشهور في قتل المقتدر.

وقد] حكى أبو القاسم السِّمْناني في قَتْله[1] [وجهاً آخر] فقال: كان المقتدر قد حَبَس محمداً القاهر، وكان له نديمٌ يلعب معه بالشِّطْرَنج، فلعب معه يوماً، فتوجَّه الغَلَبُ على القاهر، شاه مات، فرمى بالقطعة من يده وبكى، فقال له النَّديم: مالك؟! فقال: لا أنا حيٌّ ولا ميت، يا ليته قتلني وأراحني أو أطْلَقني، والله ما أخرج عليه أبداً.

ودخلت جاريةٌ من دار القاهر تَفْتَقد أحوالَه[2]، فرأتْه يبكي، فخرجت وهي باكيةٌ، فلَقيها بعضُ الجُند يقال له: البَرْبري، فسألها عن حالها فأخبرته، فقال [لها]: ارجعي إليه وقولي له: غداً ضَحْوة تنقضي الحاجة، فرَجَعت إليه وأخبرَتْه، فعاد إلى اللعب [بالشطرنج] وقال: إن غلبتُ صاحبي زال القطوع، فتوجَّه له الغَلب [على صاحبه].

واتَّفق خروجُ المقتدر من الغد إلى الشمَّاسية، وركب البربري معه، وأظهر على ظَهْر الفَرَس صناعاتٍ من الشجاعة واللَّعب بالسيف والرُّمْح، وعَجِب الناسُ منه، ثم حمل على المقتدر فضربه بحَرْبةٍ أخرجها من ظهره، وصاح الناس عليه، وساق [البربري] نحو دار الخلافة[3]، ليُخرجَ القاهرَ، فصادَفَه حِمْلُ شَوك وهو من فزعِه لا يلتفتُ [يميناً ولا شمالاً]، وهناك قصَّاب، والقِنَّارة[4] معلَّقة يريد أن يعلِّقَ فيها اللَّحْمَ، فزَحَمَه

---

(١) في (ف): قتلته، وما بين معكوفين منها ومن (م١).

(٢) في (ف م١): أخباره، والمثبت من (خ).

(٣) في (خ): الخليفة، والمثبت من (ف م١).

(٤) خشبة يعلق القصاب عليها اللحم، ويصح أن تطلق على ما يسميه العامة «سيبة»، أخذوها من الفارسية لأنها ثلاث خشبات متصلة الرؤوس منفرجة من طرفها الآخر. معجم متن اللغة.

الشَّوكُ إليها وهو غافل، فضربه الكُلاَّبُ فعلَّقَه، وخرج الفرسُ من تحته فبقي معلَّقاً فمات، فحطَّه الناس وأحرقوه بالحِمْل الشَّوك.

[قلت: وليس هذا بصحيح]، والأصحُّ أنَّ المقتدر قُتِل في المعركة، كما قال ثابت ابن سنان والصولي وغيرهم(١).

وكان سنُّه يوم قُتِل ثمانياً وثلاثين سنةً وشهراً وخمسةَ أيام، وخلافتُه أربعاً وعشرين سنةً وأحد عشرَ شهراً وأربعة عشر يوماً، منها(٢) خمسةُ أيامٍ خُلِع فيها من الخلافة، يومان في نَوْبة ابن المعتز، وثلاثةُ أيام في نوبة القاهر.

وقال جدِّي في «التلقيح»: وكانت(٣) خلافتُه أربعاً وعشرين سنة [وأربعة عشر يوماً، وقيل:] وشهرين، وقيل: خمساً وعشرين سنةً إلا أياماً(٤).

وقال الصولي: عاش المقتدر في الخلافة أكثرَ مما عاش الخلفاء فيها قبله، فإنَّ المعَمَّرين من الخلفاء: معاوية(٥)، وعبد الملك، وهشام، والمنصور، والرشيد، والمأمون، والمعتمد، وزاد هو عليهم، ثم كلُّهم ماتوا على فُرُشهم وخُتِم له بالشهادة.

ومن العجائب أنَّه لم يلِ الخلافةَ(٦) مَن اسمه جعفر ويكنى أبا الفضل إلا هو والمتوكل، وكلاهما قُتِل يوم الأربعاء. ولا يُعرَفُ خليفةٌ قُتل في رمضان غيرُه.

وقال الخطيب: رثاه الراضي قبل أن يَلِيَ الخلافة فقال: [من الطويل]

بنَفسي ثَرًى ضاجَعْتَ في ساحة البِلى ... لقد ضمَّ منكَ الطِّيبَ والغَيثَ والبَذْرا
ولو أنَّ عُمْري كان طَوعَ مَشيئتي ... وأَسْعَدَني المِقدارُ شاطَرْتُه العُمْرا
ولو أنَّ حيًّا كان قبراً لميِّتٍ ... لصَيَّرتُ أحشائي لأَعْظُمه قَبْرا(٧)

(١) في (خ): كما ذكرنا، والمثبت من (ف م١)، وما بين معكوفين منهما.
(٢) في (ف م١): من جملتها.
(٣) في (خ): وقيل كانت، والمثبت من (ف م١).
(٤) تلقيح فهوم أهل الأثر ٩٢ ، وما بين معكوفين منه.
(٥) في (خ): أكثر ما عاش المعمرين فيها قبله، وهم معاوية، والمثبت من (ف م١)، وانظر المنتظم ١٣/ ٣٠٩ .
(٦) في (خ): وختم له بالشهادة ولم يل الخلافة، والمثبت من (ف م١).
(٧) لم أقف عليها في تاريخ بغداد، وهي في تكملة الطبري ٣٢٣ ، والكامل ٧/ ٣٦٦ ، ونسبها المرزباني في معجم الشعراء ٤٢٥ ، وعنه ياقوت في معجم الأدباء ١٧/ ١٣٥ إلى ابن دريد يرثي عبد الله بن عمارة.

ذكر طرف من أخباره:

[قال الصولي:] كان النساء قد غَلَبْنَ على المقتدر؛ حتى كانت ثَمَلُ القَهْرَمانة تجلس للمظالم ويحضرها القضاة.

وكان جواداً، سخيًّا، يَصرفُ في كلِّ سنةٍ في طريق مكة والحَرَمَين ثلاثَ مئة ألف دينار ونيِّفًا وخمسة عشر ألف دينار، ويُجري على مَن يتولَّى الحِسْبَةَ والمَظالمَ في جميع البلاد أربعةً وثلاثين ألفَ دينار وزيادة، وعلى أصحاب البريد تسعةً وسبعين ألفاً، وكان في داره أحد عشر ألف خادم خِصيان غير الصَّقالبة والروم والسودان [وقد ذكرنا ما كان في داره لما بَعَث ملكُ الروم إليه الرسول في سنة خمسٍ وثلاث مئة.]

وكانت جواهرُ الأكاسِرةِ وغيرِهم من الملوك قد صارت إلى بني أمية، ثم إلى السَّفَّاح، ثم إلى المنصور، ثم إلى المهدي، وفيها الجبل الياقوت الذي اشتراه المهدي بثلاث مئة ألف دينار[١]، واشترى الرشيد جوهراً بألف ألف دينار، ولم يزل الخلفاءُ يحفظون ذلك إلى أن آلت الخلافة إلى المقتدر، فأخرج الجميعَ على النساء وغيرهنَّ، وأعطى بعضَ حَظاياه الدُّرَّة اليتيمة، وزنُها ثلاثة مَثاقيل، ووهب بعضَه للخدم: صافي الحرمي وغيره، ووَجَّه منه إلى وزيره العباس بن الحسن، فردَّه وقال: هذا الجوهر عِدَّةُ الخلافة ولا ينبغي أن يُفرَّق.

وكانت زَيدان القَهْرمانة متمكِّنةً من الجوهر، فأخذت سُبْحَةً لم يُرَ مثلُها، فكان يُضرَب بها المثل فيقال: سُبحةُ زيدان، فلمَّا ورد علي بنُ عيسى على المقتدر قال له: ما فعلت سبحة جوهر قيمتُها ثلاثُ مئة ألف دينار أُخذَت[٢] من ابن الجَصَّاص؟ فقال: في الخزانة، فقال: تُطْلَب، فطُلِبَت فلم تُوجَد، فأخرجها علي من كُمِّه وقال: إذا كانت خزانة الجوهر لا تُحفَظ فما الذي يُحفَظ؟ فقال المقتدر: فمن أين لك هذه؟ قال: عُرِضَت عليَّ فاشتريتُها. فاشتدَّ ذلك على المقتدر.

[ولما قتل المقتدر] كان قد بقي منه في الخزانة شيءٌ يسير، فامتدَّت إليه أيدي الخَزَنة في أيام القاهر والراضي، فلم يبق منه شيءٌ.

---

(١) في ثمار القلوب ١٩٤، والمنتظم ١٣/ ٦٤: واشترى المهدي الفص المعروف بالجبل بثلاث مئة ألف دينار.

(٢) في (ف م١): ما فعلت بسبحة زيدان قيمتها ثلاث مئة ألف دينار التي أخذت، والمثبت من (خ).

وقال صافي الحُرَمي: مشيتُ يوماً بين يدي المعتضد وهو يُريد دورَ الحُرَم، فلمَّا بلغ باب شَغَب أُمِّ المقتدر وقف يَتَسَمَّع ويَطَّلع من خَلَلٍ في السّتر، وإذا بالمقتدر ـ وله إذ ذاك خمسُ سنين أو نحوها ـ وهو جالس وحواليه مِقدارُ عَشْر وصائف من أقرانه في السنِّ، وبين يديه طَبَقٌ فيه عُنقودُ عِنَبٍ في وقت لا يوجد فيه العِنَب، وهو يأكل عِنَبةً واحدة، ثم يُطعم الوصائف عِنَبةً عنبةً على الدَّور، حتى إذا بلغ الدَّور إليه أكل عنبةً واحدةً مثل ما أكلوا، حتى فَنِيَ العنقود، والمعتضد يَتميَّز غَيْظاً، فرجع ولم يدخل الدار.

ورأيتُه مَهموماً فقلت: يا مولاي ما سببُ ما فعلتَه وقد بان عليك؟ فقال: يا صافي، والله لولا النار والعار لقتلتُ هذا الصبيَّ، فإنَّ في قَتْله صلاحَ هذه الأمة، فقلتُ: يا مولاي، إيش عمل، أُعيذُك بالله يا مولاي، العَن إبليس، فقال ويحك، أنا أبصرُ بما أقول، أنا رجلٌ قد سِسْتُ الأمورَ، وأصلحتُ الدنيا بعد فسادٍ شديدٍ، ولا بدَّ من موتي، وأعلمُ أنَّ الناس بعدي لا يختارون غيرَ ولدي، وسيُجلسون ابني عليًّا ـ يعني المكتفي ـ وما أظنُّ عمرَه يطول للعلَّة التي به ـ يعني الخنازير[1] التي كانت في حَلْقِه ـ فيَتْلَفُ عن قُرْبٍ، ولا يرى الناس إخراجَها عن ولدي، ولا يَجدون بعده أكبرَ من جعفر ـ يعني المقتدر ـ فيُجلسونه وهو صبيٌّ، وله من الطَّبْع في السَّخاء ما قد رأيتَ من أنَّه يُطعم الوَصائف مثل ما أكل، وساوى بينه وبينهنَّ في شيءٍ عَزيزٍ، والشحُّ على مثله في طبائع الصبيان، فيحتوي عليه النساء لقرب عَهْده منهنَّ، فيَقْسِم ما جمعتُه من الأموال كما يقسم العنب، ويُبَذِّر ارتفاع الدنيا ويُخرِّبُها[2]، ويُضَيِّع الثُّغور، وتنتشر الأمور، وتخرجُ الخوارج، وتحدثُ الأسباب التي يكون فيها زوالُ المُلْك عن بني العباس أصلاً، فقلتُ: بل يُبقيك الله حتى يَنشأ في حياتك، ويَصيرَ كَهْلاً في أيامك، ويَتأدَّبَ بآدابك، ويَتخلَّقَ بأخلاقك، ولا يكون هذا الذي ظَننتَ، فقال: احفظ ما أقول لك وسوف ترى.

وضرب الدهرُ ضَرَباته، ومات المعتضد، وولي المكتفي، فلم يَطُل عمرُه ومات، وولي المقتدرُ فكانت الصورةُ كما قال بعَيْنها، فكنتُ كلَّما وقفتُ على رأس المقتدر،

---

(١) قروح تحدث في الرقبة. القاموس.

(٢) وكذا في تاريخ بغداد ٨/ ١٣٠، والمنتظم ١٣/ ٦٦.

ورأيتُه يدعو بالأموال والجواهر، ويُفرِّقُها في الجواري، ويُمَزِّقها ويَمْحَقُها: ذكرتُ قولَ المعتضد فأبكي.

وقال صافي: كنتُ واقفاً على رأس المعتضد فقال للخادم الذي على خزانة الطِيب: كم عندك من الغالية؟ فقال: نيِّفٌ وستون حُبًّا صينيًّا ممَّا عمله عِدَّةٌ من الخلفاء[١]. فقال: أيُّها أطيب؟ قال: ما عمله الواثق. قال: أحضِرْنيه، فأحضَر حُبًّا يَحمله عِدَّةٌ من الخَدَم بدَهَق[٢]، ففتحه وإذا بغاليةٍ قد ابيضَّت من التَّعْشِيب، فأعجب المعتضد، فأخذ من حول رأس الحُبِّ يَسيراً، فلطَّخ به لحيتَه من غير أنْ يُشَعِّثَ رأسَ الحُبّ، ثم رفعه.

ومات المعتضد وولي المكتفي، فسأل الخادمَ عن الطِّيب، فأخبره بمثل ما أخبر به المعتضد، فأمر بإحضار الحُبِّ، فأخذ منه شيئاً يسيراً، وخَتَمَه ورُفِع.

ومات المكتفي وولي المقتدر، فاستدعى الخادم، وسأله عن الطِّيب، فأخبره كما أخبر أباه وأخاه، فقال: هاتوا الحِبابَ كلَّها، فأُحضِرَت، ففرَّقها في الجَواري، ورأى ذاك ناقصاً، فسأل الخادمَ فأخبره، فأخذ يُبَخِّل الرَّجُلَين، وجعل يُفرِّقُه على الجواري، حتى بقي فيه شيءٌ يسير، وأنا أتمزَّقُ غيظاً، وأذكر كلام المعتضد، فبكيتُ وقلتُ: هذه غاليةٌ لا يوجد مثلُها، فلو فرَّقتَ من غيرها وأبقيتَها لك فاستحيى منِّي، وما مضت إلا سنينٌ من خلافته حتى فَنِيَت تلك الغَوالي، واحتاج إلى عَجْن غاليةٍ بمالٍ عظيم.

وحكى القاضي التَّنوخي: أنَّ امرأةً يقال لها: نظم كانت تَخْدُم السيدةَ أمَّ المقتدر، وكانت دايةَ أبي القاسم يوسف بن يحيى، فرفعَتْه حتى أَثْرى وصار له مالٌ عظيم، فعزم على تطهير ابنه، وعرفت السيدةُ فأرسلت إليه من الحيوانات والفواكه شيئاً عظيماً، ومن الثياب والآنية والمال شيئاً كثيراً، فقال لنظم: قد بقي يُعْوِزُنا شيءٌ واحد؛ وهو القريةُ التي للخليفة ـ وكانت له قريةٌ من فضة، فيها البيوتُ والشَّجرُ والبقر والغنم والجِمال والجَواميس والفلاحون والزرع وكل ما يكون في القرى ـ فقالت له: متى سمعتَ بخليفة يُعيرُ شيئاً؟ وهل يجوز أن يكونَ في دار الخليفة شيءٌ فيُخْرَج إلى الناس؟

(١) في تاريخ بغداد ٨/ ١٣١ : نيف وثلاثون حباً .... والمثبت موافق للمنتظم ١٣/ ٦٧ . والحب: الخابية، أو الجرَّة الكبيرة.

(٢) هما خشبتان.

ولكن أُعرِّفُ السيدة، ثم دخلَت عليها وأظهرت الانكسار، فقالت: ما لكِ؟ فقالت: عبدُكِ يوسف يريد أن يُطَهِّر غداً ابنَه، وهيَّأ أسبابَه وقال: كنتُ أحبُّ أن أتشَرَّف بما لم يحصل لغيري؛ ليُعلَمَ مكاني من الخليفة، قالت: وما هو؟ قالت: عاريةُ القرية ليتجمَّلَ بها ويَرُدَّها من الغد، فقالت: هذا شيءٌ عَملَه الخليفةُ لنفسه، كيف يَحسُنُ أن يُرى في دار غيره؟ وكيف يحسُن أن يقال: إن الخليفة استعار منه بعضُ خَدَمه شيئاً ثم استردَّه؟ هذا فضيحةٌ.

ثم قامت فدخلت عليه، فقام قائماً، وعانقها، وقبَّل رأسَها، وأجلسها معه في دَسْته ـ وهذه كانت عادتُه معها ـ وقال لها: يا ستِّي ـ وهكذا كان يُخاطبها ـ ليس هذا من أوقات تفضُّلِك وزيارتك، فحدَّثَتْه ساعةً، ثم التفتَتْ إلى نظم وقالت: متى عَزَم يوسف على تطهير ابنه؟ فقالت: غداً، فقال الخليفة: إن كان يحتاجُ إلى شيء آخر أمرتُ له به، فقالت: قد اكتفى، ولكن يسأل القرية عاريةً ليتجمَّلَ بها ثم يَردُّها. فقال: يا ستِّي هذه ظَريفة، يستعيرُ خادمٌ لنا منَّا شيئاً وتكونين أنت شفيعُه، فنُعيرُه، ثمَّ نرجع نأخذُه منه؟! هذا من عمل العوام لا الخلفاء، إذا كان محلُّه ما أوجب تَجَشُّمَك وزيارتك في غير أوقات الزِّيارة فقد وَهَبتُ له القرية.

فخرجت نظم فأخبرته فقال: أمَّا الطَّعام فعندي شيءٌ كثير[1]، وأخذ القرية، وبلغ المقتدر فقال: يُحمَل إليه قيمةُ الطعام، فكانت قيمتُه ألفاً وخمس مئة دينار، فحُمِلت إليه.

وقال الصُّولي[2]: كان المقتدرُ يُفرِّق يوم عرفة ثلاثين ألف رأسٍ من البقر، ومن الإبل عشرة آلاف، ومن الغنَم خمسين ألفاً، ويقال: إنَّه أَتْلَف من المال ثلاثين ألف ألف دينار.

---

(١) في المنتظم ١٣/ ٧٢: وهبت له القرية، فمري بحملها بجميع آلاتها إليه، وقد رأيت أن أشرفه بشيء آخر، قالت: ما هو؟ قال: يحمل إليه غداً جميع وظائفنا ولا يطبخ لنا شيء البتة، بل يوفر عليه، ويؤخذ لنا سمك طري فقط.

(٢) من قوله: وقال صافي الحرمي: مشيت يوماً ... إلى هنا ليس في (ف م١).

وكان في داره عشرةُ آلاف خادم من الصَّقالِبَة، وفي إصطَبْل الخاصة عشرةُ آلاف فرس، وخمسةُ آلاف بَغْلة، وعشرون ألف بُخْتيّ، ومن الأموال والأثاث والمتاع ما لا يُحصى، فأتلَف الجميع، وأتلَف نفسه بيده وبسوء تدبيره، [ومُعاداة مؤنس، وسماع كلام الأعداء، حتى زالت أيامُه، وجرى عليه ما جرى.

ويقال: إنَّه أتلف من المال ثمانين ألف دينار.][١]

ذكر أولاده:

محمد الراضي، وإبراهيم المتَّقي، وإسحاق والد القادر، والمُطيع، وعبد الواحد، وعباس، وهارون، وعلي، وعيسى، وإسماعيل، وموسى، وأبو العباس.

ولمَّا انهزم هارون بن غريب وابن ياقوت وابنا رائق ومُفلح إلى المدائن كان معهم عبد الواحد، ومضَوا إلى واسط، وأقاموا يَجْبُون الأموال.

ذكر حُجَّابه:

سوسن مولى المكتفي، ونَصْر وابنُه أحمد، وياقوت وابنه محمد، وإبراهيم ومحمد ابنا رائق[٢]، وطبيبه ثابت بن سِنان، وابن بُخْتَيْشوع، وقاضيه أبو عمر.

ذكر وزرائه:

كان مغرًى بتغيير الوزراء، استوزر العباس بن الحسن أربعة أشهر وأياماً وقُتل، ثم استوزر أبا الحسن علي بن محمد بن الفرات، ثم قبض عليه في المُحَرَّم، واستوزر محمد بن عبيد الله بن يحيى بن خاقان في ذي الحِجَّة، وقبض عليه في المُحرَّم سنة إحدى وثلاث مئة، ثم استوزر علي بن عيسى بن داود بن الجَرّاح، ثم قبض عليه، ثم ولاَّه النَّظَر في الدواوين والوزارة مراراً، ثم أُعيد علي بن الفرات، ثم عزله، واستوزر حامد بن العباس، ثم عزله ومات، ثم استوزر علي بن الفرات مِراراً، ثم قتله وولَدَه

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م١) وجاء بعده فيهما: انتهت سيرة المقتدر والحمد لله وحده. السنة الحادية والعشرون وثلاث مئة.

(٢) في (خ): وياقوت وابنه أبو محمد وأحمد ابنا رائق، وهو خطأ، والمثبت هو الصحيح، انظر المنتظم ١٣/ ٦٢، والعقد الفريد ٥/ ١٢٨.

المُحَسِّن، ثم استوزر عبد الله بن محمد بن عُبيد الله بن خاقان، ثم استوزر أبا العباس الخَصيبي[١]، ثم الفضل بن جعفر بن الفرات.

وقال ثابت: بلغ من تبذير المقتدر أنَّه أتلف نيِّفاً وسبعين ألف [ألف] دينار[٢]، أكثر ممَّا جمعه الرشيد، وأوقفني بعضُ كتَّاب أبي الحسن بن الفرات أنَّه كان في بيت مال الخاصَّة لمَّا ولي المقتدرُ أربعة عشر ألف [ألف] دينار، ثم ذكر ارتفاع الوزراء وما جمعه كلُّ وزير فكان مالاً عظيماً[٣].

الحسين بن صالح

أبو علي بن خَيْران، الفقيه، الشافعي[٤].

كان من أفاضل الشيوخ، وأماثل الفُقهاء، مع حُسْن المَذْهب، وقوَّة الوَرَع.

وأُريدَ على القضاء فلم يفعل، فوَكَّل علي بن عيسى الوزير ببابه وختم عليه، فبقي بِضعةَ عشر يوماً، فكُلِّم فيه فأعفاه، وقيل: بقي حتى احتاج إلى الماء، فلم يَقْدر عليه إلا من عند الجيران، وبلغ الوزيرَ فأزال التَّوكيلَ عنه، وقال في مجلسه والناسُ حضور: ما أردْنا بالشيخ أبي علي إلا خيراً، أردنا أن نُعلِمَ الناسَ أنَّ في مملكتنا رجلاً يُعرَض عليه قضاءُ القضاة شرقاً وغرباً وهو لا يقبل.

وتوفي في ذي الحجة، وكان فاضلاً وَرِعاً زاهداً عابداً.

عبد الملك بن محمد بن عَدِيّ

أبو نُعَيم، الجُرْجاني، الأَسْتَراباذيّ[٥].

---

(١) ثم أبا علي محمد بن علي بن مقلة، ثم أبا القاسم الكلواذي، ثم سليمان بن الحسن بن مخلد، ثم الحسين بن القاسم بن عبيد الله، ثم الفضل. انظر العقد الفريد ٥/ ١٢٨، المنتظم ١٣/ ٦١-٦٢.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الإسلام ٧/ ٢٢٨، والسير ١٥/ ٥٦، والكامل ٨/ ٢٤٣.

(٣) انظر المنتظم ١٣/ ٦٠.

(٤) تاريخ بغداد ٨/ ٥٩٣، والمنتظم ١٣/ ٣١٠، والسير ١٥/ ٥٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٧٨.

(٥) تاريخ جرجان ٢٧٦، تاريخ بغداد ١٢/ ١٨٢، تاريخ دمشق ٤٣/ ٢٢٦، معجم البلدان ١/ ١٧٥، المنتظم ١٣/ ٣١١، تاريخ الإسلام ٧/ ٤٧٦، السير ١٤/ ٥٤١.

أحد أئمة المسلمين، من أهل الفقه والوَرَع، والضَّبط والإتقان، سمع علي بن حَرْب وغيره، وروى عنه الدَّارقطني وغيره.

قلت: قد كرَّر المصنِّف رحمه الله ذكر عبد الملك الجُرْجاني في سنة ثلاثٍ وعشرين وثلاث مئة، وأثنى عليه بنحو مما ذكره هنا[1]، وزاد فقال: وُلد سنة اثنتين وأربعين ومئتين.

وقال الخطيب: كان أحدَ أئمة المسلمين، ومن الحُفَّاظ لشرائع الدين، مع صدقٍ ووَرَعٍ، وضَبْطٍ وإتقان، سافر الكثير، وكتب بالعراق والحجاز والشام ومصر، وقدم بغداد قديماً وحدَّث بها، وكانت وفاتُه بأستراباذ في ذي الحجة ـ يعني سنة ثلاث وعشرين ـ وهو ابنُ ثلاثٍ وثمانين سنة.

وقال الحاكم في «تاريخه»: وَرَد نَيْسابور سنة ست عشرة وثلاث مئة وهو متوجِّهٌ إلى بُخارى، ثم انصرف عن بخارى، وعاد إلى نيسابور فأقام بها حتى توفِّي.

وقال ابن عساكر: مات سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وقال الخطيب: مات في حدود العشرين وثلاث مئة.

وأجمعوا على فضله وفقهه وصِدْقه وزُهْده ووَرَعه.

عبد الوهَّاب بن عبد الرزَّاق

ابن عمر بن مسلم، أبو محمد. القرشي مولاهم.

دمشقي، وُلد ولأبيه خمسٌ وتسعون سنة، حملَته أمُّه على صَدْرها[2] وهو زَمِنٌ، فواقعها، فحملَت بعبد الوهاب، وجاوز عبد الوهاب مئةَ سنة، حدَّث عن هشام بن عمار وطبقته، وروى عنه أبو الحُسين الرَّازي، وكان ثقةً.

محمد بن إبراهيم

ابن حَفْص بن شاهين، أبو الحسن، البغدادي[3].

---

(١) هذا الكلام يصدق على مرآة الزمان الذي لم يصلنا، أما هذا المختصر فلم تكرر فيه الترجمة.

(٢) في تاريخ دمشق٤٤/ ٩٩ : حملته امرأته على صدرها.

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٣٠٤ ، والمنتظم ١٣/ ٣١٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٧٣ .

سمع الكثير، وحدَّث عن يوسف بن موسى القَطَّان وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقةً.

خرج من الحمَّام يوم الإثنين لخمسٍ خلون من رمضان وهو في عافية، فمات فجأة.

محمد بن يوسف

ابن يعقوب بن إسماعيل بن حَمَّاد بن زيد بن دِرْهم، أبو عمر، القاضي، الأَزْدي، مولى [آل] جرير بن حازم(١).

ولد بالبصرة لتسعٍ خلون من رجب سنة ثلاثٍ وأربعين ومئتين، وسمع الشيوخ، ولقي العلماء، وولي قضاءَ مدينة المنصور سنة أربعٍ وثمانين ومئتين، ولم يكن له نَظيرٌ في الحُكَّام عقلاً، وحِلماً، وذكاءً، وتمكُّناً، واستيفاءً للمعاني الكثيرة بالألفاظ اليَسيرة، مع المعرفة بأقدار الناس، والتأنِّي في الأحكام، وكان يُضرَب المَثَلُ بعقله وسَداده وحِلْمه.

ووصفه الخطيب بأوصافٍ جَليلة من الجود، والفَضْل، والحياء، والكَرَم، والإحسان إلى القاصي والدَّاني، قال: ثمَّ استُخْلف لأبيه يوسف على القضاء بالجانب الشَّرْقي من بغداد، فكان يَحكُم بين أهل مدينة المنصور رياسةً، وبين أهل الجانب الشرقي من بغداد نيابةً إلى سنة اثنتين وتسعين.

ولمَّا توفي أبو حازم القاضي عن الشَّرْقية نُقِلَ أبو عمر إليها، فكان على ذلك إلى سنة ستٍّ وتسعين، فصُرف هو ووالده عن جميع ما كان إليهما، وتوفي والدُه سنة سبع وتسعين.

وما زال أبو عمر مُلازماً لمنزله إلى سنة إحدى وثلاث مئة، فأشار علي بن عيسى الوزير على المقتدر به، فقلَّده الجانبَ الشَّرقي من بغداد، وعِدَّة نَواحٍ من السَّواد، والشام، والحَرَمَين، واليمن وغير ذلك، ثم قلَّده قضاءَ القُضاة سنة سبعٍ عشرة وثلاث مئة.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٦٣٥، والمنتظم ١٣/ ٣١٣، وما بين معكوفين منهما، والسير ١٤/ ٥٥٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٣٧٦.

وحمل عنه الناس علماً كثيراً من الحديث والفقه، وصنَّف مُسنداً كبيراً، ولم ير الناسُ ببغداد أحسنَ من مَجلسه؛ كان يجلس للحديث وعن يمينه أبو القاسم بن مَنيع، وهو قريبٌ من أبيه في السنِّ والسَّنَد، وعن يساره ابنُ صاعد، وأبو بكر النَّيْسابوري بين يديه، وسائر الحُفَّاظ حول سريره، وما عَثَروا عليه بخطأ قطُّ، لا في روايته للحديث، ولا في أحكامه.

وتقدَّم إليه ابنُ النَّديم وابنُ المُنَجِّم في شيءٍ كان بينهما، فقال ابن المنجم: إنَّ هذا يَدِلُّ بخاصَّةٍ له عند القاضي، فقال: ما أُنكِرُها، وإنَّها لنافِعَةٌ له عندي، غير ضارَّةٍ لك، إن كان الحقُّ له كفيناه مؤونة اجتدائه[1]، وإن كان لك سلَّمناه إليك من غير استذلال له.

وحضر عنده يوماً ثوبٌ يَمانيّ قيمتُه خمسون ديناراً، وعنده جماعةٌ من أصحابه وشهودِه الذين يأنَسُ بهم، فاستحسنوه، فقال: عليَّ بالقَلانِسيّ، ففَصَّله قَلانِس على عددهم وقال: لو استَحْسَنَه واحدٌ منكم لوَهَبْتُه له، فلمَّا اشتركتم في استحسانه وَجَب قِسمتُه بينكم، وهو لا يقوم بمَلابسكم، فجعلتُه قَلانِس لكم.

قال الخطيب: توفي ببغداد في رمضان، ودُفن بداره وهو ابن ثمانٍ وسبعين سنةً.

ورؤي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: أدركَتْني دعوةُ العبد الصالح إبراهيم الحَرْبي، وكانا قد اجتمعا في مكان، فقال القاضي لغلامه: ارفع نَعْلَي إبراهيم في مِنديلك، ففعل، فلمَّا قام الحَرْبي قال القاضي لغلامه: قَدِّم نَعْلَيه، فأخرجهما من المِنديل، فقال إبراهيم للقاضي: رفع الله قَدْرَك في الدنيا والآخرة.

أسند عن محمد بن الوليد، ومحمد بن إسحاق الصَّاغاني، وعثمان بن هشام بن دَلْهم وغيرهم، وروى عنه الدارقطني، ويوسف بن عُمر، وأبو القاسم بن حَبابَة وآخرون.

أبو عَمرو الدِّمشقيّ

أحدُ مشايخ الصُّوفية[2].

---

(١) في تاريخ بغداد ٤/ ٦٣٨: مؤنة اجتذابه.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٦، طبقات الصوفية ٢٧٧، مناقب الأبرار ١/ ٥٠٦، تاريخ الإسلام ٧/ ٣٧٩.

صحب ابن الجَلاَّء، وأصحابَ ذي النُّون، وكان من كبار مشايخ القوم وعلمائهم، وله المَقامات المشهورة.

سئل: أيُّ الخلقِ أعْجَزُ؟ فقال: مَن عَجَز عن سياسة نفسه، قيل: فأيُّهم أقوى؟ قال: مَن قَوِي على مُخالفة هواه، قيل: فأيُّ الناس أعقل؟ قال: مَن ترك المُكوَّنات وأقبل على مُكوِّنها.

وقال له رجل: إنِّي أُريدُ السَّفَر؟ فقال: لا تَصْحَب سوى الله تعالى؛ فإنَّه يَكفيك المُهِمَّات، ويَشكُرُك على الحَسَنات، ويَستُر عليك السَّيئات، ولا يُفارِقُكَ خُطْوةً من الخُطُوات.

وقال: كما افترض الله تعالى على [الأنبياء إظهارَ المعجزات ليؤمنوا بها، كذلك فرض على] الأولياء إخفاءَ الكرامات لئلَّا يَفتَتِنُوا بها.

وقيل: إنَّه توفي في سنة أربعٍ وعشرين وثلاث مئة[١].

(١) ذكر ذلك ابن زبر في تاريخ مولد العلماء ٢٧٢ .

السنة الحادية والعشرون وثلاث مئة

فيها شَغَب الجُند على القاهر، وهَجَموا عليه دارَ الخلافة، فنزل في طَيَّارٍ إلى دار مؤنس، وشكا إليه، فأرسل إليهم وقال: اصبروا عشرة أيام، فصبروا.

وفيها استوحش مؤنس المُظَفَّر، وبليق، وعلي ابنُه، وابن مُقْلَة من القاهر، وسببه: أنَّ ابن مُقْلَة كان مُنحَرفاً عن محمد بن ياقوت، فنقل إلى مؤنس أنَّ ابنَ ياقوت يُدبِّر عليهم، وعيسى المُتَطَبِّب يمشي بينه وبين القاهر، فبعث مؤنس غِلمانَ بليق إلى دار الخليفة يطلبون عيسى، فقيل: هو عند القاهر، فهجموا عليه وأخذوه من حَضْرة القاهر، فنفاه مؤنس في الحال إلى الموصل، وذلك في ربيع الآخر.

واتَّفق ابنُ مُقْلَة ومؤنس وبليق وابنُه على الإيقاع بمحمد بن ياقوت، وعلم بها أحمد ابن زيرك[1]، وأمره بالتَّضييق على القاهر، وتفتيش مَن يدخل ويخرج من الرجال والنساء والخدم، فبلغ من الحال أنَّه فَتَّش لَبناً اشتُري للقاهر لئلاَّ يكون فيه رُقعةٌ، وطالب ابنُ بليق القاهرَ بما كان عنده من أثاث أمِّ المقتدر، فأعطاه إياه، فبيع وجُعِل ثمنُه في بيت المال، وأُطلق [إلى] الجُند من مال البيعة[2].

ونقل علي بن بليق والدةَ المقتدر إلى عند والدته، فأقامت مُكَرَّمةً عشرة أيام، وماتت يوم الإثنين لستٍّ خلَوْن من جُمادى الآخرة لزيادة العِلَّة عليها، ولما جرى من القاهر في حقِّها من المَكاره.

وفيها وقع الإرْجافُ بأنَّ علي بن بليق والحسنَ بن هارون كاتبَه عَزَما على سبِّ معاوية بن أبي سفيان على المنابر، فاضطرَبَت العامَّة من ذلك، وتقدَّم علي بن بليق بالقَبْض على أبي محمد البَرْبَهاري رئيس الحنابلة فاستَتَر، فقبض على جماعةٍ من أصحابه، ونُفوا إلى البصرة.

---

(١) في الكامل ٨/ ٢٥١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٠٣: ووكل علي بن بليق على دار الخلافة أحمد بن زيرك.

(٢) في تاريخ الإسلام ٧/ ٤٠٣ وما بين معكوفين منه: فبيع وجعل في بيت المال وصرف إلى الجند.

وقال ثابت: لمَّا ضَيَّق علي بن بليق على القاهر اشتدَّ القاهرُ في الحيلة على مؤنس وأسبابه، وبلغَه فسادُ [نِيَّة طَريف السبكري وبشرى] لبليق وابنه[١]، ومنافستهما لهما على المراتب التي بلغاها، فكاتَبهما في ذلك، وبعث إليهما بخاتمه على يد بعض ثقاته.

وعلم القاهر أنَّ أكثر اعتماد مؤنس وبليق على السَّاجِيَّة، وكان قد وَعدهم مؤنس إذا دخل بغداد أن يَجعلَهم برسْم الحُجَرية، ولم يَفِ لهم لئلاً يصيروا غلماناً للقاهر، فراسل القاهر السَّاجِيَّة ورَغَّبهم، [وحَرَّضَهم] على مؤنس وبليق وابنه، وضَمِن لهم أن ينقلَهم إلى رَسْم الحجرية.

وكان بين اختيار القَهْرَمانة وبين أبي جعفر محمد بن القاسم بن عبيد الله معرفةٌ قديمة، فأشارت على القاهر بمكاتَبته، وأن يَعِدَه بوزارته ليُعاونَه على التَّدبير على مؤنس، فكانت اختيار تخرج في الليل وتجتمع بأبي جعفر، فتؤدِّي إليه الرسائلَ عن القاهر.

وبلغ ابنَ مُقْلَة أنَّ القاهر يُدبِّر عليه وعلى مؤنس وبليق وابنه، فحذَّرهم منه، واتَّفق معهم على خَلْعه وتقليد أبي أحمد بن المُكْتَفي الخلافةَ، فتحالفوا على ذلك، وقال مؤنس: قد أوحشتُم القاهرَ وأهنتُموه، فلا تَعْجَلوا عليه حتى تؤنسوه، ثم بعد ذلك تقبضون عليه.

فدبَّر ابن مُقْلَة تدبيراً انعكس عليه، وأشاع بأنَّ القِرمطيَّ قد غَلب على الكوفة، وكتب إلى القاهر يُخبره ويقول: المَصلحةُ خروجُ علي بن بليق إلى قتاله، وأمر ابن بليق بإخراج مَضاربه إلى باب الكوفة، فأُخرِجت، ثم أرسل إلى القاهرِ يقول: ما بقي إلا أن يدخل علي بن بليق يقبِّل يد مولانا ويُودِّعه ويتوجَّه ـ وإذا دخل ابنُ بليق على القاهر قبَضَه ـ ففهم القاهر المقصود فسكت، فأردف ابنُ مقلة الورقة بأخرى، فاستراب القاهر، فراسل الحُجَرية وفرَّقهم في الدَّهاليز[٢].

وراح ابن بليق بعد العصر إلى دار القاهر في عدد يسيرٍ، فقام إليه السَّاجِيَّة وشَتموه، وعملوا على القبض عليه، فهرب إلى طَيَّاره، ثم عَبر إلى الجانب الغربي، واستتر من ليلته هو وكاتبُه الحسن بن هارون وأبو بكر [بن] قَرابة[٣].

(١) ما بين معكوفين من المنتظم ١٣/ ٣١٧، والكامل ٨/ ٢٥١.
(٢) انظر تفصيل الخبر في تكملة الطبري ٢٨٠، والكامل ٨/ ٢٥٢-٢٥٣.
(٣) ما بين معكوفين من تكملة الطبري.

واضطرب البلد وأصبح الناس يوم الأحد مُسْتَهل شعبان في اضطراب، فبعضهم صار إلى دار الخليفة، وبعضهم إلى دار مؤنس، فجاء بليق إلى دار الخليفة ومعه القُوَّاد ليعتذر عن ابنه، فقبض عليه وعلى أحمد بن زيرك ويُمن الأعور صاحب الشرطة، وحُبِسوا، وصار الجيش كلُّه في دار الخليفة، فحينئذٍ راسل القاهر مؤنساً وقال: قد تمَّت هذه الحادثة، وأنت عندي مثل الوالد، وما أحبُّ أن أعملَ شيئاً إلا بمَشُورتك، وأحبُّ أن تأتيني، فاعتذر لثقل الحركة، فقال له طريف السبكري: ما هو مَصلحة تتأخَّر، فانحدر، ولمَّا صار في دار الخليفة قُبض عليه.

واستتر ابن مُقْلَة، فكانت مُدَّة وزارته للقاهر تسعةَ أشهرٍ وثلاثةَ أيام.

واستوزر القاهر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عُبيد الله يوم الأحد مُسْتَهل شعبان، وخلع عليه، واستقدم القاهر عيسى المُتَطبِّب من المَوصل[(١)].

وطُرِحَت النار في دار ابن مُقْلَة فاحترقت، وهذه المرة الثانية من حريقها، ويقال: إنَّ الشِّعر الذي ذكرناه[(٢)] في حريقها إنَّما قيل في هذه المرَّة، وموضعها يقال له: [باب] البستان.

وهرب محمد بن ياقوت إلى أبيه بفارس، فكتب إليه القاهر يؤنسه ويقول: ما أردتُ بك إلا الخير، وقلَّده أصبهان.

وقلَّد القاهر حجابته بعد علي بن بليق سَلامةَ الطُّولوني، وطلب أبا أحمد بن المُكتفي، فوجدَه مستتراً في دار عبد الله بن الفتح، فقبض عليه، وحُمل إلى دار السلطان، وأقيم المكتفي في باب وسُدَّ عليه بالآجُرّ والجصّ وهو حيٌّ.

ونهب القاهر[(٣)] دور المُخالفين، فظفر بعلي بن بليق لعشرٍ خلون من شعبان، جاء بعضُ الفرسان إلى القاهر ودلَّه على موضعه، فبعث الرَّجَّالة في طلبه إلى الدار التي كان فيها، فكُبِسَت، وفتَّشوا عليه فلم يجدوه، واختبأ في تَنُّور فاستخرجوه، وجيء به على

(١) من قوله: وفيها استوحش مؤنس ... إلى هنا ليس في (ف م١).

(٢) في (ف م١): الذي ذكر.

(٣) في (خ) وأقيم فتح في باب .... ونهب المقتدر، وهو خطأ، وليس في (ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً. وانظر تكملة الطبري ٢٨١، والمنتظم ١٣/ ٣١٧، والكامل ٨/ ٢٦٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٠٤.

بَغْل بإكافٍ[١]، فحُبِس في دار الخليفة وضُرِب ضَرْباً مُبَرِّحاً، فأقرَّ بعشرة آلاف دينار، وكان الحسين بن القاسم أخو محمد الوزير مُستتراً، فانحدر، فاحتال أخوه الوزيرُ وكتب له أماناً وحلَف له، فلمَّا ظهر نفاه إلى الرَّقة.

ذكر مقتل مؤنس وأصحابه:

ولمَّا حُبس مؤنس اضطرب رجالُه وشَغبوا، وشَغَب معهم سائر الجيش الذي بالحَضْرة، وقصد دارَ الوزير محمد بن القاسم، وأحرقوا رَوْشَنَه[٢]، ونادَوا باسم مؤنس، وذلك في يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان، فدخل القاهر إلى المَوضع الذي فيه مؤنس وبليق وابنه مُعْتَقَلين، فذُبح علي بن بليق وأبوه والقاهر قائم، ورُمي برأسهما إلى مؤنس، فلعن قاتلَهما، فأمر به القاهر فجُرَّ برجله إلى البالوعة وذُبح كما تُذبح الشاة والقاهر يراه، ثم أُخرجَت الرؤوس إلى الناس، وطِيفَ بها في جانبَي بغداد، ورُدَّت إلى خزانة الرؤوس، ولمَّا أُخرج رأس مؤنس قُوِّر وفُرِّغ منه دِماغُه، فكان فيه ستة أرطالٍ.

وقتل القاهر يُمناً الأعور في ذلك اليوم، ورمى أحمد بن زيرك إلى بِرْكة السِّباع، فلمَّا أكلت بعض لحمه أمر أن يُخرَج منها وهو حيّ، وقُطعت يداه ورجلاه، ثم ذُبح.

وأطلق للجند أرزاقَهم فسكتوا، واستقامت الأمور للقاهر، وعظُمَت هيبتُه، وتَلَقَّب بالقاهر المنتقم من أعداء دين الله، وضرب ذلك على الدَّراهم والدنانير وآلات الحرب، وأمر ألا يركبَ أحدٌ في طَيَّار سوى الوزير، والحاجب، والقاضي، وعيسى المُتطبِّب.

قال الصُّولي: حدثني الرَّاضي بالله وهو خليفة قال: كنتُ مُعْتَقَلاً عند المَقهور - يعني القاهر - فبعث إليَّ برأس مؤنس وبليق وابنه علي كالمُتَهدِّد لي، وكان قد أخذ أبا أحمد بن المُكتفي، فأقامه في باب وسدَّ عليه، وأراد أن يُعلمني أنِّي عنده مثلُهم، فقلتُ

---

(١) الإكاف: البَرْذَعة، وهي للحمير والبغال كالسرج للفرس.

(٢) الروشن: الشرفة.

ليس إلا مُغالَطتُه، فدعوتُ له وقلتُ: أنا المَسعود بمقتل مؤنس؛ لأنَّه قتل أبي، وقطع عني كلَّ سَبب كان بيني وبينه، فسكت عني، وما كنتُ أنام الليل خوفاً منه لا يَسُدُّ عليَّ كما سَدَّ على ابن المكتفي، فرأيتُ في المنام قائلاً يقول: ستنجو، فطاب قلبي.

وفيها خلع القاهر على أحمد بن كَيْغَلَغ وقلَّده أعمال مصر.

وفيها استحضر القاهرُ إلى داره أعيانَ أهل بغداد على يد سَلامة الحاجب والوزير أبي جعفر، مثل: سليمان بن الحسن، والفضل بن جعفر، وأبي القاسم الكَلْوَذاني، وأبي العباس الخَصيبي، وأبي يوسف عبد الرحمن بن محمد، والقاضي أبي الحسين عمر بن محمد، والحسن بن عبد الله بن أبي الشَّوارب القاضي، وأبي طالب بن البهلول القاضي، والعدول من الجانبين، فاستُحلِفوا بالأيمان المُغَلَّظة على أنَّه ليس عند واحدٍ منهم محمد بن علي بن مُقْلَة، ولا أحدٌ من أسبابه وكُتَّابه وإخوته وأولاده، ولا الحسن بن هارون، ولا أحمد بن قرابة[1]، ولا مال عندهم ولا وديعة، ومتى ظهر عند أحدهم شيءٌ من ذلك فقد حلَّ لأمير المؤمنين مالُه ودمُه، واستحقَّ من العقوبات أغلظَها، وكتب القاضي أبو الحسين عمر بن محمد النسخةَ وأخذ خطوطَهم فيها، ثم حلفوا وأطلقوا، واستحلفهم ثانياً وأكَّد الأيمان.

وفيها أمر القاهر بتحريم القِيان والخمر وسائر الأنبِذة، وقبض على المغنِّين، ونفى المَخانيث، وكسر آلات اللَّهو، وقبض على جماعةٍ من الجَواري المملوكات المغنِّيات، وتقدَّم ببيعهن على أنهن سَواذِج[2]، ومنع أصحابَ قُدور النَّاطِف[3] أن يُعيروا قدورَهم لمَن يَطبخ فيها التمرَ والزَّبيب للأنبذة، وكان مع ذلك يشرب المَطبوخ والسُّلاف، ولا يكاد يَصحو من السُّكر، ويختار من الجواري القِيان المُغَنِّيات ما يريد، ويَسمع غناءهنَّ.

---

(١) كذا سماه الصولي ١٣٢ (مالم ينشر من الأوراق)، والقرطبي في صلة الطبري ٩٩، وسماه ابن الأثير في الكامل ٨/ ٤٩١: محمد بن أحمد بن قرابة.

(٢) في الكامل ٨/ ٢٧٣: على أنهن سواذج لا يعرفن الغناء، ثم وضع من يشتري له كل حاذقة في صنعة الغناء، فاشترى منهن ما أراد بأرخص الأثمان.

(٣) نوع من الحلوى يصنع من اللوز والجوز والفستق.

وفيها حبس القاهر أبا عبد الله محمد بن عَبْدوس الجَهْشَياري صاحب كتاب «الوزراء»، اتَّهمه بابن مُقْلَة، ثم أطلقه.

وفيها عزل القاهر أبا جعفر بن القاسم من الوزارة، واستوزر أبا العباس الخَصيبي، وسببه أنَّ عيسى المُتَطبِّب كان مُنحرفاً عن أبي جعفر لأنَّه كان غائباً بالموصل لمَّا وَلي، فلم يكن له مَدخلٌ في وزارته، فطعن على هذا الرأي، وقَلَّت النَّفقات والغَلَّة، فأشار عيسى على القاهر بتقليد الخصيبي، وأنَّه يستخرج الأموال من اليَزيديِّين ومن القاسم، فاستوزره، فكانت مدة وزارة محمد بن القاسم للقاهر ثلاثة أشهر واثني عشر يوماً(١).

وحجَّ بالناس مؤنس الوَرْقاني، ولم يتعرَّض لهم القِرمطي، وقيل: لم يحجَّ أحدٌ خوفاً منه.

[فصل:] وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن سَلامة(٢) بن عبد الملك، أبو جعفر، الطَّحاوي، الأزْدي [المصري.

وقد ذكره جدي في «المنتظم» فقال:] ولد سنة تسعٍ وثلاثين ومئتين، وكان ثبتاً فَهْماً فقيهاً عاقلاً من طَحا]، وطحا مدينة من ديار مصر](٣).

انتهت إليه رئاسةُ أصحاب أبي حنيفة بمصر، وكان يتفقَّه على مذهب الشافعي، فقرأ على إبراهيم المُزَني يوماً، فقال له المُزَني: والله لا جاء منك شيء، فغضب الطَّحاوي وانتقل إلى حلقة ابن أبي عِمران، وقرأ عليه، وصنَّف «مختصره» على ترتيب كتاب المزني، فمات المزني قبل أن يتم الكتاب، فلمَّا تمَّ قال الطحاوي: يرحمُ الله أبا إبراهيم، لو كان حيًّا لكفَّر عن يمينه.

(١) من قوله: وهرب محمد بن ياقوت إلى ابنه بفارس ... ليس في (ف م١).

(٢) في (ف م١): وفيها توفي أبو جعفر الطحاوي واسمه أحمد بن محمد بن سلامة. وانظر ترجمته في تاريخ دمشق ٢/ ١٧٦ (مخطوط)، والسير ١٥/ ٢٧ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٩ .

(٣) ما بين معكوفين من (ف م١)، وانظر المنتظم ١٣/ ٣١٨ .

وقال الطَّحاوي: أولُ مَن كتبتُ عنه الحديث المزني، وأخذتُ بقول الشافعي، فقدم علينا مصر أحمدُ بن أبي عمران قاضياً عليها، فصحبتُه، وكان يَتَفقَّه على مذهب الكوفيين، فأخذتُ بقوله وتركتُ قولَ الأول، فرأيتُ المزني في المنام، فقال لي: يا أبا جعفر، عَصَيتَ عصيت، ويكرِّرُها.

وقال أبو سليمان بن زَبْر[١]: كان الطحاوي إماماً عالماً فاضلاً، وخصوصاً في علم الحديث، والأحكام بالقرآن، والشُّروط، والعقيدة وغيرها، وكل كتاب فريدٍ في فنِّه[٢].

[قال أبو سعيد بن يونس:] توفي أبو جعفر ليلة الخميس مُستهل ذي القعدة، ولم يُخَلِّف مثلَه[٣].

سمع هارون بن سعيد الأَيْلي، والربيع بن سليمان، ويونس بن عبد الأعلى وغيرهم.

وروى عنه أبو بكر بن المقرئ، وأبو الحسن الإخْمِيميّ، وأحمد بن القاسم الخَشَّاب وآخرون.

واتَّفقوا على فضله، وصدقه، وزهده، وورعه.

أحمد بن محمد

ابن موسى بن النَّضْر بن حَكيم، أبو بكر، البَغداديّ، ويُعرف بابن أبي حامد صاحب بيت المال[٤].

كان جَواداً، عَزيز المروءة.

قال الدارقطني: كان بعض المُتفقِّهة يتردَّد إلى مجلس أبي حامد المرْوَرُّوذي ثم انقطع، فسأل عنه، فلمَّا حضر قال: ما سببُ انقطاعِكَ؟ قال: اشتريتُ جاريةً،

---

(١) في (خ): سليمان بن زين، وهو خطأ، وليس في (ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ١٧٧، والسير ١٥/ ٢٩.

(٢) من قوله: انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة ... إلى هنا ليس في (ف م١).

(٣) في (ف م١): مستهل ذي القعدة من هذه السنة وكان قد سافر من مصر إلى الشام سنة ثمان وستين ومئتين ولم يخلف مثله.

(٤) تاريخ بغداد ٦/ ٢٦٦، والمنتظم ١٣/ ٣١٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٤١. وهذه الترجمة ليست في (ف م١).

وانقطعت عنِّي النَّفقةُ من بلدي، وركبني دينٌ، فاحتجتُ إلى بَيْعها فبعتُها، وقد ندمتُ، وشَغلَتْ خاطري، قال: ومَن اشتراها؟ قال: ابن أبي حامد صاحب بيت المال.

فقام المَرْوَرُّوذي، فدخل عليه، فأعظم ذلك وأكرمه وقال: ما الذي عنَّاك؟ فقصَّ عليه القصَّةَ، فقال: ما علمتُ بشيءٍ.

ثُمَّ قام فدخل على امرأته، فسألها عن الجارية، فأخرجتها وقد ألبسَتْها الثيابَ الفاخرةَ والحُلي وقالت: اشتريتُها لك، فسُرَّ حيث كانت الجارية في داره لأجل قضاء حاجة أبي حامد.

ثم أخرج الجارية وقال للشاب: أهي هذه؟ قال: نعم، قال: خذ جاريتَك ـ وكان قد باعها بثلاثة آلاف درهم ـ فقال له أبو حامد: لا بُدَّ من قَبْض المال، وإنَّما جئتُ شافعاً في ردِّها لا غير، فقال: هذا رجلٌ غريبٌ وفقيهٌ، وما باعها إلا من حاجةٍ، ومتى أُخِذ هذا المالُ منه خِيف أن يبيعَها ثانياً ممَّن لا يردُّها عليه، والثمنُ يكون في ذمَّته، فإذا جاءه من بلده نفقةٌ جاز أن يرُدَّ ذلك، وقد وهبتُ له المال.

فقال أبو حامد: فإن رأيتَ أن تَبعثَ مَن يأخذ هذه الثيابَ والحُلي، فقال: سبحان الله، ما أسعفْنا به هذه الجاريةَ ووهبناهُ لها كيف نأخذُه منها؟ فلمَّا أرادوا الخروج قال لها ابن أبي حامد: يا جارية، أيُّما أحبُّ إليك نحن أو مولاك؟ فقالت: أمَّا أنتم فأحسن الله عونكم، فقد أحسنتم إليَّ وأغنيتموني، وأمَّا مولاي هذا، فلو مَلكتُ منه ما ملك منِّي ما بعتُه بالدنيا وما فيها، فاستحسن الحاضرون منها ذلك العقل مع ما هي عليه من الصِّبا.

سمع خلقاً كثيراً منهم: عباس الدُّوري وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان صدوقاً ثِقةً ثَبْتاً، توفي في رمضان.

[وفيها توفي]

تِكِين الخاصَّة

أبو منصور، الخَزَري(١)، مولى المُعْتَضِد.

(١) في (ف م١): الجزيري، وهو خطأ، والمثبت من (خ)، وانظر ترجمته في: ولاة مصر للكندي ٢٨٦ ، ٢٩٣ ، ٢٩٨ ، وتاريخ دمشق ٣/ ٥١٨ (مخطوط)، والإكمال لابن ماكولا ١/ ٥١١ ، والسير ١٤/ ٢٢٣ و١٥/ ٩٥ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٤٢ ، والمقفى للمقريزي ٢/ ٦٠١ .

[قال الحافظ ابن عساكر:] ولاه المقتدر دمشقَ ومصرَ، وأقرَّه القاهر عليهما.

وكان جبَّاراً، وهو الذي أخرج[1] أبا الحسن الدِّينَوَري من مصر إلى القُدس.

ومات تكين [في هذه السنة] بمصر، فحُمل في تابوت إلى القدس على بغلٍ، فعاد الدِّينوري على ذلك البغل إلى مصر، وسنذكر القصة في سنة ثلاثين وثلاث مئة إن شاء الله تعالى.

حدَّث تكين عن القاضي يوسف بن يعقوب وغيره[2].

[فصل: وفيها توفيت]

شَغَب أمُّ المقتدر[3]

كانت دَيِّنةً صالحةً متصدِّقةً، يرتفع لها في كلِّ عام من مَغَلِّها ألف ألف دينار فتتصدق بها، وتُخرج من عندها مثلَها.

وكانت تُعين الحاجَّ، وتبعثُ معهم بالأشربة والأطباء[4]، ومَن يُصلح الحياضَ والبِرَك.

مرضت قبل أن يُقتل المقتدرُ، وأُخبِرت[5] بأنَّه قُتل ولم يُدفَن، فجزعَت جزعاً شديداً، وامتنعت من الأكل والشرب حتى كادت تَتْلَف، ثم ما زالوا بها حتى أكلت كِسْرةً بملح.

ثم دعاها القاهر فقرَّرها باللُّطف والتَّهديد، فحلفت أنَّه لا مال عندها، ولو كان عندها مالٌ لما أسلمت ولدها إلى القتل، فضربها بيده، وعلَّقها برِجلٍ واحدةٍ في حبل البرَّادة وهي تقول له: اتَّق الله، أنا أمُّك في كتاب الله تعالى، وأنا خَلَّصْتُكَ من القتل وأحسنتُ إليك، وهو لا يَلتفتُ.

(١) في (ف م١): أخذ.

(٢) بعدها في (ف م١): رجعنا إلى الحديث في ذكر ابن مقلة لما أن احترقت داره ولمن يكتب بعث شعراً العراق (كذا؟)، فكتب على حائطها أبيات: قل لابن مقلة... وقد سلف هذا كله في حوادث سنة (٣١٨هـ).

(٣) صلة الطبري ١٥٥، وتكملته ٢٧٤، والمنتظم ١٣/ ٣٢١، والكامل ٨/ ٢٤٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٠٥.

(٤) في (خ): وتبعث معهم مالاً والأطباء، والمثبت من (ف م١).

(٥) في (ف م١): يقتل ابنها ثم أخبرت.

ثم أُخرجَت إلى دار ابن ياقوت، فأقامت بعد ابنها سبعة أشهر وثمانية أيامٍ، ثم ماتت في جُمادى الأولى، وقيل: إنها ماتت في العذاب مُعلَّقةً برجلها [، والأول أصح، ذكره ثابت بن سنان، وقد ذكرناه]، ودُفنت في تربتها بالرُّصافة، ولم يظهر لها غير ما أقرَّت به، وهو مئةٌ وثلاثون ألف دينار.

وذكرها القاضي علي بن المحسِّن التنوخي، فحكى عن أبيه قال: عذَّبها(١) القاهر بصنوف العذاب، حتى قيل: إنَّه عَلَّقها مُنَكَّسةً، فكان يجري بولُها على [وجهها]، فقالت: لو كان معنا مالٌ ما جَرى في أمرنا من الخَلَل ما آل إلى جلوسك، حتى تُعاقبني هذه العقوبة، وأنا أمُّك، وخَلَّصْتُك من ابني من القتل في الدَّفْعَة الأولى.

ثم أحضر القضاة والشهود ليشهدوا عليها في بيع أملاكها، فتوقَّفوا، فقال: ما لكم؟ قالوا: نريد أن نُشاهدَها ونَسمع كلامها، فقال: دونكم، قالوا: سمعْنا من وراء السِّتارة بكاءً [شديداً] ونَحيباً، ثم رُفعَت الستارة فقلنا هي هذه؟ فقال القاهر: نعم، هذه شغب مولاةُ أبي وأمُّ أخي.

وإذا هي عَجوزٌ دَقيقةٌ سَمراءُ، عليها أثر الضُّرِّ والبَلاء، فما انتفعوا بعَيشهم في ذلك اليوم.

وقد ذكرنا [فيما تقدَّم] أنَّها امتنعت من الإشهاد وقالت: هذه أوقفتُها لله تعالى فلا أرجع فيها، وأن القاهر باع ضياعها مُكْرَهةً(٢).

عبد السَّلام بن محمد

ابن عبد الوهاب بن سَلَام بن خالد بن حُمْران بن أبان، مولى عثمان ﷺ، أبو هاشم بن أبي علي رئيس المُعتزلة(٣).

---

(١) في (خ): وقال المحسن التنوخي: عذبها، والمثبت من (ف م١)، والخبر في نشوار المحاضرة ٢/ ٧٦، وعنه المنتظم ١٣/ ٣٢١.

(٢) في سنة (٣٢٠هـ). وجاء عقب هذا في (ف م١): وشغب أم المقتدر ماتت في هذه السنة والله أعلم. السنة الثانية والعشرون وثلاث مئة.

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٧، والمنتظم ١٣/ ٣٢٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٤٤، والسير ١٣/ ٦٣.

ولد سنة تسعٍ وأربعين ومئتين، وصنَّف المقالات على مذهب المعتزلة، وتوفي في شعبان وله اثنان وسبعون سنة وثمانية أشهرٍ وأيام(١).

محمد بن الحسن

ابن دُرَيد بن عَتاهيه، أبو بكر، الأزديّ، النَّحْوي، اللُّغوي، البَصري، ونسبه الخطيب إلى قَحْطان(٢).

ولد بالبصرة في سِكَّة صالح سنة ثلاث وعشرين ومئتين، وكان يقول: جدِّي حَمامي(٣) أولُ مَن أسلم من أجدادي، وهو من السَّبعين راكباً الذين خرجوا من اليمن(٤) مع عمرو بن العاص لمَّا بلغه وفاة رسول الله ﷺ حتى أوصلوه إلى المدينة، وفي ذلك يقول [قائلهم]: [من الطويل]

وَفَيْنا لعمرٍو يومَ عمرو كأنَّه ... طَريدٌ نَفَتْهُ مَذْحِجٌ والسَّكاسِكُ(٥)

ونشأ ابن دُريد بعُمان، وتنقَّل في جزائر البحر، والبصرة، وفارس، وطلب الأدب، وتعلَّم النحو والعربية وبرع فيهما.

وكان أبوه من الرؤساء ذوي اليسار، وقدم بغداد بعد ما أسنَّ فأقام بها باقي عمره.

وصَنَّف الكتُب الحِسان: «الجمهرة» و«المقصورة» و«المجتبى» و«الممدود والمقصور» وغير ذلك، وقال الشِّعرَ، وصنَّف في الأنساب وأيام الناس.

وكان يقال: ابن دريد أعلمُ الناس والشعراء العلماء(٦).

---

(١) في تاريخ بغداد والمنتظم: أنه توفي وكان عمره ستاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وأياماً.

(٢) في تاريخه ٢/ ٥٩٤، وانظر ترجمته في مروج الذهب ٨/ ٣٠٤، وتكملة الطبري ٢٧٨، والمنتظم ١٣/ ٣٢٩، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٢٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٤٦، والسير ١٥/ ٩٦ وفي حواشيه مصادر أخرى.

(٣) هو جده الخامس، فهو محمد بن دريد بن عتاهية بن حنتم بن الحسن بن حمامي.

(٤) كذا في (خ) وهو خطأ، وفي تاريخ بغداد ٢/ ٥٩٥، ومعجم الأدباء ١٨/ ١٢٩، وإنباه الرواة ٣/ ٩٣، والإصابة (حمامي)، وتوضيح المشتبه ٣/ ٣٠٢: عُمان.

(٥) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد، ومعجم الأدباء.

(٦) في تاريخ بغداد ٢/ ٥٩٥ وعنه سائر المصادر: أعلم الشعراء وأشعر العلماء.

وحكى السِّيرافي عنه أنَّه قال: نزلتُ سيراف، فوجدتُ الجهلَ غالباً عليهم، فكنتُ أجلس في الجامع ساكتاً لا يُكلِّمني أحدٌ ولا أُكلِّمه، فعملتُ هذه الأبيات، وكتبتُها في رُقعة، وألصقتُها بالأسطوانة التي كنت أقعُد عندها وهي هذه: [من البسيط]

قالوا نَراك تُطيلُ الصَّمْتَ قلت لهم ... ما طولُ صَمْتيَ من عِيٍّ ولا خَرَسِ
لكنه أجْمَلُ الأمرَين منزلةً ... عندي وأحسنُ لي من مَنْطِقٍ شَكِسِ
قالوا نَراك أديباً لستَ ذا خَطَلٍ ... فقلت هاتوا أروني وجْهَ مُقْتَبِسِ
لو شئتُ قلتُ ولكن لا أرى أحداً ... يَروي الكلامَ فأُعطيه مَدى النَّفَسِ
أأَنْثُرُ الدُّرَّ فيمن ليس يَعرفه ... وأَنْشُرُ البَزَّ بين العُمْيِ في الغَلَسِ[1]

ذكر وفاته:

توفي يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة بقيت من شعبان، فلمَّا خرجت جنازتُه إذا بجنازة أبي هاشم الجُبَّائي رئيس المُعْتَزلة، فقال الناس: اليوم مات علم العربية وعلم الكلام، ودُفنا جميعاً في مقابر الخَيْزُران في يوم مَطير، ولم يعلم بموته أكثر الناس، وكنا جُمَيِّعَةً في الجنازة[2]، فبينا نحن ندفنه وإذا بجنازةٍ أخرى معها جُمَيِّعةٌ عرفتُهم بالأدب، فسألتُ عنها فقيل: هذه جنازة ابن دُرَيد، فذكرتُ حديثَ الرَّشيد لمَّا دفن محمد بن الحسن والكسائي بالرَّي في يوم واحدٍ، فأخبرتُ أصحابنا، فبَكَينا على العربية والكلام طويلاً، ثم افترقنا.

حدَّث ابن دريد عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، وأبي حاتم، والرِّياشي وغيرهم، وروى عنه أبو سعيد السِّيْرافي، وأبو عبيد الله المَرْزُباني، وأبو بكر ابن شاذان وآخرون.

وقال محمد بن أحمد الكاتب: كان ابن دُريد يَتَشوَّق إلى بغداد، فلمَّا قدمها لم تُعجبْه قواعدُها فقال: [من الطويل]

سمعتُ بذِكْر النَّاسِ هنداً فلم أزل ... أخا صَبْوَةٍ حتى نظرتُ إلى هند

---

(١) انظر معجم الأدباء ١٦/ ٢٠٥ .

(٢) القائل: وكنا جميعة في الجنازة؛ هو راوي الخبر: الحسن بن سهل القاضي، كما في تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٨ ، وعنه المنتظم ١٣/ ٣٣١ ، وقد اختصر هنا وأغفل اسمه.

فـلـمَّـا أرانـي الـلـه هـنـداً وزُرْتُـهـا تَـمـنَّـيـتُ أنْ أزدادَ بُـعـداً عـلـى بُـعـدِ[(١)]

ووُصِفَت له خُراسان فكان يتمنَّى أن يراها، فلمَّا رآها قال: [من الوافر]

تَـمَـنَّـيْـنـا خُـراسـانَ زمـانـاً فـلـم نُـعْـطَ الـمُـنى والـصَّـبرَ عـنـهـا

فـلـمَّـا أن حَـلَـلْـنـاهـا زمـانـاً رأيـنـاهـا بـحَـذْف الـنِّـصفِ مـنـهـا[(٢)]

وروى ابنُ دريد، عن عبد الرحمن ابن أخي الأصمعي، عن عمِّه قال: كان أسيرٌ في بكر بن وائل فقال: ما في مُقامي عندكم فائدةٌ، فاندبوا لي رجلاً أُرسله إلى أهلي لعلهم يفادونني، فقالوا: لا يكون ذلك إلا بحَضْرتنا ـ وكانوا قد أزْمَعوا غَزْوَ قومه ـ فخافوا أن يُنذِرَهم، فجاؤوا بعبدٍ أسود، فقال له: أتعقِل؟ قال: نعم، فقال: ما هذا؟ وأشار إلى الليل، فقال: الليل، ثم ملأ كفَّيه من الرَّمْل وقال: كم هذا؟ قال: لا أدري وإنَّه لكثير، فقال: أيُّما أكثر، النُّجوم أو النيران؟ فقال: النجوم، أو كُلٌّ كثير، فقال: أبلغ قومي التَّحيةَ وقل لهم: إنَّ العَرْفَجَ قد أَدْبَى، وشَكَّت النساء، ومُرْهم أنْ يُعْرُوا ناقتي الحمراء فقد أطالوا رُكوبها، وأن يَركبوا جَمَلي الأصْهَب بآية ما أكلتُ معهم حَيْساً، واسألوا الحارثَ عن خَبري.

فجاء العبدُ فأدَّى إليهم الرسالة، فقالوا: قد جُنَّ الأعور[(٣)]؛ ما نَعرف له ناقةً حمراء ولا جَمَلاً أصهب. وسَرَّحوا العبد.

فدَعَوا بالحارث، وقَصُّوا عليه القصة فقال: وَيْحَكم قد أنذَرَكم، أمَّا قوله: أتعقل؛ فإنَّما أراد أن يَختبرَه، وأما الليل فيقول: قد جاؤوكم مثل الليل والنُّجوم والرَّمْل والنِّيران، وأما قوله: قد أَدْبى العَرْفَجُ؛ يريد: أنَّ الرجال استَلْأموا الدُّروع[(٤)]، وشَكَّت النساء؛ أي: اتَّخَذوا الشِّكاء[(٥)] للسَّفَر، وناقتي الحمراء، أي: ارتَحِلوا عن

(١) لم أقف على هذا الخبر، والبيتان دون نسبة في المنتخل للميكالي ١/ ٥١٥.

(٢) الخبر في الأذكياء لابن الجوزي ١٩٢ لشاعر لم يذكر اسمه.

(٣) في (خ): الليل، ولعلها تحريف عن: الأسير، والمثبت من الملاحن لابن دريد ٥٦، وأمالي القالي ١/ ٦، والأعور هذا اسمه ناشب بن بَشامة العنبري كما في سمط اللآلي ١/ ٢١.

(٤) أي: لبسوها.

(٥) أوعية من جلد يوضع فيها الماء واللبن، وتجعل زوادة للمسافر.

الدَّهْناء[١]، واركبوا الصَّمَّان وهو الجَمَل الأَصْهب، وأراد بالحَيْس: اختِلاط الناس؛ لأنَّه من التَّمْر والسَّمْن والأَقِط، أي: جاؤوكم بالخَلْق الكثير، فارتَحَلوا من ذلك المكان، فصَبَّحهم الجيش.

قال ابن دريد: وإنَّما أخذ هذا من قول أسير بني تميم، فإنَّه كتب إلى قومه[٢]: [من البسيط]

حُلُّوا عن النَّاقة الحمراءِ أَرْحُلَكم   والبازِلَ الأَصْهَبَ المَعْقولَ فاصْطَنِعوا
إنَّ الذِّئابَ قد اخضَرَّت بَراثِنُها   والناسُ كلُّهمُ بَكْرٌ إذا شَبِعوا

يريد: أن الناس كلهم إذا أَخْصَبوا عدوٌّ لكم.

قال المصنف رحمةُ الله عليه: وقد رُوي عن الأصمعي من غير طريق ابن دريد: أنَّ الأسير هو صاحبُ هذا الشعر وكان من بني تَميم، وأنَّه أنفذ هذه الرسالة إلى قومه مع عبدٍ بغير مَحْضَرٍ من الذين أسروه، وهو الأصحُّ؛ لأنَّ هذا الكلام لا يَخفى أنَّ فيه تحذيراً لقومه، فكيف معروفه يمليه؟![٣]

وقد تكلَّموا في ابن دريد من حيث الديانة لا من حيث الرواية، قال ابن شاهين: كنَّا إذا دخلنا على ابن دريد نَستحي ممَّا نرى من العيدان المُعَلَّقة والشراب المُرَوَّق، وقد جاوز تسعين سنة.

وقال الأزهري: دخلتُ يوماً على ابن دريد فرأيتُه سكران، فلم أَعُد إليه. وقال الخطيب: جاءه سائلٌ فقال: ادفَعوا له دَنًّا من نَبيذ، فقيل: الناس يتصدَّقون بالدَّراهم والخُبز وأنت تتصدَّق بالنَّبيذ؟ فقال: ما عندي غيره.

وقيل: إنَّه كان يَشربُ المَطْبوخَ المثلَّث على رأي أهل العراق، وهو فصل مجتَهدٌ فيه[٤].

---

(١) موضع ببلاد بني تميم.
(٢) كذا في (خ)؟ وفي الملاحن ٥٧، وأمالي القالي ١/ ٧: وأخذ هذا المعنى رجل من بني تميم كان أسيراً فكتب إلى قومه.
(٣) كذا في (خ)، ولم أتبينها.
(٤) انظر في مسألة شرب المطبوخ قبل الثلاث وبعده: المغني لابن قدامة ١٢/ ٥١٢.

محمد بن موسى

أبو بكر، الواسِطيّ[١].

أصلُه من فَرْغانَة، وهو من أكابر أصحاب الجُنيد والنُّوري.

وكان عالماً بأصول الدين والعلوم الظاهرة، وكلامه بمَرْو؛ لأنَّه خرج من العراق وهو شابٌّ، ومشايخه في حال الحياة.

ومن كلامه:

ابتُلينا بزمانٍ ليس فيه آدابُ الإسلام، ولا أخلاقُ الجاهلية، ولا أحلامُ ذوي المروءة.

وسئل: ما الذي يُزعِج الخَواطرَ في وقت السَّماع؟ فقال: بروقٌ تَلْمَعُ ثم تَخْمُد، وأنوارٌ تبدو ثم تَخْفى، ما أحلاها لو أقامت، ثم أنشد: [من الرمل]

خَطَرَتْ في القلب منها خَطْرَةٌ خَطْرَةَ البَرْق ابتدى ثم اضْمَحَلّ
أيُّ زَوْرٍ لك لو حقًّا سَرى ومُلِمٌّ بك لو حقًّا نَزَلْ[٢]

وقال: الوِقايَةُ للأشباح، والرِّعايَةُ للأرواح.

وقال: الناس ثلاث طبقات؛ فالطبقة الأولى مَنَّ الله عليهم بالهِداية، فهم معصومون من النِّفاق، والثانية منَّ الله عليهم بأنوار العناية، [فهم مَعصومون من الصغائر والكبائر، والطبقة الثالثة مَنَّ الله عليهم بالكفاية] فهم معصومون من الخَواطر الفاسدة وحركات أهل الغَفْلَة[٣].

وقال: إذا غَلَب الحقُّ على السَّرائر لم يَبْق فيها فَضْلَةٌ لرجاء.

وسئل عن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[القلم: ٤] فقال: لأنَّه جاد بالكونيين، واكتفى بالمُكَوِّن.

---

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٤٩، طبقات الصوفية ٣٠٢، الرسالة القشيرية ١٠٤، المنتظم ١٣/ ٣٣١، مناقب الأبرار ١/ ٤٩٥، تاريخ الإسلام ٧/ ٦١٧.

(٢) مناقب الأبرار ١/ ٤٩٦، والبيتان للبحتري، وهما في ديوانه ٣/ ١٧١١ من قصيدة عدتها (٤٠) بيتاً.

(٣) طبقات الصوفية ٣٠٦، ومناقب الأبرار ١/ ٤٩٨ وما بين معكوفين منهما.

وسئل أن يدعو فقال: أخشى أن يقال لي: إن سألتَنا ما ليس لك عندنا فقد أَسَأْتَ الثَّناء علينا، وإن سألتَنا ما لك عندنا فقد اتَّهَمْتَنا.

وأنشد: [من الطويل]

ذَرِيني تَجِئْني مِيْتَتي مُطمئنَّةً ... ولم أتَجَشَّم هَوْلَ تلك المَوارِدِ
فإنَّ عُلَيَّات الأمور مَنُوطَةٌ ... بمُسْتَودَعاتٍ في بُطون الأساوِدِ[1]

وقال: مَن أراد مَسْلَك السَّلامة فلْيَتَباعَد عن مَوارِد الأهوال.

وخرج يوماً إلى الجمعة فانْقَطَع شِسْعُ نَعْله، فعاد إلى بيته واغتسل غُسل الجمعة، ولم يكن اغتسل قبل الخروج وقال: إنَّما انقطع شِسْعُ نعلي لأنِّي ما اغتسلتُ.

مُؤْنِس الخادم مولى المُعْتَضد

كان شُجاعاً فاتكاً، ولم يَحضُر بيعةَ المقتدر، كان المعتضد قد تَخَيَّل منه، فأبعده إلى مكة، فلمَّا بويع المقتدر أحضره وفوَّض إليه الأمور، وكان هذا أولَ ما نَقضَ المقتدرُ من قواعد أبيه، فأثمرت مخالفتُه أنَّ مؤنساً استَدَلَّ عليه وقتله، وكان عزمُه أن يقتلَ القاهر؛ فإنَّه بعث إليه يقول: قد ظَفِرنا بخُوارِزم، والمَصْلَحة أن تَحْضُرَ لترى فيها رأيك[2]، فاغترَّ ولم يظنَّ أنَّ القاهر يُقدِم على قتله، فجاء إلى دار الخلافة وقد ضرب له القاهر في الدَّهاليز أقواماً، فعدلوا به إلى بعض الحُجَرِيّة وقتلوه، وعاش تسعين سنةً؛ منها ستون أميراً مُطاعاً يَنفُذ أمره كما ينفذ أمر الله إلى أن قُتل.

(١) ورد هذان البيتان في طبقات الصوفية ٣٠٥، ومناقب الأبرار ١/ ٤٩٧ بعد القول الآتي.
وهما للعَتَّابي كلثوم بن عمرو في الأغاني ١٣/ ١٢٣، والعقد الفريد ٣/ ٢٠٨ وغيرهما كثير.

(٢) كذا وردت هذه العبارة في (خ)، ولم أتبين المراد منها، وقد سلف في أول السنة أن مؤنساً وبليقاً وابنه علياً والوزير ابن مقلة عزموا على الفتك بالقاهر، فكشف أمرهم، وقبض القاهر على بليق وابنه، وهرب ابن مقلة، ثم أرسل إلى مؤنس ليرى رأيه، فاعتذر مؤنس بثقل حركته، فلم يزل به حتى استقدمه إلى دار الخلافة، ثم ذبحه كما سلف.
وانظر في ترجمة مؤنس: تاريخ دمشق ١٧/ ٤٣٣، والسير ١٥/ ٥٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٥١.

[أبو] جعفر المَجْذوم[١]

كان مُعتزلاً للعالم، وهو من أقران أبي العباس بن عَطاء.

قال لي[٢] أبو الحسين الدَّرَّاج: كنتُ أحجُّ فيَصْحَبُني جماعةٌ، فكنتُ أحتاجُ إلى القيام معهم والاشتغال بهم، فخرجتُ في بعض السنين إلى القادِسيَّة، فدخلتُ المسجدَ فإذا رجلٌ في المِحراب مَجْذومٌ، وعليه من البلاء شيءٌ عظيمٌ، فسلَّم عليَّ وقال لي: يا أبا الحسين، عَزَمتَ على الحجِّ؟ قلتُ: نعم، على غَيْظٍ وكراهيةٍ له، فقال: فالصُّحْبة؟ فقلتُ في نفسي: هَربتُ من الأَصِحَّاء أقعُ في أيدي المُجَذَّمين! فقلتُ: لا والله، فقال: يا أبا الحسين، يَصنَعُ الله للضَّعيف حتى يَعجَبَ القويُّ، فقلت: نعم، على الإنكار عليه.

وخرجتُ أمشي، فأتيتُ المُغِيثَة بعد يوم وليلة، وإذا به قد سبقني فقال: يصنع الله للضعيف حتى يعجب القوي.

ثم سِرْنا، وإذا به سَبَقَنا إلى النَّاطِف[٣]، فأتيتُه في بعض المنازل، فاعتذرتُ إليه وقلتُ: الصُّحبة، فقال: ما نُحْنِثُكَ في يمينك.

وقدمتُ مكة، فاجتمعتُ بأبي بكر الكتَّاني وأبي الحسن المزيِّن وجماعة، فذكرتُ لهم حديثَه فقالوا: يا أحمق، ذاك أبو جعفر المجذوم، ونحن نسألُ الله أن نراه، فإن رأيتَه فتعلَّق به لعلَّنا نراه، قلتُ: نعم.

وخرجنا إلى عرفات فلم أره، فبينا أنا أرمي الجِمار جَذَبني إنسان من ورائي وقال: السَّلام عليك يا أبا الحسين، فالتفتُّ فإذا به، فلَحِقَني من رؤيته شيءٌ عظيم، وغُشِيَ

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٩٦، والمنتظم ١٣/ ٣٣٢ وما بين معكوفين منهما، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٣٣، وصفة الصفوة ٢/ ٤٦٣.

(٢) القائل هو محمد بن خفيف كما في المصادر.

(٣) كذا في (خ)؟! وفي المصادر: القَرْعاء، وهو منزل في طريق مكة من الكوفة بعد المغيثة، وبين المغيثة والقرعاء: الزبيدية ومسجد سعد والخبراء. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٢٥.
وثمة مكان يقال له: قُسّ الناطف قريب من الكوفة على شاطئ الفرات الشرقي كانت عنده وقعة بين المسلمين والفرس. انظر معجم البلدان ٤/ ٣٤٩، والروض المعطار ٤٨٠، وتاج العروس ١٦/ ٣٧٤.

عليَّ، وذهب عنِّي، وأتيتُ مسجد الخَيْف، فأخبرتُ أصحابنا، فلمَّا كان يوم الوداع صلَّيتُ خلف المقام ركعتين، وإذا بإنسان قد جَذَبني، فالتفتُّ فإذا به فقال: يا أبا الحسين، عزمتَ على أن تصيح؟ قلت: لا، أسألك أن تدعو لي، قال: فاسأل ما شئت، فسألتُ الله ثلاث دعواتٍ، فأمَّن على دُعائي، وغاب عنِّي فلم أره.

فقيل له: ما كانت الأدعية؟ قال: قلت: يا ربّ، حَبِّب إليَّ الفقرَ فليس شيءٌ أحبَّ إليَّ منه، وقلت: اللهم لا تجعلْني أبيتُ ليلةً ولي شيءٌ أَدَّخِرُه، وها أنا منذ كذا وكذا مالي شيءٌ أَدَّخِره، وقلت: اللهم إذا أَذِنتَ لأوليائك أن ينظروا إليك فاجعلني منهم، وأنا أرجو ذلك.

السنة الثانية والعشرون وثلاث مئة

فيها ظَهرَت الدَّيْلَم؛ وذلك لأنَّ أصحاب مرداويج دخلوا أصبهان، وكان علي بن بُوَيْه من جُملة قُوَّاد مَرداويج، فاقتطع مالاً جليلاً، وانفرد عن مرداويج، والتقى ابن ياقوت فهزمه، واستولى على فارس وأعمالها.

وكان بُوَيْه فقيراً جدًّا لا يُؤبَه له، فرأى في المنام كأنَّه بالَ فخرج من ذَكَره عمود من نار، ثم تَشعَّب يَمْنةً ويَسرة وأماماً وخَلْفاً، حتى ملأ الدنيا وألهب، فقصَّ رؤياه على مُعَبِّر فقال: ما أُعَبِّرها إلا بألف درهم، فقال: والله ما رأيتُها قطُّ ولا عشرها، وإنَّما أنا صَيَّادٌ أصيد السمك، ثم مضى وصاد سمكةً فأعطاه إيَّاها ووَعَده بخير، فقال له المُعَبِّر: ألك أولاد؟ قال: نعم. قال: أبْشِر فإنَّهم يَملكون الدنيا، ويَبلُغ سُلطانهم فيها على قَدْر ما احتوت النار التي رأيتَها، فقال له: وَيْحَك أنا ومُلْك الدنيا من أين؟! لقد أخذتَ السَّمكةَ حَراماً، وكان معه أولادُه الثلاثة: علي والحسن وأحمد، فعليٌّ أول ما بقل عارِضُه(١)، والحسن دونه، وأحمد دونه.

ثم مضت السَّنوات، ونَسي بويه المنام، وخرج بولده إلى خُراسان، وكان أحمد يحتطبُ على رأسه، وصار عليٌّ من قُوَّاد مرداويج بن زيار، فأرسله إلى الكَرَج يَستخرج له مالاً، فاستخرج خمسَ مئة ألف درهم، ثم استوحش من مرداويج فأخذ المال وأتى هَمَذان، فغَلَّق أهلُها الأبواب في وجهه، فقاتلهم، ففتحها عَنوةً، وقتل منهم خلقاً كثيراً، ثم صار إلى أصْبَهان وبها المظفَّر بن ياقوت، فلم يُحاربه، وخرج منها إلى أبيه بشِيراز، ثم صار علي إلى أَرَّجان فاستخرج منها مالاً عظيماً، ثم تنقَّل إلى البلاد، وانضَمَّ إليه خلقٌ كثير، وصار معه خمسُ مئة ألف دينار، فجاء إلى شيراز وبها ياقوت، فخرج إليه في بِضْعَةَ عشر ألفاً من الفُرسان والرَّجَّالة، وكان علي في ألف رجل، فهابَه علي هَيبةً شديدةً، وسأله أن يُفْرِجَ له عن الطريق لينصرفَ حيث شاء، فأبى ياقوت وطَمِع في ماله، فسار علي بين يديه إلى البَيْضاء عن إصْطَخْر يومين، والتقَوا، فظهر

(١) أول ما نبت شعر خدّه.

عليه ياقوت أول يوم، وفي الثاني ظهر عليٌّ، فعاد ياقوت إلى شيراز وعلي خلفه، وخرج منها ودخلها عليٌّ.

ثم إنَّه ضاق ما بيده، وأشرف [أمره] على الانحلال(١)، فنام يوماً على ظهره، وإذا بحَيَّةٍ خرجت من سَقْف البيت فدخلت مَوضِعاً آخر، فأمر بنَقْض السقف، فنُقِض، فخرجت صناديق فيها أموالٌ، ففرَّقها في أصحابه واستقام أمرُه.

ثم ضاق ما بيده، فطلب خَيَّاطاً يَخيطُ له ثياباً، وكان الخياط أطْرَشاً، فظنَّ أنَّه قد سُعي به إليه فقال: والله ما عندي شيءٌ سوى اثني عشر صندوقاً لا أدري ما فيها، فأمر بإحضارها، فوجد فيها مالاً عظيماً، ففرَّقه في أصحابه.

ثم ركب يوماً يدور حول شيراز، فنَزلت قَوائمُ فَرَسه في مكان، فحفروه فوجدوا فيه أموالاً كثيرةً.

فأقام بشيراز، واستولى على البلاد، وخرجت خُراسان وفارس وكَرْمان وتلك النواحي عن حُكم الخلافة، ولقَّب المُسْتَكْفي(٢) عليًّا بعماد الدولة، وكَناه بأبي شُجاع، وكان يُكنى أبا الحسن، ولقَّب الحسنَ رُكْنَ الدولة، وأحمدَ مُعِزَّ الدولة، وملكوا الدنيا. وقيل: إنهم كانوا يُنسَبون إلى سابور ذي الأكتاف(٣).

وفيها قدم مؤنس الوَرْقاني بالحاجِّ إلى بغداد سالمين من القِرمطيّ، ودخل على القاهر فشكره.

وفي صفر قبض القاهر على خاطف خالة المقتدر، وعلى أبي العباس بن المقتدر وأمِّه، وحبسهم عند سابور، ثم تتبَّع أولاد المقتدر وأمَّهاتهم فاعتقلهم.

وفيها قتل القاهرُ أبا السَّرايا نصرَ بن حَمدان وإسحاق بن إسماعيل النُّوبَخْتي، وهو الذي أشار على مؤنس بخلافة القاهر، فلمَّا كان يوم الخميس لليلةٍ خلت من ربيع الأول استحضر القاهر إسحاق وطالبه بمال، فقال: والله ما عندي مال، فأمر بضربه بين يديه.

---

(١) ما بين معكوفين من الكامل ٨/ ٢٧٦ .

(٢) بعد أن تولّى الخلافة.

(٣) من أول السنة إلى هنا ليس في (ف م١).

قال ثابت: وحدثني خادمٌ من خدم القاهر أنَّه أمر أن يُرمى في بئر في دار الخلافة، فأُرمي فيها على رأسه وهو حيٌّ مُقيَّد، ثم أمر بإحضار أبي السَّرايا، فألقاه على جهة رأسه في تلك البئر، وما زال أبو السَّرايا يَتضرَّع إليه ويسأله العفو، فلم يلتفت إليه، فتعلَّق بسَعَفَةٍ في نَخْلة كانت بالقرب من البئر، فأمر بضرب يده، فقُطعت، ووقع في البئر، وأمر بطَمِّها.

قال الخادم: فطَرحنا فيها التُّراب إلى أن امتلأت والقاهر واقفٌ، فلمَّا كان من الغد جاء فوقف على رأس البئر، وأمر بإخراجهما، فرَفَعْنا التراب وأخرجناهما ميِّتين، فأمر بإعادتهما في البئر والطَّمِّ عليهما، ففعلنا، وكان ذنبهما أنَّهما زايدا القاهر قبل خلافته في جاريتين واشترياهما، فحقد عليهما.

قال ثابت: سبحان الله، ما أعجب أمر المقادير، أراد مؤنسٌ بالخلافة أبا العباس ابن المقتدر، فما زال إسحاق به يعني [حتى] عدل إلى القاهر، وهو لا يعلم أنَّه قاتلُه، وأنَّه يسعى في حتف نفسه؛ ليتمَّ الأمرُ المَقدور.

ومات مؤنس الوَرْقاني الذي حجَّ بالناس.

ذكر استيحاش الحُجَرية والسَّاجِيَّة من القاهر:

قال ثابت: كان أبو علي بن مُقْلَة في استتاره من القاهر يُراسل السَّاجِيّةَ والحُجَرِيّةَ، ويُضْرِيْهم على القاهر، ويُوحِشُهم منه، وكذا الحسن بن هارون كاتب بليق، وكان الحسن يخرج بالليل في زِيِّ المُكَدِّين ومعه زِنْبيل[1]، وتارةً في زِيِّ النساء، إلى أن جمع كلمتَهم على الفَتْك بالقاهر، وكان يقول لهم: قد بنى لكم المَطاميرَ ليَحْبسكم فيها.

واحتال الحسن من جهة مُنجِّم لسيما المناخلي، وكان سيما شديدَ الثِّقة به والقَبول منه، فكان يُلقِّن المُنجِّمَ بما يقوله لسيما ويقول: خَوِّفه من القاهر، وأعطى المنجمَ دنانيرَ كثيرةً، فكان المنجم يقول لسيما: إنَّه يقبض عليك في الوقت الفلاني.

(١) في زي السؤَّال والشحاذين ومعه القُفَّة.

فلمَّا كان يوم الاثنين لأربعٍ بقين من ربيع الآخر وقع بين الغِلمان الحُجَرية والسَّاجيَّة خلاف: بلغ الساجية أنَّ القاهر يريد أن يقتل سيما المناخلي ـ وهو رئيس قُوَّاد [الساجية][1] ـ فخرج سيما إلى داره، واجتمع إليه الساجية، وتحالفوا وتعاقدوا على الفَتْك بالقاهر، واجتمعوا إلى دار السلطان وقالوا: قد بلغَنا أنَّ القاهر قد بنى لنا مطامير ليَحتَبِسَنا فيها، فدخل سَلامَة الطُّولوني الحاجبُ فأخبر القاهر، فحلف بالله أنَّه ما فعل ذلك، وإنَّما هذه حَمَّامات رومية للحرم، وحضر الوزير الخَصيبي وعيسى المُتَطَبِّب عند القاهر، فقال القاهر لسلامة: اخرُج إليهم واحلِفْ لهم على بُطلان ما بلغهم، فحلف لهم فسكتوا في ذلك اليوم، ثم غَدَوا على حالهم إلى دار القاهر، فقال الخَصيبي لعيسى: ادخل إليه وعرِّفه الخبر ليحترز، فجاء عيسى فوجده نائماً سَكران، وكان قد شرب إلى أن طلعت الشمس، فاجتهد أن يُنبِّهه فلم ينتبه لشدَّة سُكره.

وكانت الحجرية والساجية قد اجتمعوا على سيما وأنَّه رأس الجميع، فقال لهم: إن كنتم عَزمتُم على شيءٍ فقوموا الساعةَ حتى نُمضي الأمر، فقالوا: نصير إلى غدٍ فإنَّه يوم مَوكب يجلس للسَّلام فنقبضه، فقال: إن تفرَّقتُم الساعةَ اتَّصل به الخبر فأهلكنا كلَّنا، فصَوَّبوا رأيَه، ورجعوا إلى دار السُّلطان، ووكَّلوا الرجال بأبوابها، وهرب الوزير الخَصيبي في زِيِّ امرأةٍ وخرج من الدار، ودخلوا على القاهر فأفاقَ من سُكره، وهرب إلى سطح حمَّامٍ في دار الحرم فاستتر فيه.

ودخلوا مَجلسَ القاهر وفيه عيسى المتطبب وزَيْرك الخادم واختيار القَهْرَمانة، فسألوهم عنه فقالوا: ما نعرف له خبراً، فوُكِّل بهم، ووقع في أيديهم خادمٌ له، فضربوه ضرباً مُبَرِّحاً، فدلَّهم عليه، فجاؤوا وإذا به على سطح الحمَّام، وبيده سيفٌ مسلول، فقالوا: انزل فامتنع، فقالوا: نحن عَبيدُك فلمَ تستوحش منَّا؟ فلم ينزل، ففَوَّق واحدٌ منهم سهماً وقال: انزل وإلا قتلتُك، فنزل إليهم، فقبضوا عليه، وذلك ضَحوةَ نهار يوم الأربعاء لستٍّ خلون من جمادى الآخرة، وحملوه إلى الحبس الذي فيه طريف السبكري، فكسروا القفلَ وأخرجوه وكسروا قيدَه، وحبسوا القاهر مكانَه، ووكَّلوا بالباب جماعةً.

---

(١) ما بين معكوفين من الكامل ٨/ ٢٧٩ ، ومكانها في (خ) بياض، وليست في (ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً.

واستَدلُّوا على الموضع الذي فيه أبو العباس محمد بن المقتدر، وأخرجوه هو ووالدته، وسلَّموا عليه بالخلافة، وأجلسوه على سرير الملك، وبايعه القوَّاد، وطَريف السبكري، وبدر الخَرْشَني، ولقَّبوه الراضي بالله.

وأحضر علي بن عيسى، والقاضي أبا الحسين عمر بن محمد، والقاضي أبا محمد الحسن بن عبد الله بن أبي الشَّوارب، والقاضي أبا طالب بن البُهلول، وجماعة من الشُّهود، فدخلوا على القاهر، فقال له طريف السبكري: ما تقول؟ فقال القاهر للقاضي أبي الحسين: ألستَ تعرفُني؟ قال: بلى، قال: أنا محمد أبو منصور بن المُعْتَضد، لي في أعناقكم بَيعةٌ، وفي أعناق سائر أهلي والقواد، ولستُ أُبرئكم منها ولا أُحلُّكم فقوموا، فلمَّا بعُدوا عَدلَ القاضي إلى طريف وقال: وأيُّ شيءٍ كان مَجيئُنا إلى رجل هذا اعتقادُه؟

ثم دخلُوا على عليٍّ بن عيسى فأخبروه، فقَطَّب ثم قال: يُخلَع ولا يفكَّر فيه، أفعالُه مَشهورة وأعمالُه مَعروفة، فقال له القاضي: فإيش كان الحاجة إلى اجتماعنا به؟ فنحن لا تقوم بنا الدُّول، وإنَّما نُراد للشهادة وللاستسقاء.

قال القاضي أبو الحسين: فدخلتُ على الراضي، وأعدتُ عليه ما جرى سرًّا، وأعلمتُه أنِّي أرى إمامته فَرْضاً، وكنتُ أُفاوض مؤنساً في ذلك، وأُقوِّي عزمَه فيه لمَّا قُتل المقتدر، وكان رأيُ مؤنس كرأيي حتى عارَضَنا القَدَر، وقد وقع الخطأ من علي بن عيسى حيث جمعنا وإياه، فقال الراضي: انصرف ودعني وإياه.

وأشار[1] سيما على الراضي سَمْلَ القاهر، فستر ذلك عن علي بن عيسى، وأرسل سيما وطريفاً السبكري إلى البيت الذي فيه القاهر، فكُحِّل بمِسمارٍ مُحَمًّى، ثم ظنَّ أنَّه لم يستقص عليه فأعاد كحله ثانياً، وذلك بعد أن حضر إلى بين يديه وبايعه.

وطلب الراضي من علي بن عيسى أن يتقلَّد الوزارة فقال: ليتقلَّدها أخوك عبد الرحمن، فقال: لا، فقال سيما للراضي: عليك بابن مُقْلَة فهو كان السبب فيما علمت، فاستوزره بعد أن كتب له أماناً وللحسن بن هارون.

---

(١) في (خ): فأرسل، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ الإسلام ٤٠٨/٧ .

وقال محمود الأصفهاني: كان سبب خَلْعِ القاهر سوء سيرته، وسَفْكه الدماء، وقتله الأولياء، وغضب على علي بن مقلة، فاستتر وراسل الجند، وكذا الحسن بن هارون .... وذكر ما ذكرنا.

قال: لما حاط به الغلمان الساجية والحجرية، فهرب إلى سطح حَمَّام، وأراد أن يَرميَ بنفسه إلى الطريق، فأنزلوه، وحبسوه في بيت مُظلم، ونهبوا دارَ الخلافة وبغداد، ثم أتوه وطالبوه بالخَلْع فأبى، فخلعوه في يوم السبت لثلاث خَلَون من جُمادى الأولى، وسَمَلوا عينيه حتى سالتا على خَدَّيه فعَمِي.

وقال الخطيب: ارتُكِبَ منه أمر عظيم لم يُسمَع بمثله في الإسلام، وهو أولُ مَن سُمِل من الخلفاء، وإنَّما سَمَلوه خوفاً من شرِّه، وكانت خلافتُه إلى يوم سُمِل سنةً وستةَ أشهر وسبعةَ أيامٍ أو ثمانية[١].

ذكر طرف من سيرته:

قال الصولي: كان[٢] أهْوَجَ، سفَّاكاً للدماء، مُحبًّا للمال، قَبيحَ السِّيرة، كثيرَ التلَوُّن والاستحالة لا يثبت على رأيٍ واحدٍ، مُدمِناً على شُرب الخمر، فإذا شربه تغيَّرت أوصافُه، وذهب عقلُه، وقتل وعذَّب بأنواع العذاب، ويبدو منه من الأقوال والأفعال ما يَقبُح ذكرُه، لولا أن مَنَّ الله على الناس بحاجبه أبي القاسم سلامة لأهلك الحَرْثَ والنَّسْلَ، وكان إذا نام وانتبَه أنكر جميعَ ذلك، ومضى في حال سُكره بما همَّ به.

[قال الصولي:] وكنا نجتنب مُجالستَه لسوء عشرته، ولمَّا بويع [بالخلافة] أنشدتُه: [من السريع]

الآن أرسى المُلْكُ أوتادَه ... وانتَصَف المسلم من كافر
أنْ نصر الدِّين بقَهْر العِدى ... مُلك أبي المنصور القاهر[٣]

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٩٤ . ومن قوله: وفي صفر قبض القاهر على خاطف خالة المقتدر... إلى هنا ليس في (ف م١).

(٢) في (ف م١): حكى الصولي قال: كان.

(٣) البيتان من (خ)، ولم أقف عليهما في مكان آخر.

فأعطاني يدَه فقبَّلتُها، ووَعَدني بكلِّ خير، فكان ذلك أولَ العهد به وآخرَه، ما دخلْنا عليه بعد ذلك، وكان كلُّ واحدٍ منَّا يسألُ الله تعالى أن يُنسيَه ذكرَه لما كان يبدو منه في حال سكره.

[قال:] وأباد جماعةً من أعيان الدولة في مدَّةٍ يسيرة، وكان قد صَنع حَرْبةً يحملها [في يده]، فلا يَطْرَحها حتى يقتل بها إنساناً.

وقال محمد بن علي الخُراساني: أحضرني القاهرُ يوماً والحربةُ بين يديه وقال لي: قد علمتَ حالي إذا وضعتُ هذه الحربة بين يديَّ؛ لا أنتهي حتى أقتل بها إنساناً، فقلت: الأمان، فقال: على الصِّدْق، قلتُ: نعم، فقال: أسألك عن خلفاء بني العباس في أخلاقهم وشِيَمهم من السَّفَّاح إليّ، قلتُ: نعم، فقال: أسأَلُك عن خلفاء بني العباس، قلت:

أما السَّفاح فكان مُسارِعاً إلى سَفْك الدِّماء، سفك ألفَ دمٍ، واتَّبعه عُمَّالُه في ذلك، واستنُّوا بسيرته، مثل: محمد بن الأشعث بالمغرب، وصالح بن علي بمصر، وخازم ابن خُزَيمة، وحُمَيد بن قَحْطَبة وغيرهم، وكان مع ذلك بَحْراً، سَمْحاً، وَصولاً بالمال، وسَلك مَن كان في عصره سيرتَه.

قال: فالمنصور؟ قلت: كان أولَ مَن أوقع الفُرْقَةَ بين وَلَد العباس وولد أبي طالب، وكانوا قبله أمرُهم واحد، وهو أولُ خليفةٍ قرَّب المُنَجِّمين وعَمِلَ بقولهم، وكان عنده نُوبَخْت المُنَجِّم، وعلي بن عيسى الأَسْطُرْلابي، وهو أولُ خليفةٍ تُرجِمَت له الكتبُ من اللغات اليونانية والأعجمية إلى العربية، ككتاب: «السند هند»، وكتاب أرسطاطاليس في المَنْطق، و«المِجِسْطي» و«إقليدس» وسائر الكتُب اليونانية، فنظر الناس فيها وتعلَّقوا بها، ولمَّا رأى ذلك محمد بن إسحاق المَدَني جمع المغازي والسير والمبتدأ، ولم تكن مجموعةً قبل ذلك، والمنصورُ أولُ مَن استعمل مواليه وقدَّمهم على العرب، [فسقطت قيادات العرب وزالت] رئاستها[1].

(١) ما بين معكوفين من مروج الذهب ٨/ ٢٩٢، وانظر السير ١٥/ ١٠٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٠٩.

قال: فما تقول في المَهدي؟ قلت: كان جَواداً، سَمْحاً، عادلاً، مُنصِفاً، وكان يَحمل البِدَر معه فيفرِّقُها، ورَدَّ ما أخذ أبوه من أموال الناس غَصْباً، وبالغ في إتلاف الزَّنادِقة، وأحرق كتبهم لما أظهروا من الاعتقادات الفاسدة، كابن دَيْصان، وماني، وابن المُقَفَّع، وحَمَّاد عَجْرَد وغيرهم، وبنى المسجد الحَرام، ومسجد المدينة، ومسجد بيت المقدس، وفعل وفعل.

قال: فالهادي؟ قلت: كان جَبَّاراً مُتكبِّراً، فسلك عُمَّاله طريقه على قِصَر أيامه.

قال: فالرَّشيد؟ قلت: كان مواظباً على الحجِّ والجهاد، وعَمَر القصور والبِرَك والمَصانع، وطريقَ مكة، وبنى الثُّغور والحُصون والمدن كأَذَنَة، وطَرَسُوس، والمَصِّيْصَة، وعين زَرْبى، والحَدَث، ومَرْعَش وغيرها، وعمَّ الناسَ إحسانُه، وكان في أيامه البرامكة، وهو أول خليفة رمى النُّشَّاب في البُرْجاس[1]، ولعب الشِّطْرَنج من بني العباس، وكانت زوجتُه أمُّ جعفر بنت جعفر من أكمل النساء، أوقفت الأوقاف، وعَملت المَصانع والبِرَك، وعَمَرَت الحرمَين، وفعلت وفعلت.

قال: فالأمين؟ قلت: كان جَواداً سَمْحاً، إلا أنَّه انْهَمَك في لذَّاته ففسدت عليه الأمور.

قال: فالمأمون؟ قلت: غلَب [عليه] الفضل بن سَهْل فاشتغل بالنجوم، فلمَّا قدم العراق من خراسان اشتغل عن ذلك، وجالس العلماء والفقهاء والأدباء، وكان أحْلَمَ الناس، جَواداً، سَمْحاً.

قال: فالمُعْتَصم؟ قلت: سَلَك طريقَه، وغَلب عليه حبُّ الفروسية، والتشبُّه بملوك الأعاجم، واشتغل بالغَزْو والفتوح.

قال: فالواثق؟ قلت: سلك طريقَةَ أبيه.

قال: فالمُتوكِّل؟ قلت: خالف ما كان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقادات، ونهى عن الجِدال والمُناظرات في الأهواء، وعاقب عليها، وأمر بقراءة الحديث وسماعه، ونهى عن القول بخَلْق القرآن، فحَسُنَت أيامُه، وأحبَّه الناس.

---

(١) كلمة يونانية معناها: رمح أو سارية في أعلاه كرة من ذهب أو فضة، يرميها الحُذَّاق وهم على الجياد. المعجم الوسيط.

ثم سأل عن باقي الخلفاء وأنا أجيبه بما فيهم، فقال لي: قد سمعتُ كلامك وكأنِّي مشاهدٌ القومَ، ثم قمتُ وقام على أَثَري والحَرْبة في يده، فاستسلمتُ للقتل، فعطف إلى دور الحُرَم.

وقال المَسعودي: أخذ القاهر من مؤنس وأصحابه أموالاً كثيرةً، فلمَّا خُلع وسُمِل طُولبَ بها فأنكر، فعُذِّب بأنواع العذاب فلم يُقِرَّ بشيء، فأخذه الراضي، وقرَّبه وأدناه وقال له: قد ترى مُطالبة الجُنْد بالمال، وليس عندي شيءٌ، والذي عندك ليس بنافعٍ لك، فاعترِفْ به، فقال: أمَّا إذا فعلتَ هذا فالمالُ في البُستان.

وكان قد أنشأ بستاناً فيه أصناف الشجر والثمر، وحمل إليه فنون الثِّمار من البلاد، وعمل فيه البِرَك والماذِيانات[1]، وزخْرَفها، وبنى فيه قصراً عظيماً.

وكان الراضي مُغرَماً بالبستان والقصر لا يجلس [إلا] فيه، فقال: وفي أيِّ مكانٍ المالُ منه؟ فقال: أنا رجلٌ مَكْفوف لا أهتدي إلى مكانٍ، فاحفُر البستانَ كلَّه وأساسات القصر والماذيانات فإنَّك تجده، فحفر الراضي البستان كلَّه، وقلع الشَّجر، وأخرب القصر، ونزل في الأساس إلى الماء، فلم يجد شيئاً، فقال له: وأين المال؟ فقال: وهل عندي مالٌ؟ وإنَّما كان حَسْرتي في جلوسك في البستان وتَنَعُّمِك، وهو كان غايةَ أمَلي، فأردتُ أن أُفجِعَك فيه.

فندم الراضي وأبعده عنه خوفاً منه على نفسه أن يُدنيَه منه فيتناول بعض أطرافه، ثم حبسه بدار السلطان، فأقام إلى سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، ثم أُخرج إلى دار ابن طاهر.

وكان تارةً يحبسه، وتارةً يُطلِقه، فوقف يوماً بجامع المنصور بين الصُّفوف وعليه مِنطَقةٌ بيضاء وقال: تصدَّقوا عليَّ، فأنا ممَّن قد عرفتم، وكان قصدُه أن يُشَنِّعَ على المستكفي، فقام إليه أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي فأعطاه خمس مئة درهم، وقيل: ألف درهم، ثم مُنِعَ من الخروج، فعاش إلى سنة تسعٍ وثلاثين وثلاث مئة خامِلاً، ومات وله ثلاثٌ وخمسون سنة.

---

(١) بكسر الذال وفتحها، و هي أمهات السواقي، وقيل: هي السواقي الصغار كالجداول، وقيل: الأنهار الكبار، وليست بعربية. انظر مشارق الأنوار ١/ ٣٧٦، والنهاية ٤/ ٣١٣، والمعرب ٣٧٦.

وكان له من الولد: عبد الصَّمد، وأبو الفضل، وأبو القاسم، وعبد العزيز، وكانوا ولاةَ العهود.

واستوزر أبا علي بن مُقْلَة ثم عزله، واستوزر أبا جعفر محمد بن القاسم بن عُبيد الله ثم عزله عنها، واستوزر أحمد بن عبيد الله الخَصيبي، وسلب وزيره محمد بن القاسم واستصفاه، وكان محمد بن القاسم جَبَّاراً ظالماً.

قال أبو الحسن بن أبي طاهر محمد بن الحسن كاتب الجيش: قبض محمد بن القاسم في أيام وزارته للقاهر عليَّ وعلى أبي، فكان يُخرجنا كلَّ يوم يُطالبنا بمال المُصادَرة، ويضربني بحضرة أبي، ولا يضرب أبي، فلَقِيْنا منه بلاءً وشدَّةً، فلمَّا كان بعد أيام قال لي أبي: إنَّ هؤلاء الموكَّلين بنا قد صارت لنا بهم حُرْمة، فتوصَّل إلى مُكاتَبة فلان الصَّيرفي حتى يُنفِذ لنا ثلاثة آلاف درهم نُفرِّقها فيهم ففعلت، واستدعيتُهم وقلت: قد وَجَب علينا حقُّكم، فخذوا هذه فانتفِعوا بها، فامتنعوا أشدَّ الامتناع وقالوا: نستحي أن نأخذَ منكم شيئاً، وقد بلغنا أمرٌ، قلت: وما هو؟ فامتنعوا، فقلت: لا بدَّ من ذكره، قالوا: قد عَزم الوزير الليلةَ على قتلكما، فيَقْبُح بنا أن نأخذَ منكما شيئاً.

فدخلت على أبي وعرَّفتُه فقال: ارْدُد إلى الصَّيرفي الدَّراهم.

وكان أبي صائماً، فلم يُفطر تلك الليلة، واغتسل وتطهَّر ثم قال: اجلس جاثياً على رُكبتك، وفعل هو كذلك كأنَّا نُخاصم أحداً، ثم قال: يا ربّ، إنَّ ابن القاسم قد ظَلَمني وحَبَسَني، وقد استعديتُ عليه إليك، وأنت أحكمُ الحاكمين، فاحكُم بيننا.

ثم بكى واستغاث إلى رُبع الليل، وإذا بالأقفال تُفتَح، فتَيقنَّا، وإذا بسابور خادم القاهر وسيفِ نقمته قد دخل وبين يديه الشُّموع، فقال: اذهبا إلى منازلكما، فذهبنا، وقبض على محمد بن القاسم، وحَدَره إلى دار السلطان، واعتقله فمات بعد ثلاثة أيام، وقيل: إن القاهر قتله[1].

وكان صاحب شرطة القاهر أحمد بن خاقان.

(١) الفرج بعد الشدة ١/ ٢٧٧ . ومن قوله: وقال محمد بن علي الخراساني...إلى هنا ليس في (ف م١).

انتهت سيرة القاهر والقاعدة تقتضي [ذكر] سيرة[١] الرجل عند وفاته، لكن لمَّا تأخَّرت وفاتُه إلى سنة تسعٍ وثلاثين [وثلاث مئة] وسُمِل فلم ينتفع بنفسه صار كأنَّه قد مات[٢].

الباب العشرون في خلافة الراضي بالله[٣]

وهو أبو العباس محمد بن جعفر المُقْتدر، ولد في ربيع الآخر، وقيل: في رمضان سنة سبعٍ وتسعين ومئتين، وأمُّه ظَلُوم أمُّ ولد رومية أدركت خلافتَه.

وكان مَرْبوعاً، خفيفَ الجسم، أسمرَ، بويع في اليوم الذي خُلِع فيه عمُّه القاهر وهو يوم الأربعاء لستٍّ خلَون من جُمادى الأولى، وكان الراضي وأخوه مَحبوسَين في دار الخلافة في حبس القاهر، وقد عزم على قتلهما، فهجم عليهما الغِلمان الحُجَريّة والسَّاجية فأخرجوهما.

وقال الصُّولي: كانت بيعةُ الرَّاضي باتِّفاق الجميع من غير مُواطأةٍ بينه وبين أحدٍ من الدولة، ولا مُراسلة؛ سوى ما كانوا يخافونه من القاهر، وكان المتولِّي للبيعة سيما المناخلي، وعاش سيما بعد البيعة مئة يوم.

ولمَّا بويع الراضي بعث إليَّ لأختار لَقَباً، فاخترتُ له المُرتَضى، فبعث إليَّ يقول: كنتَ حدَّثتَني أنَّ إبراهيم بن المهدي عَهِد إلى منصور بن المهدي ولقَّبه المرتضى، وما أحبُّ أن أُلقَّبَ بلقبٍ وَقَع على غيري ولم يَتمَّ أمرُه، وقد اخترتُ: الراضي بالله ورضيتُ به[٤].

وأمَّن الراضي ابنَ مُقْلَة واستوزره، وتقدَّم إلى علي بن عيسى بمُساعدته، وأطلق جميعَ مَن كان في حبس القاهر، وولَّى أبا بكر بن رائق إمارةَ الجيش ببغداد، ثم أمر ابنُ مُقْلَة عبد الله بنَ ثوابة بأن يكتبَ كتاباً يَذكر فيه مثالبَ القاهر، ويُقرأ على الناس، فقال

(١) في (ف م١): انتهت سيرة القاهر وقضية الترتيب سيرة.
(٢) بعدها في (ف م١): لأن الأعمى بمنزلة الأعمى (كذا؟!).
(٣) الباب هذا كله إلى ترجمة خير النساج ليس في (ف م١).
(٤) أخبار الراضي والمتقي لله لأبي بكر الصولي ١-٤ .

علي بن عيسى: هذا شيءٌ لم يُفعل قبلَ اليوم مع أحدٍ من الخُلفاء، فلم يقبل، وكتب ثلاث نُسخ قُرئت يوم الجمعة على المنابر بجامع القصر والرُّصافة ومدينة المنصور، وصُودر عيسى المتطبِّب على مئتي ألف دينار، منها عشرون ألف دينار، ومئةٌ وخمسون ألف درهم، وألف مِثقال عَنْبر اعترف بها عيسى.

واستحجب الراضي من أصحاب المناطق أربعَ مئة وثمانين حاجباً، وقدَّم على جميع القواد والأمراء محمد بن رائق.

وفيها قُتل مرداويج مُقدَّم الدَّيْلَم بأصبهان، وكان قد عَظُمَ أمرُه، وتحدَّث الناس أنَّه يريد قَصْدَ بغداد، وأنَّه مُسالِمٌ لصاحب البحرين، ثم إنَّه أساء السيرةَ في أصحابه وخصوصاً الأتراك، فتواطؤوا على قتله، وكان رئيسهم قائداً يقال له: بَجْكم، فقتلوه في حمَّام، ويقال: إنَّ ياقوت كاتبهم فيه.

وفيها بعث عليُّ بن بُوَيه إلى الراضي يُقاطِعُه على البلاد التي استولى عليها فارس وغيرها، على أنَّه يَحمل إليه في كل سنة ثمان مئة ألف ألف درهم[1] خارجاً عن المُؤَن والنَّفَقات، فأجابه إلى ذلك، وبعث له لِواءً وخِلَعاً مع حَرْب بن إبراهيم[2] المالكي الكاتب، وقال له ابن مُقْلَة: لا تُسلِّم الخِلَع واللواء إليه حتى يُسلِّم إليك المال.

فلمَّا وصل إلى شِيراز تلقَّاه علي بن بُوَيه على بعدٍ، وطالبه بتسليم الخِلَع واللواء، فقال: رُسِم لي أن لا أُسلِّمَها إلا بعد تسليم المال، فتَهدَّده، وأخذ ذلك منه كَرْهاً، ولبس الخِلَع ودخل شيراز، وأقام المالكي عنده مدةً يَعِدُه ويُمنِّيه، فاعتلَّ ومات، وحُمِل في تابوت إلى بغداد.

وفيها أخرج الراضي مَن كان في دار الخليفة من إخوته إلى منازلهم التي كانت لهم في أيام المقتدر، بعد أن أحضَرَ القُضاةَ والشهودَ والقوَّاد والخاصَّة والعامَّة، فرأَوهم سالمين في غاية الصِّحَّة.

---

(١) في تكملة الطبري ٢٩٢، والمنتظم ١٣/ ٣٤٢: ثمانية آلاف درهم، وفي الكامل ٨/ ٢٧٧: ألف ألف درهم، وفي تاريخ الإسلام ٧/ ٤١١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٦: ثمانية آلاف ألف درهم.

(٢) كذا ورد هنا وفي النجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٦، وفي تكملة الطبري ٢٩٢: وأنفذ إليه ابنُ مقلة أبا الحسين بن إبراهيم.

وفيها ظهر رجلٌ يقال له: الشَّلْمَغاني، ويُعرف بابن أبي العَزاقِر، قد شاع عنه أنَّه يَدَّعي الإلاهية، ويُحيي الموتى، وكان له أصحابٌ يوافقونه، وتعصَّب له ابنُ مُقْلَة، وأحضره عند الرَّاضي فسمع كلامه، وقيل: إنه أنكر بحضرة الراضي ما قيل عنه وقال: إن لم تنزل العقوبةُ على الذي باهَلَني بعد ثلاثة أيام، وأكثره تسعة أيام؛ وإلا فدَمي حَلالٌ، فضُرِب ثمانين سَوْطاً، ثم قُتل وصُلب، وقُتل بسببه الحسينُ بن القاسم بن عبيد الله بن سليمان بن وَهْب وزير المقتدر، وكان متَّهماً بالشَّلْمغاني، وفي قلب الراضي منه لكونه قال في زمن المقتدر: إنَّ مؤنساً يريد أن يُقلِّده الخلافة، فلمَّا ولي الخلافة نفاه إلى الرقَّة، ثم قتله، وحُمل رأسه إلى بغداد في ذي الحجة فجُعل في سَفَط، فلمَّا قُطعت يد ابن مُقْلَة جُعِلت في ذلك السَّفَط مع رأس ابن القاسم[1].

وفيها أقام ياقوت بالأهْواز، وكتب له أبو عبد الله أحمد بن محمد بن البَرِيديّ.

وفيها قُتل أبو سعيد إسرائيل بن موسى الرَّازي النَّصْراني كاتب علي بن بُوَيْه، وكان قد تَمكَّن منه جدًّا، وله غلمان ... ونفوذ[2] الجيش وتحمل السلاح، ولمَّا حارب ياقوت .... والأمير لا يقبل، ونهاه عن ذِكره فقال: هذا رجلٌ صَحِبني وأنا فقيرٌ، وقد استَغنيت وتَبرَّكت به، فلا تُعاوِدني فيه.

وكان بين أبي سعيد هذا وبين خَطْلَج حاجب علي بن بُوَيه ورئيس جيشه عَداوةٌ، فاتَّفق أن النَّصراني عمل دعوةً عظيمةً للأمير، غَرِم على الخِلَع والمأكول مالاً عظيماً، وحضرها القواد، واجتهد على خطلج أن يَحضرها فامتنع، فرأى خطْلَج تلك الليلة في منامه كأنَّ أبا سعيد يريد قتلَه، فانتبه فَزِعاً وقال لأصحابه: رأيتُ في المنام كأن أبا سعيد قد قتلني، ولا بُدَّ من قتله، فمنعه خواصُّه من ذلك فلم يفعل، وركب إلى دار أبي سعيد، وحمل معه في خُفِّه كرسنيا مجرَّداً، وقصد أبا سعيد، فقيل له: قد جاء خطلج، فقعد في المجلس وهو مُنْحَنٍ، ثم ضرب بيده إلى خُفِّه وأخرج الدسني[3]، وأراد أن

(١) انظر تكملة الطبري ٢٨٩ ، والمنتظم ١٣/ ٣٤٢ ، والكامل ٨/ ٢٩٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٣ ، ومعجم البلدان (شلمغان) ٣/ ٣٥٩ ، ومعجم الأدباء ١/ ٢٣٥ .

(٢) مكان النقط في (خ) بياض، وهذا الخبر لم أقف عليه فيما بين يدي من مصادر.

(٣) وردت هذه الكلمة وكلمة كرسنيا؛ مهملة في (خ)، ولم أعرفهما.

يضرب به أبا سعيد، فصاح بغلمانه فدخلوا، فضربوا خطلج بالدَّبابيس في رأسه فدوَّخوه، وحُمل إلى داره فمات بعد يومين، فبادر الخيَّاط إلى علي بن بويه فأخبره، فلما توَحَّش من أبي سعيد[١]، ولم يزل الخيَّاطُ يُغريه به حتى دخل على أبي سعيد جماعةٌ من الأتراك فقتلوه، واستكتب ابنُ بُوَيْه الخيَّاطَ.

وفيها قُتل هارون بن غَريب الخال، كان مُقيماً بالدِّيْنَوَر، وإليه أعمال ماسَبَذَان ومِهْرِجان وحُلْوان، فلمَّا ولي الراضي كاتب قوَّاد بغداد بأنَّه أحقُّ بالحضرة ورئاسة الجيش، فأجابوه، وسار إلى بغداد في جمادى الآخرة فبقي بينه وبينها عشرة فَراسخ، فعَظُم ذلك على ابن مُقْلَة ومحمد بن ياقوت والحُجَرية والسَّاجية، وخاطبوا الراضي، فعَرَّفَهم كراهيَّتَه له، وأمرهم بمُمانعته ومحاربته إن احتيج إلى ذلك، فبعث ابن مُقْلَة إليه بأن يَرجع، فقال: قد اجتمع إليَّ رجالٌ لا يَكفيهم عَملي.

فأرسل إليه الراضي والوزيرُ وابن ياقوت القَراريطيَّ بأنَّهم قد قلَّدوه أعمال طريق خُراسان، فقال للقراريطي: إنَّ رجالي لا يَقْنَعون بهذا، ومَن أحقُّ منِّي بخدمة أمير المؤمنين؟ ولي قَرابةٌ، وابنُ ياقوت غلامٌ بنُ غلام، وقد كان بالأمس يقعد بين يديَّ ويمتثل أمري، فقال له: لو كنتَ تُراعي ما بينك وبين أمير المؤمنين ما عصيتَه[٢]، فأغْلَظ له، وقام من عنده وأدَّى الرسالةَ إلى الوزير.

وشرع هارون في جِباية أموال طريق خُراسان، وقَوِيَت شوكتُه، وشَخَص إليه معظم مَن كان ببغداد من الجيش، ونزل النَّهْرُبِيْن، فبعث إليه محمد بن ياقوت أبا جعفر بن شيرزاد رسالةً ثالثةً يتلطَّف به، ويزيده في الرجال والبلاد، فلم يَلتفت، ووقعت طلائعُه على طلائع ابن ياقوت فظَهر عليها، ثم تقدَّم إلى القَنْطَرة التي على النَّهْرَوان[٣]، واشتبكت الحرب، فعبر هارون القَنْطَرة، وانفرد عن أصحابه على شاطئ النهر وهو يظنُّ أنَّه يَظفر بمحمد بن ياقوت فيقتله، فتَقَنْطَر به فرسُه[٤] فوقع، فبادره يُمْن غلام ابن ياقوت فضربه على رأسه، وبادره

(١) كذا(؟!).

(٢) في تاريخ الإسلام ٧/ ٤١٧ : ولو كنت تراعي أمير المؤمنين ما عصيته.

(٣) وكذا في تاريخ الإسلام ٧/ ٤١٤ ، والذي في أخبار الراضي ٧ ، وتكملة الطبري ٢٨٧ ، والكامل ٨/ ٢٨٨ : قنطرة نَهْرِبِيْن.

(٤) يعني كبا فسقط عن ظهره إلى قُدَّامه. تكملة المعاجم ٨/ ٣٩٧ .

الغلمان فذبحوه، وانهزم عسكرُه، ومُزِّقوا كلَّ مُمَزَّق، ونَهبهم عسكر ابن ياقوت، وواری ابن ياقوت جُثَّةَ هارون، ودخل بغداد لخمسٍ بقين من جمادى الآخرة ورأس هارون بين يديه، فصُلِب بباب العامة(١)، وخُلع على محمد بن ياقوت وسوِّر وطُوِّق.

وفيها توفي

أبو جعفر السِّجْزي

في رجب، وكان من الحُجَّاب، وبلغ من العمر أربعين ومئة سنة وهو صحيح السمع والبصر والثَّغْر، مُنْتَصب القامة، وكان يركب الدَّوابَّ وحده من الأرض بغير [معاون، وكان الوزير علي بن عيسى] قد منعه رِزقَه، فقيل له في ذلك، فقال: هو كذَّابٌ في سنِّه، فقال السِّجزي: انظروا في جرائد سُرَّ من رأى تجدوا فيها حليتي، فأحضر علي ابن عيسى الجَرائد وإذا هي كما قال، فأجرى رزقَه، واعتذر إليه، وقيل: إنَّه عاش بعد ذلك مدَّةً، وقال ابن أبي داود السِّجستاني: أنا أعرف هذا الرجل وأهلَ بيته، وإنَّ جميعهم مُعَمَّرون(٢).

وفيها ردَّ الراضي شبابيك تربة أُمِّ المقتدر، وأذن للناس في زيارتها، وكان القاهر قد قَلَعها.

وفيها قبض ابن مُقْلَة على أبي العباس الخَصِيبي [وسليمان بن] الحسن بن مَخْلَد(٣)، ونَفاهما إلى عُمان، ثم هربا إلى بغداد مستَتِرَيْن، وكيفية ذلك: أنَّ محمد بن ياقوت كان مُنْحَرِفاً عن الخَصِيبي، وكان ابن مُقْلَة يُظهر للخَصِيبي الجميل ويُبْطِنُ غيرَه، فأرسل إليه يوماً بثَلْج، وكان الثلج قد أعْوَز، ودعاه إلى حضرته، وأوصى محمد بن ياقوت باعتقاله إذا خرج.

وجاء الخَصِيبي في طيَّاره إلى دار ابن مقلة، فأقام عنده إلى المغرب، ثم قام فنزل في طيَّاره، وقد أقام له ابن ياقوت جماعةً، فأخذوه، وحملوه إلى دار محمد بن ياقوت فاعتقلوه، واتَّفق ابنُ مقلة وابن ياقوت، ثم قبضا على [سليمان بن] الحسن، وسلَّماه مع الخَصِيبي إلى ابن مسمار، فسار بهما إلى عُمان، ثم سلك بهما البحر في الجانب

---

(١) في تكملة الطبري والكامل: ونصب، يعني رأسه، وهو الصحيح.

(٢) تكملة الطبري ٢٨٧-٢٨٨، وما بين معكوفين منه، مكانه في (خ) بياض.

(٣) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٢٨٨، والمنتظم ١٣/ ٣٩٤.

الشرقي من سواحل فارس، فعَصَفَت الريح بالمَرْكب فردَّته إلى عُمان، وكان يوسف بن وَجيه بها، وكان صديقاً للخَصِيبي، فانتزَعه من يد ابن مسمار، واعتقل ابنَ مِسمار عنده مدَّةً طويلةً، وأحسن إلى الخَصِيبي و[سليمان بن] الحسن وأطلقهما، فصارا إلى بغداد مستَتِرَين.

وقلق ابن مقلة وابن ياقوت لذلك، ولمَّا خَبَّ البحرُ بهما قال الخَصِيبي: اللهم إنِّي أستَغفرك وأتوبُ إليك من مَعاصيك كلِّها إلا من إيقاع المكروه بابن مُقْلَة، فقال له [سليمان بن] الحسن: في مثل هذا الوقت تقول هذا؟! قال: نعم، أُريح منه العبادَ والبلاد، وتسليطه البَريديِّين الكَفَرة على الناس.

وفي ذي الحجة توفِّي موسى بن المقتدر، واسم أُمِّه سلوة، وحُمل إلى تربة جدَّته أمِّ المقتدر فدفن بها، وركب في جَنازته أخوه هارون والوزير ابن مُقْلَة والحاجب محمد ابن ياقوت، ولم يَحُجَّ أحدٌ إلى سنة سبع وعشرين وثلاث مئة.

وفيها توفي

[أحمد بن] سليمان بن داود

أبو عبد الله[١].

قدم مع أبيه سليمان مكة، فأهدى أبوه للزُّبَير بن بَكَّار هدايا، فأهدى إليه الزُّبير كتاب «النَّسَب» تأليفَه، فقال له: أحبُّ أن تقرأه علينا، فقرأه وسمعه ولدُه أحمد بن سليمان.

وتوفي أحمد وله ثلاثٌ وثمانون سنة، وروى عن غير الزبير أيضاً، وروى عنه ابن شاذان وغيره، وكان صدوقاً.

أحمد بن عبد الله بن مُسْلم

ابن قُتَيْبَة، أبو جعفر الكاتب، الدِّيْنَوَري، ابنُ صاحب «المعارف» و«أدب الكاتب» وغيرهما[٢].

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٢٨٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٥٣ وما بين معكوفين منهما.

(٢) تاريخ بغداد ٥/ ٣٧٨، والمنتظم ١٣/ ٣٤٢، والسير ١٤/ ٥٦٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٥٤، ومعجم الأدباء ٣/ ١٠٣.

ولد أحمد ببغداد، ثم قدم مصر فأقام بها حتى مات في ربيع الأول، ووَلي القضاءَ بها، حدَّث عن أبيه بتصانيفه، وحدَّث عنه عبد الرحمن بن إسحاق الزَّجَّاجي وغيره، وكان ثقةً.

[فصل: وفيها توفي]

خير بن عبد الله

أبو الحسن(١)، النَّسَّاج.

[قال الخطيب:] اسمه: محمد بن إسماعيل، أصلُه من سُرَّمَن رأى، ونزل بغداد وأقام بها.

وقال السُّلَمي: تاب في مجلسه إبراهيم الخوَّاص، وأبو بكر [الشِّبْلي، وهو أستاذ الجماعة، قال: وكان يقال له: محمد بن إسماعيل السَّامَرِيّ، ثم سُمِّي خَيْراً، وصَحِب سَرِيًّا] السَّقَطِي، وأبا حَمْزة الصُّوفي وغيرهما(٢).

[واختلفوا لم غيَّر اسمَه، فقال السُّلَمي:] خرج إلى الحجِّ وكان أسود(٣) اللون، فلمَّا وصل الكوفة أخذه [رجلٌ] قال: أنت عبدي، واسمُك خَيْر، [فلم يُكلِّمه، واستعمله سنين] في نَسْجِ الخَزِّ(٤)، ثم قال له بعد مدَّة [يَسيرة]: ما أنت عبدي، ولا اسمُك خير، وقد غَلِطتُ، فقيل له: ألا ترجع إلى اسمك؟ فقال: لا أُغيِّرُ اسماً سمَّاني به رجلٌ مسلم.

وحكى أبو نُعَيم(٥)، عن جعفر الخُلْدي قال: قلتُ لخير: أكان النَّسْجُ حِرْفَتَك؟ قال: لا، قلت: فلم سُمِّيتَ به؟ قال: كنتُ عاهَدْتُ اللهَ أن لا آكل الرُّطَبَ، فأكلت

---

(١) في (ف م ١): الحسين، وهو خطأ. وانظر في ترجمته: طبقات الصوفية ٣٢٢، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٠٧، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٨٠، ٩/ ٣٠٧، والرسالة القشيرية ١٠٦، والمنتظم ١٣/ ٣٤٥، ومناقب الأبرار ٢/ ١٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٥٩، والسير ١٥/ ٢٦٩.

(٢) طبقات الصوفية ٣٢٢.

(٣) في (ف م ١): أسمر، والمثبت من (خ).

(٤) في (ف م ١): الحرير.

(٥) في الحلية ١٠/ ٣٠٧.

رُطَبةً واحدة، وإذا برجل قد قبض على يدي وقال: يا خير، أَبَقْتَ منِّي، وكان له غُلامٌ اسمُه خير قد هرب منه، فوقع عليَّ شَبَهُه، فاجتمع علينا الناس فقال: هذا غلامي خير الذي هرب، فصَدَّقه الناس، وبقيتُ مُتَحيِّراً، وعرفتُ من أين أُتيت، فحَملني إلى حانوته الذي يَنْسُج فيه غلمانُه، فلمَّا رأوني قالوا: يا عبدَ السُّوء، أَبَقْتَ من مولاك، عُدْ إلى النَّسْج كما كنت تعمل.

قال: فجلست على بئر الكِرْباس[1]، ودلَّيتُ رجلي لأعمل، فكأنِّي كنتُ أعمل من سنين، فأقمتُ عنده أعمل أربعةَ أشهر أنْسِجُ، فقمتُ ليلةً وقتَ السَّحَر، فصلَّيتُ وسجَدتُ وقلتُ: يا إلهي لا أعود إلى ما فعلتُ، فأصبحتُ وقد زال عنِّي الشَّبَه، فأُطلقتُ، ورجعتُ إلى صورتي، وثَبَت عليَّ هذا الاسم، وكان السبب إتياني شَهوةً عاهدتُ الله أن لا آكُلَها فعاقبني.

ثم قال: لا نَسَبَ أشرفُ من نسب مَن خلقه الله بيده، ونفخ فيه من روحه، وعلَّمه الأسماء كلَّها، فلم يعصمه ولم ينفعه في وقت جَرَيان القدر عليه[2].

وذكر في «المناقب» بمعناها فقال: كان خير [النسَّاج] يأمرُ بالمعروف وينهى عن المنكر، فأُوذي أذًى كثيراً، فخرج هارباً من البلد، قال [خير:] فمررتُ بقريةٍ فيها دَكاكين، فجلستُ على باب دُكَّان، وإذا بصاحب الطِّرَاز قد خرج فقال: أين ذهبتَ؟ فنظرتُ وإذا أنا أسودُ مُفَلْفَلُ الشَّعَر، فاستعملني في النَّسج شهراً، فعاهَدْتُ الله أنِّي أعود إلى ما كنتُ عليه من الأمر بالمعروف والنهي عن المُنكر، فعاد إليَّ لَوني وحالي، فخرجتُ من الطِّراز، وجلستُ على بابه أحفظُه لصاحبه حتى يعود، فجاء فسلَّم عليَّ وقال: عافاك الله، رأيتَ غلاماً أسودَ خرج من هذا الطِّراز؟ قلتُ: لا، فدخل طِرازه، وانصرفتُ[3].

---

(١) في (ف م ١): فجلست بين الكرباس، وفي الحلية وتاريخ بغداد: فأمرني بنسج الكرباس. والكرباس: ثوب من القطن الأبيض غليظ، وهو معرب عن الفارسية. القاموس المحيط.

(٢) قال الخطيب في تاريخه ٩/ ٣٠٩: جعفر الخلدي ثقة، وهذه حكاية ظريفة جداً يسبق إلى القلب استحالتها، وكتب أبو نعيم هذه الحكاية عن أبي الحسن بن مِقْسَم عن الخلدي، وكان ابن مقسم غير ثقة، فالله أعلم.

(٣) مناقب الأبرار ٢/ ١٩.

وقال خير: تقدَّم(١) إليَّ شابٌّ من البغداديين وقد انطبقَت يدُه، فقلتُ له: ما لك؟ فقال: رأيتُك أمس بِعتَ غَزْلاً بدرهمين، فجئتُ خلفك فحَلَلْتُهما من إزارك، وقد صارت يدي مطبوقةً(٢) [فانظر إليَّ]، فأومأ خيرٌ بيده إلى يد الشاب فانفتحت، فقال: خُذ الدِّرهمين، فقال: اذهب فاشتر بهما شيئاً لعيالك ولا تَعُد.

وقال خير(٣): طُرِقَ عليَّ البابُ وأنا جالسٌ في بيتي، فوقع في خاطري أنَّه الجُنَيد، ونَفَيتُ ذلك عن خاطري، ثم طرقه ثانياً وثالثاً وأنا على ذلك الخاطر، فخرجتُ وإذا بالجنيد على الباب، فقال لي: لم لم تَخرج مع الخاطر الأول.

وقال خير: دخلتُ(٤) بعضَ المساجد وإذا فيه فقيرٌ، فقام وتعلَّق بي وقال: يا شيخ، تعطَّف عليَّ فإنَّ مِحْنَتي عظيمةٌ، قلتُ: وما هي؟ [فقال: فَقَدتُ البَلاء وقُرِنْتُ بالعافية، فنظرتُ] فإذا قد فُتِح عليه بشيءٍ من الدنيا.

وقال أبو الخير الديلمي(٥): كنتُ جالساً عند خير، فأتته امرأة فقالت: أعطني المِنديلَ الذي دفعتُه لك، فدفع إليها مِنديلاً، فقالت: كم الأُجرة؟ فقال: درهمان، فقالت: ما معي الساعة شيءٌ، وغداً آتيك بالدِّرهمين، فإن لم أجِدْك فما أصنع بهما؟ فقال: ارمي بهما في دجلة، فإذا أتيتُ أخذتُهما، فقالت: كيف تأخذُهما من دجلة، فقال: التَّفْتيش فُضولٌ منك، افعلي ما آمُرُك به، قالت: نعم.

وجاءت المرأة من الغد وأنا قاعد وخيرٌ غائبٌ، ومعها دِرهمان في خِرقة، فجلست ساعةً تنتظره، فضَجِرَت، فألقتهما في دجلة، وإذا بسَرَطان قد تعلَّق بها وغاص في الماء، وجاء خير [ففتح بابَ حانوته، وجلس] على جانب دجلة يتوضَّأ، وإذا

(١) في (ف م ١): وحدثنا غير واحد عن أبي بكر الصوفي بإسناده عن عيسى بن محمد يقول: سمعت خيراً النساج يقول: أتى، والمثبت من (خ)، والخبر دون إسناد في مناقب الأبرار ٢/ ١٨-١٩، وصفة الصفوة ٢/ ٤٥٣.

(٢) في (ف م ١): وقد انطبقت يدي وصارت مطبوقة.

(٣) في (ف م ١): وحكى في المناقب أنه قال. والمثبت من (خ).

(٤) في (ف م ١): وحكى أيضاً عن خير قال دخلت. والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ١٨ وما سيرد بين معكوفين منه.

(٥) في (خ): أبو الحسين الديلمي، وفي (ف م ١): وحكى أبو نعيم عن أبي الحسن الديلمي قال، والمثبت من حلية الأولياء ١٠/ ٣٠٨، وتاريخ بغداد ٢/ ٣٨٠.

بالسَّرَطان قد خرج من دجلة يَسعى والخرقة على ظهره، فجاء إلى خير، فألقاها بين يديه، ثم عاد إلى دجلة وأنا أنظر إليه، فقال لي: اكتُم عليَّ أيامَ حياتي، فقلتُ: نعم إن شاء الله تعالى.

قال: وكان إذا حضر السَّماع قام ظَهرُه، ورَجَعَت إليه قوَّةُ الشَّباب، فإذا ذهب السَّماعُ عاد إلى حاله(١).

وقال [السُّلَمي: قال] خير: الخوف سَوطُ الله يُقَوِّم به أَنْفُساً قد(٢) تعوَّدَت سوءَ الأدب، ومتى أساءت الجَوارحُ الأدب فهو من غَفْلَة القلب وظُلْمَة السِّرِّ.

وقال: العملُ الذي يُبَلِّغُ الغايات هو رؤية التَّقصير.

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: الصَّبرُ من أخلاق الرجال، والرِّضا من أخلاق الكرام.

[قال:] وقال: قصَّ موسى عليه السلام يوماً على بني إسرائيل فزَعَقَ رجلٌ، فانتَهره موسى، فأوحى الله إليه: يا موسى بحبي باح، وبوجدي صاح، وعلى نفسه ناح، فلم تُنكِرُ على عبادي(٣)؟

ذكر وفاته:

روى الخطيب(٤) عن أبي الحسين المالكي قال: صَحِبتُ خَيْراً سنينَ كثيرةً، ورأيتُ له من كرامات الله ما يَكْثُرُ ذِكرُه غير أنَّه قال [لي قبل وفاته بثمانية أيام: إنِّي أموتُ يوم الخميس وقتَ المغرب، وأُدْفن يوم الجمعة قبل الصلاة، وستنسى فلا تنسى،

قال] أبو الحسين: فأُنسيتُه إلى يوم الجمعة، فلقيني مَن خبَّرني بموته، فخرجتُ لأَحْضُرَ جَنازتَه، فوجدتُ الناسَ راجعين، فذكروا أنَّه يُدفَن بعد الصلاة، فبادَرْتُ ولم

---

(١) هكذا ورد هذا الخبر، وفيه اختصار مخل، وسياقه عند الخطيب في تاريخ بغداد ٩/ ٣٠٩ ، وابن خميس في مناقب الأبرار ٢/ ٢٠ : قال أحمد بن عطاء: كنت مع خير النساج وهو من شيوخ خالي في السماع، وكان قد احدودب، فكان إذا سمع السماع قام ظهره، ورجعت قوته كالشاب المطلق، فإذا غاب عن الوجود عاد إلى حاله.

(٢) في (ف م ١): أنفسنا إذا، والمثبت من (خ)، والخبر في طبقات الصوفية ٣٢٥ ، ومناقب الأبرار ٢/ ١٨ .

(٣) مناقب الأبرار ٢/ ١٧ ، ١٨ .

(٤) في (خ): قال أبو الحسين المالكي، والمثبت من (ف م ١)، والخبر في تاريخ بغداد ٢/ ٣٨١ .

ألتفِت فوجدتُ الجنازةَ قد أُخرجَت قبل الصلاة [أو كما قال،] فسألتُ مَن حضره [عن حاله عند] خروج روحه، فقال: لمَّا احتُضِر غُشي عليه، ثم فتح عينيه وأومأ إلى ناحية البيت وقال: قف عافاك الله؛ فإنَّما أنت عبدٌ مأمور وأنا عبدٌ مأمور، وما أُمرتَ به لا يفوتُك، وما أُمِرتُ به يفوتُني، فدعني أَمضي لما أُمِرتُ به.

ثم دعا بماءٍ فتوضَّأ للصلاة، ثم تمدَّد وغَمض عينيه وتشهَّد ومات.

[قال:] وأخبرني بعضُ أصحابنا أنَّه رآه في المنام فقال له: ما فعل الله بك؟ فقال: لا تسألني أنت عن ذا، ولكن استرَحْنا من دُنياكم الوَضِرة، وعاش خيرٌ رحمة الله عليه مئة وعشرين سنة.

عبيد الله بن محمد

ابن مَيْمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر الصَّادق عليه السلام، وكنيتُه أبو محمد، ويلقَّب بالمَهْدي(١).

جدُّ الخلفاء المصريين، وأمُّه أمُّ ولد، ومَولده بسَلَمْيَة، وقيل: ببغداد سنة ستين ومئتين، ودخل مصر في زِيِّ التُّجَّار سنةَ تسعٍ وثمانين، ومضى إلى المغرب، ثم ظهر بسِجِلْماسَة من أرض المغرب سنة ستٍّ وتسعين سابع ذي الحجة يوم الأحد، وسُلِّم عليه بإمرة المؤمنين في أرض الجَوَّانِيَّة، ثم انتقل إلى رَقَّادة من أرض القَيْرَوان، وبنى المَهديَّة واستقرَّ بها في سنة ثمانٍ وثلاث مئة، وملك إفريقيَّة وطرابلس وصِقِلِّية وبلاد القيروان، وطرد مَن كان بها من بني الأَغْلَب، وسَيَّر ولدَه أبا القاسم إلى مصر دفعتين إحداهما في سنة إحدى وثلاث مئة، فيقال: إنَّه ملك الإسكندرية والفَيُّوم، ودفعه تِكين عنها فعاد إلى إفريقيَّة، والمرة الثانية في سنة ستٍّ وثلاث مئة، ملك الإسكندرية ثم دفعه مؤنس عن البلاد.

(١) انظر الكامل ٨/ ٢٤، ٢٨٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١١، ٤٦٠، والسير ١٥/ ١٤١، ووفيات الأعيان ٣/ ١١٧، والروضتين ٢/ ٢١٤، والمقفى ٤/ ٥٢٨، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٤٦. وفي حواشيها مصادر أخرى.

وكانت وفاةُ عبيد الله يوم الإثنين رابع وعشرون ربيع الأول[١] هذه السنة، وعمرُه اثنتان وستون سنةً وأشهر، ومدَّةُ أيامه خمسٌ وعشرون سنة وثلاثة [أشهر وسبعة] أيام، وقيل: وستة[٢] أيام.

وكان له من الولد ستة ذكور وثماني بنات تُوفِّينَ بمصر، وولي بعده ولدُه أبو القاسم محمد القائم بأمر الله، ومولده سنة ثمانين ومئتين بإفريقيَّة، هذا قولُ القاضي أبو عبد الله القُضاعي[٣].

وقال الرئيس أبو يَعْلى حَمزة بن أسد بن علي بن محمد التَّميمي الدِّمشقي: أولُ مَن ظهر من أئمة الدولة الفاطمية في المغرب الإمام أبو محمد عُبيد الله بن محمد بن عبد الله ابن مَيمون بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن أبي طالب عليهم السلام، وكان من بعض الدُّعاة لهم محمد بن أحمد بن أبي الشَّلَغْلَغ، فلمَّا أشرف على الموت ردَّ الأمرَ في الدَّعوة إلى ولده سعيد الأصغر إلى أن يكبر، وبعث إلى المغرب داعيَين أخوَين أبا عبد الله الحسين وأبا العباس محمد ابنَي أحمد بن محمد بن زكريا الكوفي، فوصلا إلى كُتامَة من ناحية اليمن في ربيع الأول سنة ثمانين ومئتين، فأخذا العَهْدَ على البَرْبر لأبي محمد عُبيد الله، وأحكما ذلك مع الوجوه والمقدَّمين فيهم.

وبلغ الخبرُ المعتضدَ أبا العباس أحمد بن الموفق بن المتوكل فجدَّ في طلبه، وكتب إلى الجهات بسببه، وكان عبد الله مُقيماً بسَلَمْيَة، وله بها الأملاكُ الوافِرةُ، والنِّعمةُ الظَّاهرة، فأجْفَلَ منها يُريدُ المغربَ، وكان الوالي في ذلك الوقت عيسى النُّوشَرِيّ، وكان عُبيد الله فَطِناً ذكيًّا، فدخل على النُّوشَري، ولاطَفَه وعاشَره، فأعجبه، وتمكَّنت منزلتُه من قلبه، فبلغ خبره المعتضد، فكتب إليه يَحُضُّه على كَشْف خبره، والجدِّ في أمره، فوصل الكتاب إلى النُّوشري فقرأه وفي مجلسه ابن المُدَبِّر الكاتب، وكان قد صادق عُبيد الله وصافاه، وأمره النُّوشَري بالقبض عليه، فأرسل ابن المُدَبِّر إليه فأخبره، فسار من ساعته إلى الإسكندرية والوالي بها علي بن وهشودان الدَّيْلَمي، فلم

(١) كذا في (خ)، وفي مصادر ترجمته أنه توفي منتصف ربيع الأول.

(٢) ما بين معكوفين من المقفى ٤/ ٥٦٤ .

(٣) في تاريخ القضاعي ٥٥٩ أنه ولد بسلمية.

يعرض له، فسار إلى المغرب ونزل إلى سِجِلْماسَة في سنة ستٍّ وتسعين ومئتين، ثم انتقل إلى إفريقية في سنة سبع وتسعين، وكان في زِيِّ التجار، وتقرَّب إلى واليها فأحبَّه، فكُتِبَ إليه بالقبض عليه، فقبض عليه واعتقله في قلعة سِجِلْماسة.

وبلغ خبرُه أبا عبد الله الدَّاعي وهو مُقيمٌ بالبَرْبَر قد أحكم أمرَه، فنهض بالبَرْبَر إلى القلعة، وقتل واليها، وأخرج عُبيدَ الله وأظهرَ أمره وعمره يومئذٍ سبعٌ وثلاثون سنة، ولم يلبث إلا قليلا حتى دَبَّر في قتل أبي عبد الله الداعي وأخيه أبي العباس، فقتلهما يوم الإثنين للنصف من جُمادى الآخرة سنة ثمانٍ وتسعين، وملك الأمرَ بعدهما، وقَلَع بني الأغلب وُلاةَ المغرب، وتَلقَّب بالمَهديّ، وبنى المَهديَّة في سنة ثمانٍ وثلاث مئة، وتوفي يوم الإثنين رابع عشر ربيع الأول سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة، وعمرُه اثنتان وستون سنة وأشهر، ومُدَّةُ إقامته في الأمر خمسٌ وعشرون سنة وثلاثةُ أشهر وستة أيام، ونَقْشُ خاتمه: بنصر الإله الممجَّد ينتصرُ الإمام أبو محمد، وكان جَميلاً، جَسيماً، عالماً، فاضلاً، حَسَنَ التَّدبير والسِّياسة.

وقال القاضي عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار البصري[1]: جدُّ الخلفاء المصريين اسمُه سعيد، ويُلَقَّب بالمهدي، وكان أبوه يهوديًّا حدَّاداً من أهل سَلَمْيَة من أرض حِمص، زعم سعيد هذا أنَّه ابن الحسين بن محمد بن أحمد بن عبد الله بن ميمون القَدَّاح بن دَيْصان بن سعيد الغَضْبان الخرمي، وأهل الدَّعوة من هذه الطائفة منهم أبو القاسم بن الأبيض العلوي وغيره يزعمون أنَّ سعيداً هذا ليس هو ابن الحسين، وأنَّ الحسين لما تزوَّج بأمِّه ربَّاه وعلَّمه أسرارَ الدَّعوة، وزوَّجه ببنت أبي الشَّلَغْلَغ من ولد عبد الله بن مَيمون القدَّاح، فجاء لسعيد منها ابنٌ سمَّاه عبد الرحمن، ولمَّا دخل سعيد هذا إلى أرض المَغْرب وأقام بسِجِلْماسَة تسَمَّى بعُبَيد ـ مُصَغَّر ـ وتَكَنَّى بأبي محمد، وسَمَّى ابنَه عبدَ الرحمن الحسنَ.

وقال المغاربة: إنَّه من أهل الأهواز، وإنَّه يتيمٌ في حِجْره وليس بابنه، وإنَّ أباه من أهل البيت عليهم السلام، ولمَّا تمكَّن عُبيد من المغرب قال: هو ابني، وكنَّاه أبا القاسم، وجعله وليَّ عهده.

(١) في كتابه تثبيت دلائل النبوة ٢/ ٥٩٧ .

ومات عُبيد بعدما قتل خلقاً كثيراً، واستصفى أموالهم، وقتل العلماء والفقهاء وأصحاب الحديث، وأخرب القِلاع، وسلَّط الجُهَّال على العلماء يَذبحونهم على فُرُشهم، وكانت له شيعةٌ بخراسان وبغداد والشام ومصر يقولون: إنه المَهدي ظهر بالمغرب، وكان الخليفة إذ ذاك جعفراً المقتدر، وذلك في سنة ثلاث مئة، وبعث ابنَه المسمَّى عبد الرحمن إلى مصر دَفعتَين، فعاد بالخيبة في إحداهما في سنة اثنتين وثلاث مئة، والثانية في سنة سبع وثلاث مئة.

ثم بثَّ سعيدٌ دعاتَه في الأرض، فطائفةٌ تزعم أنَّه الخالق الرَّازق، وطائفة تزعم أنَّه رسول الله ﷺ، وطائفة تقول: إنَّه المهدي ابن رسول الله ﷺ، فأقام نَيِّفاً وعشرين سنة، ثم ظهرت قبائحُه ومِحاله.

وقال القاضي أبو بكر محمد بن الطَّيِّب البَصري المتكلِّم(١): القدَّاح جدُّ عُبيد الله كان مجوسيًّا، ودخل عبيد الله المغرب، وادَّعى أنَّه عَلويٌّ من ولد فاطمة عليها السلام، ولم يعرفه أحدٌ من علماء النَّسَب، وكان باطنيًّا خَبيثاً يُظهِر خلاف ما يُبطِن، حَريصاً على إزالة ملَّة الإسلام، أعدم الأعيان والعلماء والفقهاء ليبقى العالم مثل البهائم فيتمكَّن من إضلالهم، وجاء أولادُه على أسلوبه حدود الملوك(٢)، أباحوا الخمورَ والفروجَ، وأشاعوا الرَّفْضَ، وبثُّوا الدُّعاةَ في الأرض، فأفسدوا عقائدَ أهل الجبال التي في الشام كالنُّصَيريَّة والدُّرزيَّة وغيرهم، وتمكَّن دُعاتُهم من أهل الجبال لضعف عقولهم، والقَدَّاح الذين يَنتمون إليه دَعيٌّ كَذَّابٌ مُمَخْرِق، وهو أصل دعاة القرامطة.

وقال أيضاً في كتاب «كشف أسرار الباطنية»: وأولُ مَن وضع هذه الدعوة طائفةٌ من المَجوس وأبناء الأكاسرة من الفُرْس، والباعِثُ لهم على ذلك زَوالُ مُلْكهم، وعُلوُّ الإسلام عليه، وإلزامُهم الجِزْية، فخافوا من تَطاوُل العهد، ويئسوا من عَوْد مُلْكهم إليهم، فاتَّفقوا على وَضْع دعوةٍ يُدخِلون الشُّبهة بها على العوامِّ، فأولُ مَن وضعها الهُرمزان، فسلَّط أبا لؤلؤة على عمرَ بن الخطاب رضوان الله عليه فقتله، ثم الإفشين في أيام المُعْتَصم، فكان من أمره ما كان، ثم اتَّفقوا على عبد الله بن ميمون بن عمرو

(١) هو ابن الباقلاني، وقد نقل كلامه وكلام القاضي عبد الجبار: الذهبي في تاريخ الإسلام ٧/ ٤١١-٤١٢.
(٢) كذا وردت هذه الجملة في (خ) ولعلها مقحمة، أو لعل في النص سقطاً.

القدَّاح الأهوازي، وأمَدُّوه بالأموال، وذلك في سنة ثلاثين ومئتين، وقيل: في سنة عشر ومئتين، وكان مُشَعْوِذاً مُمَخْرِقاً، يُظهِر الزُّهدَ والوَرَعَ، ويدَّعي أنَّ الأرض تُطوى له، وأنَّه يَعرف أخبار العالم، وكان يختفي أيام الحجِّ ويُظهر أنَّه كان بعرفة، ويُرسِل أصحابَه إلى البلاد معهم طيور ليَكتبوا إليه بما يَتجدَّد، فيُخبر الناس بذلك.

وجدُّ القدَّاح هو دَيْصان أحد الثَّنويَّة، وكان دَعيًّا بنفسه إلى علي عليه السلام وليس منه.

ومحمد بن عبد الله بن مَيمون بن عمرو القدَّاح تغيًّا على أسلوب أبيه وجدِّه، وكذا ابن ابنه أحمد بن محمد بن عبد الله بن ميمون، [وابن ابنه سعيد بن حسين بن أحمد بن محمد بن عبد الله] هو الذي يقال له: عُبيد الله صاحب القَيْروان، ويلقَّب بالمَهْدي(١)، وذكر كلاماً طويلاً في هذا الباب، وقال: وكان ظهورُ القدَّاح بعَسْكَر مُكْرَم، فطُلِب فهرب إلى البصرة، فطُلب فهرب إلى الشام، فنزل سَلَمْيَة ومات بها، وبقي ابنه محمد، فخرج إلى القَرامِطَة وانتسب إليهم.

[وفيها توفي

عبد الرحمن بن إسماعيل

ابن علي، أبو محمد، الرَّقِّي، يقال له: ابن كَرْدَم(٢).

سكن دمشق وحدَّث بها عن الحسن بن عَرَفَة، والربيع بن سليمان، ويونُس بن عبد الأعلى وغيرهم، وروى عنه أبو الحسن الرَّازي، ومات بدمشق في جُمادى الآخرة، ودُفن بالباب الصَّغير، والله أعلم.

وفيها توفي]

محمد بن علي بن جعفر

أبو بكر، الكَتَّاني(٣).

---

(١) ما بين معكوفين من تاريخ الإسلام ٧/ ٤١٢ ، والمقفى ٤/ ٥٤٦ .

(٢) تاريخ دمشق ٩/ ٨٦٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٦٠ ، وهذه الترجمة من (ف م ١).

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٧ ، طبقات الصوفية ٣٧٣ ، تاريخ بغداد ٤/ ١٢٧ ، الرسالة القشيرية ١١١ ، مناقب الأبرار ٢/ ٨٧ ، تاريخ الإسلام ٧/ ٤٦٧ ، السير ١٤/ ٥٣٣ .

أصلُه من بغداد، وجاور بمكة حتى مات بها.

وكان من خيار[١] مشايخ الصوفية، وأحدِ الأئمة المُشار إليه في علوم الحقائق والوَرَع والزُّهْدِ والعبادة.

[وقد أثنى عليه الأئمة، فحكى الخطيب عن المرتَعِش أنه قال:] الكَتَّاني سِراجُ الحَرَم[٢].

وقال السُّلَمي[٣]: خَتم الكتَّاني في الطواف اثني عشر ألف خَتْمة.

وقال أبو جعفر الأصبهاني: صَحِبتُ الكتَّاني سنين، وكان يزيد على الأيام ارتفاعاً وفي نفسه اتِّضاعاً.

ويُحكى عنه في «المناقب» أنَّه استأذن[٤] أمَّه في الحجِّ، فأذِنَت له، فلمَّا دخل الباديةَ أصابَ ثوبَه بولٌ، فقال: هذا خَلَلٌ، فعاد إلى بيته، وإذا بأُمِّه جالِسَةٌ خلف الباب، فقال: ما هذا؟ قالت: اعتقدتُ مع الله أن لا أبْرَحَ من هذا المكان حتى تَعودَ.

[وحكى في «المناقب» عنه أنه] قال: رأيتُ هِمْياناً[٥] بطريق مكة يَلْمَع ذَهباً، فقلتُ: آخُذُه فأفرِّقُه في فقراء مكة، فهتف بي هاتفٌ: إن أخذتَه سَلَبْناكَ فقرَك، فتركتُه.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: رأيتُ في منامي شابًّا ما رأيتُ أحسنَ منه، فقلتُ: مَن أنت؟ فقال: التَّقوى، فقلتُ: فأين تَسكُن؟ قال: في كلِّ قلبٍ حَزين.

[قال:] ورأيتُ أسْوَدَ مُشَوَّهَ الخَلْق، فقلتُ: مَن أنت؟ قال: الضَّحِكُ، قلتُ: فأين تسكن؟ قال: في كلِّ قلب فَرِحٍ مَرِحٍ[٦]، فانتبهتُ، وعاهدتُ الله أن لا أضحك أبداً.

---

(١) في (ف م ١): كبار.

(٢) في (خ): وقال المرتعش، والمثبت من (ف م ١)، والخبر في تاريخ بغداد ٤/ ١٢٨ .

(٣) فيما نقله عنه الخطيب في تاريخه.

(٤) في (ف م ١): وحكي عنه أنه استأذن، والمثبت من (خ)، والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ٩١ .

(٥) كيس تجعل فيه النفقة يُشدّ في الوسط.

(٦) في مناقب الأبرار ٢/ ٩١ : فإذا بامرأة سوداء أوحش ما تكون فقلت من أنت فقالت الضحك قلت فأين تسكنين فقالت في كل قلب فرح مرح.

وقال: رأيتُ في منامي حَوْراء ما رأيتُ في الدنيا أحسنَ منها، فقلت: زوِّجيني نفسَك، فقالت: اخطُبني من سيدي، فقلتُ: ما مَهْرُك، فقالت: حَبْسُ النفسِ عن مألوفاتها.

[وذكر في «المناقب» أيضاً عن الكتاني] قال: كان عندنا بمكة فتًى عليه أَطْمارٌ رَثَّة، وكان لا يُجالسنا، فوقع في قلبي محبَّتُه، ففُتِح عليَّ بمئتَي درهم من وَجْهٍ حَلال، فأتيتُه بها ووضعتُها بين يديه، فنظر إليَّ شَزَراً وقال: اشتريتُ هذه الجِلْسَة مع الله على الفَراغ بسبعين ألف دينار غير الضِّياع والمُسْتَغَلَّات، تُريد أن تَخْدَعَني بهذه، ثم بدَّدَها وقام، فقَعدتُ ألتقطُها، فما رأيتُ مثلَ عِزِّه حين قام، ولا مثلَ ذُلِّي حين قعدتُ ألتقطها.

[ذكر] نُبذة من كلامه:

[حكى عنه في «المناقب» أنه] قال: إنَّ لله رِيحاً تُسمَّى الصَّبيحة، مَخزونةٌ تحت العرش، تَهُبُّ عند الأسحار، فتحمل الأنينَ والاستغفار إلى الملك الجبَّار.

وقال: كن في الدنيا ببَدَنك، وفي الآخرة بقلبك.

ونظر إلى شيخٍ أبيضَ الرَّأس واللّحية يسأل الناس فقال: هذا رجلٌ[(١)] ضَيَّع أمرَ الله في صغره، فضَيَّعه الله في كِبَره.

وقال: الذَّاكِرون يعيشون في ظلِّ ذِكرهم، والعارفون يعيشون في ظلِّ لُطفِ الله، والصَّادقون في ظلِّ قُرْبه، والغافلون في ظِلِّ سِتْره.

وقال: إذا تَجَلَّت حقائقُ الحقِّ لسرٍّ أزالَت عنه الظُّنونَ والأماني؛ لأنَّ الحقَّ إذا استولى على سرٍّ قَهَرَه، فلا يبقى فيه لغيره أَثَر.

وقال له فقيرٌ: أوْصِني، فقال: اجتَهِد أن تكون كلَّ ليلةٍ ضيفَ مسجدٍ، وأن تموتَ بين منزلين.

وقال: النُّقباءُ ثلاثُ مئة، والنُّجَباء سبعون، والأبدال أربعون، والأخيار سبعةٌ، والعُمُد أربعةٌ، والغَوْث واحد، فمَسْكَن النُّقَباء المغرب، ومَسْكَنُ النُّجَباء مصر،

(١) في (ف م ١): شيخ، والمثبت من (خ).

ومسكن الأبدال الشام، والأخيار يَسيحون في الأرض، والعمد في زوايا الأرض، ومسكن الغوث مكة، فإذا وقعت الحاجة من أمر العامة ابْتَهَلَ النُّقَباء، ثم ذكر الجميع على الترتيب، فإن أُجيبوا وإلا ابتهل الغوث، فتُجابُ دَعوتُه(١).

وقال: مَن باع الحِرصَ بالقناعة ظَفِرَ بالعزِّ والمروءة.

وقيل له: أيُّ فائدةٍ في الحكايات؟ فقال: هي جُندٌ من جنود الله، يُقوِّي بها قلوبَ المُريدين، ثم قرأ: ﴿وَكُلًّا نَّقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَ﴾[هود: ١٢٠] الآية.

وقال: مَن طلب الرَّاحةَ بالراحة عُدِمَ الراحة.

وسئل عن التوبة فقال: التَّباعُدُ عن المَذْمومات كلِّها إلى المَمْدوحات كلِّها.

وقيل له: ما أشْهى الطعام؟ فقال: لُقمةٌ من ذكر الله، رُفِعت من مائدة الرِّضى عن الله، وجُعِلَت في فمِ اليقين بيد التوحيد.

[وقال في «المناقب»] كان ينشد: [من مخلع البسيط]

الشَّوقُ والوَجْدُ في فؤادي ... قد مَنَعاني من القَرار
هما معي لا يُفارِقاني ... فذا شِعاري وذا دِثاري

[قال الخطيب وغيره:] تُوفي الكتَّاني رحمه الله بمكة في هذه السنة، وقيل: في سنة ثمانٍ وعشرين [وثلاث مئة، والأول أصح]، وصَحِب الجُنَيد، والخرَّاز، والنُّوري، وعباس بن المهتدي [وغيرهم](٢).

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ١٢٩-١٣٠، ومناقب الأبرار ٢/ ٩٢-٩٥. قال ابن تيمية في مجموع الفتاوى ١١/ ١٦٧: كل ما يروى في عدة الأولياء والأبدال والنقباء... فليس في ذلك شيء صحيح عن النبي ﷺ، ولم ينطق السلف بشيء من هذه الألفاظ، إلا بلفظ الأبدال، وروي فيهم حديث منقطع ليس بثابت.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ١٢٨، ١٣٠، وما بين معكوفين من (ف م ١).

وجاء في (خ) بعد هذا الكلام ما نصُّه: وعزم على قصد بغداد، واستولى على شيراز، وتقدم فنزل أصبهان، وأساء السيرة ... وكتب على هامش النسخة حاشية: مرّ هذا في الأصل، كذا في الأصل ولعله سقط. اهـ. قلت: وهذا الخبر سلف في أول السنة، وهو خبر مقتل مرداويج.

هارون بن غَريب، خالُ المقتدر

قد ذكرنا أنَّه كان يَتَقَلَّد حُلْوان، وأنَّه حَشَد وقَصَد بغداد، ونزل النَّهْرَوان، وكان الرَّاضي يَتَخَيَّل منه، فبعث إليه محمد بن ياقوت، فحاربهم هارون فقتلوه، وقد ذكرنا كيفيَّة قتله، وحَملوا رأسَه إلى الرَّاضي فسُرَّ به، ثم بعث به إلى أهله، فجَمعوا بين رأسه وجسده، ودَفنوه عند قبر أبيه بقصر عيسى قريباً من الكَرْخ، رحمه الله.

يعقوب بن إبراهيم

ابن أحمد بن عيسى، أبو بكر، البَزَّاز، بغداديٌّ[1].

ولد سنة سبع وثلاثين ومئتين، وكان مُتَعبِّداً، توفي ببغداد ليلة الجمعة في ربيع الآخر وهو ساجدٌ.

حدَّث عن الحسن بن عَرَفَة وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقةً مأموناً.

[وفيها توفي]

أبو علي الرُّوْذَبارِيّ الصُّوفي

[واختلفوا في اسمه، فقال أبو عبد الرحمن السُّلَمي:] اسمه: أحمد بن محمد بن القاسم بن منصور بن شَهْرَيار بن مُهْرَقاذاز بن فُرْغُدُد بن كِسرى[2].

[وكذا ذكر ابن خَميس في «المناقب»[3].

وقال الخطيب[4]: اسمه: محمد بن أحمد بن القاسم.

وقال قوم: اسمُه كنيتُه، وهو الأشهر، ولا يُعرف إلا بها، فلذلك ذكرناه في آخر السنة[5].

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٣٠، والمنتظم ١٣/٣٤٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٦٩. وهذه الترجمة وسابقتها ليست في (ف م ١).

(٢) طبقات الصوفية ٣٥٤.

(٣) مناقب الأبرار ٢/ ٥٥.

(٤) في تاريخ بغداد ٢/ ١٨٠ وصححه.

(٥) وانظر في ترجمته غير ما ذكر: حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، والرسالة القشيرية ١٠٩، والمنتظم ١٣/ ٣٤٣، والسير ١٤/ ٥٣٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٦٩.

ذكر طرفٍ من أخباره:

قال الخطيب:] أصلُه من بغداد، وكان من أبناء الوزراء والرُّؤساء والكَتَبَة، صَحِب الجُنَيد، ولزمه وأخذ عنه، وصار أحدَ أئمَّة الزَّمان، وأقام بمصر وصار شيخَ الصوفية ورئيسَهم بها إلى أن مات[1].

[وحكى عنه أبو عبد الرحمن السُّلَمي أنَّه] كان يقول: أستاذي في التَّصوف الجُنَيد، وفي الحديث والفقه إبراهيم الحَرْبي، وفي النَّحْو ثَعْلَب، وفي رواية: وفي الحديث إبراهيم الحَرْبيّ، وفي الفقه أبو العباس بن سُرَيج[2]، [وكان يفتخر بمشايخه].

وصحب النُّوري، وابن الجَلاء، والمسوحي وغيرهم.

وقال الحافظ محمد بن عمر الجِعابي: أتيتُ مسجدَ عَبْدان الأهوازي لأراه، فدخلتُ فرأيتُ شيخاً جالساً وحده، مَليحَ الشَّيبة، وعليه هيئةٌ، فجلستُ إليه، فذاكَرَني بأكثر من مئتي حديث في الأبواب، وكنتُ قد سُلِبتُ في الطريق، فأعطاني الذي كان عليه، فلمَّا دخل عَبْدان المسجدَ ورآه اعتنقَه وبشَّ به، فقلتُ: مَن هذا الشيخ؟ قالوا: أبو علي الرُّوْذَباري.

[وحكى الخطيب عن أبي علي الروذباري أنَّه] قال: أنفقتُ[3] على الفُقراء كذا وكذا ألفاً، فما وَضَعتُ شيئاً في يد فقير، بل كنتُ أضَعُ ما أُعطي في يدي، فيأخذه الفقير من يدي، حتى تكونَ يدي تحت أيديهم، ولا تكون يدي فوق يد فقير.

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال[4]: رأيتُ في البادية غلاماً حَدَثاً، فقال لي: يا أبا علي، أما كفاه أنَّه أبلاني بحُبِّه[5] حتى أعَلَّني، ثم قال: [من الهزج]

أيــا مَــن لــيــس لــي مــنــه وإن عَــذَّبَــنــي بُــدُّ

(١) تاريخ بغداد ٢/ ١٨٠ .

(٢) طبقات الصوفية ٣٦٠ ، وتاريخ بغداد ٢/ ١٨١ .

(٣) في (خ): وقال الروذباري، والمثبت من (ف م ١)، والخبر في تاريخ بغداد ٢/ ١٨٣ .

(٤) ما بين معكوفين من (ف م ١)، والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ٦٠ .

(٥) في المناقب: أما يكفيه أن شغفني بحبه.

ويــا مَــن حــلَّ فــي قــلــبــي مــحَــلَّا مــا لـــه حَـــدُّ
إذا لـــم يَـــرْحَـــمِ الـــمَـــولـــى إلـــى مَـــن يَـــشْـــتـــكـــي الـــعـــبـــدُ

ووقع ميتاً.

[وحكى عنه أيضاً] قال: دخلتُ مصرَ فرأيتُ الناس مجتمعين على شابٍّ مَيّت، فقلتُ: ما هذا؟ فقالوا: سمع قائلاً يقول: [مجزوء الرمل]

كَــبُــرَتْ هِــمَّـــةُ عَــيــنٍ(١) طَـــمِـــعَـــتْ فـــي أن تَـــراكَ
أومـــا يَـــكْـــفـــي لـــعـــيـــنـــي أن تـــرى مَـــن قـــد رآكَ

فشَهَق ومات. [وحكى عنه أيضاً أنه] قال: قدم علينا فقير، فأقام أياماً ثم توفي، فلمَّا أردتُ أن أُواريه في التراب فتح عينيه وقال: يا أبا علي، أَتُذَلِّلُني بين يدي من يُدَلِّلُني؟! فقلتُ: ياحبيبي، أحَياةٌ بعد الموت؟! فقال: ما أنا ميتٌ بل أنا حيّ، وكلُّ محبٍّ لله فهو حيٌّ، ولأنْفَعَنَّك غداً بجاهي يا رُوذَباريّ.

ذكر نبذة من كلامه:

[حكى عنه في «المناقب» أنه قال:](٢) فَضْلُ المَقال على الفِعال مَنْقَصَة، وفضلُ الفِعال على المَقال مَكْرُمَة.

قال: وقال: لو تكلَّم أهلُ التَّوحيد بلسان التَّجْرِيد لما بقي مُحِقٌّ إلا مات. وقال: كيف تُشاهِدُه الأشياء وبه فَنِيَت، وكيف تغيبُ عنه وبه ظَهَرَت.

وقال: تَشوَّقَت القلوبُ إلى مُشاهَدة الذَّات، فأُلْقيت إليها الأسامي فسَكَنت، والذَّاتُ مُسْتَتِرةٌ إلى أوان التَّجَلِّي، ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] أي: وَقِفوا معها عن إدراك الحقائق.

وقال: المُشاهَداتُ للقلوب، والمُكاشَفاتُ للأسرار، والمُعايَنات للبَصائر، والمَرْئيَّات للأبصار.

---

(١) في (خ): عبد، وهو تحريف، والمثبت من (ف م ١)، والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ٦٠ .

(٢) في (خ): نبذة من كلامه قال الروذباري، والمثبت من (ف م ١)، والقول في المناقب ٢/ ٥٧ .

وقال: إذا قال الصُّوفيُّ بعد خمسة أيام: أنا جائعٌ فألْزِموه بالسُّوق[1] [، وأمروه بالكَسْب].

وقال: الخَوف والرَّجاء كجَناحَي طائر، إذا اسْتَوَيا قَوِيَ الطَّائر على الطَّيَران، فإن نَقَص أحدُهما وقع النَّقْص في الطائر، وإن عُدِما مات الطائر.

وقال: كان أربعةٌ في زمانهم: واحدٌ لا يَقبل من الإخوان ولا من السُّلطان، والثاني يَقبل من الإخوان والسُّلطان جميعاً، والثالث يأخُذ من الإخوان ويُكافئ عليه، ولا يأخذ من السُّلطان، والرابع يأخذ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان.

فأما الذي لا يقبل من الإخوان ولا من السلطان فيوسف بن أَسْباط، وَرِث من أبيه سبعة آلاف دينار، أو سبعين ألف درهم، لم يأخذ منها درهماً واحداً، وكان يَسِفُّ الخُوصَ[2] ويأكل من ثمنه.

وأما الذي يأخذ من الإخوان ومن السلطان فأبو إسحاق الفزاري، فكان ما يأخذه من الإخوان يُنفِقُه في المَستورين الذين لا يَلْبَسون[3]، وما يأخذه من السلطان يُخْرِجُه إلى أهل طَرَسوس.

وأما الذي يأخذ من الإخوان ويُكافئ عليه فعبد الله بن المبارك، ولا يأخذ من السلطان.

وأما الذي يأخُذُ من السلطان ولا يأخذ من الإخوان فمَخْلَد بن الحسين، كان يقول: السُّلطان لا يَمُنُّ، والإخوان يَمُنُّون.

وسئل أبو علي عن السَّماع فقال: مُكاشَفَة الأسرار إلى مُشاهَدَة المَحْبوب، وقد بلَغْنا فيه إلى مكانٍ مثلِ حَدِّ السَّيف، إنْ مِلْنا كذا فإلى النار.

وقال: [من الخفيف]

(١) في (خ): بالتسوق، والمثبت من (ف م ١). وما يرد بين معكوفين من مناقب الأبرار ٢/ ٥٨ .
(٢) ينسج الحصير.
(٣) في مناقب الأبرار ٢/ ٥٩ : الذين لا يتحركون. فلعل كلمة يلبسون محرفة عن يكتسبون، والله أعلم.

بـك كِـتْـمـانُ وَجْـدِه بـك عـنـه ... لـك مـنـه وعـنـك مـالـك مـنـه
ومـتـى لاحَ لائـحٌ مَـغْـنَـوِيٌّ[(١)] ... هـام وَجْـداً عـلـيـك إنْ لـم تَـكُـنْـهُ
يا فَتى الحُبِّ بل فتى الحَقِّ سِرِّي ... فـيـك مُـسْـتَـودَعٌ لـديـكَ فَـصُـنْـهُ

وقال: أظْهَر الله الأسامي إلى الخَلْق ليَسْكُنَ بها شوقُ المحبِّين، وتأنَسَ بها قلوبُ العارفين.

وأنشد لنفسه يقول: [من الكامل]

إنَّ الـحـقـيـقـة[(٢)] غـيـرُ مـا تَـتَـوَهَّـمُ ... فـانْـظُـرْ لـنـفـسِـكَ أيَّ حـالٍ تَـعْـزِمُ
أتـكـون فـي الـقـوم الـذيـن تـأخَّـروا ... عـن حـقِّـهـم أم فـي الـذيـن تَـقَـدَّمـوا
لا تُـخْـدَعَـنْ فـتَـلُـومَ نـفـسَـك حـيـن لا ... يُـجْـدي عـلـيـك تـأسُّـفٌ وتَـنَـدُّمُ

وقال أيضاً: [من الطويل]

تَـشـاغَـلْـتُـمُ عـنِّـي فـكُـلِّـيَ أُنْـكِـرُ ... لأنَّـكُـمُ مـنِّـي بـمـا بـيَ أخْـبَـرُ
فـإن شـئـتُـمُ وَصْـلـي فـذاك أُريـدُه ... وإن شـئـتُـمُ هَـجْـري فـذلـك أُوْثِـرُ
ألـسـتُ أُرى أَهْـلاً لـحـالٍ يَـسُـرُّكُـمْ ... بـذلـك أزْهـو مـا حَـيِـيْـتُ وأَفْـخَـرُ[(٣)]

وقال أيضاً[(٤)]:

أَدْرِكْ بَـقِـيَّـةَ رُوحٍ فـيـكَ قـد تَـلِـفَـتْ ... قـبـل الـفِـراقِ فـهـذا آخِـرُ الـرَّمَـقِ
ولـو مَـضى الكلُّ منِّي لم يكن عَجَباً ... وإنَّما عَجَبي في البعض كيف بَقي[(٥)]

---

(١) في طبقات الصوفية ٣٥٩: من إذا لاح لائح لمشوق، وفي مناقب الأبرار ٢/ ٥٧، وطبقات الشافعية ٣/ ٥٢: من إذا لاح لائح مشرقي.

(٢) في (خ): الخليفة، وليس في (ف م ١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من مناقب الأبرار ٢/ ٥٨، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٥١.

(٣) من قوله: وقال: الخوف والرجاء كجناحي الطائر... إلى هنا ليس في (ف م ١). والأبيات في مناقب الأبرار ٢/ ٦٢، وطبقات الشافعية ٣/ ٥٢.

(٤) في (ف م ١): وذكر له الخطيب أبياتاً منها ما أنشده الخطيب عن أبي طالب يحيى الدسكري، والمثبت من (خ).

(٥) البيتان في تاريخ بغداد ٢/ ١٨٣، وعنه المنتظم ١٣/ ٣٤٥، وطبقات الشافعية ٣/ ٥٢ بتقديم ثانيهما على الأول.

ذكر وفاته:

توفي[١] بمصر في هذه السنة، وقيل: في سنة ثلاث وعشرين وثلاث مئة.

ولمَّا احتُضر كان رأسه في حِجْر زوجته أم أيمن عَزيزة، وقيل: فاطمة[٢]، ففتح عَينيه وقال: هذه أبواب السماء قد فُتِحَت، وهذه الجِنان قد زُخْرِفَت وزُيِّنَت، وهذا قائل يقول: يا أبا علي، قد بَلَّغناك المَرْتبةَ القُصوى وإن لم تسألها، وأعطيناك دَرجةَ الأكابر وإن لم تَطْلُبها.

أسند أبو علي الحديث، ومن إسناده إلى ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾[النحل: ٥٠] قال: مَخافَةَ الإجلال.

قال المصنِّف رحمه الله[٣]: وزوجته فاطمة هذه كانت تَخرُج في كلِّ سنة من مصر لتودِّع الحاجَّ، فإذا رأت الجِمال وهي تمرُّ بها تنشد: [من الطويل]

فقلتُ دَعوني واتِّباعي رِكابَكم ... أكن طَوْعَ أيديكم كما يَفْعَلُ العَبْدُ
وما بالُ زَعْمي لا يَهونُ عليهمُ ... وقد عَلِموا أنْ ليس لي منهم بُدُّ

ثم تقول: واضَعْفاه، هذه حَسْرَةُ مَن انقطع عن البيت، فكيف حَسْرَةُ مَن انقطع عن ربِّ البيت[٤].

---

(١) في (ف م ١): قال السلمي: توفي، والكلام ليس في طبقات الصوفية، والمثبت من (خ).

(٢) كذا في النسخ؟! وفي تاريخ بغداد ٢/ ١٨٠ أن أخته فاطمة بنت أحمد أم سلمة، وزوجته أم اليُمن عزيزة بنت محمد بن عمرو بن فارس.

وقد روى هذا الخبر القشيري في رسالته ٤٦٥، وابن خميس في مناقب الأبرار ٢/ ٥٩ وفيهما: أن رأس الروذباري كان في حجر أخته فاطمة، وكذا أورده السبكي في طبقات الشافعية ٣/ ٥٠.

(٣) في (ف م ١): قلت.

(٤) ذكر النسوة المتعبدات للسُّلَمي ٨٦ ونسبها إلى فاطمة أم اليُمن امرأة أبي علي الروذباري.

السنة الثالثة والعشرون وثلاث مئة[1]

فيها قلَّد الراضي ابنَيه الأميرَين أبا جعفر وأبا الفَضْل المشرق والمغرب، واستكتب لهما أبا الحسين علي بن محمد بن مُقْلَة، وخلع عليه، فاستخلف سعيد بن عمرو بن سنجلا، ونُفِّذَت الكتب إلى الحسن بن عبد الله بن حمدان وكان على الموصل والجزيرة وغيرها بذلك.

وفيها بلغ الوزير أبا علي بن مُقْلَة أنَّ ابن شَنَبُوذ يُغيِّر حُروفاً من القرآن، ويَقرأ بخلاف ما أُنْزِل، فاستَحْضَره في أول ربيع الآخر، واعتقَلَه، واستَحْضر عمر بنَ محمد القاضي، وأحمد بن موسى بن مُجاهد، وجماعةً من أهل القرآن، ونُوظِر، فأغلظ للوزير في الخطاب والقاضي وابنِ مجاهد، ونسبهم إلى الجهل، وأنَّهم ما سافروا في طلب العلم كما سافر، فأمر الوزير بضَرْبه، فنُصِبَ بين الهِنْبازَيْن، وضُرب سبْعَ دِرَرٍ، وهو يدعو على الوزير بأن تُقْطَعَ يدُه، ويُشتَّتَ شَمْلُه.

ثم أُوقِف على الحروف التي قيل إنَّه يقرأ، فأَنْدَر[2] منها ما كان شَنيعاً، وما سواه قال: قد قرأ به قومٌ، فاستتابوه، فتاب ورجع عن ما كان يَقرأ به، وأنَّه لا يقرأ إلا بما في مُصحف عثمان رضوان الله عليه وبالقراءة المشهورة، وكتب عليه الوزيرُ مَحْضَراً بما سمع من لَفْظه، وأخذ خطَّه عليه، وقيل للوزير: إن رجع إلى منزله نهاراً قتلَتْه العامة، وسأل أن يُبْعَد إلى المَدائن ليقيمَ بها أياماً، ثم يرجع منها إلى بغداد مُسْتَخفياً ولا يظهر، فأجابه.

وممَّا أُخذ عليه أنَّه كان يقرأ: «إذا نُودِي للصَّلاةِ من يوم الجمعة فامْضُوا إلى ذِكْرِ الله»، ومنها «وتجعلون [شُكْرَكم] أنَّكم تكذِّبون»، «وكان أمامَهم ملكٌ يَأخُذُ كلَّ سفينةٍ صالحةٍ غَصْبا»، «وتكون الجِبالُ كالصُّوفِ المَنْفُوش»، و«تَبَّتْ يَدا أبي لَهَبٍ وقد تَبَّ»، «فلمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الإنسُ أنَّ الجِنَّ لو كانوا يَعلَمون [الغَيْبَ] لَما لَبِثوا حَوْلاً في العَذابِ

(١) ليس في (ف م ١) من أخبار هذه السنة سوى خبر هبوب الريح، وغلاء السعر، وسنثبت منهما ما زاد على نص (خ) بين معكوفين دون إشارة.

(٢) أسقط، وفي تاريخ الإسلام ٧/ ٤١٥ : فأهدر، وفي المنتظم ١٣/ ٣٤٨ : فأنكر.

المُهِين»، «والليل إذا يَغْشَى والنَّهارِ إذا تَجَلَّى والذَّكَرِ والأُنْثى»[١]. وأشياءَ من هذا الجِنْس، فاعْتَرف بها، ويقال: إنَّه نُفِيَ إلى البَصْرة أو إلى الأهْواز، فماتَ بها[٢].

وفيها صَرَف الرَّاضي أئمَّةَ المساجد الجامعة؛ لأنَّه بلغه أنَّهم يَدْعون على المنابر لمحمد بن ياقوت بعده.

وفي شهر ربيع الآخر[٣] شَغَب الجُند، وصاروا إلى دار محمد بن ياقوت، وطَلبوا أرزاقَهم، فأغْلَظَ لهم، فغضبوا، وهَجَموا عليه ليقتلوه، فدافع عنه غِلمانُه، ودخل إلى دار الحُرَم، فجاء الوزير إليهم وسكَّنَهم، ثم عادوا في اليوم الثاني، وخرجوا إلى الصحراء، وعاوَنَهم العامةُ، فعَبَروا إلى الجانب الغربي، وفتحوا السُّجونَ والمُطْبِق[٤]، وحُبِس القاضي، وأخرجوا مَن كان بها، وعَظُمَت الفِتنة، ووقع القتال والنَّهْب، فنَهبوا جميعَ ما كان في دَكاكين الناس، وركب بدر الخَرْشَني ليُسَكِّنَهم، فرَمَوه بالنُّشَّاب، واتَّفقَت الحُجَرِيَّة والسَّاجيّة، وقصدوا دارَ الخليفة فمنعهم الحُجَّاب، فكاشفوا محمدَ بنَ ياقوت وقالوا: لا نرضى أن تكون رئيساً علينا، وكان قد أمر بإخراج رجاله من البلد، فلم يلتَفِتوا، وأحاطوا بدار الخليفة، وحَصَروها، وأقاموا أياماً على ذلك، ثم أرضاهم فسَكَنوا.

---

(١) الآيات وسورها على الترتيب: الجمعة: ٩، الواقعة: ٨٢، الكهف: ٧٩، القارعة: ٥، تبت: ١، سبأ: ١٤، الليل: ٣.

(٢) أخبار الراضي ٦٢-٦٣، وتكملة الطبري ٢٩١، والمنتظم ١٣/ ٣٤٨، وتاريخ بغداد ٢/ ١٠٣، وتاريخ دمشق ٦٠/ ١٢٠، ١٢٣، والمرشد الوجيز لأبي شامة ١٨٧-١٩٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٥، والسير ١٥/ ٢٦٤، ومعرفة القراء الكبار ٢/ ٥٥٠، وغيرها من الكتب التي ترجمت لابن شنبوذ.

قال الذهبي في تاريخ الإسلام: ولا ريب أنها ـ يعني الحروف ـ قد رُويت، ولم يخترعها الرجل من عنده، وكان إماماً في القراءة.

وقال أبو شامة في المرشد الوجيز ـ ونقله عنه الذهبي في السير وفي معرفة القراء الكبار: كان الرفقُ بابن شنبوذ أولى من إقامته مقام الدُّعَّار والمفسدين، وكان اعتقاله وإغلاظ القول له كافياً، وإن كان ليس بمُصيب فيما ذهب إليه، لكن خطأه في واقعة لا يُسقط حقَّه من حُرمة أهل القرآن والعلم.

(٣) في المنتظم ١٣/ ٣٤٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٦: وفي يوم السبت لثلاث عشرة خلت من ربيع الأول.

(٤) كذا ضبطها الزبيدي في شرح القاموس ـ كمُحْسِن ـ قال: هو سجن تحت الأرض، وضبطها دوزي في تكملة المعاجم ٧/ ٢٢ بتشديد الباء المفتوحة.

وفيها قَبض الرَّاضي على المُظَفَّر ومحمد ابنَي ياقوت، وحبسهما في دار الخليفة، وكان ابن مُقْلَة قَلِقاً من غَلَبَة محمد بن ياقوت على تدبير الأمر واستيلائه على الدَّواوين، فأخذ في الحيلة عليه سِرًّا، فتمَّ له ذلك، ولمَّا كان يوم الإثنين لستٍّ خَلَون من جمادى الأولى ركب القُوَّادُ إلى دار السُّلطان على رَسْمهم في أيام المَواكب، وحضر الوزيرُ على عادته، وحضر محمد بن ياقوت وكاتبُه أبو إسحاق القَرارِيْطيّ، وجلسوا في الصَّحْن التّسْعيني، فخرج بعضُ الخدم فقال لمحمد بن ياقوت: الخليفةُ يطلبُك. فقام مُبادراً ودخل، فعَدَلوا به إلى حُجْرة في الدِّهْليز، فاعتقلوه بها، وأخذوا سيفَه ومِنْطَقَتَه، وفعلوا بالقَراريطي والمُظَفَّر بن ياقوت كذلك، وجلس عند أخيه.

ورتَّب الوزير الغِلْمان الحُجَرِيّة والسَّاجِيّة في دار السُّلطان لَيحفظوها، وبعث بمُفْلِح الخادم الأسود إلى دار محمد بن ياقوت ليحفظها، ونُهِبَت دورُ القراريطي وأصحابِ ابن ياقوت.

وقلَّد الرَّاضي حُجْبَتَه مكان ابنِ ياقوت أبا فَهْم مولى الراضي، وأخذ الوزيرُ خطَّ القراريطي بخمس مئة ألف دينار، واستقامت الأمورُ لابن مُقْلَة في الأمر والنَّهي، والوِلاية والعَزْل من غير مُنازع.

وفيها شَغَب الجُنْدُ على ابن مُقْلَة، ونَهبوا دارَه، فأرضاهم بمالٍ، فسَكَنوا.

وفي جُمادى الأولى جَرت فتنةٌ عظيمة ببغداد من البَرْبَهاري الحَنْبَلي وأصحابه، فأمر الراضي بدراً الخرشني أن يركبَ ويُنادي في جانبي بغداد: أن لا يجتمع أحدٌ من أصحاب البَرْبهاري، واستتر [البَرْبَهاري]، وكتب الراضي كتاباً إلى الحنابلة أغلظ لهم فيه[١].

وفي هذا الشهر هَبَّت ببغداد ريحٌ عظيمةٌ[٢]، واسْوَدَّت الدنيا وأظْلَمت من العصر إلى المغرب، وجاءت رُعودٌ عظيمةٌ، وبُروق هائلة.

وفي جُمادى الآخرة شَغَب الجُندُ بالمطالبة بالأرزاق، وصاروا إلى دار ابن مُقْلَة وابنه، ونَقَبوا الدَّار، ورَماهم الغِلمان بالنُّشَّاب، ودخلوا الدار ومَلَكوها، وخرج ابن

(١) أخبار الراضي ٦٥، وتكملة الطبري ٢٩٤، والمنتظم ١٣/ ٣٤٩، والكامل ٨/ ٣٠٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٦ وما بين معكوفين منها.

(٢) في (ف م ١): وفيها في جمادى الآخرة هبت ببغداد ريح وأرياح عظيمة. والمثبت من (خ)، وانظر المنتظم ١٣/ ٣٤٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٧.

مُقْلَة وولدُه منها إلى الجانب [الغربي]، وركب السَّاجِيَّةُ، ورَفَقوا بالجُند، وراسلوهم، فانصرفوا، وعاد الوزير [وابنه] إلى منازلهما، ونُودي في أصحاب ابن ياقوت وغلمانه وأسبابه: لا يُقيمُ أحدٌ منهم ببغداد؛ لأنَّ ابن مُقْلَة اتَّهَمهم بذلك[1].

وفي رجب قُبِض على العباس بن المقتدر من داره بالرُّصافَة، وحُمِل إلى دار الخليفة، وطُلب أخوه عبد الواحد فلم يُظْفَر به؛ لسَعْيٍ وقع لهما في الخلافة.

وفيها وصل أبو العباس الخَصِيبي من البحر مُسْتَتِراً لمَّا أفلت من عُمَان، وعلم ابنُ مُقْلَة، فكَبَسَ عدَّة مواضع، فلم يَظْفَر به، فأمسك عن طَلَبه.

وفيها هدم ابنُ مُقْلَة مَنازلَ أبي الفَرَج محمد بن جعفر بن حَفْص، وسببُه أنَّ ابنَه أبا جعفر كتبَ رُقْعَةً إلى الرَّاضي يَطلبُ الوزارة على يد مُفْلح الخادم، فبعث الرَّاضي بالرُّقْعَة إلى ابن مُقْلَة، وحَبَس الخادم، فهدم ابن مُقْلَة مَنازلَ ابن حفص ودورَ أهله، وقطع شجرَ بساتينهم، وواصل الكَبْسات في طَلَب أبي جعفر والخَصيبي، فلم يَظْفَر بهما.

ذكر قصة سعيد بن حَمْدان:

كان قد ضَمِن المَوْصِلَ وديارَ ربيعة سِرًّا من ابن أخيه الحسن بن عبد الله بن حَمْدان، وخُلِع عليه ببغداد، وكان ابن أخيه ضامِناً للبلاد، فخرج أبو العلاء سعيد في صورة مَن يُساعد ابنَ أخيه في تَخْليص الضَّمان في خمسين فارساً من غلمانه، فدخل الموصل، وعرف ابن أخيه خبرَ مُوافاته، فخرج نحوه مُظْهِراً لتَلَقِّيه، واعتمد أن يُخالِفَه في الطريق.

ومضى أبو العلاء إلى دار ابن أخيه فنزلها، وسأل عنه فقيل: خرج للقائك، فجلس ينتظره، ولمَّا علم الحسن بأنَّ عمَّه في داره وَجَّه غِلمانَه، فقبضوا عليه وقَيَّدوه، فلمَّا كان ليلة نصف رجب وجَّه غلمانه إلى عمِّه فقتلوه، ولم يَجتمعا، وحُمل إلى الحُسَيْنية فدُفِن بها.

وعلم الرَّاضي فأنكر ذلك إنكاراً عظيماً، وتقدَّم إلى أبي علي بن مُقْلَة بالخروج إلى الموصل والإيقاع بالحسن، فخرج في السَّاجِيَّة والحُجَرِيّة وجميعِ الجيش، وشَيَّعه أربابُ الدولة وابنُه أبو الحسين، واسْتَخْلَفَه مَوْضِعَه.

---

(١) ما بين معكوفين من الكامل ٨/ ٣١٢ ، وانظر المنتظم ١٣/ ٣٤٩ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٧ .

وكان ابن مُقْلَة قد سعى في مُصادَرَة علي بن عيسى على خمسين ألف دينار بكتاب افْتَعَلَه إلى الحسن بن عبد الله بن حَمْدان عن الرَّاضي، مَضْمونُه: أن لا يفرج عن ضَمانه، ولا يحمل من ماله شيئاً إلى الحَضْرة، وأن يمنع مَن يحمل المِيْرَة إلى بغداد.

فلمَّا اتَّفق تسيير ابن مُقْلَة إلى الموصل؛ أُطْلِق علي بن عيسى من المَوْصِل [إلى منزله بعد أداء المال، وانحدر إلى ضيعته بالصَّافِيَة، و] خرج[١] منها الحسن يوم الأربعاء لستٍّ بقين من شعبان، فتبعه ابن مُقْلَة، فصَعِد جبلَ التِّنِّين، ودخل بلد الزَّوْزان، فعاد ابنُ مُقْلَة إلى المَوْصل، وأقام يَسْتَخرج الأموالَ، ويَسْتَسلِفُ من التُّجّار مالاً على أن يُطلِقَ لهم من غلاَّت البلد، فاجتمع له أربعُ مئة ألف دينار.

ولمَّا طال مُقامُه بالمَوْصل احتال سَهْلُ بن هاشم كاتبُ الحسن، وكان مُقيماً ببغداد، فبذل لأبي الحسين بن الوزير عشرةَ آلاف دينار حتى يكتب لأبيه بأنَّ الأمور بالحَضْرَة قد اضطربت، وأنَّه متى تأخَّر لم تُؤمَن حادثةٌ يَبْطُل بها التَّدبير، فانزعج الوزيرُ وقلَّد المُعاوِن بها ماكرد الدَّيْلَمي من السَّاجِيَّة[٢]، وانصرف إلى الحَضْرة، فدخل بغداد مُسْتَهَلَّ ذي القعدة، وخرج الأميرُ أبو الفضل [مُتَلقّياً]، ولقي الوزيرُ الرَّاضي، فرحَّبَ به، ومضى إلى منزله، وكان قد كتب إلى ابنه أبي الحسين بأن يكتب كتاباً إلى علي بن عيسى يُطيِّبُ قلبَه فيه، ويَعِدُه وَعْداً جميلاً، ويُخيِّرُه بين الانصراف إلى منزله بمدينة السَّلام أو المُقام بالصَّافِيَة، فكتب إليه فقال: أختارُ المُقامَ بالصَّافِيَة.

وكان السَّبب في ذلك ابن مُقْلَة؛ لمَّا وَصل إلى المَوْصِل كتب إلى الحسن بن عبد الله ابن حَمْدان كتاباً يُطيِّبُ فيه قلبه، ويَعِدُه فيه بالخير، ويؤمِّنُه إن عاد إلى الطَّاعة، فقال

---

(١) ما بين معكوفين من أخبار الراضي ٦٦-٦٧ ، وانظر تكملة الطبري ٢٩٥ ، والكامل ٨/ ٣٠٩-٣١٠ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٧ .

(٢) في تكملة الطبري ٢٩٥ ، والكامل ٨/ ٣١٠ : واستعمل على الموصل علي بن خلف بن طياب وماكرد الديلمي وهو من الساجية، وفي أخبار الراضي ٦٨ : وخلف بالموصل علي بن خلف بن طياب على الخراج، ويانساً المؤنسي على الحرب.

الحسن للرسول: ليس بيني وبين هذا الرجل حديثٌ، ولا أقبل ضَمانَه؛ لأنَّه لا عَهْدَ له ولا وَفاءَ ولا ذِمَّةَ، ولا أقبل منه شيئاً، اللهمَّ إلا أن يَتوسَّطَ أبو الحسن علي بن عيسى بينه وبيني، ويَضمنَ لي عنه؛ فإنَّني أسكنُ إلى ذلك وأقبَلُه.

وفي رمضان بلغ ابن مُقْلَة أنَّ في بعض الدُّور المُلاصِقَة للزَّاهِر رجلاً[1] يأخذ البيعةَ على الناس لإنسانٍ لا يُعرَف، ويَبذلُ لهم الرِّزق والصِّلَة، ويُعطيهم خواتيمَ، فاحتال ابن مُقْلَة عليه، وبعث رجلاً يقال له: أبو محمد الشّكري[2]، فاجتمع به، وأخذ البَيْعةَ عليه لجعفر بن المُكْتَفي، وذكر أنَّ جماعةً من القوَّاد قد أجابوه منهم يانس المؤنسي وفلان وفلان، واجتمع ابن مُقْلَة بالرَّاضي وأخبره، فقبض على الرَّجل، وعلى جعفر بن المُكْتفي، وحَبَسه، واستحى من يانس أن يَقبض عليه، فولَّاه قِنَّسرين والعَواصم، فخرج إليها، ونَهب مَنزل جعفر بن المكتفي.

وفي شوال بعث الرَّاضي للوزير ابن مُقْلَة خِلْعَةً وهديّة، وطيباً وشراباً، وأمره بالتَّخلِّي للشّرب، ففعل ذلك.

وفيها عاد الحسن بن حَمْدان إلى المَوْصل، وطرد عنها ماكرد الدَّيْلَمي بعد أن التقيا، فكانت الدَّبَرَة أولاً على الحسن، ثم التقيا على باب الرُّوم بنَصِيبين، فهزمه ابنُ حَمْدان، فهرب إلى الرَّقَّة، ونزل منها إلى بغداد، وكتب الحسن إلى بغداد يَسأل الصَّفْحَ عنه، وأنَّه يعود إلى الضَّمان، فأُجيب إلى ذلك.

وخرج الناس يحجُّون ومعهم لؤلؤ غلام المُتَهَشِّم يُبَذْرِقُهم، فاعترضه أبو طاهر سَحَر يوم الأربعاء لاثنتي عشرة ليلة خلت من ذي القعدة، فانهزم لؤلؤ وبه ضَرباتٌ كثيرة، وقتل أبو طاهر الحاجَّ، وسَبى منهم شيئاً كثيراً، والتجأ الباقون إلى القادسية، ثم تسلَّلوا إلى الكوفة وبغداد، وبطل الحجُّ في هذه السنة.

---

(١) في (خ): للزاهر بن جلاء، وهو تحريف، وانظر تكملة الطبري ٢٩٥، والمنتظم ١٣/ ٣٤٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٧.

(٢) كذا ولم أعرفه.

وفي ليلة الأربعاء المذكورة بعينها انْقَضَّت النُّجوم من أول الليل إلى أن أسْفَر الصُّبح انقضاضاً مُسْرِفاً جدًّا لم يُعْهَد مثلُه ولا ما يقاربه.

وفي ليلة الجمعة لثلاث عشرة خلت من ذي الحجة مات أبو بكر محمد بن ياقوت في الحَبْس في دار الخليفة، وأُحضِر القاضيان أبو الحسين وأبو الحسن محمد بن صالح والشُّهود، وأُخرج محمد بن ياقوت، ففَتَّشوه فلم يَرَوْا به أَثَراً، فعلموا أنَّه مات حتْفَ أنفِه، ثم سُلِّم إلى أهله فكفَّنوه ودفنوه، وباع الوزيرُ ابن مُقْلَةَ أملاكَه وضِياعَه.

وفيها غَلا السِّعرُ ببغداد، فبيع الكُرُّ [من الحِنْطَة] بمئة وعشرين ديناراً[1]، والشعيرُ بتسعين ديناراً، وأقام الناس أياماً لا يَجدون القمح، فأكلوا خُبزَ الذُّرَة والدُّخْن والعَدَس.

وفيها قدم غلمان مَرْداويج الدَّيْلَمي إلى بغداد وفيهم بَجْكَم، فاضطربت الحُجَرِيّة لذلك، وظنُّوا أنَّها حِيلةٌ عليهم، فاجتمعوا إلى الوزير، وسألوه أن يُرضِيَهم ويَرُدَّهم، فاستدعى جماعةً منهم، وعرض عليهم أن يَنضَمُّوا إلى محمد بن علي غُلام الرَّاشدي، ويُقلِّدَه الجَبَل، ويُطلَق لهم مالٌ مقدارُه أربعة عشر ألف دينار برَسْم نفقاتهم، فعرَّفوا أصحابَهم فلم يَقْنَعوا.

وكان خبرُهم قد اتَّصل بأبي بكر محمد بن رائق وهو بواسط يتقلَّد أعمالَ المعاون والبصرة[2]، فكاتبَهم، ووَعدهم الإحسان، فمضَوا إليه، فقَبِلَهم وأحسنَ إليهم، وزاد في أرزاقهم، ورأَّس عليهم بَجْكَم التُّركيّ، ورفع منه، ومَوَّلَه، وأحسن إليه وأفرط في ذلك، وأمرهم بأن يكاتبوا كلَّ مَن في الجَبَل من الأتراك والدَّيْلَم وغيرَهم بأن يَصيروا إليه، ففعلوا، فصار عنده منهم عدَّةٌ وافِرة، فأثْبَتَهم، وضمَّهم إلى بَجْكَم.

وفيها كتب محمد بن رائق إلى الرَّاضي أن يُضمِّنَه أعمالَ الخَراج بواسِط والبصرة، وكان أبو يوسف البَريدي قد ضَمِنَها من ابن مُقْلَة، وكان ابن رائق على المعاون، وكان

---

(١) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٢٩٦، وانظر المنتظم ١٣/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٨، والكر: مكيال لأهل العراق.

(٢) في تكملة الطبري ٢٩٦: وهو يتقلد أعمال المعاون بواسط والبصرة، وانظر الكامل ٨/ ٣٠٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٨.

محمد وأحمد ابنا علي بن مُقاتل قد انحدرا إلى ابن رائق واعتصما به؛ لعِظَم ما نالهما من المُصادرات من وزراء بغداد، فقَبِلَهما أحسنَ قَبول، وغَلبا عليه، فأشارا عليه بضَمان هذه الأماكن، فبعث الحُسينَ بن علي إلى ابن مُقْلَة في ذلك، وقدَّم ثلاثين ألف دينار، فضمَّن ابن مُقْلَة الحسينَ بن علي، فرجع إلى ابن رائق، ومضى أبو يوسف البريدي إلى الأهواز، وأراد ابنُ رائق القبضَ عليه فلم يقدر.

[فصل]: وفيها توفي

إبراهيم بن حَمَّاد

ابن إسحاق بن إسماعيل بن حَمَّاد بن زيد، أبو إسحاق، الأزْديّ(١).

ولد في رجب سنة أربعين ومئتين، وسمع خَلْقاً كثيراً، وكان فاضلاً، زاهداً، عابداً.

[وحكى الخطيب قال: قال لنا أبو الحسن الجرَّاحي:](٢) ما أتيتُ إبراهيم بن حَمَّادٍ قطُّ إلا وجدتُه قائماً يصلِّي، أو جالساً يقرأ.

وكانت وفاتُه ببغداد في صفر.

حدث عن الحسن بن عرفة وغيره، وقال [أبو بكر النيسابوري]: ما رأيتُ أعبَدَ منه(٣).

[وفيها توفي]

إبراهيم بن محمد

ابن عَرَفة بن سُليمان بن المُغيرة بن حَبيب بن المُهَلَّب بن أبي صُفْرَة، أبو عبد الله، الأَزْدي، العَتَكي، الواسِطي، النَّحوي، ويُعرَف بنِفْطَوَيْه(٤).

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٥٧٠، والمنتظم ١٣/ ٣٥٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٧٢، والسير ١٥/ ٣٥.

(٢) في (خ): وقال القاضي أبو الحسن الكرخي، والمثبت من (ف م ١) ومصادر ترجمته.

(٣) ما بين معكوفين من مصادر ترجمته.

(٤) تكملة الطبري ٢٩٠، وتاريخ بغداد ٧/ ٩٣، والمنتظم ١٣/ ٣٥٠، ومعجم الأدباء ١/ ٢٥٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٧٢، والسير ١٥/ ٧٥ وفي حواشيه مصادر أخرى.

ولد بواسط سنة أربعين [ومئتين، وقال ثابت بن سنان:] سنة خمسين ومئتين[١]، وقرأ النحو والأدب، وبرع في العلوم، وسكن بغداد، وله التَّصانيفُ الحِسان، والشِّعرُ الجيِّد[٢]، فمنه[٣]: [من الطويل]

أحبُّ من الإخوان كُلَّ مُواتي ... وكلَّ غَضِيضِ الطَّرْفِ عن عَثَراتي
يُطاوِعُني في كلِّ أمرٍ أُريدُه ... ويَحْفَظُني حيًّا وبعد وَفاتي
ومَن لي به يا ليتني قد أَصَبْتُه ... أُقاسِمُهُ رُوحي ومن حَسَناتي

وله[٤]: [من البسيط]

أستغفرُ الله ممَّا يعلمُ الله ... إنَّ الشَّقيَّ لمَن لا يَرْحَمُ الله
هَبْهُ تَجاوَزَ لي عن كلِّ مَظْلَمَةٍ ... واسَوْأتا من حَيائي يومَ ألقاه

وله[٥]: [من البسيط]

أهْوى المِلاحَ وأهوى أن أُجالِسَهم ... وليس لي في حَرامٍ منهمُ وَطَرُ
كم قد خَلَوتُ بمَن أهوى فيَمْنَعُني ... منه الحَياءُ وخوفُ الله والحَذَرُ
كم قد خَلَوْتُ به يوماً فتُقْنِعُني ... منه الفُكاهَةُ والتَّحْديثُ والنَّظَرُ
كذلك الحُبُّ لا إتيانُ مَعْصِيةٍ ... لا خيرَ في لَذَّةٍ من بعدها سَقَرُ

وقال الخرائطي: أنشدني سَلامة بن عَبَّاد قال: أنشدني نفطويه: [من مجزوء الكامل]

إنَّ المَرائي[٦] لا تُريْـ ... ـكَ خُدُوْشَ وجهكَ معْ صَداها
وكذاك نفسُك لا تُريـْ ... ـكَ عُيوبَ نفسكَ معْ هواها

(١) في (خ): سنة أربعين، وقيل سنة خمسين ومئتين، والمثبت من (ف م ١).
(٢) في (ف م ١): المليح.
(٣) بعدها في (ف م ١): قال الخطيب بإسناده عن إبراهيم بن محمد بن عرفة هذه الأبيات، والمثبت من (خ)، والأبيات في تاريخ بغداد ٥/ ٤١١ وعنه في المنتظم ١٣/ ٣٥١.
(٤) في (ف م ١): وأنشد له الخطيب أيضاً، والمثبت من (خ)، والبيتان في تاريخ بغداد ٧/ ٩٥.
(٥) في (ف م ١): وأنشد له الخطيب أيضاً، والمثبت من (خ)، والأبيات في تاريخ بغداد ٧/ ٩٦ ومصادر ترجمته.
(٦) جمع مرآة، وفي (خ): المراة، وليست في (ف م ١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من اعتلال القلوب للخرائطي ٦٨.

وكان نفطويه يتكلَّم بالنحو دائماً، قال أبو بكر بن شاذان: بكَّر إبراهيم يوماً إلى دَرْب الرَّوَّاسِين، فلم يعرف المَوْضع، فتقدَّم إلى رجلٍ يَبيع البَقْل فقال: أيُّها الشيخ، كيف الطَّريقُ إلى دَرْب الرَّوَّاسين؟ فالتفت الشيخ إلى جارٍ له فقال: يا فلان، ألا ترى إلى الغلام فعل الله به وصَنع، فقد احتبس عليَّ، فقال: وما الذي تُريدُ منه؟ قال: يجيئُني بباقَةِ سِلْقٍ حتى أصْفَع بها هذا الماصَّ بَظْرَ أُمِّه، قال نِفطويه: فانصرفتُ من غير أن أجيبَه بشيء[1].

ذكر وفاته:

[حكى الخطيب عن أحمد بن كامل القاضي قال:] مات [نفطويه] يوم الأربعاء لستٍّ خَلَون من صفر، ودُفن يوم الخميس في مَقابر باب الكوفة، وصلَّى عليه البَرْبَهاري الحَنْبَليّ، وكان يَخضِبُ بالوَسْمَة، ومات عن ثلاثٍ وثمانين سنة.

حدَّث عن إسحاق بن وهب وغيره، وروى عنه المُعَافى بن زكريا وغيره، وكان صدوقاً ثقةً صالحاً.

[وفيها توفي]

أحمد بن جعفر

ابن موسى بن يحيى بن خالد بن بَرْمك، أبو الحسن، النَّديم، ويعرف بجَحْظَة[2].

ولد في شعبان سنة أربع وعشرين ومئتين، وكان حسن الأدب، كثيرَ الرواية للأخبار والأشعار، متصرِّفاً في فنون العلوم، عارفاً بصناعة الشِّعر والنجوم، حاذِقاً باللغة والنحو.

[قال الخطيب:] وأما في صنعة الغِناء فلم يلحَقْه أحدٌ في زمانه[3].

(١) من قوله: وقال الخرائطي... إلى هنا ليس في (ف م ١)، والخبر في تاريخ بغداد ٧/ ٩٦.

(٢) بعدها في (ف م ١): والجاحظ الثاني المعلسن (كذا؟)، وانظر ترجمة جحظة في: تاريخ بغداد ٥/ ١٠٥، والمنتظم ١٣/ ٣٥٩، ومعجم الأدباء ٢/ ٢٤١، والكامل ٨/ ٣٢٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٨٥، والسير ١٥/ ٢٢١.

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١٠٦.

ومن شعره[١]: [من الطويل]

لنا صاحبٌ من أَبْرَعِ الناسِ في البُخْل ... وأفْضَلِهم فيه وليس بذي فَضْلِ
دَعاني كما يَدعو الصَّديقُ صَديقَه ... فجئتُ كما يأتي إلى مِثلِه مثلي
فلمَّا جَلَسْنا للغَداء رأيتُه ... يرى أنَّما من بعض أعضائه أكلي
ويَغْتاظُ أحياناً ويَشْتُمُ عبدَه ... وأعلم أنَّ الغَيْظَ والشَّتْمَ من أجلي
أَمُدُّ يدي سرًّا لآكلَ لُقمةً ... فيَلْحَظُني شَزْراً فأعبَثُ بالبَقْلِ
إلى أن جَنَتْ كفِّي لحَيْني جِنايةً ... وذلك أنَّ الجوعَ أَعْدَمَني عقلي
فأهْوَت يميني نحو رِجْلِ دجاجةٍ ... فجُرَّتْ كما جَرَّت يدي رِجْلَها رجلي

وقال[٢]: [من الكامل]

قُلْ للَّذين تَحصَّنُوا عن راغِبٍ ... بمَنازلٍ من دونها حُجَّابُ
إن حال دون[٣] لقائكم بوَّابُكم ... فالله ليس لبابه بَوَّابُ

وقال أيضاً: [من السريع]

قد نادَتِ الدُّنيا على نفسها ... لو كان في العالَم مَن يَسمَعُ
كم واثقٍ بالعُمْرِ وارَيْتُهُ ... وجامِعٍ بَدَّدْتُ ما يَجمَعُ

وقال أيضاً: [من الطويل]

رَحَلْتُم فكم من أَنَّةٍ بعد أَنَّةٍ ... مُبَيِّنَةٍ للناس حُزْني عليكمُ
وقد كنتُ أعْتَقْتُ الجُفونَ من البُكا ... وقد رَدَّها في الرِّقِّ شَوقي إليكمُ

وكان بين جَحْظة وبين ابن مُقْلَة صداقةٌ قبل أن يُستوزَر، فلمَّا استُوزِرَ استأذَن عليه جَحْظة فلم يأذن له، فكتب إليه: [من البسيط]

قُل للوزير أدام الله دَوْلَتَه ... اذْكُرْ مُنادَمَتي والخُبْزُ خُشْكَارُ
إذ ليس بالباب بِرْذَونٌ لنَوْبَته ... ولا حمارٌ ولا في الشَّطِّ طَيَّارُ[٤]

---

(١) جاء في (ف م ١) بدل قوله: ومن شعره؛ ما نصه: وذكره أبو الفرج الأصبهاني، وذكر من أشعاره هذه الأبيات في بعض من هذه صفته، والخبر في المنتظم ١٣/ ٣٦١ من طريق أبي الفرج الأصبهاني.

(٢) من هنا إلى خبر وفاته ليس في (ف م ١).

(٣) في (خ): دونكم، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ بغداد ٥/ ١١٠، وعنه المنتظم ١٣/ ٣٦١.

(٤) المنتظم ١٣/ ٣٩٥، والخشكار: الخبز الأسمر غيرالنقي، فارسي معرب. المعجم الوسيط.

وكتب له ابنُ مُقْلَة بصِلَةٍ، فمَطَلَه الجِهْبِذ، فكتب إليه: [من الوافر]

إذا كانت صِلاتُكُم رِقاعاً … تُخَطَّطُ بالأنامِلِ في الأَكُفِّ
ولم تُجْدِ الرِّقاعُ عليَّ نَفْعاً … فها خَطِّي خُذوه بألفِ ألفِ

وقال جَحْظَة: أَضَقْتُ إضاقةً شديدةً، حتى لم يبْقَ في داري غيرُ البَواري، وكان جاري ابنَ أبي عَبَّاد الكاتب، وقد ترك الخدمة ولَزِم بيتَه لِنِقْرِسٍ أصابه، وكان يُحمَل في مِحَفَّة، وكان كبيرَ النَّفْس، عالي الهِمَّة، واسِعَ النِّعمة، فكتبتُ إليه: [من المجتث]

ماذا تَرَى في جُدَيٍّ … وفي غَضارٍ بَوارِدْ
ومُسْمِعٍ ليس يُخطي … من نَسْلِ يحيى بن خالد

فلم أشعُر به إلا وهو في المِحَفَّة على رؤوس الناس، فقمتُ إليه وقلتُ: ما الذي جاء بك؟ قال: أنت، قلت: إنَّما قلتُ لك: ماذا ترى؟ فو الله إنَّ بيتي لأَفْرَغُ من فؤاد أمِّ موسى، فقال: قد جئتُ، كان يمكن ولا يمكن رجوعي[1]، ودخل فلم يَرَ في بيته شيئاً، فقال: يا أبا الحسن، هذا والله الفقرُ.

ثم أرسل إلى داره، فاستدعى أطعمةً وأشربةً وآنيةً وقماشاً وفُرُشاً، وبات عندي، فلمَّا أصبح جاؤوه بالمِحَفَّة، فقال: يا أبا الحسن، احتفظ بما حُمِل إليك، وقف مكانك فالكلُّ لك، فحسبتُه فكان بألوف الدَّنانير.

[توفي جحظة في هذه السنة،] وقيل[2]: إنَّ جحظة مات في سنة أربعٍ وعشرين وثلاث مئة ببغداد[3]، وحمل تابوتُه إلى واسط.

محمد بن إبراهيم بن عَبْدَويه

أبو عبد الله، الهُذَليّ، من ولد عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، نَيْسابوري[4].

---

(١) كذا في (خ)، وليس في (ف م ١) لاختصار أشير إليه قريباً، وفي الفرج بعد الشدة ٢/ ٣٦٦، وتاريخ بغداد ٥/ ١٠٨، والمنتظم ١٣/ ٣٦١، ومعجم الأدباء ٢/ ٢٥٩: قد جئت الآن ولا أرجع، ولكن أدخل إليك وأستدعي من داري ما أريد، قلت ذاك إليك.

(٢) ما بين معكوفين من (ف م ١).

(٣) وكذا ذكر مترجموه، وذكروا قولاً آخر: أنه توفي سنة (٣٢٦هـ).

(٤) تاريخ دمشق ٦٠/ ٣٣٣، والكامل ٨/ ٣١٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٨١. وهذه الترجمة ليست في (ف م ١).

رحل في طلب العلم، وصنَّف الكتب، وكان فاضلاً.

خرج حاجًّا، فأصابتْهُ جِراحةٌ في نَوْبَة القِرْمِطيّ، فرُدَّ إلى الكوفة فمات بها.

حدَّث عن أبي الحسن بن جَوْصا وغيره، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة.

[وفيها توفيت]

فاطمة النَّيسابورية

[العابدة]، الزَّاهدة، [لها الكلام المَليح.

حكى أبو عبد الرحمن السُّلَميّ، عن محمد بن مِقْسَم قال:] قيل(١) لذي النُّون المِصري: مَن أجلُّ مَن رأيتَ؟ قال: [أجلُّ مَن رأيتُ] امرأةً بمكة يقال لها: فاطمة النَّيْسابورية، كانت تتكلَّم في فَهْم القرآن ونتعَجَّب منها.

[قال ذو النون:] وكانت وليَّةً من أولياء الله، وهي أستاذتي، سمعتُها تقول: مَن لم يكن الله منه على بال؛ فإنَّه يَتخطَّى في كل مَيدان، ويتكلَّمُ بكلِّ لسان، ومَن كان الله منه على بالٍ أَخْرَسَه إلا عن الصِّدق، وألزَمَه الحَياءَ منه والإخلاصَ.

قال: وقالت: مَن عَمل لله على المُشاهَدة فهو عارفٌ، ومَن عمل على مُشاهَدة الله إياه فهو مُخْلِص، وقال السُّلَميّ: كانت فاطمة من قُدَماء [نساء] خُراسان، أتى إليها أبو يزيد البِسْطامي فزارها، وكان ذو النُّون يسألها عن مسائل، وكانت مُجاوِرَةً بمكة، وتأتي إلى القُدس ثم تعود إلى مكة.

وقال أبو يزيد البِسْطامي: ما رأيتُ في عمري مثلَها، ما سألتُها عن مَقامٍ من المَقامات إلا وكان عندها منه خَبَرٌ؛ كأنَّها تُعاينُه.

خرجت فاطمة من مكة لتعتمر، فتُوفِّيَت في طريق العُمرة [رحمها الله.

---

(١) في (خ): الزاهدة، قال محمد بن مقسم قيل، والمثبت من (ف م ١)، وانظر ترجمتها في ذكر النسوة المتعبدات للسلمي ٦١، وصفوة الصفوة ٤/ ١٢٣.

هذا وقد تأخرت ترجمة فاطمة في (ف م ١) إلى ما بعد ترجمة ابن بلبل الآتية.

وفيها توفي]

محمد بن عبد الله

ابن عبد الرحمن بن زياد بن يزيد بن هارون، أبو عبد الله، الزَّعْفَراني، ويُعرَف بابن بُلْبُل(١).

كان صالحاً ثِقةً، [روى عنه الخطيب أنه] قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام سنة نيِّفٍ وتسعين ومئتين، وفي رأسه ولحيته بَياضٌ [كثير، فقلتُ: يا رسول الله، بلَغَنا أنَّه لم يكن في رأسك ولحيتك بياضٌ كثير] إلا شَعَراتٍ بيض؟! فقال: «ذلك لدخول [سنة] ثلاث مئة».

حدَّث عنه الدَّارقُطني، وكان صَدوقاً ثِقةً.

موسى بن العباس بن محمد

أبو(٢) عِمران، النَّيسابوري، الحافظ.

رحل إلى الأمصار، وسمع الحديث، وصنَّف «الصَّحيح» على ترتيب مُسلم، ورجع فتوفِّي بجُوَيْن.

سمع عباس بن الوليد وغيره، وروى عنه الحسن بن سفيان وهو أكبر منه وغيره، وكان ثقةً.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٤٦٦، والمنتظم ١٣/ ٣٥٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٨٢، والسير ١٥/ ٢٣٤.

(٢) في (خ): بن، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ دمشق ١٧/ ٢٨١ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٨٤، والسير ١٥/ ٢٣٥، وهذه الترجمة ليست في (ف م ١).

السنة الرابعة والعشرون وثلاث مئة

فيها توفي الأمير هارون بن المقتدر في ربيع الأول، واغتمَّ عليه أخوه الرَّاضي غمًّا شديداً، وأمر بنفي بُخْتَيْشوع بن يحيى المُتَطَبِّب من بغداد؛ لأنَّه اتَّهمه به بتَعَمُّد الخطأ في تدبير مرضه، فأُخرج إلى الأنبار، ثم شَفعَت فيه والدة الراضي، فعفى عنه، وأمر بردِّه إلى منزله فرُدَّ.

وفي يوم الجمعة سَلْخ ربيع الأول أُطلق المُظَفَّر بن ياقوت من حبسه من دار السلطان بمسألة الوزير أبي علي بن مُقْلَة فيه، وحلف المظفَّر للوزير على الوَلاء والمُصافاة، وأن لا يَسعى له في مَكروه.

وكان ابن مُقْلَة قد طلب منه أن يَحلف له بمَحْضَر من القُضاة والشُّهود والغلمان الحُجَريّة والسَّاجِية، فمضى القاضي أبو الحسين إلى دار المظفَّر، واستحضر الحُجَرية، فكانوا يَحلفون وهم يتضاحكون ويَسْخَرون من القاضي والشهود، فعلم القاضي أنَّ الأمر لا يَتمُّ، وأنَّهم سيغدرون بابن مُقْلَة.

وفيها قلَّد ابن مُقْلَة أبا بكر محمد بن طُغْج أعمال المعاون بمصر مُضافاً إلى ما كان بيده من أعمال الشام، وأوصل إلى الرَّاضي القُضاةَ والعُدولَ، حتى عَرَّفهم تقليدَه إياه، وأمرهم بمُكاتبة أصحابهم بذلك؛ لئلاً ينازعه أحمد بن كَيْغَلَغ فإنَّه كان يتولَّى مصر.

وفيها قلَّد ابن مُقْلَة أبا بكر، وقطع محمد بنُ رائق الحِمْلَ عن بغداد مما كان ضَمِنَه من أعمال واسط والبصرة، واحتجَّ باجتماع الجيش عنده، وحاجته إلى صَرْف المال إليهم.

ذكر قَبْض المظفَّر بن ياقوت على ابن مُقْلَة:

كان في نفس المُظَفَّر الحِقْدُ عليه، لأنَّه كان السببَ في نَكْبَته ونكبة أخيه محمد، فلمَّا خرج من الحبس أحبَّ أن يأخذ بثأره وثأر أخيه، ولم يلتفت إلى اليمين التي حلف بها، وأخذ يَسعى في هلاكه، ويُضَرِّب[1] الغِلمان الحُجَرِيّة عليه سرًّا، وعلم الوزير فاحترز،

(١) يفسد، ويغري به. المعجم الوسيط.

واعتَضَدَ ببدر الخَرْشَني صاحب الشرطة ليُوقعَ بالمظفَّر والحُجَريّة، وقَوَّى يده، فقال له بدر: أنا أسبِقُ إلى دار الخليفة، فأحصل أنا وأصحابي فيها ونمنع الحُجَرية؛ لأنَّه بلغه أنَّهم قد عملوا على المصير إلى الدار، وأن يقيموا فيها.

وانحدر بدر وأصحابُه بالسِّلاح إلى دار الخليفة، ومنعوا الحُجَرية من دخولها، وذلك بعد أن جمع ابن مُقْلَة بين بدرٍ والسَّاجيّة، واستحلف بعضهم لبعض، وقَدَّر أنه يَستظهِر بهم على الحُجَرية، فلمَّا وقف المظفَّر والحُجَرية على ذلك ضَعُفَت نفوسُهم، واستتر بعضُهم، ولم يُظْهِر ابن مُقْلَة أنَّ الذي دبَّره بدر برأيه، فأشار المُظَفَّر على الحُجَريّة بالتَّذَلُّل لابن مُقْلَة، فسألوه الصَّفْحَ عنهم، وأظهر له المُظَفَّر أنَّه على أيمانه، فاغترَّ بذلك، وسأله ابن ياقوت والحُجَريّة أن يَصرفَ السَّاجيَّةَ وبدراً من دار السلطان، فصرفهم.

فلمَّا خَلَت الدار منهم مشى الحُجَريّة إلى السَّاجِيّة، وأوحشوهم من ابن مُقْلَة ومن بدر، وتحالفوا، وصارت كلمتُهم واحدة، وصاروا إلى دار السلطان جميعاً، وأحْدَقوا بها، وضربوا خيامَهم فيها، وصار الراضي في أيديهم مثل الأسير.

وندم ابن مُقْلَة، وعلم أنَّها كانت حيلةً، فأمر بدراً وأصحابه بأن يخرجوا إلى المُصلَّى، فخرج، وطالب الحجرية والساجية الراضي بأن يَخرج معهم إلى المسجد الجامع فيصلِّي بالناس؛ ليعلموا أنَّه من حزبهم، فخرج يوم الجمعة لستٍّ خَلَون من جُمادى الأولى، ومشى الغِلمان السَّاجِيَّةُ والحُجَريَّةُ بين يديه وحوله بالسلاح، وصلى بالناس، وقال في خطبته: اللهم إنَّ هؤلاء الغلمان بِطانتي وظِهارَتي، فمَن أرادهم بسوء فأَرِدْه، ومَن كادهم فكِدْه.

وقلَّد بدراً الخَرْشَني دمشق، وأمرَه بالخروج إليها من المُصلَّى، ولا يدخل البلد.

وكان المُظَفَّر في هذا كلِّه مع الغلمان يجمع كلمتَهم، ويُظهِر لابن مُقْلَة أنَّه مُجْتَهدٌ في الصُّلْح، فاصطلحوا، وحَلَفوا للوزير ولبدر، وأُقِرَّ على شرطة بغداد، وانقضت هذه القصة وفي القلوب ما فيها من العَداوة.

وشرع الوزيرُ يُشيرُ على الراضي سرًّا بأن يَخرجَ بنفسه والجيشُ معه؛ ليَدفعَ محمد بنَ رائق عن واسط والبصرة، وقال: هذه بُلدانُ المال، وقد انْغَلَقَت بامتناع ابن رائق من حمله، ومتى

رآه غيرُه قد تمَّ له ذلك تأسَّى به، فخَرِبت البلاد، وبَطَلت المملكة، ومتى زال أمر ابنِ رائق انْحَسَم طَمَعُ غيره، ودَرَّت الحُمول، واستقامت الأمور، فعمل على ذلك.

ثم بعث ابن مُقْلَة إلى ابن رائق ينال الكبير من الحُجَرِيّة، وماكرد من السَّاجِيَّة؛ برسالة تتضمَّن طلب الحُسين بن علي النُّوْبَخْتي ليواقَفَ على ما جرى على يده من ارتفاع واسط والبصرة، فامتنع من تسليمه، وأحسن إليهما، وحمَّلَهما رسالةً إلى الراضي سرًّا مضمونُها: أنَّه إن استُدعِيَ إلى الحضرة قام بالتَّدبير، وكفى أميرَ المؤمنين كلَّ همٍّ.

فقَدِما على الراضي، وأدَّيا الرسالةَ سرًّا عن الوزير، فلم يَلتفت الرَّاضي إليهما.

ولمَّا رأى ابنُ مُقْلَة امتناعَ ابن رائق من تسليم الحُسين؛ عَمِل على أن يكون خروجُ الراضي إلى الأهواز، وأنْ يُنفِذَ إلى ابن رائق القاضي أبا الحُسين برسالة تُعرِّفُه ذلك لئلاَّ يَستوحش.

فلمَّا كان يوم الإثنين لأربع عشرة بقيت من جمادى الأولى انحدَر أبو علي بن مُقْلَة إلى دار السُّلطان، ومعه القاضي ليُوصِلَه إلى الراضي فيسمع الرسالة.

فلمَّا حصل الوزير في دِهْليز الصَّحْنِ التِّسعيني شَغَب الغلِمانُ ومعهم المُظَفَّر، وأظهروا المُطالَبَةَ بالرِّزق، وقبضوا الوزيرَ، وبعثوا إلى الراضي يعرِّفونه قَبْضَهم عليه، إذ كان هو المُضَرِّبُ عليهم عنده، والمُفْسِد للأحوال، ويسألونه أن يَسْتَوزِر، فبعث إليهم يَسْتَصْوِبُ رأيَهم، ويُعرِّفُهم أنَّه كان عازِماً على ذلك، وأنَّهم لو لم يفعلوه لفعله هو، ثم قال: سَمُّوا مَن شئتم حتى أستوزره، فسَمَّوا أبا الحسن علي بن عيسى وقالوا: هو مأمون كافٍ ليس في الزمان مثلُه، فاستحضره الرَّاضي، وخاطبه بتقليد الوزارة فامتنع، فخاطبه مرةً ثانية وثالثةً فامتنع، فقال: فتُشيرُ بمَن ترى، فأومأ إلى أخيه عبد الرحمن بن عيسى.

ذكر وزارة أبي علي عبد الرحمن بن عيسى[(١)]:

في هذه السنة بعث الراضي للمُظَفَّر بن ياقوت فأحضره، وخاطبه الراضي بالوزارة، وخلع عليه، وركب الجيشُ بين يديه إلى داره[(٢)].

(١) في (خ): عبد الرحمن بن علي بن عيسى، وهو خطأ، وليس في (ف م ١) لاختصار نشير إليه قريباً. وهو عبد الرحمن بن عيسى بن داود، أخو علي بن عيسى بن داود بن الجراح.

(٢) من قوله: وفي يوم الجمعة سلخ ربيع الأول أطلق المظفر... إلى هنا ليس في (ف م ١).

[وفيها] أُحْرِقَت دارُ ابن مقلة، وهذه المرَّةُ الثالثة، وقيل: الرابعة.

وكان ابن مُقْلَة قد أمر بإحراق دار سليمان بن الحسن بباب المُحَوَّل في [مثل] هذا اليوم(١)، فكُتب على حائط دار ابن مُقْلَة: [من البسيط]

أحسنْتَ ظَنَّك بالأيام إذ حَسُنَتْ ولم تَخَفْ سوءَ(٢) ما يأتي به القَدَرُ
وسالَمَتْك الليالي فاغتَرَرْتَ بها وعند صَفْو الليالي يَحْدُثُ الكَدَرُ(٣)

واستتر(٤) ابن الوزير وأصحابُه وأسبابُه، فظهر أبو العباس الخَصيبي وأبو القاسم سليمان بن الحسن، وصارا يَصلان إلى الراضي مع عبد الرحمن وأخيه علي بن عيسى، ويصل معهما أبو جعفر محمد بن القاسم الكَرْخِيّ وغيرُه من الأعيان.

وسُلِّم أبو علي بن مُقْلَة إلى الوزير عبد الرحمن، فحمله إلى داره، وضُرِبَ بالمَقارع، وأُخِذ خطُّه بألف ألف دينار، وكان الذي تولَّى ذلك منه ينال الكبير من الحُجَريّة، ثم سُلِّم إلى أبي العباس الخَصِيبي، فدخل إليه يوماً وقال: إن كان يحتاجُ إلى الفَصْد فتقدَّم إلى مَن يَفْصِدُه بحضرتك(٥).

قال(٦): فدخلتُ إليه، فوجدتُه مُطروحاً على حَصيرٍ خَلَقٍ على بارِيَّة، وتحت رأسه مِخَدَّة وَسِخة، وهو عُرْيان في وسطه سَراويل، ورأيتُ بَدَنَه من رأسه إلى أطراف أصابع رجلَيه كلون الباذَنْجان، وبه ضِيقُ نَفَسٍ شديد، وكان الذي تولَّى عذابه ودَهَق صدره الدَّسْتَوائي، قال ثابت: فقلتُ للخَصيبي: لا بدَّ من فَصْده، فقال: وكيف نعمل بتعذيبه، لا بدَّ من عذابه كلَّ يوم، قال: فيَتْلَف، فقال: افصِدْه، ففَصَدْتُه ورفَّهتُه ذلك اليوم.

---

(١) بعدها في (ف م ١): بعد سنة.

(٢) في (خ): شر، والمثبت من (ف م ١)، وانظر أخبار الراضي ٨٢، والمنتظم ١٣/ ٣٥٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤١٩.

(٣) بعدها في (ف م ١): وهذه ثالث مرة احترقت دار ابن مقلة وقيل رابع مرة.

(٤) من هنا إلى ما قبل ترجمة ابن مجاهد ليس في (ف م ١) لاختصاره.

(٥) قال ذلك الخصيبي لثابت بن سنان وقد كلفه الدخول إليه. انظر تكملة الطبري ٢٩٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٠.

(٦) ثابت.

واتَّفق أنَّ الخَصيبي استتر في ذلك اليوم، وبقي ابن مقلة مُرَفَّهاً ليس أحدٌ يُطالبه، وكُفِيَ أمرَ عدوِّه من حيث لا يَحتسب، وطابَت نفسُه، وحضر أبو بكر بن قَرابة، وضَمِن ما عليه وتسلَّمه، وقد كان أدَّى نيِّفاً وخمسين ألف دينار بعد أن أشهد عليه العُدولَ أنَّه قد باع ضِياعَه وأسبابَه من السلطان.

وفي يوم الخميس لأربعٍ بقين من جُمادى الأولى قبض الراضي على المُظَفَّر بن ياقوت، وحبَسه، وهَدم دارَه، ثم أطلقه يوم الخميس لثلاثٍ خلَون من جُمادى الآخرة، وأَحْدَره إلى أبيه.

وفي جمادى الآخرة عَزل بدراً الخَرْشَني من شرطة بغداد، وقلَّدها كاجو من السَّاجِيَّة، وتقلَّد سخرباس الجانبَ الشَّرقي وهو من الحُجَرِيَّة[(١)]، وإنَّما فعل الراضي ذلك تطييباً لقلوب الفريقين؛ لما جرى من بدر الخَرْشَني، وقَلَّد بدراً الخَرْشني أعمال أصبهان وفارس وخَلَع عليه؛ لأنَّ الحُجَريّة والسَّاجية كرهوا مُقامَه بالحَضْرة، ثم توقَّف حالُه.

وعجز الوزيرُ عبد الرحمن بن عيسى عن النَّفَقات، وضاق المال، فاستعفى من الوزارة، فقبض عليه الراضي يوم الإثنين لسبع خلَون من رجب.

ذكر وزارة أبي جعفر الكَرْخِيّ:

لمَّا قبض الراضي على عبد الرحمن قبض على أخيه علي بن عيسى، واعتُقِلا في دار الخليفة، وأحضر الكَرْخي، وخَلَع عليه واستوزره، وسلَّم الراضي عبدَ الرحمن وعلي ابنَ عيسى إلى الكَرْخي، فصادَرَهما مُصادَرَةً جميلة، وكانا عنده مُكرَّمَين، وأدَّى كلُّ واحدٍ منهما سبعين ألف دينار، وانصرفا إلى منازلهما.

وفي يوم الخميس لستٍّ خلَون من رمضان قُتِل ياقوت بعسكر مُكْرَم، فأراد الحُجَرية قتلَ أبي الحسين البَريدي ببغداد، وكان يَخْلُف أخاه [في الكتابة لياقوت]، فاختفى، وانحدر سرًّا إلى أخيه إلى الأهواز.

وكان ياقوت قد سار بقَضِّه وقَضِيْضِه لحرب علي بن بُوَيْه، فالتقيا بباب أَرَّجان، فهزمه ابن بويه، فعاد إلى الأهواز، وتواترت الأخبار بأنَّ ابن بُوَيْه وافى إلى رامَهُرْمُز

---

(١) انظر أخبار الراضي ٨٢.

مُقْتَفِياً أثَر ياقوت ومُشَرِّداً به، فعبر ياقوت إلى عسكر مُكْرَم، وقطع الجِسْرَ المَعْقودَ على المَسْرُقان، وأقام علي بن بُوَيْه أياماً برامَهُرْمُز إلى أن وقع الصُّلح بينه وبين السلطان.

ثم كتب أبو عبد الله البَريدي إلى ياقوت أن يُقيمَ بعسكر مُكْرَم إلى أن يقع التأمُّل في أمره، وكان غرضُه ألا يجتمعا في بلد، فقَبِل ياقوتُ، ونزل داراً بالقرب من المسجد الجامع غربي عَسْكَرمُكْرَم، وأقام شهوراً، فوافاه أبو يوسف البَريدي دون أخيه متوجِّعاً له من الاحرية[١]، ومُهَنِّئاً له بالسَّلامة.

ثم توسَّط بينه وبين أخيه أبي عبد الله أن يُطلق له خمسين ألف دينار يُنفقُها في عسكره؛ حتى يكتبَ إلى السلطان ويستأمِرَه فيما يُطلق له ولرجاله، وعرَّفه أنَّ مَن بالأهواز من الجُند لا يُمَكِّنونه أن يُخرج منها مالاً، وأنَّ رجالك[٢] إذا أُعطوا اليسيرَ من المال قَنَعوا.

فقَبِل ياقوت هذا العُذْر، وأوصى ياقوت مَن كان معه من الحُجَرية والسُّودان بذلك المال، وأقام على ذلك شهوراً، فضَجَّ رجالُه من القِلَّة وقالوا: لا صَبْرَ لنا، والعَسكرُ الذي بالأهواز يتناولون الأرزاقَ دارَّةً، ونحن نُقاسي الجوعَ، وكان من العسكر بالأهواز: البَرْبَر، والنَّازُوكيَّة، والهارونيَّة، وأصحاب تِكين الخاقاني، وغيرهم.

[وانصرف طاهر الجيلي] من قُوَّاد ياقوت في ثمان مئة من العَجَم، واتَّصل بأبي الحُسين أحمد بن بُوَيْه، فكان مُعْظَمُ جيش ياقوت ومَن يَرْكَن إليه [ثلاث مئة رجل][٣].

فضَعُفَت نفسُ ياقوت، واستطال عليه باقي رجاله، وخاف أن يَعقدَ لبعض قُوَّاده بالرئاسة ويقبضوه، فكاتب أبا عبد الله البَريدي، وكان ياقوت واثقاً بحِرْبه، فجرى الآن على صنعة التبلِّي وسقوطِه[٤]، فكتب إليه البريدي على يده: أنَّ عَسكره مَفْسودٌ، وطلب أعيانَ عسكر ياقوت وقال: لنا معهم حساب، فإنَّهم اقتطعوا الأموال وأخذوها، لنستخرجَ منهم ما أخذوه من الزيادات.

(١) كذا وردت هذه الكلمة، ولعلها: الأخزية، جمع الخزي، أو الأجرية: ما جرى عليه. والله أعلم.

(٢) في (خ): رجال البريدي، وهو خطأ، والمثبت من الكامل ٨/ ٣١٦.

(٣) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٣٠٠-٣٠١، وانظر الكامل ٨/ ٣١٦.

(٤) كذا في (خ)!؟

وسمَّى جماعةً، فبعث إليه ياقوت مَن طلب، فاستغواهم أبو عبد الله البريدي وجرَّهم إلى نفسه، فأقاموا عنده، وصحبوه، ولم يعودوا إلى ياقوت، وانتخب أبو عبد الله البريدي رجالَ ياقوت، فاقتطعهم إليه، فطلب الراضي من أعيان أصحاب ياقوت جماعةً، فبعث بهم إليه.

وشغب جُنْدُ ياقوت وقالوا: لا بدَّ من مكاتبة البَريدي بحَمْل المال، ثم زاد الإلحاح على ياقوت، فخرج بنفسه إلى الأهواز في ثلاث مئة فارس لئلاً يَستوحِشَ أبو عبد الله البريدي.

وكان البريدي كاتباً لياقوت، فظنَّ ياقوت أنَّه إلى كاتبه يمضي، فتلقَّاه البريدي في السَّواد الأعظم، فلمَّا رأى ياقوتَ تَرَجَّل، وطرح ياقوت نفسَه عليه حتى كاد يَقَعُ من دابته، وسار، فأنزله البريدي في داره، وخَدَمه بنفسه، وقام بين يديه إلى أن طَعِم، وغسل يديه، وناوله المِنديل، وبَخَّره بيده.

فبينا هم كذلك إذ ارتَفَعَت ضَجَّةٌ عظيمةٌ، وشَغَب الجُنْدُ وقالوا: إنَّما وافى ياقوت واجتمع بالبريدي ليقبضا علينا[1]، وكان هذا بمُواطأةٍ من البريدي، فقال البريدي لياقوت: اخرُج أيها الأمير عاجلاً وإلا قُتِلنا جميعاً.

فخرج ياقوت خائفاً يَتَرَقَّب، ولم يُحدِّث نفسَه بنَجاةٍ، وعاد من طريق آخر، فنزل بعَسْكَرمُكْرَم، فكتب إليه أبو عبد الله البريدي: إنَّ الرجال بالأهواز قد استوحشوا منه، والمَصْلَحةُ أن تَرحلَ إلى تُسْتَر، فإنَّ بينها وبين الأهواز ستةَ عشر فَرْسَخاً، وبين عَسْكَرمُكْرَم والأهواز ثمانية فراسخ، وإنَّ الدار إذا نأت زال الاستيحاش.

وكتب له على عامل تُسْتَر بخمسين ألف دينار التي على تُسْتَر، فَفرَّقها في العسكر، كلُّ واحد شيئاً يسيراً، وأقام بتُسْتَر فضجَّ الرجال.

وكان لياقوت مولًى يقال له: مؤنس، فقال: أيها الأمير، البَريدي يَحُزُّ مَفاصِلَنا مَفْصِلاً مَفْصِلاً، ويَسْخَرُ منَّا، وقد حاز شَطْرَ رجالنا ووجوه قُوَّادنا إلى نفسه، وأنت تَغْتَرُّ

---

(١) في (خ): واجتمع بالبريدي إلا ليقبضا علينا، والمثبت من تكملة الطبري ٣٠١، وانظر الكامل ٨/ ٣١٧-٣١٨.

به، ولا تُعطينا إلا اليسير، وقَصْدُه هلاكُنا، وقد كتب إليك الحجريةُ: لم يَبق لنا شيخٌ سواك، فإما دخلتَ إلى بغداد فجميع مَن بها يُسلِّم إليك الرِّئاسة؛ أوَّلُهم محمد بن رائق لسنِّك، فإنك عنده مثل الوالد، وإما أن تسير إلى الأهواز فتَطْرُدَ البَريدي عنها، ونحن في خمسة آلاف، وهو في عشرة آلاف، لكنَّه بمنزلة كاتب، وأيُّ قُدرة له؟! فقال: حتى أنظر.

فغضب مؤنس وقال: العسكرُ بمُقَدَّمه، وأنت أنت، وقد قال ابن بُوَيْه: لو كان في عسكر ياقوت مئةٌ مثلُه ما لقيتُه، فقال: اصبر.

فخرج مؤنس من عنده مُغضَباً في ثلاثة آلاف رجل، ووافى عسكرمُكْرَم يريد الأهواز وقال: أنا لا أعصي مولاي، ولكن أفتح الأهواز وأُسلِّمها إليه.

وكان على شُرطة عَسْكَرمُكْرَم رجلٌ يقال له: درك، فكتب إليه ياقوت: إنَّ مؤنساً خرج بغير إذني، فسَلْه أنْ يَلْبَث حتى أصل، فخاطبه درك خطاباً عظيماً، وعَذَلَه، وجرى له معه خُطوبٌ حتى أجاب، ووافاه ياقوت في اليوم الثاني، فوافى عسكر البريدي بأسره مع غلامه أبي جعفر الحَمَّال.

ووقعت المُنازلة فقال ياقوت لمؤنس: الخليفةُ لنا بالنيَّة التي قد علمتَها، وقد فعل بابنَيَّ ما فعل، فما يَنْصَلح لي أبداً، وفارس فقد غُلِبنا عليها، وقد جرى علينا ما قد علمتَ، ولا مَذْهَب لنا في الدنيا ولا زاوية إلا هذا البلد، والحَرْب سِجال، وقد كَثُر عسكر هذا الرجل، فإن نحن قاتلناه؛ كنَّا بين أن نَنهزم فنُحمَل إلى الخليفة، فنُشهَر ونركب الفيل، ثم يُظَنُّ بي أنِّي كفرتُ نعمةَ مولاي، فأُلعَن، وإما أن أُقتَل، والمَصْلحةُ المُقارَبَة لهذا الرجل، ونعود إلى تُسْتَر، ونسير منها إلى الجَبَل، فإن استقام لنا أمرٌ وإلا لحقنا بخُراسان.

وشاع هذا الكلام، فضَعُفَت نفوسُ أصحابه، وطالت الأيام، وتسلَّل أصحابه إلى البريدي، حتى بقي في ألف رجل، ومؤنس يَحُثُّه على القتال ويقول: مضى أصحابُنا، وهو يقول: مَن مضى لا ينفعنا.

ولمَّا علم البريدي بحاله راسلَه بالقاضي أبي القاسم التنوخي أنَّه على العَهْد والميثاق، وأنَّه كاتبُه، والإمْرَةُ ما تَصلُح إلا له، وإنَّما قد ابتُلي بهؤلاء الرجال، وأنَّه

يعود إلى تُسْتَر ليَحمِلَ إليه ما يُفرِّقه فيمَن بقي معه، وإنَّما يُصاهرُه ليزدادَ ثقةً به، ووَكَّل القاضي في تزويج ابنة البريدي من أحمد بن ياقوت.

فوافاه القاضي، وأدَّى إليه الرسالة، فقَبِلها، وانعقد الصِّهر، ورحل في الوقت إلى تُسْتَر.

ووافى بعد ذلك بأيام غلامٌ من عند الخليفة من الحُجَريّة ومعه المُظَفَّر بن ياقوت، وكتابٌ إلى ياقوت يَذكر فيه أنَّه قد وَهَب له ابنَه هذا، ومَنَّ عليه به.

فالتقاه المُظَفَّر بتُسْتَر، وأشار عليه المُظَفَّر بالنزول إلى الحَضْرة؛ ليَشكُرَ إنعامَ الخليفة على إنفاذه إليه بالمُظَفَّر، وأن ينزل بدَيْر العاقول، ويَستأذنَ في الدخول، فإن أَذِن له وإلا تقلَّد المَوْصل وديارَ ربيعة، وخرج إليها، فإن مُنع منها قَصد الشام، فلم يقبل ياقوت منه، وقال له: أقم حتى نَظْفَر، فاستعفى من المُقام عنده، وسأله أن يأذن له في المقام بعَسْكَرمُكْرَم، فأذِن له.

وكان مع المُظَفَّر رجلٌ يقال له: الجياني[1]، فما زال يَسْفِر بين البريدي والمُظَفَّر حتى قال البريدي: إن استأمن إليَّ جعلتُه اِسْفِهْسِلّار[2] عسكري، فاستأمن إليه، فأنزله في بستان له بالأهواز، وأقام مَن يَحفَظُه من حيث لا يَعلم.

ثم خاف البريدي من الياقوتية الذين عنده أن ينثنوا عليه، فكتب إلى ياقوت بأنَّ السلطان قد طلبه أن يَسير إلى الحَضْرة في خمسة عشر غلاماً، أو المُضيّ إلى الجبل مُتَقَلِّداً له، وإلا قصده البريدي إلى تُسْتَر وأخرجه قَهْراً.

فدعا ياقوت غلامَه مؤنساً وقال: ما ترى؟ فقال له: الآن وقد مضى ما مضى، والله لا صَحِبَك إلى بغداد أو إلى الجَبَل أحدٌ ممَّن معك.

فكتب ياقوت إلى البريدي بأن يُمْهِلَه شهراً لينظر، فلم يلتفت، وبعث إليه بالعسكر، وأرسل ياقوت جَواسيسه، فجاءه واحدٌ فكَذَبه وقال: العسكر الذي بعث به إليك البريدي قد نزل في عَسْكَرمُكْرَم، وانبسطوا في الدُّور، فقال ياقوت لمؤنس: ظَفِرنا

(١) هذه الكلمة مهملة في (خ)، ولم أقف على النص بتفصيلاته فيما بين يدي من مصادر.
(٢) كلمة تركية أو فارسية تطلق على أمير الأجناد، أو مقدم العسكر. معجم متن اللغة.

والحمد لله، نسير إليهم بالليل فنَكْبِسُهم والقوم غارُّون[١]، ثم نَسير إلى الأهواز وقد شَرَّدْناهم فيهرب البريدي، فقال له مؤنس: أرجو أن يكون هذا صواباً.

وسار ياقوت في الليل، فأصبح وقت طلوع الشمس بعَسْكَر مُكْرَم، فلم ير فيه أحداً، فنزل بنهر جارود عند ناعورة السَّيل، وخيَّم، وتعجَّب من مرور جاسوسه، فلمَّا كان وقت العصر جاء عسكر البريدي مع أبي جعفر الحَمَّال، فنزل قريباً من ياقوت بمقدار فرسخ، وأصبحوا يَتَناوشون.

وتَرَبَّص الحَمَّال ليَصل إليه باقي العسكر، فلمَّا كان اليوم الثالث اقتتلوا إلى الظُّهر، وثبت ياقوت ومَن معه، وظهر ياقوت، وبلغت القلوبُ الحَناجر، وإذا قد ظهر للبريدي كَمينٌ في ثلاثة آلاف حامين[٢]، فأومأ إلى مؤنس، فالتقاهم في ثلاث مئة رجل، وبقي مع ياقوت خمسُ مئة رجل، واقتتلوا، فظهر عليه الحَمَّال فانهزم ياقوت ومؤنس، ورمى ياقوت نفسَه عن دابَّته، ونَزع سلاحَه، وأوى إلى رِباطٍ يُعرف برباط الحسين بن زياد، وجاءه الليل، فجلس إلى ظلِّ الرِّباط، وغطَّى وجهه كأنَّه سائلٌ يسأل، وجاء إليه قومٌ من البَرابِرة، فنزلوا وكشفوا وجهه، فقال: أنا ياقوت احملوني إلى البريدي، فقتلوه، وأخذوا رأسه، وحملوه إلى الحَمَّال، فأطلق طائراً إلى البريدي يُخبره، فكتب إليه: اجمَع بين رأسه وبدنه وادفنه، ففعل.

وأُسر مؤنس وخواصُّ أصحاب ياقوت، فشَغَبت الياقوتية وقالوا: قد قُتل مَولاهم فلم يقتلون؟ فقال البريدي: أنا أكتب إلى الحضرة فأُطلِقُهم، ثم قتلهم في الليل.

ولم يوجد لياقوت سوى اثني عشر ألف دينار لا غير، ووُجِدَت في صناديقه كتُبُ الحُجَريّة إليه بالإصعاد إلى بغداد ليولُّوه الرئاسة عليهم. وبعث البريدي بالمُظَفَّر بن ياقوت إلى بغداد، ثم طغى البريدي بعد ذلك، وشَهَرَ نفسه بالعِصيان لما نذكر إن شاء الله تعالى.

وفيها استَوزر الرَّاضي أبا القاسم سليمان بن الحسن، وسببه: أنَّ ابن رائق قطع الحِمْل من واسط والبصرة، والبَريدي من الأهواز، وعلي بن بُوَيْه بفارس قد تغلَّب عليها.

(١) غافلون.

(٢) كذا؟! وفي الكامل ٨/ ٣٢٠ : ظهر الكمين من وراء عسكر ياقوت.

وضاقت الدنيا على الوزير أبي جعفر الكَرْخيّ، وكان غيرَ ناهِضٍ بالوزارة، وفيه إبطاءٌ شديد [في الكتابة والقراءة](١)، وكَثُرت المُطالبات عليه، وانقطعت المَوادُّ عنه، فاستتر يوم الإثنين لثمانٍ خَلَون من شوال؛ بعد ثلاثة أيام ونصف من تقلُّده الوزارة(٢)، فاستُحضر سليمان يوم الأربعاء لعشرٍ خلون من شوال، وقلَّده الراضي وزارته، وخلَع عليه، فكان في التحيُّر وانقطاع الأموال والمَوادِّ عنه مثلَ الكَرْخيّ وزيادة.

فدعت الضَّرورة إلى أن كاتب الراضي محمد بنَ رائق وهو بواسِط، وذكر ما كان ضَمِنه من النَّفقات، وإزاحَة عِلَل الجيش، وبعث إليه كاجو بألف دينار.

وعاد كاجو إلى الراضي بالجواب، فبعث إليه بالخِلَع واللواء، وانحدر إليه أعيانُ السَّاجية، فقيَّدهم، وألقاهم في المَطامير وجماعةً من الكُتَّاب، فاستوحش الحُجَرِيَّة ببغداد، وأحْدَقوا بدار السُّلطان، وضربوا خِيمَهم حولها.

ووصل ابن رائق في جيشه إلى بغداد يوم الأحد لخمس بقين من ذي الحجة، ودخل على الراضي ومعه بَجْكَم والقُوَّاد ورؤساء القرامطة، وخرج فنزل بباب الشَّمَّاسيَّة في مِضْرَب، وبعث له الراضي الخِلَع والإقامة.

وأمر ابن رائق الحُجَريّة بقَلْع خيامهم من حول دار السلطان فلم يفعلوا، وبَطَل حينئذٍ أمرُ الوزارة والدَّواوين، وبقي الاسم لا غير، وتولّى الجميع محمد بنُ رائق وكتَّابُه، وصارت الأموال تُحمل إليه، وبَطل أمرُ بيوت المال وحَمْلها إلى السلطان.

وفيها(٣) وقع الوَباء بأَصْبهان، فمات بها(٤) أكثر من مئتي ألف، وامتدَّ إلى بغداد، فبطل الغُسْل والتكفين، فكانوا يَحْفِرون الحُفْرة، فيُلقون فيها جماعةً من غير غسلٍ ولا تكفين، وبقي الناس مَوتى على الطُّرق ليس لهم مَن يَدفِنهم، وغَلت الأسعار، واضطربت الأمور ببغداد بحُكم ابن رائق عليها، وبقي الراضي مثلَ الأسير معه، ولم يحجَّ أحدٌ في هذه السنة.

---

(١) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٣٠٣، وانظر الكامل ٨/ ٣٢٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢١.

(٢) وكذا في تكملة الطبري، وفي الكامل: بعد ثلاثة أشهر ونصف من وزارته.

(٣) من قوله: واستتر ابن الوزير وأصحابه وأسبابه... إلى هنا ليس في (ف م ١).

(٤) في (خ ف): منها.

[فصل]: وفيها توفي

أحمد بن موسى

ابن العبَّاس بن مُجاهد، أبو بكر، المقرئ، البغدادي، الإمام العلاّمة[١].

ولد في ربيع الآخر سنة خمسٍ وأربعين ومئتين، وكان إمام القُرَّاء في زمانه، وانفرد بالقراءات في عصره.

قال ثعلب: ما بقي أحدٌ في عصرنا أعلمَ بكتاب الله من ابن مُجاهد.

[وقرأ عليه خلقٌ كثير.

وحكى الخطيب عن النَّهْرَواني قال: صلَّيتُ خلف ابن مجاهد، ففتح الصَّلاةَ بالحمد، ثم سكت، ثم فعل ذلك ثانياً وثالثاً، ثم قرأ، فلما سلَّم سألتُه عن ذلك؟ قال: لمَّا كبَّرتُ تكبيرةَ الإحرام انكشفَت الحجُبُ بيني وبين ربّي، واجتمع بين عَينَيَّ كلُّ حمدٍ لله تعالى في كتابه، فلم أدر بأيِّ حَمْدٍ أبتدئ، اكتُم عليَّ حتى أموت.][٢]

وقال الأزهريّ [:سمعتُ عيسى بن علي بن عيسى الوزير يقول]: أنشدني[٣] ابن مُجاهد وقد جئتُه عائداً في مرضه، وعنده جماعةٌ قد أطالوا القُعودَ: [من البسيط]

لا تُضْجِرَنَّ مريضاً أنت عائدُه ... إنَّ العيادَةَ يومٌ إثْرَ يومَينِ
بل سَلْه عن حالِه وادْعُ الإلهَ له ... واقعُدْ بقَدْر فُواقٍ بين حَلْبَيْنِ
مَن زار غِبًّا أخاً دامت مَودَّتُه ... وكان ذاك صلاحاً للخليلينِ

وقال الخطيب: رأى أبو الفضل الزُّهري[٤] في منامه قائلاً يقول: قد مات الليلةَ مُقَوِّمُ وَحْي الله منذ خمسين سنة، فلمَّا أصبح قال: مَن مات الليلة؟ فقيل له: أبو بكر ابن مجاهد.

[وقال الخطيب:] توفي ابن مجاهد يوم الأربعاء وقت العصر، وأُخرِج يوم الخميس لعشرٍ بقين من شعبان، ودُفن بمَقبرة باب البستان من الجانب الشَّرقي ببغداد، وهناك كان يسكن.

---

(١) أخبار الراضي ٨٤، تكملة الطبري ٣٠٠، تاريخ بغداد ٦/ ٣٥٣، المنتظم ١٣/ ٣٥٧، معجم الأدباء ٥/ ٦٥، الكامل ٨/ ٣٢٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٤٨٧، معرفة القراء الكبار ٢/ ٥٣٣، السير ١٥/ ٢٧٢.

(٢) ما بين معكوفين من (ف م ١)، والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٣٥٤.

(٣) في (ف م ١): وحكى الخطيب عن الأزهري قال أنشدني، والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٣٥٤ وما بين معكوفين منه.

(٤) في (خ): الأزهري، وهو خطأ، والمثبت من (ف م ١)، والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٣٥٦، ومصادر ترجمته.

[وحكى أيضاً عن] عيسى[١] بن محمد الطُّوماري: رأيتُ ابنَ مُجاهد في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال كنتُ أدعو الله عند خَتْم القرآن أن يَجعلني ممَّن يَقرأ في قَبره، فأنا ممَّن يقرأ في قبره.

قال الخطيب: وخلَّف مالاً صالحاً[٢].

حدَّث عن محمد بن إسحاق الصَّغاني، وعباس الدُّوري وغيرهما.

واتَّفقوا على فضله، ودينه، وأمانته، وصلاحه.

وفيها توفي

جعفر بن عبد الجبَّار

[ويقال:] ابن عبد الرزَّاق، أبو محمد، القَراطيسي[٣].

حدث عن أبي زُرْعَة، وروى عنه أبو الحُسين الرَّازي بدمشق.

[وفيها توفي]

الحسن بن محمد بن أحمد

أبو القاسم، السُّلَمي، الدِّمشقي، ويُعرَف بابن بُرْغوث[٤].

[وذكره الحافظ ابن عساكر وقال:] توفي بدمشق [في هذه السنة].

وحدَّث عن العباس بن الوليد بن مَزْيد، [وإسماعيل بن محمد بن قيراط، وأحمد بن مروان[٥] المالكي.

روى عنه أبوالحسين الرازي وهو نسبه[٦].

(١) في (خ): وقال عيسى، والمثبت من (ف م ١)، والخبر في تاريخ بغداد ٦/ ٣٥٦-٣٥٧.

(٢) هذا الكلام لم أقف عليه للخطيب في ترجمة ابن مجاهد من تاريخه، وإنما ذكره ابن الجوزي في المنتظم ١٣/ ٣٥٨.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٧٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٧٥، وما بين معكوفين منهما، وذكرا أن وفاته سنة (٣٢٣). وهذه الترجمة ليست في (خ).

(٤) تاريخ دمشق ٤/ ٥٧٨ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٨٩.

(٥) في (ف م ١): مسروق، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ دمشق.

(٦) كذا في (ف م ١) وتاريخ دمشق، ولعلها نسيبه.

قال:] وروى عن صالح[١] بن الإمام أحمد بن حنبل أنَّه خرج مع أبيه إلى المسجد، فإذا برُقْعةٍ فيها مكتوب: [من السريع]

عِشْ موسِراً إن شئتَ أو مُعْسِراً لا بُدَّ في الدُّنيا من الغَمِّ
وكلَّما زادك من نِعْمةٍ زادَ الذي زادك من هَمِّ
إنِّي رأيتُ الناسَ في دهرنا لا يَطلبون العلمَ للعلمِ
إلا مُباهاةً لأقرانِهم وحُجَّةَ الخَصْمِ[٢] على الخَصْمِ

وفيها توفي

الحسن بن [يوسف بن] يعقوب

أبو سعيد، الطَّرْمِيسي[٣].

وطَرْمِيس قرية من قُرى دمشق، مولى الحسين بن علي عليه السلام.

حدّث عن هشام بن عمَّار وغيره، وروى عنه أبو الحُسين الرَّازي وغيره.

صالح بن محمد بن شاذان

أبو الفَضْل، الأصبهاني[٤].

رحل إلى الأمصار، وسمع الكثير، ومات بمكة في رجب.

حدَّث عن أبي جعفر الدِّمَشقي وغيره، وروى عنه أبو بكر المُقرئ وغيره، وكان ثقةً، وحدَّث بمكة بتاريخ البخاري.

عبد الله بن أحمد

ابن محمد بن المُغَلِّس، أبو الحسين، الفقيه الظَّاهِري[٥].

---

(١) في تاريخ دمشق ٤/ ٥٧٩ : الحسن بن محمد، حدثنا علي بن جعفر، حدثني إبراهيم بن عبد الله الفرغاني، حدثنا صالح.
(٢) في (ف م ١): منهم، والمثبت من (خ).
(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٦٤٤ ، ومعجم البلدان (طرميس)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٧٥ ، والسير ١٤/ ٥٠٠ ، وما بين معكوفين منها، ووفاته عندهم سنة (٣٢٣). وهذه الترجمة ليست في (خ).
(٤) أخبار أصبهان ١/ ٣٤٩ ، والمنتظم ١٣/ ٣٦٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٩٠ ، وهذه الترجمة وتاليتها ليست في (ف م ١).
(٥) أخبار الراضي ٨٣ ، وتاريخ بغداد ١١/ ٢٦ ، والمنتظم ١٣/ ٣٦٢ ، والكامل ٨/ ٣٢٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٩٠ ، والسير ١٥/ ٧٧ .

أخذ العلم عن أبي بكر بن داود صاحب المَذْهَب، ونشر علم داود في البلاد، وصنَّف في مذهبه.

وحدَّث عن عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله وغيره، وروى عنه الدارقطني وأقرانُه، وكان صدوقاً، ثقةً، أصابته سَكْتَة فتوفي في بغداد.

عبد الله بن محمد

ابن زياد بن واصِل بن مَيْمون، أبو بكر، النَّيْسابوري، الفقيه الشافعي، مولى أبان بن عُثمان بن عَفَّان[1].

ولد بنيسابور سنة ثمان وثلاثين ومئتين، ورحل في طلب العلم إلى العراق، والشام، ومصر، وكان إماماً فاضلاً، جمع بين علم الحديث والفقه، والدِّين والوَرَع، والزُّهد والعبادة.

وأثنى عليه الأئمة؛ فقال أبو عبد الله الحاكم في «تاريخه»: سكن بغداد، وكان إمام الشافعية في عصره، وكان أحْفَظَ الناس للفقهيات واختلاف الصحابة، وسمع بنَيْسابور، والعراق، والجزيرة، والشام، ومصر، والحجاز.

وقال الخطيب: كان من الرَّحَّالين الثِّقات، مُوثَّقاً في روايته.

وقال الدارقطني: ما رأينا في مشايخنا أحفظَ منه للأسانيد والمتون، وكان أفقه المشايخ.

قال الخطيب عنه أنه قال: أعرف[2] مَن أقام أربعين سنةً لم يَنَم الليل، ويَتَقَوَّتُ كلَّ ليلة بخمس حَبَّاتٍ، ويُصلّي صلاةَ الغَداة على طهارة العشاء [الآخرة]، ثم قال: أنا هو، وهذا كلُّه قبل أن أعرف أمَّ عبد الرحمن، أيش أقول لمَن زوَّجني؟ ثم قال على إثْر هذا: ما أراد إلا الخير.

---

(١) تاريخ بغداد ١١/ ٣٣٩، وتاريخ دمشق ٣٢/ ١٨٣ (طبعة علي شيري)، والمنتظم ١٣/ ٣٦٣، والكامل ٨/ ٣٢٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٩١، والسير ١٥/ ٦٥، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣١٠.

(٢) في (ف م ١): وسمع بنيسابور والعراق والجزيرة والشام ومصر والحجاز، وذكره الخطيب، وكان أفقه المشايخ، وقال الخطيب عن أبي بكر النيسابوري أنه قال أعرف. والمثبت من (خ)، وانظر تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٠، ٣٤١.

وقال أبو عبد الله بن بَطّة: [كنا نحضر] في مجلس أبي بكر النيسابوري، وكان يُحْزَر في مَجلسه ثلاثون ألف مِحْبَرة، ومضى على هذا مدَّة يسيرة، ثم حَضَرْنا مجلس أبي بكر النَّجّاد، وكان يُحْزَر في مَجلسه عشرة آلاف مِحْبَرة، فتعجَّب الناس من ذلك فقالوا: في مثل هذه المدة ذهب ثُلُثا الناس(١).

وقال الدارقطني: كنَّا يوماً ببغداد نتذاكر، في المجلس جماعةٌ من الحُفَّاظ، فقال رجل من الفقهاء: مَن روى عن النبي ﷺ في حديث: «وجُعِلَت لي الأرضُ مَسجداً، وجُعِلَت تُرْبَتُها لنا طَهوراً»؟ قالوا: رواه فلان وفلان، فقال: أريد هذه اللفظة: «وتُربَتُها طَهوراً» فقالوا: مالنا إلا أبو بكر النَّيسابوري.

فقاموا إليه بأجمعهم، وسألوه عنها فقال: نعم، حدثنا فلان، عن فلان، وذكره.

قال الخطيب: وقد أخرج مسلم هذه اللفظةَ(٢)، والحديثُ رواه أبو عَوانة، عن أبي مالك الأشْجَعي، عن رِبْعي بن حِراش، عن حُذَيفة بن اليَمان، وتفرَّد أبو عوانة بهذه اللفظة(٣).

[قال الخطيب:] مات أبو بكر في ربيع الأول أو الآخر ببغداد، ودُفن بباب الكوفة.

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٦٤.

(٢) في صحيحه (٥٢٢) من حديث حذيفة بن اليمان ﵁.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٠-٣٤١، وهذا الخبر ليس في (ف م ١).

أبو عوانة: هو الوضاح بن عبد الله اليشكري، وأخرج الحديث من طريقه: الطيالسي في مسنده (٤١٨)، والنسائي في السنن الكبرى (٧٩٦٨)، والبزار في مسنده (٢٨٣٦)، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (٤٤٩٠)، وابن حبان في صحيحه (١٦٩٧)، وأبو عوانة الاسفراييني في مسنده ١/ ٣٠٣، والدارقطني (٦٦٩)، والبيهقي في سننهما ١/ ٢١٣ عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة ﵁.

وقول الخطيب: تفرّد بها أبو عوانة؛ غير مسلَّم له، فقد أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (١٦٧٤) و(٣٢٣٠٦)، ومسلم (٥٢٢)، والبزار (٢٨٤٥)، وابن خزيمة في صحيحه (٢٦٤)، والطحاوي (١٠٢٤)، وابن حبان (٦٤٠٠)، والبيهقي ١/ ٢١٣ من طريق محمد بن فضيل بن غزوان. وأحمد في مسنده (٢٣٢٥١)، وابن خزيمة (٢٦٤) من طريق أبي معاوية محمد بن خازم الضرير. ومسلم (٥٢٢) من طريق يحيى بن زكريا بن أبي زائدة. والدارقطني (٦٧٠) من طريق سعيد بن مسلمة؛ أربعتهم عن أبي مالك الأشجعي، عن ربعي بن حراش، عن حذيفة ﵁، وفيه هذه اللفظة.

حدّث ببغداد عن محمد بن يحيى الذُّهْلي النَّيسابوري، وعبد الله بن هاشم الطُّوسِي، ويوسف بن سعيد المِصِّيصي، والعباس بن الوليد بن مَزْيد البيروتي، ومحمد ابن عَوْف الحِمْصي، وأبي بكر [محمد بن] عبد الرحمن بدمشق، وغيرهم[(١)].

وروى عنه دَعْلج بن أحمد، والدارقطني، وابن شاهين، وخلقٌ كثير، وأجمعوا على فضله وأمانته.

وفيها توفي

عبد الرحمن بن [سعيد بن] هارون

أبو صالح، الأصبهاني[(٢)].

سكن بغداد وبها توفي في جمادى الأولى، حدث عن عباس الدُّوري[(٣)] وغيره، وروى عنه أبو سليمان بن زَبْر وغيره.

وفيها توفي

عثمان بن جعفر

ابن محمد بن حاتم، أبو عمرو، ويُعرَف بابن اللبَّان[(٤)].

سمع عمر بن شَبَّة، وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقة.

[وفيها توفي]

علي بن محمد بن الحسن

أبو القاسم، النَّخَعي، [الحَنَفي، الإمام، الفقيه،] ويُعرف بابن[(٥)] كاس.

---

(١) في (خ): حدث عن محمد بن يحيى الذهلي وعبد الله بن هاشم الطوسي والعباس بن الوليد بن مزيد وغيرهم، والمثبت من (ف م ١)، وما بين معكوفين من تاريخ دمشق ٣٢/ ١٨٣-١٨٤ .

(٢) أخبار أصبهان ٢/ ١١٣ ، وتاريخ بغداد ١١/ ٥٨٤ ، والمنتظم ١٣/ ٣٦٤ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٩٣ وما بين معكوفين منها. وهذه الترجمة والتي تليها ليستا في (خ).

(٣) في (ف م ١): ابن عباس الدوري، وهو خطأ، والمثبت من المصادر.

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ١٨٣ ، والمنتظم ١٣/ ٣٦٤ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٠٧ .

(٥) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٤٠ ، وتاريخ دمشق ١٢/ ٥٠٢ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٩٨ ، والجواهر المضية في طبقات الحنفية ٢/ ٥٩٣ . وما بين معكوفين من (ف م ١).

[قال أبو الحسن الرازي:] وهو من وَلَد الأَشْتر النَّخَعي، وقيل: من ولد الكُمَيل بن زياد.

[قال الخطيب:] ولي القضاء بدمشق وبالرَّمْلَة، وقدم بغداد، فركب في سُمارِيَّة[١] يوم عاشوراء، فغرق، فأُخرج حيًّا ومات.

وكان إماماً، عالماً بالفقه على مذهب أبي حنيفة، والفرائض، والقرآن، وكان ثقةً فاضلاً.

حدّث [ببغداد] عن أحمد بن يحيى بن زكريا الأَوْديّ[٢] [، وعبد الله بن رَوْح المدائني، والحسن بن علي بن عَفّان] وغيره، وروى عنه الدَّارَقُطني وغيره.

[قلتُ: كان ابن كاس أعرفَ الناس بفقه أبي حنيفة، فريدُ عصره في زمانه، وله الاختيارات.

وروى في مسألة الأرض إذا أصابتها نجاسةٌ، فجفَّت بالشمس وذهب أثَرُها؛ في ظاهر المذهب أنَّه تجوز الصَّلاةُ عليها، ولا يجوز التيمُّم نصًّا في ظاهر المذهب، وروى ابن كاس عن أصحابنا أنَّه يجوز التيمُّم منها، كما تجوز الصلاة عليها لذهاب أثَرها، والفرقُ على ظاهر الرواية أنَّ المندوبَ في التيمُّم الصَّعيدُ الطَّاهر، وهذا ليس كذلك، وقد بيَّنّاه في شرح «البداية»[٣].

وفيها توفي

محمد بن أحمد

ابن صالح بن علي بن سَيَّار بن علي بن أبي طالب بن أبي ليلى، الأزدي[٤].

أصله من سرَّ من رأى، سمع الحسن بن عَرَفة العَبْديّ، والزُّبَير بن بَكَّار، وعلي بن حَرْب وغيرهم.

وروى عنه ابن شاهين، والمُخَلِّص، وتوفي في ذي الحجة، وكان ثقةً.

---

(١) نوع من السفن.

(٢) في النسخ: أحمد بن زكريا الأودي، والمثبت من المصادر.

(٣) انظر هذه المسألة في الاختيار لتعليل المختار ١/ ١١٦-١١٧ .

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٤٥ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٩٩ .

وفيها توفي][1]

محمد بن الفَضْل بن عبد الله

أبو ذَرّ، التَّميمي، الفقيه الشَّافعي، الجُرْجاني[2].

كان رئيسَ جرجان، وكان جواداً مُمَدَّحاً، [وكانت] دارُه مَجمعَ الفُضلاء والعلماء.

رحل إلى البلاد، وسمع خلقاً كثيراً منهم: الحسن بن علي بن خلف [سمع منه بدمشق] وغيره، وروى عنه الدارقطني وأقرانُه، وكان ثقةً نبيلاً.

[وفيها توفي

محمد بن خالد بن يحيى[3]

أبو علي، الحَضْرَميّ، قاضي بيت لِهْيا، قرية على باب دمشق.

حدَّث عن جدِّه لأمِّه أحمد بن محمد بن يحيى وغيره.

وقيل: إنَّه مات في سنة تسعٍ وعشرين[4] وثلاث مئة، وكان ثقة.

وفيها توفي

محمد بن عبد الله

أبو عبد الله، الكِنْدي، الرُّهاوي، ويُعرَف بالمنَجِّم[5].

حدَّث بدمشق عن الرَّبيع بن سليمان وغيره، وكتب عنه أبو الحسين الرَّازي، وكان ثقةً.][6]

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م ١).

(٢) تاريخ جرجان ٤١٧ ، وتاريخ دمشق ٦٤/ ١٤٩ ، والمنتظم ١٣/ ٣٦٤ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٠١ .

(٣) في (ف م ١): محمد بن يحيى بن خالد، وهذه الترجمة ليست في (خ)، والمثبت من تاريخ مولد العلماء ٢٧٢ ، وتاريخ دمشق ٦١/ ٣٩٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦١٣ .

(٤) في تاريخ دمشق: سبع وعشرين.

(٥) تاريخ دمشق ٦٣/ ٣ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٠٠ . وهذه الترجمة ليست في (خ).

(٦) بعدها في (م ١): والله سبحانه أعلم بذلك.

السنة الخامسة والعشرون وثلاث مئة[1]

فيها أشار أبو بكر محمد بن رائق على الراضي بأن يَنحدرَ معه إلى واسط ليَقْرُب من الأهواز، فخرج من بغداد يوم السبت غُرَّةَ المُحرَّم مُنْحَدِراً إلى واسِط، فوصلها يوم الاثنين لعشر خَلَون منه، واستخلف بالحَضْرة أبا محمد الصِّلْحي، وأمر القُوَّاد له بالطَّاعة.

واضطربت الحُجَريّة وقالوا: هذه حِيلةٌ علينا ليَعمل بنا مثل ما عمل بالسَّاجية، فأقام بعضُهم وانحدر البعض، ثم بعد ذلك انحدروا جميعاً، فاستخدم ابن رائق ستين حاجباً وأسقط الباقين ـ وكانوا أربع مئة وثمانين حاجباً ـ ونَقَّص أرزاقَ الحَشَم والسَّاجِيَّة وغيرهم، فثاروا وحاربوا ابن رائق، وجرى بينهم قتالٌ شديد، فانهزم مَن بقي من الساجية إلى بغداد، وكان لؤلؤ صاحب الشرطة، فقتل بعضَهم، ونهب دورَهم، ولم يَبْق من الحُجَرية إلا قليل، مثل: صافي الخازن، والحسن بن هارون، فأُطلقا.

ولمَّا فرغ ابن رائق من الساجية والحجرية أشار على الراضي بالتقدُّم إلى الأهواز، فأُخرجت المَضارب، وبعث ابن رائق أبا جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد والحسن بن إسماعيل الإسكافي إلى أبي عبد الله البريدي برسالة من الراضي مضمونُها: أنَّه قد أخَّر الأموالَ واستبدَّ بها، وأفسد الجيوش، وحسَّنَ لها المُروق، وأنَّه ليس طالبيًّا فينازع على المُلك، ولا جُنديًّا فيبتغي الإمارة، ولا ممَّن يَحمل السلاح فيُؤهَّل لفَتْح البلاد المُغلقة، وأنَّه كان كاتباً صغيراً رُفع بعد خُمولٍ، وعاملاً من أوسط العمال فطغى وبغى، وكفر النِّعمةَ، وجازى على الإحسان بالسوء، وخلع الطّاعة، وركب المعصية، وإن رجع إلى الطاعة سُومح عن الماضي.

فلمَّا وصلا إليه أبلغاه الرِّسالة، فأجاب إلى أنَّه يَحمل مالاً عيَّنه، وأنَّ الجيش الذي عنده لا يَقومُ بهم مالُ الحَضْرة، فيُجهِّزُهم إلى فارس يحاربوا مَن بها.

فأمَّا ابن رائق فقَبل منه ذلك، وأما الحسن بن علي النُّوبَخْتي فقال: الواجب إخراجُه من الأهواز؛ فإنَّه كذَّاب غدَّار لا يَفي بقولٍ ولا يَمين.

---

(١) لم يرد من أخبار هذه السنة في (ف م ١) سوى مسير ابن حمدان إلى مصر.

وبعث إليه الراضي بالخِلَع، فما حَمل المال، ولا جهَّز الجيش إلى فارس.

وكان أبو الحسن البريدي ببغداد، فجهَّزه ابنُ رائق إلى أخيه أبي عبد الله.

وفيها عاد الراضي إلى بغداد بعد أن ضَمِن البريدي البلاد، وقلَّد ابنُ رائق بَجْكَم التُّركي الشرطة ببغداد، وخرج مَن بقي من الحُجَرية من بغداد إلى الأهواز، فقبلهم البريدي، وأجرى أرزاقَهم، وأحسن إليهم، ورثى لهم ممَّا جرى عليهم.

وقد دَخِلَ الرَّاضي[١] وضاق ما بيده؛ لأنَّ الأهواز والبصرة في يد البريدي، وفارس في يد علي بن بُوَيْه، وكِرْمان في يد أبي علي محمد بن إلياس، والرَّيّ وأصبَهان والجَبَل في يد الحسن بن بُوَيْه، والمَوْصِل وديار ربيعة وبكر في يد بني حَمْدان، والشّام ومصر في يد محمد ابن طُغْج، والمغرب وإفريقية في يد أبي تميم مَعَدّ، وصاروا مثل ملوك الطَّوائف، ولم يَبْق بيد الراضي غير بغداد والسَّواد، وليس في هؤلاء المُتَغَلِّبين مَن يطيع الآخر، بل يَخافُه ويَحْتَرِز منه، ونَقَص قدرُ الخلافة، وضَعُف أمرُ الملك، وعمَّ الخراب.

وفيها ظهرت الوَحْشَةُ بين محمد بن رائق وبين أبي عبد الله البريدي، ووافى أبو طاهر القِرْمِطي الكوفة، فدخلها في ربيع الآخر، فخرج ابن رائق من بغداد في جمادى الأولى، فنزل في بستان ابنِ أبي الشَّوارِب بقَنْطرة الياسِرِيّة، وأنفذ أبا بكر محمد بن علي بن مُقاتل رسالةً إلى الهَجَريّ، وكان الهَجَري يَطلب من الخليفة مالاً وطعاماً في كلِّ سنةٍ بنحو من مئة وعشرين ألف دينار لِيُقيمَ في بلده، وتردَّدت الرسائلُ بينهما، ولم يَتَقرَّر شيء، وسار الهَجَري إلى بلده، وعدل ابن رائق إلى واسط، وكاشف بني البَريدي[٢].

وفيها استوزر الراضي أبا الفتح الفضل بن جعفر بن الفُرات بمَشورة ابن رائق، وكان ابن الفرات بالشام، فأرسل وراءه فحضر، فقلَّده الوزارةَ في شوال.

---

(١) يعني فسد أمره، انظر تكملة الطبري ٣٠٧، والمنتظم ١٣/ ٣٦٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٣.

(٢) في تكملة الطبري ٣٠٧: وسار ابن رائق إلى واسط، وقد جاهر البريدي بالخلاف.

ولزم سليمان بن الحسن منزله، فكانت مدَّةُ مُقامه في الوزارة عشرةَ أشهر وأياماً، واستتر ابن مُقْلَة، وكتب الراضي تقليداً عظيماً لابن الفُرات، وعظَّمه في ألقابه، وبسط يده.

وأمَّا ابن رائق فراسل البريدي، فلم يلتفت وماطَلَه، وبعث البريدي جيشاً إلى البصرة يحفظُها من ابن رائق، وطيَّب قلوبَ أهلها، وبلغ ابنَ رائق فقَلِق من ذلك، وبعث إلى البصرة جيشاً، وكان بها من أصحابه جماعة، فانهزموا من عسكر البريدي.

والتقى أصحاب ابن رائق وأصحاب البريدي، وساعدهم أهل البصرة، فهزموا جيشَ ابن رائق مراراً، وكان ابن رائق قد ولَّى عليهم ابنَ يَزْداد، فأساء السيرة فيهم، وأحسن إليهم البريدي.

وكان بدر الخَرْشَني قد خرج من مصر لمَّا ضاقَت به، فنزل هِيْت، فكاتبه ابن رائق، فوصل إليه، فاشتد ظهرُه به، وخَلَع عليه خِلَعاً سلطانية.

وأشار ابن مقاتل على ابن رائق أنْ يُنفذ بدراً الخَرْشَني وبَجْكَم التركي إلى الأهواز؛ بعد حديث كان لبجكم مع ابن مقاتل بداره فيما بعد، فسيَّرَهما، وجعل الإمرةَ لبجكم، فسار في مئتَين وتسعين غلاماً، فجهَّز إليه البريدي أبا جعفر محمداً الحَمَّال في ألف رجل[1]، والتقوا على السُّوس.

وكان بدر الخَرْشَني بالطِّيْب يريد اللَّحاق ببجكم، فالتقى بَجكم بالحَمَّال، فهزمه وقال: إنَّما التقيتُ هذه العُدَّة العظيمة بهذه الطائفة اليسيرة لئلاَّ يَشْرَكني بدر في الفتح.

ووصل الحَمَّال مُنهَزماً إلى البريدي، فشَتمه ولَكَمه، وقال: أنت كنتَ تظنُّ أنَّك تُلاقي ياقوتاً المُدْبِر[2].

---

(١) في تكملة الطبري ٣٠٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٣ : عشرة آلاف رجل، وفي الكامل ٨/ ٣٣٥ : ثلاثة آلاف مقاتل.

(٢) في تكملة الطبري ٣٠٩ : فلما أتى أبو جعفر البريديَّ قام فلكمه وقال: ظننت أنك تحارب ياقوتاً وقد أدبر بلقاء الأتراك، وفي الكامل ٨/ ٣٣٥ : فضرب البريدي محمداً الحمال وقال: انهزمت بثلاثة آلاف من ثلاث مئة؟ فقال له: أنت ظننت أنك تحارب ياقوتاً المدبر، قد جاءك خلاف ما عهدت، فقام إليه وجعل يلكمه بيديه.

وجاء بَجْكَم وأصحابه إلى جسر تُسْتَر - وقد شَحنه البريدي بثلاثة آلاف - فخاض بَجكم الماء سباحةً، فانهزم أصحابُ البريدي بغير حَرْبٍ، وعادوا إليه، فخرج للوقت ومعه أخواه في طيَّار، وحملوا معهم ثلاث مئة ألف دينار كانت في خزانته، فبينا هم كذلك إذ غرق الطيَّارُ وهم فيه بمكان يقال له: الهِنْدُوان[١]، فأخرجهم الغوَّاصون، وأُخرِج لبجكم بعض المال، ووافَوه بالبصرة، ودخل بجكم الأهواز، وكتب إلى ابن رائق بالفتح.

ودخل البريديون البصرة، ونزلوا الدُّور واطمأنُّوا وكانوا ثلاثة.

وشَغَب أصحاب بدر الخَرْشَني عليه، فانصرف إلى واسِط، وبقي بجكم بالأهواز.

وسار ابن رائق بنفسه إلى البصرة يوم السبت للنصف من شوال على الظَّهْر، وكتب إلى بدر أن يوافيه في الماء، وإلى بجكم أن يوافيه، وسار بدر فملك كَلأ البَصْرة[٢]، فهرب البريدي إلى جزيرة أُوال، ووافاه بَجْكَم.

وسار ابن رائق وبدر وبجكم نحو البصرة ليدخلوها، فخرج إليهم أهلُها فقاتلوهم، فرأى بَجكم أمراً عظيماً، فقال لابن رائق: ما الذي فعلتَ بهؤلاء حتى أحوجهم إلى ما ترى؟!

ومضى البريدي إلى فارس، واستجار بالأمير علي بن بُوَيْه فأجاره، وأنفَذَ معه أخاه أبا الحسين لفتح الأهواز، وبلغ ابن رائق ذلك فقال لبجكم: اذهب إلى الأهواز فاحفَظْها، فقال بجكم: لستُ أحاربُ الدَّيْلَم وأدفعُهم عن الأهواز إلا بعد أن تَحصلَ لي إمارتُها وخَراجُها، فقال ابن رائق: أنا أُضمِّنُك إياها بمئة وثلاثين ألف دينار مَحمولة في السنة، بعد أن تقومَ بنفقات الجُند والمُؤَن، فقال: رضيتُ.

وأقام أهل البصرة على عِصيان ابن رائق، ومالوا إلى البريدي لسوء معاملته، وكان قد حَلَف أنَّه إنْ تمكَّن منهم أحرَق البصرة وجعلَها رَماداً، فازداد غيظُهم عليه.

(١) كذا في (خ) وأصل تكملة الطبري ٣٠٩، وهو الصواب إن شاء الله، وفي مطبوع تكملة الطبري نقلاً عن تجارب الأمم ١/ ٣٧١ كما ذكر محققه: النهروان.

(٢) كل مكان تُرفأ فيه السفن وهو ساحل كل نهر؛ يسمى كلأ، وفي الكامل ٨/ ٣٣٦: الكلاّء، دون إضافة، وهو اسم محلة مشهورة. انظر معجم البلدان ٤/ ٤٧٢.

قصة جرت لبَجكم

قال سنان: قال لي بجكم: يميل الملك إذا حزَبَه أمرٌ من الأمور أن يكون جميع ما يَملك من مالٍ وغيره أقلَّ في عينه من التُّراب، ولم يَخْذِفْه كما يخذف الحَصاة[١]، فإنِ اندفَع عنه المَكروه كان قادراً على استخلاف أضعاف ما يخرج عنه، وإنْ هو بَخِل ذهبَت روحُه مع ما في يده.

لمَّا قلدني ابن رائق الأهواز، ولم يكن ذلك برأي أبي بكر بن مُقاتل كاتبِه، فلمَّا بلغه الخبرُ قامَت قيامتُه، وقال لابن رائق: عزمتَ على أن تقلِّد بَجكم الأهواز؟ قال: نعم، قال: أخطأتَ على نفسك غاية الخطأ، أنت لا تقوى على بني البَريدي، وهم كُتَّاب أصحاب دَراريع، ولا تقدر على صَرْفهم، ولا على تَخْليص المال ولا البلد من أيديهم، تُقلِّدُ رجلاً تركيًّا صاحبَ سيف ـ وإنَّما صَحِبك قريباً ـ مثلَ الأهواز؟! وقد عرفتَ نفوس الأتراك، وما هو إلا أن يحصلَ البلد في يده، ويرى حُسْنَه وكثرةَ أمواله، وكثرة مَن معه من الجيش؛ حتى تُحدِّثه نفسُه بالتغَلُّب عليه، وربَّما تغلَّب عليك وأزالَك عن مَرْتَبتك، فتكون أنت الجاني على نفسك، فثَنى رأي ابن رائق عما كان عزم عليه.

وبلغني، فضاق صدري، واغتَمَمْتُ غَمًّا شديداً، وشاورتُ محمد بن ينال فلم يكن عنده رأيٌ، وهوَّن عليه، فقلتُ في نفسي: ابنُ مقاتل تاجرٌ عامِّي، وأنفُسُ التجار دَنِيَّة، والدِّرهم يكبر في نفوسهم.

فأخذتُ عشرة آلاف دينار، ونزلتُ في سُماريَّة ومعي محمد بن ينال تَرْجُمانٌ ليس معي غيرُه، وصرتُ إلى باب ابن مُقاتل فوجدتُه مغلقاً، وطرقتُه فكلَّمني البَوَّاب من وراء الباب فقال: الرجلُ نائم، وبيني وبينه أبواب، قلتُ: اطرُقها فإنِّي قد حَضَرتُ في مُهمٍّ لا يجوز تأخيرُه، فدقَّها، وكلَّمه من ورائها، وأخبره ففتح.

ودخَلْنا وهو في فراشه، فانزعج لحضوري وقال: ما الخبر؟ قلتُ: أمرٌ أردتُ أن أُلقيَه إليك على خَلْوَة. فقال: قل، قلتُ: ما أطلعتُ عليه أحداً إلا هذا التَّرْجُمان لثقتي

(١) كذا في (خ)، وقد ذكر هذه القصة الهمداني في تكملة الطبري ٣١٣ مختصرة جداً.

به، قال: قل ما تحبُّ، فقلتُ: قد علمتَ ما كان عليه الأمير من تقليدي الأهوازَ، وقد توقَّف، ولستُ أدري سببَ تَوَقُّفه، وفي إبطال ما كان عَزم عليه بعد إشهاره غضٌّ مني، وإبطالٌ لجاهي، وأنا صنيعتُه وصنيعتُك، وإنْ لم أحْظَ في أيَّامكما فمتى أحظى؟ وأيُّ قَدْرٍ يكونُ لي عند الناس؟ وهذه عشرة آلاف دينار قد حملتُها إلى خزانتك، وأُريد منك أنْ تُشير عليه بإمضاء ما كان قد تقرَّر، فإنَّه ما يُخالفك، قال: فلمَّا رأى الدنانير انْحَلَّ وقال: اذهب في دَعَة الله، ودَعْني على ما أعمل، وانصرفنا.

فلمَّا كان بعد ثلاثة أيام قال ابن مُقاتل لابن رائق: إنِّي قد فكَّرتُ في أمر بَجْكم فوجدتُ الصَّوابَ معك، لأنَّك متى تركتَ الأهواز في يد بني البريدي لم يَقنعوا بها، ومَدُّوا أيديَهم إلى غيرها من أعمالك، وفازوا بالمال، وأفسدوا قلوبَ أصحابك بالعطاء فصاروا إليهم، فإن بعثتَ إليهم الجيوش أفسدوهم، وإن خرجتَ بنفسك خاطرتَ بها، وما تدري ما يكون، وليس لهم مثل بجكم، لأنَّهم لا يَطمعون في مُقاومته، ويخافون من شَوكَته، فأمْضِ أمرَه، فإن أطاع وإلا فأنت مالكُ أمرك، متى شئتَ استبدلْتَ به.

فقبل رأيَه، وقلَّدني الأهواز، فباع ابنُ مُقاتل روحَه وروحَ صاحبه ونعمتَه بعشرة آلاف دينار، وتعوَّضَت الدنانير أضعافَها، وحصل لي مُلكُ ابنِ رائق.

وفيها ولَّى محمد بن طُغْج بُدَيْراً مولاه إمرةَ دمشق، فأقام بها إلى سنة سبع وعشرين وثلاث مئة، فقدم محمد بن رائق إلى دمشق فأقام بها، وزعم أنَّ المُتَّقي ولاَّه إياها، وأخرج بُدَيْراً عنها، ثم وليها بُدَير بعد ذلك من قبل كافور الإخشيدي، ثم قُبِض على بُدَيْر في سنة سبع وثلاثين.

وأما البريديون فهم ثلاثة: أبو عبد الله وأبو الحسين وأبو يوسف، كان أبوهم كاتباً على البَريد بالبصرة، فغَلَبوا على الأهواز والبصرة، وجرت لهم قصصٌ، ثم اختلفوا فتمزَّقوا كلَّ مُمزَّق.

وفيها سار علي بنُ عبد الله بن حَمْدان إلى مصر، فتغلَّب عليها لمَّا خرج منها بدر الخَرْشَني، ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ.

[فصل]: وفيها توفي

أحمد بن محمد بن الحسن

أبو حامد، ابن الشَّرْقي، النَّيسابوري(١).

ولد في رجب سنة أربعين ومئتين، وطاف الدنيا [وسمع الكثير] وكان حافظاً مُتقِناً، [وكان] أوحدَ عصره، وكان كثيرَ الحجِّ.

وقال الحاكم [أبو عبد الله:] نظَرَ محمد بن إسحاق بن خُزَيمة إلى أبي حامد فقال: ما دام هذا حيًّا لا يَتهيّأ لأحد أن يَكذب على رسول الله ﷺ، وكانت وفاتُه في رمضان.

[سمع خلقاً كثيراً منهم: الزُّبير بن بَكَّار، ومسلم بن الحجَّاج وغيره.]

وأجمعوا على صدقه وأمانته(٢).

عدنان ابن الأمير أحمد بن طولون

قدم بغداد، وحدَّث بها عن الربيع بن سليمان، والمُزَنيّ، وأصحاب الشافعي رحمة الله عليه، وقدم دمشق وحدَّث بها، وكان ثقةً رحمه الله(٣).

محمد بن أبي موسى العَبَّاسي، أبو عبد الله

وكان نبيلاً، قال إبراهيم بن محمد الطَّبَري: رأيتُ ثلاثةً لا يَتقدَّمُهم أحدٌ من أبناء جِنسهم: محمد بن أبي موسى يتقدَّم العباسيين فلا يُزاحمُه أحد، وأبا عبد الله الحسين ابن أحمد الموسوي يتقدَّم الطالبيِّين فلا يزاحمُه أحد، وأبا بكر بن الأَكْفاني يتقدَّم الشُّهودَ فلا يزاحمُه أحد(٤).

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٠٩، والمنتظم ١٣/ ٣٦٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٠٤، والسير ١٥/ ٣٧.

(٢) بعدها في (ف م ١): انتهت ترجمته، والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. السنة السادسة والعشرون وثلاث مئة.

(٣) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٧١، وتاريخ دمشق ٤٧/ ٥٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥١١.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٧٠٨، والمنتظم ١٣/ ٣٧١، وتاريخ الإسلام ٨/ ٨٣٥ فيمن مات قبل الأربع مئة. ولم يذكر الخطيب تاريخ وفاته.

موسى بن عُبيد الله

ابن يحيى بن خاقان، أبو مُزاحِم.

كان أبوه وزيرَ المُتوكِّل، وكان موسى ثقةً من أهل السنة، نقَشَ على خاتمه: دِنْ بالسُّنَن موسى تُعَن. وتوفي في ذي الحجة[1].

(١) تاريخ بغداد ١٥/ ٦٢ ، والمنتظم ١٣/ ٣٧٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥١٦ ، والسير ١٥/ ٩٤ .

السنة السادسة والعشرون وثلاث مئة

فيها سار أبو عبد الله البَريدي [إلى الأهواز] لمُحاربة بَجْكم.

قد ذكرنا أنَّ البريدي قد مضى إلى فارس، واستعان بالأمير علي بن بُوَيْه، وأنَّ ابن بُوَيْه بعث معه أخاه أبا الحسن أحمد بن بُوَيْه لدَفْع بَجْكَم عن الأهواز، وخلَّف البريدي عند علي بن بُوَيْه ولدَيه أبا الحسن محمداً [وأبا جعفر الفياض رهينة][1].

ووَرَدَ الخبر على بَجْكَم بنزول أحمد بن بُوَيْه على أَرَّجان، فخرج لحربه، وعاد مُنهزماً بعد ثلاثة أيام، وكان أوكد الأسباب في هزيمته أنَّ المطر اتَّصل أياماً كثيرة، فمنع الأتراك الذين مع بَجْكم أن يَرْموا بالنُّشَّاب لِلِيْن أوتارهم، وبطلان العمل بها، وقطع قَنْطرة أَرْبُق، فاحتال ابن بُوَيْه في عبورها.

وكان بَجكم قد أرسل محمد بن ينال التَّرْجُمان، فلقي أحمد بن بُوَيه، فهزمه أحمد، فمضى إلى تُسْتَر، وعاد غلمانُه إلى بَجْكم، فقبض على وجوه أهل الأهواز، وحمَلَهم معه، وسار إلى واسِط بأصحابه فأقام بها.

ودخل أحمد بن بويه والبَريدي الأهوازَ، فأقام البريدي عنده أياماً، ثم هرَب منه في الماء إلى الباسِيان[2] فأقام بها، وكان قد سلَّم إلى أبي علي العارض كاتب أحمد خمسة آلاف درهم إلى يوم هرب، وإنَّما طُولب بإنفاذ عسكره إلى البصرة ويُبقي جَريدة[3]، فاستوحش، وكان الدَّيْلَم ينالون منه ويُسمعونه ما يَكره[4].

---

(١) ما بين معكوفين من الكامل ٨/ ٣٤٠.

(٢) في (خ): المارستان، وهو خطأ، وليس في (ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من تكملة الطبري ٣١٢، والكامل ٨/ ٣٤١.

(٣) هي خيل تنتدب من سائرها لوجه، أو خيل لا رجّالة فيها. معجم متن اللغة.

(٤) هذا الخبر يوضحه ما في تكملة الطبري ٣١٢ من أن معز الدولة بن بويه سبّب على البريدي بعد أن أقام معه خمسة وثلاثين يوماً بخمسة آلاف ألف درهم بإحضار عسكره لينفذهم إلى الأمير ركن الدولة بأصبهان، فأحضر أربعة آلاف رجل وقال لمعز الدولة: إن أقاموا بالأهواز جرى بينهم وبين الديلم فتنة، وكان الديلم يهينونه ويزعجونه، وكان ابن بويه يكرمه، وأبو علي العارض يجلس بين يديه ويخاطبه بسيدنا.... وانظر الكامل ٨/ ٣٤٢.

وكتب البريدي إلى غلامه أبي جعفر محمد الحَمَّال بأن يُوافي بباقي الجيش إلى البصرة، وكتب [إلى][١] أحمد بن بويه ليُخلي له قَصَبةَ الأهواز، ويقوم بما ضَمنه من المال لعلي بن بُوَيْه ـ وهو ثمانية عشر ألف ألف درهم ـ فأجابه أحمد خوفاً من عَتَب أخيه علي بن بُوَيْه، وانتقل إلى عَسْكرمُكْرَم، فبعث إليه البريدي يقول: انتقل إلى السُّوس وأُعطيك ثلاثين ألف دينار، وجعَلَ يُدَرِّجُه المنازلَ، ولا يَبعثُ له شيئاً، فقيل لأحمد: إنَّه قد سلك معك طريقاً سَلَكَه مع ياقوت، وما قَصْدُه إلا إبعادُك إلى السُّوس، ويَستميل الذين معك كما فعل بياقوت، فامتنع أحمد من الخروج من عَسْكَرمُكْرَم وهي على سَمْت طريق فارس، وقال: لا أُفارق طريقاً أبعد فيها عن أخي.

وأقام البَريدي أسفلَ الأهواز، ولا حُكمَ لأحمدٍ إلا على عَسْكرمُكْرَم، وقلَّ المال عنده[٢]، وشَغَب رجالُه، وأرادوا الرجوع إلى فارس، فضبطهم، وكتب إلى أخيه بشرح الحال، فبعث إليه قائداً في ثلاث مئة رجل من الدَّيْلَم ومعه خمس مئة ألف درهم، ففرَّقها في رجاله، ووَلي على كُور الأهواز، ونزل في دار أبي عبد الله البريدي، وأقطع ضياعه، واستولَى على أمواله.

واستقرَّ أمر أحمد، وبَجْكم مقيمٌ بواسِط يُنازع إلى الملك ببغداد، وقد جمع ابن رائق أطرافَه وأقام ببغداد، والبريدي هاربٌ في أسفل الأهواز.

ذكر ما جرى بين الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر وبين محمد بن رائق:

لمَّا رأى الوزيرُ اختلالَ الحَضْرة، واستيلاء المُخالفين على البلاد؛ أطمع ابنَ رائق في أن يَحمل إليه الأموال من مصر والشام، وأعلمه أنَّ ذلك لا يَتِمُّ مع بُعْده عنها، وصاهره فزوَّج ابنه أبا القاسم بابنة محمد بن رائق، وعقد بينه وبين ابن طُغْج صِهْراً، فزوَّج مُزاحم بن محمد بن رائق بابنة ابن طُغْج.

وخرج الوزير إلى الشام في ربيع الآخر على طريق الفُرات، واستخلف عبد الله بنَ علي النِّقَّري بالحَضْرة، وسَفَر ابن شيرزاد بين البريدي ومحمد بن رائق في الصُّلح، وأن

(١) ما بين معكوفين من الكامل ٨/ ٣٤٢.

(٢) يعني عند معز الدولة بن بويه، انظر تكملة الطبري ٣١٣، والكامل ٨/ ٣٤٣.

يكون عسكرُ البريدي بالبصرة يُقيم الدَّعوة للراضي ولابن رائق، ويجتهدوا في فتح الأهواز، وكتبوا الكتاب، وأخذوا عليه خطَّ الراضي، وسار جيش البريدي من البصرة إلى واسِط لقتال بَجكم، فخرج إليه بَجكم، فأوقع به بالدرمكان[١] وعاد إلى واسط، فجلس ابن رائق ببغداد في الهينة[٢].

ذكر هذه الواقعة:

بلغ بجكم صُلْح ابن رائق مع البريدي، وقَصَده البريدي، وبعث محمداً الحَمَّال في ألف رجل، والتقوا، فانهزم الحَمَّال من الدرمكان، وكان البريدي وأخوه مقيمَيْن بمَطارا ينتظران الخبر، وجاءهما الفَلُّ ولم يُقتَل منهم أحد، وراسله بجكم وقال: أنت قد اتَّفقْتَ [مع][٣] ابن رائق عليَّ، وقد عفوتُ عنك، وأنا أُعاهدك إنْ مَلَكتُ الحَضْرةَ أنْ أُقَلِّدك واسِطاً، فسجد البريدي شُكراً لله عز وجل، وحلف له، واتَّفقا.

وفيها جرَت فتنةٌ عظيمة من الحنابلة وسببها البَرْبَهاري، فكتب إليه محمد بن رائق يَتهدَّدُه، فاسْتَتَر، ونَهى أصحابه عما كانوا عليه[٤].

وفيها قُطعَت يدُ ابن مُقْلَة، ثم قُطع لسانُه؛ وسببه أنَّ محمد بن رائق لمَّا صار إليه تدبيرُ المملكة في وزارة سليمان بن الحسن للراضي قبض على ضياع أبي علي بن مُقْلَة وابنه، فسأله ابنُ مُقْلَة إطلاقَها، فوعده، ثم مَطَلَه، فأخذ في السَّعي عليه من كلِّ وَجْه، وكتب إلى بَجكم يُطمِعه في الحَضْرة، وكتب إلى الرَّاضي يُشير عليه بالقبض على ابن رائق وأسبابه، ويَضْمَن له إذا فعل ذلك وقلَّده الوزارة لَيَستخرج له منه ثلاثة آلاف ألف دينار، وأشار باستدعاء بجكم ونَصْبِه مكان ابن رائق، فأَطْمعه الراضي في ذلك، فكتب ابن مُقْلَة إلى بجكم يُخبره ويَحُثُّه على القُدوم.

---

(١) في تكملة الطبري ٣١٤ : بشابرزان، والمثبت موافق لما في تجارب الأمم ١/ ٣٨٤ .

(٢) كذا، ولم أتبينها، وانظر أخبار الراضي ١٠١ ، ١٠٣ ، والكامل ٨/ ٣٤٣-٣٤٤ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٦ .

(٣) ما بين معكوفين من تاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٦ .

(٤) من قوله أول السنة: قد ذكرنا أن البريدي... إلى هنا ليس في (ف م ١).

واتَّفق أنَّ ابن مُقْلَة يَنحدر إلى الراضي سِرًّا، ويُقيم عنده إلى أن يَتِمَّ التَّدبير، فركب من داره بسوق العَطَش وعليه طَيْلَسان، وذلك ليلة الخميس لثلاث بقين من رمضان، وتعمَّد تلك الليلة لأنَّ القمر تحت الشُّعاع، وهو يُختار للأمور التي تَصْلُح للكِتمان[١].

فلمَّا وصل إلى دار الخليفة لم يُوصِله إليه، وعدل به إلى حُجرةٍ فاعتُقل فيها.

وبعث الراضي إلى ابن رائق في أمره فأخبره الخَبَر، وما زالت الرسائل تتردَّد بين الخليفة وابن رائق في أمره، فلمَّا كان يوم الخميس لأربع عشرة خلَت من شوال أظهر الخليفة أمرَه، واستفتى العلماء في أمره، وذَكر ما أشار به من مجيء بجكم وقَبْض ابن رائق، فيقال: إنَّ القضاة أفتَوا بقطع يده[٢] لأنَّه سعى في الأرض بالفساد، فأخرجه الراضي إلى دِهْليز التِّسعيني، وأُحضر فاتك حاجبُ ابن رائق وجملة من القُوَّاد، وقُطعت يدُه اليمين، ورَدَّه إلى محبسه[٣].

قال ثابت بن سنان: فاستدعاني الراضي، وأمرَني بالدخول عليه وعلاجِه، وفتح لي الخدم باب الحبس[٤]، فدخلتُ عليه، فإذا به جالسٌ يبكي، ولونُه مثل لون الرَّصاص، فلمَّا رآني شكا إليَّ ما يُلاقيه من ضَرَبان ساعِده[٥]، فحَلَلْتُ الخِرْقَة وعلى القَطْع سِرْقين الدَّوابّ[٦]، فطَلَبتُ كافوراً، فبعث به الراضي من عنده[٧]، فطليتُ به ساعِدَه، فسَكَنَ الضَّرَبان.

وخرجتُ من عنده بعد أنْ أطعمتُه مقدار عشرين لُقمة من طعام، وكنتُ أتردَّد إليه فعرضت له علَّة النِّقْرِس في رِجْله اليسرى، فكان يتألَّم من ذلك، فدخلتُ عليه يوماً وهو

(١) تكملة الطبري ٣١٥، وفي الكامل ٨/ ٣٤٥: فحضر متنكراً آخر ليلة من رمضان وقال: إن القمر تحت الشعاع، وهو يصلح للأسرار، فكان عقوبته حيث نظر إلى غير الله أن ذاع سره وشهر أمره.

(٢) قال الذهبي في تاريخه ٧/ ٤٢٦: ولم يصح.

(٣) من قوله: وسببه أن محمد بن رائق لما صار إليه تدبير المملكة ... إلى هنا ليس في (ف م ١).

(٤) في (ف م ١): السجن.

(٥) في (ف م ١): من ألم ساعده قبل أن يقطع لسانه، والمثبت من (خ). والضربان: الألم والوجع.

(٦) هو الزِّبْل.

(٧) في (ف م ١): فشاور الخادم الراضي فبعث به من عنده.

يَنوح على نفسه ويبكي ويقول: يدٌ خَدمْتُ بها الخِلافةَ ثلاثَ دَفْعات لثلاثة من الخلفاء، وكتبتُ بها القرآن دَفْعتَين، تُقطَع كما تُقْطَع أيدي اللُّصوص؟

ثم قال: أتذكُرُ وأنت تقول لي: [إنك] في آخر نَكْبة، ولعلَّ الفَرج قريب؟ قلتُ: بلى، قال: فقد ترى ما حلَّ بي، فقلتُ: ما بقي بعد هذا شيء، وينبغي أن تَتَوقَّع الفَرَج، فإنَّه قد عُمل بك ما لم يُعمَل بنَظيرٍ لك، وهذا انتهاءُ المَكروه، ولا يكون بعد الانتهاء إلا الانحطاط. فقال له: لا تغفل؛ فإنَّ المِحْنةَ قد تشبَّثت بي تشبُّثاً يَنْقُلُني من حالٍ إلى حال، إلى أنْ تؤدِّيني إلى التَّلَف، كما تتشبَّث حمَّى الدِّقِّ بالأعضاء، فلا تفارقُ صاحبها [حتى] تُؤدِّيه إلى التَّلَف، ثم تمثَّل: [من الوافر]

إذا ما مات بعضُك فابْكِ بعضاً ... فبعضُ الشَّيء من بعضٍ قريبُ

فكان الأمرُ كما قال؛

لمَّا قَرُب بَجْكَم من بغداد قطع ابن رائق لسانَه، وبقي في الحبس مدةً طويلة، ثم لَحِقه ذرَبٌ ولم يكن عنده مَن يَخدُمه، فبلغني أنَّه كان يَستقي الماء بيده اليُسرى، ويَجْذِبُ الحَبْلَ ويُمْسِكه بفيه، ولحقه شَقاءٌ عظيم إلى أن مات بدار الخليفة.

ثم سأل أهلُه بعد مدة في تسليمه إليهم، فنُبِش وسُلِّم إليهم، فدفنه ابنه أبو الحسين في داره في مُرَبَّعَة أبي عبد الله[١]، ثم أحبَّت زوجتُه أنْ تَدفُنَه في دارها، فنُبش وحمل إلى دارها في قصر أمِّ حبيب، فدُفن هناك[٢].

[قال ثابت:] ومن العجائب أنَّه كان يُراسل الراضي من الحبس بعد قطع يده، قبل أن يقطع لسانه، ويُطمعه في المال الذي وعدَه أنَّه يُصَحِّحه له، ويقول: إنَّ قَطْعَ يده ليس مما يَمنعُه أنْ يَستوزره؛ لأنَّه يُمكنه أن يوقِّع بحيلة يحتالها [أو بيده اليسرى، وكان يَشُدُّ القلمَ على ساعده الأيمن، ويكتب بيده اليسرى]، فلمَّا علم ابن رائق أنَّه يسعى بلسانه في التدبير عليه قطعه[٣].

---

(١) في (ف م ١): أبي عبيد الله.

(٢) ثمار القلوب ٢١٠-٢١١ وما بين معكوفين منه.

(٣) في (خ): ابن رائق قطع لسانه، والمثبت من (ف م ١) وما بين معكوفين منهما.

ومن العجائب أنَّه تقلَّد الوزارة ثلاث دَفْعات لثلاثة من الخلفاء، وسافر في عمُره ثلاث سَفَرات، منهنَّ اثنتان في النَّفي إلى شِيراز، وواحدة إلى المَوصل في قتال ابن حمدان وهو وزير، ودُفن بعد موته ثلاث دفَعَات في ثلاثة مواضع، وخُصَّ به من خدمه ثلاثة: شكر، ووردي، وشمائل [وهذا قول ثابت بن سنان في ترجمة ابن مُقْلَة].

وذكره الشيخ جمال الدين ابن الجوزي رحمه الله في «المنتظم» وقال: إنَّ رُقْعَةً جاءت من ابن مُقْلَة إلى الراضي يَضْمَن فيها ابنَ رائق وابنَي مقاتل بألفي ألف دينار، وأنَّه يقبض عليهم بحيلةٍ لَطيفة، فقال الراضي: صِرْ إليَّ حتى تُعَرِّفَني وَجْهَ هذا، فجاء إليه، وعلم ابنُ رائق، فجاء في جيشه إلى دار الراضي وقال: لا أبرح إلا بتسليم ابنِ مُقْلَة، فأُخرج، فأمر بقَطْع يده اليمنى وقال: هذا سعى في الأرض بالفساد(١).

قلت: ومات ابنُ مقلة في سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة، وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى(٢).

وورد الخبر بمسير بَجكَم من واسِط يُريد الحَضْرة، وكان قد أزال اسمَ ابن رائق من أعلامه وتِراسِه، وكان مسيرُه من واسِط يوم الخميس غُرَّة ذي القعدة، وبعث ابن رائق إلى دَيالى، فبَثَق إليه بَثْقاً من النَّهروان، وقطع الجِسرَ ليصير خَنْدقاً بينه وبين بجكم، وطالب ابنُ رائق الراضي بأن يكتبَ إلى بجكم يأمرُه بالرُّجوع إلى واسِط، فكتب إليه كتاباً فلم يَلْتفت، ويمَّم قَصْدَه، ووصل إلى دَيالى، وبه عسكرُ ابن رائق، فانهزم إلى عُكبَرا.

واستتر ابن رائق ببغداد، ودخل بجكم يوم الاثنين لاثنتي عشرة خلَت من ذي القعدة على الراضي، فأكرمه، ورَفع منه، وخَلَع عليه، وعاد بالخِلَع إلى عسكره بدَيالى، واستتر أبو بكر بن مُقاتل كاتب ابن رائق.

ثم خلع الراضي على بجكم في اليوم الثاني والثالث، وأنزله دار مؤنس بسوق الثلاثاء، وانقضت أيام محمد بن رائق، وكانت مدَّتها سنةً واحدة وعشرة أشهر وستة عشر يوماً، ولقَّب الراضي بجكم بأمير الأمراء، وخلع عليه خِلَع المُنادَمة(٣).

---

(١) المنتظم ١٣/ ٣٧٣. وانظر تكملة الطبري ٣١٤، والكامل ٨/ ٣٤٥-٣٤٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٦.

(٢) في (خ): ومات سنة ثمان وعشرين، وسنذكره إن شاء الله تعالى. والمثبت من (ف م ١).

(٣) هذا الخبر بطوله ليس في (ف م ١).

وفيها ورد كتابٌ من ملك الروم إلى الراضي في رمضان، وكانت الكتابة بالرُّومية بالذَّهَب، والترجمة بالعربية بالفِضَّة، وعنوانه: من رومانس وقسطنطين وإسْطَفانوس عُظَماء ملوك الروم، إلى الشَّريف البَهِيّ ضابط سلطان المسلمين؛ باسم الأب والابن وروح القدس الإله الواحد، الحمد لله ذي الفضل العظيم، الرؤوف بعباده، الجامع للمفترقات، والمؤلِّف للأمم المختلفة في العداوة حتى تصير شيئاً واحداً، والحمد لله الذي جعل الصُّلحَ أفضلَ الفضائل، إذ هو محمود العاقبة في السماء والأرض.

ولمَّا بلغنا ما رُزِقْتَه ـ أيها الأخ الشّريف الجليل ـ من وُفُورِ العقل، وتمامِ الأدب، واجتماع الفضائل أكثر[1] ممَّن تقدَّمك من الخلفاء، حمدنا الله تعالى حيث جعل في كلِّ أمة مَن يَميل إلى طاعته، ويَمتثل أمره ....

وذكر كلاماً طويلاً حاصلُه أنَّهم طلبوا الهُدْنَة، ومُفاداة الأُسارى الذين بأيدي المسلمين وأيديهم، وأهْدَوا للراضي هديَّةً سَنيَّة [فاخرة]، وذكروها في الكتاب فقالوا: وقد وجَّهْنا إلى شريف حَسَبك شيئاً من الألطاف، منها: أقداحٌ من ذهب مُطَعَّمَةٌ بالجوهر، وفوق كلِّ قَدَحٍ أَسَدُ بَلُّور مُطَعَّم، وكيزان، وجِرارٌ من ذهب كلُّها مُطَعَّمَة، وأواني من الذَّهب مُجوهَرة، وثياب كثيرة، ومِسْكٌ وعَنْبَرٌ وطِيبٌ كثير، وألوان اللطائف شيء ما في خزانة الخلفاء مثلُه.

فكتب إليهم الراضي كتاباً من إنشاء أبي عبد الله أحمد بن محمد بن ثَوابَة مضمونه:

بسم الله الرحمن الرحيم، من عبد الله أبي العباس الإمام الراضي بالله أمير المؤمنين إلى رومانس وقسطنطين وإسْطَفانوس رؤساء الروم، سلامٌ على مَن اتَّبع الهُدى، وتمسَّك بالعُروة الوُثْقى، وسَلك سبيلَ النَّجاة والزُّلْفى، وإنَّ أمير المؤمنين يَحْمَد الله الواحدَ الأحد، الفَرْدَ الصَّمد، الذي لا صاحبةَ له ولا وَلد[2]، ولا شريكَ ولا عَضُد، تَنَزَّه عن المُضاهاة لعَظَمته، وتقدَّس عن المُناوأة بحكمته، وتعظَّم عن شَبَه[3] العباد برُبوبيته، واستغنى عن الضرورات بمُلْكه وقُدْرته، فهو كما وَصَف نفسَه:

(١) في (م١): أفضل، وليس في (ف) لخرم نشير إليه قريباً، والمثبت من (خ).
(٢) في (م١): الذي لم يتخذ صاحبة ولا ولد.
(٣) في (م١): تشبيه.

لا إله إلا هو الحيُّ القيوم، له ما في السماوات وما في الأرض، وذَكر آيات التوحيد والجهاد، وصلَّى على النبي ﷺ، وأخبرهم أنَّه قَبِل الهَديَّة [والهُدْنَة]، وأجابهم إلى ما التمسوا [، وهذا كتاب يطول ذكره، ذكره ثابت بن سِنان].

وفيها قَلَّد الراضي بَجْكم إمارة بغداد وخراسان، وابنُ رائق مستترٌ ببغداد، ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ.

[فصل]: وفيها توفي

إبراهيم بن داود

أبو إسحاق، الرَّقِّي، القَصَّار[1].

[قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: كان] من جِلَّة مشايخ الشام، [من أقران الجنيد وابن الجلَّاء، عاش طويلاً، وصحبه أكثر مشايخ الشام،] وكان مُلازِماً للفقراء، محبًّا لله تعالى، مجرَّداً من الدنيا.

ذكر نبذة من كلامه[2]:

قال: الأبصارُ قوية والبصائرُ ضعيفة، ومَن اكتفى بغير الكافي افتقَرَ من حيث استغنى.

وقال: الكفايات تصل إليك بغير تَعَب، والتَّعَبُ في الفُضول.

وقال: أضعفُ الخَلْق مَن ضَعُف عن رَدِّ شَهواته، وأقوى الخَلْق من قَوِي على ردِّها.

وسئل عن التوكُّل فقال: السُّكونُ إلى مَضمون الحقِّ.

وقال: المعرفةُ إثباتُ الربِّ خارجاً عن كلِّ مَوهوم، ألا ترى إلى قوله ﷺ: «تَفكَّرُوا في آلاء الله، ولا تفكَّروا في الله فتَهْلكوا»[3].

---

(١) طبقات الصوفية ٣١٩، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥٤، والرسالة القشيرية ١٠٥، والمنتظم ١٣/ ٣٧٤، وصفة الصفوة ٤/ ١٩٧، ومناقب الأبرار ٢/ ٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٢٠.

(٢) أثبت في كلامه سياق (خ)، وسأشير في نهاية كلامه إلى سياق (م١).

(٣) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٣١٥)، وأبو الشيخ في العظمة (١)، وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٥٥٥ والبيهقي في شعب الإيمان (١١٩) من طريق الوازع بن نافع، عن سالم بن عبد الله بن عمر، عن أبيه ابن عمر. والوازع بن نافع؛ قال البخاري: منكر الحديث، وقال النسائي: متروك، وقال أحمد وابن معين: ليس بثقه، وقال ابن عدي: عامة ما يرويه غير محفوظ، انظر ميزان الاعتدال (٨٨٠٣)، وكشف الخفاء ١/ ٣٧١.

وقال: ما دام لأغْراض الكون عندك خَطَر، فلا خَطَرَ لك عند الله.

وقال: القُدرةُ ظاهرةٌ، والأعين مفتوحة؛ غير أنَّ البَصائر ضعيفةٌ.

وقال: سافرتُ ثلاثين سنةً أُصلح قلوبَ الناس للفقراء.

وسأله سائلٌ فقال: هل يُطيقُ المُحِبُّ كِتْمانَ مَحَبَّته؟ فقال: [من الطويل]

ظَفِرْتُم بكِتْمان اللِّسان فمَن لكم ... بكِتمانِ عَيْنٍ دَمْعُها الدَّهرَ يَذْرِفُ

حَمَلْتُم جبالَ الحُبِّ فوقي وإنَّني ... لأَعْجَزُ عن حَمْل القميص وأَضْعُفُ[1]

[ذكر حكاية الفقير والجندي]:

ذكر في «المناقب»: قال إبراهيم: حدثني الدَّرَّاج قال: خرجتُ أنا وابن الحَنوطي[2] إلى الأُبُلَّة، وكانت ليلةً مُقْمرةً، فبينما نحن نسير على شاطئ الأُبُلَّة وإذا بقصرٍ لجنديٍّ، وفيه جاريةٌ تضرب بالعود وتقول[3]: [مجزوء الرمل]

في سبيل الله وُدٌّ ... كان منِّي لك يُبْذَل

كلَّ يوم تتلَوَّن ... غيرُ هذا بك أجْمَل

قال: وفي ظلِّ القصر فقيرٌ عليه خِرْقتان، فصاح: يا جارية، بالله عيديه، فهذا حالي مع مولاي، فقال لها مولاها: أَقبلي على الفقير وأعيديه، والفقير يصيح ويبكي إلى أنْ وقع مغشيًّا عليه، فحرَّكناه وإذا به ميِّت، فنزل صاحب القصر، فاغتممنا وقلنا: هذا يكفنه من غير وجهه، ثم صعد الجندي القصر، فكسر كلَّ ما كان بين يديه، فقلنا ما بعد هذا إلا الخير.

---

(١) سياق كلام القصار في (م١): حكى السلمي عنه أنه قال: المعرفة إثبات الرب سبحانه خارجاً عن كل موهوم، قال: وقال الأبصار ... قال: وقال: الكفايات تصل إليك... قال: وقال: أضعف الخلق... من قوي على ردها، قلت: وقد حكى عنه صاحب «مناقب الأبرار» أكثر مما حكى السلمي قال: سئل القصار عن التوكل فقال: السكون... قال وقال: المعرفة إثبات الرب ألا ترى إلى قوله ﷺ... قال: وقال: ما دام الأعراض... وذكر أيضاً ما ذكره السلمي من قوله: القدرة ظاهرة... قال: وقال: سافرت ... قال: وسأله سائل... القميص وأضعف. اهـ.

قلت: وما ذكر في (م١) من أن صاحب مناقب الأبرار ـ وهو ابن خميس ـ نقله عن القصار، إنما نقله قبله السلمي في طبقاته عنه، ولم يتفرد بنقله ابن خميس.

(٢) كذا في (م١) وهذا الخبر منها، وليس في (خ ف)، وفي مناقب الأبرار ٢/ ١٠ : وابن الغوطي (؟!) وذكره ابن قدامة في التوابين ٢٥٣ من طريق محمد بن داود الدينوري، عن أبي إسحاق الهروي قال: كنت مع ابن الخيوطي بالبصرة، وذكره كذلك ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/ ٥٢ عن أبي إسحاق الهروي قال: كنت مع ابن الخروطي.

(٣) من قوله: باسم الأب والابن وروح القدس... إلى هنا وقع خرم في (ف).

ولمَّا طلع الفجر إذا بالناس يهرعون من الأُبُلَّة كأنَّما نودي فيهم، وخرج القضاة والعدول والأشراف، وخرجت الجنازة، وإذا بالجندي يمشي وراءها حافياً حاسراً.

فلمَّا دُفن الفقير وهمَّ الناس بالانصراف قام الجندي فقال: يا قوم، ألستُم تعرفوني؟ قالوا: بلى. قال: فإني أُشهدكم أنَّ كلَّ جارية لي حرَّةٌ، وكلّ ضياعي وعقاري في سبيل الله، ولي في صندوق أربعة آلاف دينار، وهذا القصر بما فيه في سبيل الله.

ثم نزعَ الثوب الذي كان عليه فرمى به، وبقي في سراويله، فقال القاضي: عندي مِئزران من وجهٍ حلال، أسألُك قَبولهما لله، فأخذ واحداً فاتَّزر به، وارتدى بالآخر، وهام على وجهه فلم يُعْلَم له أثَر، ولا وَقفوا له على خَبَر، فكان بكاء الناس عليه أكثر من بكائهم على الفقير.

قال السُّلَمي: توفي القصَّار في سنة ستٍّ وعشرين وثلاث مئة[١].

وفيها توفي

أحمد بن زياد

ابن محمد بن زياد بن عبد الرحمن، اللَّخْمي، الأندلسي[٢].

وزياد بن عبد الرحمن صاحب مالك بن أنس، ويُلقَّب شَبَطُون، وشبطون أول مَن أدخل فقه مالك بن أنس إلى المغرب.

وعرض على أحمد القضاء بالأندلس فلم يقبله، وكانت وفاته بالأندلس.

وفيها توفي][٣]

عبد الله بن محمد بن سفيان

أبو الحسين، الخَزَّاز، النَّحْوي[٤].

(١) طبقات الصوفية ٣١٩.

(٢) تاريخ ابن الفرضي (١٠١)، والمنتظم ١٣/ ٣٧٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥١٨. وهذه الترجمة ليست في (خ).

(٣) ما بين معكوفين من (م ١ ف).

(٤) تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٣، والمنتظم ١٣/ ٣٦٩، وإنباه الرواة ٢/ ١٣٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٠٩.

له التصانيف في علوم القرآن [، ومات ببغداد في ربيع الأول في هذه السنة[١].

وحدَّث عن المبرّد، وثعلب وغيرهما، وروى عنه عيسى بن علي الوزير وغيره].

وقال: حدثنا المبرِّد، عن المغيرة[٢]، عن الزُّبير بن بَكَّار، عن عمِّه مصعب قال: قال مالك بن أنس: لهؤلاء الشُّطَّار مَلاحَةٌ، دخل أحدهم يُصلِّي خلف إمام، فأُرْتج على الإمام، فجعل يتعوَّذ من الشيطان، فقطع الشَّاطر الصلاة وقال: يا هذا[٣]، ليس للشيطان ذنبٌ، إنَّما أنت ما تُحسِن تقرأ شيئاً.

[وفيها توفي

عبد الرحمن بن محمد بن عصام

أبو القاسم، القُرَشيّ مولاهم.

قال الحافظ ابن عساكر: كان يسكن لؤلؤة؛ مَحَلَّةٌ كبيرة خارج باب الجابية، توفي بدمشق.

حَدَّث عن هشام بن عمَّار وغيره، وروى عنه أبو الحسين الرازي وغيره، وكان ثقةً، والله أعلم[٤].

وفيها توفي

محمد بن جعفر

ابن رُمَيْس بن عمرو، أبو بكر، القَصْريّ، البغدادي.

كان ينزل قصر الخلافة فنُسب إليه.

قال الخطيب: أنفق في طلب الحديث دَنانيرَ كثيرة، وفي رواية: ألوف الدنانير، وسمع ولقي الشيوخ.][٥]

---

(١) في مصادر ترجمته أنه توفي (٣٢٥هـ).

(٢) قوله: عن المغيرة، من تاريخ بغداد ١١/ ٣٤٤ .

(٣) في (ف م ١) بدل: يا هذا، بالله.

(٤) تاريخ دمشق ٤١/ ٣٦٥ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٣٦ ، ووفاته عندهما سنة (٣٢٧هـ) .

(٥) ما بين معكوفين من (ف م ١)، وانظر ترجمة القصري في: تاريخ بغداد ٢/ ٥١٤ ، والمنتظم ١٣/ ٣٧٦ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٢٥ ، وجاء عقب الترجمة في (ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة السابعة والعشرون وثلاث مئة[١]

فيها خرج الراضي وبَجْكَم من بغداد إلى الموصل لمُحاربة الحسن بن عبد الله بن حَمْدان، وكان قد أخَّر الحِمْل عما ضَمِنَه من الموصل والجزيرة وديار ربيعة، فلمَّا كان يوم الثلاثاء لثلاثٍ خلَون من المُحرَّم خرج الراضي وبَجكم من بغداد، وصارا إلى تكْرِيت، فأقام الراضي بها، وسار بجكم من الجانب الشَّرقي من دجلة يريد المَوصل، فتلقَّته زواريق بعث بها الحسن بن حمدان إلى الراضي، فيها دَقيقٌ وشَعير وغنم هدية، فأخذها بجكم، وفرَّق ما فيها على أصحابه، وعَبر فيها إلى الجانب الغربي.

ولقيه ابنُ حَمْدان بالكُحَيل، وجرت بينهما وقعةٌ انهزم فيها أصحاب بجكم، واستؤسر بعضُهم، فحقَّق بجكم الحَمْلَة بنفسه، فانهزم ابنُ حَمْدان، واتَّبعه بجكم إلى أن بلغ إلى نَصِيْبِيْن فأقام بها، وهرب ابنُ حَمْدان إلى آمِد، وكتب بَجكم إلى الراضي بأن يسيرَ من تكْرِيت إلى المَوْصل، فسار في الليل.

وكان قبل ورود كتاب بجكم قد لَحِق القرامطة الذين مع الراضي بتَكْريت ضائقة، فانصرفوا مُغاضِبين إلى بغداد.

وظهر محمد بن رائق من استتاره، فانضمُّوا إليه، وكانوا ألفَ رجل، ويقال: إنَّ ابن رائق كاتَبهم، فخاف الراضي أن يَسريَ إليه ابنُ رائق والقرامطة فيأخذوه، فخرج من الماء وسار مُجِدًّا على الظَّهر إلى المَوصل، فدخلها يوم الأحد لستٍّ خلَون من صفر، فنزل دار ابنِ حَمْدان، وكتب إلى بجكم يُعرِّفُه الخبر، ويأمرُه بالرجوع إلى المَوصل، فقلَّد بجكم نَصِيْبِين وديارَ ربيعة لجماعةٍ من قُوَّاده، وعاد إلى الموصل لستٍّ بقين من صفر يوم الخميس وهو قَلِقٌ من أمر ابن رائق.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة، وهذه نسخة (م) تبدأ في أول هذه السنة وتنتهي بآخر سنة (٤٤٩هـ)، وجاء على طرتها: الجزء الثاني عشر من مرآة الزمان في تواريخ الأعيان للإمام العالم العلامة شيخ المشايخ وبقية السلف الصالح أبي الفرج بن الجوزي (كذا؟!) قدس الله روحه ونور ضريحه وصلى الله على محمد وآله.
هذا ولم يرد من أخبار هذه السنة في (م ف م ١) سوى الخبر الآتي مختصراً، وخبر بطلان الحج الذي ذكره الصولي. وسنشير إلى ما وقع فيها من اختصارات، وما أضفناه منها أثبتناه بين معكوفين.

ولمَّا كان يوم الأحد لثلاث بقين منه وقعت بين أهل المَوْصل وأصحاب بَجكم فتنةٌ، فركب بجكم، ووضع السيف في أهل الموصل، وأحرق عدَّةَ محالٍّ منها، فسكنوا.

وورد الخبر بأنَّ ابنَ حَمْدان عاد إلى نَصِيبين، وأنَّ مَن كان بها من أصحاب بجكم هربوا، فزاد ذلك في قلقه، وأخذ أصحابُه يتسلَّلون من الموصل إلى بغداد إلى ابن رائق، حتى احتاج بجكم إلى أن يَسُدَّ أبواب دروب الموصل.

ولمَّا وصل ابن حَمْدان إلى نصيبين ولم يعلم بخروج ابن رائق ببغداد بعث إلى بجكم يُصالحه على أن يحمل إليه خمسَ مئة ألف درهم مُعَجَّلة، فما صَدَّق بجكم، وكان في نيته أن يُسلِّم الموصل إلى ابن حَمْدان من غير صُلْح، ويَمضي إلى بغداد ليَدفعَ ابنَ رائق عنها.

فاستأذن بَجكم الراضي في الصُّلح، فامتنع من شدَّة غَضَبه عليه، وقال: أخْرَجَ دارَ الملك من أيدينا، فقال بجكم: الصَّواب الصُّلح، فأذن فيه، وبعث إلى ابن حَمْدان الخِلَع واللواء مع القاضي [أبي] الحسين بن أبي الشَّوارِب[1]، فاستحلف ابن حمدان، وأنفذ مال التعجيل.

ذكر ظهور ابن رائق:

لمَّا عادت القرامطةُ إلى بغداد ظهر ابن رائق في صفر، وانضمَّ إليه جماعة، واستتر أصحابُ الدواوين والكُتَّاب، وقاتلَه جماعة من أصحاب السلطان فهزمهم، فصار إلى دار الخليفة، فلم يدخلها احتراماً لمَن فيها من الحُرَم، وراسل والدةَ الراضي وحُرَمه رسالةً جميلة، واستعرض حوائجَهم.

وأُصْعِدَ محمد بن ينال من واسِط في أربعة آلاف من التُّرك والدَّيْلَم، فالتقاه ابن رائق فهزمه.

وراسل ابنُ رائق الراضي وبَجكم على لسان أبي جعفر محمد بن يحيى بن شيرزاد يَلتمس الصُّلح، وأن يُقلَّد طريق الفرات، وجند قِنَّسْرين[2] والعواصم، ويخرج إليها،

---

(١) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٣١٧، وانظر أخبار الراضي ١٠٨، والمنتظم ١٣/ ٣٧٧، والكامل ٨/ ٣٥٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٧.

(٢) في تكملة الطبري ٣١٧: وجند يسابور، والمثبت موافق لما في الكامل ٨/ ٣٥٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٨.

فأجابه إلى ذلك، وحلف بجكم، وخرج ابن رائق متوجِّهاً إلى هذه الأعمال في ربيع الآخر.

ذكر دخول الراضي وبجكم بغداد:

وذلك في ربيع الآخر، وبلغ الراضي أنَّ عبد الصَّمَد بن المُكتفي راسل ابنَ رائق لمَّا ظهر ببغداد أن يقلِّده الخلافة، وبذل له مالاً، فاعتقله الراضي في دار الخلافة، ويقال: إنَّه قتله، ولمَّا مات الراضي نُبِش عبد الصمد، وحُمل إلى تربةٍ له فدفن بها.

وفي جُمادى الأولى صاهر بَجْكم الحسنَ بن عبد الله بن حَمْدان.

وفي جمادى الأولى مات الوزير أبو الفتح بن جعفر بن الفرات بغَزَّة، وقيل: بالرَّمْلَة، ودُفن بالرَّمْلَة، وكان الراضي لمَّا وصل إلى المَوصل بعث يستدعيه، فجاء الخادم وقد مات، فكانت مُدَّة وقوع اسم الوزارة عليه سنةً وثمانية أشهر وخمسةً وعشرين يوماً.

وفيها استكتب بجكم أبا جعفر محمد ابن شيرزاد، وسَفَر بينه وبين أبي عبد الله البَريدي في الصُّلْح، وأن يَضمن البريدي واسِطاً من بجكم بستٍّ مئة ألف دينار في السنة، فتمَّ الصُّلْح.

وفيها استوزر الراضي أبا عبد الله أحمد بن محمد البريدي؛ وسببه: أنَّ ابن شيرزاد أشار بذلك وقال: نكتفي شرَّه، ونأخذ مالَه، فبعث الراضي قاضي القضاة أبا الحسين عمر بن محمد إليه بالخِلَع والتَّقليد، واستَخْلَف بالحَضْرة أبا بكر عبد الله بن علي النِّفَّري؛ كما كان يَخْلُف أبا الفتح الفضلَ بن جعفر[1].

قال الصُّولي: وكان الحجُّ قد بَطَل من سنة سبع عشرة وثلاث مئة، فكتب أبو علي عمر بن يحيى العَلَوي إلى القِرمِطيّ - وكان يحبُّه لشجاعته وكَرَمه - يَسأله أن يُطْلق الحاج، ويُعطيه عن كلِّ جمل خمسة دنانير، وعن المَحْمِل سبعة دنانير، فأذن القِرْمِطي، فحجَّ الناس، وهي أولُ سنة مُكِسَ الحاجُّ فيها.

(١) من قوله أول السنة: وكان قد أخر الحمل... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وخرج [في هذه السنة] مع الرَّكْب القاضي أبو علي بن أبي هريرة الشافعي، فلمَّا طُولب بالخِفارَة لَوى رأسَ راحلته ورَجع، وقال: لم أرجع شُحًّا على الدراهم[١]، ولكن قد سقط الحجُّ بهذا المَكْس.

[فصل: وفيها توفي

إبراهيم بن بُنان[٢]

ويقال: بَيان، أبو يعقوب، الجَوهَريّ.

أصله من البصرة، وسكن دمشق ومات بها في شعبان، حدَّث عن أبي أمية والربيع ابن سليمان[٣] المرادي وغيرهما، وروى عنه أبو الحسين الرازي، وعبد الوهاب الكِلابي وغيرهما وكان ثقةً.

وفيها توفي

أحمد بن عثمان بن أحمد

أبو الطَّيِّب، السِّمسار، والد أبي حَفْص بن شاهين.

سمع الحديث وتوفي ببغداد في رجب، ودفن بمقبرة باب التِّبن، وكان ثقةً[٤].

فصل] وفيها توفي

عبد الرحمن بن محمد بن إدريس

أبو محمد بن أبي حاتم الرَّازي الحافظ، مُحَدِّث بن مُحَدِّث[٥].

---

(١) في (خ): هذا الدرهم، والمثبت من (ف م ١).

(٢) كذا ورد اسمه في (م ف م ١) وهو خطأ، وهذه الترجمة والتي تليها ليست في (خ)، وصواب اسمه كما في تاريخ دمشق ٢/ ٧٠٨ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٣٠ : إسحاق بن إبراهيم بن بنان.

(٣) في (ف م ١): حدث عن أبيه الربيع وسليمان، وفي (م): حدث عن أبيه والربيع بن سليمان، وكل ذلك خطأ، والمثبت من المصادر.

(٤) تاريخ بغداد ٥/ ٤٨٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٢٨ .

(٥) تاريخ دمشق ٤١/ ٣٣٦ ، والكامل ٨/ ٣٥٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٣٣ ، والسير ١٣/ ٢٦٣ ، وطبقات الشافعية للسبكي ٣/ ٢٢٤ .

[رحل في طلب العلم والحديث إلى الأمصار مع أبيه، قال: ولم يدعني أبي أشتغل بالحديث حتى ختمت القرآن على الفضل بن شاذان، ثم كتبتُ الحديث.]

وكان إماماً فاضلاً، صنَّف «الجرح والتعديل».

وقال أحمد بن عبد الله النيسابوري[١]: كنا عنده وهو يقرأ علينا[٢] كتاب «الجرح والتعديل» الذي صنَّفه، فدخل يوسف بن الحُسين الرَّازي، فجلس وقال: يا أبا محمد، ما هذا؟ فقال: الجرح والتعديل، قال: وما معناه؟ قال: أُظهر أحوالَ العلماء مَن كان ثقة ومَن كان غير ثقة، فقال له يوسف: أما استحييتَ من الله؟! تذكرُ أقواماً قد حَطُّوا رَواحِلَهم في الجنة أو عند الله منذ مئة سنة أو مئتي سنة تَغتابُهم؟

فبكى عبد الرحمن وقال: يا أبا يعقوب، والله لو طَرَق سمعي هذا الكلام قبل أن أُصنِّفه ما صنفتُه، وارْتَعَد وسقط الكتابُ من يده، [وقام] ولم يقرأ في ذلك المجلس شيئاً.

[قلت: وقد فات ابنَ أبي حاتم الجوابُ، فإنه كان يقول: ما كلامي فيمن حَطُّوا رواحِلَهم عند الله، وإنما كلامي مع أقوامٍ أفسَدوا الشَّريعة، وقصدوا إيقاعَ الشكِّ في قلوب العوام، والتَّلاعبَ بالدين؛ بوضع أخبارٍ أحلوا فيها الحرام وحرموا فيها الحلال، كما فعل عبد الكريم بن أبي العَوْجاء وغيره.]

وقال ابن أبي حاتم: قدمتُ مع أبي إلى الشام، فدخلنا مدينةً، فرأينا [فيها] رجلاً قائماً، بيده حَيَّةٌ يلعبُ بها ويقول: مَن يُعطيني درهماً حتى أبلَعَها؟ فالتفت إليَّ أبي وقال: احفظ دراهمَك يا بُنيّ، فمن أجلها تُبلَع الحَيَّات.

أسند ابن أبي حاتم عن خلق كثير، واتَّفقوا على فَضْله، وصِدْقه، وأمانته، ومَعْرِفته [وعبادته.

---

(١) في (م ف م ١): وحكى أحمد بن عبد الله النيسابوري قال، والمثبت من (خ).

(٢) القائل: كنا عنده وهو يقرأ علينا؛ هو محمد بن الفضل العباسي كما في تاريخ دمشق ٤١/ ٣٤٣ ، إذ روى الخبر من طريق أحمد بن محمد بن عبد الله النيسابوري، عن علي بن محمد البخاري، عن محمد بن الفضل العباسي: كنا عند عبد الرحمن بن أبي حاتم وهو ذا يقرأ علينا.

وفيها توفي]

عثمان بن الخَطَّاب

ابن عبد الله بن العَوَّام، أبو عمرو البَلَوي، المَغْرِبي، ويُعرف بالأَشَجِّ، وبأبي الدُّنيا[١]. كان يزعم أنَّه رأى علي بن أبي طالب عليه السلام وروى عنه.

[وقد ذكر قصَّتَه الخطيب فقال: حدثنا أبو بكر أحمد بن موسى بن عبد الله الرَّوشناني قال: حدثنا] محمد بن أحمد ابن يعقوب [المفيد قال:] سمعت أبا عمرو عثمان بن الخَطَّاب [بن عبد الله البَلَوي من مدينة بالمغرب يقال لها: مرندة، وهو المُعَمَّر، ويعرف بابن أبي الدنيا] يقول: وُلدتُ في أول خلافة أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، فلمَّا كان في زمن علي بن أبي طالب رضوان الله عليه خرجتُ أنا وأبي نُريد لقاءَه، فلمَّا صِرْنا قريباً من الكوفة، أو من الأرض التي هو فيها؛ لَحِقَنا عَطَشٌ شديد في طريقنا أشفينا[٢] منه على الهَلَكة.

وكان أبي شيخاً كبيراً، فقلتُ له: اجلس حتى أدور أنا في البَرِّيَّة، فلعلِّي أرى ماءً أو مَن يدلُّني عليه، أو ماءَ المطر، فجلس.

ومَضَيتُ أطلب الماء، فلمَّا كنتُ غير بعيد عنه لاح لي ماءٌ، فإذا بعَيْنٍ وبين يديها شبيهٌ بالبركة[٣] من مائها، فنَزعتُ ثيابي، واغتسلتُ من ذلك الماء، وشَرِبتُ حتى رَوِيتُ، ثم أتيتُ أبي فقلتُ: قم فقد وقعتُ على عين ماء، وقد فرَّج الله[٤].

فجئنا نحو العين، فدُرْنا فلم نَرَ[٥] شيئاً، وضَعُف أبي، واشتدَّ الحرُّ، ولم يزل يضطرب حتى مات من العَطَش، فواريتُه.

---

(١) في (ف م ١): وبابن أبي الدنيا. اهـ وكلاهما صحيح، وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٣/ ١٨٤، وتاريخ دمشق ٤٥/ ٢٠٨، والمنتظم ١٣/ ٣٧٨، والكامل ٨/ ٣٥٨، وميزان الاعتدال (٥٢٢٤)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٣٦.

(٢) في (ف م ١): أشرفنا، وهما بمعنى.

(٣) في (م ١): بالركوة، وفي (ف م): بالركية، والمثبت من (خ).

(٤) في (م ف م ١): فقام وقد فرح لما فرج الله عنا.

(٥) في (م ف م ١): نجد.

ثم جئتُ فلقيتُ أمير المؤمنين وهو خارج إلى صِفِّين، وقد أُسرجت له بَغْلَةٌ، فجئتُ فأمسكتُ الرِّكاب ليَرْكبَ، وانكببتُ لأُقبِّل فَخِذه، فنَفَحَني الرِّكاب، فشَجَّني في وجهي [شَجَّةً]. قال المفيد: وأنا رأيتُ الشَّجَّةَ في وجهه واضحةً.

قال: ثم سألني عن خَبَري، فأخبرتُه بقصة العين ووفاة أبي، فقال: تلك عينٌ ما شرب منها إلا مَن عُمِّر طويلاً، فأَبْشِر فإنَّك تُعَمَّر، ما كنتَ تجدها بعد شربك منها.

قال المفيد: فسألناه فحدَّثنا عن علي عليه السلام بأحاديث؛ خمسة عشر حديثاً. [قال:] وكان معه شيوخ من أهل بلده، فسألتُهم عنه فقالوا: هو مشهورٌ عندنا بطول العُمر، حدثنا بذلك آباؤنا عن آبائهم عن أجدادهم، وأنَّ قوله في لُقِيِّه لعلي [بن أبي طالب] عليه السلام معلوم عندهم أنَّه كذلك. [وهذه رواية الخطيب(١)].

وروى الخطيب أيضاً عن الأشج أنه دخل بغداد، فقال:](٢) حدثنا أبو القاسم عُبيد(٣) الله بن أحمد الرَّقِّي، حدثنا يوسف بن أحمد بن محمد البغداديّ؛ وكان شاهداً بالرَّقَّة فقلتُ له: إنَّ المفيد حَدَّث عن الأشَجِّ، عن علي بن أبي طالب؟ فقال: إنَّ الأشَجَّ دخل بغداد بعد سنة ثلاث مئة بسنين، فنزل(٤) دارَ إسحاق، فاجتمع عليه الناس وضايقوه، وكنتُ حاضراً، فقال: لا تُؤذوني، فإنِّي سمعتُ علي بن أبي طالب يقول: قال رسول الله ﷺ: «كلُّ مُؤْذٍ في النار»(٥).

قال: وحدَّث ببغداد خمسةَ أحاديث، حفظتُ منها ثلاثة هذا أحدُها، وما علمتُ أنَّ أحداً من أهل بغداد كتب(٦) عنه حرفاً [واحداً]، ولم يكن عندي بالثقة، وعلماء النَّقْل لا يُثبتون قولَه، ولا يُصدِّقون خبرَه. [وهذه روايات الخطيب.

(١) في تاريخه ١٣/ ١٨٤-١٨٥ .

(٢) ما بين معكوفين من (م ف م ١)، وجاء بدله في (خ): وقال الخطيب. والخبر في تاريخ بغداد ١٣/ ١٨٦ .

(٣) في النسخ: عبد الله، وهو خطأ. والمثبت من تاريخ بغداد، ونقلته عنه سائر المصادر.

(٤) في (م ف م ١): دخل بغداد سنة ثلاث مئة فنزل، والمثبت من (خ).

(٥) أخرجه من طريق الخطيب هذه: ابن عساكر ٤٥/ ٢١٤ ، وابن الجوزي في المنتظم ١٣/ ٣٨٠ ، وفي العلل المتناهية (١٢٥١).

(٦) في (م ف م ١): وما علمت أحداً ببغداد كتب.

وقد ذكره الحافظ ابن عساكر قال: وروى المفيد عن الأشج عن علي أربعة عشر حديثاً.]

وقال له أبو الحسن علي القَزويني: كم تَعُدُّ من السنين؟ فقال: ثلاث مئة إلا خمس سنين، قيل له: فكم تذكر من الصحابة؟ قال: كلهم ما خلا رسول الله ﷺ وفاطمة، قيل له: أفتذكر علي بن أبي طالب رضوان الله عليه؟ فقال: كيف لا وأنا من تربيته؟ وكنتُ الرسولَ بينه وبين عثمان بن عفان، فحَمَلني على دابَّته، وهذه الشَّجَّة التي في وجهي منه، أو في رأسي، كان خارجاً إلى صِفّين، أو إلى قتال النَّهْرَوان، ضرب البَغْلَةَ بمِهْماز فأخطأها، فوقعَت في رأسي، وكشف رأسه فإذا بالشَّجَّة[١]. [وفي رواية: أنه لما ذكر له أنه شرب من العين قال عليٌّ: اللهم عَمِّرْه ثلاثاً.

قال ابن عساكر: وقد روى عنه جماعة غير المفيد، منهم: أبو الحسن محمد بن يحيى بن أخي طاهر العَلَوي، وأبو الحسن علي بن جابارة القَزويني، وأبو الحسين أحمد بن يحيى الدِّيْنَوَري وغيرهم.][٢]

وقال المفيد: بلغني أن الأَشَجَّ رجع إلى بلده فمات في الطريق في هذه السنة، [وأخبرني بعض أصحابنا أنهم] كانوا يكنونه أبا الحسن، ويسمُّونه عليًّا[٣].

فصل: وفيها توفي

أبو بكر الخَرائطي

صاحب «اعتلال القلوب»[٤]، ذكره جدي في «المنتظم» وقال: محمد بن جعفر بن محمد بن سَهْل[٥]، أبو بكر الخرائطي، من أهل سُرَّ مَن رأى، سمع إبراهيم ابن

(١) تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٠٩.

(٢) ما بين معكوفين من (ف م ١)، وانظر تاريخ دمشق ٤٥/ ٢٠٨.

(٣) بعدها في (ف م ١): انتهت ترجمة الأشج والحمد لله وحده.

(٤) أثبت في ترجمة الخرائطي هذه سياق النسخ (م ف م ١) لوضوحه وتمامه، وسأشير إلى ما في (خ) وما أضفته منها بين معكوفين.

(٥) في (خ): محمد بن أبي سهل، وفي (م ١ ف): محمد بن شهاب، والمثبت من (م)، وهو موافق لما في المنتظم ١٣/ ٣٨١، وانظر في ترجمته تاريخ بغداد ٢/ ٥١٥، ومعجم الأدباء ١٨/ ٩٨، والكامل ٨/ ٣٥٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٣٩، والسير ١٥/ ٢٦٧.

الجنيد، والحسن بن عَرَفَة، وخلقاً كثيراً، وكان حسن التَّصنيف، سكن الشام وحدَّث بها، وتوفي في ربيع الأول من هذه السنة.

وذكره الحافظ ابن عساكر فقال: قدم دمشق[١] في سنة خمس وعشرين وثلاث مئة، وحدث بها وبغيرها.

واختلفوا في وفاته، فقال أبو الحُسين الرَّازي: مات بيافا بعد أن أقام بدمشق سنة، وكانت وفاته في أول سنة سبع وعشرين وثلاث مئة.

وقال أبو محمد عبد العزيز الكتاني: مات بعَسْقلان في ربيع الأول.

روى عنه أبو القاسم بن أبي العَقَب، وأبو بكر بن أبي الحديد، وأبو الحسين الرَّازي، وغيرهم، وأجمعوا على ثقته وفضله[٢].

وقد روينا كتابه المسمَّى بـ «اعتلال القلوب»، وذكرنا طرفاً منه مفرقاً في الكتاب، ومن أحسن ما ختم به «اعتلال القلوب»: قال الخرائطي: أنشدنا أبو العباس الكندي، أنشدني أبو القاسم عبد العزيز لأبي بكر الصَّنَوْبَري: [من الوافر]

دُخولُ النَّارِ للمَهْجور خيرٌ ... من الهَجْرِ الذي هو يَتَّقيه
لأنَّ دخولَه في النَّار أدْنى ... عَذاباً من دخول النار فيه[٣]

قلتُ: وهذان البيتان لأبي بكر أحمد بن محمد بن الحسن الحلبي الشاعر، المعروف بالصَّنوبري، شاعرٌ قديم، مُفْلِق، فصيح، من كبار الشعراء، له أشعارٌ في دمشق ورياضها ومُتنزَّهاتها، وإنَّما سُمِّي جدُّه الحسن الصنوبري لأنَّه كان حادَّ المِزاج في المُناظرة، ناظر رجلاً بين يدَي المأمون فأفحمه، فأُعجب المأمون، فقال له: ما أنت إلا صَنَوبَريَّ الشَّكل، يريد بذلك الذَّكاء وحدَّة المزاج، ولم يذكر لنا تاريخ وفاته[٤].

---

(١) في (خ): وتوفي في ربيع الأول، وصنف الكثير، وكان من الأعيان الثقات، قدم دمشق.

(٢) تاريخ دمشق ٦١/ ٢٣١-٢٣٣.

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ١١٤ (مخطوط) وليس فيه ذكر للخرائطي، وهذان البيتان ليسا في مطبوع اعتلال القلوب، والله أعلم.

(٤) ذكره الذهبي في تاريخه ٧/ ٦٧٦ في وفيات سنة (٣٣٤هـ).

وقد أنشدنا أشياخنا مقطعات من شعره؛ فقال بإسناده أنشدنا أبو القاسم بن بِشران، أنشدنا أبو العباس أحمد بن إبراهيم الكندي، أنشدنا أبو القاسم عبد العزيز بن عبد الله، أنشدنا أبو بكر الصَّنَوبري لنفسه[1]: [من البسيط]

إن كان في الصَّيف رَيْحانٌ وفاكهةٌ فالأرضُ مُسْتَوقَدٌ والجوُّ تنُّورُ
وإن يكن في الخريف النَّخْلُ مُخْتَرَفاً[2] فالأرض مأسورةٌ والجوُّ مَحْسورُ
وإن يكن في الشِّتاء الغَيْثُ مُتَّصِلاً فالأرض عُرْيانةٌ والجوُّ مَقْرُور
ما الدَّهرُ إلا الرَّبيعُ المُسْتَنيرُ إذا جاء الرَّبيعُ أتاك النَّوْرُ والنُّورُ
فالأرضُ ياقوتةٌ والجَوُّ لؤلؤةٌ والنَّبتُ فَيْروزَجٌ والماءُ بِلَّور
ما يَعْدَمُ النَّبتُ كأساً من سَحائبه فالنَّبتُ ضَرْبان سَكْرانٌ ومَخْمورُ
فيه لنا الوَرْدُ مَنْضودٌ مُوَرَّدُهُ بين المَجالس والمَنْثُور مَنْثُورُ
هذا البَنَفْسَجُ هذا الياسَمِيْنُ وذا النـ ـنِسْرينُ مذقُرِنا فالحُسْنُ مَشْهورُ
تَظَلُّ تَنْثُرُ فيه[3] السُّحبُ لؤلُؤَها فالأرضُ ضاحِكةٌ والطَّيرُ مَسْرور
حيثُ التفَتَّ فقُمْريٌّ وفاخِتَةٌ يُغنِّيانِ وشُحْرُورٌ وزَرْزُور
إذا الهَزَارانِ فيه صَوَّتا فهما بحُسْنِ صَوْتَيْهما عُودٌ وطُنْبُور
تَطيبُ فيه الصَّحارى للمقيم بها كما تَطيبُ له في غيره الدُّور
مَنْ شمَّ رِيحَ تحيَّاتِ الرَّبيع يَقُلْ لا المِسْكُ مِسْكٌ ولا الكافورُ كافورُ

قلت: وقد ضَمَّن جَدِّي هذه الأبيات في عدَّةٍ من مُصَنَّفاته، وأسقط منها بيتَ القَصيد وهو قوله:

فالنبت ضربان سكران ومخمور[4]

(١) في (خ): قال المصنف رحمه الله: وهذان البيتان لأبي بكر أحمد بن أبي الحسن الحلبي الشاعر المعروف بالصنوبري، ومن شعره ... والمثبت من (ف م ١)، وقد ذكر الأبيات الآتية ابن عساكر ٢/ ١١٦ بإسنادين غير إسنادي المصنف.

(٢) تجنى ثماره. وهذا البيت ليس في (خ م ١).

(٣) في (م ف م ١): فيها.

(٤) من قوله: قلت وقد ضمن ... إلى هنا ليس في (خ).

ودخل يوماً داره، فسمع بكاءَ ولدٍ له رَضيع، فقال: ما له؟ قالوا: فَطَمْناه، فكتب على مَهْده: [من الخفيف]

مَـنَـعـوه أحـبَّ شـيءٍ إلـيـه ... مـن جـمـيـع الـوَرى ومـن والـدَيْـه
مَـنَـعـوه غِـذاءَه ولـقـد كـا ... ن مُـبـاحـاً لـه وبـيـن يـديـه
عَـجَـباً مـنـه ذا عـلـى صِـغَـرِ الـسِّنْـ ... ـنِ هَـوى فـاهـتَـدى الـفِـراقُ إلـيـه[1]

وقال أيضاً: [من الخفيف]

هَـدَمَ الـشَّـيـبُ مـا بـنـاه الـشَّـبـابُ ... فـالـغَـواني ومـا عُـصِـيْـنَ غِـضـابُ
قُـلِـبَ الآبَـنـوسُ عـاجـاً فـلـلأعـ ... ـيُـنِ مـنـه[2] ولـلـقـلـوبِ انْـقِـلابُ
وضَـلالٌ فـي الـرَّأي أن يُـشْـنَـأ الـبـا ... زي عـلـى حُـسْـنـه ويُـهْـوى الـغُـرابُ

وكتب على قبر ابنته: [من مجزوء الخفيف]

آنَـسَ الـلـهُ وَحْـشَـتِـكْ ... رحـم الـلـه وَحْـدَتـكْ
أنـتِ فـي صُـحـبـةِ الـبِـلـى ... أحـسَـنَ الـلـه صُـحْـبَـتِـكْ[3]

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ١١٧ (مخطوط).

(٢) لم يجود البيت في النسخ، والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ١١٥ .

(٣) تاريخ دمشق ٢/ ١١٤ ، وجاء عقب البيت في (م): انتهت ترجمته والله أعلم.

السنة الثامنة والعشرون وثلاث مئة[١]

[قال ثابت بن سنان:] في ليلة [يوم] الخميس مُستهلِّ المُحرَّم ظهر في الجوِّ حُمْرَةٌ شديدة من ناحية الشَّمال والمغرب، ثم دارت إلى الشمال، وظهر منها أعمدةُ بياضٍ عظيمةٌ، كثيرةُ الضَّوء والعدد، ثم اضمَحَلَّت، ثم عادت.

[قال:] وفي هذا اليوم ورد الخبرُ إلى بغداد بأنَّ عليًّا بن عبد الله بن حَمْدان لقي الدُّمُسْتُق فهزمه.

وفي يوم الخميس لثلاثٍ بقين من المُحرَّم تزوَّج بَجْكَم سارةَ بنت أبي عبد الله البَريدي بحضرة الراضي، وكان الصداق مئتي ألف درهم.

وفيها ورد الأميرُ أبو علي الحسن بن بُوَيْه إلى واسِط فأقام بشَرقيِّها، وكان البريديون بها في الجانب الغربي.

وسببُ مجيء الحسن إليها: أنَّ أبا عبد الله البريدي أنفذ جيشاً إلى السُّوس، فقتل قائدَين من كبار الدَّيْلَم، وتَخَلَّص أبو جعفر الصَّيْمَري إلى قلعة السُّوس، وخاف الحسنُ ابن بُوَيْه من البريدي أن يسير إلى الأهواز، وكان الأمير أبو علي مقيماً بباب إصْطَخر، فكتب إليه أخوه فوافاه، فخرج الراضي وبَجْكَم من بغداد إلى واسِط، فانصرف أبو علي عنها، فرجع الراضي وبجكم إلى بغداد.

وفي شعبان توفي القاضي أبو الحسين عمر بن محمد، وتقلَّد مكانه من جانبَي بغداد ابنُه أبو نصر.

وفيها خرج بجكم إلى الجبل وعاد، وفَسَد الحالُ بينه وبين البريدي.

وسببُه: أنَّ بجكم لمَّا صاهر البريدي وصفا الحال بينهما كتب بجكم إلى البريدي وهو بواسط أنَّه قد عزم على قَصْد الجبل لفتحه، وأمر البريدي أن يسيرَ إلى الأهواز ليدفعَ الأميرَ أبا الحسن بن بُوَيْه عنها[٢].

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في الكامل ٨/ ٣٦١ أن البريدي هو الذي أشار على بجكم بالمسير إلى الجبل، وأنه إن فعل سار هو إلى الأهواز.

فلمَّا قطع بجكم حُلْوان طمع البريدي في العراق، وأنَّه يدخلُ بغداد فيأخذ من دار بجكم دفائنَ عظيمةً[١]، وكانت سَنِيَّة، وأقام يُقَدِّمُ ويؤخِّرُ، ويُقْدِمُ ويَجْبُن، وتارةً تَشْرَهُ نفسُه إلى المال، وتارةً يخاف من مُكاشَفة بجكم، ويتوقَّع أن يُهزَم بجكم أو يُقتلَ فيتمكَّنَ مما يريد.

وكان بجكم قد بعث أبا زكريا السُّوسي بالرسالة إلى البريدي، فأقام عنده شهراً، وعلم السُّوسي ما قد عَزم عليه، فأرسل السُّوسي[٢] إلى بجكم فأخبره، فركب بجكم الجَمَّازات[٣]، وسار إلى بغداد، وخلَّف عسكرَه وراءه.

ووقع الطَّيْرُ على البريدي بدخول بجكم بغداد، فتحيَّر، وهمَّ بالقبض على السُّوسي، ثم أطلَقَه، وعَزل بجكم البريدي عن وزارة الراضي - وكان اسمُ الوزارة واقعاً عليه، والأمور يُدَبِّرها أبو جعفر بن شيرزاد كاتب بجكم - واستُوزِرَ أبو القاسم سليمان ابن مَخْلَد[٤] في ذي القعدة، وخُلِع عليه.

وكانت مدةُ وقوع اسمِ الوزارة على البريدي سنةً واحدة وأربعة أشهر وأربعة عشر يوماً.

وخرج بجكم إلى واسط في ذي القعدة، وأراد أن يكتمَ أمرَه عن البريدي، فضبط الطريقَ بأسرها، واحترز ليهجم واسِطاً فيأخذَ البريدي، فوصل إلى واسِط يوم السبت لليلة بقيت من ذي القعدة، فوجد البريدي قد انحدر منها ولم يقف، وقلَّد بجكم كتابتَه أبا عبد الله أحمد بن علي الكوفي، وعُزل عنها أبو جعفر بن شيرزاد.

وفي شوال ورد الخبر إلى بغداد بأنَّ محمد بن رائق صار إلى حمص فملَكها، وإلى دمشق والرَّملة وملك الجميع، ووصل إلى عَرِيش مصر، ولقيه الإخشيد محمد بن طُغْج، فحاربه فانهزمَ، واشتغل أصحابُ ابن رائق بالنَّهْب، ونزلوا في خِيَم أصحاب

(١) في تكملة الطبري ٣٢١ أن البريدي طمع أن يخرج الدفائن من داره هو، لا من دار بجكم.

(٢) في (خ): البريدي، وهو خطأ، وليس في (م ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من الكامل ٨/ ٣٦٢.

(٣) المراكب السريعة شبه العربة يجرها فرسان.

(٤) هو سليمان بن الحسن بن مخلد، انظر أخبار الراضي ١٤٤، وتكملة الطبري ٣٢١، والمنتظم ١٣/ ٣٨٣، والكامل ٨/ ٣٦٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٢٩.

ابنِ طُغْج، فخرج عليهم كمينٌ لابن طُغْج فأوقع بهم، وهزمهم أقبحَ هزيمة، وأفلَتَ ابنُ رائق إلى دمشق في سبعين رجلاً.

وفيها مات أبو علي محمد بن مُقْلَة في الحَبْس بدار الخليفة لثلاث عشرة خلت من شوال.

وفي يوم الخميس لليلتين بقيتا منه مات أبو العباس أحمد بن عبيد الله الخَصِيبي بسكتةٍ لَحقتْه، فكان بين وفاته ووفاة ابن مُقْلَة سبعة عشر يوماً.

وفي ذي القعدة وصل إلى بغداد رسولُ أبي طاهر القِرْمِطي يطلب من الخليفة خمسين ألف دينار كانت مقرَّرةً عليه في كل سنة، فأُعطي من جملتها عشرون ألفاً على أنْ يُبَذْرِق[1] الحاج، فبَذْرَقَهم في هذه السنة.

وفيها واقع محمد بن رائق أبا نصر بنَ طُغْج في اللَّجُّون بالسّاحل، فانهزم أصحابُ ابن طُغْج، واستؤسر وجوه قوَّاده، وقُتِلَ في المعركة، فعَزَّ على ابن رائق، فكفَّنه وحَنَّطه، وأنفذ معه ابنَه مُزاحِماً إلى الإخشيد، وكتب معه كتاباً يُعزِّيه في أخيه، ويعتذرُ إليه، ويحلف أنَّه ما أراد قتلَه، وأنَّه أنفذ إليه ابنَه مُزاحِماً لِيُقِيْدَه به إنْ أحبَّ.

فتلقى الإخشيدُ فِعْلَه بالجميل وخَلَع على مُزاحِم ورَدَّه إلى أبيه، واصطلحا على أنْ يُفْرِجَ ابنُ رائق للإخشيد عن الرَّمْلَة، ويَحْمل إليه الإخشيدُ في كل سنةٍ مئةً وأربعين ألف دينار، ويكون باقي الشام في يد ابن رائق.

وفي عيد الأضحى مات أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار النَّحْوي الأنباري.

وفي ذي الحِجَّة أشهد أبو عبد الله[2] محمد بن أبي موسى الهاشمي ثلاثين عَدْلاً أنَّه لا يَشْهَد عند القاضي أبي نصر يوسف بن عمر؛ بعد أن أخذ خطوط الشهود بأنَّه عَدْلٌ

(١) يخفرهم ويجيرهم ويحميهم في طريقهم.

(٢) في المنتظم ١٣/ ٣٨٣ : أبو علي، والمثبت موافق لما في أخبار الراضي ١٤٤ ، وتكملة الطبري ٣٢٠ .

مَقبولُ القول، وكان ذلك يوم السبت لثلاث عشرةَ خلَت من ذي الحجة، فلمَّا كان يوم الاثنين لثمانٍ بقين منه قامت البينة عند القاضي أبي نصر بأنَّ أبا عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي ساقطُ العَدالة بشهادة عشرين عَدْلاً، فأسجل القاضي بما ثبت عنده[١].

وفيها[٢] غَرقت بغداد في شعبان غَرَقاً عظيماً، بلغت الزيادةُ تسعة عشر ذِراعاً، وانبثق بَثْقٌ من نواحي الأنبار، فاجتاح القُرى، وغرق بنو آدم والسباع والبهائم، وصبَّ الماء في الصَّراة، ودخل بغداد من الجانب الغربي،وتساقطت الدُّور، وانهدمت المنازلُ، وانقطعت القَنْطرتان العَتيقة والجديدة عند باب البصرة [، وجرت في هذه السنة عجائب من هذا الجنس.

فصل وفيها توفي

أحمد بن إسحاق بن إبراهيم

أبو بكر، القاضي، الخُزاعيّ، البغدادي، ويعرف بالمُلْحَمي، أخو محمد بن إسحاق[٣].

حدَّث عن محمد بن عبد الرَّحمن[٤] بن بَحِيْر الكَلَاعي وغيره، وعن أبي عقيل أنس ابن سَلْم[٥] الخَولاني بأَنْطَرَسُوس[٦]، وأبي عامر بن إبراهيم السُّلمي بُصور، ومحمد ابن حَمَّاد المِصِّيصي بالرَّمْلَة وغيرهم، وكان ثقةً.

---

(١) في أخبار الراضي أن سبب هذه الشهادة استيحاش ابن أبي موسى من القاضي أبي نصر، وكان ذلك بسبب اتهام القاضي لابن أبي موسى أنه يميل إلى أخيه أبي محمد، وأنه يسعى له في ولاية بغداد.

(٢) من قوله أول السنة: وفيها ورد الأمير أبو علي... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ٥٦ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٤٣ ، والسير١٥/ ٢٤٧ ، ومختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٢.

(٤) في (ف م م١): حدث عن عبد الرَّحمن، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٥) في (م ف م١): أنس بن مسلم، وهو تحريف، والمثبت من تاريخ دمشق ٣/ ١٤٠ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٦/ ٧٢٢ .

(٦) في (ف م م١): بطرسوس، وهو تحريف، فإن طرسوس من بلاد الروم، وهي مدينة بثغور الشام بين أنطاكية وحلب، كما ذكر ياقوت، وأنس بن السلم من أنطرسوس، وهي بلد بسواحل بحر الشام، وهي آخر أعمال دمشق من البلاد الساحلية وأول أعمال حمص.

وأخرج له الدَّارقطني حديثاً عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قال: «إذا كان يومُ القيامة يدعو اللهُ العبدَ، فيسألُه عن جاهه كما يسأله عن ماله[1]»][2].

وفيها توفي

المُرْتَعِش الزَّاهد

واختلفوا في اسمه، فقال الخطيب: اسمه جعفر، وقال أبو عبد الرَّحمن السُّلمي: اسمه عبد الله بن محمد، وكذا قال ابنُ خَميس. وكنيتُه أبو محمد[3].

كان من ذَوي الأموال[4]، له مالٌ جَليل، فتخلَّى عنه وصحب الفقراء مثل الجُنَيد، وأبي حَفْص، وأبي عثمان النَّيسابوريَّيْن، وأقام ببغداد بالشُّونيْزِيَّة حتى صار شيخَ الصُّوفية وأحدَ الأئمة.

وقال[5]: كان سبب خروجي إلى هذا الأمر أنِّي كنتُ ابنَ دِهْقان، فَبيْنا أنا جالس على باب داري بنَيْسابور إذا بشابٍّ عليه مُرَقَّعة، وعلى رأسه خِرْقة، فأشار إليَّ مُتَعَرِّضاً

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٢٢ ، وأخرجه الدينوري في المجالسة (١١)، وابن حبان في المجروحين ٣/ ١٣٧ ، والطبراني في معجمه الأوسط (٤٤٨)، والصغير (١٨)، وابن عدي في الكامل ٧/ ٢٦٢٨ ، وتمام الرازي في فوائده (١٧٤٩)، والخطيب في تاريخه ٨/ ٦٦٨ ، وفي الفصل للوصل المدرج في النقل ٢/ ٧٤٩ ، وابن عساكر في تاريخه ٦٠/ ٢٨٣-٢٨٤ ، وابن الجوزي في الموضوعات (١٠٧٥)، وفي العلل المتناهية (١٥٣٤).
قال الخطيب هذا الحديث لا يثبت عن النبي ﷺ بوجه من الوجوه، وقال ابن حبان: هذا لا أصل له من كلام رسول الله ﷺ.
وفي إسناد هذا الحديث يوسف بن يونس الأفطس؛ قال ابن حبان: لا يجوز الاحتجاج به إذا انفرد، وقال ابن عدي: كل ما روى يوسف عن الثقات منكر. وانظر ميزان الاعتدال (٩٣٤٨).

(٢) ما بين معكو فين من (م ف م١)، وليس في (خ)، وجاء بعد هذا في (م١ ف): والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣) في (خ): المرتعش الزاهد واسمه جعفر، وقيل: عبد الله بن محمد، وكنيته أبو محمد، والمثبت من (م ف م١)، وانظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٣٤٩ ، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٥ ، الرسالة القشيرية ١٠٨ ، تاريخ بغداد ٨/ ١٣٧ ، المنتظم ١٣/ ٣٨٤ ، مناقب الأبرار ٢/ ٥١ ، السير ١٥/ ٢٣٠ .

(٤) في (م ف م١): قال السلمي: وكان من ذوي الأموال. وهذا الكلام ليس للسلمي بل للخطيب، انظر المصادر في الحاشية السابقة.

(٥) في (م ف م١): وحكى في المناقب أن اسمه ملقاباذ، وأقام بالعراق حتى صار أحد أئمة الصوفية، وقال في المناقب أيضاً عن المرتعش قال، والخبر الآتي في تاريخ بغداد ٨/ ١٣٧ ، ومناقب الأبرار ٢/ ٥٤ .

إشارةً لطيفة، فقلت في نفسي: شابٌّ صحيحُ البَدَن ما يأنَفُ من هذا!؟ فصاح في وجهي صيحةً عظيمةً، وقال: أعوذ بالله ممَّا اخْتَلَجَ في صدرك، وخامَرَ سِرَّك، فغُشِي عليَّ، وسقطتُ على وجهي، فخرج خادمٌ لنا، فرفع رأسي من الأرض وجعله في حِجْره.

فلمَّا أفقتُ لم أرَ الشابَّ، فتحَسَّرتُ ونَدمتُ على ما كان منِّي، وبِتُّ ليلتي مَغموماً، فرأيتُ عليَّ بن أبي طالب عليه السلام في المنام ومعه الشاب، وهو يُوَبِّخني ويُؤنِّبني[١] على ما كان منِّي، فانتبهتُ، وخَرَجتُ عن جميع ما كنتُ فيه، ثم سافرتُ، وسمعتُ بوفاة أبي بعد خمس عشرة سنة، فسألتُ الله العَوْنَ على خلاصي مما وَرِثتُ فأعانني، وكان معي للشاب عينٌ ما فارقَني الحياءُ منه، ولا يُفارقني حتى ألقى الله تعالى.

وقال أبو عبد الله الرازي[٢]: كان يقال: عجائبُ بغداد ثلاثة: إشاراتُ الشِّبْلي، وحكاياتُ إبراهيم الخَوَّاص، ونُكَتُ المُرْتَعِش.

وقال المرتعش[٣]: سافرتُ ثلاثين سنةً أمشي كل سنة ألفَ فَرْسَخ، لا أُرافقُ أحداً، وإن فُتِح لي بنصف رغيف طالبتُ نفسي بالمُواساة.

[وحكى السُّلمي عنه أنه] قال: مَن ظنَّ أنَّ أفعالَه تُنْجيه من النار، وتُبلِّغه الرِّضوان؛ فقد جعل لنفسه ولفعله خَطَراً، ومَن اعتمد على فَضْل الله بلَّغه الله منازلَ الرِّضوان[٤].

[قال:] وقيل له: إنَّ فلاناً يمشي على الماء فقال: إنْ مكَّنه الله من مُخالَفة هواه كان أعظمَ من المَشْي على الماء[٥].

[وقال السُّلمي:] قال رجل للمُرْتَعش: قد طال الليلُ وبَرَد الهواء، فأنشد يقول: [من الخفيف]

---

(١) في (م م١): ويلومني.

(٢) في (م ف م١): وحكى الخطيب عن أبي عبد الله الرازي قال. والمثبت من (خ)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٤٧.

(٣) في (م ف م١): وحكى في المناقب عن المرتعش قال. والمثبت من (خ)، والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ٥٢ .

(٤) ما بين معكوفين من (ف م م١)، والخبر في طبقات الصوفية ٣٥٢ .

(٥) في (خ): إن من مكنه... والمثبت من (م ف م١)، وفي طبقات الصوفية ٣٥٢ : عندي أن من مكنه الله من مخالفة هواه فهو أعظم من المشي على الماء.

لستُ أدري أطالَ ليليَ أم لا ... كيف يَدْري بذاك مَن يَتَقَلَّى
إنَّ للعاشقين في قِصَرِ اللَّيـ ... لِ وفي طوله عن النَّوم شُغْلا
لو تفرَّغْتُ لاستطالة ليلي ... ولرَعْي النُّجوم كنتُ مُخِلّا

[فبكى الحاضرون، واستدلُّوا بذلك على عِمارة أوقاته.

وهذه رواية السُّلَمي(١)، ورواها غيره وفيها زيادة وهي هذه:]

أيُّها الملك الذي سَهري فيـ ... ـه كطَعْم الرُّقادِ بل هو أحلى
غَرَضي ما يُريده بي(٢) حَبيبي ... لو سَقاني مُهْلاً لما قلتُ مَهْلا
وغَرامُ الفؤادِ مُذْ حِلْتَ عنه ... لم يَحُل عن هواكَ حاشا وكلاَّ

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: ذهبت حقائقُ الأشياء وبقيت أسماؤُها، فالأسماء موجودةٌ، والحقائق مَفقودة، والدَّعاوى في السَّرائر مَكنونةٌ، والألسُن بها فَصيحة، والأمور عن حقائقها مَصروفة، وعن قريبٍ تُفقَد(٣) هذه الألسنُ والدَّعاوى، فلا يوجد لسانٌ ناطق، ولا مُدَّعٍ صائب.

وقال له رجل: أوصِني، فقال: اذهب إلى مَن هو خيرٌ لك منِّي، ودَعْني مع مَن هو خيرٌ لي منك.

ذكر وفاته:

حكى الخطيب عن محمد بن مأمون(٤): أنَّه سمع أبا عبد الله الرازي(٥) يقول: حضرتُ وفاةَ المُرْتَعِش في مسجد الشُّونيْزِيَّة [في هذه السنة]، فقال: انظروا ديوني، فنظروا فقالوا: بضعةَ عشر درهماً فقال: انظروا خُرَيقاتي فاجعلوها في ديوني، وقد سألتُ الله ثلاثاً عند موتي وقد أعطانيها: إحداها أن يُميتَني على الفقر، الثانية: أن

---

(١) في طبقاته ٣٥٠.

(٢) في (ف م١): ما تريد مني، والمثبت من (خ م)، والأبيات في المدهش لابن الجوزي ٢٢٢ ونسبها لابن المعتز.

(٣) في (م ف م١): تصرف، والمثبت من (خ)، والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ٥١، وطبقات الصوفية ٣٥٠.

(٤) في (ف م م١): مقاتل، والمثبت من تاريخ بغداد ٨/ ١٣٨، والمنتظم ١٣/ ٣٨٤.

(٥) في (ف م١): البزار، وفي (م): أبا عبد الله محمد الزراد، وفي (خ) والمنتظم: الرزاز، والمثبت من تاريخ بغداد ونسخة (ت) من المنتظم كما أشار محققه.

يُميتَني في هذا المسجد فقد صَحِبتُ فيه أقواماً، وسألتُه أن يكونَ حولي مَن آنسُ به وأُحبُّه، ثم غَمَّض عينيه ومات بعد ساعة، رحمة الله عليه[١].

[فصل: وفيها توفي

الحسن بن أحمد

ابن يزيد بن عيسى بن الفضل بن بشار، أبو سعيد، الإصْطَخْري، الشافعي، قاضي قُمْ[٢].

أحدُ الأئمة العلماء، كان زاهداً، مُتقلِّلاً وَرِعاً، فاضلاً.

ألَّف كتاباً في القضاء يدلُّ على سَعَة علمه ومعرفته وقوة فهمه، وسمَّاه: «أدب القضاء».

ولد سنة أربع وأربعين ومئتين.

وقد أثنى عليه الأئمة وأرباب السِّيَر، وقد أثنى عليه أبو الطيِّب[٣] الطَّبَري فقال: كان أبو سعيد من الزُّهد والوَرَع بمكانٍ لم يَصلْه سواه، وكان قميصُه وسراويله وعِمامته من شُقَّة واحدةٍ، وكان يَتَقَوَّتُ الباقِلَّاء.

قال: وسئل عن امرأةٍ مات عنها زوجُها وهي حامل، هل يجب لها النَّفَقة؟ قال: نعم، فعارضه أبو العباس بن سُرَيج وقال: ليس هذا للشافعي، فقال أبو سعيد: هو مذهب علي وابن عباس، فقال له ابن سُرَيج: كثرة أكل الباقلَّاء تذهب بدِماغك ـ يُعَيِّره بالفقر ـ فقال له أبو سعيد: وأنت كثرة الحلوى قد ذهبت بدينك.

فقد أفتى الإصطخري بمذهب أحمد، وليس ما ذكره مذهباً للشافعي.

(١) بعدها في (ف م م١): انتهت ترجمته والله أعلم.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٢٠٦، والمنتظم ١٣/ ٣٨٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٤٨، والسير ١٥/ ٢٥٠، وطبقات الشافعية ٣/ ٢٣٠.

(٣) في (ف م م١): أبو طالب، وهو تحريف، والمثبت من المصادر، وهذه الترجمة وتاليتها ليست في (خ).

قال أبو الطَّيِّب الطبري: وكان قد وَلي الحِسْبَة ببغداد، فأحرق طاق اللَّعب، من أجل ما كان يُعمَل فيه من الملاهي، وكان القاهر أخو المقتدر[١] قد استفتاه في الصَّابئة فقال: إنْ كانوا يعبدون الكواكبَ فيقتلوا، فجمعوا للقاهر مالاً عظيماً فكفَّ عنهم.

وكانت وفاتُه ببغداد في جمادى الآخرة، وكان ثقة.

وفيها توفي

علي بن شَيبان بن بنان

أبو الحسن، الجَوهَريّ[٢].

وكان ثقة، أصلُه من البصرة، وسكن دمشق، وكان بها في سوق اللؤلؤ، وبنوه يُعرفون ببني بنان الصائغ، قال الحافظ ابن عساكر: حدَّث بدمشق، وكان ثقة صَدوقاً.

وفيها توفي][٣]

علي بن محمد

أبو الحسن، المُزَيِّن الصَّغير[٤].

أصلُه من بغداد، صحب الجُنَيد، وسَهْلَ [بن عبد الله] التُّسْتَري، وجاور بمكة حتى توفِّي بها.

وكان أوحَد المشايخ، وأورَعهم، وأحسنَهم حالاً.

[وله الوقائع العجيبة: حدثنا غير واحد عن أبي بكر العامري بإسناده، عن أبي عبد الله بن خَفيف قال: سمعتُ أبا الحسن المزيِّن يقول:][٥] كنتُ في بادية تبوك، فتقدَّمتُ إلى بئرٍ لأستقي منها فزَلَّت رجلي، فوقعتُ في جَوْف البئر، فرأيتُ فيه زاويةً

(١) في (ف م م١): وكان القاهر ابن المقتدر، وهو خطأ.
(٢) تاريخ دمشق ٤٩/ ٢٤٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٥٢.
(٣) ما بين معكوفين من (م ف م ١).
(٤) طبقات الصوفية ٣٨٢، تاريخ بغداد ١٣/ ٥٤٤، الرسالة القشيرية ١١٣، المنتظم ١٣/ ٣٨٨، مناقب الأبرار ٢/ ١٠٢، تاريخ الإسلام ٧/ ٥٦٦، السير ١٥/ ٢٣٢.
(٥) ما بين معكو فين من (م ف م١).

واسعة، فأصلحتُ مَوْضعاً، وجلستُ فيه وقلت: إنْ متُّ لا أُفسدُ على الناس الماء، وطابَت نفسي وسكَنَ قلبي.

فبينا أنا قاعدٌ إذا بخَشْخشةٍ، فتأمَّلتُ وإذا بأفعى قد تَدَلَّى علي، فرجعتُ إلى نفسي فإذا هي ساكنة، فدار بي وأنا هادئُ السرِّ لا أضطرب، فلفَّ ذَنَبَه عليَّ، وأخرجني من البئر، وحلَّ عني، ولا أدري أين ذهب، فلا أدري أسماءٌ رَفعَتْه أو أرضٌ بَلَعَتْه.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: كنتُ بمكة، فوقع في خاطري انزعاج، فخرجتُ إلى المدينة، فبينا أنا أسيرُ ببئر مَيْمون وإذا بشابٍّ مَطروح، فعدلتُ إليه وهو يَنْزِع، فقلت: قل لا إله إلا الله، ففتَح عينَيه وقال: [من الخفيف]

إنْ أنا متُّ والهَوى حَشْوُ قلبي ... فبِداء الهوى يموتُ الكرامُ

ومات، فغَسَّلتُه وكفَّنتُه ودفنتُه، وسكَنَ ما بي فرجعتُ إلى مكة[١].

[وحكى عنه في «المناقب» أنَّه] قال: متى ظَهَرت الآخرةُ فنِيَت فيها الدنيا.

و: مَن استغنى بالله أحوج اللهُ الخلقَ إليه.

وسئل عن المعرفة فقال: أن تَعرفَ الله بكمال الرُّبوبية، وتعرفَ نفسك بالعبودية.

وقال: الذَّنْب بعد الذنب عقوبةُ الذنب.

وقال: المُعْجَب بعمله مُسْتَدْرَجٌ، والمُسْتَحْسِنُ لشيءٍ من أعماله مَمْكورٌ به، وكانت وفاتُه بمكة.

وهما مُزَيِّنان، صغير وكبير[٢]، فالصغير صاحبُ هذه الترجمة، والكبير كنيتُه أبو جعفر، قال المصنِّف رحمه الله: لم أقف على تاريخ وَفاته وكان بمكة، [إلا أن الخطيب ذكر له حكاية فقال بإسناده عن] جعفر الخُلْدي [قال:] وَدَّعتُ[٣] المُزَيِّن الكبير في بعض حجَّاتي وقلتُ: زوِّدني شيئاً، فقال: إنْ ضاع منك شيء، أو أردتَ أنْ

(١) مناقب الأبرار ٢/ ١٠٣-١٠٤.

(٢) قال الذهبي في السير ١٥/ ٢٣٢: وما يظهر لي إلا أنهما واحد.

(٣) في (خ): وكان بمكة قال جعفر الخلدي ودعت، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٤٨، وعنه المنتظم ١٣/ ٣٨٨-٣٨٩.

يجمعَ الله بينك وبين إنسان فقل: يا جامعَ الناس ليوم لا ريبَ فيه، اجمَعْ بيني وبين كذا وكذا، فإنَّ الله يَجمعُ بينك وبين ذلك الشيء أو ذلك الإنسان.

قال: وجئتُ إلى الكَتَّاني فودَّعتُه، وقلتُ له: زَوِّدْني، فأعطاني فَصًّا عليه نقشٌ كأنَّه طِلَّسم فقال: إذا اغتَمَمْتَ فانظر إلى هذا فإنَّه يَزول عنك، فانصرفتُ، فما دعوتُ الله تعالى بتلك الدَّعوة إلا استُجيب لي، ولا رأيتُ الفَصَّ وقد اغتَمَمْت إلا زال عنِّي غَمِّي.

فبينا أنا ذات يومٍ قد توجَّهتُ أعبرُ إلى الجانب الشرقي ببغداد، إذ هاجت ريحٌ عظيمة، وأنا في سُماريَّة والفَصُّ في جيبي، فأخرجتُه لأنظرَ إليه فوقع من يدي، فلا أدري أين ذهب في دجلة أو في السفينة؟ فاغتمَمْتُ غَمًّا شديداً، ودعوتُ الله بالدَّعوة، وعَبَرتُ دجلةَ، وما زلتُ أدعو بها أياماً، فلمَّا كان في بعض الأيام أخرجتُ صُندوقاً لي فيه ثيابي لأُغيِّر منها شيئاً، ففرَّغتُ الصُّندوقَ، وإذا بالفَصِّ في أسفل الصندوق، فأخذتُه وحَمِدتُ الله على رجوعه.

عمر بن محمد

ابن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حَمَّاد بن زيد بن دِرْهَم، أبو الحُسين، القاضي، الأزْدي، المالكي(١).

ناب عن أبيه وهو ابن عشرين سنةً، ثم توفي أبوه فأقام على القضاء إلى آخر عُمُره، وكان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بفنون العلوم والفرائض والحساب واللغة والنَّحْو والشعر والحديث، صنَّف «المسند» وغيره.

وكان عددُ شهوده ألفاً وثمان مئة، ليس فيهم مَن استُشهِد إلا لفَضْلٍ أو دِين أو مالٍ أو شَرَف.

وكان دميمَ النَّفْس(٢)، شريفَ الأخلاق، وكان أبوه يقول: ما زلتُ مُرَوَّعاً من مسألةٍ تجيئني من السلطان حتى نشأ أبو الحسين.

---

(١) أخبار الراضي ١٤١ ، وتكملة الطبري ٣٢٠ ، وتاريخ بغداد ١٣/ ٨١ ، والمنتظم ١٣/ ٣٨٩ ، والكامل ٨/ ٣٦٤ ، ومعجم الأدباء ١٦/ ٦٧ ، وترتيب المدارك ٢/ ٢٧٨ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٥٣ . وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

(٢) كذا في (خ)؟! وقد أجمع مترجموه على مدحه، فلعلها: كريم النفس.

وقال جعفر بن وَرْقاء: حَجَجْتُ وعُدتُ، فتأخَّر عن تهنئتي القاضي أبو عمر وابنُه أبو الحسين، فكتبتُ إليهما: [من الوافر]

أأسْتَجْفي أبا عُمرٍ وأشكو ... أو اسْتَجْفي فَتاهُ أبا الحسينِ
بأيِّ قضيَّةٍ وبأيِّ حُكمٍ ... أَلَحَّا في قَطيعةِ واصِلَيْنِ
فما جاءا ولا بَعَثا بعُذْرٍ ... ولا كانا لحَقِّي موجِبَيْنِ
وإن نُمْسِكْ ولا نَعْتِبْ تمادى ... جَفاؤهما لأخْلَصِ مُخْلِصَيْنِ
وإنْ نَعتِبْ فحَقٌّ غيرَ أنَّا ... نُجِلُّ عن العِتابِ القاضِيَيْنِ

فلمَّا وقف أبو عمر على الأبيات قال لابنه أبي الحسين: أَجِبْه، وكان أبو عمر على شُغل، فأجابه أبو الحسين: [من المنسرح]

تَجَنَّ واظْلِمْ فلستُ مُنْتَقِلاً ... عن خالصِ الودِّ أيُّها الظَّالمْ
ظننتَ بي جَفْوةً عَتبْتَ لها ... فخِلْتَ أني لحَبلكم صارِمْ
حَكَمتَ بالظَّنِّ والشُّكوك ولا ... يَحْكُمُ بالظَّنِّ والهوى حاكم
تركتَ حقَّ الوَداع مُطَّرِحاً ... وجئتَ تَبغي زيارةَ القادِمِ
أمران لم يَذهبا على فَطِنٍ ... وأنت بالحُكْم فيهما عالم
وكلُّ هذا مَقالُ ذي ثِقَةٍ ... وقلبُهُ من جَفائه سالم

ذكر وفاته:

قال المعافى بن زكريا: كنتُ أحضُرُ مجلسَ أبي الحسين بن أبي عمر يوم النَّظَر، فحضرتُ يوماً أنا وجماعةٌ من أهل العلم في المَوْضع الذي جَرَت العادةُ لجلوسنا فيه ننتظره حتى يخرج، فدخل أعرابيٌّ لعلَّ له حاجةً إليه، فجلس بقربنا، فجاء غُرابٌ فقعد على نَخْلةٍ في الدَّار وصاح ثم طار، فقال الأعرابي: هذا الغُرابُ يقول: إنَّ صاحبَ هذه الدَّار يموتُ بعد سبعة أيام، فصِحْنا عليه وزَبَرْناه، فقام وانصرف، واحتَبَسَ خروج أبي الحسين، وإذا قد خرج إلينا الغلام وقال: القاضي يستدعيكم، فقُمنا ودخلنا إليه، فإذا هو مُتَغَيِّرُ اللون، مُنكَسِرُ البال، مُغْتَمٌّ، فقال: أُحَدِّثُكم بشيءٍ قد شَغَل قلبي، رأيتُ البارِحَةَ في المنام شخصاً يقول: [من الطويل]

مَــنــازِلَ آلِ حــمَّــاد بــن زيــدٍ عــلــى أهــلــيــكِ والــنِّــعــم الــسَّــلامُ

وقد ضاق صدري لذلك، فدعونا له وانصرفنا، فلمَّا كان اليومُ السَّابع من ذلك اليوم دُفِن رحمة الله عليه.

وتوفي يوم الخميس لثلاث عشرة ليلةً خلَت من شعبان، وصلَّى عليه ابنُه أبو نَصْر، ودُفن إلى جانب أبيه في دار إلى جانب داره.

وكان قد بلغ من العلوم مَبْلغاً عظيماً، وتوفي وهو ابن أربع وثلاثين سنة[1]، ووجَدَ عليه الراضي وَجْداً شديداً، حتى إنَّه كان يبكي ويقول: كنتُ أَضِيقُ بالشيء ذَرْعاً فيُوسعه علي، ووالله لا بَقيتُ بعده.

ولمَّا توفي خَلَع الراضي على ابنه أبي نَصْر يوسف بن عمر يوم الخميس لخمسٍ بقين من شعبان، وقلَّده الحَضْرةَ بأسْرها وبعضَ السَّواد، وخلع على أخيه أبي محمد الحسين ابن عمر وولَّاه أكثرَ السواد، ثم صَرَف الراضي أبا نصر عن مدينة المنصور بأخيه الحسين سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، وأقرَّه على الجانب الشرقي.

محمد بن أحمد

ابن أيُّوب بن الصَّلْت[2]، أبو الحسن ابن شَنَبوذ، المُقرئ.

كان تخيَّر لنفسه حروفاً من شَواذِّ القراءات، فقرأ بها بحضرة ابن مُقْلَة الوزير، فأنكر عليه، وضرَبه سبع دِرَرٍ، فدعا على ابن مُقْلَة بقطع اليد، وكانت وفاته ببغداد في صفر.

محمد بن عبد الوَهَّاب

أبو علي، الثَّقفي، إمام الصُّوفية بنَيْسابور[3].

---

(١) في أخبار الراضي ١٤١ ، وترتيب المدارك ٢/ ٢٨١ أنه توفي وهو ابن تسع وثلاثين سنة، وفي المنتظم ١٣/ ٣٩٢ ابن سبع وثلاثين سنة.

(٢) في(خ): أيوب بن أبي الصلت، وهذه الترجمة والتي تليها ليستا في (م ف م١)، والمثبت من مصادر ترجمته: تاريخ بغداد ٢/ ١٠٣ ، والمنتظم ١٣/ ٣٩٢ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٥٣ ، والسير ١٥/ ٢٦٤ ، وقد سلفت أخباره في أحداث السنة (٣٢٣ هـ).

(٣) طبقات الصوفية ٣٦١ ، والرسالة القشيرية ١١٠ ، ومناقب الأبرار ٢/ ٦٣ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٥٧ ، والسير ١٥/ ٢٨٠ .

كان إماماً في علوم الظَّاهر والباطن، وبه ظهر التَّصوف بخُراسان.

لقي أبا حَفْص، وحَمْدوناً القَصَّار، وأبا عُثمان الحِيري وصَحِبهم.

وكان أبو عثمان يقول: إنِّي لأنتفعُ في نفسي إذا نظرتُ إلى خُشوع هذا الفتى، يعني: أبا علي.

وكان يتكلَّم على الناس. قال أبو بكر الرَّازي: حَضَرتُ مَجلسَ الثَّقفي، فتكلَّم في المَحبَّة والمُحِبِّين وأنشد: [من الطويل]

إلى كم يكون العَتْب في كلِّ ساعةٍ ... وكم لا تَمَلِّينَ القَطيعةَ والهَجْرا
رُويْدَكِ إنَّ الدهرَ فيه كِفايةٌ ... لتَفْريق ذاتِ البَيْن فانتظري الدَّهرا

وقال: مَن صحب الأكابرَ على غير طريق الاحترام حُرِم فوائدَهم، ولم يظهر عليه من أنوارهم شيء.

وقال: مَن غَلَبه هواهُ توارى عنه عقلُه.

وقال: لا تطلُب تقويمَ ما لا يستقيم، ولا تأديبَ مَن لا يتأدَّب

وقال: يأتي على الناس زمانٌ لا تَصِحُّ المَعيشة فيه لمؤمن حتى يستند إلى مُنافق.

وقال: يا مَن باع كلَّ شيءٍ بلا شيءٍ، واشترى لا شيءَ بكلِّ شيءٍ.

وكان عبد الله بن محمد بن مُنازِل في زمانه، وكان مُجَرَّداً من الدنيا، فتكلَّم الثَّقفي يوماً في التَّجْريد عن الدنيا، وشَبَّهه بالموت، فناداه ابنُ منازل وراءَهُ وقال: ها قد متُّ، فانقطع الثقفي لأنَّه كان له عَلائقُ، وابن مُنازِل كان مُجَرَّداً[١].

محمد بن علي بن الحسين

أبو علي، المعروف بابن مُقْلَة، الوزير[٢].

(١) مناقب الأبرار ٢/ ٦٥، وتحرف فيه ابن منازل إلى ابن المبارك.

(٢) المنتظم ١٣/ ٣٩٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٥٨، والسير ١٥/ ٢٢٤، وقد سلفت جملة صالحة من أخباره في السنين الماضية.

ولد ببغداد سنة اثنتين وسبعين ومئتين، وأولُ تصرُّفه مع أبي عبد الله محمد بن داود ابن الجَرَّاح سنة ثمان وثمانين، فأقام معه ثمانيةَ أشهرٍ، ثم انتقل إلى أبي الحسن بن الفرات قبل تقلُّده الوزارةَ.

ثم آل أمرُه أنْ وَزَرَ لثلاثة خلفاء؛ للمقتدر سنة ستَّ عشرة وثلاث مئة، وقبض عليه في آخر سنة سبع عشرة، ووزر للقاهر سنة عشرين، [واستتر عنه خوفاً منه سنة إحدى وعشرين] فلم يظهر حتى بُويع للرَّاضي.

وقال: كنتُ مُسْتَتِراً في دار أبي الفضل بن ماري النَّصْراني بدَرْب القَراطيس، فسُعِيَ بي إلى القاهر، وعرف موضعي، فإنِّي لَجالسٌ نصف الليل وإذا بالشارع قد امتلأ بالخَيل والمَشاعل، وهجموا الدار، فدخلتُ بيتاً فيه تِبْنٌ، فدخلوه وفتَّشوه بأيديهم، وأيقنتُ أنِّي مأخوذٌ، فعاهدتُ الله على تَرْك ذنوبٍ كثيرة، وأنَّني متى تقلَّدتُ الوزارة أمَّنتُ المستَتِرين، وأطلقتُ ضِياع المَنكوبين، ووقفتُ وقوفاً على الطَّالِبيين، وخرج الطَّلَبُ وكفاني الله أمرَهم[١].

وكان ابنُ مُقْلَة قد نفى أبا العباس أحمد بن عبيد الله الخَصِيبي وسليمان بن الحسن إلى سَرَنْدِيب، وكلاهما وَزَر للمقتدر، فقال الخَصيبي لسليمان لمَّا خبَّ بهما البحرُ: اللهم إنِّي أتوبُ إليك من مَعاصيك، إلا من مَكروهٍ أُوقِعه بابن مُقْلَة، فردَّهما البحر إلى عُمان، فعادا إلى بغداد مستَتِرَين، فلمَّا عزل الراضي ابنَ مُقْلَة من الوزارة ضَمِنَه الخَصيبي بألفي ألف دينار، وحلَّت به المَكاره من قِبَله.

وكان ابن مُقْلَة إذا صادر أحدَهم هَدَم دارَه، وأخذ أنقاضَها فبنى بها دارَه بالزَّاهِر، ولمَّا أراد أن يَضعَ أساسَها جمع المُنَجِّمين، فاختاروا له وقتاً لبنائها، فكان يجلس يقرأ القرآن والأسْطُرْلاب بيده، فكتب إليه بعضُهم: [من البسيط]

قل لابن مُقْلَةَ [مَهْلاً][٢] لا تكن عَجِلاً واصبِرْ فإنَّك في أضْغاثِ أحلامِ

(١) تكملة الطبري ٣٢١، والمنتظم ١٣/ ٣٩٤.

(٢) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٢٩٩، والمنتظم ١٣/ ٣٩٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٦١، والسير ١٥/ ٢٢٨.

تَبْني بأنقاضِ دُورِ الناسِ مُجْتَهِداً داراً ستُنقَضُ قَهْراً بعد أيَّامِ
وعادةُ الدَّهْرِ فيها أنْ يُغادِرَها والنَّارُ تُضْرَمُ فيها أيَّ إضْرَامِ
تَتْلو القُرانَ عليها ثمَّ تُتْبِعُه أحكامَ هِرْمِسَ تلكم شَرُّ أحكامِ
إنَّ القُرانَ وبَطْلَيْمُوسَ ما اجتمعا في حالِ نَقْضٍ ولا في حالِ إبرامِ

وكان له بستانٌ عِدَّةُ أجْرِبَة[١]، شجرٌ بلا نخل، عمل له شبك إبْرَيْسَم، وكان يُفرِّخ فيه الطُّيور التي لا تُفَرِّخ في الشَّجَر، كالقَمارِي، والهَزار، والبَبَّغ، والبَلابِل، والطَّواويس، والقَبَج، وكان فيه الغزال والبقر والنَّعام وحُمُر الوَحْش، ووقع طائرٌ بحريٌّ على طائر برِّي فازدوجا وباضا وأَفْرَخا، فأعطى مَن بَشَّره بذلك مئةَ دينار.

وكان جَحْظَة يُعاشِرُه في زمان الفقر، فلمَّا وَلِيَ الوزارة حَجَبه، فكتب إليه: [من البسيط]

قُلْ للوزيرِ أدام اللهُ دولَتَهُ اذْكُرْ مُنادَمَتي والخُبْزُ خُشْكارُ
إذ ليس بالباب بِرْذَونٌ لنَوْبَتكم ولا حمارٌ ولا في الشَّطِّ طَيَّارُ[٢]

وأكل يوماً حَلْوى فنقطَ على ثوبه نقطةٌ صفراء، فأخذ المِدادَ وسوَّدَها وأنشد: [من الخفيف]

إنَّما الزَّعْفَرانُ عِطْرُ العَذارى ومِدادُ الدُّوِيِّ[٣] عِطْرُ الرِّجالِ

ومن شعره عند قَطْع يده: [من الخفيف]

ما سَئِمتُ الحياةَ لكن تَوَثَّقْـ ـتُ بأيمانهم فبانَتْ يَميني
بِعتُ دِيني لهم بدُنْياي حتى حَرَموني دُنياهُمُ بعد دِيني
ولقد رُمْتُ ما استطعتُ بجَهْدي حِفْظَ أيمانهم فما حَفِظوني
ليس بعد اليمين لَذَّةُ عَيْشٍ يا حياتي بانَتْ يَميني فبِيني

وكانت وفاتُه في شوال.

---

(١) الجريب من الأرض مَبْذَر الجريب الذي هو المكيال. مختار الصحاح.
(٢) سلف البيتان في ترجمة جحظة سنة (٣٢٣هـ)، والأبيات التي قبله في حوادث سنة (٣١٨هـ).
(٣) جمع دواة، وانظر المنتظم ١٣/ ٣٩٧-٣٩٨ فجلُّ الترجمة منه.

[وفيها توفي]

محمد بن القاسم

ابن محمد بن بشَّار، أبو بكر ابن الأنباري، النَّحْوي، الإمام، العَلَّامة[١].

ولد يوم الأحد لإحدى عشرة ليلةً خلَت من رجب سنة إحدى وسبعين ومئتين.

وقرأ القرآن، وسمع الحديث، واشتغل بعلم العربية حتى فاق أهل عصره، ولم يكن في زمانه أحفظ منه، [فحكى الخطيب أنَّه] كان يحفظ ثلاث مئة ألف بيت من الشَّواهد في القرآن.

[قال:] ومرض فحَزِنَ عليه أبوه حُزْناً شديداً، فقيل له في ذلك فقال: كيف لا أحزن على مَن في صَدْره هذه الخَزائن، وكانت ثلاثة عشر صندوقاً مَملوءةً كُتباً.

وكان إذا دخل الحَمَّام يقفُ أبوه قائماً حتى يخرج ويقول: أخافُ أنْ يَقَعَ عليه الحَمَّام وفي صَدْره هذه الصَّناديق.

[قال:] وكان يحفظُ مئةً وعشرين تفسيراً للقرآن بأسانيدها.

وحكى الخطيب: أن جاريةً سألته عن مسألة من تَعبير الرُّؤيا، فقال: الجواب غداً، ومضى تلك الليلة، فحفظ كتاب «تعبير الرُّؤيا» للكرماني.

قال الخطيب: وأملى[٢] كتاب «غريب الحديث» من حِفْظه في خمسة وأربعين[٣] ألف وَرَقة، وأملى «شرح الكافي» في ألف ورقة، وكتاب «الهاءات» في ألف ورقة، وكتاب «الأضداد»، و«المذكر والمؤنث»، وكتاب «المشكل» بلغ فيه إلى (طه) ومات، وغير ذلك.

وكتب الناسُ عنه وأبوه حيٌّ، وكان يُملي في ناحية المسجد، وأبوه يُملي ناحية.

---

(١) أخبار الراضي ١٤٤، وتكملة الطبري ٣٢١، وتاريخ بغداد ٤/ ٢٩٩، والمنتظم ١٣/ ٣٩٧، والكامل ٨/ ٣٦٥، ومعجم الأدباء ١٨/ ٣٠٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٦٤، والسير ١٥/ ٢٧٤.

(٢) في (خ): بأسانيدها، وسألته جارية عن مسألة من تعبير الرؤيا للكرماني وأملى، والمثبت من (م ف م١)، وانظر تاريخ بغداد ٤/ ٣٠٢.

(٣) في (خ): خمسة وعشرين، والمثبت من (م ف م١).

وكان [مع هذا الحفظ] مُتواضِعاً، صَدوقاً، ثِقةً، دَيِّناً، قال الدارقُطني: حضرتُ يوماً مجلسَ إملائه، فصحَّف حَيَّان بحِبَّان، فأعظمتُ أنْ يُحمَلَ عنه ـ في فَضْله وجَلالة قَدْرِه ـ وَهْمٌ، وهِبْتُه أنْ أُفاوِضَه في ذلك، فقلتُ للمُسْتَمْلي وبيَّنتُ له الصَّوابَ وانْصَرَفتُ، وعَرَّفه المُسْتَملي، فلمَّا كان في الجمعة القابِلة حضرتُ وحضر الجماعة، فقال أبو بكر للمستملي: عَرِّف الجماعةَ أنَّنا صَحَّفنا الاسمَ الفُلاني في المَجْلس الماضي في حديث كذا وكذا، ونبَّهَنا ذاك الشابُّ عليه وأشار إليَّ، وأنَّا كَشَفْنا الأصلَ فوَجَدْناه كما قال.

[قال الخطيب: وكان لا يأكل إلا القَلايا، ولا يشرب إلا الماء البارد.

قال:] وقال(١) أبو الحسن العَرُوضِيّ: اجتمعتُ أنا وأبو بكر بن الأنباري عند الرَّاضي، وكان الطَّبَّاخ قد عرف ما يأكل، فكان يشوي له قَلِيَّة يابسة، ونحن نأكل ألوانَ الطَّعام وأطايبَه، وهو يُعالجُ تلك القَليَّة، ولما فَرَغْنا أكلنا الحَلوى، وشربنا الماء المَمزوج بالثَّلج، ولم يشرب [بعد القَليَّةِ] ماءً إلى العصر، فشرب من ماء الحُبِّ غير مبرَّدٍ بالثلج، فقلتُ له: لم تُعَذِّب نفسَك في الدنيا؟ قال: أُبقي على حِفظي وعلمي، فقلتُ: قد أكثر الناس في حفظك، فقال: أحفظُ ثلاثة عشر صندوقاً.

[قال:] وحضر بين يدَيه رُطَبٌ، فجعل يُقلِّبه ويقول: إنَّك لَطَيِّبٌ، وأطيبُ منك حِفْظُ ما وهبه الله لي من العلم.

[قال:] فلمَّا وقع في الموت أكلَ كلَّ ما يَشتهيه وقال: إنَّما هي عِلَّة الموت.

وكان يدرُسُ في كلِّ جمعة عشرةَ آلاف ورقة [وكان هذا دأبَه].

وقال: دخلتُ مارَسْتانَ باب مُحَوّل، فسمعتُ رجلاً في بيتٍ يقرأُ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾[العنكبوت:١٩] ثم قال لنفسه: أنا لا أقفُ على قوله ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ بل على قوله: ﴿يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ﴾ فأقف على ما عَرفه القوم وأقرُّوا به؛ لأنَّهم لم يكونوا يُقِرُّون بالبعث، ثم أبتدئُ بقوله ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ فيكونُ خبراً.

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١). وانظر تاريخ بغداد ٤/ ٣٠١ . القلايا جمع قَلِيَّة، وهي مرقة تتخذ من اللحوم والأكباد.

وأما قراءةُ علي بن أبي طالب «وادَّكَرَ بعد أَمَهٍ»[(١)] بفتح الميم فوَجْهٌ حسَنٌ؛ فإن الأَمَه النِّسيان.

فقال: فقلتُ للمارَسْتاني: مَن في هذا البيت؟ فقال: إبراهيم المُوَسوس، فقلتُ: هذا أُبَيُّ بن كَعْب، افتح لنا الباب، ففتح، وإذا به رجلٌ فاضلٌ، كان يجتمع معنا عند ثعلب، وإذا به قد انغَمَسَ في النَّجَاسة، فلمَّا رآني أشار إلى البَوْل وقال: ما هذا؟ قلتُ: الخُرْء، فقال: وما جمعُه؟ قلتُ: خُرُوء، قال: فما الشاهدُ؟ قلتُ: قول الشاعر: [من الطويل]

كـأنَّ خُـروءَ الـطَّـيـرِ فـوقَ رؤوسـهـم

فقال: صدقتَ، والله لو لم تأتِ بالجواب لأطعمتُك منه، فقلتُ: الحمد لله الذي نجَّاني منك.

وقال المصنف رحمه الله: والشعرُ للجَوَّاس بن نُعيم:

كـأنَّ خُـروءَ الـطَّـيـرِ فـوقَ رؤوسـهـم إذا اجـتـمـعـتْ قـيـسٌ مـعـاً وتَـمـيـمُ

يصفُ ذُلَّهم[(٢)].

ذكر وفاته:

[حكى ابن ناصر بإسناده عن] عبد الله ابن عيسى قال: لمَّا مرض أبو بكر بن الأنباري مرضَه[(٣)] الذي مات فيه انقطع عن الخروج إلى المسجد أياماً، فدخل عليه الجماعةُ وسألوه عن حاله، فقال له بعضُهم: اضْبِطِ الماءَ من غدٍ وآتيك بثابت بن سِنان[(٤)] المُتَطَبِّب ـ وكان يجتمع في حلقته الأشرافُ وأولاد الوزراء ـ فلمَّا كان من الغد حضر المتطبب مع ذلك الرجل، فلمَّا توسَّط المنزل قال: أروني الماء ما دمتُ في الضوء، فنظر إليه، ثم دخل فسأله عن حاله فقال: رأيتَ الماء؟ قال: نعم، وهو يدلُّ

(١) من سورة يوسف الآية ٤٥ ، والخبر في تاريخ بغداد ٤/ ٣٠٣-٣٠٤ ، وعنه المنتظم ١٣/ ٤٠٠ .

(٢) شرح ديوان الحماسة ٣/ ١٤٥٤ ، والمؤتلف والمختلف للآمدي ١٠١ .

(٣) في (خ): ذكر وفاته قال عبد الله بن عيسى لما مرض مرضه، والمثبت من (م ف م١). والخبر في المنتظم ١٣/ ٤٠٢.

(٤) في المنتظم: سنان بن ثابت.

على إتعابك جسمَك وتكليفك نفسَك أمراً عظيماً لا يُطيقه الناس، فقال: قد كنتُ أفعل ذلك، فوصف له ما يستعملُه ثم خرج فتبعه الرجلُ، فسأله عنه فقال: ارْفُقوا به فهو تالِفٌ ما فيه حِيلة.

فسأله الرجل فقال: يا أستاذ، ماالذي كنتَ تفعلُ حتى استدلَّ الطبيبُ عليه من حالك؟ قال: كنتُ أدرسُ في كلِّ جمعة عشرةَ آلاف ورقة.

وتوفي ليلةَ النحر ببغداد، وحَزِن عليه الرَّاضي، ورثاه العلماء.

واتَّفقوا على صدقه وثقته وفضله، قال أبو العباس الكاتب: أنشدنا محمد ابن الأنباري[١]: [من الخفيف]

لي صَديق قد صِيْغَ من حُسْنِ عَهدٍ[٢] ورَمــانــي الــزَّمــانُ مــنــه بــصَــدِّ
كــان وَجْــدي بــه فــصــار عــلــيــه وظَــريــفٌ زوال وَجْــدٍ بــوَجْــدِ

[وفيها توفيت

أم عيسى بنت إبراهيم الحَرْبي[٣]

كانت عالمة فاضلة، تفتي في الفقه، توفيت في رجب، ودُفنت إلى جانب قبر أبيها، وقد ذكرناها في ترجمة أبيها فيما تقدَّم، واتفقوا على صدقها وثقتها.][٤]

(١) نسبها الخطيب في تاريخه ١٢/ ١١٠ ـ وعنه في المنتظم ١٤/ ٣٣٢، ونزهة الألباء ٣٠٢ ـ إلى أبي العباس الكاتب عبيد الله بن أحمد الزراري نفسه.

(٢) في المصادر: من سوء عهد.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٦٣١، والمنتظم ١٣/ ٤٠٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٦٨.

(٤) ما بين معكوفين من (م ف م١)، وجاء فيها عقب هذا: والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة التاسعة والعشرون وثلاث مئة[١]

فيها استكتب بَجكم أبا عبد الله الكوفي، وعزل ابن شيرزاد عن كتابته، وصادره على مئة ألف وخمسين ألف دينار.

وفي يوم الخميس لخمسٍ خلَون من المُحرَّم صُرف أبو نصر يوسف بن عمر عن القضاء بمدينة المنصور، وتقلَّده أخوه أبو محمد بن عمر بسفارة أبي عبد الله محمد بن أبي موسى الهاشمي له في ذلك، وشهد عنده يوم تقلَّد فقبل شهادته.

وفي صفر وصلت الرُّومُ إلى كفرتوثا من أعمال الجزيرة، فقتلوا وسَبَوا.

وفي ربيع الأول انحدر أبو عبد الله الكوفي إلى بجكم برسالة الراضي لما اشتدَّت عِلَّتُه، يسأله أن يولِّيَ العهدَ ابنَه أبا الفضل وهو الأصغر، وكان بَجكم بواسِط، وقاء الرَّاضي في يومين أربعة عشر رَطْلاً من الدَّم، ووَلي المُتَّقي.

الباب الحادي والعشرون في خلافة المُتَّقي

واسمُه **إبراهيم بن جعفر** المُقْتدر بن أحمد المُعْتَضد، وكنيتُه أبو إسحاق، وأمُّه أُمُّ ولد اسمُها خَلُوب أدركت خلافتَه، ولد في شعبان سنة سبع وتسعين ومئتين، وهو أخو الراضي.

ذكر بيعته:

قال الصولي: لمَّا مات الراضي كان بجكم بواسط، فتوقَّف الأمرُ على اختياره، وبلغَهُ الخبر فكتب إلى كاتبه أبي عبد الله أحمد بن علي الكوفي يأمرُه أن يَجمع القُضاة والعُلماء والأشراف بحضرة الوزير أبي القاسم سليمان بن الحسن وزير الرَّاضي، ويُشاورهم في مَن يصلح للخلافة، ويكون الاجتماع في دار بجكم.

وبعث الحسين بن الفضل بن المأمون إلى الكوفي بعشرة آلاف دينار له، وبأربعين ألفاً يفرِّقها في الجند إنْ ولَّاه الأمرَ، فلم تسكن نفسُه إليه، وجمع الجماعة، وقرأ عليهم كتاب بجكم.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

وكان عثمان كاتب الكوفي مائلاً إلى المُتَّقي، فما زال حتى اتَّفقوا عليه، وأَحْدَروه من داره - وكانت بأعلى الحَريم الطَّاهري - إلى دار الخلافة، وذلك في يوم الأربعاء لعشرٍ بقين من ربيع الأول، فبايعوه وهو ابن أربع وثلاثين سنة.

وكان حَسَنَ الوجه، مُعتَدلَ الخَلْق، مُشْرَباً حُمْرةً، أشهلَ العينين، كثَّ اللحية.

ولمَّا صَعِد إلى رِواق التَّاج صلَّى ركعتين على الأرض، ثم جلس على السرير، وبايَعَه الناس.

ولم يُغيِّر شيئاً قط، ولم يَتَسَرَّ على جاريته التي كانت له، وكان كثير الصَّوم والتعبُّد، ولم يَشرَب النَّبيذ قط، وكان يقولُ: المُصحف نَديمي وجَليسي ما أريد جَليساً غيره، فغضب جلساؤه من ذلك.

وقال ثابت بن سِنان: كان الراضي قد أَحْدَرَ قبل موته أبا عبد الله الكوفي إلى بجكم يسألُه أنْ يُولِّيَ العهدَ ابنَه أبا الفضل، وبقي الأمرُ موقَّفاً إلى أنْ يَقدم الكوفي من واسِط، وعاد إلى بغداد ليَحْفَظَ دار الخلافة، وينتظرَ جوابَ كتاب بجكم.

فلمَّا كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول وَرَد كتابُ بجكم على الكوفي يأمره بأن يجمع [أبا القاسم][1] الوزير، وكلَّ مَن تقلَّد الوزارةَ، وأصحاب الدواوين، والقضاةَ والعدولَ، والفقهاء، والعباسيِّين والعلويِّين، ووجوهَ البلد، ويُشاوِرَهم فيمَن يُنصِّب ممَّن يُرتضَى مَذْهبُه، وتُحمَد طريقتُه، وتجمع فيه أوصافُ الدِّين والخير، فيَعقِدَ له الأمر.

فجمعهم الكوفيُّ، وكان يكره المتَّقي لأجل كاتبه أبي الحسين ابن مَيْمون، فميَّله عثمان كاتب الكوفي إلى المتقي، وضمن له أنْ يُحسن إليه، ولا يَسعى له في مَكروه، فأجاب، وقال الكوفي للجماعة: ما تقولون في إبراهيم بن المُقْتدر؟! فأثنَوا عليه وبايعوه، وبعث المتقي إلى بجكم بالخِلَع، وأقرَّ أبا القاسم سليمان بن الحسن على الوزارة؛ وإنما كان له منها الاسم والتَّدبيرُ للكوفي، واستحجَبَ المتقي سَلامةَ الطُّولوني، وولَّى علي بن عيسى المَظالم[2].

(١) ما بين حاصرتين من الكامل ٨/ ٣٧١ .

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١)، وما سيرد بين معكوفات منها.

[قال ثابت بن سِنان:] وفي يوم الثلاثاء لسبعٍ خَلَون من جُمادى الآخرة سقطت القُبَّةُ الخضراء بمدينة أبي جعفر التي بناها [أبو جعفر] المنصور.

[هذا قول ثابت بن سنان، وقد ذكرها الخطيب أتمَّ من هذا وقال: سقط رأس القُبَّة الخضراء التي في قصر أبي جعفر المنصور في التاريخ المذكور،] وكانت[١] تلك الليلة ليلةً مَطيرة، فيها رَعْدٌ هائل وبَرْقٌ شديد، وكانت هذه القُبَّةُ تاجَ بغداد، ومأثُرَةَ بني العباس، [بناها المنصور أول ملكهم] وكان بين بنائها وسقوطها مئةٌ وسبع وثمانون سنة.

وفيها تمَّ عِمارة جامع بَراثا ببغداد، وكان المقتدر قد هدَمَه إلى الأرض، اتَّهم أقواماً من أهل الكَرْخ أنَّهم يجتمعون فيه ويسبُّون الصحابة، [فلما كان في هذه السنة] أمر بجكم بعمارته وتوسيعه وتسقيفه بالسَّاج، ونُقِش بالجَصِّ والآجُرّ، وجعل إمامه أحمد ابن الفضل الهاشمي، وكتب اسم الراضي على حائط القِبلة[٢].

واشتد الغَلاء ببغداد، فبلغ الكُرُّ مئةً وثلاثين ديناراً، وأكل الناس النُّخالة والحَشيشَ، ووقع الوَباءُ [بمكة وبغداد] حتى كان يُرمى جماعةٌ في قبر [واحد] من غير غُسل ولا تكفين.

وأجدبت الأرض ببغداد[٣]، فرأت امرأةٌ رسول الله ﷺ في المنام يقول لها: قولي للناس يخرجوا فيستسقوا، وكُتب إلى المتقي بذلك، فأمر مُناديه بخروج الناس، فقال بعضهم: وهل يُقبل في مثل هذا منامُ امرأةٍ؟ فأمر المتقي بالخروج، فخرجوا وليس في السماء غَيْمٌ، فلمَّا بَرزوا إلى المُصَلَّى لم يَتخلَّف أحدٌ مع أحمد بن الفَضْل الهاشمي، فاستقبل القبلة ودعا وأمَّن الناس، فنَشأت سَحابةٌ، ثم طَبَّقت الآفاق، وأسْبَلَت عَزاليها[٤]، فرجع الناس يَخوضون في الوَحْل.

(١) في (خ): بناها المنصور وقال الخطيب سقط رأس القبة وكانت، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ١/ ٣٨٣، وعنه المنتظم ١٤/ ٦.

(٢) المنتظم ١٤/ ٤-٥.

(٣) في (م ف م١): وذكر المحسن عن أبيه أن الأرض أجدبت ببغداد، والمثبت من (خ). والخبر في المنتظم ١٤/ ٧-٨ من طريق علي بن المحسن، عن أبيه، عن أحمد بن يوسف الأزرق، عن أبي محمد الصلحي الكاتب.

(٤) يُشَبَّه انصباب الماء واتساع المطر واندفاقه بمصب الماء من أسفل القربة والمزادة. معجم متن اللغة.

وحجَّ الناسُ ولم يدخلوا المدينة؛ لأجل طالِبِيٍّ خرج بناحيتها.

[**فصل**] وفيها قُتل بجكم فاضطرب الناس وعسكرُه، ومضى دَيْلَمُه إلى أبي عبد الله البَريدي، وكانوا ألفاً وخمس مئة، وكان بالبصرة فأحسن إليهم، وزاد في أرزاقهم.

وفيها عَزل المُتَّقي سليمان بنَ الحسن عن الوزارة، فكانت مدةُ إقامته فيها أربعةَ أشهر وأياماً، واستوزر أبا الحسين أحمد بن محمد بن مَيْمون، وكان كاتبه أولاً، وخلع عليه، وكانت وزارتُه في شعبان، فاستناب أبا عبد الله الكوفي.

وفيها قدم أبو عبد الله البَريدي من البصرة إلى بغداد، وطلب الوزارة فأجابه المتقي، وصار إليه الوزير ابن مَيْمون فأكرمه، وكانت وزارته شهراً وثلاثة أيام.

ولمَّا استوزر البريدي شَغَب الجُنْد والدَّيالِمة والبَجْكَمية وغيرهم عليه يَطلبون أرزاقَهم، فأرسل إلى المتَّقي يقول: إنَّهم يقولون: قد أخذتَ أموال بجكم من دارٍ وغيرها، فلم يلتفت إليه، فخرج هارباً من بغداد إلى البصرة، فكانت وزارته أربعةً وعشرين يوماً.

ثم استوزر المُتَّقي أبا إسحاق محمد بن أحمد الإسكافي، ويُعرَف بالقَراريطي، فأقام بها ثلاثةً وأربعين يوماً، ثم عزله وولَّى أبا جعفر محمد بن القاسم الكَرْخي، ثم عزلَه، فكانت وزارتُه ثلاثةً وخمسين يوماً، ودبَّر الأمور بعده أبو عبد الله الكوفي من غير اسم الوزارة.

وفي ربيع الآخر قبض المتقي على أبي بكر بن قَرابَة[1].

[وفيها كتب المتقي إلى محمد بن رائق يستدعيه من الشام، وسنذكر السبب.

وفيها قَلَّد المتقي الإمارة بعد قتل بَجكم][2] كورتكين[3] الدَّيْلَمي، وخلع عليه، وعقد له لواءً، وجعله أمير الأمراء، وجعل علي بن عيسى وأخاه عبد الرَّحمن على الدواوين من غير تسمية الوزارة.

---

(١) من قوله: وفيها عزل المتقي سليمان بن الحسن... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٢) ما بين معكوفين من (م ف م١)، وفي (خ): بن قرابة وفيها قُلِّد الإمارة.

(٣) في (م ف م١): كوركين، أينما وردت، وفي تكملة الطبري ٣٢٨ : كورنكج، والمثبت من (خ)، ومثله في أخبار الراضي ٢٠٤ ، والكامل ٨/ ٣٧٤ ، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٢ ، والسير ١٥/ ١٠٦ .

وفي شوال اجتمعت العامةُ في جامع السلطان، وتَظَلَّموا من الدَّيْلَم ونزولهم في دورهم وسوء معاملاتهم، فلم يقع لذلك إنكار، فمَنَعَت العامة الإمامَ من الصلاة، وكَسَرت المنبرَ، ومنعهم الدَّيْلَم من ذلك، فقُتل من الفريقين جماعةٌ [في يوم الجمعة].

واستوزر المُتَّقي القَراريطي، فكانت مُدَّةُ نَظَر علي بن عيسى وأخيه تسعة أيام، وخلع المُتَّقي على بدرٍ الخَرْشَني، وقلَّده الحجابة، وجعله حاجب الحُجَّاب.

ذكر مَسيرِ ابن رائق من الشام إلى بغداد:

كان جماعة من الأتراك مثل توزون وكورتكين وصيغون وغيرهم من البَجْكَمية بعد قتل بَجْكم لما أصعد البريدي إلى بغداد صاروا إلى المَوْصل، فحاد عنهم الحسن بن عبد الله بن حَمْدان، وراسلوه في إطلاق نَفَقاتهم، فأنفذ إليهم مالاً، وصاروا إلى الشام إلى ابن رائق، واستدعاه المتقي إلى الحَضْرة، فسار من دمشق في رمضان، وخلَّف أبا الحسن أحمد بن علي بن مُقاتِل يَخْلُفه على أعمال الحَرْب والخَراج بالشام وديار مُضَر، فلمَّا قَرُب من المَوْصل كتب كورتكين إلى أصبهاني ابن أخته[1] بأنْ يصعدَ من واسِط، فأصعد، ودخل بغداد فخُلع عليه وطُوِّق وسُوِّر.

ولما وصل ابن رائق إلى المَوْصل حاد عنه الحسن بن عبد الله بن حَمْدان، وجرت بينهما مُراسلات، وتقرَّر أنْ يَحمل ابنُ حَمْدان إليه مئةَ ألف دينار فحملها، وانحدر ابن رائق إلى بغداد، وعاد ابن حَمْدان إلى المَوْصل، وخطب البريدي بواسِط والبصرة لابن رائق، وكتب اسمه على أعلامه وتِرَسِه.

ولمَّا قَرُب ابن رائق من بغداد خرج منها كورتكين في ذي الحجة إلى عُكبَرا، يتوقَّع مُوافاة ابن رائق يدخل بغداد، فأقام كورتكين بعُكبَرا، وكان ذلك لتسعٍ بقين من ذي الحجة، ودخل على المُتَّقي.

ولما كان وقت الظُّهر من هذا اليوم دخل كورتكين بغداد بجيشه وهم في غاية التَّهاون بابن رائق، وكانوا يُسمُّون جيشه: القافِلَة، وكان نازلاً بالنَّجْمي غربي بغداد، وقد عزم على العود إلى الشام، ثم قال في نفسه: أتوقَّف، فعَبر في سفينة إلى الجانب الشرقي ومعه بعضُ الأتراك، واقتتلوا، ورماهم الدَّيْلَم بالنُّشَّاب، فبينا هم كذلك

(١) في (خ): اصهار بن أخيه، والمثبت من أخبار الراضي ٢٠٤ . وليس في (ف م م١) لاختصار نشير إليه قريباً.

أخذتْهم زَعَقاتُ العامَّة من ورائهم، وطرحوا عليه ستر السُّطوح والآجُرّ، فانهزم كورتكين واستتر، وقُتل أصحابه في الطُّرُقات وسُلبوا، وكانت إمارتُه ثمانين يوماً.

ولمَّا استتر تقطَّع جيشُه، وبَطَل أمرُه، وظهر الكوفي فاستكتبه ابنُ رائق، وأمر المُسْتأمِنَة من الدَّيْلَم برمي أسلحتهم، وأنفذ خاتمه إلى أربع مئة من أعيانهم تحصَّنوا بحصن بالنَّهْرَوان، فرجعوا إلى بغداد، فأنزلهم دار الفيل، ثم أمر السُّودان فضربوا أعناقَهم بها، وكان قد استأسَرَ من قُوَّاد الدَّيْلَم بضعة عشر قائداً، وضرب أعناقَهم.

وانهزم جماعة من الدَّيْلَم إلى طريق خُراسان، فوقع عليهم خانٌ باتوا فيه فهَلَكوا، ولم يبقَ ببغداد من الدَّيْلَم أحدٌ.

وخلع المتقي على محمد بن رائق وطوَّقه، وسوَّره بسوارَين مرصَّعَين بالجوهر، وعقد له لواءً، وجعله أميرَ الأمراء، ومات بُخْتَيْشوع بن يحيى المُتَطَبِّب.

وفيها أمر المتقي أبا جعفر الكوفي أنْ يلزم بيتَه، وكانت مدَّة وزارته ثلاثة وخمسين يوماً، ودبَّر الأمور أبو عبد الله الكوفي من غير تسمية بوزارة[١].

وفيها توفي

بَجْكَم التركي[٢] أبو الخير

كان أمير الأمراء قبل مُلْك بني بُوَيْه، وكان عاقلاً يفهم بالعربية ولا يتكلَّم بها بل بالتَّرْجُمان، ويقول: أخاف أن أُخْطِئَ، والخطأ من الرئيس قبيحٌ.

وكان يقول: أنا وإن كنتُ لا أُحسن العلمَ والأدب فأحبُّ ألا يكونَ في الأرض أديبٌ ولا عالم إلا تحت ظلِّي.

وكان قد استوطَن واسِطاً، وقرَّر مع الراضي أنَّه يَحمل إليه في كلِّ سنة ثمان مئة ألف دينار بعد أن يزيح العلَّة[٣] في مؤونة خمسة آلاف فارس يقيمون بها.

---

(١) من قوله: وفيها استوزر المتقي القراريطي... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٢) في (ف م م١): فصل ونعود لذكر وفاة بجكم التركي. وانظر في ترجمته ووفاته: تكملة الطبري ٣٢٦، والمنتظم ١٤/ ٩، والكامل ٨/ ٣٧١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٢.

(٣) في (م): ربح العامة، وفي (ف م١): يربح العامة، وفي مطبوع المنتظم ١٤/ ١٠: يخرج الغلة، والمثبت من (خ)، وهو موافق لما في (ص ك ل) والأصل من المنتظم كما أشار محققه.

وأظهرَ العدل، وكان يتولَّى رفعَ المظالم بنفسه، وبنى دار الضِّيافة للضعفاء والمساكين بواسط، وابتدأ بعمارة المارستان ببغداد، وهو الذي جدَّده عضد الدولة بالجانب الغربي.

وكانت له أموالٌ كثيرة [عظيمة]، فكان يَدفِنها في داره وفي الصَّحارى، وكان يأخذُ رجالاً في صناديق فيُقْفلُها عليهم، ويأخذ صناديقَ فيها مالٌ ويخرج بها إلى الصحراء، ثم يفتحها عليهم ويدفنون المال، ثم يعيدُهم إلى الصّناديق، فلا يدرون أين دفنوها، وكان يقول: إنَّما أفعلُ هذا لأني أخافُ أن يُحالَ بيني وبين داري، فضاعت بموته الدَّفائن.

وقال ثابت بن سِنان: كان بَجْكم يُؤثر أن يكون أبي عنده، وكان أبي خَصِيصاً بالراضي، فلمَّا مات الراضي استدعاه إلى واسِط وقال له: أُريد أنْ أعتمدَ عليك في تدبير بَدَني، وفي أمر آخرَ هو أهمُّ إليَّ من بَدَني وهو تهذيب أخلاقي، فقد غلب عليَّ الغَضَبُ وسوءُ الخُلُق حتى أَخرج إلى ما أندَمُ عليه من قَتْلٍ وضَرْب، وأنا أسألك إذا وقفتَ على عَيْبٍ لم تحتشم أنْ تَصدُقَني عنه، وتُنَبِّهَني عليه، ثم تُرشدني إلى علاجه، فقال له: سمعاً وطاعةً أفعل ذلك، ولكن يسمع الأمير منِّي عاجلاً جُملةً يَتَّسِعُ بها إلى أن يأتي التَّفصيلُ في أوقاته:

اعلم أنَّك قد أصبحتَ وليس أحدٌ يحولُ بينك وبين ما تُريد أيَّ وقتٍ شئتَ، واعلم أنَّ الغضب يُحدث في الإنسان حالةً أشدَّ من سُكْرِ النَّبيذ وأبلغ، فإذا سكن الغضبُ نَدِم على ما فعل، كما أنَّ السَّكْران إذا أفاق نَدِم على ما بدا منه، فإذا رأيتَ الغضبَ قد استولى عليك فضَعْ في نفسك أنَّك تُؤخِّر العُقوبةَ إلى غدٍ، فإنَّك إذا بتَّ ليلةً سكن غضبُك، ثم قدِّم أمرَ الله والخوفَ منه، فمَن شفى غيظَه أَثِم، واذكر قُدرةَ الله عليك، وأنك مُحتاجٌ إلى رحمته وخصوصاً في أوقات شدائدك، فكما تحبُّ أنْ يعفوَ الله عنك فكذا غيرُك يؤمِّل عفوَك، واذكر قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢] ثم يصيرُ العفوُ عادةً وخُلُقاً لك، فعمل بجكم بما قاله(١).

(١) هذا الخبر ليس في (م ف م١)، وانظر المنتظم ١٤/ ١٠ ـ ١١ (وعنه ينقل)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٢.

وروى القاضي التَّنوخي [عن أبيه قال:] جاء[١] رجلٌ من الصُّوفية إلى بَجكم فوَعظه بالعربية والفارسية حتى أبكاه، فلمَّا خرج الرجل قال بجكم لرجل: احمِل معك ألفَ درهم وادفعها إليه، فأخذها الرجل ولَحِقه، وأقبل بجكم على مَن كان عنده وقال: ما أظنُّه يقبلُها، وهذا محترقٌ[٢] بالعبادة إيش يعمل بالدَّراهم، فما كان بأسرع من أن عاد الغلامُ ويده فارغةٌ، فقال: أخذها؟ قال: نعم، فقال بجكم: كلُّنا صيادون ولكن الشباك تختلف.

ذكر وفاته:

[قال ثابت بن سِنان:] ورد جيش البَريدي إلى المَذار، فأنفذ بجكم كورتكين وتوزون[٣] في جيش للقائه، فالتقَوا على المَذار في رجب، فكانت أولاً على أصحاب بجكم، فكتبا إلى بجكم يسألانه أنْ يلحقَ بهما لتقوى نفوسُهما به، فخرج من داره بواسط يوم الأربعاء لأربع عشرة ليلة خلَت من رجب يريد اللَّحاقَ بهما، فورد كتابُهما بأنَّهما هَزَما البريدي، وقد استغنيا عن انزعاجه.

فبعث بالكتاب إلى بغداد فقُرئ على المنابر، وهمَّ بالرُّجوع إلى واسِط، وكانت خزانته[٤] قد سارت، فقال له يحيى بن سعيد السُّوسي: لا ترجع بل نتصيَّد ونعودُ، فقال: نعم، فوصل إلى نهرجُوْر وهناك قوم أكراد مياسير، فشَرِه إلى أموالهم وقصدَهم مُتهاوناً بهم في عددٍ يسير من غلمانه، وعليه قَباءٌ طاق بلا جُبَّة[٥]، فهرب الأكراد من بين يديه وتفرَّقوا، وبقي غلامٌ منهم أسود، فطعنه بالرُّمح في خاصرته وهو لا يعلم أنَّه بجكم، فقتله بين الطِّيْب والمَذار يوم الأربعاء لتسعٍ بقين من رجب، وكان بجكم لا يَحْتَقر من السَّلاح إلا الرُّمح [ويقول: أيُّ شيءٍ الرمح حتى يَقتل؟!]، فكانت مدَّتُه سنتين وثمانية أشهر وتسعة أيام.

---

(١) في (خ): وقال القاضي التنوخي جاء، والمثبت من (م ف م١). والخبر في نشوار المحاضرة ٢/ ٣٥٩، والمنتظم ١٤/ ١٢.

(٢) في النسخ: منحرف، ولعلها تصحيف منحرق، والمثبت من نشوار المحاضرة، وفي المنتظم: متخرق.

(٣) في النسخ: بوركين وبوري، والمثبت من تاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٢.

(٤) كذا في (خ)، وفي (م ف م١): جرافته، ولعلها تصحيف عن حَرَّاقته، وهي سفن فيها مرامي نيران يُرمى بها العدو في البحر، أو سفينة خفيفة المرّ. المعجم الوسيط.

(٥) في تكملة الطبري ٣٢٦: في عدد يسير من غلمانه في قميص، وفي الكامل ٨/ ٣٧١: في قلة من أصحابه بغير جنة تقيه، وفي تاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٢: في عدد يسير من غلمانه وهو متخفف، والجبة: الدرع.

ومضى معظمُ دَيْلَمِه إلى البريدي، وبعث الكوفي مَن حفظ داره ببغداد بأمر المتقي [حذراً أن يصحّ خبر لبجكم وأنه في الحياة].

فلمَّا تيقَّن قتلَه ركب المُتَّقي، فنزل في داره، فنقل ما كان فيها، وحفر فيها أماكن، فحصل له من ماله ما يزيد على ألفي ألف دينار عَيناً ووَرِقاً، وقال للرُّوْزْجاريَّة[١]: خذوا التراب بأجرتكم، فأبَوا، فأُعطوا ألفَي درهم، وغَسل التُّرابَ فخرج منه ستةٌ وثلاثون ألف درهم، وظهر له من الجواهر والياقوت والأواني والخيل والثياب والإماء والعبيد بمقدار ما وجد له من العَين، ثم ظهر بعد ذلك وبعد ما نُهب من داره ما نُهب ستة عشر قُمْقُماً، يَحمل كلَّ قُمْقُم بالدُّهُوق[٢] جماعةٌ.

وكان بين موت الراضي وقَتْل بجكم أربعةُ أشهر وأيام.

الحسن بن علي بن خَلَف

أبو محمد البَرْبَهاري الحَنْبَلي[٣].

كان قد جمع بين العلم والزُّهد، وتنزَّه عن ميراث أبيه سبعين ألف درهم، وصحب أبا بكر المَرُّوذي، وسَهْلَ بن عبد الله التُّسْتَري.

وكان شديداً على أهل البِدَع، وكان ينزل بباب مُحَوَّل.

وكان يُجَرِّئُ العَوام على الخلفاء، فأباح الراضي دمَه، فانتقل إلى الجانب الشَّرقي، واستتر عند أخت توزون فبقي نحواً من شهر، ثم أخذه قيام الدَّم فمات، فقالت المرأة لخادمها: انظر مَن يُغَسِّله، وغلَّقت الأبواب حتى لا يَعلَم أحدٌ به، فجاء الغاسل فغسَّله، ووقف يصلي عليه وحده، فاطَّلعت المرأة فإذا الدار مُمتلئة رجالاً بثيابٍ بيض وخضر، فقالت للخادم: ما الذي فعلت؟ فقال: يا سيدتي رأيتِ ما رأيتُ؟ قالت: نعم. قال: هذه مفاتيح الأبواب، فقالت لهم: ادفنوه في داري، وإذا متُّ فادفنوني عنده،

---

(١) نسبة إلى روزجار، الذي يعمل بالنهار. الأنساب ٦/ ١٨٦.

(٢) هي الرافعة أو العتلة. تكملة المعاجم ٤/ ٤٢٠.

(٣) طبقات الحنابلة ٢/ ١٨، المنتظم ١٤/ ١٤، الكامل ٨/ ٣٧٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٥٧١، السير ١٥/ ٩٠.
وسياق هذه الترجمة في (م ف م١) مخالف لسياقها في (خ)، وسأشير إلى ذلك في نهايتها، وما بين معكوفين من النسخ (ف م م١).

فدفنوه في دارها بالمُخَرَّم، [وكان] عمرُه ستًّا وتسعين سنة، ثم ماتت فدُفنت عنده[١].

[قال جدي: وقال شيخنا أبو الحسن ابن الزَّاغوني:] كُشف عن قبره بعد سنين وهو صحيح لم يَرِم، وفاحَت من قبره روائحُ الطيب حتى ملأت بغداد[٢].

عبد الله بن أحمد بن رَبيعة

أبو محمد، القاضي، الدِّمشقي، ويُعرف بابن زَبْر[٣].

ولد سنة خمس وخمسين ومئتين، وولي قضاء دمشق من قبل المُقْتَدر، وكان قدم بغداد وعلي بن عيسى وزير، فسأل المقتدر أن يولِّيَه قضاء دمشق، فشاور عليَّ بن عيسى فقال: لا يَصلُح، فكتب ابن زَبْر إلى المقتدر يقول: رأيتُ العباس بن عبد المطلب في المنام وهو يبني ببغداد داراً، وكلما بنى منها شيئاً هَدَمه علي بن عيسى، فانزعج المقتدر، وولَّى ابن زَبْر القضاء على دمشق [ثم عزله]، بهارون بن إبراهيم بن حَمَّاد، وَوَلِيَ ابنُ زَبْر القضاء على مصر [مراراً] ومات بها[٤].

وكان من الدُّهاة، مُمَشِّياً لأموره، عارفاً بالأخبار والسِّيَر في الدولَتين، ولمَّا مات قال أبو هُريرة الوَرَّاق: [من الوافر]

أتانا من دمشقَ وليس شيءٌ ... أحبَّ إليه من نَهْيٍ وأَمْرِ
فغادَرَه الزَّمانُ فصار جِسْماً ... حَليفَ حُفَيرةٍ وأَليفَ قَبْرِ
لقد حكَمَ الإلهُ بغير جَوْرٍ ... وقد وَعَظَ الزَّمانُ بابنِ زَبْرِ

(١) في (م ف م١): وفيها توفي البربهاري الحنبلي واسمه الحسن بن علي بن خلف شيخ الحنابلة ببغداد، وقال محمود الأصبهاني كان يجرئ العوام على الخلفاء ويوقع الفتن، فأباح الراضي دمه فاستتر، فلما مات الراضي ظهر، وذكره جدي في المنتظم فقال جمع بين العلم والزهد... بباب محول ومازالوا يثقلون قلب السلطان عليه حتى انتقل إلى الجانب الشرقي... فدفنوه عندها في دارها ثم ماتت فدفنت عنده وكانت دارها بالمخرم.

(٢) بعدها في (م): من تلك الروائح، وفي (م١): رحمة الله تعالى على أهل الخير العارفين بالله تعالى.

(٣) تاريخ بغداد ١١/ ٢٩، وتاريخ دمشق ٣٢/ ٣١٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٧٥، والسير ١٥/ ٣١٥. وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٤) ما بين حاصرتين من تاريخ دمشق ٣٢/ ٣١٩ .

[وفيها توفي]

عبد الله بن طاهر بن حاتم

أبو بكر، الأَبْهَري[(١)].

كان من أقران الشِّبْلي، [وروى أبو عبد الرَّحمن السُّلمي قال:] سئل [الأبهري:] ما بالُ الإنسان يَحتملُ من معلِّمه ما لا يحتمله من أبويه؟ فقال: لأنَّ أبويه سببٌ لحياته الفانية، ومعلِّمه سببٌ لحياته الباقية[(٢)].

قلتُ[(٣)]: ثم ذكره المصنف رحمه الله في سنة إحدى وثلاثين وثلاث مئة[(٤)] فقال: شيخُ الجبال، جمع بين العلم والوَرَع.

وقال: احتياجُ الأشرار[(٥)] إلى الأخيار صلاحُ الطائفتَين، واحتياجُ الأخيار إلى الأشرار فساد الطائفتَين.

وسُئل عن معنى قوله ﷺ: «إنَّه لَيُغانُ على قلبي»[(٦)] فقال: أطْلَع الله نبيَّه ﷺ على ما يكونُ من أمته بعده، فكان إذا ذكر شيئاً استغفر الله لأمته.

وقال: إذا أحببتَ أخاً في الله فأقْلل من مُخالطته في الدُّنيا.

---

(١) طبقات الصوفية ٣٩١، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٥١، والرسالة القشيرية ١١٤، والمنتظم ١٤/ ١٥، ومناقب الأبرار ٢/ ١١٠.

(٢) في (م ف م١): عبد الله بن طاهر بن حاتم أبو بكر الأبهري وروى عنه أبو عبد الرَّحمن السُّلمي... لحياته الباقية، صحب يوسف بن الحسين الرازي وكان من أقران الشبلي. اهـ. والكلام الآتي ليس في هذه النسخ.

(٣) القائل هو مختصِر مرآة الزمان.

(٤) ورد ذكره في النسخ (م ف م١) في سنة (٣٣١) كما ذكر المختصر هنا، وسنشير إلى ما خالفت فيه هذه النسخ نسخة (خ).

(٥) في (م ف م١): وفيها توفي عبد الله بن طاهر أبو بكر الأبهري شيخ الجبال من أقران الشبلي جمع بين العلم والورع، ذكره في المناقب وقال: قال الأبهري: احتياج الأشرار. والكلام في مناقب الأبرار ٢/ ١١٠، وطبقات الصوفية ٣٩٣.

(٦) أخرجه أحمد (١٧٨٤٨)، ومسلم (٢٧٠٢) (٤١) من حديث الأغر المزني ﷺ، وتمامه: «فإني لأستغفر الله في اليوم مئة مرة».

وقال: المَوَدَّةُ من المَحبة بمَنزلة الرَّأسِ من الجسد والعينِ من الوجه، لأنَّ المودةَ تُبدي عند الرؤية السُّرورَ، وعند[1] الفَقْد الكَمَدَ، فهي حالة في الجَوارح.

[وقال: ما قدر طاعات نُقابِلُ بها نعمه، وما قدر ذنوب نُقابل بها كرمه.] ورأى جنازةً وأصحابُ الميِّت يبكون عليه فأنشد[2]: [من الطويل]

ويَبْكي على الموتى ويَتركُ نفسَه ... ويعلَم أنْ قد عَزَّ فيهم عَزاؤهُ
ولو كان ذا عقلٍ ورأيٍ وفِطْنَةٍ ... لكان عليه لا عليهم بكاؤه

[وفيها توفي]

محمد بن جعفر المُقتدر

ابن أحمد المُعْتَضد الراضي بالله[3]

[ذكر الصولي وثابت بن سنان والخطيب وغيرهم قالوا:] كان [الراضي] سَمْحاً، واسعَ النفس، أديباً، شاعراً، حسنَ البيان، كريمَ الأخلاق، فصيحاً، محبًّا للعلماء مجالساً لهم، سمع من البغوي قبل الخلافة، ووصله بمال [كثير].

ورُفع إليه [أن] عبد الرَّحمن بن عيسى [احتاز] مالاً عظيماً، ثم قَرَّر عليه الوزير أبو جعفر الكَرْخي مئة ألف دينار وأخذ خَطَّه، وضَمِنه جعفر بن وَرْقاء، وأُوقفَ الرَّاضي على الخَطّ، فاستدعى جعفر بن وَرْقاء وقال له: يا أعرابي، جِلْفٌ جاف، أردتَ أن تُعْلِمَ الناس أنَّك أوسعُ نفساً مني، وضاقت نفسي عن خادمي وغلامي، ومزَّق الوَرَقة ولم يأخذ من عبد الرَّحمن شيئاً[4].

وكان للراضي فضائلُ كثيرةٌ، وخَتَم الخلفاء في أمورٍ عدة، منها: أنَّه آخرُ خليفة له شعرٌ مُدوَّن، وآخر خليفة انفرد بتدبير الجيوش والأموال، وآخر خليفة خطب على منبرٍ

---

(١) في (خ): عند الرؤية للسرور عند الفقد. والمثبت من (ف م م١)، وانظر مناقب الأبرار ٢/ ١١١.

(٢) في (ف م م١) وما بين معكوفين منها: وحضر يوماً جنازة فرأى أصحاب الميت يبكون فأنشد، والمثبت من (خ)، وانظر مناقب الأبرار ٢/ ١١٢، وطبقات الصوفية ٣٩٥.

(٣) في (م ف م١): وفيها توفي الراضي بالله واسمه محمد بن جعفر المقتدر بن أحمد المعتضد. والمثبت من (خ)، وانظر ترجمته في: أخبار الراضي والمتقي للصولي ٣ - ١٨٥، تكملة الطبري ٢٨٤، ٣٢٣، مروج الذهب ٨/ ٣٠٨، تاريخ بغداد ٢/ ٥٢٠، المنتظم ١٣/ ٣٣٥، ١٤/ ١٧، الكامل ٨/ ٣٦٦، تاريخ الإسلام ٧/ ٥٧٩، السير ١٥/ ١٠٣.

(٤) المنتظم ١٣/ ٣٣٦ وما بين معكوفين منه.

يوم الجمعة، وآخر خليفة جالس النُّدَماء وأوصلهم إليه، وآخر خليفة كانت نفقته وجوائزه وعطاياه وخزائنه ومجالسه وأسبابه تجري على ترتيب المتقدِّمين من الخلفاء، ووقع حريقٌ بالكَرْخ فأطلق خمسين ألف دينار لعِمارة ما احترق.

وقال الصولي: سئل الراضي أن يخطُبَ يوم الجمعة ويصلِّي بالناس، فصَعِد المِنْبَر بسُرَّ مَن رأى، فحضرتُ أنا وإسحاق بن المعتمد في المقصورة، فلمَّا خطب شَنَّف الأسماع، وبالغ في المَوْعظة، فوقعت عينُه علينا فأوجز في خطبته، ثم نزل فصلَّى بالناس، فما وصلتُ إلى داري إلا ورسوله قد سبقني، فدفع إليَّ رُقعةً ففتحتُها، وإذا هي بخطِّه يقول فيها: أبقاك الله يا محمد، لقد لحَظَك طَرْفي وأنا أخطُبُ وإلى جانبك إسحاق، فَعرِّفني على تجريد[1] الصِّدق واتِّباعك الحق؛ هل تهجَّنَ الكلام بزيادةٍ فيه، أو اختَلَّ بنقصان منه، أو وقع ذلك في اللفظ، أو إحالة في المعنى، جارياً على عادتك في حال الإمرة غير مقصِّر عنها للخلافة إن شاء الله تعالى.

فكتبتُ إليه بعد الدعاء له: وأميرُ المؤمنين أجلُّ خَطَرًا وقَدْراً، وأسنى مَجْداً وفَخْراً، وأوسعُ خاطراً وفِكْراً، من أن يبلغَ خطيبٌ خطبتَه، أو يَروم بليغٌ بلاغتَه، وهو أدام الله دولته، وأطال في العزِّ مدَّتَه، كما قال حسان بن ثابت في وصف جدِّه عبد الله بن عباس: [من الطويل]

إذا قال لم يَترُكْ مَقالاً لقائلٍ ... بمُلْتَقَطاتٍ لا نرى بينها فَصْلا
كفى وشفى ما في الصُّدور فلم يَدَع ... لذي إرْبةٍ في القول جِدًّا ولا هَزْلا
يقول مقالاً لا يقولون مثلَه ... كنَحْتِ الصَّفا لم يُبْقِ في غايةٍ فَضْلا[2]

وقال الخطيب: حدثنا علي بن المُحَسِّن التَّنوخي، عن أبيه قال: سمعت أبا بكر محمد بن يحيى الصولي يحكي أنه دخل على الراضي[3] وهو يبني شيئاً [أو يهدم شيئاً]، وهو جالس على آجُرَّةٍ حيال الصُّنَّاع، وكنتُ أنا وجماعةٌ من الجُلَساء قياماً،

(١) في أخبار الراضي ٧٨: تحري.
(٢) من قوله: ورفع إليه أن عبد الرَّحمن بن عيسى ... إلى هنا ليس في (م ف م١).
(٣) في (خ): وقال الصولي دخلت عليه. والمثبت من (م ف م١). والخبر في نشوار المحاضرة ١/ ٢٩٨، وتاريخ بغداد ٢/ ٥٢١، والمنتظم ١٣/ ٣٣٧ ـ ٣٣٨.

فأمَرَنا بالجلوس، فأخذ كلُّ واحدٍ منا آجُرَّة فجلس عليها، واتَّفق أن أخذتُ أنا آجُرَّتَين مُلتصقتَين [بشيءٍ من إسْفِيداج] فجلستُ عليهما، فلمَّا قُمنا أمر أن تُوزنَ كلُّ آجرَّةٍ، ويُدفع إلى الذي كان جالساً عليها دراهم أو دنانير ـ الشك من الراوي ـ قال الصُّولي: فتضاعفَت جائزتي على جوائز الحاضرين بأنِّي كنتُ جالساً على آجرَّتَين.

وجلس يوماً في بعض مُتَنَزَّهاته وهناك ألوانٌ من الزَّهر، فقال لجُلَسائه: هل رأيتم أحسنَ من هذا النهر؟ فأخذوا في مدحه، فقال: والله إنَّ لَعِبَ الصُّولي بالشِّطْرَنْج أحسنُ من لون هذا النهر ومن كلِّ ما تصفون(١) [، فعجب الحاضرون من كلامه].

وكان مُغْرى بنَقْض قصور دار الخلافة وتصييرها بساتين.

وقال وقد تكلَّم الناسُ في إنفاقه للأموال: [من الكامل]

لا تَعْذِلي كَرَمي على الإسرافِ ... رِبْحُ المَحامدِ مَتْجَرُ الأشراف
أَجري كآبائي الخلائفِ سابقاً ... وأشيد ما قد أَسَّسَت أسلافي
إنِّي من القوم الذين أكُفُّهم ... مُعْتادةُ الإتلافِ والإخلافِ(٢)

وقال أيضاً: [من المنسرح]

يَصْفَرُّ وجهي إذا تأمَّلَه ... طَرْفي ويَحْمَرُّ وجهُه خَجَلا
حتى كأن الذي بوَجْنَته ... من دم جسمي إليه قد نُقِلا(٣)

وقال الصُّولي: قلتُ أبياتاً وأنشدتُها للرَّاضي وهي هذه: [من الخفيف]

نَطَق السُّقْمُ بالذي كان يَخفى ... فسَلِ الجسمَ إن أردتَ سُؤالا
قد أتاه في النوم منك خَيالٌ ... فرآه كما اشتهيتَ خَيالا
تَتحاماه للضَّنى ألْسُنُ العُذَّلِ فأضحى لا يَعرفُ العُذَّالا

فجذب الدواة وعمل بديهاً في وقته: [من مخلع البسيط]

قلبيَ لا يَقبلُ المِحالا ... وأنت لا تَبْذُلُ الوصالا

---

(١) مروج الذهب ٨/ ٣١١، وهذا الخبر ليس في (م ف م١).
(٢) أخبار الراضي ٥٤، والمنتظم ١٣/ ٣٣٧.
(٣) مروج الذهب ٨/ ٣١٠، والمنتظم ١٣/ ٣٣٨، والكامل ٨/ ٣٦٦.

ضَـلَـلْـتُ فـي حُـبِّـكـم فـحَـسْـبـي ... حـتـى مـتـى أتْـبَـعُ الـضَّـلالا
قـد زارنـي مـنـكـم خَـيـالٌ ... فـزِدْتُ إذ زارنـي خَـبـالا
رأى خَـيـالاً عـلـى فِـراشـي ... ومـا أُراه رأى خَـيـالا(١)

وقال يخاطب ابن رائق: [من الطويل]

أيَـطـلُـبُ كَـيـدي مَـن يَـهـونُ كِـيـادُه ... ويـوقـدُ نـاراً مـثـلَ نـارِ الـحُـبـاحِـبِ
لـقـد رام صَـعْـبـاً لـم يَـرُمْـه شَـبـيـهُـه ... وراض شَـمـوسـاً لا يَـذِلُّ لـراكـب
وأظـهـر لـي حُـبًّـا يَـطـيـفُ بـه قِـلـى ... كـخُـلَّـبِ بَـرْقٍ فـي عِـراض سَـحـائـب
أتَـعْـقِـدُ لـي كَـيْـدَ الـنِّـسـاء بَـمْـرَصِـد ... وإنـي فَـتـيُّ الـسِّـنِّ شـيـخُ الـتَّـجـارِبِ
ألا رُبَّـمـا عَـزَّتْ عـلـى الـحـازم الـذي ... تـراهـا بـكَـفَّـيـه فـريـسـةُ طـالـبِ(٢)

ذكر وفاته ومرضه:

[قد ذكرنا عن الصُّولي أنه قال: إن الراضي] قاء في يومين أربعة عشر رَطْلاً دماً، وقيل: إنه استسقى وأصابه ذَرَبٌ عظيم، وكان من أعظم آفاته كَثرةُ الجِماع، وكانت وفاته ببغداد منتصف ربيع الآخر من هذه السنة وهو ابن إحدى وثلاثين سنة وستة أشهر.

وكانت خلافته ست سنين وأحد عشر شهراً [، وقال جدي في «التلقيح»: توفي ليلة السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من ربيع الأول سنة تسع وعشرين وثلاث مئة، فكانت خلافته ست سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام، وقيل: وتسعة أيام(٣).

وقال الصُّولي:](٤) وصلى عليه القاضي يوسف بن عمر، وغسله أبو الحسن محمد ابن عبد الله الهاشمي القاضي، ولم يوجد له حَنوط لأن الخزائن أغلقت عند موته، فبعثوا إلى الكَرْخ فاشتروا له حَنوطاً من بعض الدَّكاكين، وحُمل إلى الرُّصافة في طَيَّار

(١) أخبار الراضي ٤٦، والمنتظم ١٣/ ٣٣٨.
(٢) أخبار الراضي ١٥٧. ومن قوله: وقال وقد تكلم الناس ... إلى هنا ليس في (م ف م١).
(٣) تلقيح فهوم أهل الأثر ٩٢، والمنتظم ١٤/ ١٧.
(٤) ما بين معكوفين من (م ف م١)، بدله في (خ): وقيل ست سنين وعشرة أيام.

فدُفِن بها[١]، وكان له بها تربةٌ عظيمة، أُنفقت عليها أموال كثيرة، والآن فقد عُمل موضعها سور، ودَرَست التُّربة فلا عَين ولا أَثَر، ودُفنت عنده أمه ظَلوم.

وأنشد في مرضه وهي له: [من مجزوء الخفيف]

كلُّ صَفْوٍ إلى كَدَرْ ... كلُّ أمْنٍ إلى حَذَرْ
ومَصيرُ الشَّبابِ للـ ... ـموتِ فيه أو الكِبَرْ
دَرَّ دَرُّ المَشيبِ من ... واعظٍ يُنْذِرُ البَشَرْ
أيُّها الآمِلُ الذي ... تاه في لُجَّةِ الغَرَرْ
أين مَن كان قبلَنا ... دَرَسَ الشَّخصُ والأَثَرْ
ربِّ إني ذَخَرْتُ عنـ ... ـدك أرجوكَ مُدَّخَرْ
إنني مؤمنٌ بما ... بَيَّنَ الوَحيُ في السُّوَرْ
ربِّ فاغفرْ لي الخَطيـ ... ـئةَ يا خيرَ مَن غَفَرْ[٢]

ذكر أولاده ووزرائه وحُجَّابه:

كان له من الولد أحمد وعبد الله، ووَزَر له أبو علي بن مُقْلَة، وعلي بن عيسى، وأخوه عبد الرَّحمن، وأبو جعفر الكَرْخي، وسليمان ابن مخلد، والفضل ابن الفُرات، وأبو عبد الله البَريدي، وقاضيه يوسف بن عمر وقبله أبوه[٣].

وقال ثابت بن سنان: مات بعِلَّة الاستسقاء والسَّحَح ليلة الأحد[٤] لمضيِّ خمس ساعات لأربع عشرة خلَت ـ أو بقيت ـ من ربيع الأول، وغسَّله [لوقوع الإجماع على اختياره] القاضي أبو نصر يوسف بن عمر.

وكان الراضي حسَنَ البيان، أديباً، جيد العبارة [والفصاحة، مختاراً للشعر، وكان] يُعاشِر الرجال، ويُحبّ محادثةَ الأدباء والعلماء، ولا يفارقه الجلساء، وهدم أبنيةً

(١) أخبار الراضي ١٨٢ ـ ١٨٣، وانظر المنتظم ١٤/ ١٧.
(٢) أخبار الراضي ١٨٥، وتاريخ بغداد ٢/ ٥٢٢، والكامل ٨/ ٣٦٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٧٩.
(٣) من قوله: وأنشد في مرضه ... إلى هنا ليس في (م ف م١).
(٤) في (م ف م١): ليلة الأربعاء.

كثيرةً، وأراد أن يعملَ بستاناً يكون المجلسُ الأربعيني في وَسَطه، فحالت المَنيَّة بينه وبين ذلك رحمه الله(١).

[وفيها توفي]

يوسف بن يعقوب

ابن إسحاق بن البُهْلُول، أبو بكر، التَّنوخي، ويُعرف بالأزرق الكاتب(٢).

وُلد بالأنبار سنة ثمان وثلاثين ومئتين، وكان أزرق العينين، فاضلاً زاهداً.

[قال الخطيب:] تصدَّق بمئة ألف دينار، وكان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، توفي في ذي الحجة ببغداد وله اثنان وتسعون سنةً، ودفن بمقابر باب الكوفة.

[سمع جدَّه إسحاق، والزُّبير بن بَكَّار، والحسن بن عَرَفَة وغيرهم، وكتب كثيراً من النحو واللغة والأخبار] وكان صدوقاً ثقةً ورِعاً، رحمة الله عليه.

---

(١) بعدها في (ف م١): انتهت ترجمة الراضي بالله والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

(٢) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٧١، والمنتظم ١٤/ ١٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٨٤، والسير ١٥/ ٢٨٩.

السنة الثلاثون وثلاث مئة[1]

فيها في يوم الأحد لثلاثٍ خلَون من المُحرَّم وُجد كورتكين الدَّيْلَمي في درب سليمان، فحُمل إلى دار ابن رائق، فحمله إلى دار السلطان، فحُبس هناك.

وفيها استوحش محمد بن رائق من البريديِّين لأنَّهم ما حملوا إليه شيئاً من مال البَصرة وواسِط، فانحدر إلى واسط في المُحرَّم، وانحدر البريديون إلى البصرة، وانحدر أبو عبد الله الكوفي إلى واسط، وسَفَرَ بين ابن رائق والبريدي، ووقع الصُّلح على مال، وعاد ابن رائق إلى بغداد في ربيع الأول[2].

وفي المُحرَّم صُرِف بدر الخَرْشني عن الحِجْبة، وولاها المتقي لسَلامة الطُّولوني.

وفي يوم الثلاثاء لستٍّ بَقِين من المُحرَّم ظهر كوكبٌ مُذَنَّبٌ في أول بُرْج القوس أو آخر برج العقرب فيما بين الغرب والشمال، رأسُه في المغرب وذنَبُه في المشرق، وكان عظيماً مُنْتَشِرَ الذَّنَب، وسار في القوس والجَدْي حتى حاذى المُشتري، واضمَحَلَّ بعد ثلاثة عشر يوماً من ظهوره.

وفي ربيع الأول بلغ الكُرُّ ببغداد من الحِنْطَة مئتي دينار وعشرة دنانير، والكُرُّ الشَّعير بمئة وعشرين ديناراً، وأكل الناس المَيتةَ، ودام الغَلاء، وكَثُر الأموات على الطُّرق، وشُغل الناس عن المَلاهي بالمَرض والفقر.

وفي يوم الجمعة لسبعٍ[3] خلَون من ربيع الآخر قام رجلٌ من [العامة] في جامع الرُّصافَة والإمام يخطب، فلمَّا دعا للمتقي قال العامي للإمام: كذبتَ ما هو بالمتقي لله، فأُخذ وحُمل إلى دار الخليفة.

وفي هذا اليوم خرج الحُرَم من قصر الرُّصافة يَستغيثون في الطُّرُقات: الجوعَ الجوعَ.

وخرج توزون والأتراك إلى المصلَّى، وشَغَبوا على ابن رائق وقالوا: قد أخذ في التَّدبير علينا، ومَضَوا إلى البريدي بواسِط.

---

(١) في (م): السنة الثلاثون بعد الثلاث مئة.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) في (م ف م١): لتسع، وفي المنتظم ١٤/ ١٩: لأربع.

وفي ربيع الآخر وصلَت الرومُ إلى بلد حَلَب إلى [مكان يقال له:] حموص، وهو على ستِّ فراسخ من حلب، فأخربوا وأحرقوا وقتلوا [من كان بها] وسَبَوا، فبلغ السَّبْي عشرة آلاف إنسان، واستوزر المتَّقي أبا عبد الله البريدي وسببه:

لمَّا سار الأتراك إليه وقوي جانبه احتاج ابن رائق إلى مُداراته، فكاتبه بالوزارة في نصف ربيع الآخر، وبعث إليه بالخِلَع السُّلْطانية، فاستخلف له بالحَضْرة أبا جعفر محمد بن يحيى ابن شيرزاد، وأوصله ابن رائق إلى المتقي، وكان المدبِّر للمملكة أبو عبد الله الكوفي.

وفيها توفي المَحامِلي، وتقلَّد القضاء أبو الحسن أحمد بن عبد الله بن إسحاق الخِرَقي في جانبي مدينة السلام ومدينة أبي جعفر والسَّواد، مُضافاً إلى أعماله الأولى، وتَعجَّب الناسُ من تقليد مثله.

وفيها استوزر المتَّقي أبا إسحاق القَراريطي مرةً ثانية، وسببه أنَّ الأخبار وَرَدت بإصعاد البريدي إلى بغداد، فعزَّ على المتقي وابن رائق، فعزله عن الوزارة، فكانت مدةُ وقوع اسم الوزارة عليه خمسةً وعشرين يوماً، وخُلِع على القراريطي لعشرٍ خلَون من جُمادى الأولى، واستتر ابن شيرزاد في منزله[١].

[وفيها] في يوم الثلاثاء لإحدى عشرة خلَت من جُمادى الأولى ركب المتقي على الظَّهر، ومعه ابنه الأمير أبو منصور ومحمد بن رائق [والوزير] القراريطي والجيش، وساروا على الظَّهر وبين أيديهم المصاحفُ المُنَشَّرة والقُرَّاء، واستنفروا العامة لقتال البريديين، ثم انحدر من الشَّمَّاسِيّة إلى داره في دجلة، واجتمع الناسُ من كلِّ مكان على كُرسيّ الجِسر، فثَقُل بهم وانكسر، فغرِق خلقٌ كثير ممَّن كان عليه وتحته، وأمر ابن رائق بلَعْن البريديين على المَنابر.

وفيها أصعد أبو الحسين علي بن محمد البريدي إلى بغداد، وحارب المتقي وابن رائق فهزَمَهما، وكان خروجه من واسط يوم الأربعاء لأربعٍ بقين من جُمادى الأولى في الجيش، ومعه غلمان أخيه أبي عبد الله والأتراكُ والدَّيْلَم والقرامطة إلى ابن رائق، واستعد ابن رائق للقتال، وعمل على أن يتحصَّن في دار السلطان، وسدَّ أكثرَ أبوابها

(١) من قوله: واستوزر المتقي أبا عبد الله البريدي ... إلى هنا ليس في (م ف م١).

والثُّلَم في سورها، ونصَب عليها وعلى شاطئ دجلة المَجانيق، وطرح حولها الحَسَك، واستصرخ العامةَ ونهضوا، ووقعت الفتنة بين العامة ليلاً ونهاراً، ووقعت الكبسات على أصحاب الأموال، وفُتِحت الحبوس، وزحف البريدي إلى الدار، وقابله ابن رائق والعامة والجيش على الظَّهر وفي الماء، وقوي الحرب يوم السبت لسبعٍ بقين من جمادى الآخرة، ودخل جماعةٌ من الدَّيْلَم دارَ الخليفة، وقتلوا جماعةً، فخرج المُتَّقي ومعه ابنُه هاربَين إلى الموصل، ومعهما ابنُ رائق، واستتر القَراريطي ببغداد فكانت وزارته أربعين يوماً، ومدةُ إمارة ابن رائق ستة أشهر وعشرة أيام.

ونهب الدَّيْلَم وأصحاب البريدي دار الخلافة نَهْباً عظيماً، ودخلوا إلى دار الحُرَم، ووُجِد في جيش السَّلطان كورتكين الدَّيْلَمي وأبو الحسن بن سنجلا وعلي بن يعقوب، فجيء بهم إلى أبي الحسين البريدي فقيَّد كورتكين وبعث به إلى أخيه أبي عبد الله إلى البصرة، فكان آخرَ العهد به، وأما الاثنان الآخران فأطلقهما، ووجدوا القاهر أعمى في مَحْبَسه، فأمر بإبقائه مكانه.

ونزل أبو الحسين في دار مؤنس التي كان ابن رائق نازلاً بها، وقلَّد توزون الشرطة ببغداد في الجانب الشرقي، وأبا منصور تورتكين[١] في الجانب الغربي، ونُهبَت بغداد، ونُزلت الدورُ، وأُخرج منها أهلها، ولقوا شدَّةً، ولمَّا تقلَّد توزون وتورتكين الشرطة سكن الأمر، وكفَّ بعضُ الجند، وأخذ أبو الحسين البريدي حُرَم توزون وغيره من الأتراك والدَّيْلَم، فأحدرهم إلى أخيه أبي عبد الله رهائن في يده[٢].

وبلغ الكُرُّ الحِنْطة ببغداد ثلاث مئة وستة عشر ديناراً، وظَلَم البريدي وأخذ الأموال، وجرت حربٌ بين الأتراك والقرامطة، فانهزم القرامطة وخرجوا من بغداد.

وفيها زادت دجلة في نيسان تسعة عشر ذراعاً ونصفَ ذراع، وبلغت عشرينَ ذراعاً وأكثر.

وزاد البلاء بأهل بغداد من البريدي والدَّيْلَم، وكَبْس المنازل، والنَّهْب، والتعرُّض للحريم، ووقع الحرب بين أهل بغداد والدَّيْلَم، واتَّفق توزون وتورتكين والأتراك على

(١) في تكملة الطبري ٣٣٢، والكامل ٨/ ٣٨٠، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٥: نوشتكين، والمثبت موافق لما في تاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٤، وانظر المنتظم ١٤/ ٢٠.

(٢) من قوله: وفيها أصعد أبو الحسين علي بن محمد البريدي ... إلى هنا ليس في (م ف م١).

كَبْس البريدي والإيقاع به، فغدر تورتكين وبَلَّغ الخبر البريدي، فاحترز بالدَّيْلَم، وقصد توزون إلى دار أبي الحسين البريدي ليلة الثلاثاء لخمسٍ خلَون من رمضان، فغلَّق الأبواب دونه، ووقعت الحرب، وخذله تورتكين فلعنه توزون.

وانصرف توزون يوم الثلاثاء ومعه جماعة وافرة من الأتراك إلى المَوْصل، وبعث البريدي وراءه جيشاً فلم يَظفَر به، وكان أبو عبد الله البريدي يُكاتب القواد الذين مع أخيه أبي الحسين ببغداد، فانحدر إليه منهم أعيانُهم، وخفَّ عسكرُ أبي الحسين.

ولما وصل توزون إلى المَوْصل قَوي قلبُ الحسن بن عبد الله بن حَمْدان، وعزم على أنْ يَنحَدر إلى بغداد بالمتقي، وبلغ أبو الحسين فكاتب أخاه أبا عبد الله بذلك، فبعث إليه جماعةً من الدَّيْلَم.

ذكر مقتل أبي بكر محمد بن رائق:

لمَّا وصل المُتَّقي وابن رائق إلى تكريت وَجَدا هناك أبا الحَسن علي بن عبد الله بن حَمْدان سيف الدولة؛ لأنَّ محمد بن رائق كان قد كتب إلى أبي محمد الحسن بن عبد الله بن حَمْدان لمَّا قَرُب البريدي من بغداد أنْ يَبعثَ إليه بمَن يُعاونه على قتاله، فأنفذ أخاه أبا الحسن فالتقوا بتَكريت، ومع علي ابن حَمْدان الإقاماتُ والمِيْرَة والفُرُش والثياب والمال، فحَمل إلى المُتَّقي وابن رائق والقُوَّاد على أقدارهم ما يحتاجون إليه، وساروا جميعاً إلى الموصل، فلمَّا وصلوا إليها حاد الحسن بن عبد الله بن حمدان عنها، وعبر إلى الجانب الشرقي منها، ومضى إلى نواحي مَعْلَثايا.

وما زالت الرسائل تتردد بينه وبين محمد بن رائق [إلى أن توثَّق](١) بعضهم من بعض بالأيمان والعُهود، حتى أَنِسَ الحسن، وعاد فنزل بإزاء المَوْصل بالجانب الشرقي، فعبر إليه الأمير أبو منصور بن المتقي ومحمد بن رائق يوم الاثنين لسبعٍ بقين من رجب، فسلَّما عليه، فأظهر السُّرور، ونثر على الأمير أبي منصور الدنانير والدراهم.

فلما أرادا أن يَنصرفا قُدِّم فرسُ الأمير أبي منصور فركبه، وقُدِّم فرس ابن رائق ليركب من داخل المِضْرَب، فتعلَّق به الحسن وقال: تُقيم عندي اليوم حتى نُدبِّر ما فيه

---

(١) ما بين معكوفين من تاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٥، وانظر الكامل ٨/ ٣٨٢.

المَصْلَحة، فقال ابن رائق: ما يَحسُن بي أنْ أتأخَّر عن الأمير أبي منصور، فألحَّ عليه الحسن إلحاحاً لم تَجْرِ به عادة، فاستراب، وجذب كُمَّه من يده فتَخَرَّق، [فصاح الحسن] بغلمانه: لا يفوتكم اقتلوه[١]، فضربوه بالسيوف حتى بَرَد، واضطرب أصحابُه خارج المضرب، وجاء مطرٌ فتفرَّقوا، وحُمل ابن رائق إلى قرية بإزاء الموصل تُعْرف بالكار، فدُفن بها وعُفّي قبره.

وبلغ المتقي فخاف وقال: وأين الأيمان والعهود؟ فبعث إليه الحسن يُعرِّفه بأنَّ ابن رائق أراد أن يغتالَه [ويوقع به، فجرى من أمره ما جرى]، فردَّ الجوابَ يُعرِّفه أنَّه المَوثوقُ به، وأنَّه لا يَشكُّ فيه، ويأمره بالمصير إليه، فعبر إليه، فخَلَع عليه ولقَّبه ناصر الدولة، وجعل أمير الأمراء، وخلع على أخيه سيف الدولة، وعلى الحسين بن سعيد ابن حَمْدان، وعاد إلى بغداد ومعه ابن حَمْدان، وهرب البريدي إلى واسِط، فكانت مدَّة إقامته ببغداد ثلاثةَ أشهر وعشرين يوماً.

ولمَّا دخل المتقي بغداد كان بين يديه ناصر الدولة وأخوه أبو الحسن وجميع الجيش، وعُقِدت القِباب، وأعاد القَراريطي إلى الوزارة، وبدراً الخَرْشَني إلى الحِجابة، [ثم صرف الحسن بدراً الخرشني] وتقلَّدها أحمد بن خاقان[٢]، فكان دخولُ المتقي بغداد يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من شَوَّال.

وفي شوال خلَع المُتَّقي على ناصر الدولة وعلى أخيه سيف الدولة، كلّ واحد طوقَين وأربعةَ أَسْوِرة ذهباً، وخلع على الحسين بن سعيد، وطُوِّق بطوقٍ واحد وسوارَين، وقَلَّد بدراً الخَرْشَني طريق الفُرات، فخرج إليها من يومه، وسار إلى مصر، فقبله الإخشيد أحسَنَ قَبول، وقلَّده أعمال المعاون بدمشق، فلما كان بعد قليل حُمَّ بدرٌ حمَّى حادةً ومات بدمشق.

---

(١) ما بين معكوفين من تاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٥، وانظر تكملة الطبري ٣٣٣، والكامل ٨/ ٣٨٢.ومن قوله: وزاد البلاء بأهل بغداد... إلى هنا ليس في (م ف م١)، جاء بدله: وفيها قتل أبو بكر محمد بن رائق، أمر أبو محمد الحسن غلمانه لا يفوتكم اقتلوه. والمثبت من (خ).

(٢) ما بين معكوفين من أخبار الراضي ٢٢٨.

وفيها ورد الخبر إلى بغداد [بأن البريدي يريد بغداد، فاضطرب الناس][(١)] وعبر المُتَّقي إلى الزُّبَيْديّة يوم الأربعاء لستٍّ بقين من ذي القعدة ليكون مع ناصر الدولة، وقَدَّم حُرَمه إلى سُرَّمَن رأى، وخرج وجوه أهل بغداد هاربين.

ولثلاث بقين منه عبر جيش ناصر الدولة من الجانب الشرقي من بغداد إلى الجانب الغربي، وفي يوم الأربعاء لليلة بقيت منه سار أبو الحسن ابن حَمْدان للقاء البريدي.

وكان مع أبي الحسين البريدي لمَّا أصعد من واسِط الدَّيْلَمُ وأبو بكر ابن قَرابة وابن شيرزاد وجيش عظيم، ولم يحضره أبو عبد الله البريدي، وكانت الوقعة بالقرية المعروفة بالكال[(٢)] أسفل المدائن بفَرْسَخين، والتقَوا: أبو الحسين البريدي في الدَّيْلَم، وأبو الحسن ابن حَمْدان وتوزون والأتراك، وتخلَّف ناصر الدولة ابن حَمْدان في المدائن، فاقتتلوا يوم الخميس سَلْخ ذي القعدة يوم الجمعة، فكانت أولاً على بني حَمْدان، وانهزم أصحابهم، فردَّهم ناصر الدولة من المدائن، ثم صارت على البريدي فانهزم، وقُتل جماعةٌ من قُوَّاده، وأُسر جماعة.

وعاد البريدي إلى واسِط، ولم يَتْبعه أحدٌ من أصحاب ناصر الدولة لضَعْفهم من الجِراح والإعياء، وعاد المتقي إلى الزُّبيدية إلى دار الخلافة، وعادَ من كان هرب إلى سُرَّمَن رأى.

ودخل ناصر الدولة يوم الخميس لثلاث عشرة بقيت من ذي الحِجَّة إلى بغداد، وبين يدَيه الأسرى: يانس غلام البريدي وغيره، وكتب أبو عبد الله بن ثوابه كتاباً إلى الآفاق عن المُتَّقي بالفتح، وبعث به إلى سيف الدولة ابن حَمْدان، وبعث إليه بالخِلَع، وكان سيف الدولة قد انحدر إلى واسِط لطلب البريدي، فوجده قد انهزم إلى البصرة، فأقام بواسِط ومعه جميع الأتراك والدَّيْلَمُ والجيش[(٣)].

وحجَّ بالناس القِرْمِطيُّ، وقيل: لم يحجَّ أحدٌ [في هذه السنة خوفاً من المتغلِّبين.

---

(١) ما بين معكوفين من تاريخ الإسلام ٧/ ٤٣٦، وانظر تكملة الطبري ٣٣٣، والكامل ٨/ ٣٨٤.

(٢) في أخبار الراضي ٢٢٨: بالجال، وفي تكملة الطبري ٣٣٣: بالكيل، وكل ذلك صحيح، انظر معجم البلدان ٢/ ٩٥ (جال)، ٤/ ٤٩٨ (كيل).

(٣) من قوله: فرد الجواب يعرفه أنه الموثوق به ... إلى هنا ليس في (ف م م١).

فصل: وفيها توفي

أحمد بن إبراهيم بن سَعْد الخَيْر

أبو عمر، الأَزْدي، الحِمْصيّ[(١)].

سكن دمشق وتوفي بها في شعبان.

حدَّث عن عمِّه الخَطَّاب بن سعد الخير وغيره، وروى عنه أبو الحسين الرَّازي وغيره.

ومن رواياته عن أبي هريرة ﵁ قال: ما كان أحدٌ منا يقول على عهد عمر بن الخطاب ﵁: قال رسول الله ﷺ إلا سِيْلَ ظهرُه دماً، أو يأتي على ذلك ببيِّنة.

فصل:] وفيها توفي

إسحاق بن محمد

أبو يعقوب النَّهْرَجُوري[(٢)].

من كبار مشايخ الصُّوفية وعُلمائهم، جاور بالحَرَم بمكة سنين كثيرةً، ومات بها [في هذه السنة[(٣)]، وكان ديِّناً فاضلاً.

ذكر طرف من أخباره:

حكى عنه في «المناقب» أنه] قال: رأيتُ رجلاً في الطَّواف بفَرْد عَيْنٍ وهو يقول: أعوذ بك منك، فقلتُ له: ما هذا الدعاء؟ فقال: نظرتُ يوماً إلى شخصٍ مُستَحْسَن، فإذا بلَطْمَةٍ قد وقعت على عيني فسالت، وسمعتُ قائلاً يقول: نَظْرةٌ بلَطْمَة ولو زِدْتَ لزِدْناك.

وقال [أبو يعقوب]: كنتُ بمكة، فجاءني فقيرٌ ومعه دينار فقال: إذا كان غداً فأَصْلِحْ لي بنصفه قَبْراً، وجَهِّزني بنصفه، فقلتُ في نفسي: أصابه يَبْسُ الحجاز، فلمَّا كان من

(١) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ١١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٨٦، وهذه الترجمة ليست في (خ).

(٢) طبقات الصوفية ٣٧٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٦، الرسالة القشيرية ١١٢، المنتظم ١٤/ ٢٠، مناقب الأبرار ٢/ ٩٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٥٨٧، السير ١٥/ ٢٣٢.

(٣) بعدها في (م ١ ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

الغد طاف بالبيت، ثم جاء وامتدَّ على وجه الأرض، فقلتُ: هو ذا يَتماوَتُ، فذهبتُ إليه وحرَّكتُه فإذا هو ميتٌ، فدفنتُه كما أمر.

ومن كلامه: مَفاوِزُ الدُّنيا تُقطَع بالأقدام، ومَفاوِزُ الآخرة بالقلوب.

وقال: العابد[١] يَعبُد الله تحذيراً، والعارف يَعبد الله تشريفاً.

وقال: احتَرِزُوا من الناس بسوء الظنِّ بأنفسكم لا بالناس.

وقال: مَن كان شَبَعُه بالطعام لم يزل جائعاً، ومَن كان غِناهُ بالمال لم يَزل فقيراً، ومَن قَصَدَ بحاجته الخَلْق لم يزل مَحروماً، ومَن استعان على أمره بغير الله كان مَخْذولاً.

وقال: الدنيا بحرٌ والآخرة ساحل، والمَركبُ التَّقوى، والناس سَفْرٌ.

وقال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ﴾ [يوسف: ٢٠]: لو جعلوا ثمنَه الكونَين لكان بَخْساً في جانب مُشاهدته[٢].

ذكر وفاته:

حكى في «المناقب» عن أبي الحسن المُزَيِّن قال: جلستُ عند رأس يعقوب[٣] وهو في النَّزْع، فقلتُ له: قل: لا إله إلا الله، فتبسَّم وقال: إيَّايَ تعني! وعِزَّةِ مَن لا يذوقُ الموتَ، ما بقي بيني وبينه إلا حجاب العِزَّة[٤]، ثم طَفِئ من ساعته، فكان المُزَيِّن يقبضُ على لحيته ويقول: حَجَّام مثلي يُلَقِّن أولياءَ الله الشهادة، ثم يبكي ويقول: واخَجْلَتاه.

صحب النَّهْرَجوري سَهْلَ بن عبد الله التُّسْتَري والجُنَيد وغيرهما.

---

(١) في (م ف م١): كما أمر وحكى عنه أبو عبد الرَّحمن السلمي أنه قال: مفاوز ... وحكى عنه في المناقب أنه قال: العابد. والمثبت من (خ)، وانظر طبقات الصوفية ٣٧٩، ومناقب الأبرار ٢/ ٩٨ ـ ٩٩.

(٢) بعدها في (ف م ١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣) في (خ): ذكر وفاته قال المزين جلست عند رأسه، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ١٠٤.

(٤) في (خ م): المغفرة.

[وقول ابن خميس في «المناقب»: إن المزين لقَّنه، هو وهمٌ، المزين تقدَّمَت وفاتُه، وقد ذكرناه، اللهم إلا أن يكون المزيّن الكبير فيحتمل][1].

الحسين بن إسماعيل

ابن محمد بن إسماعيل بن سعيد بن أبان، أبو عبد الله، الضَّبِّي، القاضي، المَحامِليّ[2].

ولد في المُحرَّم سنة خمس وثلاثين ومئتين، وشهد عند القُضاة وله عشرون سنة، وسافر في طلب الحديث، ولقي المشايخ، وأثنى عليه العلماء، فقال الدارقطني: كان قاضياً، نَبيلاً، مُقَدَّماً في العلم والفقه والحديث، مَحموداً في أموره كلِّها، ولي القضاء بالكوفة فحُمِدَت آثارُه في ولايته، وولي القضاء بفارس وأعمالها مُضافاً إلى الكوفة، ثم استعفى فأُعفي، ومازال مجلسُ العلم والمُناظرة بداره إلى أن تُوفّي ببغداد في ربيع الأول.

وقال ابن شاهين: أقام المَحاملي قاضياً على الكوفة ستّين سنةً، وكان يَحضر مجلسَ إملائه عشرةُ آلاف رجل.

وقال الخطيب: اجتمع المبرِّد وثعلب عند محمد بن طاهر في بغداد، فتناظرا في مسألةٍ في أصول النَّحْو، ودَقَّقا الكلامَ فيها، وكان المَحامِلي حاضراً، فقالا: إن رأى القاضي أن يَحكُمَ بيننا؟ فقال: لا يَسَعُني ذلك، قالا: لم؟ قال: لأنَّكما تجاوزتُما ما أعرفُه، ولا يجوز حُكمي إلا بعد مَعرفة[3].

وقال محمد بن الحسين بن الإسكاف: كنتُ أُفضِّل عبد الرَّحمن بن أبي حاتم على المَحاملي، فرأيتُ في النوم قائلاً يقول: استغفر الله في أمر المحاملي، فإنَّ الله يَدفعُ به عن أهل بغداد البلاءَ، فلا تستصغر أمرَه.

(١) ما بين معكوفين من (م ف م١).

(٢) أخبار الراضي ٢٣٠، تاريخ بغداد ٨/ ٥٣٦، المنتظم ١٤/ ٢١، الكامل ٨/ ٣٩٢، تاريخ الإسلام ٧/ ٥٨٩، السير ١٥/ ٢٥٨. وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٥٣٨.

واتَّفقوا على صِدقه وثقته ودينه وزُهْده وأمانته.

وقال ثابت بن سِنان: مات عن ستٍّ وتسعين سنة.

علي بن محمد بن سَهْل

أبو الحسن، الصَّائغ الدِّيْنَوَري، الزّاهد[١].

قال [جدّي في «المنتظم»: حدثنا أبو بكر العامري، حدثنا أبو سعد بن أبي صادق، حدثنا ابن باكويه قال: سمعت الحسين بن أحمد الدينوري يقول: سمعت] مَمْشاذ الدِّيْنَوري [يقول:] خرجتُ يوماً إلى الصحراء، فإذا بَنَسْرٍ قد فتح جناحَيه، فعَجِبتُ منه، فنظرتُ وإذا بأبي الحسن الصَّائغ الدينوري قائمٌ يصلِّي وكان يوماً حارًّا، والنَّسْرُ يُظِلُّه.

[هذا صورة ما ذكر جدي، وكان الدينوري عظيماً، وقد استقصيتُ أخباره.]

كان الدينوري من كبار مشايخ مصر، وأصحاب الكرامات والإشارات؛ ساعةَ وُلد وسقط إلى الأرض قال: الله، أو قال: لا إله إلا الله، سمعها كلُّ مَن في البيت.

وقال أبو عثمان المَغْرِبي: لم أرَ أكثرَ هيبةً من أبي الحسن الصائغ من دون مَن رأيتُ من المشايخ.

وقال مَمْشاذ: أتى أبو الحسن إلى شيخنا ابن بشار[٢] وعمره خمس عشرة سنة، فسأله أن يَسألَ أُمَّه أن تَهَبَه لله تعالى، قال: فصرنا معه إلى أُمِّه، فسألها الشيخُ ذلك، فقالت: كيف أهَبُه لله تعالى، أخاف أن لا يَحصل لا لي ولا له، ولكن أبحتُه أنْ يَصعَدَ إلى الجبل، فإن وَجَد الله فقد وهبتُه له، وإن لم يجده كنتُ أنا خيراً له مما دعاه[٣].

---

(١) في (م ف م١): فصل وفيها توفي الدينوري الزاهد واسمه علي بن محمد بن سهل أبو الحسن الصائغ. والمثبت من (خ)، وانظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٣١٢، حلية الأولياء ١٠/ ٣٥٣، الرسالة القشيرية ١٠٥، المنتظم ١٤/ ٢٣، مناقب الأبرار ٢/ ٧، تاريخ الإسلام ٧/ ٦٤٧ وفيات سنة (٣٣١هـ).

(٢) في (م ف م١): والإشارات حكى أبو عبد الرَّحمن السلمي عنه أنه ساعة ولد ... وكان أبو عثمان المغربي يقول لم أر ... وحكى السلمي عن ممشاذ الدينوري قال أتى أبو الحسن إلى شيخنا ابن يسار، والمثبت من (خ)، ولم أقف على هذه الأخبار.

(٣) في (خ): كنت أنا له خيراً مما يشقى، والمثبت من (م ف م١).

[قال: فصعد الجبل،] فغاب خمسين ليلةً، ثم عاد وهو كالخِلال(١) اليابس، فقلنا له: كيف حالُك؟ فقال: ما فيَّ جارحةٌ إلا وهي تشتهي(٢) المَزيد، ولا دَفَعني إلى فاقةٍ قطُّ.

فقمنا إلى أُمِّه، فسألَتْه عن حاله، فأخبرها كما أخبرنا، فاعتَنَقَتْه وبكَت وقالت: اللهم إنَّه وَديعتي عندك، فقد صَلُح لك ووَهَبْتُه لك.

فخرج من عندها فغاب سنتين، فلقيتُه بعد ذلك بمدَّة فذكَّرتُه بالحكاية(٣)، فبكى بكاءً شديداً، وجعل يَنوحُ على نفسه بالفارسية ويقول: واخَرابَ قلباه، ويُردِّدها ويبكي.

وكان(٤) يقيمُ أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب ولا يتوضَّأ، ويُقيمُ أربعة أشهر كذلك، ويَصعد إلى جبل الدِّيْنَوَر فيقيم فيه، وفيه السباع والوحوش [مُنْهَمِكَة]، لا يتجاسر شيءٌ منها أن يَدْنو منه، ثم ينزل بعد أربعين يوماً إلى الدِّيْنَوَر، فتُغلَقُ الأسواق، ويقوم الناس ينظرون إليه من بعيد تعظيماً له.

[وقال مَمْشاذ الدِّيْنَوري:] كان يَضربُ بيده الأرضَ في أسفاره فيَنْبُع الماء، فيتوضَّأ ويَشرب، وكان يَقِدُ على رأسه قِنْديلٌ من السماء طول الليل.

وقال قاسم بن عمرو المَعافِري(٥): كنتُ ألزم مسجدَ الدِّيْنَوَري كلَّ جمعة، فخرجتُ في يوم جمعة، فرأيتُ الناس يَزدَحِمون على الخُبز، فقلتُ: أشتري رغيفاً أُعِدُّه لإفطاري وكنتُ صائماً، فاشتريتُه، وخبَّأتُه في مكان، ثم قصدتُ الجامع فجلستُ عند أبي الحسن، فلما تكلَّم سألتُه عن التوكل فقال: أن لا تهتمَّ لإفطارك قبل صلاة الجمعة.

(١) كالعود.
(٢) في (خ): تقتضي.
(٣) في (م): بالحديث.
(٤) في (م ف م١): وحكى في المناقب أنه كان، والمثبت من (خ)، والأخبار التي ينقلها عن السلمي والمناقب لم أجدها فيهما.
(٥) في (م ف م١): وحكى في المناقب عن قاسم بن عمرو المعافري قال، والمثبت من (خ).

وكان أبو الحسن علي بن عثمان القَرافي يقول: لا ينبغي أن يتكلَّمَ على الناس إلا مَن يكون حالُه مثل حال أبي الحسن الدِّيْنَوري؛ كانت بَواطِنُ الخَلْق مُنْكَشفة بين يديه.

ولقد خطَر لي خاطرٌ يوماً فالتفت إليَّ وقال: حَرامٌ على قلبٍ مأسورٍ بحُبِّ الدنيا أن يَسيح في عالم الغيب[١].

[ذكر قصته مع تِكِين والي مصر:]

كان الدينوري[٢] أنكر على تِكِين والي مصر أشياء [وكان ظالماً]، فسيَّره إلى القُدس.

قال محمد بن الليث: فحدَّثني جماعةٌ من الشيوخ الذين كانوا بالقدس قالوا: لمَّا وصل الدينوري إلى القدس خرجنا نتلقَّاه، فلمَّا وصل إلى باب سليمان عليه السلام قال: كأنِّي بالبائس - يعني تِكين - وقد جيء به في تابوت إلى ها هنا، فإذا دنا من الباب عَثَر البغلُ، ووقع التابوت فبال عليه البغلُ.

قال: وأقام الدِّيْنَوري بالقُدس مدةً يسيرة، وإذا بقائل يقول: قد وصل تِكِين وهو ميتٌ في تابوت، فلمَّا وصل إلى باب سليمان عليه السلام عَثَر البغل في المكان الذي أشار إليه الدِّيْنَوري، فوقع التابوت، وغَفَل عنه المُكاري فبال عليه البَغْل، وخرج الدِّيْنَوري فقال للتابوت: جئتَ بالبائس إلى المكان الذي نفانا إليه، ثم ركب الدينوري ذلك البغلَ وعاد عليه إلى مصر.

[قال محمد بن الليث: فحدثني المُكاري الذي حمل الدينوري إلى القدس قال: كان لي مئة بغل، فلما مات تكين طلبوا مني بغلاً يحملونه عليه إلى القدس، فأحضرتُ البغال كلها، وجعلت كلما وضعت التابوت على بغل عَرْطَز فرماه، ووقع في خاطري أنه لا يحمله إلا البغل الذي حمل عليه الدينوري، فأتيته به، ووضعته عليه فحمله، فلما وصلنا به إلى القدس وقع التابوت به عند باب سليمان، فغفلنا عنه فبال عليه، ورددنا الدينوري على البغل.]

---

(١) قول المعافري والقرافي في الأربعين في شيوخ الصوفية للماليني ١٨٩ - ١٩٠، وانظر تاريخ الإسلام ٧/ ٦٤٧.

(٢) في (م ف م١): ذكر في المناقب أن أبا الحسن الدينوري.

وكانت وفاة الدينوري بمصر، ودُفن بالقَرافة، وقبرُه ظاهرٌ يُزار.

قال المصنِّف رحمه الله: وقد زرتُه مراراً، ودعوتُ الله عنده، ورأيتُ أثر الإجابة.

أسند الدينوري الحديث، وأخرج له أبو طاهر السِّلَفي حديثاً عن ابن عمر، عن النبي ﷺ أنَّه قال: «انتظارُ الفَرَج عبادةٌ»[١].

محمد بن أحمد

ابن صالح بن الإمام أحمد ـ رحمة الله عليه ـ ابن حَنْبل الشَّيباني، أبو جعفر[٢].

وحدَّث عن أبيه وعمِّه عبد الله[٣] وغيرهما، وروى عنه الدارقطني وغيره.

محمد بن رائق

أبو بكر الأمير[٤]، قد ذكرناه، وكان جواداً مُمَدَّحاً، وقد مدحه أبو عمار بن إسماعيل الأَسَدي صاحب أَطْرَابُلس فقال: [من الوافر]

حُسامٌ لابن رائقٍ المُرَجَّى حُسامِ المُتَّقي أيامَ صالا[٥]

---

(١) أخرجه الماليني في الأربعين ١٨٨-١٨٩، وعنه الخطيب في تلخيص المتشابه ١/ ٢٢٨ من طريق أبي الحسن الدينوري، عن محمد بن عبد العزيز الدينوري، عن عمرو بن حميد قاضي الدينور، عن الليث بن سعد، عن نافع، عن ابن عمر.

ومحمد بن عبد العزيز منكر الحديث، ضعيف، يأتي ببلايا، كما ذكر الذهبي في الميزان (٧٤٢٢)، وعمرو بن حميد: قال الذهبي في الميزان (٦٠١٦) وأورد له هذا الحديث: هالك، أتى بخبر موضوع اتهم به، وقد ذكره السليماني في عداد من يضع الحديث.

وللحديث شواهد عن علي وابن مسعود وأنس، لا يخلو واحد منها من مقال، انظر كشف الخفاء ١/ ٢٣٩، والمقاصد الحسنة ١٧٢، وسلسلة الأحاديث الضعيفة (٤٩٢، ١٥٧٢).

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٤٥، وطبقات الحنابلة ٢/ ٦٤، والمنتظم ١٤/ ٢٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٩٤، وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٣) يعني عم أبيه، انظر طبقات الحنابلة ٢/ ٦٤.

(٤) تاريخ دمشق ٦٢/ ٧١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٩٥، والسير ١٥/ ٣٢٥، وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٥) كذا ورد هذا النص في (خ) وفيه سقط ظاهر، فإن البيت للمتنبي يمدح فيه أبا الحسن بدر بن عمار بن إسماعيل الأسدي، وكان بدر هذا من قواد ابن رائق، وقد تقلّد له حرب طبرية سنة (٣٢٨هـ) كما في تكملة الطبري ٣٢٣.

والبيت في ديوان المتنبي ٢/ ١٤٨ (بشرح المعري)، قال شارحه: وحسام المتقي جُرَّ لأنه صفة لابن رائق، وابن رائق قائد كبير كان للخليفة المتقي، وكان ابن عمار من قِبَل ابن رائق.

[وفيها توفي]

مُفْلِح[(١)] بن عبد الله

أبو صالح، الدِّمَشْقي، الزَّاهد، الذي يُنسب إليه مسجد أبي صالح خارج باب شرقي.

كان من الأبدال، [حكى عنه الحافظ ابن عساكر أنَّه] قال: كنتُ أدورُ في جبل اللُّكَّام لطلب الزُّهَّاد والعُبَّاد، فرأيتُ رجلاً صالحاً [جالساً] على حَجَرٍ، وعليه مُرَقَّعةٌ، وهو ينظر إلى الأرض، فقلتُ: ما تصنع ها هنا؟ فقال: أنظرُ وأرعى، قلتُ: ما أرى بين يديك إلا الحجارة، فما الذي تنظرُ وترعى؟ فتغيَّر لونُه وقال: أنظرُ خواطرَ قلبي، وأرعى أوامرَ ربي، فبالذي أظهرَك عليَّ إلا ما جُزْتَ عنِّي، فقلتُ: كلِّمني بكلمةٍ أنتفع بها، فقالَ: مَن لزم الباب أُثبِتَ في الخَدَم، ومَن أكثَر الذنوب أكثرَ الندم، ومَن استغنى بالله أَمِنَ العَدَم، ثم غاب عني.

حدَّث أبو صالح عن حَمْدَويه وغيره.

وكان **حَمْدَويه** من الأبدال أيضاً، واسمُه **محمد بن أحمد بن سَيِّد**، أبو بكر، التميمي، مولى بني هاشم، كان له كراماتٌ، صحب قاسماً الجُوعي وحدث عنه، ومات هو وأبو صالح في هذه السنة [بدمشق][(٢)].

وقال أبو صالح: أقمتُ أربعين يوماً ما شربتُ ماءً[(٣)]، فأخذ حمدويه بيدي، وأدخلني داره، وأتى بشربة ماءٍ وقال: اشرب، ثم التفَتَ إلى امرأته وقال: هذا له أربعون يوماً ما شرب، قال أبو صالح: وما اطَّلع على حالي إلا الله تعالى.

[روى عن أبي صالح أبو بكر محمد بن داود الدينوري، ومن كلام أبي صالح: الدنيا حَرام على القلوب، حلال على النفوس؛ لأن كلَّ شيءٍ] تنظر إليه بعين رأسك حرامٌ عليك أنْ تنظرَ إليه بعين قلبك.

---

(١) في (م): فصل وفي هذه السنة توفي مفلح. وانظر ترجمته في تاريخ دمشق ١٧/ ١٠٩، ١٩/ ٨٠ (مخطوط)، والسير ١٥/ ٨٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٩٨

(٢) أرخ ابن عساكر في تاريخه ٦٠/ ١٦٣، والذهبي في السير ١٤/ ١١٢، وفاته في سنة (٣٠١هـ).

(٣) في (م): ما شربت لا ماء ولا لبناً.

وقال: البَدَنُ لباس القلب، والقلبُ لباس الفؤاد، والفؤاد لباس الضمير، والضمير لباس السرِّ، والسرُّ لباس المعرفة.

نصر بن أحمد

أبو القاسم، البَصريّ، الخُبْزَأُرْزي الشاعر[1].

قدم بغداد وأقام بها دهراً طويلاً [، وروى عنه كثيراً من شعره المعافى بن زكريا وغيره، وذكره الخطيب أيضاً].

وله ديوانٌ مشهور.

قال أبو محمد الأَكْفاني: خرجتُ مع عمي أبي عبد الله، وأبي الحسين بن لَنْكَك، وأبي عبد الله المُفَجَّع، وأبي الحسن السَّبَّاك في بطالة عيد، فانتهوا إلى الخُبْزَأُرزي وهو يَخْبِز على طابقه، فجلسوا يُهنِّؤنه، وهو يُوقد السَّعَف تحت الطَّابَق، فزاد في الوقود حتى خَنَقَهم الدُّخان، فقاموا، فقال الخُبْزَأُرزي لأبي الحسين بن لَنْكَك: متى أراك؟ فقال: إذا اتَّسَخَت ثيابي، وكانت ثيابُه يومئذٍ جُدَداً على أنقى ما يكون من البياض، فلما انفصلوا دعا ابن لَنْكَك بدواة وبيضاء، ونَظَم في الحال وهم قعودٌ عنده: [من الوافر]

لنصرٍ في فؤادي فَرْطُ حُبٍّ ... أُنيفُ به على كُلِّ الصِّحابِ
أتيناه فبخَّرَنا بَخُوراً ... من السَّعَفِ المُدَخِّن للثِّياب
فقمتُ مُبادِراً وظننتُ نَصْراً ... أراد بذاك طَرْدي أو ذَهابي
فقال متى أراك أبا حسينٍ ... فقلتُ له إذا اتَّسخَت ثيابي

وبعث بها إلى الخُبزَأرزي، فأعاد جوابَها في الحال فقال: [من الوافر]

مَنَحْتُ أبا الحسين صَميمَ وُدِّي ... فداعَبَني بألفاظٍ عِذابِ
أتى وثيابُه كقَتيرِ شَيْبٍ ... فعُدْنَ له كرَيْعان الشَّباب
ظننتُ جلوسه عندي لعُرْسٍ ... فجُدْتُ له بتَمْسِيك الثِّيابِ
فقلتُ متى أراك أبا حسينٍ ... فجاوبني إذا اتَّسخت ثيابي

---

(١) في (م ف م١): فصل وفيها توفي الخبزأرزي الشاعر واسمه نصر بن أحمد أبو القاسم البصري، وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ١٥/ ٤٠٤، والمنتظم ١٤/ ٢٤، ومعجم الأدباء ٢٠/ ٢١٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦١٩.

فإنْ كان التَّقَزُّزُ فيه فَخْرٌ ... فلِمْ كُنِيَ الوصيُّ أبا تراب

ومن شعره أيضاً: [من الطويل]

تجافيتُ عنكم طاعةً لهَواكُمُ ... وإنِّي لأرضى أن أكونَ لكم أرضا
فلا هَجْرُكم يُغني[1] ولا وَعْدُكم يَفِي ... ولا عَهْدُنا يُرْعى ولا دَيْنُنا يُقْضى
رَضيتُ بقَتْلي في هواكم لأنَّني ... أرى حُبَّكم حَتْماً وطاعَتَكم فَرْضا
حَبَسْت عِنانَ القَولِ فيكم صِيانةً ... لكم وخُيولُ الشَّوق تَرْكُضُ بي رَكْضا
لقد ضاقَت الدُّنيا عليَّ بأسْرها ... فلستُ أرى للأرض طُولاً ولا عَرْضا
وحقِّ الهوى إنِّي أُحِسُّ من الهوى ... على كبدي جَمْراً وفي أعظُمي رَضًّا
فإن لم تجُدْ بالعفو جُدْ بتَعَطُّفٍ ... فمَن لم يَجِد كلَّ المُنا طلب البعضا

وقال: [من المنسرح]

كم شَهوةٍ مُسْتَقَرَّةٍ فَرَحاً ... قد انْجَلَتْ عن حُلولِ آفاتِ
وكم جَهولٍ تَراه مُشْتَرِياً ... سُرورَ وقتٍ بغَمٍّ أوقاتِ
كم شَهَواتٍ سَلَبْنَ صاحبَها ... ثَوبَ الدِّياناتِ والمُروءاتِ

وقال: [من الطويل]

لسانُ الفتى حَتْفٌ له حين يَجْهَلُ ... وكلُّ امرئٍ ما بين فَكَّيْه مَقْتَلُ
إذا ما لسانُ المَرْءِ أكثَرَ هَذْرَه ... فذاك لسانٌ بالبَلاء مُوَكَّلُ
وكم فاتحٍ أبوابَ شرٍّ لنفسه ... إذا لم يكن قُفْلٌ على فيه مُقْفَلُ
كذا كلُّ مَن يَرمي شَراراتِ لَفْظِه ... تلقَّتْه نيرانُ الجَوابات تُشْعَلُ
ومَن لم يُقيِّد لفظه متجمِّلاً ... سيُطلَقُ فيه كلُّ ما ليس يَجْمُلُ
ومَن لم يكن في فيه ماءُ صِيانةٍ ... ففي وجهه غُصْنُ المَهابَةِ يَذْبُلُ
إذا قلتَ[2] قولاً كنتَ رَهْنَ جوابه ... فحاذِرْ جوابَ السُّوء إن كنتَ تَعْقِلُ
أُعلِّمُكم ما علَّمتْني تجاربي ... وقد قال قبلي قائلٌ مُتَمَثِّلُ
إذا شئتَ أن تحيا سعيداً مُسَلَّماً ... فدَبِّر ومَيِّز ما تقول وتفعلُ

---

(١) كذا، ولعلها: يفنى. ولم أقف على الأبيات.

(٢) من قوله: قال أبو محمد الأكفاني... إلى هنا ليس في (م ف م١)، جاء بدله فيها: فمن شعره من أبيات له: إذا قلت.

السنة الحادية والثلاثون وثلاث مئة(١)

فيها في المُحرَّم زوَّج المتقي ابنه أبا منصور إسحاق بعَدويّة، وقيل: بعلوية، بنت ناصر الدولة [أبي محمد ابن] حَمْدان على صَداق مبلغه(٢) مئتي ألف دينار، وحضر المُتَّقي العقد، ولم يحضُر ناصر الدولة، ووكَّل [في العقد] أبا عبد الله بن أبي موسى الهاشمي، وأمر المتقي ولده [أبا منصور] أن يمضي بعد العقد إلى دار ناصر الدولة فمضى [إليه بعد ما عقد العقد].

وفي صفر وصلت الرُّوم إلى أَرْزَن ومَيَّافارِقِين ونَصِيْبِين، ووصلوا إلى سَرْجَة وهي على فرسَخين من نَصِيبين، وعاثوا في الجزيرة، وقتلوا وسَلَبوا، وطلبوا مِنديلاً في كنيسة الرُّها تَزْعم النصارى أنَّ المسيح عليه السلام مسح به وجهه فصارت صورتُه فيه، وأنَّهم يُطلقون ما عندهم من أسارى المسلمين ولو كانوا ألوفاً.

فجمع المُتَّقي الفقهاء، وتكلَّموا في ذلك، فقال بعضهم: فيه غَضاضة على الإسلام، وإن صحَّ أنَّ صورة عيسى عليه السلام فيه فالمسلمون أولى به، فقال علي بن عيسى: تخليصُ رجلٍ مسلم عند الله أحبُّ إليه مما طلَعت عليه الشمس، مما يُقاسونه من الضُّرِّ والبلاء، ووافقه الجماعة، فأرسلوه وأطلقوه، وأطلقوا الأسارى.

وفيها ضيَّق ناصر الدولة على المُتَّقي في نفقاته، وأخذ ضِياعَه وضياعَ والدته، وصادر الكُتَّاب ببغداد وعذَّبهم، واستَصْفى أموالاً كثيرةً، وكرهه الناس.

وفيها وافى الأمير أحمد بن بويه من الأهواز بقَصْد قتال البريديِّين، فاستأمن إليه جماعةٌ من الدَّيْلَم.

وفيها استوحش سيف الدَّولة بن حَمْدان من التُّرك، وكان يُقيم بواسِط يُعْمِل الحيلة على البريدي بالبصرة، وفي عَزْمه أن يسير إليه بالأتراك وغيرهم، وضايقه أخوه ناصر الدولة في حَمْل المال، وكان توزون التُّركي [وجوجوخ](٣) يُسيئان على سيف الدولة

(١) في (م): السنة الحادية والثلاثون بعد الثلاث مئة.

(٢) في (خ): جملته، والمثبت من (م ف م١).

(٣) ما بين معكوفين من تكملة الطبري ٣٣٧، واسمه في الكامل ٨/ ٣٩٦: خجخج

الأدب، ويُسمعانه ما يكره، ويتحكَّما عليه حتى ضاق بهما ذَرْعاً، فأرسل إليه ناصر الدولة بأبي عبد الله الكوفي وبألف ألف درهم في زَوْرَق.

وكان سيف الدولة لَمَّا رأى استطالتهما عليه أقطع توزون المَذار وجوجوخ الجامدة[١]، ولم يبق إلا أن يَخرجا، فوصل المال، وطمعوا فيه، وكَبسوا عسكر سيف الدولة ليلاً في شعبان، فهرب في البرِّيَّة يُريد بغداد، ونهبوا عسكَره والمالَ.

وبلغ ناصرَ الدولة وهو ببغداد، فضرب خيامَه بباب الشمَّاسية، وركب إليه المُتَّقي في طيَّاره، وسأله التوقف، فلمَّا كان يوم الجمعة لأربع خلَون من رمضان سار يُريد الموصلَ، ونُهِبَت داره.

وأفلت يانس غلام البريدي إلى البصرة، واستتر الكوفي وأبو بكر بن مقاتل ببغداد، وضَبَط القراريطيُّ [الأمور] من غير اسم الوزارة، وكانت مدَّة وزارة أحمد بن عبد الله الأصبهاني أحداً وخمسين يوماً، ومدة إقامة ناصر الدولة ببغداد ثلاثة عشر شهراً وأياماً.

ثم اختلف توزون وجوجوخ في الرئاسة، ثم اتَّفقا على أنَّ الرئاسة لتوزون وتقدِمَة الجيش لجوجوخ، ثم وثب توزون على جوجوخ فسمله بواسط، وسكنت الفتنة، واستوزر المتقي أبا الحسين علي بن محمد بن علي بن مُقْلَة.

وفيها عاد سيف الدولة مُنهزماً من واسط إلى بغداد، ونزل بباب الشماسية[٢]، وراسل المتقي يطلب مالاً يقاتل به توزون، فبعث إليه الضيافة أياماً وأربعَ مئة ألف درهم وخمسين ألف درهم، فانهزم سيف الدولة إلى المَوْصل، وخلع المُتَّقي على توزون، ولقَّبه أميرَ الأُمراء، وصادر توزون الناس بسبب بني حَمْدان.

وفيها وقعت الوَحْشَةُ بين المُتَّقي وتوزون، اتَّهمه بالمَيْل إلى بني حَمْدان حتى فعل به ما فعل، وعاد توزون إلى واسط، وعزل الوزيرَ ابن مُقْلَة، وأخذ منه مئة ألف دينار، فكانت وزارتُه ثلاثين يوماً، ثم أُعيد إلى الوزارة[٣].

---

(١) في الكامل ٧/ ٣٩٦: وأمر توزون أن يسير إلى الجامدة ويأخذها وينفرد بحاصلها، وأمر خجخج أن يسير إلى مذار ويحفظها ويأخذ حاصلها.

(٢) في تكملة الطبري ٣٣٨، والكامل ٨/ ٣٨٩: باب حرب.

(٣) من قوله: وفيها وافى الأمير أحمد بن بويه... إلى هنا ليس في (م ف م١).

وفيها خرج خلقٌ كثير من بغداد مع الحاج إلى الشام ومصر خوفاً من اتِّصال الفتن ببغداد [وتواتر المِحَن عليهم.

قال الصولي:] وفيها وُلد لأبي طاهر القِرمِطي ولدٌ، فأهدى إليه أبو عبد الله البريدي هدايا عظيمةً، فيها مَهْدُ ذهبٍ مُرَصَّعٌ بالجواهر(١).

وكان المُتَّقي قد بعث بخِلَعٍ إلى أحمد بن بُوَيْه، فلبسها وسُرَّ بها.

وحجَّ بالناس القِرْمِطيّ بالخِفارة، وقيل: لم يحجَّ أحد.

وفيها توفي

بدرٌ الخَرْشَني

كان أميرَ الأمراء ببغداد، فلمَّا تغلَّب ابن رائق عليها خرج إلى الشام، فولَّاه الإخشيدُ دمشقَ سنة ثلاثين، فوَلِيها شهرَين، وأقام حتى مات، وكان شجاعاً جواداً.

سِنان بن ثابت

أبو سعيد، المُتَطبِّب، والد ثابت الذي صنَّف التاريخ(٢).

أسلم على يد القاهر بالله، وكان فاضلاً في الطبِّ وعلومٍ كثيرة، وطب كثيراً من الخلفاء، وكانت وفاتُه ببغداد في ذي القَعْدة.

علي بن إسماعيل

ابن أبي بِشْر إسحاق بن سالم بن إسماعيل بن عبد الله بن موسى بن بلال بن أبي بُرْدَة بن أبي موسى الأشعري، أبو الحسن، البَصْري، المُتَكلِّم(٣).

سكن بغداد إلى أن توفِّي بها، ومولده سنة ستين ومئتين، تشاغل بعلم الكلام، وكان على مذهب المُعْتَزلة زماناً طويلاً، ثم عنَّ له مخالفتُهم، وأظهر مقالةً خَبَطَت عقائدَ الناس، وأوجبَت الفتن المتّصلة، وكان الناس لا يختلفون في هذا المسموع أنَّه كلامُ

(١) أخبار الراضي والمتقي لله ٢٣٣.

(٢) أخبار الراضي والمتقي لله ٢٤٥، والمنتظم ١٤/ ٢٨، والكامل ٨/ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٢٤.

(٣) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٦٠، والمنتظم ١٤/ ٢٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٤٩٤، والسير ١٥/ ٨٥.

الله تعالى، وأنَّ جبريل ينزل به على محمد ﷺ، والأئمةُ المُعْتَمد عليهم قالوا: إنَّه قديمٌ، والمعتزلة قالوا: إنَّه مخلوقٌ، فوافق الأشعريُّ المعتزلةَ في أنَّه مخلوق، وقال: ليس هذا كلامُ الله، وإنَّما كلامُ الله صفةٌ أزلية قائمةٌ بذات المتكلِّم، ما نزل، ولا هو مما يُسمَع، وما زال منذ أظهر هذه المقالة خائفاً على نفسه، حتى استجار بدار أبي الحَسن التميمي حَذَراً من القتل، ثم تبعه أقوامٌ من السلاطين فتعصَّبوا لمذهبه، وكثُر أتباعُه، حتى تركت الشافعيةُ مُعْتَقدَ الشافعي رحمة الله عليه، ودانوا بقول الأشعري.

وقال الأشعري: أقمتُ مُعْتَزلاً أربعين سنةً، وكان تلميذَ الجُبَّائي لا يُفارقُه، ويدرُس عليه ويتعلَّم منه، ورجع عن مذهب المُعْتزلة، فطلع يوم الجمعة بعد الصلاة المنبر وبيده شريطٌ، فشدَّ به وَسَطَه، ثم قطعه وقال: اشهدوا أنِّي أتيتُ تائباً مما كنتُ فيه من القول بالاعتزال.

وتوفي ببغداد، ودُفن بمَشْرَعة الرَّوايا، وقبرُه عافٍ لا يُلتفَت إليه.

وقال: لمَّا نفَت المعتزلةُ كلام الله وقالوا: إنَّه مخلوقٌ؛ وضعتُ هذه المقالة.

وله مقالتان؛ صنَّف كتاب «الإبانة» في أول أمره، وقرَّر فيه مذاهبَ السَّلَف وأهلَ السُّنة، ثم صنَّف المقالة الثانية.

وقال الحسن بن علي ابن يَزداد: كان الأشعري جالساً في سطح داره، فبال، فسال بولُه في المِيْزاب، فاجتاز والي البصرة فقطَرَ على ثيابه، فوقف وقال: اهدموا هذه الدار، فسمع أبو الحسن كلامَه، فنزل وفتح الباب وقال: أيها الأميرُ، أنا من ولد رجلٍ بال على الإسلام بسوء رأيه، فأنا أولى مَن عُذِر، فضَحِك الوالي ولم يتعرَّض له.

وكان يأكلُ من غَلَّة ضيعةٍ أوقفها جدُّه بلال بن أبي بُرْدَة على عَقِبه، فكانت نفقتُه في كلِّ سنة سبعة عشر درهماً، وله خمسٌ وخمسون مُصَنَّفاً.

وحكي عنه العجائب والغَرائب مما يتعلَّق بالدّيانة، وليس له روايةٌ ولا سمع حديثاً، وتوفي في هذه السنة، وقيل: سنة أربعٍ وعشرين وثلاث مئة[1].

---

(١) من قوله: وفيها توفي بدر الخرشني... إلى هنا ليس في (م ف م١)، جاء بدلها ترجمة عبد الله بن طاهر الأبهري، وقد سلفت في السنة الماضية، ونبهنا على ذلك ثمة.

[وفيها توفي]

محمد بن أحمد بن يعقوب

أبو بكر، السَّدوسِيّ مولاهم، ويعرف بابن عُصفور[١].

بغداديٌّ، وُلد سنة أربع وخمسين ومئتين.

[وحكى الخطيب عنه أنه] قال: لما وُلدت قال أبي لأمي: إنَّ المُنَجِّمين قد أخذوا مَولدَ هذا الغلام، وحسبوا أنَّه يعيش كذا وكذا سنة، وقد حسبتُها أياماً، وقد عَزَمْتُ أن أُعِدَّ له لكلِّ يومٍ ديناراً مدَّةَ عمره، فإنَّ ذلك يكفي الرجل المتوسط ولعياله، فأَعِدِّي حُبًّا، فأعدَّتْه وتركته في الأرض، وملأه دنانير، ثم قال: أعدِّي حُبًّا آخر أملأه مثل هذا [يكون له] استظهاراً[٢]، فأعدَّته، فملأه ودفن الاثنين، فما نَفَعني ذلك من حوادث الزمان، وها أنا على ما ترون، وكان فقيراً، فكانوا إذا سمعوا عليه يَبَرُّونه بشيء، وكان يأتيهم بغير إزار.

وكانت وفاته في ربيع الآخر ببغداد، وكان ثقةً [مأموناً، صدوقاً].

محمد بن عبد الله

أبو بكر، الفقيه، الشافعي.

له تصانيف في أصول الفقه، روى عنه وَهْب بن مُنَبِّه أنَّه قال: الدَّراهِمُ خَواتيمُ الله في الأرض، فمَن ذهب بخاتم الله قُضِيت حاجتُه[٣].

محمد بن عَبْدُوس

ابن عبد الله، الجَهْشَياري، مُصَنِّف كتاب «الوزراء»[٤].

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٨، والمنتظم ١٤/ ٣٠، والسير ١٥/ ٣١٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٤٨.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ٢/ ٢٤٩.

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٤٧٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٥٩٦، وأرّخا وفاته سنة (٣٣٠هـ). وهذه الترجمة والتي تليها ليست في (م ف م١).

(٤) الكامل ٨/ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٢٤، والفهرست ١٤١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٧٩.

كان فاضلاً مداخلاً للدول، مات ببغداد في ذي الحجة مستتراً فاستتر أولادُه وحاشيتُه.

[وفيها توفي

محمد بن مَخْلَد] بن حَفْص

أبو عبد الله، الدُّوري، العَطَّار، البغدادي(١).

ولد سنة ثلاث وثلاثين ومئتين [، وكان ينزل الدُّور، مَحلَّة في آخر بغداد من الجانب الشرقي أعلى البلد، وقد دَثَرَت فلا عينٌ ولا أَثَر].

وكان عالماً فاضلاً، واسعَ الرواية، مشهوراً بالديانة، مَذكوراً بالعبادة.

[حكى الخطيب عنه أنه] قال: ماتت والدتي، فنزلتُ أَلحِدُها، فانْفَرَجت لي فُرْجَة عن قبرٍ بلزْقها، فإذا رجلٌ عليه أكفان جُدُدٌ، وعلى صدره طاقة نرجس أو ياسمين طَرِيَّة، فأخذتُها وشَممتُها، فإذا هي أذكى من المِسْك، وشمَّها الجماعة الذين كانوا معي في الجنازة، ثم أعدتُها إلى موضعها، وسَدَدْتُ الفُرْجَة.

مات ببغداد في جُمادى الآخرة، وقد أتت عليه ستٌّ وتسعون سنة وثمانية أشهر وأيام.

[حدَّث عن يعقوب بن إبراهيم الدَّوْرَقي، والحسن بن عَرَفَة، والزُّبير بن بَكَّار، ومسلم بن الحجَّاج، وخلق كثير]، واتَّفقوا على صدقه، وثقته، وزهده، ووَرَعه، وفَهْمه، وحِفْظه.

---

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٤٩٩، والمنتظم ١٤/ ٣٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٥١، والسير ١٥/ ٢٥٦، وما بين معكوفين من (م ف م١).

السنة الثانية والثلاثون وثلاث مئة(١)

فيها قدم أبو جعفر بن شيرزاد إلى بغداد من قبل توزون، وكان توزون بواسِط، فأمر ونهى وحكم على بغداد، فكاتب المُتَّقي بني حَمْدان [بالقدوم عليه، فقدم أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حَمْدان(٢)] في جيش كَثيفٍ، فنزل بباب حَرْب لليلتين خلتا من صفَر، فخرج إليه المُتَّقي وأولادُه وحُرَمُه، والوزير ابن مُقْلَة، وأبو نصر التَّرْجُمان، واستتر ابن شيرزاد، وسار المُتَّقي إلى تَكْريت ظنًّا منه أنَّ ناصر الدولة يَلقاه في بعض الطريق، ويعودون جميعاً إلى بغداد، وظهر ابنُ شيرزاد ببغداد فأمر ونهى، وقدم سيف الدولة ابن حَمْدان على المُتَّقي بتَكْريت، وأشار عليه بالإصعاد إلى الموصل ليتَّفقوا على رأي، فقال المتقي: ما على هذا عاهدتُموني، وتفَلَّل أصحاب المتقي إلى الموصل، وبقي في عدد يسيرٍ مع الحُسين بن حَمْدان.

وقدم توزون بغداد، واستعدَّ لقتال بني حَمْدان، وجمع ناصر الدولة جمعاً عظيماً من بني نُمَير وبني قُشَير وبني كلاب وبني أسد، وانضم إليه ابن مسكويه الكُرْدي في جيش كثيف، وجاء ناصر الدولة إلى تكريت فقال للمتقي: ابعث حُرَمك إلى المَوْصل، فبعثهم في ربيع الأول.

وفي يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلةً بقيت منه سار توزون بالأتراك من باب الشَّمَّاسِيَّة إلى عُكْبَرا، وسار سيف الدولة إلى لقائه فالتقوا بعُكْبَرا، واقتتلوا أياماً، وانهزم بنو حَمْدان إلى الموصل والمتقي معهم، وراسل ناصر الدولة توزون في الصُّلح على يد [ابن] أبي موسى الهاشمي، وكان توزون قد نزل بتكريت، فأقام، وشَغَب أصحابُه، وتسلَّل بعضهم إلى ناصر الدولة بالموصل، وعاد توزون إلى بغداد.

وجاء سيف الدولة إلى تكريت، وخرج إليه توزون فالتَقَوا على حَرْبى في شعبان، واقتتلوا، وانهزم سيف الدولة إلى الموصل، وتبعه توزون، فخرج ناصر الدولة وسيف

(١) في (م): السنة الثانية والثلاثون بعد الثلاث مئة. وليس في النسخ (م ف م١) من أحداث هذه السنة سوى خبر حمدي اللص الآتي.

(٢) ما بين معكوفين من تاريخ الإسلام ٧/ ٦٢٤.

الدولة والمُتَّقي وحُرَمه والوزير إلى نَصِيْبِين، ودخل توزون إلى الموصل ومعه ابن شيرزاد، فاستخرج منها مئة ألف دينار، ورحل المُتَّقي وبنو حَمْدان إلى الرَّقَّة.

وراسل المتقي توزون في الصُّلْح وقال: ما خرجتُ من بغداد وأهلي إلا بلغني أنك اتَّفقت مع البريدي عليَّ، والآن فإنْ آثرتَ رضائي فصالِحْ ناصر الدولة، وأنا أرجع إلى داري.

وأشار ابن شيرزاد على توزون بالصُّلح، وتواترت الأخبار من بغداد أنَّ أحمد بن بويه نزل واسِطاً وهو يريد بغداد، فأجاب توزون إلى الصُّلح، ورجع إلى بغداد، وكان السَّفير بينهم يحيى بن سعيد السُّوسي، فحصل له مئة ألف دينار، وعقد توزون البلد على ناصر الدولة ثلاث سنين، بثلاثةِ آلاف ألف درهم وستِّ مئة ألف درهم.

وفيها قَتَلَ أبو عبد الله البريدي أخاه أبا يوسف، ثم مات بعده بيسير.

وفيها وَلَّى الإخشيدُ الحسين بن لؤلؤ إمرةَ دمشق، فأقام عليها سنةً وشهوراً، ثم نقله إلى حمص والياً، وولَّى دمشق يانس المؤنسي.

وفيها وصل الدُّمُسْتُق إلى رأس العين في ثمانين ألفاً، فقتل وسَبَى خلقاً كثيراً، وقيل: كان ذلك في السنة الماضية، وقد ذكرناه.

وفيها ولَّى ناصر الدولة الحسينَ بنَ سعيد بن حَمْدان قِنَّسرين والعواصم والشام، فسار إلى حلب.

وفيها كتب المُتَّقي للإخشيد بمصر أن يَجْهَز إليه، فخرج من مصر، فلمَّا وصل الشام هرب الحُسين بن حَمْدان من حلب، وجاء إلى الرقة فلم يُمكِّنه المتقي من دخولها لأجل سيف الدولة.

وفيها بان للمتقي من بني حَمْدان الضَّجَر والمَلَلُ بمقامه عندهم، فراسل توزون على يد محمد بن أبي موسى الهاشمي والحسن بن هارون، وأمرهما أنْ يَستوثقا منه، فأحضر توزون القضاةَ والشهود والعباسيين والطالبِيِّين والقُوَّاد وجميع الأشراف والأعيان، وحلف للمتقي على ما اقترحه، وأكثر العُهود والمَواثيق المغلَّظة.

وسار الإخشيد من حلب إلى الرَّقَّة، فلما قارَبَها خرج إليه المتقي، فلمَّا رآه الإخشيد ترجَّل، وقبَّل الأرض، ومشى بين يديه، فأمره بالركوب فلم يفعلْ حتى نزل المتقي،

وحمل إليه الإخشيد من الأموال والهدايا شيئاً كثيراً، وإلى جميع مَن معه، وبلغه ما يُقرَّر بينه وبين توزون فقال له: يا أمير المؤمنين، أنا عبدك وابن عبدك وربيبُ دولتك، وقد عرفتَ الأتراك وغَدْرَهم وفجورَهم، فالله الله في نفسك، سِرْ معي إلى الشام ثم إلى مصر فهي لك، والدنيا بين يديك، لتأمنَ على نفسك، فلم يقبل، فقال: أقم ها هنا وأُمِدُّك بالأموال والرجال، فلم يسمع منه، فعدل إلى الوزير وقال له: سِرْ معي، وضَمِن له ما أراد، فلم يُجبه مُراعاةً للمتقي، فلمَّا نُكب المتقي، كان ابن مُقْلَة الوزير يقول: ياليتَني قَبِلتُ نُصْحَ الإخشيد.

وذكر المسعودي أنَّ الإخشيد لم يقطع الفرات، وإنما عبر المُتَّقي إليه، وجرَت بينهما أيمانٌ وخطوب، ورجع الإخشيد إلى الشام[١].

وفيها قُتل حَمْدي[٢] اللّص، كان [لصًّا] فاتكاً، ضمنه ابن شيرزاد أموالَ الناس ببغداد في كلِّ شهر بخمسة وعشرين ألف دينار، فكان يَكبس بيوت الناس بالشَّمع والمَشاعل، ويأخذ الأموالَ، ويَفتك بالناس، وكان أسكورَج الدَّيْلَمي صاحب شُرطة بغداد، فأخذه، وضرب وَسَطه نصفَين، وأراح الناس منه.

ودخل أحمد بن بُوَيْه واسِطاً، وهرب أصحابُ البريدي إلى البصرة.

وفي شوال قَتَلَ سيف الدولة محمد بنَ ينال التَّرْجُمان، وكان قد مضى إلى المَوصل من عند المتقي، فقال له: أنت عاملتَ العجم عليَّ، وأردتَ الإمرة لنفسك، فجَحَد وحَلَف، فلما خرج ليركبَ دابَّتَه ضربه غِلمان سيف الدولة بالسُّيوف حتى بَرَد.

وفي شوال كان توزون جالساً ببغداد على سرير الملك، والناس قيامٌ بين يديه، فعرض له صَرَعٌ، فوثب ابن شيرزاد فضرب بينه وبين الناس سِتارةً وقال: قد حدثت للأمير حُمَّى.

ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ لموت القِرْمِطي.

(١) مروج الذهب ٨/ ٣٤٨. ومن أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).
(٢) في تكملة الطبري ٣٤٣، والكامل ٨/ ٤١٦: ابن حمدي، والمثبت موافق لما في تاريخ الإسلام ٧/ ٦٢٦.

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن سعيد بن عبد الرَّحمن، أبو العباس، الكوفيّ، ويُعرَف بابن عُقْدَة، وهو لقبُ أبيه محمد[(١)].

وكان عُقْدَةُ عالماً فاضلاً وَرِعاً ناسِكاً، علَّم ابن هشام الخزَّاز الأدب، فوجَّه إليه أبوه دنانيرَ، فرَدَّها، فأضعَفَها له فردَّها وقال: ما رَدَدْتُها استقلالاً لها، ولكن سألني الصبيُّ أنْ أُعَلِّمَه القرآنَ، فاختلط تعليمُ النحو بتعليم القرآن، فلا أَستَحِلُّ أنْ آخذَ شيئاً، ولو أعطاني الدنيا بأسرها ما أخذتُها.

وأما صاحب هذه الترجمة فوُلد في المحرَّم سنة اثنتين وثلاثين ومئتين[(٢)]، وكان من أكابر الحفَّاظ، أجمع أهل الكوفة على أنَّه لم يكن من زمن ابن مسعود أكثر منه وأحفظ منه، وكان يحفظ في فضائل أهل البيت خاصةً ثلاث مئة ألف حديث، وكان يقول: أقلُّ شيخ عندي سمعتُ منه مئة ألف حديث، وكانت كتبه ست مئة حِمْل، ومع هذا فقد ذمَّه الناس وتكلَّموا فيه، وكانت وفاته ببغداد في ذي القعدة[(٣)].

[فصل: وفيها توفي]

سليمان ابن أبي سعيد الجَنَّابي

أبو طاهر، القِرْمِطيّ الذي فعل بالحاجِّ ما فعل، واقتلَعَ الحجر الأسود من البيت وحمله إلى هَجَر، وأفنى الخلائق [وقد ذكرنا ذلك][(٤)].

وكانت وفاتُه بهَجَر في رمضان [بالجُدَرِي]، وبطل الحاج بموته [؛ لأنهم لم يكن لهم مَن يُبَذْرِق لهم].

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٤٧، والمنتظم ١٤/ ٣٥، والسير ١٥/ ٣٤٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٥٥.

(٢) في مصادر ترجمته أنه ولد سنة (٣٤٩هـ)، انظر تاريخ بغداد ٦/ ١٥٩، والسير ١٥/ ٣٤١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٥٧، وميزان الاعتدال (٥١٦).

(٣) من قوله: ودخل أحمد بن بويه واسطاً... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٤) تكملة الطبري ٣٤٤، والمنتظم ١٤/ ٣٤، والكامل ٨/ ٤١٥، والسير ١٥/ ٣٢٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٢٦.

وكان الباقي من إخوته ثلاثة، أبو القاسم سعيد، وهو الرئيس الذي يُدبّر الأمورَ، وأبو العباس كان ضعيفاً كثيرَ الأمراض، مشغولاً بقراءة الكتب، وأبو يعقوب يوسف، كان مشغولاً باللَّعب، إلا أنَّهم كانوا متَّفقين على كلمة واحدةٍ ورأي واحد، وكان لهم سبعةُ وزراء من بني سَنْبَر[١].

أبو يوسف البريدي[٢]

كان يتكبَّر على أخيه أبي عبد الله ويُؤذيه، ويُطلق لسانه فيه، ويعامل أحمد بن بُوَيْه وتوزون عليه، وينسبُه إلى الغَدْر والظُّلم، والبُخل والجُبن، فعزم على قَبْضه، فاستدعاه إلى داره بالبصرة، وكان قد أقعد له جماعةً من غلمانه في الدِّهْليز، وأمرهم بقتله، فلمَّا دخل قاموا إليه وضربوه بالسَّكاكين وهو يصيح: يا أخي قتلوني، وأخوه يقول: إلى لعنة الله، ولمَّا قُتِل شَغَب أصحابُه، فأخرجه إليهم مَلْفوفاً في كِساء فسكنوا، ودخل عليه بعضُ إخوته فقال: قتلتَه؟ فقال: اسكُت وإلا ألحقتُك به.

ثم مات بعد ثمانية أشهر وثلاثة أيام، وأَخَذَ من ماله بعد قتله ألف ألف دينار عيناً، ومئتي ألف دينار وعشرة آلاف ألف درهم، ومن الكسوة والفُرُش والآلة ما قيمتُه ألفُ ألف دينار وألف رِطْل نَدًّا، وعشرين ألف رطل عود، منها ألفا رطل هنديٌّ، وصادر أصحابَه على ألف ألف دينار، وقيل: إنه قتله بالأُبُلَّة، ودفنه من غير غسل ولا تكفين.

---

(١) بعدها في (ف م ١): والحمد لله وحده وصلواته وسلامه على نبيه محمد وآله وسلم، السنة الثالثة والثلاثون وثلاث مئة.

(٢) المنتظم ١٤/ ٣٥، والكامل ٨/ ٤٠٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٠.

السنة الثالثة والثلاثون وثلاث مئة[1]

فيها سُمِل المُتَّقي ووُلِّي المستكفي.

قد ذكرنا أنَّ توزون حلف للمتقي على ما أراد منه، واستوثق بالأيمان، ولمَّا كان يوم الخميس رابع محرَّم توجَّه المتقي من الرَّقَّة إلى بغداد، فلمَّا وصل هِيْت أقام بها، وبعث القاضي أبا الحسن بن عبد الله الخِرَقي إلى توزون، فأعاد الأيمان عليه، وخرج توزون فأقام ببَثْق السِّنْدية، وتقدَّمه ابن شيرزاد، فالتقى المُتَّقي على بَثْق السِّندية، ترجَّل وقبَّل الأرض، فأمرَه بالركوب فلم يفعل، ومشى بين يديه إلى المِضْرَب الذي ضربه له على بثق السِّندية، فلمَّا نزل قبض عليه وعلى ابن مُقْلَة ومَن كان معه، ثم كَحَلَه، فصاح المُتَّقي وصاح النساء، فأمر توزون بضَرْب الدَّبادِب حولَ المضرب فخَفِيَت الأصواتُ، وأُدخل بغداد مَسْمولَ العينين، وقد أخذ منه الخاتم والبُرْدَة والقَضيب، وبلغ القاهرَ فقال: صِرْنا اثنَين ونحتاجُ إلى ثالث، يُعَرِّض بالمُسْتكفي، فكان كما قال، سُمِل بعد قليل.

وقال ثابت بن سنان: نزل توزون في نهر عيسى، وابن شيرزاد على شاطئ الفرات من الأنبار، وأقبلت خزائنُ المتقي والوزير والناس على طبقاتهم، فأقبلت غَبَرةٌ عظيمة من ناحية الأنبار، وإذا بتوزون قد أقبل، والمتقي قد نزل من مضربه، فركب فالتقاه، فلمَّا رآه توزون ترَجَّل وقَبَّل الأرض، ثم سار بين يديه، ووكَّل به جماعةً من الدَّيْلَم والأتراك وبالوزير، حتى أنزلوهم في مِضرب المتقي ووالدته وحُرَمه، وأذن للجماعة في الانحدار إلى السِّنْدِيَّة، ونُهِبَت خزائنُ المتقي.

وكان توزون قد بعث إلى بغداد فأحضر عبد الله بن المكتفي، وبايعه بالخلافة، ولُقِّب: المُسْتَكْفي بالله، وسلَّم توزونُ المتقي إلى المُستكفي، فبايعه المتقي، وأشهدَ على نفسه بالخَلْع، وذلك في يوم السبت لعشرٍ بقين من المحرَّم، ثم أُخرج المتقي إلى جزيرة مقابل السِّندية، فسُمل حتى سالت عيناه في يوم خلعه، وقيل: إنما خُلع لعشرٍ بقين من صفر، ولم يَحُل الحولُ على توزون حتى مات.

(١) في (م): السنة الثالثة والثلاثون بعد الثلاث مئة، ولم يذكر في النسخ (م ف م١) من أحداث هذه السنة شيء، وورد فيها ترجمة عمرو بن جامع فقط.

الباب الثاني والعشرون

في خلافة المستكفي عبد الله بن المكتفي

وكنيته أبو القاسم، وأمه أمُّ وَلَدٍ يقال لها: عَبْدَة، مُوَلَّدة، وقيل: رُومية، وقيل: عربية، وقيل: اسمُها غُصْن، لم تُدرك خلافتَه، بويع في يوم خلع ابن عمه المتقي، وعمُره يومئذ إحدى وأربعون سنة وسبعةُ أيام، سنُّ أبي جعفر المنصور لمَّا ولي الخلافة؛ لأنَّه وُلد في صفر سنة ستٍّ وتسعين ومئتين، وقيل: سنة اثنتين وتسعين، وكانت له بيعتان، إحداهما هذه، والثانية ببغداد يوم الاثنين لسبعٍ بقين من صفر، نزل من السِّنْدِيَّة في طَيَّار إلى بغداد، وعلى رأسه توزون وابن شيرزاد، وبويع ببغداد البيعة العامة، وخَلَع على توزون وطَوَّقه وسوَّره، وجعل له كُرسيًّا يجلس عليه.

وكان مَليحَ الوجه، رَبْعةً من الرجال، مُعْتَدِلَ الجسم، أبيضَ مُشرباً بحُمْرة، خفيفَ العارِضَين.

وكان السبب في خلافته: أنَّ بعض الدَّيالمة تزوَّج امرأةً من أهل بغداد، وكان الدَّيْلَميُّ خَصِيصاً بتوزون، فقالت له المرأة يوماً: هل لك بشيءٍ تَسْفِر فيه، يكون فيه صلاحُ الأمير وصلاحُك وصلاحُ الأمة، قال: وما هو؟ قالت: هذا الخليفة المتقي قد عاداكم، فتارةً يَستَنصرُ عليكم ببني حَمْدان، وتارةً ببني بُوَيْه، وقد اجتهد في بَواركم فلم يتمَّ له ذلك، وها هنا رجلٌ من أولاد الخلفاء، عاقلٌ لَبيبٌ، ومن صفته كذا وكذا، فإن ولَّيتُموه الخلافَةَ يثير لكم أموالاً عظيمةً، وتخلُصون من عدوٍّ تخافونه، فقال لها: من أين لك هذا؟ فقالت: أعرفُ امرأةً تُدبِّر هذا الأمر.

وجاءته بامرأةٍ من أهل شيراز، فكلَّمته بالفارسية والعربية، وعرَّفته أنَّه عبد الله بن المُكْتَفي، وأنَّه يُعطي توزون ستَّ مئة ألف دينار، يُعجِّل له منها بمئتي ألف دينار، ويعطي الرجل مالاً.

فجاء الرجل فأخبر توزون، وجمع بينه وبين المستكفي سرًّا، وغيَّرت الشِّيرازِيَّةُ اسمَها وجعلته عَلَماً، وصارت قَهْرَمانةَ الخليفة، واستولَت على أمره، ولمَّا سَمَله أحمد ابن بُوَيْه سَمَل القَهْرَمانة وقطع لسانَها[(١)].

ذكر سيرة المتقي:

كان كثيرَ العبادة والصيام والصَّلاة، وما شَرب مُسكِراً قطُّ، وقطع دواوين النُّدَماء والمُغنِّين، وكسر المَلاهي ونفى أهلَها، واجتمعت في أيامه إسحاقات كثيرة سحقت الخلافة، منها وقوعُ رأس القُبَّة الخضراء، وكان يُكْنى أبا إسحاق، ووزيرُه القَراريطي يُكنى أبا إسحاق، وقاضيه الخِرَقي يُكنى أبا إسحاق[(٢)]، ومُحْتَسِبه ابن بَطْحاء يُكْنى أبا إسحاق، وصاحب شُرطته [أبو إسحاق بن أحمد، وكانت داره القديمة في دار إسحاق ابن] إبراهيم المُصْعَبي[(٣)] يُكنى أبا إسحاق، وكان يَسكن دار إسحاق بن كَنْداج، وكَفَّ عن كثيرٍ مما كان يَرتكبه مَن تقدَّمه، وكان فيه وَفاءٌ وقَناعة.

وكانت خلافتُه ثلاثَ سنين وأحد عشر شهراً وعشرين يوماً، وعاش طويلاً بعد خَلْعه وسَمْله خمساً وعشرين سنة، وقيل: أربعاً وعشرين سنةً؛ لأنَّه مات سنة سبع وخمسين وثلاث مئة وعمُره ستون سنة.

ولمَّا ولي الخلافة أقرَّ سليمان بن الحسن بن مَخْلَد على الوزارة، ثم استوزر أحمد ابن مَيْمون، ثم القَراريطي، ثم أبا العباس أحمد بن عبد الله الأصبهاني[(٤)]، ثم البريدي، ثم أبا الحسين علي بن محمد بن مُقْلَة، قال المصنِّف رحمه الله: وزر للراضي، وتوفي في هذه السنة الماضية[(٥)].

وفيها استولى أحمد بن بُوَيْه على الأهواز والبصرة وواسِط في غيبة توزون، وخرج إليه توزون، وجاء أحمد فالتقَوا على دَيالى، وما زال الحرب بينهما تسعة أشهر،

(١) انظر تكملة الطبري ٣٤٧ ـ ٣٤٩، والكامل ٨/ ٤٢٠ ـ ٤٢١.
(٢) كذا قال، وإنما هو أحمد بن عبد الله بن إسحاق أبو الحسن، انظر تاريخ بغداد ٥/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٧٥.
(٣) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ٦/ ٥٥٥، والمنتظم ١٤/ ٦.
(٤) في (خ): ثم العباس بن أحمد الأصبهاني، وهو خطأ، والمثبت من مروج الذهب ٨/ ٣٤٥.
(٥) كذا (؟!).

وهي كلُّها على توزون، والصَّرَع يعتريه، فقَطَع الجسر الذي على ديالى بينه وبين أحمد بن بويه، وضاق بابن بويه الحال، وتعذَّر عليه الطَّعام والعَلَف، فرجع إلى الأهواز، وصُرِع توزون في ذلك اليوم، فعاد إلى بغداد مَشغولاً بنفسه.

واستقام أمرُ المستكفي ظاهراً، وهو في الباطن مقهور، واستوزر أبا الفرج محمد ابن علي السَّامَرِّي لستٍّ بقين من صفر، فأقام أربعين يوماً، ثم صرفه توزون بعد أن صادره على ثلاث مئة ألف دينار، فكانت وزارته أربعين يوماً، ثم استوزر أبا جعفر بن شيرزاد بإشارة توزون، وأطلق توزون الوزيرَ ابن مُقْلَة بعد أن صادره بثلاثين ألف دينار.

وفيها سار سيف الدولة ابن حَمْدان إلى حلب فمَلَكَها، وكان أميرُها يانس المؤنسي، فخرج منها إلى مصر، وجهَّز الإخشيد جيشاً إلى سيف الدولة، فالتقوا على الرَّسْتَن، ثم سار إلى دمشق فملكها، وجاء الإخشيد فنزل طَبَرَيَّة، فتسلَّل أكثرُ أصحاب سيف الدولة إلى الإخشيد، فخرج سيف الدولة إلى حلب، فجمع القبائل من العرب وحَشَد، وسار إليه الإخشيد، والتقَوا على قِنَّسْرِين، واقتتلوا، فهزمه الإخشيد، فهرب إلى الرَّقَّة، ودخل الإخشيد حلب.

ولم يحجَّ أحدٌ من العراق، ووقف بالناس عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي.

واشتدَّ الغَلاء ببغداد، فهرب الرجال إلى البلاد وبقي النساء، فكُنَّ المُخَدَّرات يَخرُجْنَ عشرين عشرين من بيوتهن، مُعْتَمِداتٍ بعضُهن على البعض يصِحْن: الجوعَ الجوعَ، فإذا سقطَت واحدةٌ منهنَّ سقطت الباقيات موتى.

وفيها توفي

أحمد بن محمد

أبو عبد الله، البَريدي، المُتَغَلِّب على الأهواز والبصرة وغيرها[١].

وهو الذي قتل أخاه لأنَّه طلب منه مالاً فلم يُعطه، فقتله.

---

(١) أخبار الراضي والمتقي ٢٥٩، تكملة الطبري ٣٤٥، الكامل ٨/ ٤١٠، تاريخ الإسلام ٧/ ٦٣١.

وَزَرَ البريدي للمُتَّقي، واستولى على واسِط، ولم يُمَتَّع بالحياة بعد أخيه، وأخذته الحُمَّى في الدار التي قتله فيها، فدامت به سبعة أيام مُطْبِقةً، ومات في اليوم الثامن من شَوَّال.

وقام أخوه أبو الحسين مُقامَه، وكان له جيشٌ بنهر الأمير مقابلاً لأحمد بن بُوَيْه، وعسكرٌ آخر بمَطارا، وكان المُقَدَّم على العساكر يانس مولى البريدي، وكان بينه وبين أبي الحُسين مُبايَنةٌ في الباطن، والجُندُ يميلون إلى يانس، فلمَّا تمكَّن أبو الحسين استطال على الدَّيْلَم والتُّرْك، وحَطَّ من أقدارهم، فشَكَوه إلى يانس، فقال يانس لأبي القاسم بن أبي عبد الله البريدي: إنْ كان عندك مالٌ عَقَدْتُ الرئاسة لك، وأزَلْتُ عمَّك عنها، فقال: عندي ثلاثُ مئة ألف دينار، فأخذها يانس، فأصلح بها قلوبَ العَسْكر، وعقد لأبي القاسم.

وقصدوا أبا الحسين ليقتلوه فهرب ليلاً من تحت الكِلَّة ماشياً مُتَنكّراً إلى هَجَر، فاستجار بالقَرامِطة فأجاروه، وبعثوا معه جيشاً إلى البصرة، واحترز أبو القاسم منهم، فأقاموا مدَّةً فضَجِروا، فأصلحوا بين أبي الحسين وابن أخيه على أنْ يدخلَ أبو الحسين البصرة، ثم أصعد إلى بغداد.

وطمع يانس في الملك، فواطأ الدَّيْلَم على قتل أبي القاسم، وعلم أبو القاسم، فاحتال حتى قبض على يانس، فقتله، وأخذ منه مئة ألف دينار، واستقام الأمر لأبي القاسم.

[وفيها توفي]

عَمرو بن جامع بن عمرو

أبو الحسن، الكوفي(١).

سكن دمشق [وحدَّث بها، قال الحافظ ابن عساكر: كان ينزل] بباب البريد، ومات بدمشق في شوال.

[حدَّث عن عمران بن موسى الطَّرَسوسي، وروى عنه أبو الحسين الرازي وغيره.]

---

(١) تاريخ دمشق ١٣/ ٤١١ (مخطوط).

روى عنه ابن عساكر حكايةً أسندها قال: كان في زمن عمر بن الخطاب ﷺ شابٌّ مُتَعبِّدٌ، قد لزم المسجد، وكان عمر مُعْجَباً به، وكان له أبٌ شيخ كبير، وكان إذا صلى العتمة انصرف إلى أبيه، وكان على طريقه امرأة، فافتُتِنت به، فكانت تتعرَّضُ له، فما زالت تُغويه حتى تَبِعها ليلةً، فلمَّا أتت باب بيتها دخلت، فذهب ليدخل خلفها فذكر الله، ومرَّت على لسانه ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ الآية [٢٠١: الأعراف] فوقع مَغْشيًّا عليه على بابها، فتعاونت المرأة وجاريتها عليه، فحَملاه إلى باب بيته، وخرج أبوه فرآه، فلمَّا أفاق سأله عن حاله فأخبره، فلمَّا أفاق قال: يا أبت، تذكَّرتُ قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُواْ﴾ ثم غُشي عليه مرةً ثانية، فحرَّكوه فإذا به ميّت.

وبلغ عمر رضوان الله عليه، فجاء إلى أبيه يُعزِّيه وقال: هلَّا آذَنْتَني به، فقال: يا أمير المؤمنين كان الليل، فذهب عمر إلى قبره ومعه أبوه، فناداه: يا فلان ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن: ٤٦] فأجابه الفتى من القبر: يا عمر، قد أعطانيهما ربِّي في الجنة مرَّتين[١].

(١) بعدها في (م١ ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة الرابعة والثلاثون وثلاث مئة[١]

فيها توفّي توزون التُّركي بهِيْت، وكان معه كاتبُه أبو جعفر بن شيرزاد، فطمع في المملكة، وحَلَّف العساكر لنفسه، فنزل باب حَرْب، وخرج إليه الدَّيْلَم وباقي الجُند، وبعث إليه المستكفي بالإقامات وخِلَع بيض، ولم يكن معه مال، وضاق ما بيده، فشَرَع في مُصادرات الناس، وأخذ من الكُتَّاب والتُّجَّار الأموال، وسلَّط الدَّيْلَم والتُّرْكَ على الناس، وتجرَّد لإيذاء الخلق، وهرب أعيان أهل بغداد، وانقطعَ الجَلَب عنها فخَرِبَت.

وفيها تمَّ الصُّلْح بين سيف الدولة والإخشيد، على أن تكون حمص وحلب وأنطاكية لسيف الدولة، ومصر والشام للإخشيد، وتزوَّج سيف الدولة بنتاً لعُبيد الله بن طُغْج أخي الإخشيد.

وفيها لقَّب المُسْتَكفي نفسَه إمام الحقِّ، وضرب ذلك على الدَّراهم والدَّنانير[٢].

وفيها قصد مُعزُّ الدولة أحمد بن بُوَيْه بغداد، فلمَّا نزل باجِسْرى استتر المستكفي وابن شيرزاد، وسار التُّرك إلى المَوْصل، وبقي الدَّيْلَم ببغداد، ثم ظهر الخليفة وعاد إلى داره، ونزل أحمد بن بُوَيْه بباب الشَّمَّاسِيَّة، وبعث إليه الخليفة بالهدايا والإقامات، وأقام ابن شيرزاد على استتاره ـ وكان الخليفة يكرهه ـ فبعث معزُّ الدولة إلى الخليفة يسألُه فيه، وأن يأذن له في استكتابه، فلمَّا ألحَّ عليه أجابه.

وفي يوم الخميس لأربع عشرة بقيت من جُمادى الأولى دخل أحمد بن بُوَيْه من باب الشماسيَّة إلى دار الخلافة، ووقف بين يدي الخليفة طويلاً، وأُخِذَت عليه البيعةُ، واستُحلف بالأيمان المُغَلَّظة، وأُدخِلَت القهرمانةُ في اليمين، وجماعةٌ من الخواص، وكُتبت نُسَخُ الأيمان، وشهد القضاة والعدول والأشراف في النسخ.

ثم خَلَع الخليفة على أحمد بن بُوَيْه خِلَع السَّلْطَنة[٣]، ولُقِّب مُعِزَّ الدولة، ولُقِّب أخوه أبو الحسن علي عمادَ الدولة، وأخوه أبو علي الحسن رُكْنَ الدولة، وضُربت

---

(١) في (م): السنة الرابعة والثلاثون بعد الثلاث مئة.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) من قوله: فلما نزل باجسرى... إلى هنا ليس في (م ف م١).

ألقابُهم على الدنانير والدراهم، ونزل مُعزّ الدولة دارَ مؤنس، [ونزل] الدَّيْلَم في دور الناس وأخرجوهم من منازلهم.

وظهر ابن شيرزاد، واجتمع بمعزِّ الدولة، وقرَّر معه أشياء، وقَرَّر للخليفة كلَّ يوم برَسْم النَّفَقَة خمسةَ آلاف درهم، وكتب مُعزُّ الدولة إلى ناصر الدولة بأن يحمل إليه من المَوْصل ما كان يحمله إلى مَن تقدمه من المال.

وأحمد بن بويه أولُ مَن ملك العراق من الدَّيْلَم، [وحكى القاضي علي بن المُحَسِّن عن أبيه: أنَّ مُعِزَّ الدولة] أولُ مَن أظهر ببغداد السُّعاة والصِّراع؛ وذلك لأنَّه احتاج إلى السُّعاة ليجعلهم فُيُوْجاً بينه وبين أخيه رُكْن الدولة إلى الرَّي، فيقطعون تلك المسافةَ البعيدة في مدَّةٍ قريبة، وأعطى على ذلك الأموال، فانْهَمَك أحداثُ بغداد وصغارهم على ذلك، أسلمهم آباؤهم، ونشأ لمعزِّ الدولة ركابيان: فَضْل ومَرْعوش، كلُّ واحد يمشي في كلِّ يوم [ستة وثلاثين فَرْسَخاً من طلوع الشمس إلى غروبها، يتردَّدون] ما بين عُكبَرا وبغداد.

وكان يجمع(١) المُصارِعين في المَيْدان بحضرته، ويُقيم خَشَبةً يُعلِّق عليها الثِّيابَ الدِّيباجَ والعَتَّابي(٢) وغيرهما، وأكياس الدَّراهم، ويجمع على سُور المَيدان المخانيث بالطُّبول والزُّمور والدَّبادِب، ويأذن للعامة فيدخلون الميدان، فمَن غَلَب أعطاه الدراهم والثياب.

وشرع في تعليم السِّباحة، فكان السَّابحُ يَسبح قائماً وبيده كانونٌ فوقه حطَبٌ وعليه قِدْر، فيوقَدُ وهو يسبح حتى يَنْضَج اللحمُ، ويأكل منه إلى أن يصل إلى دار السُّلطان.

وفيها ولَّى الخليفةُ القاضي أبا السائب عُتْبَة بن عُبيد الله القضاءَ في الجانب الشرقي، وأقرَّ القاضي أبا طاهر على الجانب الغربي.

---

(١) في (م ف م١): ونشأ لمعز الدولة ركابيان أحدهما يعرف بفضل والآخر بمرعوش فكان كل واحد.... وبغداد، وأما الصراع فكان معز الدولة يجمع، والمثبت من (خ)، والخبر في المنتظم ١٤/ ٤٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٣.

(٢) صنف من الثياب الغليظة المتموجة المرقشة، نسبة إلى أحد أحفاد أمية واسمه عتاب. انظر تكملة المعاجم ٧/ ١٣٩ ـ ١٤٠

وفيها خُلع المُستكفي وسُمِل، وسببُ ذلك: أنَّ عَلَمَ القَهْرَمانة عَملت دعوةً عظيمةً حضرها خرشيد الكوهي الدَّيْلَمي، وكان مُقَدَّم الدَّيْلَم، وجماعة من القواد، فاتَّهمها معزُّ الدولة، وخاف أنْ تفعل كما فعلَت مع توزون، وتُحلِّف الدَّيْلَمَ للمستكفي، وتَزول رئاستُه.

وكان أصفهدوست الدَّيْلَمي من كبارهم قد شَفَع إلى الخليفة في رجل شيعي من أهل باب الطَّاق يقال له: الشافعي، كان يُثير الفِتَن، فلم يقبل الخليفةُ شفاعتَه، فحقد على الخليفة، وقال لمعز الدولة: إنَّ الخليفةَ راسلني في أمرك، وأن ألقاه في الليل مُتنكِّراً، فزاد ذلك مُعزّ الدولة سوءَ ظنٍّ.

فلما كان يوم الخميس لثمان بقين من جُمادى الآخرة ـ أو لثلاث بقين منه ـ دخل معزُّ الدولة على الخليفة وهو جالسٌ على سريره، فوقف على عادته، والناس وقوف على مَراتبهم، فتقدَّم رجلان من الدَّيْلَم، وطلبا من الخليفة الرِّزقَ، فمدَّ يده إليهما ظنًّا منه أنَّهما يريدان تقبيلها، فجذباه من السَّرير، وطرحاه إلى الأرض، ووضعا عِمامتَه في عُنقه وجرَّاه.

ونهض معزُّ الدولة، واضطرب الناسُ، وهجم الدَّيْلَم دارَ الخليفة، ودخلوا على الحُرَم ونهبوها، وقبضوا على القَهْرَمانة وخواصِّ الخليفة، ومضى مُعزُّ الدولة إلى دار مؤنس، وساقوا المستكفي ماشياً من قصره إلى دار مؤنس، ولم يبق في دار الخليفة شيءٌ، وخُلع المستكفي من الخلافة، وسُمِلَت عيناه يوم خَلْعه، فكانت خلافتُه سنةً وأربعة أشهر ويومين، وتوفي بعد خَلْعه في ربيع الأول سنة ثمان وثلاثين وسنُّه ستٌّ وأربعون سنة وشهران.

وقال المسعودي: لمَّا وَلي المستكفي الخلافةَ اجتهد في تحصيل الفَضْل بن المُقْتَدر، فلم يقدر عليه، وكان قد استتر، فهدم دارَه، وأخرب جميع ما كان فيها، وقطع أشجار بساتينه، وكان بينهما عَداوةٌ شديدة، وكان المستكفي خائفاً منه أن يَلي الخلافة ويُسلَّم إليه ليحكم فيه بما يريد، فما نفعه حَذَرٌ، وسُلِّم إليه، فسَمَله وفعل به ما أراد[1].

(١) مروج الذهب ٨/ ٣٧٩.

الباب الثالث والعشرون في خلافة المطيع لله

أبو القاسم الفضل بن جعفر المقتدر

وأمُّه مَشْعلة[١]، وقيل: ضرار، أمُّ ولد، أدركت خلافتَه.

بويع في اليوم الذي خُلِع فيه المستكفي، وهو يوم الخميس لثمان بقين من جُمادى الآخرة، وسنُّه يومئذ ثلاثٌ وثلاثون سنة وخمسةُ أشهر وأيام؛ لأنَّ مولده لستٍّ بقين من المحرَّم سنة إحدى وثلاث مئة، وهو ابن عمِّ المستكفي لَحًّا[٢].

وأُحضر المستكفي، فسلَّم عليه بالخلافة، وأشهد على نفسه بالخَلْع، ثم سُمِل واعتُقِل في دار الخلافة، وصادر المطيعُ خواصَّه، وأخذ منه ألوفاً كثيرة، ووصل العباسيين والعلويين في يوم واحد بنيِّفٍ وثلاثين ألف دينار، واستبدَّ بالأمور ابن شيرزاد[٣].

وفيها اشتدَّ الغَلاء ببغداد في شعبان، وأكل الناس الجِيَف والرَّوْث، وماتوا على الطُّرُقات، فكانت الكلاب تأكلُ لحومهم، وبيع العقار بالرُّغْفان[٤]، ووُجِدت امرأةٌ عَلَويَّة قد سَرَقت صبيًّا، وشَوَته في تَنُّور وهو حَيّ، وأكلت بعضَه، فقُتلت، ووجدت امرأة علوية قد شقَّت صَبيةً نصفين، وطَبخت نصفَها سِكْباجاً، والنِّصف الآخر بماء وملح، فذَبحها الدَّيْلَم، وخرج الناس هاربين إلى البصرة [وواسط]، فمات أكثرهم في الطريق.

وكثر القَمْلُ في الغِلال والثِّمار، فيئس الناس من غِلالهم وثِمارهم، فأرسل الله تعالى طَيْراً على جِرْم العصفور أصفر، فكان يلتقط القَمْل من الزَّرع والثِّمار حتى أفناه، واشتدَّ الحصار من جانبي بغداد، فاشتُري لمعز الدولة [كُرُّ] حِنْطَةٍ بعشرة آلاف درهم، وقيل: بعشرين ألفاً.

---

(١) كذا في (خ)، والتنبيه والإشراف ٣٦١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣١٥، وفي تكملة الطبري ٣٥٥، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٥٦، والمنتظم ١٤/ ٤٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣١، والسير ١٥/ ١١٣: مشغلة (بغين معجمة).

(٢) يعني لاصق النسب. انظر القاموس المحيط.

(٣) من قوله: وفيها خلع المستكفي... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٤) في (م ف م١): بالرغيفين.

وسبب الحِصار [ببغداد] أنَّ الحال تغيَّرت بين معزِّ الدولة وناصر الدولة، فجمع ناصرُ الدولة، وكان قد انضمَّ إليه جماعة من الأتراك، وجاء فنزل سُرَّمَن رأى، وخرج إليه معزُّ الدولة ومعه المُطيع في شعبان، وابتدأت الحرب بينهم بعُكبَرا.

وكان معزُّ الدولة قد تغيَّر على ابن شيرزاد، واستخانه في الأموال، فأحْفَظَه ذلك، ووقع القتال بين الفريقين، واندفع معزُّ الدولة والمطيع بين يديه(١).

وجاء ناصر الدولة فنزل بغداد من الجانب الشرقي ومَلَكها، وجاء مُعزُّ الدولة ومعه المُطيع في الاعتقال، فنزل الجانب الغربي، وكان قد وكَّل به جماعة خوفاً لا يمضي إلى ناصر الدولة، [وكان الطعام والمِيرة كثيرة في عسكر ناصر الدولة] ومعزُّ الدولة في ضِيقٍ وشِدّة، فعزم على المَسير إلى الأهواز، فقال: رُوزوا لنا الشَّطَّ، فإن قَدَرْنا على العبور كان أهون علينا، فعبر من الدَّيْلَم جماعةٌ منهم أصفهدوست والصَّيمَري، وكان حافظَ الشَّطِّ في تلك الليلة [لناصر الدولة رجلٌ تركي يقال له: ينال كوشاه، وكان قد شرب تلك الليلة] وسَكِر هو وأصحابه وناموا، فلمَّا عَبرت الدَّيالمة اضطرب عسكرُ ناصر الدولة وانهزموا، وهرب ناصر الدولة.

وعبر معزُّ الدولة إلى الجانب الشرقي، وأحرق الدَّيْلَم سوقَ يحيى، ووضعوا السَّيف في الناس، وسَبَوا الحَريم، وخرج النساء مُشاةً إلى عُكبَرا، ومات منهنَّ خَلْق كثير من العَطَش، فروي أنَّ امرأةً حسناء كان عليها حُليٌّ وجواهر تساوي ألف دينار، فجعلت تصيح: مَن يأخذ ما معي ويَسقيني شربةَ ماء؟ فما التفت إليها أحدٌ، فوقعت ميتة، وما تعرَّض أحدٌ لما معها.

وفي تلك الليالي التي أقام ناصر الدولة في الجانب الشرقي [من بغداد] عَبر رجلٌ من الشُّطَّار من عسكر مُعزِّ الدولة [إلى خيمة ناصر الدولة](٢)، فرآه نائماً والشَّمْعَة عند

---

(١) في (خ): بين يدي ناصر الدولة، ومن قوله: فجمع ناصر الدولة... إلى هنا ليس في (م ف م١)، والمثبت من تاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٤ ، وانظر تكملة الطبري ٣٥٦ ، والمنتظم ١٤/ ٤٧ ، والكامل ٨/ ٤٥٣ .

(٢) في النسخ: من عسكر معز الدولة إلى معز الدولة، وهو خطأ، والمثبت من تكملة الطبري ٣٥٧ .

رأسه وقد نام الحُرَّاس والغلمان، فعرف موضع رأسه من المِخَدّة، فعاد وأطفأ الشمعة، واتَّفق أنَّ ناصر الدولة انقلب عن المخدة، فجاء الرجل فوضع السّكّين في المخدَّة ظنًّا منه أنَّها رأسُ ناصر الدولة، وخرج من تحت أطناب الخيمة، وجاء في ليلته إلى معزِّ الدولة فقال للغلمان: قد جئتُ في أمرٍ عظيم، فقالوا: الملك نائم، فقال: أيقظوه فأيقظوه، وحضر الرجل فقال: قد قتلتُ ناصر الدولة، فقال: نعتقلُك إلى الصَّباح، فإن صدقتَ أغنيناك وإن كذبتَ قتلناك، فاعتقله.

فأصبح ناصر الدولة، فرأى السكين في المِخَدَّة، فشكر الله على السَّلامة، وشاع ذلك في العسكر، وبلغ الخبر معز الدولة فقال: مثلُ هذا لا يؤمَن، فغرَّقه.

ولم يحجَّ من العراق أحدٌ، ووقف بأهل مكة عمر بن الحسن بن عبد العزيز الهاشمي.

وفيها توفي

أحمد بن عبد الله بن إسحاق

أبو الحسن[1] القاضي، الخِرَقي، التاجر، كان من العدول، لم يكن له اشتغالٌ بغير التجارة، وكان يَخدمُ المُتَّقي في حياة أبيه، فلمَّا ولي الخلافة نوَّه باسمه، وخَلَع عليه سنة ثلاثين وثلاث مئة، وولَّاه قضاء بغداد من الجانبين، وواسِط، والبَصرة، والشام، ومصر، والمَغرب، والدنيا، فعجب الناس وقالوا: ما قرأ العلم، ولا جالس الأدباء والعلماء، فلمَّا جلس للحُكم ظهر من رئاسته ونَزاهته وعِفَّته وأحكامه ما حيَّر أهل الفضل، فلم يتعلَّقوا عليه بزلَّة، ولا لَحقه عيبٌ، وذلك من توفيق الله تعالى، ثم خرج إلى الشام فمات به.

توزون التُّركي

كان من خواصِّ أصحاب بَجْكم، وقد ذكرنا غَدْرَه بالمُتَّقي وسَمْلَه إياه، وكان يَعتريه عِلَّةُ الصَّرَع، ولم يَحُل عليه الحول بعد ما فعل ذلك.

---

(١) في (خ): أبو إسحاق، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ بغداد ٥/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٧٥، وهذه الترجمة والتي تليها ليست في (م ف م١).

وكان جباناً، ظالماً فاسقاً، فاتكاً، أخذ وقتل خلقاً كثيراً، وأخذ الأموال، وظَلم الناس، فلا جَرَم أخذه الله أَخْذَ عَزيزٍ مُقتدر، وهلك لثمانٍ بقين من المُحرَّم[١].

[فصل: وفيها توفي]

عمر بن الحُسين بن عبد الله

أبو القاسم، الخِرَقي، الحَنْبليّ، مصنِّف «المختصر» على مذهب الإمام أحمد بن حنبل رحمة الله عليه[٢].

ذكره الخطيب، وأثنى عليه بالفضل والدين، قال: وكان حسن العبارة بليغاً، وله المُصَنَّفاتُ الكثيرة، وتخريجاتٌ على مذهب الإمام رحمة الله عليه لم تظهر؛ لأنَّه خرج من بغداد لمَّا ظهر سبُّ الصحابة، فأودع كتُبَه في دَرْب سليمان، فاحترقت الدَّار التي كانت فيها الكتب، وقيل: لم تحترق الكتب.

وكانت وفاته بدمشق، ودُفن بالباب الصغير، وقبره أول المقابر إذا خرج الإنسان من الباب الصغير[٣].

وفيها توفي

محمد بن طُغْج بن جُفّ

المُلقَّب بالإخشيد، أبو بكر، الفَرْغاني[٤].

---

(١) المنتظم ١٤/ ٤٨، والكامل ٨/ ٤٤٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٢.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٨٧، وطبقات الحنابلة ٢/ ٧٥، وتاريخ دمشق ١٢/ ٧٠٢ (مخطوط)، والمنتظم ١٤/ ٤٩، والكامل ٨/ ٤٦٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٨٢، والسير ١٥/ ٣٦٣.

(٣) في (ف م م١): فاحترقت الدار التي كانت فيها الكتب، وكانت وفاته بدمشق .... وقبره أول المقبرة.... من الباب الصغير، وقيل إن الدار التي كانت فيها الكتب احترقت ولم تحترق الكتب وإنما خرج من بغداد لما كثرت الفتن بها فتوجه إلى دمشق. والمثبت من (خ).

(٤) تكملة الطبري ٣٥٨، وتاريخ دمشق ٦٢/ ٣٤٦، والمنتظم ١٤/ ٥٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٥ و٦٨٣، والسير ١٥/ ٣٦٥.

لقَّبه الرَّاضي بالإخشيد[١] لأنه ابن ملك فَرْغانة، وكلُّ مَن مَلَك فَرْغانة يقال له: الإخشيد، أي: ملك الملوك، كما أنَّ الأصبهبذ ملك [أذربيجان، وسالار ملك] طَبَرِسْتان[٢]، و صول ملك جُرْجان، وخاقان ملك التُّرْك، والأفشين ملك أُشْرُوْسَنَة، وسامان ملك سَمَرْقَنْد ونواحيها، ونحو ذلك.

ولد محمد ببغداد، وكان شُجاعاً، مَهيباً، شديدَ اليَقَظَة[٣] في حروبه.

[وذكره ابن عساكر فقال:] ولِيَ دمشق سنة ثمان عشرة وثلاث مئة [في أيام المقتدر]، ووَلي مصر من قبل القاهر سنة أحدى وعشرين [وثلاث مئة] في رمضان، وكانت ولايتُه بدمشق اثنين وثلاثين يوماً، ولم يدخلها، ثم ولاَّه الراضي إياها سنة ثلاث وعشرين [وثلاث مئة]، فاستقرَّ له الشام ومصر.

[واجتمع بالمتقي في الرقَّة، وأعطى سيفَ الدولة ابن حَمْدان حلبَ، وقد ذكرنا جميع ذلك.]

وكانت وفاته بدمشق في ذي الحجة بحُمَّى حادَّة وله ستون سنة، وحُمل في تابوت إلى القدس[٤].

[وقال جدِّي في «المنتظم»[٥]:] كان جيشه قد احتوى على أربع مئة ألف رجل، وكان له ثمانيةُ آلاف مَمْلوكٍ يحرُسونه بالنَّوبة، كلَّ يوم ألفُ مملوك، ويُوكِل الخَدَم بجوانب خيمته، ثم لا يَثِقُ بأحدٍ حتى يمضي إلى خِيَم الفرَّاشين فينام فيها.

فقام بعده ولده أنوجور، وكنيتُه أبو القاسم، وكان قد عهد إليه أبوه وهو بمصر، ثم غَلَبَ كافور على الأمر، [وسنذكره في موضعه مرتباً إن شاء الله تعالى].

---

(١) في (م ف م١): وذكره ابن عساكر وقال: هو الإخشيد وقال: لقبه به الراضي، والمثبت من (خ)، والكلام في المنتظم لا تاريخ دمشق.
(٢) ما بين معكوفين من المنتظم ١٤/ ٥٠.
(٣) في (ف م ١): التيقظ.
(٤) تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٤٧.
(٥) ١٤/ ٥٠.

محمد بن عُبيد الله

صاحب المَغْرب، ويُلقَّب بالقائم بأمر الله(١).

ولد بسَلَمْيَة سنة ثمان وسبعين ومئتين، وأمُّه أمُّ ولد، ودخل مع أبيه إلى المغرب، وبُويع له يوم مات أبوه عُبيد الله في السنة الثانية والعشرين وثلاث مئة.

[وقد خرج عليه في سنة اثنتين وثلاثين وثلاث مئة أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْداد،] وكانت بينهما وقائع مشهورةٌ، وحَصَره بالمَهْدِيَّة وضَيَّق عليه، واستولى على بلاده، فعرض للقائم وهو محصورٌ وَسواسٌ، فاختلَط عقلُه لما رأى من الذُّلِّ والهَوان، فمات في تلك الحال.

وقال القاضي عبد الجبَّار(٢): كان شرًّا من أبيه بأضعافٍ مُضاعفة، أظهرَ سبَّ الأنبياء صلوات الله عليهم، وكان مُناديه يُنادي: العنوا الغار وما حوى، وسبَّ عائشة رضوان الله عليها وبعلَها صلوات الله وسلامه عليه، وقتل خَلْقاً كثيراً من العلماء، وكان يُراسل أبا طاهر القِرْمِطي بالبحرين، ويأمرُه بإحراق المساجد والمصاحف، وأبوه وهو جرَّأا أبا طاهر على ما فعل بالحاج بمكة.

ولمَّا كثُر فِسقُه وفُجوره اجتمع أهل الجبال على رجلٍ من الإباضِيَّة يقال له: أبو يزيد مَخْلَد بن كَيْداد، وكان شيخاً ضعيفاً لا يقدرُ على ركوب الخيل، فركب حماراً، وكان وزيرُه أعمى، فسار إلى المَهْدية فحَصَر محمداً بها حتى مات كما ذكرنا، وخلَّف من الولد سبعةَ ذكور وأربع بنات، وأقام بعده ولده إسماعيل المنصور.

والإباضية فرقةٌ من الخوارج، وهم أصحاب عبد الله بن يحيى بن إباض، خرج في أيام مروان بن محمد، وانتشر مذهبُه بالمغرب والجبال، ومذهبه أنَّ أفعال العباد مَخْلوقةٌ لهم، ويُكفِّر بالكبائر، وليس في القرآن خصوص، ومَن خالفه من أهل القبلة كفارٌ، وغنيمةُ أموالهم حلالٌ، وغير ذلك.

---

(١) الكامل ٨/ ٤٥٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٥ و٦٨٥، والسير ١٥/ ١٥٢، والمقفى للمقريزي ٦/ ١٦٩. وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٢) في تثبيت دلائل النبوة ٦٠١.

وفيها توفي

أبو بكر الشِّبْلي(١)

واختلفوا في اسمه ونسبه على أقوال؛ أحدها: جَحْدر بن دُلَف، والثاني: دُلَف بن جَحْدر، والثالث جعفر بن يونس، حكى هذه الأقوالَ الثلاثة أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي، قال: وعلى قبره ببغداد مكتوب: جعفر بن يونس. والرابع: دُلَف بن جبغويه(٢)، والخامس: دُلَف بن جعفر(٣).

وأصله من أُشْرُوْسَنَة، من قرية يقال لها: شِبْليَّة.

وكان خالُه أميرَ الأمراء بالإسكندرية.

ولد الشِّبلي بسُرَّ مَن رأى، وكان صاحبَ الموفَّق أبي أحمد، فجعل طُعمته دُماوَنْد، وكان أبوه حاجبَ الحجَّاب للموفق.

[وذكره الخطيب وابن خَميس والسُّلمي وأثنَوا عليه، وذكره الحافظ ابن عساكر وقال:] كان فقيهاً على مذهب مالك بن أنس، وكتب الحديث الكثير، ثم صَدَف عن ذلك، ولزم العبادة حتى صار رأساً في المُتَعَبِّدين، ورئيساً في المجتهدين.

[ذكر طَرَفٍ من أخباره:]

قال السُّلَمي(٤): ولَّاه الموفَّق دُماوَنْد، فحضر يوماً مجلس خَيْر النَّسَّاج، فوقع كلامُه في قلبه فتاب، ومضى إلى دماوند فقال لأهلها: إنَّ الموفَّق ولَّاني بلدكم، وقد تُبت من الولاية، فاجعلوني في حِلٍّ، فبكوا وجعلوه في حِلٍّ.

---

(١) طبقات الصوفية ٣٣٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٦، تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٣، الرسالة القشيرية ١٠٧، المنتظم ١٤/ ٥٠، مناقب الأبرار ٢/ ٢٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٦٨٧، السير ١٥/ ٣٦٧، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٧.

(٢) في (خ م): جعونة.

(٣) في (خ): أبو بكر الشبلي رحمه الله الزاهد، واسمه جحدر بن دلف وقيل: دلف بن جحدر، وقيل: جعفر بن يونس، وقيل: دلف بن جعونة.

(٤) في (م ف م١): حكى السُّلمي قال، والمثبت من (خ).

وخرج عن الدنيا، وصحب الفقراء، وصار أوحدَ زمانه حالاً ومَقالاً، فكان الجُنَيد يقول: [لا] تنظروا إلى الشِّبلي بالعين التي ينظرُ بها بعضُكم إلى بعض، فإنَّه عينٌ من عيون الله.

ولكلِّ قومٍ تاجٌ، وتاج [هؤلاء] القوم الشِّبلي.

وقال القُشَيْري[(١)]: كان الشِّبلي نسيجَ وَحْده حالاً وظَرْفاً وعلماً، ومُجاهداتُه فوق الحدِّ.

وقال [: سمعت الأستاذ أباعلي] الدَّقَّاق [يقول]: بلغني أنَّه اكتحل بالمِلح ليَعتادَ السَّهَر.

وكان إذا دخل رمضان جَدَّ في الطَّاعات ويقول: هذا شهرٌ عظيمٌ، يجب على الناس تعظيمُه.

وقال الشِّبلي: خَلَّف أبي ستين ألف دينار سوى الضِّياع والعَقار، فأنفقتُها كلَّها، وقعدتُ مع الفقراء، حتى لا أرجع إلى مادّي، ولا أستَظْهِر بمعلوم.

وكتبتُ الحديث عشرين سنةً، وحفظتُ الموطَّأ، فلمَّا دخلتُ في الطريق غرَّقتُ الكلَّ في دجلة، وكانت كتبُه سبعين قِمَطْراً فألقاها في الماء.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] رأى الحقَّ تعالى في منامه وهو مقبلٌ عليه، وقال له: مَن نام غَفَل، ومَن غَفَل حُجِب، فكان لا ينام.

وقال: اكتحلتُ بمِيلٍ مُحَمًّى لئلاً أنام، ثم تمنَّيتُ النوم بعد ذلك، وأنشد: [من الوافر]

رأيتُ سرورَ قلبي في مَنامي ... فأحببتُ التَّنَعُّسَ والمَناما[(٢)]

---

(١) في (م ف م١): وقال أبو بكر القشيري، وهو خطأ، فإن كنيته أبو القاسم، انظر الرسالة ١٠٨، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٠.

(٢) في (م ف م١): فكان لا ينام إلا قليل، وحكى أنه كان بعد ذلك يتكلف النوم ويقول: رأيت سرور... وكان يقول: اكتحلت بميل محمى لئلا أنام ثم تمنيت النوم بعد ذلك، والمثبت من (خ).

وهذا الخبر الذي نقله عن مناقب الأبرار هو فيه ٢/ ٣٩، وفي الرسالة القشيرية ٥٦٠ ولفظه: وقال الشبلي: اطلع الحق تعالى علي فقال: من نام غفل، ومن غفل حجب، فكان الشبلي يكتحل بالملح بعد ذلك حتى لا ينام، وأنشد في المعنى:

=

ودخل أبو بكر بن مجاهد عليه[١] فسأله الشِّبلي عن حاله فقال: أختمُ كلَّ يومٍ خَتمتَين، فقال له الشِّبلي: أيُّها الشيخ، قد ختمتُ في تلك الزاوية ثلاثة عشر ألف خَتْمة، إن كان فيها شيءٌ قد قُبل فهو لك، وإنِّي لفي خَتْمَةٍ منذ ثلاث وأربعين سنةً ما انتهيتُ إلى رُبعها.

وأعرف رجلاً[٢] ما دخل في هذا الشأن حتى أنفق جميع ما يَملكه، وغَرَّق في دِجلة سبعين قِمَطْراً بخطِّه، وجالس الفقهاء عشرين سنةً، يعني نفسَه.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: اعتقدتُ أن لا آكلَ إلا من الحلال، فخرجتُ أدور في البَرِّيَّة، فإذا شجرةُ رُمَّان، فمددتُ يدي لآخذَ منها رُمَّانةً، فنادتني الشجرةُ: احفظ عَقدك فإنِّي ليهودي.

وقال: رأيتُ رجلاً في السَّاحل عليه عَباءةٌ قد خَلَّها في عُنقه بخلال، فقلت: ما اسمُك؟ فقال: أبو مُدافِع الأوقات.

قال: وكنتُ جالساً في الزَّاوية، فخطر في خاطري أنِّي بخيل، فقلتُ: مهما فُتِح عليَّ اليوم دفعتُه لأول فقير يلقاني، فبينا أنا في هذا الخاطر إذ دخل عليَّ رجلٌ من أصحاب مؤنس الخادم ومعه خمسون ديناراً، فقال: استَنْفق هذه في مَصالحك، فأخذتُها وخرجتُ، وإذا بفقير مَكفوفٍ في عَباءة بين يدي مُزَيِّن يحلق رأسَه، فناولتُه الصُّرَّة فقال: ناوِلْها للمُزَيِّن، فقلتُ: إنَّها دنانير، فقال: أوليس قد قيل لك إنك بخيل؟ فناولتُها للمزين، فقال [المزيِّن]: أنا إذا قعَد بين يديَّ فقيرٌ لا آخذُ منه أُجرةً، فأخذتُ الصُّرَّةَ، ورميتُ بها في دجلة وقلت: ما أَعزَّك أحدٌ إلا أذلَّه الله تعالى[٣].

= عجباً للمحب كيف ينام كل نوم على المحب حرام

وأما الذي ساقه المصنف من أن الشبلي قال: ثم تمنيت النوم بعد ذلك وأنشد: رأيت سرور... فإنما هو لشاه ابن شجاع الكرماني كما في الرسالة القشيرية ٥٦٠، ومناقب الأبرار ١/ ٣٩٩، ولفظه: تعوّد شاه الكرماني السهر، فغلبه النوم مرة، فرأى الحق سبحانه في النوم، فكان يتكلف النوم بعد ذلك، فقيل له في ذلك فقال: رأيت سرور قلبي...

(١) في (م ف م١): وقال الخطيب دخل أبو بكر بن مجاهد على الشبلي، والمثبت من (خ)، والخبر في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٨.

(٢) في (م): وإني لأعرف.

(٣) الأخبار الثلاثة في مناقب الأبرار ٢/ ٣٩، ٤٢، ٤٤.

[وقال الخطيب:] كان للشبلي في كلِّ جُمعةٍ [في الجامع] نظرةٌ وبعدها صَيْحة، فصاح يوماً فتشوَّش مَن حوله، وكانت حَلْقتُه إلى جانب أبي عمران الأَشْيب، فقال الشّبلي: ما للناس؟ فقيل له: قد تَشوَّشوا من صَيحتك وحَرِد أبو عمران، فقام الشبلي وجاء إلى حَلْقة أبي عمران، فقام إليه وأجلسه إلى جانبه، فأراد بعضُ أصحاب أبي عمران أنْ يُسكِتَ الشبلي [ويبين للناس أنه جاهل]، فقال له: يا أبا بكر إذا اشتبه على المرأة دمُ الحيض بدم الاستحاضة كيف تصنع؟ فأجاب [الشبلي] بثمانية عشر جواباً، فقام أبو عمران فقبَّل رأسَه وقال: يا أبا بكر أعرفُ اثني عشر جواباً، وستةً ما سمعتُها قطُّ(١).

وقال الشبلي(٢): مررتُ بالشام براهبٍ، فقلتُ: لمن تعبد؟ فقال: لعيسى، قلت: ولم؟ قال: لأنَّه أقام أربعين يوماً لم يأكل ولم يشرب [ولم ينم]، فقلت: استوفها مني(٣)، وأقمتُ تحت صومعته أربعين يوماً لم آكل ولم أشرب ولم أنم، فنزل وأسلم.

وقال: [قال الشبلي:] خرجتُ إلى الشام في قافلة، فخرج علينا قُطَّاع الطريق، فأخذوا المال، وقعدوا يأكلون السكر باللوز، ورئيسُهم جالس لا يأكل، فقلتُ له: لم لا تأكل؟ فقال: إنِّي صائمٌ، فقلتُ: تقطعُ الطريق، وتُخِيْف السبيل، وتَسفِكُ الدَّم الحرام، وتأخذ المال، وتقول: إنِّي صائم؟ فقال: نعم، أجعلُ للصُّلح مَوضعاً.

ومضى زمانٌ، فحججتُ [سنةً]، فبينا أنا في الطَّواف إذا به يطوف مُحْرِماً مُلَبياً، فتأملتُه وقلتُ: أنت صاحبي في يوم كذا وكذا [وفي مكان كذا وكذا]؟، قال: نعم، قلتُ: ما الذي أوصلك إلى ها هنا؟ قال: ذاك الصَّوم الذي رأيت(٤).

وحكى الحافظ ابن عساكر عن محمد بن عمر قال(٥): كنتُ عند أبي بكر ابن مُجاهد المقرئ، فجاء الشِّبلي، فقام إليه واعتنقه وقبَّل ما بين عينيه فقلت له: تفعل هذا وأنت وجميعُ أهل البلد يقولون: إنَّه مجنون، وأنت لا تقوم لعلي بن عيسى الوزير وتقوم

---

(١) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٨.

(٢) في (م ف م١): وحكى السلمي عن الشبلي أنه قال، والمثبت من (خ) والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٨.

(٣) في مختصر تاريخ دمشق: فقلت له: ومن يعمل ذلك يستحق العبادة له؟ قال نعم، فقلت: فاستوفها مني.

(٤) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٦٩.

(٥) في (خ): وقال محمد بن عمر، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٢، وبرواية أخرى في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٠.

لهذا؟! فقال: أفعلُ كما رأيتُ رسول الله ﷺ [يفعل، رأيت رسول الله ﷺ] في المنام وقد أقبل الشبلي، فقام إليه واعتنقه، وقبَّل ما بين عينيه، ثم التفتَ إليَّ وقال: يا أبا بكر، هذا رجلٌ من أهل الجنة فأكرِمْه، فقلتُ: يا رسول الله، بم استحقَّ الشبلي منك هذا؟ فقال: منذ ثمانين سنةً يقرأ عقيب صلاته: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ الآية [١٢٨: التوبة].

وقال الشبلي(١): رأيتُ مَعتوهاً يوم جُمعةٍ عند جامع الرُّصافة قائماً عُرياناً وهو يقول: أنا مجنون، فقلتُ له: لِمَ لا تدخل الجامع وتتوارى وتُصلِّي؟ فقال: [من الطويل]

يقولون زُرْنا واقْضِ واجبَ حَقِّنا ... وقد أسقَطتْ حالي حقوقَهمُ عنِّي
إذا ما رأوا حالي ولم يأنَفوا لها ... ولم يأْنَفوا منها أنِفْتُ لهم منِّي

وحكى الخطيب عن عيسى بن علي بن عيسى الوزير قال(٢): كان ابن مجاهد يوماً عند أبي إذ دخل الشبلي، فقال ابن مجاهد لأبي: الساعةَ أُسكتُه، وكان من عادة الشبلي إذا لبس شيئاً خرَّق فيه موضعاً، فقال له ابن مجاهد: يا أبا بكر، أين في العلم إفسادُ ما يُنتَفَع به؟ فقال: يا أبا بكر، فأين في العلم ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٢٣]؟ فسكت ابن مجاهد، فقال له أبي: أردتَ أن تُسكتَه فأسكتك، ثم قال له الشبلي: قد أجمع الناس على أنَّك مُقرئ الوقت، فأين في القرآن أنَّ المحبَّ لا يُعذِّب حبيبه؟ فقال: ما أدري، فقال: في قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨] لمَّا ادَّعت اليهود والنصارى أنهم أبناء الله وأحباؤه ردَّ عليهم، وهذا دليلٌ على أنَّه لا يعذِّب أحباءه، فقال ابن مجاهد: ما كأنِّي سمعتُها قط.

[وحكى الخطيب: أنَّ الشبلي مرَّ بطنجير الحَلاوي وهو يفور، فأدخل يده فيه، وأخرج منه ما ملأ رُقاقتَين، في حكاية طويلة(٣).

(١) في (م ف م١): وحكى ابن سمعون قال: سمعت الشبلي يقول، والمثبت من (خ)، والخبر في المنتظم ١٤/ ٣٣.
(٢) في (خ): وقال عيسى بن علي بن عيسى الوزير، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٧.
(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٠.

وحكى الحافظ ابن عساكر عن أبي الحسين بن سَمْعون قال:] اعتلَّ الشبلي[١]، فبعث إليه المقتدر أو علي بن عيسى الوزير طبيباً نصرانيًّا، فتردَّد إليه أياماً، فقال له الطبيب: والله لو علمتُ أنَّ شفاءك في قَرْض لحمي لقرضتُه، فقال: شفائي في قَطْع زُنَّارك، فقطع زنَّاره وأسلم، [فبرئ الشبلي] وقام يمشي، فبلغ المقتدر فقال: أَنفَذْنا طبيباً إلى مريضٍ، وما علمنا أنَّا أنفذنا مريضاً إلى طبيب.

نبذة من كلامه[٢]:

[قال الخطيب: حدثنا محمد بن أحمد بن أبي الفوارس، حدثنا الحسين بن أحمد الصفَّار قال:] سئل الشبلي [وأنا حاضر] أيُّ شيءٍ أعجبُ؟ فقال: قلبٌ عرف ربَّه ثم عصاه[٣].

[وحكى أبو نعيم عن الشبلي أنه] قال: ليس للأعمى من الجوهر إلا مسُّه، وليس للجاهل من الله إلا ذكرُه باللسان.

[وحكى عنه ابن باكويه أنه] قال[٤]: يا مَن باع كلَّ شيء بلا شيء، واشترى لا شيء بكلِّ شيء.

وقال: ليس مَن استأنس بالذِّكر كمَن استأنس بالمذكور.

وقال: أفلا سَخاءٌ بحنين، أفلا رنَّةٌ بأنين من قلب حَزين، أفلا شاربٌ بكأس العارفين، أفلا مُستيقظٌ من سِنة الغافلين، يا مسكين ستَقَدَمُ فتعلم، وينكشف الغطاء فتندم.

وقال: أمهلك فتناسَيت، وأسقطك من عينه فما باليَت، وللحقوق ما أدَّيت، وكم أراك عبرةً وتعامَيت.

وكان يقول: ليتَ شعري ما اسمي عندك يا علَّامَ الغيوب؟ وما أنت صانعٌ في ذنوبي يا غفار الذنوب؟ وبم تَختِمُ عملي يا مقلِّبَ القلوب.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وبدله في (خ): وقال أبو الحسين بن سمعون، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٥-١٧٦.

(٢) في (م ف م١): ذكر المختار من كلامه.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٥.

(٤) ما بين معكوفات من (ف م م١).

وقال: إذا وجدتَ قلبك مع الله فاحذَرْ من نفسك، وإذا وجدتَ قلبك مع نفسك فاحذر من الله.

[وقال ابن باكويه: كان الشبلي يقول: أحبَّكَ الناس لنعمائك، وأنا أُحبُّك لبلائك.]

وقال الخطيب: حدثنا علي بن محمود الزُّوزني قال: سمعتُ عليَّ بن المُثَنَّى التَّميمي يقول: دخلتُ[1] على الشبلي في دارِه يوماً وهو يهيج ينشد: [من الهزج]

علـى بُـعْـدِكَ لا يـصـبـ ـرُ مَـن عـادَتُـه الـقُـرْبُ
ولا يَـقْـوى عـلـى حَـجْـبِـ ـكَ مَـن تـيَّـمَـه الـحـبُّ
فـمَـهْـلاً أيُّـهـا الـسَّـاقـي فـقـد أسـكـرنـي الـشُّـربُ
فـإن لـم تَـرَكَ الـعـيـنُ فـقـد يُـبـصـرُكَ[2] الـقـلـبُ

وقال الشبلي[3]: إذا أردتَ أن تنظرَ إلى الدُّنيا بحَذافيرها فانظر إلى مَزْبَلَة، وإذا أردتَ أن تنظر إلى نفسك فخُذْ كفًّا من تُراب وقل: أنا هذا، [وفي رواية:] إذا أردتَ أن تنظُرَ إلى مَن أنت فانظر إلى ما يخرج منك.

[وحكى ابن خميس عن الشبلي في «المناقب» قال:] قيل له: إنَّ أبا تراب النَّخْشَبي جاع يوماً في البادية، فرأى البريَّةَ كلَّها طعاماً بين يديه، فقال الشبلي: عبد رُفِقَ به، ولو بلغ إلى مَحَلِّ التحقيق لكان كما قال صلى الله عليه وسلم: «أظلُّ عند ربي فيُطْعمُني ويَسقيني»[4].

وقال: تلطَّفت الأرواحُ فتعلَّقت بلَذَعات الحقائق، فلم تَرَ غيرَ الحقِّ معبوداً يستحقُّ العبادة، وتيقَّنت أنَّ المُحدَث لا يُدرك القديمَ بصفاتٍ مَعلولة.

وقال عبد الله بن محمد الدِّمشقي: كنتُ واقفاً على حَلْقة الشبلي وهو يبكي ولا يتكلَّم، فناداه بعضُ الحاضرين: ما هذا البكاء كلُّه؟ فأنشد الشبلي: [من الوافر]

---

(١) في (خ): وقال علي بن المثنى التميمي دخلت، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٧.
(٢) في (ف م م١): أبصرك.
(٣) في (م ف م١): وحكى الخطيب عنه أنه قال، والمثبت من (خ)، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٦.
(٤) مناقب الأبرار ٢/ ٢٩، وأخرج الحديث البخاري (١٩٦١-١٩٦٥)، ومسلم (١١٠٢-١١٠٥) عن أنس وابن عمر وأبي سعيد وعائشة وأبي هريرة ﷺ.

إذا عـاتَـبْـتُـه أو عـاتَـبوه شَـكـا فِـعْـلـي وعَـدَّد سيِّـئـاتـي
أيـا مَـن دهـرُه غـضَـبٌ وسُـخْـطٌ أما أحـسـنـتُ يـومـاً فـي حيـاتـي

[وقال في «المناقب»:] وسئل عن الزُّهد فقال: تحويلُ القلب من الأشياء إلى ربِّ الأشياء.

وقال: مَن عَرف الله خَضَع له كلُّ شيء؛ لأنَّه عاين آثار صُنعه فيه.

وقال: ليس يَخْطُر الكونُ وما فيه ببال مَن عَرَف المُكَوِّن.

وقال له رجل: ادعُ لي، فقال: [من الطويل]

مضى زمنٌ والناس يَسْتَشفعون بي(١)

وقيل له: نراك جَسيماً والمَحبَّة تقتضي الضَّنى؟! فقال: [من المنسرح]

أَحَبَّ قـلـبـي ومـا دَرى بَـدَنـي ولـو دَرى مـا أقـام فـي الـسِّـمَـنِ

وكان يقول: أعمى الله بَصَراً لا يراني، ولا يرى آثارَ القُدرة فيَّ، فأنا أحدُ آثار القُدرة، وأحدُ شواهد العَظَمة والعِزَّة، لقد ذَلَلْتُ حتى عزَّ فيَّ كلُّ ذليل، وعَزَزْتُ حتى ذَلَّ(٢) فيَّ كلُّ عَزيز(٣).

وقال له الجُنَيد يوماً: يا أبا بكر، لو رَدَدْتَ أمرَك إلى الله لاسترحتَ، [فقال له: يا أبا القاسم، لو ردَّ الله إليك حالك لاسترحتَ] فقال الجنيد: سيوفُ الشبلي تَقْطُرُ الدَّم.

وقال الشِّبلي: ليس مَنِ احتَجَب بالخَلْق عن الحقِّ كمَن احتجَبَ بالحقِّ عن الخلق، وليس مَن جذَبَتْه أنوارُ قُدْسِه إلى أُنْسه كمَن جَذبتْه أنوارُ رَحمته إلى مَغفرته.

وكان كلَّ ساعةٍ يُنشد(٤): [من المتقارب]

ولـي فـيـك يـا حَـسـرتـي حَـسْـرةٌ تَـقَـضَّـى حـيـاتـي ومـا تَـنْـقـضـي

---

(١) تمامه: فهل لي إلى ليلى الغداة شفيع، والأقوال في مناقب الأبرار ٢/ ٢٩-٣٠.
(٢) في (ف م ١): حتى عرفني، وفي (م): عزَّ في، والمثبت من (خ)، وانظر مناقب الأبرار ٢/ ٣٠.
(٣) في (م ف م١): كل شيء عزيز.
(٤) في (م ف م١): وكان الشبلي كثيراً مما ينشد، والمثبت من (خ)، وانظر مناقب الأبرار ٢/ ٣١.

ووقف عليه رجلٌ وقال: يا جَواد، فتأوَّه الشبلي وقال: نعم، يا جواد يعلو على كلِّ جواد، وبه جاد مَن جاد، كيف أصِفُه بالجود ومَخلوقٌ يقال في حقِّه مثلُه: [من الطويل]

تعوَّدَ بَسْطَ الكفِّ حتى لو انَّه ... ثَناها لقَبْضٍ لم تُطِعْهُ أنامِلُهْ(١)

وأخَّر يوماً صلاةَ العصر إلى غروب الشمس، فقيل له: كادت الشمسُ أن تَغْرُب فأنشد: [من الوافر]

نَسيتُ اليومَ من عشقي صَلاتي ... فما أدري عشائي من غدائي

وذِكْرُك سيدي أكلي وشُرْبي ... ووجهُك إنْ رأيتُ شفاءُ دائي

وقال: كيف يصِحُّ لك التوحيد وكلَّما مَلَكتَ شيئاً مَلَكَك، وكلَّما أبصرتَ شيئاً أسرك؟

وقيل له: إلى ماذا تستريحُ قلوبُ المُشتاقين؟ فقال: إلى مُشاهدة من اشتاقوا إليه.

وقال: ما أحْوجَ الناس إلى سَكْرة تُفنيهم عن مُلاحظة(٢) نفوسهم وأحوالهم، ثم أنشد: [من الطويل]

وتَحسبُني حيًّا وإنِّي لَميِّتٌ ... وبعضي من الهِجْران يَبكي على بعضِ

فحتَّى متى روح الحَيا لا تَنالُني ... وحتَّى متى أيَّامُ سُخْطِك لا تَمْضي

وتشَوَّش مِزاجُه فأُدخل دار المَرضى ليُعالَج، فدخل عليه علي بن عيسى الوزير عائداً، فقال له الشبلي: ما فعل ربُّك؟ فقال: في السَّماء يَقْضي ويُمضي، فقال: ما سألتُك عن الربِّ الذي لا تعبدُه، وإنَّما سألتُك عن الربِّ الذي تعبده، يُريد المُقتدر.

ودخل عليه أصحابه فقال: مَن أنتم؟ فقالوا: أحبابك، فأخذ يَرميهم بالحصا فهربوا فقال: لو كنتُم أحبابي لصبرتم على عَذابي [، وفي رواية: لو كنتم أحبابي لرضيتم ببلائي].

---

(١) طبقات الصوفية ٣٤٦، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٧٣، ومناقب الأبرار ٢/ ٣١، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٧٧، والبيت لأبي تمام، انظر ديوانه ٣/ ٢٩ (بشرح التبريزي).

(٢) في (م ف م١): مشاهدة.

وقال خير النَّسَّاج: كنَّا في المسجد، فجاء الشبلي وهو في سُكْره، فنظر إلينا ولم يُكلِّمنا، ثم هجم على الجُنَيد في بيته وهو جالس مع زوجته وهي مكشوفة الرأس، فهمَّت أن تُغطِّيَ رأسَها، فقال لها الجنيد: لا عليك أن تُغَطِّيه فإنَّ الشبلي ليس ها هنا، فصفَّق بيديه على رأس الجنيد وقال: [من الخفيف]

عَوَّدوني الوصالَ والوَصْلُ عَذْبٌ ورَمَوني بالصَّدِّ والصَّدُّ صَعْبُ
زعموا حين أَعْتَبوا أنَّ جُرْمي فَرْطُ حبِّي لهم وما ذاك ذَنْبُ
لا وحُسْن[1] الخضوع عند التَّلاقي ما جَزا مَن يُحِبُّ ألَّا يُحَبُّ

فقال الجنيد: هو ذاك يا أبا بكر، ثم بكى الشبلي بكاءً شديداً، فقال الجنيد لزوجته: غَطِّي رأسك فقد أفاق.

وسئل عن قوله تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] فقال: ادعوني بلا غَفْلَة، أَستجِبْ لكم بلا مُهْلَة.

وقال: ليس القبورُ قبورَ الأموات بل القبورُ أنتم؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ منكم مقبورٌ في قَبْر شَهَواته، مَدْفونٌ في لَحْد إرادته وأنشد: [من الطويل]

قبورُ الوَرى تحت التُّراب وللهوى رجالٌ لهم تحت الثِّياب قبورُ
وعندي دموعٌ لو بَكَيتُ ببعضها لفاضَتْ بحورٌ دونَهنَّ بحورُ

وسئل: لِمَ تَصْفَرُّ الشمس عند الغروب؟ فقال: لأنَّها عُزِلَت عن مَقام التَّمام، فاصفرَّت لخَوْف المَقام، وكذا المؤمن إذا قارَبَت روحُه الخروجَ يَصفرُّ، فإذا بُعث خرج من قبره ووجهُه يُشرِقُ كما تُشرق الشمس إذا طَلَعت.

وقال له رجلٌ: أشكو إلى الله وإليك كثرةَ العيال، فقال: اذهب إلى بيتك وانظر مَن كان رزقُه عليك فأخرجه.

وقال أليس الحقُّ سبحانه يقول: «أنا جَليسُ مَن ذَكَرني»[2]؟ فما الذي استفدتُم من مُجالَسته؟

---

(١) في (خ ف): لا وحق، والمثبت من (م م١)، وهو موافق لما في حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٧، ومناقب الأبرار ٢/ ٣٥، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٣.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف (١٢٣١) و(٣٥٤٢٨) عن كعب الأحبار قال: قال موسى: أي رب، أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك؟ قال: يا موسى أنا جليس من ذكرني. =

وقال: الغَيرةُ غيرتان، غَيرةُ البشرية على النفوس، وغَيرة الإلهية على القلوب.

ودخل مسجداً ليصلّي، فقرأ الإمام: ﴿وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] فزَعَق الشبلي زَعْقةً كادت روحه أن تطير من بدنه، وقال: أبمثل هذا تُخاطب الأحباب.

وسمع منادياً ينادي [على الخيار]: الخيار عشرةٌ بدانِق، فصاح وقال: إذا كان الخيار [كذا] فكيف الأشرار؟.

وقال: المحبُّ إذا سكت هلك، والعارف إذا سكت مَلَك.

وكان يقول لأصحابه: إنْ خطَرَ ببالكم من اليوم الذي أتكلَّم عليكم فيه إلى اليوم الآتي مثلُه غَيْر الله فحرامٌ عليكم سماعُ كلامي.

وكان أبو الحسن بن بشار ينهى الناسَ عن مجلس الشبلي، فالتقاه يوماً فقال له: يا أبا بكر، كم في خمسٍ من الإبل؟ فقال: عندكم أو عندنا؟ فقال: وكيف؟ فقال: أمّا عندكم فشاةٌ، وأما عندنا فالكُلُّ، قال: ومن أين أخذتَ هذا؟ قال: من أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، خرج عن ماله كلِّه، فقال له النبي ﷺ: ما أبقيتَ لعيالك؟ فقال: اللهَ ورسولَه. فكان ابن بشار بعد ذلك يَحْضُر مجلسه.

وسئل عن قوله تعالى: ﴿قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّواْ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ﴾ [النور: ٣٠] فقال: أبصارُ الرؤوس عمّا حرَّم الله، وأبصارُ القلوب عمّا سوى الله.

وسمع قارئاً يقرأ[1]: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩] فقال: يا سيدي، املأها من الشبلي واعفُ عن عَبيدك.

وخرج يوماً وعليه ثيابٌ مُخَرَّقة، فقيل له: ما هذا[2]؟ فأنشد: [من الطويل]

ويوماً ترانا في الثَّريد نَبُسُّه ويوماً ترانا نأكلُ الخُبْزَ يابِسا

= وأخرجه الدينوري في المجالسة (٢٣٦٢) عن عبيدة قال: لما كلم الله موسى...

وفي صحيح البخاري (٧٤٠٥)، ومسلم (٢٦٧٥) ما يغني عنه، فقد أخرجا عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه إذا ذكرني، فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي...» الحديث.

(١) في (خ): قائلاً يقول، والمثبت من (م ف م١).

(٢) في (م): ما هذا الذي أنت فاعله؟

ويوماً ترانا في الخُزوز نَجُرُّها ويوماً ترانا في الحديد عَوابِسا[(١)]

وحضر ليلةً سماعاً فتحرَّك، فقيل له: ما بال هؤلاء [لا] يتحرَّكون؟ فأنشد: [من الكامل]

لو يَسمعون كما سمعتُ كلامَها[(٢)]

وقال: المَعارف تبدو فتُطْمِع، ثم تخفى فتؤنس الطَّامع، وتُطمع الآيس، وأنشد يقول: [من الطويل]

أظلَّتْ علينا منك يوماً سحابةٌ أضاءتْ لنا بَرْقاً وأبطا رَشاشُها

فلا غيمُها يَجلو فييأسَ طامعٌ ولا غَيثُها يأتي فيُروى عِطاشُها[(٣)]

وكان إذا دخل عليه خادم يقول: هل عندك خَبَرٌ، هل عندك أَثَر؟ ثم ينشد: [من الطويل]

أُسائلُكمْ عنها فهل من مُخَبِّرٍ بأنَّ له علماً بها أين تنزلُ

ثم يقول: لا وعِزَّتك ما في الدارَين عنك مُخَبِّرٌ.

وكان ينشد: [من الطويل]

أُسائلُكمْ عنها فهل من مُخَبِّرٍ فما لي بنُعْم بعد مُكْثَتنا علمُ

فلو كنتُ أدري أين خَيَّم أهلُها وأيَّ بلاد اللّه إذْ ظَعَنوا أَمُّوا

إذاً لسَلَكْنا مَسْلَكَ الرِّيح خلفَها ولو أصبحتْ نُعْمٌ ومن دونها النَّجمُ[(٤)]

وقال ما ظَنُّك بمَعانٍ هي شموس، بل الشُّموس فيها ظُلْمة[(٥)]، وأنشد: [من الطويل]

إذا ما دَجاها الليلُ كنَّا كواكباً جُلوساً حوالَيْها وكانت هي البَدْرُ

---

(١) مناقب الأبرار ٢/ ٤٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩١، والخزوز جمع خَزّ، وهو ثوب الحرير.

(٢) مناقب الأبرار ٢/ ٤٤، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٩، وتمام البيت:

خرّوا لعزَّةَ رُكَّعاً وسجودا

وهو لكثير عزة، انظر ديوانه ١١٣.

وجاء تمام البيت في (ف): ذابت قلوبهم لذاك المسمع.

(٣) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٤، ومناقب الأبرار ٢/ ٤٥.

(٤) الخبران في مناقب الأبرار ٢/ ٤٥، ٤٧، ومختصر تاريخ دمشق ١٧٩، ١٨٠.

(٥) في (خ): ما ظنك بمضي الشموس فيه ظلمة، وليست في (م ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من مناقب الأبرار ٢/ ٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٨.

وقيل له: هل يُعرَفُ المُحبُّ أنَّه مُحب؟ فقال: نعم، إذا كَتَمَ حُبَّه فظهرت شواهُده عليه، وأنشد: [من البسيط]

قد سَحَّب الناسُ أذيالَ الظُّنون بنا … وفرَّق الناس فينا قولَهم فِرَقا

فكاذبٌ قد رَمى بالظنِّ غيرَكم … وصادقٌ ليس يَدري أنَّه صَدقا[1]

وقال يوماً لأصحابه: أليس أنا عندكم مجنون وأنتم أصِحَّاء، زاد الله في جنوني، وزاد [الله] في صِحَّتكم، وأنشد يقول: [من البسيط]

قالوا جُنِنْتَ بمَن تَهوى فقلتُ لهم … ما لَذَّةُ العيشِ إلا للمجانين[2]

وقيل له [يوما]: ما الحِيلة؟ فقال: تركُ الحيلة، وأنشد: [من الطويل]

تداويتُ من ليلى بليلى من الهوى[3]

وسئل عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾ [آل عمران: ٩٧] فوصَفَ أوصافاً لم يَضْبِطْها أهلُ المَجلس، وأنشد: [من الخفيف]

لستُ من جُملة المُحبِّين إن لم … أَدَعِ القلبَ بيتَه والمَقاما

وطَوافي إجالَةُ السرِّ فيهِ … وهو رُكْني إذا أردتُ استلاما

وقيل له: مات بعضُ أصحابك وَجْداً، فأنشد: [من الطويل]

قضى الله في القَتْلى قِصاصَ دمائهم … ولكنْ دِماءُ العاشقين جُبارُ

وقال: ضاقت عليَّ أوقاتي ببغداد، فخطر في خاطري النُّزول إلى البصرة، فنزلتُ في سُماريّة، فلمَّا حاذينا تاج[4] الخليفة إذا بجارية تُغَنِّي وتقول: [من الطويل]

أيا قادماً من سَفْرة الهَجْر مرحباً … أنا ذاك لا أنساك ما هَبَّت الصَّبا

قَدِمتَ على قلبي كما قد تركتَه … كئيباً حزيناً بالصَّبابة مُتْعَبا

---

(١) من قوله: وقال: المعارف تبدو فتطمع... إلى هنا ليس في (ف م ا)، والقول والشعر في مناقب الأبرار ٢/ ٤٦، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٨٢.

(٢) حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٢، ومناقب الأبرار ٢/ ٤٧، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩٤.

(٣) مناقب الأبرار ٢/ ٤٨ وتمامه: كما يتداوى شارب الخمر بالخمر.

(٤) في (ف): دار، والتاج اسم دار من دور الخلافة مشهورة ببغداد. انظر معجم البلدان ٢/ ٣.

فطرحتُ نفسي في دجلة والمقتدر يراني، فقال: أدركوه، فأخرجوني في آخر رَمَقٍ، فأحضرني عنده وقال: يا أبا بكر، يبلُغنا عنك أعاجيبُ؟! فحدَّثته بما خَطَر لي[1].

[وحكى السُّلميّ قال:] صنع ابنه أبو الحسن سماعاً للفقراء، فقالوا: لا يدخل علينا أبوك، فبينا هم كذلك إذ دخل الشبليُّ وبين أصابعه شَمْعٌ صغار، بين كلِّ أُصبعين شمعةٌ، ثمان شمعات، فاحتشموه، فقال: يا سادة مالكم؟ احسِبوني طِسْت شَمْعٍ، ثم قال للقَوَّال: قل، فقال: [من الهزج]

فَلَمَّا عايَنَ الحِيْرَ ... ةَ حادي جَمَلي حارا
فقلتُ احْطُطْ بها رَحْلي ... ولا تَغْبأ بِمَن سارا

فتغيَّر وجهُه، ورمى الشَّمْعَ، وقام فخرج.

وخرج يوم عيد إلى المصلَّى، وعليه ثيابٌ زُرقٌ وسودٌ، وهو يبكي ويَنوح، فاجتمع الناس إليه، وسألوه عن حاله، فأنشد: [من البسيط]

تَزَيَّن النَّاسُ يوم العيد للعيد ... وقد لَبِسْتُ ثيابَ الزُّرق والسُّودِ
والناس بالعيد قد سُرُّوا وقد فَرحوا ... وما فرِحتُ وربِّ العيدِ بالعيد
وأصبح الناسُ قد سُرُّوا بعيدهم ... ورحتُ فيك إلى نَوْحٍ وتَعْديد
فالناسُ في فَرَحٍ والقلبُ في تَرَحٍ ... شتَّان بيني وبين الناس في العيد

وأنشد أيضا [في المعنى] يقول: [من المجتث]

للناس فِطْرٌ وعيدُ ... إنِّي فريدٌ وَحيدُ
يا غايتي وسُروري ... إنْ تَمَّ لي ما أُريدُ

وأنشد أيضا: [من الهزج]

إذا ما كنتَ لي عيداً ... فما أصنعُ بالعيد
جَرى حبُّكَ في قلبي ... كَجَرْيِ الماء في العود

وأنشد أيضاً [في معناه]: [من البسيط]

الناسُ بالعيد قد سُرُّوا وقد فَرِحوا ... وما فَرِحتُ به والواحدِ الصَّمَدِ
لمَّا تيقَّنْتُ أنِّي لا أُعاينُكم ... غَمَّضْتُ طَرْفي فلم أنظُر إلى أحدِ

(١) الأخبار الثلاثة في مناقب الأبرار ٢/ ٤٨ ـ ٤٩، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ١٩٠ ـ ١٩١.

وأنشد أيضاً: [من البسيط]

عيدي مُقيمٌ وعيدُ الناس مُنصَرِفُ ... والقلب منِّي عن اللَّذات مُنْحَرِفُ
ولي قَرينانِ ما لي منهما خَلَفٌ[1] ... طولُ الحنين وعينٌ دَمعُها يَكِفُ

وأنشد أيضاً: [من الخفيف]

ليس عيدُ المحبِّ قَصْدَ المُصَلَّى ... وانتظارَ الخطيبِ والسلطانِ
إنَّما العيدُ أن يكون لدى الحِبْـ ... ـبِ سعيداً مُقَرَّباً في أمانِ

وخرج وقد غيَّر ثيابه في يوم عيد، فقيل له: الناسُ يتزيَّنون اليومَ وأنت قد غيَّرت مَلْبُوسَك؟ فقال: [من البسيط]

قالوا أتى العيدُ ماذا أنت لابِسُه ... فقلتُ خِلْعَةُ ساق جُبّةُ جَزَعا
فَقْرٌ وصَبرٌ هما ثوباي تحتهما ... قلبٌ يَرى إِلْفَهُ الأعيادَ والجُمَعا
الدهرُ لي مَأْتَمٌ إن غِبْتَ يا أَمَلي ... والعيدُ ما دُمتَ لي مَرْأًى ومُستَمَعا
أحْرى الملابسِ أن تلقى الحبيبَ به ... يومَ التَّزاورِ في الثَّوب الذي خَلَعا

واجتمع إليه الناسُ وسألوه الدعاء فقال: اضْرِبْهُم بسياط الخوف، أَقْبِلْ بهم بأَزِمَّة الشَّوق، أَغِثْهم بمُلاحظات الفُهوم، كُنْ لهم كما كنتَ لمَن لم تكن له بأنْ صِرتَ كُلاًّ له[2].

ذكر وفاته:

دخل قومٌ على الشِّبلي في مرض موته فقالوا: كيف تجدُك؟ فقال على البَديه هذه الأبيات: [من مجزوء الخفيف]

إنَّ سُلطانَ حُبِّه ... قال لا أقبلُ الرِّشا
فَسَلوه فَدَيْتُهُ ... لِمْ بقتلي تَحرَّشا[3]

وحكى الخطيب عن جعفر بن نُصَير [أن بكران][4] الدِّيْنَوَري ـ وكان يخدمه ـ قيل له: ما الذي رأيت منه ـ يعني عند وفاته ـ فقال: قال لي: عليَّ درهمٌ مَظْلَمة، وقد

(١) في (م): بدل.
(٢) من قوله: وخرج وقد غير ثيابه... إلى هنا ليس في (م ف م١).
(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١، وقد أثبت في هذا الخبر سياق النسخ (م ف م١) لتمامه ووضوحه.
(٤) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧١.

تصدَّقتُ عن صاحبه بألوف، فما على قلبي شُغلٌ أعظمُ منه، ثم قال: وضِّئني للصلاة، ففعلتُ، ونسيتُ تخليلَ لحيته، وقد أُمسكَ على لسانه، فقبض على يدي وأدخلَها في لحيته، ثم مات [رحمه الله]. وبكى جعفر وقال: ما تقولون في رجل لم يَفُتْه أدبٌ من آداب الشريعة في آخر عُمُره.

وقال [الخطيب: قال] أبو نَصْر الهَرَوي: كان الشبلي يقول: إنَّما يُحفَظ هذا الجانبُ من الدَّيالِمَة بي، يعني الجانب الشَّرقي من بغداد، فمات الشبلي يوم الجمعة، وعَبَرت الدَّيالمة يوم السبت إلى الجانب الشرقي.

وقال بُكير خادمه[1]: وَجَد الشبلي خِفَّةً يوم الجمعة من وجعٍ كان به سَلْخ ذي الحجة [سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة]، فقال لي: يا بُكير، تعزم [إلى] الجامع؟ قلتُ: نعم، فخرجنا واتَّكأ على يدي، فلمَّا حصلنا في الورَّاقين من الجانب الشرقي تلقَّانا رجلٌ شيخ، فقال الشبلي: غداً يكونُ لي مع هذا الشيخ شأنٌ من الشأن، فقلتُ: يا سيدي مَن هو؟ فقال: هذا المُقبِل[2]، وأومأ إليه بيده، وصلَّينا ورجعنا.

فلمّا كانت ليلة السبت قضى، فقيل: في موضع كذا وكذا من درب السَّقَّائين شيخٌ صالح يغسل الموتى، فجئتُ إلى بابه فطرقتُه، فقال لي من داخل الدار: مات الشبلي، ثم خرج فإذا هو الشيخُ الذي لقيناه بالأمس، فقلتُ: لا إله إلا الله! فقال: ما لك؟ فقلت: بالله يا سيدي، من أين لك أنَّ الشبلي قد مات؟ فقال يا أبْلَه، فمن أين يكون لي مع الشبلي شأنٌ من الشأن إلا اليوم[3]؟!

[وحدثنا غير واحد عن أبي القاسم الحَريري بإسناده، عن أبي القاسم النَّحاس قال: سمعتُ يوسف بن يعقوب الأصبهاني يقول: قال الأدمي القارئ: رأيتُ في المنام كأنَّ كلَّ مقبرة الخَيْزُران أهلها جلوسٌ على قبورهم، فقلتُ: مَن تنتظرون؟ قالوا: قد وُعِدنا

---

(١) في (م ف م١): وقال بكر خادم الشبلي، والمثبت من (خ). وانظر تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٢.
(٢) في (ف): شأن من الشأن ثم مضينا إلى الجامع وصلينا جميعاً فقلت يا سيدي من هو الذي تعنوه فقال هذا المقبل.
(٣) في (خ): إلى، والمثبت من (م ف م١)، وفي تاريخ بغداد ١٦/ ٥٧٢: شأن من الشأن اليوم. وانظر المنتظم ١٤/ ٥٢.

يَجيئنا رجلٌ يُدفَن عندنا، يَهَب الله مُحْسِنَنا ومُسيئنا له، فبَكَّرتُ وجلستُ في المقابر، وإذا بجنازة الشبلي، فدُفِن عندهم[١].

وكانت وفاته في ذي الحجَّة من هذه السنة، وقيل: في سنة خمس وثلاثين [وثلاث مئة]، مات هو وعلي بن عيسى الوزير في يوم واحد، وقيل: إنَّ عليًّا مات في السنة الآتية، وسنذكره هناك إن شاء الله تعالى.

ومات الشبليُّ وله سبعٌ وثمانون سنة، ودُفن بمقابر الخَيْزُران قريباً من مَشْهد أبي حنيفة، وعليه قُبَّةٌ، وقبره ظاهرٌ يُزار.

[وحكى ابن خَميس في «المناقب» أنه] رُئي في المنام فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: لم يُطالبْني بالبَراهين على الدَّعاوى إلا على شيءٍ واحد، قال: قلتُ يوماً: لا خَسارةَ أعظم من خُسْران الجنَّة ودخول النار، [فقال:] وأيُّ خسارةٍ أعظمُ من خُسران لقائي[٢]؟!

وقد ذكرنا أنَّه كتب الحديث الكثير، ولكنه اشتغل بحاله عن الرِّواية، وقد أخرج له الخطيب حديثاً عن أبي سعيد الخُدْريّ قال: قال رسول الله ﷺ لبلال: «اِلْقَ اللهَ فقيراً ولا تلْقَهُ غَنيًّا» قال: وكيف لي بذلك؟ فقال: «ما سُئلتَ فلا تَمنَع، وما رُزقتَ فلا تَجمع، أو لا تَخبأ»، فقال: يا رسول الله، وكيف لي بذلك؟ فقال: «هو ذاك وإلا فالنار»[٣].

---

(١) المنتظم ١٤/ ٥٢.

(٢) مناقب الأبرار ٢/ ٣٩ ـ ٤٠.

(٣) تاريخ بغداد ١٦/ ٥٦٤ ـ ٥٦٥، وطبقات الصوفية ٣٣٨ ـ ٣٣٩ من طريق طلحة بن زيد، عن أبي فروة الرهاوي يزيد بن سنان، عن عطاء، عن أبي سعيد، به.
وطلحة بن زيد منكر الحديث، ويزيد بن سنان ضعيف، انظر ميزان الاعتدال (٣٨٠٤) و (٩١٦٢).
وأخرجه الطبراني في الكبير (١٠٢١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء ١/ ١٤٩ ـ ١٥٠ من طريق طلحة، عن يزيد، عن أبي المبارك، عن أبي سعيد، به. وأبو المبارك، قال الذهبي في الميزان (٩٨٣٧): لا يدرى من هو، وخبره منكر.
وأخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٣١٦ من طريق الحسين بن موسى، عن أبي فروة الرهاوي قال: حدثنا أبي، عن أبيه، عن عطاء، عن أبي سعيد، به، قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الذهبي: واهٍ.

فصل

وقد أثنى عليه العلماء والأئمة، [منهم أبو عبد الرَّحمن السُّلمي، والقُشيري، والخطيب، وابن خَميس في «المناقب»، وابن باكويه وغيرهم] وشَنَّع عليه أقوامٌ بألفاظ تقتضي الشَّطح، منها أنَّهم قالوا عنه: إنَّه قال: كتبتُ الحديث والفقه أربعين سنةً حتى أسفَرَ الصُّبح، فجئتُ إلى كلِّ مَن كتبتُ عنه أُريد فِقْه الله فما كَلَّمني أحد.

وقال الشيخ أبو الفرج بن الجوزي: وقف عليّ بن مَهْدي على حَلْقة الشبلي وبيده مِحْبَرةٌ، فلمَّا رآها الشبلي أنشد: [من المتقارب]

تَسَرْبَلْتُ للحُزنِ ثَوبَ الغَرَق ... وهِمتُ[1] البلادَ لوَجْدِ القَلَقْ

وفيك هتكتُ قناعَ العزاء ... وعنك نَطَقْتُ لدى مَن نَطَقْ

إذا خاطَبوني بعلم الوَرَقْ ... بَرَزْتُ عليهم بعلم الخِرَقْ

وقال علي بن عَقيل: قال الشبلي: قال الله تعالى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى: ٥] قال: يُشفِّع محمداً ﷺ في أُمَّته، والله لا يرضى محمدٌ ﷺ وفي النار من أُمَّته أحد، ثم قال الشبلي: وأنا أشفَعُ بعده حتى لا يبقى في النار أحد[2].

وقال المصنف رحمه الله: جاء في الحديث أنَّ لكلِّ مؤمنٍ شفاعةً[3]، فإذا انتهت شفاعةُ الشافعين يقول الله: قد بقيت شفاعتي، لا يبقى في النار أحدٌ، يعني من المُوَحِّدين، وأدنى أحوال الشبلي أن يكونَ كآحاد المؤمنين.

وقال علي بن محمد بن أبي صابر الدَّلّال: وقفتُ على حَلْقة الشبلي في قُبَّة الشُّعراء بجامع المنصور والناسُ مُجتمعون عليه، فوقف في الحَلْقة غُلامٌ أمرد يُعرَف بابن مُسلم، لم يكن بالعراق أحسن وَجْهاً منه، فقال له الشبلي: تَنَحَّ، فلم يَبْرَح، فقال له:

(١) في تلبيس إبليس ٣١٨: تسربلت للحرب... وجبت.

(٢) تلبيس إبليس ٣٣٦، قال ابن عقيل عقبه: والدعوى الأولى على النبي ﷺ كاذبة، فإن النبي ﷺ يرضى بعذاب الفجار، ودعواه بأنه من أهل الشفاعة في الكل وأنه يزيد على محمد ﷺ كفر؛ لأن الإنسان متى قطع لنفسه بأنه من أهل الجنة كان من أهل النار، فكيف وهو يشهد لنفسه بأنه على مقام يزيد على مقام النبوة.

(٣) أخرجه ابن النجار في تاريخه عن أنس ﷺ كما في الجامع الصغير للسيوطي، ورمز لضعفه، انظر فيض القدير ١/ ٥٠٠.

تَنَحَّ وإلا خَرَّقْتُ كلَّ ما عليك، وكان عليه ثيابٌ لها قيمة، فانصرف الغلام، فأنشد الشبلي: [من مجزوء الخفيف]

طَـرَحـوا الـلَّـحـمَ لـلـبُـزا ... ةِ عـلـى ذِرْوَتَـيْ عَـدَنْ
ثُـمَّ لامـوا الـبُـزاةَ إذْ ... خَـلَـعـوا فـيـهـم الـرَّسَنْ
لـو أرادوا صَـلاحَـنـا ... سَـتَـروا وَجْـهَـك الـحَـسَنْ

قال ابن أبي صابر: فجعلتُ أُكرِّرُ الأبيات وكان أبي معي، فقال: ألا أُنشدك أحسنَ من هذا؟ قلتُ: بلى، قال: أنشدني أبو علي ابن مُقْلَة الوزير: [من المتقارب]

أيـا ربِّ تَـخْـلُـق أقـمـارَ لـيـلٍ ... وأغـصـانَ بـانٍ وكُـثـبـانَ رَمْـلِ
وتُـبـدعُ فـي كـلِّ طَـرْفٍ بـسِـحْـرٍ ... وفـي كـلِّ عـضـوٍ رَشـيـقٍ بـشَـكْـلِ
وتَـنْـهـى عـبـادَك أن يَـعْـشَـقـوا ... أيـا حَـكَـمَ الـعَـدْلِ ذا حُـكْـمُ عَـدْلِ(١)

وهذا خطأ مَحْض(٢).

ومنها أنَّه أُنكِر عليه اكتحالُه بالمِلْح والمِيْل المُحَمّى.

[قلت:] وهذا موضع الإنكار، [فإن الشرع لم يوجب غَسْل باطن العينين بالماء خوفاً من الإضرار، فكيف بالملح والنار؟!] غير أنَّ طريقة أرباب المُجاهَدات والرِّياضات غيرُ طريقة أرباب البَطالات، ولا خلاف أنَّ الشبلي كان من أرباب الكرامات، والأولى تسليمُ حاله إليه، ولا يُعْتَرَض عليه(٣)، رحمة الله عليه.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٧٦ ـ ٥٧٧.

(٢) من قوله: وشنع عليه أقوام... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) بعدها في (م): والله أعلم، انتهت ترجمة الشبلي رحمه الله، وفي (ف م١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة الخامسة والثلاثون وثلاث مئة[1]

فيها لما توجَّه ناصرُ الدولة إلى الموصل جَدَّد معزُّ الدولة الأيمان بينه وبين المُطيع، وأنَّه لا يُمالئ عليه، وأزال عنه التَّوكيل، وأعاده إلى دار الخلافة.

وصُرف القاضي محمد بن الحسن بن أبي الشَّوارب عن القضاء بالجانب الغربي من بغداد، وتقلَّد أبو الحسن محمد بن صالح ويُعرف بابن أُمِّ شَيبان القضاء مضافاً إلى الجانب الشَّرقي من بغداد.

وفيها بعد موت الإخشيد سار سيفُ الدولة من حَلَب فمَلَك دمشق، واستأمن إليه يانس المؤنسي، ثم سار سيفُ الدولة فنزل الرَّمْلَةَ، وجاء أنوجور بن الإخشيد من مصر بالجيوش، والقَيِّم بأمره كافور الإخشيدي، فرجع سيفُ الدولة إلى دمشقَ، وسار خلفه أنوجور فانهزم إلى حلب، فسار خلفه فانهزم إلى الرَّقَّة، ثم اتفقا على أن يكون لسيف الدولة ما كان أوفى من الإخشيد[2]، حلب وحمص وأنطاكية، وعاد أنوجور إلى مصر.

وفيها اتَّفق ناصرُ الدولة ومعزُّ الدولة على أن يكون لناصر الدولة من تَكْريت إلى الشام، وكان ناصر الدولة قد عاد من الموصل فنزل عُكبَرا، فلمَّا اتَّفقا وبلغ التُّركَ - وكانوا نازلين شرقي عُكبَرا - عبروا إلى ناصر الدولة ليقتلوه حيث صالَح، فانهزم إلى المَوْصل، وكان السَّفيرُ في الصُّلح أبا بكر بن قَرابة، فقبضوا عليه، وقدَّموا عليهم تِكِين الشِّيرازي - وكانوا خمسةَ آلاف - فساروا يطلبون ناصر الدولة، واستأمن ينال كوشاه ولؤلؤ إلى معزِّ الدولة.

وسار ناصر الدولة سريعاً ومعه أبو جعفر بن شيرزاد، وكان قد هرب من معزِّ الدولة إلى ناصر الدولة، فلمَّا قَرُب من الموصل سمَلَه خوفاً منه، وحبسه في قلعة الموصل، وقيل: إنَّ ابن شيرزاد أشار على توزون بسَمْل المُتَّقي، فعوقب بمثل ما أشار به.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة، وليس في (م ف م١) من أحداث هذه السنة شيء.

(٢) في تاريخ الإسلام ٧/ ٦٣٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ٢٩٢: إلى ما كان بيده من حلب وغيرها.

وبعث ناصر الدولة إلى أخيه سيف الدولة بحلب يَستَمِدُّه على الأتراك، وبعث إلى معزِّ الدولة أيضاً، فأمدُّوه، وسار إلى سِنْجار والتُّرك خلفه، فنزل الحَديثة، وجاءته العساكر من بغداد وحلب، وكان مُقَدَّم العساكر البغدادية أبو جعفر الصَّيْمَري وأصفهدوست الدَّيْلَميَّان، والتقَوا على الحَديثة، فانهزم تِكِين والتُّرْك، وقُتلوا وأُسروا، وهَلَك منهم خلقٌ عظيم.

ورجع ناصر الدولة إلى المَوْصل، وترك أصفهدوست بالجانب الشَّرقي، وعبر ناصر الدولة إلى خَيمة أصفهدوست، وخرج من عنده ولم يَعُد إليه، ونَدم على عُبوره إليه وقال: فَرَّطْتُ في نفسي، وقال أصفهدوست: ضَيَّعتُ الحَزْم حيث لم أقدر على ناصر الدولة.

وقيل: إنما كان القائل لهذا الصَّيْمَري وكان قد قال لمعزِّ الدولة: أقبضُه؟ فنهاه عن ذلك وقال: هذا قبيحٌ بين الملوك.

وطلب الصَّيْمَري من ناصر الدولة جماعةً كانوا عنده من أصحاب مُعزِّ الدولة والمالَ المُقَرَّر عليه، فأعطاه المال والجماعة، وفيهم ابن شيرزاد مَسْمولَ العينَين، وأخذ الصَّيْمَري هبةَ الله بن ناصر الدولة رَهينةً.

وفيها دخل ركن الدولة الرَّي والجبال واستولى عليها.

ولم يحجَّ أحدٌ في هذه السنة.

وفيها توفي

الحسن بن حَمُّويه بن الحسين

أبو[1] محمد، [القاضي]، الأَسْتَراباذي.

كان على قَضاء أَسْتَراباذ مدةً طويلةً، وكان من قُوَّام الليل المتَهَجِّدين في الأسْحار، يُضرَب المثل به في قَضاء حوائج الناس، والقيام بأمورهم بنفسه وماله.

[وعقد مجلسَ الإملاء بأَسْتراباذ، وروى عنه أهلُها،] ومات فجأةً على بطن جاريته.

[حدَّث عن محمد بن إسحاق بن راهَوَيه، وخلقٍ كثير، وكان مشهوراً بالصلاح.]

---

(١) في النسخ: بن، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ جرجان (٢٦١)، وتاريخ أستراباذ (١٠٩٠ بذيل تاريخ جرجان)، والمنتظم ١٤/ ٥٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٩١.

[وفيها توفي]

علي بن عيسى

ابن داود بن الجَرَّاح، أبو الحسن، الوزير، البغدادي[(١)].

ولد سنة خمس وأربعين ومئتين، وكان جدُّه داود من دَيْر قُنَّى ضَيعةٍ بالعراق، وكان أبوه عيسى من وجوه الكُتَّاب، وأصلُهم من الفُرْس.

[وذكره الخطيب فقال:] كان عالماً[(٢)]، فاضِلاً، عاقِلاً، دَيِّناً، عادِلاً، صالحاً، عَفيفاً في ولايته، محمودَ الأثرِ في وزارته، حسنَ الطريقة في سيرته، كثيرَ المعروف والبرِّ وقراءةِ القرآن والصَّلاة والصيام، مُحِبًّا لأهل العلم، كثيرَ المُجالَسَة لهم.

وكان يقول: كَسَبتُ سبع مئة ألف دينارٍ أو ثمان مئة ألف دينار، أخرجتُ منها في وجوه البِرِّ ستَّ مئة ألف دينار وثمانين ألفاً.

[قال:] وكان مَعروفاً بالسِّتر والأمانة، والصَّلاح والدِّيانة، والعِفَّة والصِّيانة.

[قال:] ودخل عليه القاضي عمر بن أبي عمر وعليه ثوبٌ استحسنه الوزير، فأدخل يده فيه يَسْتَشِفُّه وقال: بكم اشترى القاضي هذا الثوبَ؟ فقال: بسبعين ديناراً، فقال الوزير: لكنِّي لم ألبَس ثوباً قطُّ يزيدُ ثَمَنُه على ستة دنانير أو سبعة، فقال له القاضي: الوزيرُ يُجَمِّلُ الثياب، ونحن نتجَمَّلُ بالثياب.

[وحكى الصُّولي قال:] كان أبو بكر ابن مُجاهد يأتي في كلِّ جُمعة إلى دار الوزير علي بن عيسى، فيُجلسُه في مَرْتبته، ويَقعدُ بين يديه، ويقرأ عليه القرآن، ويخاطبه بالأستاذ، ويقول للحاجب: لا تأذن لأحدٍ في ذلك الوقت.

[وحكى الحافظ ابن عساكر عن أبي عمر الأنماطي قال:] ركب[(٣)] علي بن عيسى يوماً، فقال الناس: مَن هذا [مَن هذا]؟ وامرأةٌ قائمةٌ على الطَّريق فقالت: كم تقولون:

---

(١) تحفة الأمراء ٢٠٧، تكملة الطبري ٣٥٩، تاريخ بغداد ١٣/ ٤٥٩، تاريخ دمشق ٥١/ ١٢٠، المنتظم ١٤/ ٥٦، معجم الأدباء ١٤/ ٦٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٦٨٠، السير ١٥/ ٢٩٨.

(٢) في (خ): وأصلهم من الفرس وكان الوزير عالماً، والمثبت من (م ف م١).

(٣) في (خ): وقال أبو عمر الأنماطي ركب، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في تاريخ دمشق ٥١/ ١٢٥.

مَن هذا؟ هذا عبدٌ سقط من عين الله، فابتلاه بما تَرون، وسَمعها علي بن عيسى، فرجع واستعفى من الوزارة، وذهب إلى مكة فجاوَر بها.

وحكى الخطيب عن أبي سَهْل ابن القَطَّان قال[1]: كنتُ مع علي بن عيسى لما خرج من بغداد إلى مكة، فطُفنا في يومٍ شديد الحَرِّ، فوقع مثل الميت وقال: أشتهي شَربةً من ماءٍ بثَلْج، فقلت من أين هنا ثلج؟! هذا معدوم.

فبينما نحن كذلك إذ نشأت سحابةٌ عظيمة في الحال، فأمطرت بَرَداً كثيراً، بحيث جمع الناس منه ما ملؤوا به الحِباب والجِرار، فقلت له: أنت رجل موفَّق، وهذه علاماتُ الإقبال، وكان صائماً، فلمَّا صَلَّينا المغرب قَدَّمْتُ الكاسات فيها الأسْوِقَة والسُّكَّر مَخلوطاً بالماء والبَرَد، فقال: ليتني تمنَّيتُ المغفرة، فسقى كلَّ مَن في الحَرَم من الصُّوفية والمُجاورين وغيرهم، وشرب هو قليلاً.

وحكى الحافظ ابن عساكر عن محمد بن خَفيف قال[2]: لمَّا عُزل علي بن عيسى من الوزارة وخرج مُجاوراً إلى مكة خرج معه الماذَرائي وابن زُنْبُور، فقال لهما: اعزِما على المُجاورة معي، فقال الماذرائي: أنا لا أصبر على[3] حرِّ مكة، وقال ابن زنبور: أنا أُقيم معك.

وأخذ علي بن عيسى في العبادة العظيمة والمُجاهَدة القويَّة، وكان شيخ بالحرم ينظر إليه، فقال لي: مَن هذا؟ قلتُ: الوزير، قال: ليس لله فيه شيء، قال: فاستَجْهَلْتُه، ثم لقيتُه مرةً أُخرى فقال لي كذلك، واجتمعتُ بالوزير في منزله وأخبرتُه، فرمى باللُّقْمَة من يده، ثم أطرق ساعة، ثم قال: إنْ عاوَدَك فسَلْه.

[قال:] فلقيتُه، فسألني عنه وقال لي كذلك، فقلتُ له: بم ذا؟ قال: وَجَد مُناه لا بارك الله له فيه.

(١) في (خ): وقال أبو سهل بن القطان، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٠، وذكره الهمذاني في تكملة الطبري ٣٥٩، وعن الخطيب أوردته سائر المصادر.

(٢) في (خ): وقال محمد بن خفيف، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في تاريخ دمشق ٥١/ ١٢٤ ـ ١٢٥.

(٣) في (م ف م١): أنا لا صبر لي على، والمثبت من (خ).

[قال:] فأخبرتُ الوزير فقال: وَيْحَك، ما رأيتُ أعجبَ منك، رأيتَ الخَضِرَ ثلاثَ مَرَّات وأنت لا تعرفُه، فلمَّا كان بعد أيام قدم حاجب الخليفة، ومعه خمسُ مئة راحلة وكتابٌ إلى علي بن عيسى يستدعيه، فما رؤي بعد ذلك في المسجد.

[قلت: وهذه الحكاية تدلّ على فضل الوزير لا على ذَمِّه؛ لأنه عرف الخضر والرجل لم يعرفه، وقول الخضر: ما فيه شيء لله؛ أراد مرتبة الكمال وترك الدنيا، ولا خلاف في دين الوزير وصلاحه، وكذا قول الخضر: وجد مناه، أراد له الدنيا.]

وكان الوزير مُمَدَّحاً، وفيه يقول الشاعر: [من الطويل]

وَحَسبُكَ أنِّي لا أرى لكَ عائباً ... سِوى حاسدٍ والحاسدون كثيرُ
وأنَّكَ مثلُ الغيثِ أمَّا سَحابُه ... فمُزْنٌ وأمَّا ماؤه فطَهورُ[1]

[قال الخطيب:] وكان الوزير فَصيحاً أديباً[2] ومن شعره: [من الطويل]

فمَن كان [عنِّي] سائلاً بشماتة ... لما نابني أو شامتاً غير سائلِ
فقد أبرَزَتْ منِّي الخطوبُ ابنَ حُرَّةٍ ... صَبوراً على أهوال تلك الزَّلازل

[ذكر حكايته مع الأُسارى:

حكى القاضي مُكْرَم بن بكر قال: دخلتُ على علي بن عيسى ذات يوم وهو مَهْموم، فقلتُ: ما الذي بالوزير؟ فقال: كتب إليَّ عاملُ الثَّغْر يقول: إنَّ الأُسارى الذين عند الرُّوم من المسلمين كانوا في رِفْقٍ حتى وَلِي ملك الروم آنفاً، فعَسَفَهم وأجاعهم [وأعراهم] وعاقبهم، وأنهم في ضُرٍّ شديد وعذابٍ أليم، ولا حيلة لي في هذا، والخليفة لا يُساعدني على إنفاق الأموال وإنفاذ الجيوش إلى القُسْطنطينية، فقلتُ: هاهنا أمرٌ أسهل من هذا، قال: وما هو؟ قلتُ: بأنطاكية عظيمٌ لهم يُقال له: البَطْرك، وبالقدس آخر يُقال له: الجاثليق، وأمرُهما نافذٌ على ملك الروم، وهما في ذِمَّتنا،

(١) من قوله: وكان الوزير ممدحاً.. إلى هنا ليس في (م ف م١)، والأبيات في تكملة الطبري ٣٥٩، وتاريخ بغداد ١٣/ ٤٦١، وتاريخ دمشق ٥١/ ١٢٦.

(٢) في (ف م ١): فاضلاً، والمثبت من (م)، وليست في (خ)، والخبر في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٦١.

فيأمر الوزير بإحضارهما، ويأمرهما بإزالة ما تَجدَّد على الأسارى، فإن لم يُزَل لم يَطلُب بتلك الجريرة غيرهما[١]، فكتب يستدعيهما.

فلمَّا كان بعد شهرين دخلتُ عليه وهو مَسرورٌ، فقال: جزاك الله خيراً عن الإسلام وعن دينك وعنِّي [وعن المسلمين]، هذا رسول العامل قد ورد، ثم قال له: أخبِرْه بما جرى، فقال: نَدَبَني العامل مع رسول[٢] البَطْرك والجاثليق إلى القُسْطنطينية، وكتبا معي كتاباً إلى الملك: إنَّك قد خرجتَ بما فعلتَ من مِلَّة المَسيح، وليس لك الإضرارُ بالأسارى، فإن أزلتَ ما فعلتَ وإلا أخرجناك من دين المسيح، ولَعنَّاك على [هذين] الكُرسيين.

قال الرسول: فلمَّا وَرَدْنا على الملك دفعنا إليه الكتابَين، فأخذهما وأنزلَنا وأكْرَمَنا، فلمَّا كان بعد أيام استدعانا، وأحضر الأُسارى وقد صَلُحَت أحوالُهم وكساهم، وكانوا قبل ذلك موتى، كأنَّهم قد نُبِشوا من القبور.

[قال:] فسألني واحدٌ من الأسارى عن السَّبب، فأخبرتُهم أنَّ الوزير علي بن عيسى بلغه ما أنتم فيه، فكتب وفعل [ما فعل]، فضجُّوا بالدُّعاء له، وقالت امرأةٌ: قِرَّ يا علي[٣] ابن عيسى، لا نسي الله لك هذا الفعل.

وسجد الوزيرُ شكراً لله عزَّ وجل وجعل يبكي، فقلتُ: أيُّها الوزير، سمعتُك وأنت تتبرَّم بالوزارة، فهل كنتَ تقدر على تحصيل هذه المَثوبة لولا الوزارة، فشكرني وانصرفتُ.

[ذكر حكايته مع العَطَّار:

حكاها القاضي التَّنوخي، عن أبيه قال: حدثني جماعة أنه] كان[٤] بالكَرْخ عَطَّارٌ، فركبه دَينٌ وكان مَستوراً، فقام من دُكَّانه، ولزم المسجد والصلاة والدُّعاء، فنام ليلةً، فرأى النبيَّ ﷺ في منامه وكانت ليلةَ الجمعة، فقال له: يا فلان اقصِد علي بن عيسى فقد أمرتُه أن يُعطيَك أربع مئة دينار، فخُذْها وأصلحْ بها حالك ـ قال: وكان عليَّ ستُّ

(١) في تحفة الوزراء ٢٤٠: ومتى لم يزل ذلك طولبا بجريرة ما يفعل هناك وسلك في معاملة النصارى مثل ذلك، والنقل عن المنتظم ١٤/ ٥٩.

(٢) في (م ف م ١): فقال له رسول العامل رحت مع رسول، والمثبت من (خ).

(٣) في النسخ والمنتظم ١٤/ ٦٠: مر يا علي، والمثبت من تحفة الوزراء ٢٤١.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م م١)، بدله في (خ): وقال القاضي التنوخي كان. والخبر في الفرج بعد الشدة ٢/ ٢٧٦، وتحفة الوزراء ٢٤٤، والمنتظم ١٤/ ٦٠.

مئة دينار ـ فانتبهتُ وقلتُ: منام هو، ثم قلتُ: فقد قال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني، فإنَّ الشيطان لا يَتَمثَّل بي»(١).

فقصدتُ باب الوزير فمُنعتُ منه، فقعدتُ حتى ضاق صدري، وهَمَمتُ بالانصراف، وإذا بحاجبه قد خرج فقال: أين كنتَ والوزير من وقت السَّحر إلى الساعة ينتظرك، وقد جدَّ في طلبك [وبثَّ الرسل].

ثم أدخلني على الوزير فقال: أنت فلان من أهل الكَرْخ؟ قلتُ: نعم، فقال: جائني البارحةَ رسولُ الله ﷺ في المنام وقال: أعط فلاناً العَطَّار أربعَ مئة دينار، وهذه أربعُ مئة دينار امتثالاً لأمر رسول الله ﷺ، وستُّ مئة دينار منِّي لك، فقلتُ: أيُّها الوزير، ما أُحبُّ أن أزيدَ على عطاء(٢) رسول الله ﷺ شيئاً، فقال: هذا هو اليقين(٣)، وأخذتُ الأربع مئة دينار وخرجتُ، واصطلحْتُ [مع] غُرمائي بالبعض وأبقَوا البعض، وفرَّقت فيهم مئتي دينار، وأجَّلوني ثلاث سنين، وفتحتُ دُكَّاني بمئتي دينار، فما حال عليَّ الحول إلا ومعي ألف دينار، فقضيتُ دَيني، وصَلُحَت حالي.

وقال عيسى بن علي بن عيسى: كان لأبي بكر الصُّولي على أبي في كل سنة شيءٌ يعطيه، فشُغل عنه، وتَردَّد إليه مراراً فلم يصل إليه، فكتب إليه: [من الطويل]

خَلُقْتُ(٤) على باب ابن عيسى كأنَّني ... قِفا نَبْكِ من ذكرى حبيبٍ ومنزلِ
إذا جئتُ أشكو طولَ فَقْرٍ وحاجةٍ ... يقولون لا تَهْلِك أسىً وتَجَمَّلِ
وفاضَتْ دموعُ العين من قُبْح رَدِّهم ... على النَّحْرِ حتى بَلَّ دَمْعي مَحْملي
لقد طال تَرْدادي وقَصْدي إليهم ... فهل عند رَسْمٍ دارسٍ من مُعَوَّلِ

قال الصُّولي: فنَمَّ الخبر، فاستدعاني وقال: فهل عند رَسْمٍ دارسٍ من مُعَوَّل؟ فاستحييتُ وقلتُ: أصلح الله الوزير، ما بقي عندي شيءٌ، وأنا كما ترى، فأمر لي بخمسة آلاف درهم، فأخذتُها وانصرفتُ.

---

(١) أخرجه أحمد (٧١٦٨)، والبخاري (١١٠)، ومسلم (٢٢٦٦) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) في (م ف م١): عطية.
(٣) بعدها في (ف م م١): وبكى قلت فإني أرجو البركة في عطاء رسول الله ﷺ.
(٤) في (خ): خلعت، وهذا الخبر ليس في (م ف م١) وخلقت: بَليت. والخبر في تاريخ دمشق ٥١/ ١٢٧، والمنتظم ١٤/ ٦٩.

واختلفوا في وفاته على قولين؛ أحدهما: في هذه السنة، والثاني: في السنة الماضية، مات هو والشبلي في يومٍ واحد.

أسند الحديث عن خَلْقٍ كثير، وكان يسمع عليهم في داره، وسمع شيوخ الشام بدمشق في سنة ثلاث عشرة وثلاث مئة، وقدم الشام مرَّتين(١).

ومن رواياته عن ابن عباس قال: ما رأيتُ قوماً خيراً من أصحاب رسول الله ﷺ، ما سألوا إلا بضعة عشر مسألة كلُّهن في القرآن: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [البقرة: ٢١٧]، ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ﴾ [البقرة: ٢١٩]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [البقرة: ٢٢٠]، ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ﴾ [البقرة: ٢٢٢] ما كانوا يسألون إلا عمَّا ينفعُهم(٢).

[وفيها توفي]

محمد بن أحمد

ابن الربيع بن سليمان، أبو رجاء، الشافعي، الفقيه، الشاعر.

[ذكره جدي في «المنتظم(٣)» وقال:] له قصيدةٌ ضَمَّنها أخبار العالم، وذَكَرَ قَصَصَ الأنبياء [نبيًّا نبيًّا]، وسئل قبل موته بنحوٍ من سنتين: كم بلغت قصيدتُك إلى الآن؟ فقال: ثلاثين ومئة ألف بيت، وقد بقي الطبُّ والفلسفة.

[قلتُ: وهذه القصيدة من جنس «أخبار الزمان» للمسعودي.]

وكانت وفاته في ذي الحجة ببغداد [، وكتب عن علي بن عبد العزيز وغيره].

هارون بن محمد

ابن هارون بن علي [بن عيسى] بن موسى، أبو جعفر، الضَّبِّي(٤).

---

(١) في (خ): وكانت وفاة علي بن عيسى في هذه السنة، وقيل في السنة الماضية، أسند الحديث عن خلق كثير. والمثبت من (م ف م١).

(٢) أخرجه الدارمي (١٢٧)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢٢٨٨)، والخطيب في تاريخ بغداد ١٣/ ٤٦٠، وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٢٠٥٣).

(٣) ١٤/ ٦١، وانظر تاريخ الإسلام ٧/ ٦٩٤، وطبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٧٠.

(٤) تاريخ بغداد ١٦/ ٤٩، والمنتظم ١٤/ ٦٢ وما بين معكوفين منه، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٩٧.

كان أسلافُه ملوكَ عُمان من قديم الزمان، وأول مَن انتقل منهم إلى بغداد هارون بن محمد، فأقام بها، وارتفع قدرُه عند السلطان، وانتشرت مكارمُه وعطاياه، وانتابه الشعراء من كلِّ مكان وامتدحوه، وأجزل صِلاتهم، وأنفق أموالاً عظيمةً في العلماء والأشراف من الطَّالبيِّين والعباسيِّين وغيرهم، واقتنى الكتبَ المَنسوبة.

وكان مُبرِّزاً في اللغة والنحو والشعر ومعاني القرآن والكلام، وكانت داره مَجمعاً لأهل العلم حتى توفي بها، رحمة الله عليه.

السنة السادسة والثلاثون وثلاث مئة[1]

فيها خرج معزُّ الدولة والمُطيع من بغداد إلى البصرة لمحاربة أبي القاسم عبد الله بن أبي عبد الله البريدي، فسلكوا طريقَ البَرِّيَّة، فجاءهم رسولُ القَرامطة من هَجَر يلومهم على سلوك البرية بغير أمرهم، فسبَّ معزُّ الدولة الرسول والقِرمطي وقال: مَن أنتم حتى تُستَأذنوا، إذا فرغنا من البصرة عُدنا إليكم فاستأصلناكم، ومزَّق كتابهم ولم يقرأه، وطرَدَ الرسول.

ولمَّا قارب البصرةَ استأمَن إليه جيش البريدي، وهرب البريدي إلى القرامطة، واستولَى معزُّ الدولة على البصرة وعلى أموال البريدي، وأقطع المطيعَ ضياعاً عِوَضَ ما كان يُعطيه وهو ألفا درهم كلَّ يوم، وكان مَغلُّ الضياع كلَّ سنة مئة ألف دينار، ثم تناقصت إلى خمسين ألف دينار.

وفيها وصل عمادُ الدولة أبو الحسن علي بن بُوَيْه إلى الأهواز، فسار أخوه معزُّ الدولة لتلقِّيه، وتأخَّر المُطيع بالبصرة ومعه الصَّيْمَري، ووصل معزُّ الدولة إلى أرَّجان في شعبان وقد نزل بها عماد الدولة، فقبَّل معزُّ الدولة الأرض بين يديه، ووقف قائماً، فأمره بالقعود فلم يقعد، وكان يأتي كلَّ يوم إلى خدمة أخيه بُكرةً وعشيًّا فيقف ولا يجلس، وأرجَفَ الناسُ: وإنَّما جاء عماد الدولة ليسترجعَ الأهواز من مُعزّ الدولة، وبلغ عماد الدولة فقال لبعض أصحاب معزِّ الدولة: قد بلغني كذا وكذا، وضرب بيده إلى لحيته وقال: سَوْءةً لي إن اتَّضَعْتُ إلى هذه الحالة، هذا معزُّ الدولة وركن الدولة أخواي وابناي[2] في المَرْتبة، وما أُريد الدنيا إلا لهما، ووالله ما جئتُ إلى هنا إلا لأعقِدَ بينهما الرئاسة حتى لا يختلفا إن حدث بي حادث؛ فإنِّي مريضٌ، وأسألُه تقديمَ أخيه الكبير على نفسه على ما جرت به العادة، فأخبَرَ الرجلُ معزَّ الدولة، فحضر عند عماد الدولة وبكيا، واتَّفقا ثم ودَّعه.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة، ولم تذكر في (م ف م١) أحداث هذه السنة اختصاراً.

(٢) كذا في (خ).

وعاد معزُّ الدولة والمُطيع إلى بغداد وقد استولى على البصرة وواسط وتلك النَّواحي.

ولمَّا وصل معزُّ الدولة والمُطيع إلى بغداد أطلق هبةَ الله بن ناصر الدولة وردَّه إلى أبيه، واصطلحا على مال، ولم يحجَّ أحدٌ من بغداد.

وفيها توفي

أحمد بن جعفر

ابن محمد بن عُبيد الله بن يزيد، أبو الحسين، المعروف بابن المُنادي البغدادي(١).

ولد سنة سبع وخمسين ومئتين لثمان عشرة خلت من ربيع الأول، وسمع الكثير، وصنَّف كتباً كثيرة، وجمع علوماً جَمَّة.

قال أبو يوسف القَزْويني: صنَّف في علوم القرآن أربع مئة ونيِّفاً وأربعين كتاباً، ليس فيها شيءٌ من الحَشْو، جمع فيها بين حُسن العبارة، وعلوِّ الرِّواية، والدِّراية.

ولم يسمع الناس منه إلا الشيء اليَسير لشَراسة أخلاقه، وقال أبو الحسن بن الصَّلْت: كنا نَمضي إلى بابه لنسمعَ منه، فتخرج إلينا جاريةٌ فتقول: كم أنتم؟ فقالت لنا مرةً: كم أنتم؟ فقلنا: ثلاثةَ عشر، وكان قد تبعنا رجلٌ عَلَويٌّ، وما كنا حَسَبناه ولا غلامه، فأذن لنا فدخلنا، فلمَّا رآنا خمسة عشر قال: انصرفوا اليوم فلستُ أحدّثكم، فانصرفنا، وظننَّا أنَّه قد عرض له شغل، ثم عدنا إليه وجلسنا ثانياً ولم يحدثنا، فقلنا: ما السبب؟ فقال: لأنكم كذبتُم في عددكم، ومَن يكذب في هذا المقدار لا يؤمَن أن يكذب فيما هو أكبر منه، فاعتذرنا إليه وقلنا: نحن نتحفَّظ فيما بعد إن شاء الله تعالى.

وكانت وفاته في المحرَّم ببغداد، ودُفن في مقابر الخَيْزُران.

محمد بن علي بن إسماعيل

أبو بكرٍ، الشَّاشي، ويُعرف بالقَفَّال، أحد أئمة الشافعية.

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ١١٠، طبقات الحنابلة ٢/ ٣، المنتظم ١٤/ ٦٥، السير ١٥/ ٣٦١، تاريخ الإسلام ٧/ ٦٩٨.

كان إماماً فاضلاً، وهو أول مَن صنَّف في الجَدَل، وتوفي في صفر(١).

ومن شعره: [من المتقارب]

أُوَسِّـع رَحْلـي علـى مَـن نَـزَلْ ... وزادي مُـبـاحٌ عـلـى مَـن أكـلْ

نُـقـدِّمُ حـاضـرَ مـا عـنـدنـا ... وإن لـم يـكـن غـيـرَ خُـبـزٍ وخَـلّ

فـأمّـا الـكـريـمُ فـيـرضـى بـه ... وأمَّـا الـلـئـيـمُ فـمَـن لا أُبَـلْ(٢)

[وفيها توفي]

محمد بن يحيى

ابن عبد الله بن العبَّاس بن محمد بن صُول، أبو بكر، الصُّوليّ(٣).

[وكان جدُّه] صُول من ملوك خُراسان وجُرْجان.

وكان محمد أحدَ العلماء بفنون الأدب، حسنَ المَعرفة بأيام الناس، وأخبار الملوك والخلفاء، ومآثِر الأشراف، وطبقات الشعراء، واسعَ الرواية، كثيرَ الحفظ، حسنَ الشعر، جميلَ الطَّريقة، صنَّف كتاب «الأوراق» وكتاب «الوزراء» وغيرهما، وانتهى إليه علم الهندسة والشِّطْرَنْج، ونادم جماعةً من الخلفاء [ذكرهم في «الأوراق»، وذكرنا طرفاً من سيرته مفرَّقاً في الكتاب.

وحكى الخطيب عن أبي بكر محمد ابن شاذان قال: رأيت للصُّولي بيتاً عظيماً مملوءاً كتباً، وجلودها حُمْرٌ وصُفر وخُضر وسود، فقال: هذا البيت كلّ ما فيه سَماعي.

(١) تبع المصنف في ذكر القفال هنا وإدراجه في وفيات هذه السنة أبا إسحاق الشيرازي في طبقات الفقهاء ١١٢، وقد ذكر الذهبي في تاريخه ٨/ ٢٤٥، وفي السير ١٥/ ٢٨٣ أن قول الشيرازي هذا وهم بيّن، فقد أرخ الحاكم وفاته في آخر سنة خمس وستين وثلاث مئة بالشاش، وكذا ورَّخه أبو سعد السمعاني [انظر الأنساب ٧/ ٢٤٤]، ولعله تصحف عليه ثلاثين بلفظ ستين. اهـ.

وقد ذكر الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق ٦٣/ ٢٧٢، ٢٧٣ قول الحاكم وأتبعه قول الشيرازي دون ترجيح أحدهما. وانظر طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٠٠.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٦٧٥، والمنتظم ١٤/ ٦٨، ومعجم الأدباء ١٩/ ١٠٩، والسير ١٥/ ٣٠١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٩٤.

وقال الخطيب: أنشدني أبو القاسم الأزهري، أنشدني عبيد الله بن محمد المقرئ قال: أنشدني الصُّولي لنفسه:][1][من البسيط]

أحببتُ من أجله مَن كان يُشبِهُه ... وكلُّ شيءٍ من المعشوق مَعشوقُ
حتى حَكَيتُ بجسمي ما بمُقْلَتِه ... كأنَّ سُقْميَ من جَفْنَيه مَسروقُ

وله[2]: [من مجزوء الكامل]

شكا إليك ما وَجَدْ ... مَن خانَه فيك الجَلَدْ
لَهْفَان إن شئتَ اشتكى ... ظَمْآن إن شئتَ وَرَدْ
صَبٌّ إذا رامَ الكَرى ... نَبَّهَهُ لَذْعُ الكَمَدْ
يا أيُّها الظَّبْيُ الذي ... تَصْرَعُ عَيْناه الأَسَدْ
أما لأَسْراكَ فِدًى ... أما لقَتْلاك قَوَدْ
ماذا على مَن جار في ... أحكامه لو اقْتَصَدْ
ما ضَرَّه لو أنَّه ... أنْجَزَ ما كان وَعَدْ
هان عليه سَهَري ... في حُبِّه لمَّا رَقَدْ

[من أبيات عديدة.]

ذكر وفاته:

لحقته إضاقةٌ شديدة[3] ببغداد؛ لأنَّ مَوادّ الخلفاء انقطعت عنه، فخرج إلى البصرة، فمات بها في هذه السنة، وقيل: في سنة خمس وثلاثين [وثلاث مئة، والله أعلم. واتّفقوا على صدقه وثقته وحفظه.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م ١)، بدله في (خ): ومن شعره يقول، وانظر تاريخ بغداد ٤/ ٦٧٩، ٦٨١، والمنتظم ١٤/ ٦٩.

(٢) في (م ف م١): وبالإسناد من شعر الصولي، والمثبت من (خ). والأبيات في تاريخ بغداد ٤/ ٦٨٠ وعنه في المنتظم ١٤/ ٦٩ بغير الإسناد السابق.

(٣) في (م ف م١): حكى الخطيب عن ابن شاذان قال: لحقت الصولي إضاقة شديدة، والمثبت من (خ)، والخبر في تاريخ بغداد ٤/ ٦٨١ بنحوه من غير رواية ابن شاذان.

وفيها توفيت

ابنة أبي الحسن المَكّي الزَّاهد

حدثنا غير واحد، عن محمد بن أبي طاهر البزاز، عن القاضي علي بن المُحَسّن التنوخي، عن أبيه قال: حدثني عبيد الله بن أحمد ابن بُكَير قال[١]:] كان لأبي الحسن المكي ابنةٌ مقيمة بمكة، وكانت أشدَّ وَرَعاً من أبيها، وكانت تقتاتُ في كل سنة بثلاثين درهماً يبعثُها أبوها إليها من سَفِّ الخُوص، فأخبرني ابن الرَّوَّاس[٢] وكان جاراً لأبي الحسن [المكي] قال:

عَزَمْتُ على الحجِّ، فأتيتُه أستعرِضُ حَوائجَه، فدفع إليَّ قِرْطاساً فيه دراهم وقال: تُوصِلُه إلى ابنتي بمكَّة في المَوْضع الفلاني، فأخذتُه، فلمَّا وصلتُ إلى مكة سألتُ عنها، فوجدتُها بالزُّهد والعبادة أشهر من أبيها، ففتحتُ القرطاسَ، وجعلتُ الثلاثين خمسين، وأتيتُ إليها فسلَّمتُ عليها وقلتُ: أبوكِ يُسلِّم عليك، وقد بعث لك هذه الدَّراهم، فلما حَصل القرطاسُ في يدها قالت: إيش خبرُ أبي؟ قلتُ: على خيرٍ وسَلامة، قالت: هل خالطَ أبناء الدنيا وترك الانقطاعَ إلى العبادة؟ قلتُ: لا، قالت: فأسألك بمَن حجَجْتَ إلى بيته هل خلطْتَ هذه الدراهمَ بشيءٍ من مالك؟ قلتُ: ومن أين علمتِ؟ فقالت: ما كان أبي يزيدُني على الثلاثين شيئاً؛ لأنَّ حالَه لا يحتمل أكثر من ذلك، إلا أن يكون خالطَ أهلَ الدنيا، ثم رمت إليَّ بالقرطاس وقالت: خُذْه فقد عَقَقْتَني وأجعْتَني طولَ السنة، وأحوَجْتَني أن أقتات من المَزابل إلى الموسم الآخر؛ لأنَّ هذه كانت قُوتي طول السنة، ولولا أنك ما قصدتَ أذاتي لدعوتُ عليك، فقلتُ لها: خذي الثلاثين ورُدِّي الباقي، فقالت: ما أعرفُها بعينها، وقد اختلطَت، ولا آخذُ مالاً لا أدري من أين هو، فاغتَمَمْتُ وعُدتُ إلى أبيها، فأخبرتُه واعتذرتُ إليه فقال: لا آخذُها وقد اختلطَت بغير مالي، وقد عققتني وإياها، قلتُ: فما أصنع بها؟ قال: تصدَّق بها، وكانت وفاتها بمكة.

---

(١) في (خ): أبي الحسن المكي الزاهد، قال عبيد الله بن أحمد بن بكر، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في المنتظم ١٤/ ٧٠.

(٢) في (خ) فأخبرني الرواس، وفي (م): ابن أبي الرواس، وفي (ف م ١): ابن أبي العباس، والمثبت من المنتظم، وصفة الصفوة ٢/ ٢٧٦.

السنة السابعة والثلاثون وثلاث مئة(١)

فيها زادَت دجلة إحدى وعشرين ذراعاً، وغرقَت بغدادُ غَرَقاً شنيعاً، ووقعَت الدُّورُ، وهرب الناس من الجانب الشرقي، ومات تحت الهَدْم خلقٌ كثير.

ودخل أبو القاسم البَريدي بغداد بأمان معزِّ الدولة، فأنزله [دار] الموزه بمَشْرَعة السَّاج، وأقطعه ضياعاً.

وفيها اختلف معزُّ الدولة وناصر الدولة، وخرج معزُّ الدولة إلى المَوْصل، وسار ناصر الدولة إلى نَصِيْبين، ودخل بينهما أبو بكر ابن قَرابة، فصالحه ناصر الدولة على مال مَبْلَغه في كلِّ سنة ثمانيةُ آلاف ألف درهم، وعاد مُعزُّ الدولة إلى بغداد في ذي الحجَّة وكان قد خرج منها في رمضان.

وفيها لقي سيف الدولة الرومَ على مَرْعَش، فهزموه وأخذوا مَرْعَش، وأوقعوا بأهل طَرَسُوس(٢)، ولم يحجَّ في هذه السنة أحدٌ [خوفاً من الخوارج].

وفيها توفي

إبراهيم بن شَيْبان

أبو إسحاق، القِرْمِيسينيّ الصُّوفي(٣).

صحب أبا عبد الله المَغْربي [في طريق الحِجاز، فلما وصل إلى مَعان اشتهى العَدَس بالخَلِّ، وقد ذكرناه في ترجمة أبي عبد الله المغربي] وغيره.

وكان يُسمَّى حجة الله على الفقراء وأرباب المُعاملات.

وكان من أورع مشايخ الجَبَل وأحسنهم حالاً.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) من قوله: وفيها اختلف معز الدولة وناصر الدولة... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٠٢، وحلية الأولياء ١٠/ ٣٦١، والرسالة القشيرية ١١٥، وتاريخ دمشق ٢/ ٤٤٦ (مخطوط)، والمنتظم ١٤/ ١١٩ (وفيات سنة ٣٤٨)، ومناقب الأبرار ٢/ ١١٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٠٦، والسير ١٥/ ٣٩٢.

نزل قِرْمِيسين ومات بها، وقبره ظاهرٌ يُزار.

ومن كلامه: علمُ الفَناء والبقاء يدور على إخلاص الوَحْدانية، وصِحَّة العبودية، وما كان غير هذا فهو من شدَّة المَغاليط والزَّنْدَقة.

وقال: الخلقُ محلُّ الآفات، وأكثر منهم آفةً مَن أَنِسَ بهم أو سكن إليهم.

[وفي المشايخ آخر يقال له: القِرْميسيني، نذكره في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة. وفيها توفي]

عبد الله بن محمد

ابن حَمْدويه بن نُعيم بن الحَكَم، أبو محمد البَيِّع، والد الحاكم [أبي عبد الله] النَّيْسابوري[١].

أَذَّن بمسجده ثلاثاً وثلاثين سنةً، وغزا اثنتين وعشرين غَزاة، وأنفق على العلماء والزهَّاد مئةَ ألف درهم، وكان كثيرَ العبادة.

روى عن مسلم بن الحَجَّاج وغيره، وكانت وفاته في هذه السنة بنَيْسابور عن ثلاث وتسعين سنة، وكان ثقةً.

قُدامة بن جَعْفر

أبو الفَرَج، الكاتب، صاحب المصنَّفات الحِسان؛ ككتاب «البلدان» و «الخراج» وكتاب «صناعة الكتابة» وغيرها.

وكان عالماً، فَطِناً، ثقةً، جالس العلماء كالمُبرِّد وثعلب وغيرهما، وأخذ عنهم[٢].

---

(١) المنتظم ١٤/ ٧٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٢٦ (وفيات سنة ٣٣٩).

(٢) المنتظم ١٤/ ٧٣. قال ياقوت في معجم الأدباء ١٧/ ١٣ بعد أن أورد ما ذكر ابن الجوزي: وأنا لا أعتمد على ما تفرد به ابن الجوزي لأنه عندي كثير التخليط، ولكن آخر ما علمنا من أمر قدامة أن أبا حيان ذكر أنه حضر مجلس الوزير الفضل بن جعفر بن الفرات وقت مناظرة أبي سعيد السيرافي ومَتَّى المنطقي في سنة عشرين وثلاث مئة. اهـ.
قلت: والذي في الإمتاع والمؤانسة لأبي حيان التوحيدي أن ذلك كان في سنة (٣٢٦هـ).
ونقل الصفدي في الوافي بالوفيات ٢٤/ ٢٠٦ عن ابن النجار في ذيل تاريخ بغداد أنه توفي في سنة ثمان وعشرين وثلاث مئة.
وذكر الذهبي قدامة في تاريخ الإسلام ٧/ ١٩٠ فيمن لم يعرف موتهم من أهل الطبقة (٣٠١ ـ ٣١٠هـ).

السنة الثامنة والثلاثون وثلاث مئة[١]

فيها تقلَّد القاضي أبو السَّائب عُتبة بن عُبيد الله الهَمَذاني قضاء القُضاة ببغداد.

وورد رسولُ أنوجور بن الإخشيد من مصر بالأموال والهدايا، وسأل معزَّ الدولة يَدخل أخوه عليّ في الضَّمان، ويكون من بعده فأجابه، وتحرَّكت القرامطةُ، ولم يحجَّ أحدٌ بسببهم، وقيل: حجَّ الناس.

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن إسماعيل بن يونس، أبو جعفر، النَّحوي، المعروف بابن النَّحَّاس[٢].

كان فاضلاً، وصنَّف التصانيف الحِسان، وله كتاب «إعراب القرآن»، وكانت وفاته ببغداد في ذي الحجة.

أحمد بن محمد بن علي

أبو بكر، المَراغي.

سافر إلى مصر وأقام بها، وروى عن الرَّبيع بن سليمان أبياتاً سمعها من الشافعي وهي هذه: [من الطويل]

شـهـدْتُ بـأنَّ الـلـه لا ربَّ غـيـره ... وأشـهـدُ أنَّ الـبـعـثَ حـقٌّ وأخـلـص
وأنَّ عُـرى الإيـمـان قـولٌ مُـحَـسَّـنٌ ... وفـعـلٌ زَكـيٌّ قـد يَـزيـد ويَـنـقُـصُ
وأنَّ أبـا بـكـرٍ خـلـيـفـةُ ربِّـه ... وكان أبو حَفْصٍ على الخير يَحْرَصُ
وأُشْـهِـدُ ربِّـي أنَّ عـثـمـان فـاضِـلٌ ... وأنَّ عـلـيًّـا فـضْـلُـهُ مُـتَـخَـصِّـصُ[٣]

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) المنتظم ١٤/ ٧٥، معجم الأدباء ٤/ ٢٢٤، تاريخ الإسلام ٧/ ٧١٣، السير ١٥/ ٤٠١.

(٣) تاريخ دمشق ١/ ١٩٧ (مخطوط). ومن قوله: وورد رسول أنوجور... إلى هنا ليس في (م ف م١).

[وفيها توفي

الحسن بن حَبيب بن عبد الملك

الفقيه، الدِّمَشْقي، ويُعرَف بالحَصائري(١).

ولد في سنة اثنتين وأربعين ومئتين، ورحل إلى العراق ومصر والحجاز، وسمع الشيوخ وأكثر، وكان إمام مسجد باب الجابية بمدينة دمشق، وتوفي بدمشق في هذه السنة.]

عبد الله المستكفي بالله

أميرُ المؤمنين بن علي المُكتفي(٢).

كان معتَقَلاً في دار مُعزِّ الدولة، فمات بها بنَفْثِ الدَّم، وعمره ستٌّ وأربعون سنة وشهران.

علي بن بُوَيْه

أبو الحسن، عماد الدولة.

أولُ من ظهَرَ من الدَّيْلَم، قد ذكرنا مبدأ أمرهم في سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة.

وكان عاقلاً، شجاعاً، وكانت به قَرْحَةٌ في الكُلَى طالت مدَّتُها فأنهكت جسمه، وتوفي بشِيراز وعمُره تسعٌ وخمسون سنة.

وكانت إمارتُه ستَّ عشرة سنة، وهو أكبر أولاد بُوَيْه، وأقام المطيع أخاه أبا علي ركن الدولة مقامَه، وجعله أميرَ الأمراء.

ولمَّا مات اضطرب الجيش لموته، فكتب معزُّ الدولة إلى أبي جعفر الصَّيْمَري وهو بالأهواز، فشخص إلى شِيراز، ولم يَعُد إلى العراق(٣).

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٤٢٣ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧١٦، والسير ١٥/ ٣٨٣، وهذه الترجمة ليست في (خ).

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ١٧٩، والمنتظم ١٤/ ٧٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٦٧٩، ٧١٨، والسير ١٥/ ١١١.

(٣) تكملة الطبري ٣٦٩، والمنتظم ١٤/ ٧٧، والكامل ٨/ ٤٨٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧١٨، والسير ١٥/ ٤٠٢. وهذه الترجمة والتي قبلها ليست في (م ف م١).

[وفيها توفي]

علي بن حَمْشاذ

ابن سَخْتَويه(١) بن نَصْر، أبو الحسن، العدل(٢).

مُحدّث عصره بنيسابور، سافر إلى البلدان والبر، وجمع «المسند الكبير» في أربع مئة جزء و «الأنوار»(٣) في مئتين وستين جزءاً، و «التفسير» في مئتين وثلاثين جزءاً.

وكان من الصالحين، قال أبو بكر بن إسحاق: صحبتُه سَفَراً وحَضراً، فما أعلمُ أنَّ الملائكة كتبت عليه خَطيئةً، وكان صائماً قائماً، وروى عن خَلْقٍ كثير.

مات فجأةً وقد خرج من الحمَّام في شوال بنيسابور [في هذه السنة، وكان ثقة.

وفيها توفي

علي بن محمد

ابن أحمد بن الحسن، أبو الحسن(٤)، الواعظ، البغدادي، المصري.

ولد في المحرَّم سنة إحدى وخمسين ومئتين، ثم سافر إلى مصر فأقام بها مدة طويلة، ثم رجع إلى بغداد فقيل له: المصري.

وقد أثنى عليه الخطيب فقال: كان ثقةً أميناً عارفاً، جمع حديث اللَّيث بن سعد، وابن لَهِيعة، وصنَّف كتباً كثيرة في الزُّهد وغيره، وكان له مجلسٌ يتكلَّم فيه بلسان الوَعْظ؛ قال: فحدثني الأزهري: أن أبا الحسن المصري كان يحضر مجالسَ وَعْظه رجالٌ ونساء، وكان يجعل على وجهه بُرْقُعاً خوفاً أنْ تُفْتَتَنَ النِّساء به من حُسن وجهه.

---

(١) في (خ): محمد بن حشاد بن بجنونه، وهو تصحيف، والمثبت من سائر النسخ.

(٢) في (خ): المعول، تصحيف، وفي (م): المعدَّل، والمثبت من (م ١ ف) وكلاهما صحيح، انظر المنتظم ١٤/ ٧٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧١٩، والسير ١٥/ ٣٩٨.

(٣) كذا في النسخ والمنتظم، وفي السير وتاريخ الإسلام: الأبواب، وهي الأشبه بالصواب.

(٤) في (م ف م١): الحسين، وهو خطأ، وهذه الترجمة ليست في (خ)، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ٥٤٨، والمنتظم ١٤/ ٧٧، والسير ١٥/ ٣٨١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧١٩.

قال الأزهري: وكان أبو بكر النَّقَّاش قد حضر مجلسَه مُسْتَخفياً، فلما سمع كلامه قام قائماً، وشهر نفسه وقال: يا أبا الحسن، القَصَص بعدك حَرام.

وكانت وفاته ببغداد في ذي القعدة، سمع مشايخ مصر وبغداد، وروى عنه الأئمة، وكان صدوقاً ثقةً صالحاً.

وفيها توفي]

محمد بن عبد الله بن دينار

أبو عبد الله، الفقيه، الزَّاهد، [الحنَفي] العَدْل[1]، النَّيسابوري.

رغب عن الفتوى لاشتغاله بالعبادة.

وكان صائماً [قائماً] صالحاً؛ مع صبره على الفقر وكَسْب الحلال من يده، وكان يحجُّ دائماً ويغزو، وتوفي عند مُنصرَفه من الحج في صفر [في هذه السنة]، ودُفن بقرب أبي حنيفة [وكان صالحاً ثقةً][2].

---

(١) في (ف م): المعدل، وهما سواء، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٣/ ٤٧٤، والمنتظم ١٤/ ٧٨، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٢١، والسير ١٥/ ٣٨٢.

(٢) بعدها في (م ١): والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب.

السنة التاسعة والثلاثون وثلاث مئة[(١)]

فيها استولَى قراتكين على الرَّي والجبال، ودفع عنها عسكر ركن الدولة ابن بويه.

وفي جُمادى الآخرة غزا سيفُ الدولة بلادَ الروم في ثلاثين ألفاً، ففتح حُصوناً كثيرةً، وغنم غنائمَ كثيرةً[(٢)]، وقتل وسَبى خلقاً كثيراً، فأخذ عليه الروم الدُّروبَ عند خروجه، فاستولَوا على أصحابه قَتْلاً وأسْراً، واستردُّوا جميعَ ما أخذ المسلمون منهم، وأخذوا خزائنَه وسلاحَه وجميعَ ماله، وأفلَتَ سيف الدولة في عدد يَسير.

وفيها رُدَّ الحجر الأسود إلى موضعه إلى مكة من البيت، بعث به أخو أبي طاهر الجَنَّابي مع محمد بن سَنْبر إلى المطيع، وكان بَجكم قد دفع فيه خمسين ألف دينار وما أجابوا، وقالوا: أخذناه بأمر وما نردُّه إلا بأمر، فلما كان في هذه السنة ردُّوه وقالوا: ردَدْناه بأمرِ مَن أخذناه بأمره، وقد ذكرناه في سنة سبع عشرة وثلاث مئة، فأقام عندهم اثنتَين وعشرين سنة، فأعطاهم المطيع مالاً، وبعث به إلى مكة، وحُجَّ بالناس، وتمَّت مناسكهم [برجوع الحجر إلى مكانه، وأمن الناس، وفرحوا بعود الحجر إلى مكة][(٣)].

وفيها توفي

الحسين بن أحمد النَّاصر

ابن يحيى الهادي بن الحسين بن إبراهيم بن إسماعيل بن الحسين بن الحسن[(٤)] بن علي بن أبي طالب، أبو عبد الله الكوفي.

أحد وجوه بني هاشم وساداتهم وعُظمائهم وَرَعاً وفَضْلاً، فقيهاً ثقةً صدوقاً.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في (م) عظيمة.

(٣) لم ترد في النسخ (م ف م١) تراجم هذه السنة.

(٤) في تاريخ بغداد ٨/ ٥١٣: يحيى الهادي بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن ابن الحسن، وانظر المنتظم ١٤/ ٨١ ـ ٨٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٢٥.

عبد الرَّحمن بن إسحاق

أبو القاسم، الزَّجَّاجي، النَّحوي.

من أهل بغداد، سكن طَبَريَّة، وأملى وحدَّث بدمشق، وصنَّف في النحو مختصراً وسماه «الجُمَل»، وكانت وفاته في رمضان بطَبَرَيَّة، وقيل: مات سنة أربعين وثلاث مئة[1].

محمد القاهر بن أحمد المعتضد

كان مَحبوساً في دار الخليفة، فأُخرج إلى داره بالحريم الطاهري، فمات ودُفن إلى جانب قبر أبيه وعمُره ثمان وخمسون سنة، وقيل: اثنان وخمسون[2].

محمد بن عبد الله بن أحمد

أبو عبد الله، الصَّفَّار، الأصْبَهاني[3].

محدِّثُ عصره بخُراسان، كان مُجابَ الدعوة، أقام أربعين سنةً لم يرفع رأسه إلى السَّماء حياءً من الله، وكان يقول: اسمي اسمُ رسول الله ﷺ، واسمُ أبي اسمُ أبيه، واسمُ أمي آمنة، وكانت وفاته في ذي القَعدة.

أبو جعفر الصَّيْمَريّ

كاتب مُعزِّ الدولة.

لمَّا توجه من الأهواز إلى فارس حُمَّ في طريقه، وتقدَّم على الجيوش، وكان بالأهواز يُحارب عمران بن شاهين الخارجي، ولمَّا مات ركن الدولة اختلف العَسْكَرُ والرسل إلى معزِّ الدولة بالمُضيّ إلى فارس ليُدبِّرَ الأمور، فسار إلى فارس، فمرض بقرية الجامدة.

---

(١) وقيل سنة (٣٣٧هـ)، انظر طبقات النحويين واللغويين للزبيدي ١١٩، وتاريخ دمشق ٩/ ٨٦٦ (مخطوط)، وإنباه الرواة ٢/ ١٦٠، وإشارة التعيين ١٨٠، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٣٨، والسير ١٥/ ٤٧٥.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ١٩٣، والمنتظم ١٤/ ٨٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٢٨، والسير ١٥/ ٩٨.

(٣) أخبار أصبهان ٢/ ٢٧١، والمنتظم ١٤/ ٨٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٢٩، والسير ١٥/ ٤٣٧.

ولما مات اشرأب لكتابة معزّ الدولة جماعةٌ، منهم أبو علي الطَّبري وأبو محمد المُهَلَّبي وغيرهما، وبَذَل الطبريُّ مالاً لخزانة معزِّ الدولة، وسَفَرَت له أختُ معز الدولة، فقال: يُحضر المال، فاستقرضه من أخت معز الدولة، فلمَّا حصل في الخزانة عَدَل معزُّ الدولة إلى المُهَلَّبي؛ لأنَّه كان صاحب رأيٍ جَواداً، وكان الطَّبري أميناً لا يعرف شيئاً، وكان أولاً نَخَّاساً يبيع الرَّقيق.

وخلع معزُّ الدولة على المُهَلَّبي، وأحْدَرَه إلى الأهواز، فاستخلف على كتابته ببغداد أبا الحسن علي بن الأنباري، وكان جيشُ ركن الدولة قد اضطرب، فأرسل إليهم عمادُ الدولة بمال، فاتَّفقُوا وزال الشَّغَب[١].

(١) تكملة الطبري ٣٦٩ ـ ٣٧٠، والكامل ٨/ ٤٨٥.

السنة الأربعون وثلاث مئة(١)

فيها قصد صاحب عُمان البصرةَ، وساعده أبو يعقوب الهَجَري القِرْمِطي، فسار إليهم أبو محمد المُهَلَّبي في الدَّيْلَم والجيوش فاقتتلوا، فهزمهم المُهَلَّبي، وأخذ مراكبَهم، وغَنم أموالهم وعساكرهم، وانهزم صاحبُ عُمان إلى عُمان، والهَجَري إلى هَجَر، وعاد المُهَلَّبي إلى بغداد بالأساري والمراكب.

وفيها جمع سيف الدولة العساكر من الموصل والجزيرة والشام ومصر والقبائل، ودخل بلاد الروم فأوغل فيها، وجعل على كلِّ مَضيق جُنداً، وقتل وسبى شيئاً كثيراً، وخرج إلى حلب سالماً غانماً، وحج الناس في هذه السنة.

وفيها توفي

عُبيد(٢) الله بن الحسين

ابن دَلَّال(٣) بن دَلْهم، أبو الحسن، الكَرْخي، وهو منسوب إلى كَرْخ جُدَّان، رئيس أصحاب أبي حنيفة(٤).

ولد في سنة ستين ومئتين [واشتغل بالفقه على مذهب أبي حنيفة]، وسكن بغداد، ودَرس بها وبَرَع [، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، وانتشر أصحابه في البلاد.

وذكره جدي في «المنتظم» فقال:] كان متعبِّداً كثيرَ الصلاة والصوم، صَبوراً على الفقر، عَفيفاً عمَّا في أيدي الناس، إلا أنَّه كان رأساً في الاعتزال.

[قلت: هذا قول الخطيب، فإنهم لما أجمعوا على فضله ودينه وزهده وتعبُّده وورعه حار بأيِّ شيءٍ يَعيبه، فرماه بالاعتزال، ثم إنَّ الخطيب قد أثنى عليه فقال:] أصابه

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في النسخ: عبد، وهو خطأ، والمثبت من المصادر.

(٣) في (م): بلال، وهو خطأ.

(٤) في (م ف م١): فصل وفيها توفي أبو الحسن الكرخي رئيس أصحاب أبي حنيفة واسمه عبد الله بن الحسين... والمثبت من (خ)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٢/ ٧٦، وتكملة الطبري ٣٧٣، والمنتظم ١٤/ ٨٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٤٢، والسير ١٥/ ٤٢٦.

الفالجُ في آخر عُمره [، فاتَّفق أصحابه: أبو بكر الدَّامَغاني، وأبو علي الشَّاشي، وأبو عبد الله البَصْري فقالوا:][١] هذا رجلٌ عَفيف عمَّا في أيدي الناس، وقد أصابه هذا المرض[٢]، ويحتاج إلى نَفَقة، ولا ينبغي أنْ نكلِّمَ له الناس، فنكتب إلى سيف الدولة علي ابن حَمْدان نطلب له نَفَقةً، فكتبوا [له]، وعلم [أبو الحسن] فبكى وقال: اللهم لا تجعل رزقي إلا من حيث عوَّدتَني، فمات قبل أن يَحمل إليه سيف الدولة شيئاً، ثم ورد كتابُ سيف الدولة ومعه عشرةُ آلاف درهم، ووَعَد أن يَمُدَّه بأمثالها، فتصدَّقوا بها.

وصنَّف كتاب «المختصر» وغيره.

[وقال الدَّامَغاني:] كان شديدَ المَقْت لمَن يَلي القضاء، فوَليَه من أصحابه علي بن محمد التَّنوخي، فهجره الكَرْخي، فعُوتِبَ فيه فقال: إنه كان يُعاشرني وهو فقير، ويتعذَّر عليه القوتُ، وقد بلغني أنَّه يُنفق كلَّ يوم على مائدته ديناراً، وما علمتُه وَرِث مالاً، ولا اتَّجر فرَبح، ولا أعرفُ لهذه النفقة وجهاً إلا من الجهة التي تَولَّاها، لا حاجة لي فيه، فمات ولم يُكَلِّمه.

[ذكر وفاته:]

مات الكَرْخي[٣] ليلة النِّصف من شعبان ببغداد، وصلى عليه القاضي أبو تَمَّام الحسن بن محمد الزَّيْنبي الهاشمي، [وكان من أصحابه، ودُفن بِحذاء مسجده في دَرْب أبي زيد على نهر الواسِطيِّين، وقد دثر هذا المكان فلا عين ولا أثر] وقيل: مات سنة تسع[٤] وثلاثين، وقيل: سنة ثلاث وأربعين.

واتفقوا على صدقه وأمانته، ومن شعره[٥]: [من البسيط]

كم لَوعةٍ في الحَشا أبقَتْ به سَقَماً خَوْفاً لِهَجْرِك أو خوفاً من النَّائي

---

(١) ما بين معكوفين من (م ف م١)، وبدله في (خ): فقال أصحابه.

(٢) في (م): هذه العلة.

(٣) في (ف م م١) وما بين معكوفين منها: حكى الدامغاني أنه مات، والمثبت من (خ).

(٤) في (خ): سبع.

(٥) في (م ف م١): وقيل سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة، حدث عن جماعة وقال الدامغاني أنشدنا الكرخي لنفسه، والمثبت من (خ)، والأبيات في تاريخ بغداد ١٢/ ٧٥ من غير رواية الدامغاني.

لا تَـهـجـرونـي فـإنِّـي لـسـتُ ذا جَـلَـدٍ ولا اصْـطـبـارٍ عـلـى هَـجْـرِ الأحـبَّـاءِ
لـو أنَّ أعـضـاءَ صـبٍّ خـاطـبـت بـشَـراً لـخـاطـبـتْـك بـوَجْـدي كـلُّ أعـضـائـي
وما هَـمَـمْـتُ بشُرْب الـمـاء من عَـطَـشٍ إلا رأيـتُ خَـيـالاً مـنـك فـي الـمـاء

[واتَّفقوا على أنه إمام وقته في العلم، والزُّهد، والوَرَع، والصِّدق، والأمانة.]

السنة الحادية والأربعون وثلاث مئة[١]

فيها اطَّلَعَ أبو محمد المُهَلَّبي على جماعة من التَّناسُخِيَّة، فيهم غلامٌ شاب يَزْعم أنَّ روح علي بن أبي طالب رضوان الله عليه انتقلت إليه، وفيهم امرأة يقال لها: فاطمة تزعم أنَّ روح فاطمة عليها السلام انتقلت إليها، وفيهم فتًى من بني بسطام يدَّعي أنه جبريل عليه السلام، فضُربوا وقُرِّروا، فتعزَّزوا بالانتماء إلى أهل البيت، فأمر معز الدولة بإطلاقهم لميله إلى أهل البيت[٢].

وفيها دخلت الرّوم مدينة سَروج من ديار ربيعة، فقتلوا وأسروا وسَبَوا، وأحرقوا المساجد، وأخربوا البلد.

وحج بالناس أبو محمد العَلَوي، وقيل: كنيتُه أبو عبد الله أحمد بن عمر بن يحيى العَلَويّ. وجرت بينه وبين المصريين وَقْعةٌ قُتل فيها جماعة، وكان الظَّفَر للعلوي، فأقام الحجَّ، ودعا لمُعزّ الدولة [على منبر مكة والمدينة وفي الموسم].

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن زياد بن بِشر بن دِرْهَم، أبو سعيد، ابن الأعرابي[٣].

بصري الأصل، نزل مكة، وجمع علوم الصوفية، وصنَّف الكتب.

وكان زاهداً، عابداً، ورعاً، وصار شيخَ الحرم، وصحب الجُنَيْدَ، والنُّوري، والمُسوحي وغيرهم، ومات بمكة في ذي القعدة، وأسند الحديث.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) المنتظم ١٤/ ٨٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٥٥، وهذا الخبر ليس في (م ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٢٧، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٥، الرسالة القشيرية ١١٦، تاريخ دمشق ٢/ ١٧٠ (مخطوط)، المنتظم ١٤/ ٨٨، مناقب الأبرار ٢/ ١٤٦، تاريخ الإسلام ٧/ ٧٣٣، السير ١٥/ ٤٠٧. وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

وقال: الوَعْد والوَعيد من الله، فإذا كان الوعد [قبل الوعيد] فالوعيد تهديدٌ، وإذا كان الوعيد قبل الوعد، [فالوعيد] منسوخ، وإذا اجتمعا فالغَلَبةُ للوَعْد لأنه حقُّ العبد، والوعيدُ حقُّ الله تعالى، والكريم يتغافلُ عن حقِّه(١).

وقال: إنَّ الله تعالى جعل نعمتَه سبباً لمعرفته، وتوفيقَه سبباً لطاعته، ورحمتَه سبباً للتوبة.

وقال: إنَّ الله طيَّب الدنيا للعارفين بالخروج منها، وطيَّب الجنةَ لأهل الجنة بالخلود فيها، فلو قيل للعارف: إنَّك تبقى في الدنيا لمات كَمَداً، ولو قيل لأهل الجنة: إنكم تخرجون منها لماتوا كمداً، فطابَت الدنيا بذكر الخروج منها، وطابَت الجنةُ بذكر الدُّخول فيها.

وقال: مَدارجُ العلوم بالوسائط، ومدارج الحقائق بالمُكاشفة.

وسئل عن أخلاق الفقراء فقال: أخلاقُهم السُّكوت عند الفقد، والاضطراب عند الوجود، [والأنس] بالهموم(٢)، والوحشة عند الأفراح.

وقيل: إنه مات في السنة الماضية(٣).

[وفيها توفي]

أحمد بن محمد

الواعظ، أبوالعباس، الدِّيْنَوَري(٤).

ورد نَيْسابور، وأقام بها مدةً، وكان من أفتى المشايخ وأحسنهم طريقةً، وكان [يعظ الناس] ويتكلَّم على لسان أهل المعرفة بأحسن كلامٍ، ثم دخل إلى سَمَرْقَنْد فأقام بها إلى أن توفي.

(١) ما بين معكوفين من طبقات الصوفية ٤٢٩.

(٢) في طبقات الصوفية ٤٣٠ وما بين معكوفين منها: السكون عند الفقر...

(٣) ذكر ذلك ابن عساكر والذهبي.

(٤) طبقات الصوفية ٤٧٥، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٣، الرسالة القشيرية ١٢٣، مناقب الأبرار ٢/ ١٩١، تاريخ الإسلام ٧/ ٩١٧.

[حكى عنه ابن خميس في «المناقب» أنه] تكلّم يوماً، فصاحت عجوزٌ في مجلسه، فقال لها أبو العباس: موتي، فقامت وخَطَت خُطُواتٍ، ثم التفتت إليه وقالت: ها قد متُّ، ووقعت ميتةً[١].

وقال: مُكاشَفات الأعيان بالأبصار، ومُكاشَفات القلوب بالاتّصال.

وقال: العلمُ علمان: علمُ قيام العبد مع الله تعالى، وعلمُ الله في العبد، وهو المُغَيَّب عن العباد؛ إلا مَن كُشِف له عن طُرُقٍ منه مثل نبيٍّ أو وَليٍّ.

ولما أراد الخروج من نَيْسابور قيل له: ما الذي يَحملُك على الخروج منها مع محبَّة أهلها لك؟ فقال: [من الكامل]

إذا عَقَدَ القضاءُ عليك عَقْداً ... فليس يَحُلُّه إلا القَضاءُ
فما لك قد أَقَمْتَ بدار ذُلٍّ ... وأرضُ الله واسِعةٌ فَضاءُ

وكان ينشد[٢]: [من الطويل]

رأيتُكَ يُدنيني إليك تَباعُدي ... فباعَدْتُ نفسي لابتغاء التقرُّبِ

وكان يقول: نَقَضُوا أركان التصوُّف، وهَدموا سبُلَها، وغيَّروا معانيها بأسامي أحدثوها، فسَمَّوا الطمعَ زيادةً، وسوءَ الأدب إخلاصاً، والخروجَ عن الحقِّ شَطْحاً، والتلذُّذَ بالمَذْموم طِيبةً، واتِّباعَ الهوى بَلْوى، والرُّجوعَ إلى الدنيا وصولاً، وسوءَ الخُلُق صَولةً، والبخلَ جَلادةً، والسؤالَ عَملاً، وبذاءةَ اللسان ملامةً، وما كان هذا طريق القوم.

ثالثُ الخلفاء المصريين

إسماعيلُ بن محمد بن عُبَيد

ويُلقَّب بالمنصور[٣].

---

(١) مناقب الأبرار ٢/ ١٩٢.

(٢) في (م ف م١): مع محبة أهلها لك فقال: إذا عقد القضاء عقداً ما يحله غير القضاء ثم أنشد في المعنى: إذا عقد القضاء... قال وكان ينشد: فما لك قد أقمت... وقال أيضاً، والمثبت من (خ).

(٣) الكامل ٨/ ٤٩٧، والسير ١٥/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦٧، والمقفى الكبير ٢/ ١٢٩.

ولد بالمَهْدِيَّة من أرض المغرب سنة اثنتين وثلاث مئة أو إحدى وثلاث مئة.

وكان فاضِلاً، فَصيحاً يخترعُ الخُطَبَ ويَرْتَجلُها لوقته، ونزل المنصورة مدينةً بناها واستوطنها.

ولما مات أبوه بالمَهْدِيَّة في حصار أبي يزيد بن كَيداد كلَّمه الناس في حُسن السيرة، وشكوا إليه ما كان عليه أبوه، فضَمِن لهم أن يغيِّر سيرة أبيه وجدِّه، وحلف على ذلك.

وكان ابن كيداد قد أظهر مذهب الإباضِيَّة، فكَرِهَه الناس، وأقام خمس سنين مُستولياً على البلاد، فخرج إليه إسماعيل من المَهْدِيَّة فحاربه، فلم يزل حتى أخذه أسيراً، فحبسه في سنة ستٍّ وثلاثين، فمات في حبسه، فسلخ جلده وحشاه تِبْناً، ثم صلبه وحَرَّقه بالنار، ثم وفى للناس بما حلف عليه، وبَقَّى ولاة أبيه، وأقام التَّراويح والسُّنن.

ثم مات يوم الجمعة وعمرُه تسعٌ وثلاثون سنة، فكانت ولايتُه سبعَ سنين، وقام بعده ولدُه المُعزّ، فسار في الناس بسيرة أبيه، فأحبَّه الناس، وصفَت له المغرب، وهو الذي خرج إلى مصر، وسنذكره إن شاء الله تعالى في سنة خمس وستين وثلاث مئة(١).

[وفيها توفي

إسماعيل بن محمد بن إسماعيل

أبو علي، الصَّفَّار، النَّحْوي(٢).

قال الدَّارقطني: صام إسماعيل أربعةً وثمانين رمضاناً، وكان من أهل السنة.

وتوفي في المحرَّم، ودفن عند قبر مَعْروف الكَرْخي بينهما عرض الطريق، وكان صالحاً، ثقةً، مأموناً، ورِعاً.

(١) من قوله: وكان يقول: نقضوا أركان التصوف... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠١، والمنتظم ١٤/ ٨٨، ومعجم الأدباء ٧/ ٣٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦٦، والسير ١٥/ ٤٤٠، وهذه الترجمة ليست في (خ).

وفيها توفي]

الحسن بن أحمد

أبو علي المقرئ [، ويعرف بابن الكاتب المصري][١].

من كبار مشايخ مصر [له الكلام الحَسَن، والعبارة الحُلوة، والإشارة اللَّطيفة.

حكى أبو نعيم الأصبهاني عنه أنه] قال: إذا انقطع العبدُ إلى الله بالكلِّية فأول ما يفيده الاستغناء به عن مَن سواه.

وقال: يقول الله تعالى في بعض الكتب: مَن صبر علينا وصل إلينا.

وقال: إذا سكن القلبَ الخوفُ لم يَنطق اللسانُ إلا بما يَعنيه.

[وحكى السُّلَمي عن ابن الكاتب أنه] قال: روائحُ المحبَّة تفوح من المُحبِّين وإنْ كتموها، وتظهرُ دلائلُها عليهم وإنْ سَتَروها [وتبدو عليهم وإن أخفَوها، فهذه إشارة الأحباب] وأنشد: [من الطويل]

إذا ما أسرَّتْ أنْفُسُ[٢] القوم ذكرَه ... تبيَّنْتَهُ فيهم ولم يَتكلَّموا
تطيبُ به أنفاسُهم فيُذيعُها ... وهل سِرُّ مِسْكٍ أُودِعَ الرِّيحَ يُكتَمُ

وقيل: إنَّه مات سنة ثلاث وأربعين وثلاث مئة[٣] [، صحب أبا علي الرُّوْذَباري، وأبا عثمان المغربي، وكان المغربي يُعظِّمه ويُوَقِّره.

وفيها توفي

محمد بن النَّضْر

ابن مُرّ بن الحُرّ، أبو الحسن، المقرئ، الدمشقي، ويُعرف بالأَخْرَم[٤].

---

(١) طبقات الصوفية ٣٨٦، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٠، الرسالة القشيرية ١١٣، مناقب الأبرار ٢/ ١٠٦، المنتظم ١٤/ ٩٠.

(٢) في (م ف م١): ألسن. والمثبت من (خ)، وهو الموافق للمصادر.

(٣) وكذلك أورده ابن الجوزي في المنتظم في وفيات سنة (٣٤٣هـ).

(٤) تاريخ دمشق ٦٥/ ١٢٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٧٣، والسير ١٥/ ٥٦٤. وهذه الترجمة ليست في (خ).

قرأ القرآن على هارون بن موسى الأخفش وغيره، وقرأ عليه علي بن داود الداراني، وكان صالحاً.

وقال الحافظ ابن عساكر: مات في يوم صائف بدمشق، فلما أخرجت جَنازته جاءت سحابة فأظلَّت الجنازة حتى دُفن.

وفيها توفي]

أبو الخَيْر التِّيْناتي

[ولا يعرف اسم له] وقيل: اسمُه حَمّاد بن عبد الله[1].

أصلُه من المغرب، وسكن تِيْنات قرية من قرى أنطاكية.

[كذا ذكر ابن خَميس، وقال الصُّولي: قرية على] أميال[2] من المِصِّيصَة، وأقام بلبنان مُدَّةً.

[كان صاحب كرامات وآيات وإشارات، وكانت السِّباع والوحوش تأنَس به، وأثنى عليه الأئمة، وذكر كراماته السُّلَمي، وابن خَميس، وابن جَهْضَم، وأبو نُعيم، والحافظ ابن عساكر، حتى قال في «تاريخه»: كان أبو الخير من العُبَّاد المشهورين، والأولياء المذكورين.

وقال القُشَيري: كان كبير الشأن، وكان يُسمَّى الأَقْطَع لأنَّ يده كانت مقطوعةً.

ذكر سبب قطع يده:

كان إذا سئل عنها يقول: هذه يدٌ جَنَت **فقطُعِت**، وذكر سبب قطعها السُّلَمي وابن جَهْضَم وأبو نُعيم وابن خَميس في «المناقب» وابن عساكر، وغيرهم.

---

(١) وقيل: عباد بن عبد الله، كما في معجم البلدان (تينات)، وانظر ترجمته في: طبقات الصوفية ٣٧٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٧، الرسالة القشيرية ١١١، المنتظم ١٤/ ٩٦، مناقب الأبرار ٢/ ٨١، تاريخ الإسلام ٧/ ٩١٧، السير ١٦/ ٢٢، مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٥٨.

(٢) في (خ): أنطاكية وقيل هي أميال، والمثبت من (م ف م١).

حدثنا غير واحد عن أبي الفَضْل محمد بن ناصر بإسناده، عن بكر بن محمد قال: كنتُ عند أبي الخير بالتِّينات، فباسَطَني] فحادثتُه[١]، فذكر بدايتَه، فهَجَمتُ[٢] عليه وسألتُه عن سبب قَطْع يده، فقال: يدٌ جنَت فقُطِعَت، ثم سكت، واجتمعتُ به بعد ذلك بسنين مع جماعة من الشيوخ، فتذاكروا مواهبَ الله تعالى لأوليائه، وأكثروا ذكرَ الكرامات وقَطْعَ المسافات[٣]، فتَبَرَّم الشيخ وقال: كم تقولون: فلانٌ مشى في ليلة إلى مكة، وفلان مشى في يوم، وأنا أعرفُ عبداً [حَبَشيًّا] من عبيد الله كان جالساً في جامع طَرابُلُس ورأسُه في مُرَقَّعَته، فخطر بباله طِيب الحَرَم، فقال في سرِّه: يا ليتني فيه، فأخرج رأسه وإذا به فيه.

وأمسك عن الكلام، وتغامَزَ الجماعةُ، وأجمعوا على أنه ذلك الرجلُ؛ فسأله واحدٌ عن سبب قطع يده فقال:

خرجتُ من المغرب، فأقمتُ بالإسكندرية اثنتي عشرة سنة [، ثم انقلبتُ[٤] إلى مكان بين شَطا ودِمْياط، فأقمتُ فيه اثنتي عشرة سنة] أتقوَّتُ بعُروق البَرْدي، أَنبُشُه من تحت التراب، فآكلُ العِرْقَ الأبيض وأرمي بالباقي، وفي رواية: وكنتُ قد بَنيتُ لي كُوخاً، فكنتُ أجيءُ من ليل إلى ليل، وأفطر على ما نَفَضه المُرابطون، وأُزاحم الكلابَ على قُمامة السُّفَر، فنُوديتُ في سرِّي: يا أبا الخير، تَزعُم أنك لا تُزاحم الخلقَ في أقواتهم، وتُشيرُ إلى التوكُّل، وأنت في وسط المعلوم جالس؟ فقلتُ: إلهي، وعِزَّتك لا مَدَدتُ يدي إلى شيءٍ مما تُنبتُه الأرضُ حتى تكونَ أنت الذي توصل إليَّ رزقي من عندك [من حيث لا أكون أنا فيه].

فأقمتُ اثني عشر يوماً أُصلِّي الفَرْض [، وأتَنَفَّل، ثم عجزتُ عن النَّافلة، فأقمتُ أُصلّي الفرضَ والسُّنة اثني عشر يوماً، ثم عجزت عن السنة، فأقمتُ اثني عشر يوماً

(١) في (خ): وكان من العباد المشهورين والأولياء المذكورين صاحب كرامات وآيات وإشارات، ويسمى الأقطع لأن يده كانت مقطوعة، وكانت الوحوش والسباع تأنس به، قال بكير بن محمد كنت عنده بالتينات فبسطني، والمثبت من (م ف م١).

(٢) في (م ف م١): فتقحمت.

(٣) في (م ف م١) بعدها: وقد ذكرها في المناقب أيضاً قال.

(٤) في (م): انتقلت.

أصلي الفَرْض] لا غير، ثم عجزتُ عن القيام، فأقمتُ اثني عشر يوماً أُصلّي الفرضَ قاعداً، فعجزتُ عن الجلوس، فلجأتُ بسرِّي إلى الله تعالى وقلتُ: إلهي، ضَمِنتَ لي رزقاً، وافترضْتَ عليَّ فرضاً تسألني عنه، فتفضَّل عليَّ برزقي لأقومَ بفرضك [حتى لا أعجز]، فوَعِزَّتك لأجتهدَنَّ أن لا أَحُلَّ عَقْداً عَقَدْتُه معك، وإذا بين يدَيَّ [قُرْصان أو] رَغيفان بينهما شيءٌ، فكنت آخذهما دائماً من ليل إلى ليل.

ثم طُولبتُ بالمَسير إلى ثَغْر الشام(١)، فسرتُ حتى دخلتُ الفَرَما، فوجدتُ في جامعها قاصًّا يذكرُ قصةَ زكريا عليه السلام والمِنْشار، ودخولَه إلى الشجرة، وأنَّ الله أوحى إليه حين نُشِر: لئن تأوَّهْتَ أو صَعِدَت إليّ منك أَنَّةٌ لأَمْحُوَنَّك من ديوان النبوة، فصبر حتى قُطع نصفين، فقلت [: لقد كان زكريا صابراً، ثم قلت] في نفسي: إلهي لئن ابتليتَني لأَصبِرَنَّ.

وسِرتُ فدخلتُ أنطاكية(٢)، فرآني بعضُ إخواني وعلم أنِّي أريد الثَّغْرَ، فدفع إليَّ سيفاً وتُرْساً وحَرْبةً للسَّبيل، وكنتُ أحتشمُ من الله أن أُرى وراء سور خِيفةً من العدوّ، فخرجتُ إلى غابةٍ هناك، فكنتُ أكون فيها بالنَّهار، وأخرجُ بالليل إلى ساحل البحر، فأَغْرِزُ الحَرْبَة في الأرض، وأُسند التُّرْسَ إليها، وأتقلَّد السيف وأُصلِّي إلى الغَداة، فإذا صليتُ الصُّبحَ غَدوتُ إلى الغابة فكنتُ فيها نهاري، والقُرْصان يَحضُران عندي كلَّ ليلة.

فخرجتُ يوماً أمشي في الغابة، وإذا بشجرة بُطْم، [بعضه] قد بلغ، وبعضُه أخضر، وبعضه أحمر، وقد وقع عليه النَّدى وهو يَبْرُق، فاستحسنْتُه، وأُنسيتُ عهدي مع الله تعالى، فمَدَدتُ يدي فقطعتُ منها عُنقوداً، وجعلتُ بعضَه في فمي، فبينا أنا أَمْضُغُه ذكرتُ العَقْد، فرميتُ به من فمي وقلتُ: جاءت المِحْنةُ، ورميتُ التُّرْسَ والحَرْبةَ، وجَلَسْتُ ويدي على رأسي، فما استقرَّ بي جُلوسي حتى استدار بي فُرْسانٌ ورَجَّالة وقالوا: قم إلى الأمير.

(١) في (م ف م١): الثغر بالشام.

(٢) في (م ف م١): قال وسرت حتى دخلت أنطاكية.

وساقوني إلى أمير بين يديه جماعةٌ من السُّودان جماسين[١]، وكانوا يقطعون الطريق في ذلك المكان، فلمَّا رآني وبيدي الحَرْبة والسَّيف والتُّرْس وأنا أسودُ اللون قال لي: إيش أنت؟ قلتُ: عبدٌ من عبيد الله، فظنَّني منهم فقال: أتعرفونه؟ قالوا: لا والله ما رأيناه قبل اليوم، قال: بلى، هو رئيسكم وإنَّما تَفدونه بأنفسكم، لأُقَطِّعَنَّ أيديكم وأرجلكم.

ثم قدَّم واحداً واحداً فقطع يدَه ورجلَه، حتى أتى على آخرهم، ثم قال لي: مُدَّ يدك، فمددتُها فقطعها، ثم قال لي: مُدَّ رجلك، فرفعتُ طَرْفي إلى السماء وقلتُ: إلهي يدي جَنَت فقُطعت، ورجلي إيش عملت؟

وإذا بفارس قد وقف على الحَلْقة، فلما رآني رمى بنفسه إلى الأرض وقال: وَيْحَكم، إيش تريدون أن تفعلوا؟ تريدون أن تنطبق الخضراء على الغَبْراء؟! هذا رجل صالح [يُعرف بأبي الخير المُناجي ـ قال: وكنتُ أُعرف يومئذٍ بالمناجي] فرمى الأميرُ نفسه عن الفرس، وأخذ يدي المقطوعة من الأرض، وجعل يُقبِّلُها ويبكي، وتعلَّق بي وقال: اجعلني في حِلٍّ، سألتُك بالله، فقلتُ: قد جعلتُك في حلٍّ من أوَّل ما قطعتَها، وأنا أعرف ذنبي، وهذه يدٌ جنَت فقُطعت، ثم بكى وقال: أيُّ ذنبٍ أعظمُ من ذنبي، قطعت يدي، وانقطعت عنِّي القرصان.

[وذكر جدي في «الصَّفوة»[٢] وقال: إن أبا الخير كان قد عاهد الله أن لا يأكل من ثمار الجبال شيئاً إلا ما طرحتْه الريح، فخرج إلى جبال أنطاكية، فرأى شجرةَ كُمَّثْرى، فاشتهى منها شيئاً، فأمالتْها الريح، فأخذ منها واحدة فأكلها، وذكر قطع يده.

وذكر جَدّي[٣] أبا الخير وعاب عليه فقال: انظروا رحمكم الله إلى عَدَم العلم كيف صنع بهذا الرجل، وقد كان من أهل الخير، ولو كان عنده علمٌ لعلم أنَّ ما فَعَلهُ حرامٌ عليه.

---

(١) كذا في النسخ ومناقب الأبرار ٢/ ٨٦، ولم أجد لها معنى يناسب هذا السياق، ولعلها بشين معجمة، يعني محلوقي الرؤوس عقوبة، والله أعلم. وانظر مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٤.

(٢) ٤/ ٢٨٢.

(٣) في تلبيس إبليس ٣٠٣، وساق قصته.

قلت: والذي ذكره جدي صحيح، وقد كان قادراً على أنْ يُعرِّفَهم بنفسه، ولو فعل ذلك ما قطعت يده، ثم هذا أمرٌ لا يوافقه الشَّرعُ عليه ولا العقل، أما الشرع فإنه لو سرق جميع فواكه الدنيا لم يجب عليه القَطْع، وأما العقل فالله تعالى أكرم من أن يُعذِّب عبداً على تناول عنقود من البُطْم، وقد كان يكفيه التوبة والاستغفار، ولكن نرجع إلى الأقدار؛ فإنه يحتمل أنه لو عرَّفهم بنفسه لم يُطلقوه، وأنَّ الله طمس على أعينهم حتى أنفذ فيه أمرَه.

وقد روى الحافظ ابن عساكر الحكاية وقال فيها: إنهم لما أخذوني وأنا ساكتٌ، وقد كانوا يعرفونني، ولكنْ طمس الله على قلوبهم حتى أنفذ أمره في يدي، قال: فلما أرادوا أن يقطعوا رجلي كشف الله لهم فعرفوني(١)، وكلُّ مَقدورٍ كائن لا مَحالَة.]

وقال ابن عساكر في تمام الحكاية: قال أبو الخير: ثم أغْلَوا الزَّيت ليدي فلم أفعل، ودخلتُ غاراً فبتُّ فيه بليلةٍ عظيمة، فرأيتُ النبيَّ ﷺ في المنام، فأخذ يدي المقطوعة فقبَّلها، فأصبحتُ ولا أجدُ للقطع ألَماً وعوفيتُ(٢).

[قلتُ: وقد عوَّضه الله، وكان يَسُفُّ الخُوصَ باليد المقطوعة، فذكر جدي في «المنتظم» عن محمد بن الفضل قال:](٣) خرجتُ من **أنطاكية** إلى **التِّينات**، فدخلتُ على أبي الخير على غَفْلة [منه بغير إذن]، فإذا هو يسفُّ زَنْبيلاً بيده(٤)، فعجبتُ، ونظر إليَّ وقال: يا عدوَّ نفسِه، ما الذي حملَك على هذا؟ قلتُ: هَيَجان الوَجْد لِمَا بي من الشَّوق إليك، فضحك ثم قال لي: اقعُد ولا تَعُد إلى مثلها، واستر عليَّ أيام حياتي.

[وروى الحافظ ابن عساكر عن] إبراهيم بن عبد الله قال(٥): دخلت على أبي الخير مسجدَه وهو يحدِّث شخصاً، فقال: اخرج ورُدَّ الباب، فخرجتُ وجلستُ على الباب طويلاً، وكانت لي إليه حاجةٌ فقلت: إنْ كانا في سرٍّ فقد فَرَغا، فدخلتُ فلم أجد عنده

---

(١) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦١.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦١ ـ ٢٦٢، وما سلف ويأتي بين معكوفات من (م ف م١).

(٣) ما بين معكوفين من (م ف م١)، وجاء بدلها في (خ): وقال محمد بن الفضل، والخبر في المنتظم ١٤/ ٩٦ ـ ٩٧.

(٤) في (م): يسف الخوص، وبيده زنبيل يعمل فيه.

(٥) في (خ): وقال إبراهيم بن عبد الله، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٩.

أحداً، فقلتُ: وأين الشخصُ الذي كان عندك، ما رأيتُه خرج من الباب؟! فقال: مثل هذا لا يخرجُ من باب، قلتُ: لعلَّه الخَضِر؟ قال: نعم، فبكيتُ وقلتُ: ياليتَني سلَّمتُ عليه وسألتُه الدعاء.

ومضت مدةٌ وفُتح على الشيخ بشيء فقال: خُذه واذهب إلى أَذَنَة، واشتر لنا حوائجَ سمَّاها، فمضيتُ إلى أَذَنَة، واشتريتُ الحوائج، وحملتُها على ظهري في كساء، فتعبتُ، فجلستُ أستريح، وبيني وبين التِّينات ستةُ أميال، فوقف عليَّ شخصٌ وسلَّم علي وقال: يا أخي قد تعبتَ، فناولني لأحملَ عنك، فناولتُه، فحمله إلى قريب التينات وقال: الله معك، وسَلِّم على الشيخ عنِّي، قلتُ: من أقول؟ قال: هو يعرف، فلمَّا دخلتُ على أبي الخير قال: يا إبراهيم: أما استحيَيْتَ حَمَّلْتَ الرجل ستة أميال، فما [حسدتك، و](1) قد غَبَطْتني على كلامه واجتماعه بي، فقلتُ: الخضر هو؟ قال: نعم، فبكيتُ، فقال: تبكي إن لقيتَه وإن لم تلقَه؟!

وقال أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي(2): قال أبو الخير: دخلتُ مدينة النبي ﷺ ولي خمسةُ أيام لم آكل شيئاً، فتقدَّمُت إلى القبر، وسلَّمتُ عليه وقلتُ: يا رسول الله أنا ضيفك الليلة(3)، ونمتُ فرأيتُه في المنام، فناولني رغيفاً، فأكلتُ نصفَه، ثم انتبهتُ وفي يدي النصفُ الآخر.

[وحكى عنه ابن باكويه] قال: أقمتُ بمكة سنةً فأصابتني فاقةٌ، فلما أردتُ الخروجَ إلى المسألة هتف بي هاتفٌ: أما تستحي، الوجهُ الذي تبذُلُه لي تبذله لغيري؟!

وقال الأنصاري: دخلتُ(4) على أبي الخير، فناولني تفاحتين وقال: أنا أعلمُ أنَّك ما تحمل مَعلوماً، ولكن احمل هذه، فجعلتهما في جيبي وقلتُ: أتبرَّك بهما، فأصابتني فاقةٌ، فأخرجتُ واحدةً فأكلتُها، ثم أدخلتُ يدي لأخرجَ الأخرى وإذا بالتفاحتين على حالهما، فما

(1) ما بين معكوفين من مختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٧٠.

(2) في (خ): وقال أبو عبد الله السلمي، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في طبقات الصوفية ٣٧٠.

(3) في (م): أنا الليلة في ضيافتك.

(4) في (م ف م١): وقال أبو بكر المصري حدثني فقير يعرف بالأنصاري [في م: بالأصبهاني] قال دخلت، والمثبت من (خ). وانظر مناقب الأبرار ٢/ ٨٢، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٠.

زلتُ آكلُ منهما إلى الموصل، فاجتزتُ بخَرابٍ، وإذا بعَليل يُنادي: يا قوم، اشتهيتُ على الله تفاحتين، ولم يكن وقت التفاح، فأخرجتُ التفاحتين ودفعتُهما إليه، فأكلهما ومات، فعلمتُ أنَّ الشيخ إنما أعطاني إياهما من أجله[١].

[وحكى عنه في «المناقب» قال:] قال إبراهيم الرَّقِّي[٢]: أتيتُ لزيارته، فصلَّيتُ خلفه المغرب، فما أقام [الفاتحة]، فقلتُ في نفسي: ضاعت سفرتي، ثم نمتُ فاحتلمتُ، فخرجتُ من البيت أريد النهر [لأغتسل]، وكان البردُ شديداً، فلما نزلتُ النهر وخلعتُ ثيابي جاء السَّبُع فقعد عليها وأطال، وكدتُ أتلَفُ من البرد [ووجدتُ ألمه]، وإذا بأبي الخير قد خرج فصاح على الأسد وقال: أما قلتُ لك لا تتعرَّض لضيفاني، فقام يُهَرْول، فصعدتُ ولبستُ ثوبي، فقال لي: أنتم اشتغلتُم بتقويم الظواهر فخفتُم من الأسد، ونحن اشتغلنا بتقويم البواطن فخافنا الأسد.

وقال إبراهيم: دخل عليه[٣] جماعة من البغداديين، فتكلَّموا في الشَّطْح والدَّعاوى، فضاق صدره، وقام فخرج، فجاء الأسد فدخل البيتَ، فسكتوا وانضمَّ بعضُهم إلى بعض، وخافوا وتغيَّرت ألوانُهم، فدخل عليهم أبو الخير وقال: أين تلك الدَّعاوى؟! ثم صاح على الأسد فخرج من البيت.

وقال[٤]: جاء إبليس إليَّ وأنا أُصلِّي في صورة حَيَّة، فتطوَّق عليَّ في سجودي[٥]، فقبضتُه وقلتُ: يا لَعين، لولا أنك نَجِسٌ لسجدتُ على ظهرك.

[ذكر نبذة من كلامه ووعظه:

حكى عنه في «المناقب» أنه] قال[٦]: لن يَصفوَ قلبُك إلا بتصحيح النيَّة لله تعالى، ولن يصفو بدنُك إلا بخدمة أولياء الله.

(١) في (م): إياهما لأجل ذلك المريض.

(٢) في (خ): وقال إبراهيم الرقي، والخبر في المناقب ٢/ ٨٣، ومختصر تاريخ دمشق ٢٨/ ٢٦٥.

(٣) في (م ف م١): وفي رواية إبراهيم الرقي قال دخل على أبي الخير، والمثبت من (خ).

(٤) في (ف م م١): وحكى في المناقب أنه قال، والخبر ليس في ترجمته في المناقب، ورواه ابن عساكر في تاريخه انظر مختصره ٢٨/ ٢٦٩.

(٥) في مختصر تاريخ دمشق: فتطوق بين يدي سجودي.

(٦) ما بين معكوفين من (ف م م١)، والقول في المناقب ٢/ ٨٢، وطبقات الصوفية ٣٧١.

وقال: حَرام على قلبٍ مأسور بحبِّ الدنيا أن يَسيح في روح الغيب.

وقال: القلوب ظروفٌ، فقلبٌ مملوءٌ إيماناً وعلامتُه الشَّفقةُ على خَلْق الله، وقلبٌ مملوءٌ نفاقاً وعلامته الغِلُّ والحقد والحَسد.

وقال: مَن لم يكن [له] مع الله صحبةٌ دائمة اعترضَت عليه الأحزان، من ظهور المِحَن وتَغيُّر الزَّمان.

وقال: الدَّعوى رُعونةٌ، لا يحتمل القلبُ إمساكَها، فيُلقيها إلى اللسان، فتنطقُ بها ألسنةُ الحَمْقى.

ذكر وفاته:

[حكى السُّلَمي أنه] توفي في هذه السنة، وحكى أيضاً أنه مات في سنة تسع وأربعين وثلاث مئة، وقيل: في نيِّفٍ وأربعين أو ثلاث وأربعين وثلاث مئة[1]، وعاش مئةً وعشرين سنة، وصحب أبا عبد الله بن الجَلَّاء وطبقته[2].

---

(١) الذي في طبقات الصوفية ٣٧٠: مات سنة نيف وأربعين وثلاث مئة، وكذا في الرسالة القشيرية ١١١، ومناقب الأبرار ٢/ ٨١، ونقل ابن عساكر ٢٨/ ٢٧١ (مختصر تاريخ دمشق) عن السلمي: سمعت أبا الأزهر يقول: عاش أبو الخير مئة وعشرين سنة ومات سنة تسع وأربعين وثلاث مئة أو قريباً منه، وانظر تاريخ الإسلام ٧/ ٩٢٠، والسير ١٦/ ٢٣، وأورد ترجمته ابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ٩٦ في وفيات سنة ٣٤٣ هـ.

(٢) بعدها في (ف م ١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة الثانية والأربعون وثلاث مئة(١)

فيها عاد سيف الدولة من الرُّوم سالماً غانماً، وأسر قُسْطَنطين بن الدُّمُسْتُق، وقتل خلقاً عظيماً وسبى، وعاد إلى حلب.

وفيها جاء صاحبُ خراسان ـ ويقال له: ابن مُحتاج ـ إلى الرَّي، فحارب ركن الدولة، وجرت بينهما وقائعُ، وعاد إلى خُراسان على غير صُلْح.

وفيها وُلد العزيز بن المنصور خامس الخلفاء المصريين.

وحجَّ بالناس أبو محمد العَلَوي، وجرى بينه وبين المصريين حربٌ فظهر عليهم، وسببُه: أنَّ المصريين طلبوا أن يخطب لابن طُغْج، فخطب لمعز الدولة(٢).

وفيها توفي

الحسن بن طُغْج بن جُف

أبو المُظَفَّر، الفَرْغاني(٣).

ولي إمرةَ دمشق خلافةً عن أخيه أبي بكر محمد [بن طغج] في أيام القاهر، ثم عزله أخوه وولَّى دمشق أخاه عبيد الله، ثم وليها الحسنُ مرةً أخرى في أيام المطيع في سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة، ثم رُدَّ إلى الرَّمْلَة فمات بها [في هذه السنة]، وحُمل في تابوت إلى القدس فدُفن بها، وكان شُجاعاً [جَواداً كريماً].

عثمان بن محمد بن علي

أبو الحسين، الذَّهبي، البغدادي(٤).

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) من قوله: وفيها جاء صاحب خراسان... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) تاريخ دمشق ٤/ ٤٦١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٨٠.

(٤) حكى الخطيب في تاريخه ١٣/ ١٩٠ عن الصوري أنه توفي نحو سنة أربعين وثلاث مئة، وقال غيره: توفي سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة بحلب، ونقله ابن عساكر في تاريخه ٤٧/ ٢٨ عن الخطيب، وأورده الذهبي في تاريخ الإسلام ٧/ ٦٧٩ في وفيات سنة (٣٣٤ هـ).
ومن هذه الترجمة إلى نهاية السنة ليس في (م ف م١).

سكن مصر، وحدَّث بها وبدمشق، وكانت وفاته بها، وقيل: بحلب.

ومن شعره[1]: [من المنسرح]

المُلْكُ والعِزُّ والمُروءةُ والسْـ ... سُؤْدد والنُّبْلُ واليَسار معا
مُجتمعاتٌ في طاعة العبد لله إذا العبدُ أعملَ الوَرَعا
والفقرُ والذُّلُّ والضَّراعَةُ والـ ... فاقَةُ في أصل أُذنِ مَن طَمِعا
وآثَرَ الفانيَ الخَسيسَ من الدُّ ... نيا وأمسى لأهلها تَبَعا

علي بن محمد

ابن أبي الفَهْم داود بن إبراهيم بن تَميم، أبو القاسم، التَّنوخي[2].

وأصله من ملوك تَنوخ الأقدمين من ولد قُضاعة، وهم حيٌّ من اليمن.

وأبو القاسم مصنِّف كتاب «الفرج بعد الشدة»[3].

ولُد بأنطاكية سنة ثمان وسبعين ومئتين في ذي الحجة، وقدم بغداد في حداثته، وتفقَّه على مذهب أبي حنيفة، وبرع في علوم الأصول والنجوم، وقال الشّعرَ الجيد، وله ديوان، وولي قضاء الأهواز وأعمالها، وولي جُنْدَ حِمصَ من قبل المطيع، وكان فاضلاً نبيلاً.

قال: سمعتُ أبي يُنشد يوماً ولي إذ ذاك خمسة عشر سنة بعضَ قصيدة دِعْبِل التي يَفخر فيها باليمن ويُعدِّد مَناقِبَهم، ويَرُدُّ على الكُميت فيها فَخْرَهُ بنزار، وأوّلها: [من الوافر]

أفيقي من مَلامِكِ يا ظَعينا ... كفاك اللَّومَ مَرُّ الأربعينا

---

(١) كذا؟!، وفي تاريخ دمشق ٤٧/ ٢٦: أخبرنا أبو القاسم، أخبرنا رشأ بن نظيف، أخبرنا الحسن بن إسماعيل، أخبرنا عثمان بن محمد ـ هو الذهبي البغدادي ـ أخبرنا الحارث، حدثني محمد بن حسين، عن أبي يعلى الكوفي قال: أنشدنا بعض أصحابنا.

فبان بهذا أن الشعر الآتي من راويته لا من شعره.

ونسب ابن عبد البر الأبيات إلى إسحاق الموصلي في بهجة المجالس ١/ ٣٩٥.

(٢) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٥٠، المنتظم ١٤/ ٩٠، معجم الأدباء ١٤/ ١٦٢، تاريخ الإسلام ٧/ ٧٨٢، السير ١٥/ ٤٩٩.

(٣) كذا قال، وإنما الكتاب لابنه المحسِّن، وقد طبع في خمسة أجزاء بتحقيق عبود الشالجي. وانظر السير ١٦/ ٥٢٤.

وهي ستُّ مئة بيت، فاشتهيتُ أن أحفَظَها لما فيها من مفاخر اليمن أهلي، فقلتُ: يا سيدي، ادفَعها إليَّ حتى أحفظَها، فدافَعَني، فألحَحْتُ عليه فقال: كأني بك تأخذُها فتحفَظُ منها خمسين بيتاً أو مئة بيتٍ ثم تَرمي بالكتاب فتُخْلِقَه عليَّ، فقلتُ: ادفعها إليَّ فدفعها، فدخلتُ الحُجْرَةَ فحفظتُها يومي وليلتي، ثم خرجتُ إليه غُدوةً فقال: كم حفظتَ منها؟ فقلتُ: الكلَّ، فقد رآني كذبتُه فقال: أنشدها من هاهنا، فأنشدتُه الجميع، فهاله حِفْظي، وضمَّني إليه، وقبَّل ما بين عينَيَّ وقال: بالله لا تُخبر بهذا أحداً؛ فإنِّي أخاف عليك العين.

قال: وحفظتُ من شعر القدماء والمُحْدَثين مئتي قصيدة، [وكان أبي وشيوخنا بالشام يقولون: من حفظ للطائيين أربعين قصيدةً و] لم يقل الشِّعر فهو حمار في مِسْلاخ إنسان، فقلتُ الشعرَ وسنِّي دون العشرين سنة(١).

ذكر وفاته:

خرج إلى البصرة في ربيع الأول فتوفي بها، ودُفن في شارع المِرْبَد، وكان صَدوقاً ثقةً.

[القاسم بن] القاسم بن مَهْدي

أبو العباس، السَّيَّاري(٢).

من أهل مرو، كتب الحديثَ الكثير، وتفقَّه، وكان شيخَ أهل مرو، وأولَ مَن تكلَّم عندهم في حقائق الأحوال.

قال: مَن حفظ قلبَه مع الله تعالى بالصِّدق أجرى الله الحكمةَ على لسانه.

وقال: ظلمُ الأطماع يَحجب أنوار المشاهدات.

وسئل عن قوله تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] فقال: إظهار غائبٍ وتغييبُ ظاهر.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٥٣، وما بين حاصرتين منه.

(٢) طبقات الصوفية ٤٤٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٠، الرسالة القشيرية ١١٨، المنتظم ١٤/ ٩٢، مناقب الأبرار ٢/ ١٥٦، تاريخ الإسلام ٧/ ٧٨٤، السير ١٥/ ٥٠٠ وما بين معكوفين منها كلها.

وقال: لو جاز أن يُصَلَّى ببيتٍ من الشعر لكان قولُ القائل: [من الخفيف]

أتـمـنَّـى عـلـى الـزَّمـان مُـحـالاً أن تـرى مُـقْـلَـتـايَ طَـلْـعـةَ حُـرِّ

محمد بن داود

ابن سليمان بن جعفر، أبو بكر، الزَّاهد، النَّيْسابوري(١).

قدم بغداد، وأقام بها مدةً طويلة، وكتب الحديث الكثير، ودخل الشام والحجاز والعراق، وكان شيخ الصوفية في عصره بخُراسان والعراق، ومن المقبولين بالعراق والحجاز والشام ومصر وخُراسان، وصنَّف المسندَ والأبواب، وجمع أخبار الصُّوفية والزُّهَّاد، وتوفي بنيسابور عند رجوعه إليها في ربيع الأول.

وكان ثقةً، فَهْماً، ثَبْتاً، صالحاً، من الأولياء.

محمد بن موسى

ابن يعقوب بن عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، أبو بكر، الهاشمي(٢).

ولي مكة سنة ثمانٍ وستين ومئتين، وقدم مصر فحدَّث بها عن علي بن عبد العزيز بالموطَّأ عن القَعْنَبيّ عن مالك، وتوفي بمصر في ذي الحجة، وكان ثقةً.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ١٧١، تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٩، المنتظم ١٤/ ٩٣، تاريخ الإسلام ٧/ ٧٨٥، السير ١٥/ ٤٢٠.

(٢) المنتظم ١٤/ ٩٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٨٦.

السنة الثالثة والأربعون وثلاث مئة(١)

فيها كانت وقعة عظيمة بين سيف الدولة والدُّمُسْتُق على الحَدَث، وكان الدُّمُسْتُق قد جمع جمعاً لم يجمع قبله مثله من التُّرك والرُّوس والبُلغار والخَزَر، فكانت الدَّبَرة على الدمستق، قُتل فيها معظمُ البَطاركة والرُّوس والتُّرك، وهرب الدُّمستق، واستؤسر صِهرُه وجماعة من أعيان البطارقة، فأما القتلى فلا يُحصَون، وغنم سيف الدولة عسكرَهم بما فيه من الخزائن والسلاح والدواب وغيرها.

وفيها خطب أبو علي بن مُحْتاج صاحبُ خراسان للمطيع، ولم يكن خُطب له قبل ذلك، ووصل رسوله إلى بغداد، فأوصله معزُّ الدولة إلى المطيع، فعقد لابن مُحتاج على خُراسان، وخَلَع عليه، وبعث له لواءً، وأرسل معه معزُّ الدولة جيشاً يساعده على مُحاربة ابن نَصْر، وكان يحارب صاحب خراسان(٢).

وفيها مرض معز الدولة بعلَّة الإنعاظ الدائم، وأُرجف بموته، واضطربت بغداد، فاضطر إلى الركوب، فلمَّا رآه الناس سكنوا، وحجَّ بالناس أبو محمد العَلَوي.

وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد

ابن محمد بن المُوَلَّد، أبو إسحاق، الصُّوفي، الرَّقِّي [الواعظ(٣).

ذكره أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي في «الطبقات» وأثنى عليه وقال:] كان من كبار مشايخ القوم وأفتاهم وأحسنهم سيرة.

قال: مَن تَوَلَّتْه رعاية الحقّ كان خيراً ممَّن تولته سياسة العلم.

وقال: حلاوةُ الطَّاعة بالإخلاص تَذهب بوَحْشَة العُجْب.

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤١٠، حلية الأولياء ١٠/ ٣٦٤، تاريخ دمشق ٢/ ٣٦٦ (مخطوط)، مناقب الأبرار ٢/ ١٣٣، تاريخ الإسلام ٧/ ٧٧٨.

وقال: جُبلت الأرواح في الأفراح فهي أبداً تعلو إلى مَحَلِّ الفَرَح، وجُبلَت الأجساد في الكَمَد فلا تزال تَسْتَفل حتى ترجع إلى كَمَدها.

وقال: الفترة بعد المُجاهدة من فساد الابتداء، والحَجْب بعد الكَشْف من السكون إلى الأحوال[1].

وقال: نفسُك سائرةٌ بك وقلبك طائرٌ، فكن مع أسرعهما وصولاً.

وأنشد يقول: [من البسيط]

لولا مَدامعُ عُشَّاقٍ ولَوْعَتُهم ... لَبان في الناس عِزُّ الماء والنارِ
فكلُّ نارٍ فمن أنفاسهم قُدِحَت ... وكلُّ ماءٍ فمن أجفانهم جاري

وأنشد أيضاً: [من الخفيف]

لك مِنِّي على البِعادِ نَصيبُ ... لم يَنَلْه على الدُّنوِّ حَبيبُ
وعلى الطَّرْفِ من سِواكَ حِجابٌ ... وعلى القلب من هَواك رقيبُ[2]

إبراهيم بن جعفر

المُتَّقي بالله أمير المؤمنين، قد ذكرناه في سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، وعاش بعد خَلْعه إحدى عشرة سنة[3].

[وفيها توفي]

خَيْثَمَة بن سُليمان

أبو الحسن، الأطْرابُلُسي، ويُعرف بابن الحُرِّ، وبحَيْدرة[4].

أحد الرَّحَّالين المُكثرين، عُمِّر طويلاً فيقال: إنَّه وُلد سنة سبع عشرة ومئتين[5]، وعاش عشرين ومئة [سنة، وطاف الدنيا في طلب الحديث، وسمع الكثير.

---

(١) من قوله: وأفتاهم وأحسنهم سيرة... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٢) تاريخ دمشق ٢/ ٣٦٧، ونقل ابن عساكر عن ابن البيع أن وفاته في سنة (٣٤٢ هـ)، وكذا ذكره الذهبي في وفيات سنة (٣٤٢ هـ).

(٣) انظر السير ١٥/ ١٠٤ والمصادر فيه.

(٤) تاريخ دمشق ٥/ ٦٩٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٨٨، والسير ١٥/ ٤١٢.

(٥) ذكر الذهبي أن الأصح في ولادته قول ابن أبي كامل سنة (٢٥٠ هـ).

وقال الحافظ ابن عساكر: أملى بجامع دمشق عن شيوخ الشام، وحكى عنه أنه] قال: خرجتُ في غزاة فاستؤسرتُ أنا وجماعة، فرأيتُ في المنام جماعةً من الحور العين، فقالت لي واحدةٌ منهنَّ: إيش فاتَك يا مَحروم؟ فقالت أخرى: إيش فاته؟ قالت: الشهادة، لو قُتل مع أصحابه لكان عندنا في الجنة، فقالت لها: يا فلانة لئن [رزقه الله الشهادة في عزٍّ من الإسلام وذُلٍّ من الكفر خيرٌ من أن] يرزقَه الله الشهادةَ في ذلٍّ من الإسلام وعزٍّ من الكفر، فما مضَت إلا أيام حتى خلصتُ من الأسر، مات بدمشق.

حدّث عن عبد الله بن الإمام أحمد رحمه الله وغيره، وروى عنه خلقٌ كثير، وكان ثقةً.

وفيها توفي

علي بن [محمد بن] محمد

ابن عُقْبة بن هَمَّام، أبو الحسن، الشَّيباني، الكوفي(١).

قدم بغداد وحدَّث بها عن جماعة.

وقال الخطيب: كان ثقةً، أميناً، مقبول القول عند القضاة، وأقام يَشهد ثلاثاً وسبعين سنة، قال: وأذَّنتُ في مسجدي نيِّفاً وسبعين سنة، وأذَّن أبي نيِّفاً وسبعين سنة، وهو مسجد حَمزة بن حبيب الزَّيَّات بالكوفة.

قال: وولي قضاء الكوفة، وتوفي بها في رمضان، وكان صالحاً ثقةً مأمون الغَوائل(٢).

محمد بن العباس بن الوليد

أبو الحسين، البغدادي(٣).

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٥٥٣، المنتظم ١٤/ ٩٥، تاريخ الإسلام ٧/ ٧٩١، السير ١٥/ ٤٤٣ وما بين معكوفين منها، وهذه الترجمة ليست في (خ).

(٢) بعدها في (ف م ١): والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ١٩٨، وميزان الاعتدال (٧٢٩٦).

كان قاضياً بكَلْواذى، كتب إليه ابن لَمحة يَسْتَزيره، فكتب إليه محمد: [من مجزوء الرمل]

أَنِـسَـتْ نـفـسـي بـنـفـسـي ... فـهـي فـي الـوَحْـدَة أُنْـسـي
وإذا آنَـسْـتُ غـيـري ... فـأحـقُّ الـنـاس نـفـسـي
فَـسَـدَ الـنـاسُ فـأضـحـى ... جِـنـسُـهـم مـن شـرِّ جِـنْـسِ
فـلـزمـتُ الـبـيـتَ إلا ... عـنـد تـأذيـنـي لـخَـمْـس

وكانت وفاته ببغداد في شوال، وكان ثقةً صدوقاً.

السنة الرابعة والأربعون وثلاث مئة[١]

فيها في يوم الجمعة لثمان خلَون من المحرم عقَدَ معزُّ الدولة إمرةَ الأمراء لولده أبي منصور بُختيار بسبب مرضه.

وفيها تحرَّك صاحب خُراسان على ركن الدولة، فبعث إليه جماعةُ معز الدولة الحاجبَ الكبير في جيشٍ نَجْدةً لأخيه.

وفي صفر دخل ابن ماكان الدَّيْلَمي صاحبُ خُراسان إلى أصبهان، وخرج منها أبو منصور بُوَيْه بنُ ركن الدولة، وانصرف عنها ولم يَجْرِ قتال، فتبعه ابن ماكان، وأخذ خزائنه وسوادَه.

وعارضه أبو الفضل بن العَميد وزير ركن الدولة ومعه القرامطة في مكان يُعرَف بالخان، فأوقعوا به، وأسروه وبه ضَرَبات مُثْخِنَة، وأسروا قوَّاده، وقتلوا أصحابه قتلاً ذَريعاً، وحملوه إلى القلعة، وصار ابن العميد إلى أصبهان فأوقع بمَن فيها من أصحاب ابن ماكان، ورجع الأمير بويه[٢].

وفيها وقع وباءٌ شديد بالرَّي ونواحيها، وكان أبو علي بن مُحتاج قد أتى إلى الرَّي فمات في هذا الوباء، وكان قد صالحه ركن الدولة على مال يحملُه إليه إلى خراسان كلَّ سنة، وتكون الرَّي والجبال بيد ركن الدولة، فاتفق موتُ ابن محتاج.

وفيها فُلج أبو الحسين علي بن محمد بن مُقْلَة في ذي القعدة، وعَرضَت له لَقْوَة، ومُسك لسانه، وعُمُره تسع وثلاثون سنة.

وفيها ورد أبو الفضل القاساني صاحبُ ركن الدولة بطلب تقليد خُراسان لأبي الفَوارس عبد الملك بن نوح صاحبِ خُراسان، فبعث المطيع إليه بالخِلَع واللواء والعَهْد.

وحجَّ الناس من غير أن يبعث معهم السلطان مَن يُبَذْرِقُهم.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) من قوله: وفيها تحرك صاحب خراسان... إلى هنا ليس في (م ف م١).

وفيها توفي

الحسن بن زيد

ابن الحسن بن محمد بن حَمْزة بن إسحاق بن علي بن عبد اللّه بن جَعْفر بن أبي طالب، أبو محمد، الجَعْفري، من أهل وادي القُرى[(١)].

ولد سنة إحدى وخمسين ومئتين، وتوفي في طريق الرَّي في ربيع الآخر، وكان ثقةً صَدوقاً جَواداً.

وأخرج له الخطيب حديثاً حسناً عن ابن عباس، عن عثمان بن عَفَّان ﷺ أنَّه سأل رسولَ الله ﷺ عن بسم اللّه الرَّحمن الرَّحيم، فقال: «اسمُ اللّه الأعظم، ما بينه وبين اسم الله الأكبر إلا كما بين سَوادِ العَيْن وبَياضِها»[(٢)].

شُعْلَة بن بدر

أبو العباس، الإخشيدي.

ولي إمرةَ دمشق سنة ثمان وثلاثين وثلاث مئة من قبل أبي القاسم وأبي الحسن علي ابن محمد بن طُغْج في أيام المطيع، وكان شجاعاً بطلاً، قُتل في هذه السنة بطبرية[(٣)] في حربٍ كان بينه وبين مُلْهَم العُقَيلي[(٤)].

[وفيها توفي

عبد الله بن إبراهيم

ابن محمد بن عمر بن هَرْثَمة، أبو محمد، الهَرَويّ[(٥)].

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٢٧٤، المنتظم ١٤/ ٩٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٠٠.

(٢) تاريخ بغداد ٨/ ٢٧٤ ـ ٢٧٥، وأخرجه العقيلي في الضعفاء الكبير ٢/ ١٦٢، وابن أبي حاتم في تفسيره (٥) طبعة الزهراني، والحاكم في المستدرك ١/ ٥٥٢، والبيهقي في شعب الإيمان (٢١٢٣)، والذهبي في ميزان الاعتدال (٣٣٠٥)، وفيه سلّام بن وَهْب الجَنَدي، قال الذهبي: عن ابن طاوس بخبر منكر بل كذب.

(٣) ذكره الذهبي في وفيات سنة (٣٤٥ هـ) من تاريخ الإسلام ٧/ ٨٢٠.

(٤) من قوله: وفيها ورد أبو الفضل القاساني... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٥) في (ف م م١): العلوي، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ بغداد ١١/ ٥٧، والمنتظم ١٤/ ٩٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٠٠، وهذه الترجمة والتي تليها ليست في (خ).

نزل بغداد بسوق العَطَش من الجانب الشرقي، وتوفي بها في صفر، وحدَّث عن الحارث بن أبي أسامة وغيره، وكان ثقة.

وفيها توفي

عثمان بن أحمد بن عبد الله

أبو عَمرو الدَّقَّاق، ويُعرف بابن السَّمَّاك، البغدادي(١).

كان زاهداً، صالحاً، سمع الكثير، وكتب الكثير، وكان كلُّ ما عنده من الكتب بخطه.

توفي ببغداد في ربيع الأوَّل، ودُفن بمقبرة الدَّير عند مَعْروف الكَرْخي، وحُزر الذين صَلَّوا عليه فكانوا خمسين ألفاً، وكان يوماً مَشْهوداً.

سمع حَنْبل بن إسحاق وطبقتَه وخَلْقاً كثيراً، وروى عنه جماعة.

وفيها توفي]

محمد بن علي

ابن أحمد بن رُسْتم أبو بكر، المادَرائي، الكاتب، نزيل مصر(٢).

ولد بالعراق سنة سبع وخمسين ومئتين، وقدم مصر هو وأخوه أحمد بن علي مع أبيهما، وكان أبوهما عاملاً على خراج مصر لخُمارَوَيه بن أحمد [بن طولون]، ووزر محمد له، وقدم معه دمشق.

وكان فاضلاً جليلَ القدر، يفتقد أربابَ البيوت ويَصِلُهم بالأموال.

وتوفي بمصر في شوال عن نَيِّفٍ وتسعين سنة.

[قال الخطيب: كتب محمد الحديث ببغداد عن أحمد بن عبد الجَبَّار العُطاردي وطبقته، وحدَّث عنه بمصر، واحترقت دار محمد بمصر وكتبُه فيها، وبقي عند أصحابه أجزاءً من سماعه عن العُطاردي فكانت تُسمَع عليه.

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ١٩٠، والمنتظم ١٤/ ٩٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٠١، والسير ١٥/ ٤٤٤.

(٢) تاريخ بغداد ٤/ ١٣٦، تاريخ دمشق ٦٣/ ٢٥٩، المنتظم ١٤/ ١٠٦، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٢٦، السير ١٥/ ٤٥١ وعندهم أن وفاته سنة (٣٤٥ هـ).

وحكى عنه الخطيب حكايةً تدلّ على مكارم أخلاقه] قال: كان ببابي شيخٌ من مَشيخة الكُتَّاب قد طالت عطلتُه، فأغفلتُ أمره، فرأيتُ أبي في منامي يَعتبني فيه ويقول: يا بُنَي، أما تستحي من الله، تتشاغل عن أرباب البيوت، هذا فلان قد أفضى به الحال إلى أن تقطع سراويلُه، وهو يموت جوعاً، وأنت لا تنظر في أمره!

قال: فانتبهتُ مَذعوراً، فلما طلَع الصباح ركبتُ إلى دار خُمارويه، وإذا بالشيخ [راكب] على دابّة ضعيفة، فأومأ إليَّ بالتَّرَجُّل، فانكشف فخذه، وإذا به لابس خُفًّا بغير سَراويل، فذكرتُ المنام، فقامَت عليَّ القيامة، ثم استدعيتُه وأنا واقفٌ في مَوضعي وقلت له: يا سبحان الله، أما كان في الدنيا مَن يوصل لك إليَّ رُقعةً؟ قد قلَّدتُك المكان الفُلاني، وأجريتُ لك رزقاً في كل شهر مئتي دينار، وأطلقتُ لك من خزانتي ألفَ دينار وثياباً وكسوةً وطيباً[١].

[وفيها توفي]

محمد بن يوسف بن الحَجَّاج

أبو النَّضْر، الطُّوسي، الزَّاهد، العابد[٢].

كان يصوم النهار ويقوم الليل، ويتصدَّق بالفاضل من قُوته، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر، ورحل في طلب الحديث إلى العراق والشام ومصر والحجاز، وسمع الكثير.

وكان قد جزَّأ الليل ثلاثة أجزاء، جزءاً لقراءة القرآن، وجزءاً لتصنيف الكتب، وجزءاً يستريح فيه، وكانت وفاته في شعبان.

[ذكره الحاكم أبو عبد الله في «تاريخ نيسابور» وأثنى عليه، قال:] ورآه بعض أصحابه في النوم فقال له: وصلتَ إلى ما تطلبه؟ فقال: إي والله، أنا عند رسول الله ﷺ، وبشر ابن الحارث يَحْجُبنا بين يديه ويُرافقنا، وقد عَرَضتُ مُصَنَّفاتي كلها على رسول الله ﷺ فرضيها وقَبِلها، وسررتُ بذلك سروراً عظيماً[٣].

---

(١) بعدها في (م ا ف): والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

(٢) المنتظم ١٤/ ١٠٠، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٠٩، السير ١٥/ ٤٩٠.

(٣) بعدها في (ف م ١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة الخامسة والأربعون وثلاث مئة[1]

فيها وزر أبو محمد المُهَلَّبي لمُعزِّ الدولة، وزاد في إقطاعه.

وفيها أوقع الروم بأهل طَرَسوس في البحر، وقتلوا منهم ألفاً وثمان مئة رجل، وأحرقوا القرى التي من حولها، وسَبَوا أهلها.

وفيها خرج رُوزْبَهان الدَّيْلَمي على معز الدولة، وكاشفه بالعصيان، وكان بالبَطيحَة يقاتل عمران بن شاهين الخارجي، فسار إلى الأهواز، وكان أخوه بلكا بشيراز، فجاهروا كلهم بالعصيان، وكانت القلاع بأيديهم.

وجهَّز معز الدولة إلى الأهواز الوزير المُهَلَّبي لقتاله، فلما وصل إليه استأمن رجال الوزير إلى روزبهان، فانحاز الوزير بمن معه، وأظهروا ما كان في نفوسهم عليه من العَتْب، وكاشفوه، وشرعوا يستأمنون إلى روزبهان.

فخرج معز الدولة يوم الخميس لسبع خلون من شعبان من بغداد متوجِّهاً إلى قتال روزبهان، ولم يبق مع الوزير المُهَلَّبي من الدَّيْلَم أحد، فانصرف إلى الأُبُلَّة، وخرج المطيع إلى معز الدولة [لأن ناصر الدولة] بن حَمْدان [لما بلغه] خروج معز الدولة[2] والخليفة من بغداد حَدَّث نفسَه بقَصْدها، فبعث المطيع الحاجب الكبير من واسط إلى بغداد بين يديه، ووصل إلى تكريت ومعه أخ له، وشَغَب الدَّيْلَم ببغداد، وأسرع الحاجب في استقراض أموال التُّجَّار.

وفي يوم الخميس لثلاثٍ خَلَوْن من شَوَّال وصل كتابُ معز الدولة إلى بغداد بأنه واقَعَ روزبهان بقَنْطَرة أَرْبُق من الأهواز يوم الاثنين سَلْخَ رمضان، وأنه أسر روزبهان وبه ضَربات، وأسر قُوَّاده، وفعل وفعل، فاشتد على الدَّيلم وقالوا: نَعَم، دَجاجٌ كالكواكب عليهم مِكَبَّة[3]! فلما تيقَّنوا الخبر ضَعُفت نفوسُهم.

وكان معزّ الدولة قبل الحرب منعهم من عبور القَنْطَرة، فما عبر معه إلا القليل ممَّن يَثق به، وكان اعتماده على غلمانه الأتراك، وقاتل طول النهار بنفسه، فلما كان في آخر النهار صَدق الحملةَ بنفسه فرزقه الله الظَّفَر، فأسروا رُوْزبهان وقُوَّاده، وقتلهم قتلاً

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) ما بين معكوفين من الكامل ٨/ ٥١٤.

(٣) كذا العبارة في (خ).

ذَريعاً، وعزم على المقام بالأهواز، فبلغه خبر ناصر الدولة، فعاد إلى بغداد في شوال وبين يديه روزبهان على جَمل.

ووصل أبو المُرَجّى وأخوه عُكْبَرا، وخرج معز الدولة، وروزبهان في بيت، على باب داره وعنده جماعةٌ يحفظونه، فحَدَّثت الدَّيْلَم نفوسها بأن يَكبِسوا المكان الذي هو فيه ويُخرجوه، فأشار جماعة على معزّ الدولة بإتلافه، فامتنع كَراهيةَ سَفْك الدَّم، فقاتلوا وزالت الدولة، فأُخرج بالليل في سُماريَّة وغُرّق، ونَفى معز الدولة الدَّيالمة الروزبهارية من بغداد، وقبض على جماعةٍ من قُوَّادهم، فسكنت الفتنة، وكتب الخليفة إلى الأطراف يخبرهم بالظَّفر بروزبهان وما جرى[١].

وفيها غزا سيف الدولة بلاد الروم، فبلغ إلى خَرْشَنة، وفتح حصوناً كثيرة، وسبى وأسر، وعاد إلى حلب سالماً.

وفي ذي القعدة عاد الخليفة إلى بغداد، ومات أبو عُمر غُلام ثعلب، وماتت أم المطيع بعلَّة الاستسقاء، ودُفنت بالرُّصافَة.

وفيها وصلت الروم إلى مَيَّافارِقين، فقتلوا أهل الضِّياع وسَبَوا، وبَذْرَقوا بالحاجّ في هذه السنة.

وفيها توفي

محمد بن جعفر

ابن محمد بن جعفر بن الحسن بن جعفر بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن العَلَوي، نقيب الطَّالبيين ببغداد، وكانت وفاته بها في ذي الحجّة[٢].

[وفيها توفي]

محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم

أبو عمر، الزَّاهد [ويعرف بغُلام ثَعْلب][٣].

(١) من قوله: وفيها خرج روزبهان... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٥٢٥، والمنتظم ١٤/ ١٠٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٢٤. وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٣) تاريخ بغداد ٣/ ٦١٨، وتكملة الطبري ٢٨١، والمنتظم ١٤/ ١٠٣، ومعجم الأدباء ١٨/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٢٥، والسير ١٥/ ٥٠٨.

ولد سنة إحدى وستين ومئتين، وبَرع في علم العربية والنحو واللغة، وكان غزيرَ العلم، زاهداً، وَرِعاً، وكان إبراهيم بن أيوب يبعث إليه بنَفَقته كفايته، فقَطع عنه ذلك مدَّةً لعُذر، ثم أنفذ إليه ما قطعه عنه، وكتب إليه يعتذر من تأخيره [، فردَّه]، وأمر(١) مَن بين يديه أن يكتب على ورقته: أكرَمْتَنا فمَلَكْتنا، ثم أعرضتَ عنا فأرحتَنا.

وكان هو في الحَمَّام فكتب(٢) على بابه: [من المتقارب]

وأعـجَـبُ شـيءٍ سَـمِـعْـنـا بـه مـريـضٌ يُـعـادُ فـلا يـوجَـدُ

[وروي عن محمد بن عبد الباقي، عن علي بن أبي علي، عن أبيه قال: أملى أبو عمر غلام ثعلب من حفظه ثلاثين ألف ورقة لغة، ولسَعَة علمه اتُّهم بالكذب.

ذكر وفاته:

قال الخطيب:] توفي أبو عمر يوم الأحد، ودفن يوم الإثنين لثلاث عشرة خَلَت من ذي القعدة، ودُفن في الصُّفَّة المقابلة لمعروف الكَرْخي [، ودفن فيها بعده أبو بكر الأدَمي وعبد الصَّمد بن علي الطَّسْتي، بينهم وبين معروف عرض الطريق، وكان واسع العلم في العربية.

وفيها توفي

محمد بن محمد

ابن عبد الله بن حمزة، البغدادي، أبو جعفر، نزيل سَمَرْقَند(٣).

ذكره الحاكم في «تاريخه» وأثنى عليه وقال: كان محمد بن محمد محدّث خُراسان في عصره، وسافر إلى العراق والشام ومصر، وعَبر ما وراء النَّهر، وسمعنا عليه، وحدَّث عن ابن أبي الدنيا، وأبي زُرْعَة الدِّمَشْقي، وخلق كثير.

وكان حافظاً، فاضلاً، صَدوقاً، ثِقةً، مأموناً، كثيرَ العبادة والوَرَع].

---

(١) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ٣/ ٦١٩ وعنه سائر المصادر.

(٢) كذا في (خ)، وهذا الخبر ليس في (ف م م١)، وصواب النص كما في تاريخ بغداد: أن إبراهيم بن أيوب اعتل، فتأخر عن مجلس أبي عمر الزاهد، فسأل عنه فقيل: إنه كان عليلاً، فجاء من الغد يعوده، فاتفق أنه كان في الحمام، فكتب الزاهد بخطه . . . .

(٣) تاريخ بغداد ٤/ ٣٥٤، تاريخ دمشق ٦٤/ ٢٤٤، المنتظم ١٤/ ١١١، السير ١٥/ ٥٤٧، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٤١. وهذه الترجمة ليست في (خ).

السنة السادسة والأربعون وثلاث مئة[1]

فيها في يوم الخميس ثاني عشر المُحَرَّم توفي أبو الحسين علي بن محمد بن مُقْلَة، وفي هذا اليوم عاد معز الدولة من قُطْرُبُّل إلى داره ببغداد.

وفيها في تشرين كثر الوَباء ببغداد، وأورام الحَلْق، والماشَرا، وكثر الموت، ومَن افْتَصَد انْصَبَّ إلى ذِراعه[2] مادَّةٌ حادة فتلف منها، ونقص البحر ثمانين ذراعاً، وقيل: ثمانين باعاً، فظهر فيه جبال وجَزائر لم يعرفوها قط، وكانت السنة قليلةَ المطر جداً.

ووَرَد قوم من الثَّغْر إلى بغداد يشكرون سيف الدولة ابن حمدان على جهاده، فكتب إليه المطيع كتاباً يشكره، يقول في أوله بعد البسملة: من عبد الله الفضل الإمام المطيع لله أمير المؤمنين إلى سيف الدولة أبي الحسن علي، سلامٌ عليك، فإن أمير المؤمنين يحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يُصلي على محمد عبده ورسوله ﷺ، وأمتع أمير المؤمنين بالنِّعمة فيك وعندك، فإن أحقَّ الآثار بالإبهاج والاستبشار إعزاز الإسلام ونَصْره، وإذلال الشِّرك ودَحْره، وإنه وإن كان حقاً لله عليك؛ فقد صار حقاً بتوفيق الله إياك أوجبتَه ووكَّدْتَه، ولذلك لا يزال أمير المؤمنين يتحدَّث به ويَشْهَرُه، ويُثْني بما أُتيح لك منه ويَنْشُره، حتى يَخْلُص لكم مَخايل الصَّدَقة، ويجتمع على مَوَدَّتك والاعتداد بك جميع الجمهور، واللهَ يسأل أمير المؤمنين أن يُديم بك الإمتاع، ويُحسن عنك الدِّفاع، ويُجْزِل حَظَّك من الثواب، ويَصون مَوقعَك في ذوي الألباب، إنه على كل شيء قدير، وبالإجابة جَدير[3].

وفيها كان بالرَّي ونواحيها زلازل كثيرة أتت على كثير من الناس.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في (ف م م١): دماغه، والمثبت من (خ) والمنتظم ١٤/ ١٠٩، والكامل ٨/ ٥٢٠.
والماشرا في عرف الأطباء: ورم حار عن دم صفراوي يعم الوجه وربما غطى العين. نقلاً عن هامش سير أعلام النبلاء ١٨/ ٣٠٨.

(٣) من قوله: وورد قوم من الثغر... إلى هنا ليس في (م ف م١).

[وذكر القاضي علي بن المُحَسِّن، عن أبيه قال: حدثني] أبو الفرج الأصفهاني[١] أن لصاً نَقَب حائطاً ببغداد في هذه السنة في زمن الطاعون، فمات مكانه على النَّقْب، وأن إسماعيل القاضي لبس سَواده ليَخرج إلى الجامع ليَحكم، ولبس أحد خُفَّيه وأخذ الآخر ليَلْبسَه، فمات قبل أن يَلبسه.

[وذكر أبو جعفر أحمد بن إبراهيم بن أبي خالد، ويعرف بابن الجَزَّار القَيْرواني في «تاريخه» قال: وفي سنة ستٍّ وأربعين وثلاث مئة في خلافة المطيع] خُسِف ببلد الطَّالَقان ورَساتيقها في ذي الحجة يوم الأربعاء لثلاث بقين منه على ساعتين من النهار، ولم يفلت منهم إلا نحو من ثلاثين رجلاً، وصارت كلها رَماداً، وخُسِف بالباقين، وعين بعضهم تنظر إلى بعض، وخُسِف بخمسين ومئة قرية من قرى الرَّي، واتصل الأمر إلى حُلْوان فخسف بأكثرها، وخُسِف [بمكان يقال له: قصر شِيرين، وبموضع يقال له: مرج القلعة، وبمكان يقال له: طَفْر، وقذفت] الأرض ما فيها، وألقت عظام الموتى، وتفجَّرت منها المياه، وتقطَّع بالرَّي جبل يقال له: طَبَرَك وبجبال حلوان حتى كان يقال: ها هنا جبال، وعُلِّقت قريةٌ بين السماء والأرض بمن فيها من غُدوةَ إلى الظُّهر، ثم خسف بها وبمن كان فيها، وانخرقت الأرض خُروقاً عظيمة، الخَرْق منها أكثر من ثلاث مئة ذِراع، وخرجت منها مياه مُنْتنة ودُخان عظيم.

وفيها انهدم بيت بمدينة جَيّ من أعمال أصبهان، فظهر في البيت خمسون عِدْلاً من جلود، فيها خطوط مختلفة مكتوبة في لحاء الشَّجَر لم ير الناس مثلَها، فبحثوا عنها فإذا هي علوم الفُرْس في النجوم والأفلاك والهندسة وما يحدث في العالم، ويقال لهذه البَنِيَّة: سارويه، وكانت قائمة من عجائب الدنيا كالأهرام [التي عليها الأعلام، وكانت الكتب مُودعة فيها، وحكي عن أبي جعفر أنه قال:] المأمون بناها، وأودعها هذه الكتب [، والدفائن، وليس بصحيح][٢].

(١) ما بين معكوفين من (ف م ١)، وجاء بدله في (خ): وقال أبو الفرج الأصبهاني، والخبر في المنتظم ١٤/١٠٩.
(٢) ما بين معكوفات من (ف م ١)، وفي (خ): وقال أبو معشر: المأمون...، وجاء بعد هذا الكلام في (ف م ١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. وتنتهي السنة في هذه النسخ (م ف م١).

وفيها توفي

علي بن محمد ابن مُقْلَة

أبو الحسين، الوزير. وكان فُلج وأقام مَفْلوجاً، وعولج فبرأ، ثم عاوده الفالج لتخليط جرى منه في تدبيره، وكان قد خرج إلى الحائر لزيارة قبر الحسين ﷺ لِنَذْرٍ كان عليه، فتوفي هناك، وحمل في تابوت إلى بغداد، ودفن في داره بمُرَبَّعَة أبي عُبيد الله[١].

محمد بن يعقوب

ابن يوسف بن مَعْقِل بن سِنان، أبو العباس، الأموي مولاهم، النَّيْسابوري[٢].

ولد سنة سبع وأربعين ومئتين، ورحل به أبوه إلى الآفاق، وظهر منه الصَّمَم بعد انصرافه من الرِّحلة، ثم استحكم.

أذَّن في مسجده سبعين سنة، وحَدَّث ستاً وسبعين سنة، فألحق الصغار بالكبار، وكان يُوَرِّق ويأكل من كَسْب يده، وكانت الرحلة إليه من الدنيا مُتَّصلة.

وقال أبو عبد الله الحاكم: خرج علينا الأصَمُّ ونحن في مسجده وقد امتلأت السِّكَّة من الناس، فقام الناس يحملونه على أعناقهم ويُطَرِّقون له إلى المسجد[٣]، فلما بلغ إليه جلس على جداره، وبكى طويلاً ثم قال: كأني بهذه السِّكة ولا يدخلها أحدٌ منكم، فإني لا أسمع، وقد ضَعُف البَصَر، وقَرُب الرَّحيل، وانقضى الأجَل.

فما كان إلا نحو شهر حتى كُفَّ بَصرُه، وانقطعت الرِّحلة، وآل أمرُه إلى أنه كان يُناوَل قلماً، فيعلم بذلك أنهم يطلبون الرواية، فيقرأ أحاديث كان يَحفظها أربعة عشر حديثاً وسبع حكايات.

وكانت وفاته في ربيع الأول في نَيْسابور، ولم يُختَلَف في صدقه، وصِحَّة سماعه، وثقته، ودينه، ووَرَعه، وعبادته.

(١) تكملة الطبري ٣٨٣.

(٢) تاريخ دمشق ٦٥/ ٣٠٥، والمنتظم ١٤/ ١١٢، والسير ١٥/ ٤٥٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٤١.

(٣) يوسّعون له الطريق.

السنة السابعة والأربعون وثلاث مئة[1]

فيها في المحرَّم استأمن أبو الحسن النَّصْراني كاتب ناصر الدولة إلى مُعزّ الدولة، وقدم بغداد فخرج الوزير المهلبي إلى لقائه، وأكرمه معز الدولة، وأنزله في دار الحسن ابن هارون، وحمل إليه مالاً وثياباً وطيباً، وأقطعه أقطاعاً بعشرة آلاف دينار في السنة.

وعادت الزَّلازل بحُلْوان وقُم وقاشان والجبال، فأتلفت خلقاً عظيماً، وهدمت الحصون والأبنية، وظهر جَرادٌ فطَبَّق الدنيا من المشرق إلى المغرب، فأتى على جميع الغَلَّات والرِّطاب والمباطِخ والشَّجَر[2].

وفي ربيع الأول خرجت الروم إلى آمِد وأَرْزَن ومَيَّافارِقين وديار ربيعة، ففتحوا حصوناً كثيرة، وقتلوا خلقاً عظيماً، وآخر ما فتحوا سُمَيْساط، وأخربوها وقتلوا مَن كان بها.

وفي ربيع الآخر شَغَب الأتراك والدَّيْلَم بالمَوْصِل على ناصر الدولة، وزحفوا إلى داره وأحاطوا بها، وتَسوَّروا عليه وأرادوا قتلَه، فحاربهم بغلمانه وبالعامة، وظفر بهم، فقتل منهم جماعةً في الوَقْعة، وقبض بعدها على الآخرين، وهربوا إلى بغداد[3].

وفيها في جُمادى الآخرة زُفَّت بنت مُعزِّ الدولة على أبي منصور بُوَيْه بن ركن الدولة، وحملها معه إلى أصبهان.

وفي شعبان كانت وقعة عظيمة بين الروم وسيف الدولة بنواحي حَلَب، كانت على سيف الدولة، فقتلوا مُعظمَ رجاله وغلمانه، وأسروا أهلَه، وأفلت في عَددٍ يسير، ثم مالوا على سُمَيْساط فأخربوها.

وفي جُمادى الآخرة خرج معز الدولة من بغداد يريد الموصل لتأخر حمل المال إليه، وبلغ ناصر الدولة فسار إلى نَصِيبين[4].

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) هذا الخبر ليس في (م ف م١)، وانظر تاريخ الإسلام ٧/ ٧٥٩.

(٤) هذا الخبر وسابقه ليسا في (م ف م١).

قال ثابت: ولليلتين بقيتا من جُمادى الآخرة ظهر لنا بالجَوِّ ونحن بنواحي السّنّ في ناحية المشرق والشمال أعمدة كبيرة[1]، بينها حمرة شديدة، والأعمدة مُضيئة.

ودخل مُعزّ الدولة المَوْصل لليلة بقيت منه، وبعث رسولاً إلى مصر وهو أبو الحسن ابن حسمويه الكاتب يطلب من كافور المال الذي تقرَّر بين المطيع وبين الإخشيد، فاعتقل الرسول.

وفي منتصف رجب خرج معز الدولة من المَوْصِل يريد نَصِيبين، وخلَّف بالموصل سُبُكْتكين الحاجب الكبير، ووصل إلى بَرْقَعيد، وأنفذ منها سَرِيَّةً إلى سِنجار؛ لأنه بلغه أن أبا المُرَجَّى وأخاه بها، فانصرفا منها، فنزلا بالخابور، وجاء الدَّيْلَم فأعجلوهما، فتركا خيمتهما ومتاعَ عسكرهما بحاله، فنزل الدَّيْلَم في الخيام، واشتغلوا بالنَّهْب، فرجع أبو المُرَجَّى وأخوه عليهم، فقتلوا وأسروا، وقتلوا ابن مالك الدَّيْلَم قتله هبة الله وأبو المرجى، وأسروا من أعيان الدَّيْلَم خمس مئة رجل، وبقي مُعزّ الدولة ببَرْقَعيد في عدد يسير، فأرسل إلى بغداد فجاءته العساكر، فسار إلى نصيبين فدخلها في شعبان.

وسار ناصر الدولة منها إلى مَيَّافارِقين، واستأمن مُعظَم عسكره إلى مُعزّ الدولة، ورحل إلى حلب مُستجيراً بأخيه سيف الدولة، فتلقاه وخدمه بنفسه؛ حتى تولَّى نَزْع خُفَّيه بيده، وما زال طريف خادم ناصر الدولة وهو أمْرَد وغلامه يتلطَّفان في الجانب الشرقي من الموصل عُمَّال معز الدولة، ويمنعان الغَلَّة أن تدخل الموصل والميرة، فكانت كأنها مُحاصرة[2].

وورد عمر النَّقيب في ذي القَعدة إلى نَصيبين من ناصر الدولة، وسَفَر في الصُّلح فلم يَتمّ، وطال الخَطْب، فاستأمن النَّقيب إلى معز الدولة، وأقام عنده ولم يعد إلى ناصر الدولة.

ثم سفر سيف الدولة بينهما، فأجاب معز الدولة، ورحل من نَصيبين طالباً الموصل لليلتين خلتا من ذي الحجة، فلما صار قريباً من المُوْنِسَة هَبَّت ريحٌ باردة، ووقع

---

(١) في (ف م): كثيرة.

(٢) من قوله: ودخل معز الدولة الموصل لليلة بقيت منه... إلى هنا ليس في (م ف م١)، والأخبار التي يسوقها المصنف بتفصيلاتها لم أقف عليها فيما بين يدي من مصادر، وانظر تكملة الطبري ٣٨٥، والكامل ٨/ ٥٢٢ _ ٥٢٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦٠.

نُداف[١] فهلك في ساعة واحدة ثمان مئة رجل غير الدواب ومَن لم يُعْرَف، ودخل مُعزّ الدولة الموصل لعشرٍ خَلَون من ذي الحجة يوم الثلاثاء، فنزل دار تغلب بن ناصر الدولة.

وفي يوم السبت لعشر بقين من المحرم وافى أبو محمد القاضي كاتب سيف الدولة إلى الموصل، فقرر الأمر على أن تكون المَوْصِل وديار ربيعة والرَّحْبَة على سيف الدولة بألفي ألف درهم وتسع مئة ألف درهم في السنة، وإنما عقدها سيف الدولة لأن معز الدولة لم يثق بناصر الدولة، فإنه غدر به مراراً، فقال معز الدولة لسيف الدولة: أنت عندي الثقة، وأن يُقدِّم ألف ألف درهم، ويطلقوا الذين أُسروا بسِنْجار.

وانحدر معز الدولة إلى بغداد فدخلها سَلْخ المحرَّم سنة ثمان وأربعين، وتأخَّر الوزير المُهَلَّبي والحاجب الكبير بالموصل إلى أن يُحمل مال التعجيل والأسرى، ثم قدم المهلبي والحاجب الكبير وكاتب سيف الدولة بعد ذلك بغداد[٢].

وفيها توفي

أحمد بن سليمان

ابن أيوب بن داود بن عبد الله بن حَذْلَم، أبو الحسن، الأسَدي، قاضي دمشق[٣].

ولد سنة تسع وخمسين ومئتين، وكان ثقة، ثبتاً، مأموناً، فقيهاً على مذهب الأوزاعي.

[ولي قضاء دمشق نيابةً عن الحسين بن عيسى بن هَرَوَان.] وكانت حلقته بجامع دمشق.

وكان حَذْلَم نصرانياً، أسلم على يد الحسين بن عمران صاحب خراج دمشق [، ومات في ربيع الأول في هذه السنة.

(١) ثلج كبير وبَرَد.

(٢) من قوله: وفي يوم السبت لعشرة بقين من المحرم... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٣/ ٩١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٤٨، والسير ١٥/ ٥١٤.

أسند عن أبيه، وأبي زُرْعَة الدمشقي، وبَكَّار بن قُتَيبة وغيرهم].

وقال تَمَّام بن محمد: دخلنا على أحمد مجلسه بداره بعد الجمعة فقال: رأيتُ النبي ﷺ في المنام وعن يمينه أبو بكر وعمر، وعن يساره عثمان وعلي، فجئتُ فجلستُ بين يديه في هذا المجلس، فقال: يا أبا الحسن، قد اشتقنا إليك أفما اشتقت أنت إلينا؟ [قال تمام:] فما مضت جمعة حتى مات في ربيع الأول، وقيل: في النِّصف من شوال.

إسماعيل بن الحسين

ابن أحمد بن إسماعيل بن محمد بن إسماعيل بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، أبو محمد.

ولي النِّقابة بدمشق من قبل المقتدر بالله، وكان زاهداً، عَفيفاً، عالماً.

توفي يوم السبت لثمان خَلَون من رجب، وكانت له جنازة عظيمة لم يتخلَّف عنها أحد، وصلى عليه الأمير فاتِك في المصلّى(١).

[وفيها توفي

عبد الوهَّاب بن محمد

ابن موسى، أبو أحمد، الغُنْدِجاني(٢).

ولد سنة ستٍّ وستين ومئتين، وسمع الحديث بالأهواز وببغداد، وتوفي بالمبارك قرية من قرى بغداد، ودفن بالنُّعْمانية.

حدَّث عن أحمد بن عَبْدان سمع منه بالأهواز، وغيره، وكان ثقةً صالحاً وَرِعاً.](٣)

---

(١) تاريخ دمشق ٢/ ٨٢٩ (مخطوط).

(٢) ضبطها السمعاني في الأنساب ٩/ ١٧٩ بفتح الغين والدال، والمثبت من معجم البلدان ٤/ ٢١٦.

(٣) هذه الترجمة ليست في (خ)، وأثبتناها من (م ف م١)، وجاء بعدها في (م ١ ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

وإيراد هذه الترجمة في هذه السنة وهم تابع فيه المصنف جدّه إذ أوردها في المنتظم ١٤/ ١١٦، والصحيح ما ذكر الخطيب والسمعاني وابن الأثير والذهبي من أنه توفي سنة (٤٤٧ هـ) وأنه ولد سنة (٣٦٦ هـ)، انظر تاريخ بغداد ١٢/ ٢٩٦، والأنساب ٩/ ١٨٠، واللباب ٢/ ٣٩٠، وتاريخ الإسلام ٩/ ٦٩٧، والسير ١٧/ ٦٦١.

وأحمد بن عبدان ولد سنة (٢٩٣ هـ) وتوفي سنة (٣٨٨ هـ) انظر السير ١٦/ ٤٨٩.

علي بن أحمد

ابن سَهْل، أبو الحسن، البُوشَنْجي[١].

شيخ وقته في العلوم والحقائق، كان أعلم الناس بعلوم التَّوحيد والمعاملات، وأحسنهم طريقةً في الفُتُوَّة والتَّجريد، دَيِّناً، عفيفاً، كريم الأخلاق، مُتَعاهِداً للفقراء، سافر إلى الأقطار، ولقي المشايخ، وبنى دار التَّصوف بنَيْسابور وانقطع إليها.

وقال: الناس على ثلاث مَنازِل: الأولياء وهم الذين باطِنُهم أفضل من ظاهرهم، والعلماء وهم الذين سِرُّهم وعَلانيتُهم سواء، والجُهَّال وهم الذين عَلانيتهم تُخالف سَريرتهم، لا يُنصفون من أنفسهم، ويطلبون الإنصاف من غيرهم.

وسُئل عن التَّوحيد فقال: قريبٌ من الظُّنون، بعيد عن الحقائق، وأنشد: [من الطويل]

فقلتُ لأصحابي هي الشَّمسُ ضوؤها قريبٌ ولكن في تَناوُلها بُعْدُ

وسئل عن التوبة فقال: إذا ذكرتَ الذَّنْبَ ولم تجد حَلاوته عند ذكره فهو التوبة.

وسئل عن التصوف فقال: اسم ولا حقيقة، وقد كان قبلُ حقيقةً ولا اسم.

محمد بن الحسن

ابن عبد الله بن علي بن محمد بن عبد الملك بن أبي الشَّوارِب، أبو الحسن، القُرَشي، الأُموي[٢].

ولد سنة اثنتين وتسعين ومئتين، وكان واسعَ الأخلاق، كريماً، جَواداً.

ولي القضاء بمدينة السلام في أيام المُسْتَكفي، ثم قُبض عليه، ثم قَلَّده المطيع الشَّرقيَّة، والحَرَمَين، واليمن، ومصر، وسُرَّمَن رأى، وقطعةً من أعمال السَّواد، وبعض أعمال الشام، وسَقْي الفُرات، وواسِطاً، ثم صُرِف عن جميع ذلك في رجب سنة خمس وثلاثين.

---

(١) طبقات الصوفية ٤٥٨، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٩، الرسالة القشيرية ١٢٠، المنتظم ١٤/ ١٢٠، مناقب الأبرار ٢/ ١٧٤، الكامل ٨/ ٥٢٥، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٥٤، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٣٤٤.
وعندهم أن وفاته في السنة الآتية، خلا ابن الأثير والسبكي.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٦٠١، والمنتظم ١٤/ ١١٧، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٥٧.

وقد ذَمَّه الخطيب فقال: كان قبيحَ الذِّكر فيما يتولَّاه، مَنسوباً إلى الارتشاء في الأحكام، والعمل فيها بما لا يجوز، وقد شاع ذلك عنه وكَثُر الحديث به، وكانت وفاته في رمضان.

محمد بن عبد الله

ابن جعفر بن عبد الله بن الجُنَيد، أبو الحُسين، الرَّازي.

رحل في طلب الحديث، ولقي الشّيوخ، وصنَّف الكتب، وكان عالماً، فاضلاً، زاهداً، عابداً، ورعاً، واتَّفقوا على فضله ودينه وصدقه وورعه[(١)].

(١) تاريخ دمشق ٦٢/ ٣٩٧، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٥٧، السير ١٦/ ١٧، والتراجم الثلاث الأخيرة ليست في (م ف م١).

السنة الثامنة والأربعون وثلاث مئة[1]

فيها خلع المطيع على بُخْتيار بن مُعزّ الدولة خِلَع السَّلْطنة، وعقد له لواءً، ولقَّبه عِزّ الدولة وأمير الأُمراء، وتزوَّج بُختيار بنت أبي علي محمد بن إلياس صاحب كَرْمان، بسِفارة القاضي أبي بكر أحمد بن سِنان الصَّيْمَري.

وفيها توفي عبد الرَّحمن بن عيسى بن داود بن الجَرَّاح.

وفيها خرج محمد بن ناصر الدولة في سَرِيَّة نحو بلاد الروم، فأسرته الروم وغلمانَه ومَن كان معه[2].

وفيها وصلت الروم إلى الرُّها وحَرّان، فأسروا أبا الهيثم ابن القاضي أبي حُصَين من قريةٍ بحَرَّان، وسَبَوا وقتلوا، ورجعوا إلى بلادهم.

[وقال ثابت بن سنان:] وفي يوم الثلاثاء لسبعٍ خلون من ذي القعدة غرق من الحاج الواردين من المَوْصِل إلى بغداد في دجلة بضعة عشر زَوْرَقاً، فيها من الرجال والنساء والصبيان نحو ست مئة نَفْس [، وقد حكاه جدي في «المنتظم»][3].

وفيها مات ملك الروم بالقُسْطَنْطينية، وأُقعد ابنُه مكانه، ثم قُتل ابنه ونُصِّب غيره.

ووصلت الروم إلى طَرَسوس، فقتلوا جماعةً من أهلها، وفتحوا حصن الهارونيَّة، وقتلوا مَن فيه وأخربوه.

وانقطع الغَيث بأرض العراق، فخرج الناس يَسْتسقون فما سُقوا، وبَذْرَق بالحاج أبو علي بن محمد بن عُبيد الله العَلَوي.

وفيها جاءت الروم مرةً ثانية إلى ديار بَكْر، ووصلوا مَيّافارِقين، فعمل عبد الرَّحيم بن نُباتَة الخُطَب النُّباتيّة الجهادية [، وحرض الناس على الجهاد].

وفيها هرب عبد الواحد بن المُطيع من بغداد إلى دمشق، فنزل بمَحَلَّة لؤلؤة من باب الجابية.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وانظر المنتظم ١٤/ ١١٨.

وفيها توفي

أحمد بن سلمان

ابن الحسن بن إسرائيل، أبو بكر، النَّجَّاد، الحَنْبلي[١].

ولد سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وطلب الحديث، وكان يمشي حافياً ويقول: لا أنْتَعِل في طلب العلم.

وجمع «المسند» و «السنن» كتاباً كبيراً، وكانت له في جامع المنصور حَلْقتان؛ قبل الصلاة وبعدها إحداها لإملاء الحديث، والثانية للفتوى والفقه [على مذهب أحمد بن حنبل.

وقال الخطيب: حدثني الحسين بن علي الفقيه قال: سمعتُ أبا إسحاق الطَّبَري يقول:] كان أحمد بن سلمان يصوم الدَّهر، ويُفطر كلَّ ليلةٍ على رغيف، ويترك منه لُقمة، فإذا كانت ليلة الجمعة تصدَّق بذلك الرَّغيف، وأكل تلك اللُّقَم التي استفضلها.

[وقال الخطيب:] توفي ليلة الجمعة لعشرٍ بقين من ذي الحجة عن خمس وتسعين سنة، ودُفن قريباً من بشر الحافي، واتفقوا على صدقه وثقته وزُهده ووَرَعه.

جعفر بن حَرْب الوزير

كان يتقلَّد كبار الأعمال للسلطان، وكانت نعمتُه تُقارب نعمة الوزراء، فاجتاز يوماً في مَوْكبٍ عظيم، فسمع قارئاً يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]؟ فصاح: بلى والله قد آن، يُكَرِّرها ويبكي، ونزل عن دابّته، ودخل الماء في دِجْلة، ولم يخرج منه حتى فرَّق جميع أمواله، وردَّ المظالم إلى أربابها، فاجتاز به رجلٌ فرآه في الماء، فوهب له قميصاً ومئزراً، فلبسه وخرج إلى المسجد، فلزم العبادة حتى مات[٢].

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٠٩، المنتظم ١٤/ ١١٨، الكامل ٨/ ٥٢٧، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٦٠، السير ١٥/ ٥٠٢.

(٢) المنتظم ١٤/ ١٢٧ (سنة ٣٤٩ هـ)، وصفة الصفوة ٢/ ٤٦٩، والتوابين ١٨٢.

[وفيها توفي]

جعفر بن محمد بن نُصَيْر

أبو محمد، الخُلْدي، الخَوَّاص[(١)].

بغدادي المولد والمنشأ، ولد سنة ثلاث وخمسين ومئتين، وقيل: سنة اثنتين وخمسين.

صحب الجُنَيد وكان إليه يَنتمي، وكان المرجع إليه في علوم القوم وسِيَرهم.

[واختلفوا لم سُمِّي الخُلْدي؛ فقال قوم: كان يسكن الخُلْد موضع ببغداد، وقيل: إنه سئل لم سُمِّيت الخُلْدي؟ فقال: كنت جالساً يوماً عند الجُنَيد، فسئل عن مسائل، فقال: يا محمد، أجِبْهم، فأجبتُهم، فقال: من أين لك هذه المسائل[(٢)] يا خُلْدي؟ فجرى عليَّ هذا الاسم، والأول أصحّ؛ لأن قول الجنيد: يا خُلْدي؛ ليس له معنى.

ذكر طرف من أخباره وحكاياته:

ذكر طرفاً منها الخطيب والسُّلَمي وابن خَميس وابن باكَوَيه وغيرهم.

قال ابن خَميس في «المناقب»: كان الخُلْدي][(٣)] أفتى المشايخ، وأحسنهم، وأكملهم خُلُقاً، حجَّ قريباً من ستين حجة قال: وما حَجَجْتُ إلا على التوكُّل، وكنت أرى الأطعمةَ في البَرِّية حولي كثيرة.

[وحكى الخطيب عن أبي القاسم القَصْري قال:][(٤)] رأيت الخُلْدي في آخر عُمره وفي إحدى رجليه جَوْرب من جلود والأخرى مَكشوفة، فسألتُه عن السبب فقال: حَجَجْتُ آخر حجة، فجاز عليّ فقير فقال: ما عندك رُمَّانة؟ قلت: من أين في الرَّمْل رُمَّان؟ قال: أفتريد أنت رُمَّانة؟ قلت: نعم، فأخرج من كُمِّه رمانة فرمى بها إلي، ثم

---

(١) طبقات الصوفية ٤٣٤، حلية الأولياء ١٠/ ٣٨١، تاريخ بغداد ٨/ ١٤٥، الرسالة القشيرية ١١٧، المنتظم ١٤/ ١١٩، مناقب الأبرار ٢/ ١٤٧، الكامل ٨/ ٥٢٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٦٢، السير ١٥/ ٥٥٨.

(٢) في تاريخ بغداد ٨/ ١٤٧: الأجوبة.

(٣) ما بين معكوفين من (م ف م١).

(٤) في (خ): وقال أبو القاسم البصري، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٥١.

أخرج أخرى وأخرى حتى ملأ الدنيا، فأطعمتُ منه أهل القافلة، وحملتُ منه إلى بغداد، فلما كان بعد أيام اجتاز بي ذلك الفقير، فرآني نائماً ورجلي الواحدة مكشوفة فقال: أما يكفيك أن تنام بين يدي سَيِّدك حتى تَمُدَّ رجلَك؟ وضرب رجلي بكُمِّه، فوقع عليها مثل النار، فإذا غطَّيتُها ضَرَبت علي، وإذا كشَفْتُها سكن الضَّرَبان.

[وحكى الخطيب عن جعفر الخُلْدي] قال: رأيت في منامي(١) قائلاً يقول: اذهب فاحفر موضع كذا، فحفرتُه فإذا صندوق فيه دفاتر وحُزمة، ففتحتها وقرأتها، فإذا فيها أسامي ستة آلاف شيخ من الأولياء وأرباب الحقائق من لدن آدم عليه السلام إلى وقتنا هذا، ونعوتُهم، وكلُّهم يدعو إلى مذاهب أهل الحقائق، وكان في تلك الكتب عجائب، فدفنتُها خوفاً أن تسألني المشايخ غداً بين يدي الله تعالى ويقولون: لِمَ أخرجتَ أسرارنا إلى الخلق.

[وحكى عنه في «المناقب»] قال: بقيتُ أياما في البادية ما أكلتُ شيئاً، فجئت إلى كوخ، فرأيت شابًّا قائماً يصلي، فقلت في نفسي: وقت المغرب يؤتى هذا بطعام فآكل معه، فأقمت ثلاثاً لم يؤت بطعام، فقلت: هذا شيطان، فانصرفتُ، فناداني: يا جعفر، أنت كما سُمِّيت: جاعَ فَرَّ(٢).

[وحكى عنه أيضاً أنه] قال: رأيتُ ببيت المقدس رجلاً مُلتفًّا في عباءة طول الليل ـ أو النهار ـ ثم وثب ورفع رأسه إلى السماء وقال: أيُّما أحب إليك: تُطعمني مَضِيْرَة وفالوذَج(٣) أو أكسر قناديلك؟ ثم نام، فقلت: إما أن يكون ولياً لله تعالى أو به سَوداء، وإذا برجلٍ دخل المسجد، فجعل ينظر يَمْنَةً ويَسْرة وبيده زِنْبيل، فجاء فقعد عند رأس الرجل، فأيقظه، وأخرج من الزِّنْبيل مَضيرة وفالوذجاً حاراً، فأكل الفقير حتى شبع، ثم قال له: رُدَّ الباقي إلى صِبيانك، فقام الرجل من عنده، فتبعتُه وقلت له: بالله، هل بينك

---

(١) في (م): اليمن، وما بين معكوفين من (م ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٨/ ١٤٨.

(٢) في (خ): جائع فقير، والمثبت من (ف م م١)، والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ١٥٣، وأخرجه الخطيب ٨/ ١٤٩.

(٣) المضيرة: طبيخ يتخذ من اللبن الحامض واللحم، والفالوذج: حلواء تعمل من الدقيق والماء والعسل، والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ١٥٣.

وبين هذا الرجل مَعرفة قبل هذا؟ فقال: لا والله، ولا رأيتُه قبل هذه الساعة، وإنما اشتهى عليَّ صبياني مَضيرة وفالوذجاً، وأنا رجل حَمَّال فقلت: ما يمكن اليوم، فإذا فتح الله علي بشيء اشتريتُ لكم، فكَسِبتُ اليوم ديناراً، فاشتريتُ حوائج المضيرة والفالوذج، ثم نمت فهتف بي هاتف: قم واحمل هذا إلى المسجد؛ ففيه فقير عليه عَباءة في الموضع الفلاني، فقَدِّمه بين يديه، وما فَضَل منه فأطعمه لعيالك [فجئت به إلى هذا الفقير النائم فأيقظته] فكان كما رأيت، فقلت له: لقد وُفِّقْتَ إن شاء الله تعالى.

[وحكى في المناقب عن جعفر] قال: سمعت أبا يعقوب الأقطع البَصريّ يقول: جعتُ مرةً في المسجد الحرام، فبقيت أياماً لم آكل شيئاً، فخرجت إلى الوادي، فإذا بسَلْجَمةٍ(١) مطَرْوحة، فقلت: آخذها فأُسكّن بها ما بي، فأخذتُها فوجدت في قلبي وَحْشة كأني زُجِرتُ وقيل لي: كان حَظُّك من جوع أيام سَلْجَمَةٌ مُنْتِنَة؟! فرميتُ بها، وجلستُ في المسجد، وإذا برجل من نَواتيَّة البحر قد دخل ومعه قِمَطْر، فقال: خذ هذا فإنه لك، قلت: وكيف؟ قال: هاج علينا البحر منذ عشرة أيام، وأشرفْنا على الهلاك، فنَذَرتُ لئن سَلَّمنا الله لأُعطين هذا القِمَطْر لأول من أراه من المُجاورين، قال: ففتحتُه، وإذا بسَويق وسُكَّر، فقلت: إلهي، هذا رزقي يسير إلي من مسيرة عشرة أيام، وأنا أخرج إلى الوادي فأطلب منه ما آكله، فأخذتُ منه قَبضَتين، وقلت له: رُدَّ الباقي إلى صِبيانك فهو هَديَّةٌ مني إليهم ففعل.

[وحكى في المناقب عن أبي] الحسن العَلَوي قال(٢): كنت ليلةً عند الخُلْدي، وكنتُ أمرتُ في بيتي أن يُعَلِّقوا طائراً في تَنُّور، وتَعلَّق قلبي به، فقال الخُلْدي: أقم عندنا الليلة، فتعلَّلْتُ عليه، ورجَعتُ إلى منزلي، فأُخرج إليّ الطائر من التنور، ووضعته الجارية بين يدي وشَرعتُ آكل، وإذا كلبٌ قد هجم من باب الدار، فأخذه ومضى، وجاءت الجارية بالجوذاب(٣) الذي كان عليه الطائر، فتعلَّق بذيلها فتبدَّد، فتعجَّبتُ،

(١) نبات يعرف باللفت. والخبر في مناقب الأبرار ٢/ ١٥١ ـ ١٥٢.
(٢) في (خ): وقال أبو الحسن العلوي، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في المناقب ٢/ ١٥٠.
(٣) الجوذاب: طعام يصنع من الأرز والسكر واللحم. المحكم والمحيط الأعظم. (جذب).

فلما أصبحتُ دخلتُ على الخُلْدي، فلما رآني قال: مَن لم يَحفظ قلوب المشايخ سلَّط الله عليه كلباً يُؤدِّبه[(١)].

[ذكر نبذة من كلامه:

حكى عنه في «المناقب» أنه قال لرجل: كن بعيد الهِمَّة ـ أو شريف الهمة[(٢)] ـ فإن الهِمَم تبلُغُ بالرِّجال لا المجاهدات.

وقال: السِّياحة سياحتان: فسِياحة بالنَّفْس في الأرض ليُشاهد آثار قدرة الله تعالى وأوليائه، وسياحة بالقلب في الملكوت الأعلى، يجول فيه فيَرِد على صاحبه بركات المشاهدات في الغيوب[(٣)].

وأنشد: [من المتقارب]

يقولون ثَكْلى ومَن لم يَذُق ... فِراقَ الأحبة لم يَثْكَلِ

لقد جرَّعَتْني ليالي الفِراقِ ... شَراباً أمرَّ من الحَنْظَلِ[(٤)]

[وقال الخطيب:] توفي الخُلْدي يوم الأحد لتسعٍ خَلَون من رمضان، ودُفن بمقبرة الشُّونيزية عند الجُنَيد وسَرِيٍّ السَّقَطي، وسمع الحديث الكثير، وسافر إلى البلاد، وروى علماً كثيراً [ولقي العلماء والمشايخ، وسمع الحارث بن أبي أسامة التَّميمي وغيره]، وكان يقول: لو تركني الصوفية لجئتكم بأسانيد الدنيا[(٥)].

---

(١) بعدها في (م): فقلت له: يا أستاذ نستغفر الله تعالى.

(٢) في (خ): وقال الخلدي: كن شريف الهمة، والمثبت من (م ف م١)، والقول في المناقب ٢/ ١٤٩ عن طبقات الصوفية ٤٣٧.

(٣) هذا القول كما أورده المصنف فيه خلل، صوابه ما في طبقات الصوفية ٤٣٨: المجاهدات في السياحات، والسياحة سياحتان سياحة النفس بالسير في الأرض ليرى أولياء الله أو يعتبر بآثار قدرته وسياحة القلب ليجول في الملكوت فيورد على صاحبه بركات مشاهدات الغيوب فيطمئن القلب عند الموارد لمشاهدة الغيوب وتطمئن النفس عن المرادات لبركة آثار القدرة عليه.

(٤) وهذا الخبر أيضاً مختصر، تمامه في طبقات الصوفية ٤٣٧: سمعت بعض أصحاب جعفر يقول: مررت بمقبرة الشونيزية وامرأة تبكي بكاء بحرقة وتندب على قبر، فقال لها جعفر: ما لك؟ فقالت: ثكلى بولدي، فأنشد: يقولون ثكلى...

(٥) تاريخ بغداد ٨/ ١٤٥-١٤٦.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه قال:] عندي مئة ونَيِّفٌ وثلاثون ديواناً من دواوين الصوفية، قيل: فهل عندك من كتب محمد بن علي التِّرْمِذيّ شيء؟ قال: ما عَددتُه من الصُّوفية[١].

واتَّفقوا على صِدق الخُلْدي وثقته ووَرَعه وفضله ودينه.

[وفيها توفي]

محمد بن إبراهيم بن يوسف

أبو عمرو، الزَّجَّاجي، النَّيْسابوري[٢].

أوحد المشايخ في وقته، صحب أبا عثمان، والجُنَيد، والنُّوري، والخَوَّاص، وغيرهم، وجاور بمكة، وصار شيخَ الحَرَم، وحجَّ ستين حجة، ولم يَبُلْ ولم يَتغَوَّط في الحرم [وهو مقيم به] أربعين سنة، وكان يخرج إلى الحِلّ فيقضي حاجته ثم يرجع.

وكان [شيخ مكة في وقته، والمنظور إليه فيها، وكان يجتمع الخلق: للكتَّاني حَلْقة، وللنَّهْرَجُوري حلقة، وكذا للمُرْتَعِش وغيرهم،] وحلقته في صدر الكل، فإن اختلفوا في شيء رجعوا إلى قوله.

[قال في «المناقب»:] جاءه رجل أعجمي بعد فراغ الناس من الحج، فقال له: قد حججتُ وأريد منك براءة بقبول حجي، فإن أصحابي دلّوني عليك، فعلم سَلامةَ صدره فقال له: اذهب إلى الملتزم وقل: يا رب، أعطني براءة، فجاء الرجل فوقف عند الملتزم ودعا، فوقع عليه قِرْطاس فيه مكتوب بالخُضرة: هذه براءة فلان بن فلان من النار باسم ذلك الرجل.

[وحكى عنه في «المناقب» أيضاً] قال: ماتت أمي، فورثتُ منها داراً بعتُها بخمسين ديناراً، وخرجت إلى الحج، وإذا برجل في البَرِّية راكبٌ على فَرَس، فقال: أيش معك؟ قلت: الصِّدق أنجى، معي خمسون ديناراً، فأخذها وعَدَّها فوجدها كما قلت،

---

(١) مناقب الأبرار ٢/ ١٤٧-١٤٨ عن طبقات الصوفية ٤٣٤.

(٢) طبقات الصوفية ٤٣١، حلية الأولياء ١٠/ ٣٧٦، الرسالة القشيرية ١١٧، المنتظم ١٤/ ١٢٠، مناقب الأبرار ٢/ ١٤٤، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٦٨.

فرمى بها إلي وقال: قد أخذني صِدقُك، ثم نزل عن الدابة وقال: اركبها فأنا على أثرك، ولحقني إلى مكة فجاور بها حتى مات[(١)].

وقال: المعرفة على ستة أوجه: معرفة الوَحْدانية، ومعرفة التَّعظيم، ومعرفة المِنَّة، ومعرفة القُدرة، ومعرفة الأَزَل، ومعرفة الأسرار [، وله الكلام المليح.

وفيها توفي]

محمد بن جعفر

ابن محمد بن فَضالة، أبو بكر، الأدَميّ، القارئ، صاحب الألحان[(٢)].

ولد في رجب سنة ستين ومئتين، وكان من أحسن الناس صوتاً بالقرآن، يُسمع صوتُه من فَرْسَخ[(٣)].

[ذكر حكايته مع الضرير:

قال الخطيب: حدثنا علي بن المُحَسِّن، عن القاضي أبي محمد عبد الله بن محمد الأسدي، عن أبيه قال:] حَجَجْتُ أنا وأبو القاسم البَغَويّ وأبو بكر الأدَمي، فلما صرنا بمدينة النبي ﷺ رأينا رجلاً ضَريراً قائماً، يروي أحاديثَ موضوعة وأخباراً مَعْلولة، فقال بعضنا لبعض: نُنكر عليه، فقال الأدَمي: ما ينفع، وتثور علينا العامة، ولكن اصبروا، وشَرع يقرأ، فما هو إلا أن أخذ في القراءة، فانفضَّت الحَلقةُ عن الضَّرير، ومال الناس إليه وتركوا الضرير وحده، فقال لقائده: خذ بيدي هكذا تزول النِّعَم عن الناس.

[ذكر وفاته:

حكى الخطيب أنه] توفي لليلتين بقيتا من ربيع الأول، ودُفن إلى جانب أبي عمر الزاهد في الصُّفَّة التي تقابل مَعروف الكَرْخي.

[وحكى الخطيب أيضاً عن أبي] جعفر الإمام قال: رأيت الأدَمي في المنام فقلت: ما فعل الله بك؟ فقال: قاسيتُ شدائد وأموراً صعبة، قلت: فتلك الليالي والمواقف

---

(١) الخبر في مناقب الأبرار ٢/ ١٤٦، وما بين معكوفين من (م ف م١).

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٥٢٦، وتكملة الطبري ٣٨٧، والمنتظم ١٤/ ١٢٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٦٨.

(٣) في (م ف م١): من فراسخ أو فرسخ، الشك من الراوي.

والقرآن؟ فقال: ما كان شيءٌ أضرَّ عليَّ منها؛ لأنها كانت للدنيا، قلت: إلى أي شيء انتهى أمرُك؟ فقال: أوقفَني بين يديه وقال: آلَيْتُ على نفسي أن لا أُعذِّب أبناء الثمانين[١].

[وفيها توفي

محمد بن سيما

أبو الحسن، النَّيْسابوري، مولى محمد بن شُعيب القَطّان[٢].

قدم بغداد، وكتب عن[٣] عبد الله بن محمد البَغَوي وطبقته، فروى عنه الحاكم أبو عبد الله وغيره، وذكر أنه مات ببغداد.

قلت: وفي الرواة واحد آخر اسمه **محمد بن سيما بن الفتح**، أبو بكر، الحَنْبلي، البغدادي.

وروى عنه أبو نُعَيم الحافظ، وكان صدوقاً، ولم يُذكر لنا تاريخ وفاته.

وأخرج له الخطيب حديثاً مسنداً عن عائشة ﵂ قالت: قال رسول الله ﷺ: «ادْرَؤوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلمين فَرَجاً فخلُّوا سبيلهم، فلأَن يُخطئ الإمامُ في العفو خيرٌ من أن يُخطئ في العقوبة»[٤].]

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٥٢٨ ـ ٥٢٩، وما سلف بين معكوفات من (م ف م١).

(٢) كذا قال، والذي في تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٢ أن أباه سيما هو مولى محمد بن شعيب القطان. وهذه الترجمة ليست في (خ).

(٣) في (ف م م١): عنه، وهو خطأ، والمثبت من تاريخ بغداد.

(٤) تاريخ بغداد ٣/ ٢٨٢، وطبقات الحنابلة ٢/ ١٦٢، وأخرج الحديث إضافة إليهما: الترمذي في سننه (١٤٨٥)، وفي علله (٢٤١)، والدارقطني (٣٠٩٧)، والحاكم في المستدرك ٤/ ٣٨٤، والبيهقي في السنن الكبرى ٨/ ٢٣٨ و ٩/ ١٢٣، وفي إسناده يزيد بن زياد الدمشقي، قال البخاري: منكر الحديث ذاهب.

السنة التاسعة والأربعون وثلاث مئة(١)

فيها أوقع نجا غلام سيف الدولة بالروم بناحية حِصن ذي القَرْنَين، فقتل منهم وأسر.

وفيها وقعت فتنةٌ عظيمة بناحية بغداد في شعبان بين السُّنة والشيعة عند القَنْطرة الجديدة بباب البصرة، وتعطّلت آثار الصلوات في الجوامع(٢) من جانبي بغداد، سوى جامع بَراثا فإنَّ الجمعة أُقيمت فيه، وكان جماعة من بني هاشم [هم الذين] أثاروا الفتنة، فاعتقلهم معزُّ الدولة، فسَكنت [الفتنة].

وفي شعبان ظهر لعيسى بن المكتفي بأمر الله ابنٌ بناحية أرمينية، وتَلقَّب بالمستجير بالله، يدعو إلى الرِّضا من آل رسول الله ﷺ، ولبس الصُّوف، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، ومضى إلى جماعة الدَّيْلَم بالجبال فاستنصر بهم؛ وهم طائفة يقال لهم: المَعْروفية والمُسَوِّدة، وهم المنتسبون إلى مذهب السنة، فخرج جماعةٌ منهم وساروا إلى أذربيجان، فاستولى على عدة بلدان بها مما كان في يد سالار الدَّيْلَمي، فسار إليه سالار فهزمه، ويقال: إنَّه قتله، وقيل: بل أسره حيًّا.

وفي رمضان توفي أحمد بن محمد ابن ثوابة كاتب مُعزّ الدولة، وكان قد خرج عن بغداد للنظر في البلاد، فنعاه ابن بويه(٣)، وقُلِّد ديوان الرسائل مكانه أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابئ(٤).

وفي شوال عرض لمعزِّ الدولة في كُلاه علَّةٌ، فبال الدَّم، ثم احتبس بولُه، ثم رمى حصًى صغاراً ورملاً، وأُرجف بموته، فلما بال سكن الناس.

وفيها غزا سيف الدولة بلاد الروم في جَمْعٍ كثير، فأسر وقتل وسبى، فكَثُرت(٥) الروم عليه، فعاد في ثلاث مئة من غلمانه، وذهب جميع ما كان جمعه، وقُتل معه

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في (م ف م١): وتعطلت الأحوال والصلوات بطلت في الجوامع، وانظر المنتظم ١٤/ ١٢٦، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦١.

(٣) في (خ): فعابا بويه (؟!)، وليس في (م ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، وانظر تكملة الطبري ٣٩١، والكامل ٨/ ٥٣٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦٢.

(٤) من قوله: وفي شعبان ظهر لعيسى... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٥) في (م ف م١): فكَرَّت، وكلاهما صحيح.

أعيان القُوَّاد والقاضي أبو حُصين بدر بن الهيثم، وكان خروجه من ناحية طَرَسوس [ولو خرج من الدرب ما رجع معه أحد].

وفي آخر هذه السنة مات أنوجور بن الإخشيد، وتقلَّد أخوه علي مكانه، والمُدَبِّر للدولة كافور الإخشيدي.

وفيها أسلم من الأتراك مئتا ألف خَرْكاه[1].

وفيها بَذَل القاضي الحَسَن بن محمد الهاشمي مئتي ألف درهم على أن يُقَلَّد قضاء البصرة، فأُخذ منه المال ولم يُقَلَّد، وحجَّ بالناس العَلَوي.

وفيها توفي

حَسَّان بن محمد

ابن أحمد بن هارون، أبو الوليد، القُرَشي[2].

إمامُ أهل الحديث بخُراسان في عصره، وأكثرُهم اجتهاداً في العبادة والزُّهد.

قرأ الفقه على أبي العباس بن سُرَيج، وسمع الحديث وصنَّف الكتب.

وقال الحاكم: سمعتُه يقول في مرضه الذي توفي فيه: قالت لي والدتي: كنتُ حاملاً بك وكان للعباس بن حَمزة مجلسٌ، فاستأذنتُ أباك أن أحضره في أيام العشر، فأذن لي، فلما كان في آخر المجلس قال العباس بن حمزة: قوموا، فقاموا فقمتُ معهم، ودعا العباس، فقلتُ: اللهم ارزقني ولداً صالحاً عالماً، ثم رجعتُ إلى منزلي، فنمتُ في تلك الليلة، فرأيتُ فيما يرى النائم كأنَّ رجلاً أتاني فقال: أبشري، فإن الله قد استجاب لك، ورزقك ولداً ذكراً عالماً، ويعيش كما عاش أبوكِ، قالت: وكان أبي قد عاش اثنتين وسبعين سنة.

---

(١) تطلق هذه الكلمة على المحل الواسع، وبالأخص على الخيمة الكبيرة التي يتخذها أمراء الأكراد والأعراب والتركمان مسكناً لهم، ثم أطلقت على سرادق الملوك والوزراء، انظر معجم الألفاظ الفارسية المعربة ٥٣ ـ ٥٤.
وأراد هنا أصحابها، والخبر في المنتظم ١٤/ ١٢٧، والكامل ٨/ ٥٣٢، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦٢.

(٢) المنتظم ١٤/ ١٢٨، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٧٤، السير ١٥/ ٤٩٢، طبقات الشافعية ٣/ ٢٢٦. ومن هذه الترجمة إلى آخر السنة ليس في (م ف م١).

قال حسان وهذه قد تمَّت لي اثنتان وسبعون سنة.

قال الحاكم: فعاش بعد هذه الحكاية أربعة أيام، وتوفي ليلة الجمعة خامس ربيع الأول.

الحسين بن علي

ابن يزيد بن داود، أبو علي، الصَّائغ، النَّيسابوري[(١)].

ولد سنة سبع وسبعين ومئتين، وكان أوحدَ دهره في الحفظ والإتقان والوَرَع، مُقَدَّماً في مذاكرته الأئمة، كثيرَ التصانيف، ذِكْرُه في المَشْرق والمَغْرب بالحفظ والزُّهد والصِّدق والأمانة والثِّقة.

رحل إلى الآفاق البعيدة في طلب الحديث، وكانت وفاته بنيسابور في جُمادى الأولى.

حَمْدان بن إبراهيم بن الخَطَّاب

وبعضهم يقول: حُميد[(٢)].

الإمام الفاضل، سمع الكثير، وصنَّف التصانيف الحِسان، منها: «مَعالم السُّنن» شرح فيها سنن أبي داود، و «الأعلام» شرح فيها البخاري، و «غريب الحديث».

وكان عارفاً بكلِّ فَنٍّ، فصيحاً، وله أشعار كثيرة منها: [من البسيط]

ما دمتَ حيًّا فدارِ الناسَ كلَّهم فإنَّما أنت في دار المُداراة
مَن يَدْرِ دارى ومَن لم يَدْرِ سوف يُرى عمَّا قليلٍ نَديماً للنَّداماتِ

---

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٦٢٢، والمنتظم ١٤/١٢٨، والسير ١٦/ ١٥، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٧٥، وطبقات الشافعية ٣/ ٢٧٦.

(٢) كذا ورد اسمه والاختلاف فيه في (خ)، وليس في النسخ (م ف م١) لاختصار أشرنا إليه قريباً، وأخشى أن يكون هذا تحريفاً وتصرفاً من الناسخ، لأنهم اختلفوا في اسمه على قولين: أحدهما: أحمد بن محمد بن إبراهيم ابن خطاب، والآخر: حَمْد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب، وهو الصواب في اسمه، وهو أبو سليمان الخطابي.

ثم إن المصنف تبع جدّه في ذكر الخطابي في وفيات هذه السنة [المنتظم ١٤/ ١٢٩]، وقد ردّ ذلك ياقوت في معجم الأدباء ٤/ ٢٥٠ فقال بعد أن أورده: وهذا ليس بشيء. اهـ.

والصواب أنه توفي سنة (٣٨٨ هـ)، انظر يتيمة الدهر ٤/ ٣٨٣، والأنساب ٢/ ٢١٠، ٥/ ١٤٥، ومعجم الأدباء ٤/ ٢٤٦، ١٠/ ٢٦٨، وإنباه الرواة ١/ ١٢٥، ووفيات الأعيان ٢/ ٢١٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٦٣٢، والسير ١٧/ ٢٣، وطبقات الشافعية ٣/ ٢٨٢ ومصادر أخرى في هوامشها.

علي بن المؤمَّل

ابن الحسن بن عيسى، أبو القاسم ابن ماسَرْجِس[١].

قال الحاكم: كان يُضرب المَثَل بعقله، وكان من أوْرَع مشايخنا، حَدَّث سنين، وحججتُ معه سنة إحدى وأربعين، فكان أكثر الليل يقرأ في العَمَّارِيَّة[٢]، فإذا نزل قام إلى الصلاة لا يشتغل بغير ذلك، وما أعلم أني دخلتُ الطواف إلا وجدتُه يطوف، وسمعتُ ابنه أبا عبد الله يقول: ضَعُفَ بصرُ أبي ثلاث سنين ولم يخبرنا به، حتى ضعفت العين الأخرى، فحينئذٍ أخبرنا.

وكانت وفاته في صَفَر، وأجمعوا على صِدقه وفضله.

محمد بن أحمد بن يوسف

أبو الطَّيِّب، المُقرئ، ويُعرف بغلام ابن شَنَبوذ[٣].

قال: قرأتُ على إدريس بن عبد الكريم: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] فقال لي: ضَعْ يدَك على رأسك فإنَّ شيخي أمرني بهذا، وسَلْسَل الحديث إلى ابن مسعود، وأنَّ النبي ﷺ لمَّا قرأها ابن مسعود قال له: «ضَعْ يدك على رأسك؛ فإنَّ جبريل أمرني بهذا، قال: وفيها شِفاءٌ من كلِّ داءٍ إلا السَّام، والسَّام الموت»[٤].

---

(١) الأنساب ١١/ ٨٠، والمنتظم ١٤/ ١٢٩، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٨٠.

(٢) محمل أو مِحَفَّة شبيه بالهودج. تكملة المعاجم ٧/ ٣٠٨.

(٣) لعل السبط ذكره في وفيات هذه السنة اعتماداً على ما قاله أبو نعيم في أخبار أصبهان ٢/ ٢٨٨، ونقله عنه الخطيب في تاريخه ٢/ ٢٥٤: قدم علينا قبل الخمسين، وسماعي منه سنة تسع وأربعين وثلاث مئة.
وذكره ابن الجوزي في وفيات سنة (٣٥٢هـ) من المنتظم ١٤/ ١٥٤، وذكره الذهبي في تاريخه فيمن لم تحفظ وفاته من أهل الطبقة السادسة والثلاثين (٣٥١ ـ ٣٦٠هـ)، وقال ابن الجزري في غاية النهاية ٢/ ٩٢: توفي فيما أحسب سنة بضع وخمسين وثلاث مئة.

(٤) أخرجه الخطيب في تاريخه ٢/ ٢٥٤، والذهبي في معرفة القراء الكبار ٢/ ٦٢٨ وقال: رواته أعلام أثبات سوى أبي الطيب فهو المتهم به، وقال في ميزان الاعتدال (٦٧٧٣): زعم أنه قرأ على إدريس بن عبد الكريم، وروى عنه حديثاً باطلاً بإسناد ما فيه متهم، فالآفة هو. وانظر الفوائد المجموعة ٣١٢، وتنزيه الشريعة ١/ ٢٩٥.

السنة الخمسون وثلاث مئة(١)

فيها بنى مُعزّ الدولة داره المعروفة بالمعزِّية شرقي بغداد، وسببه أن [مُعزَّ الدولة] مرض في أول المحرم بعُسْر البول، فأقام ليلةً فكاد يَتْلَف، فبال آخر الليل رملاً كثيراً وحصًى صغاراً، فخَفَّ ألمُه، فلما أصبح سلَّم داره وأمواله وأسبابه إلى ولده الأمير عِزّ الدولة بُخْتيار، وخرج في عدَّة يسيرةٍ من غلمانه ليمضيَ إلى الأهواز، فأشار عليه وزيرُه أبو محمد المُهَلَّبي بالمُقام إلى أن يَتماثَل، فأقام بكَلْواذى، ثم تنقّل إلى قُطْرَبُّل، فعَزم على أن يبنيَ قصراً من قُطْرَبُّل إلى باب حَرْب، وأقام يتروَّى، وأمر بضَرْب اللِّبْن وطَبْخ الآجُرّ، ثم انثنى رأيُه إلى الجانب الشرقي، فشَرَع في بناء القصر من البِيْعَة التي يقال لها: دار الروم إلى دجلة وبستان [الصَّيمري، وأخذ يهدم ما يلي البستان من العقارات والدور المجاورة له، وعمل ميداناً من باب بستان] الصَّيْمَري وإلى حدود داره عند البِيعة، وبنى الإصْطَبْلات على نهر مهدي، وقَلَع الأبواب الحديد التي على باب مدينة [أبي جعفر] المنصور، والتي بالرُّصافة، ونقض قصورَ الخلافة بسُرَّ مَن رأى.

ووكَّل بابتياع كلِّ العَقارات من الناس العَدْلَين أبا العباس بن مكرم وأبا القاسم بن حَسَّان، ونزل في الأساسات ستةً وثلاثين ذراعاً، وأحكم البناء بالكِلْس والآجُرّ، ولزمه من الغَرامات إلى أن مات ثلاثة عشر ألف ألف درهم، وكان المُشرف على العمارة أبو الفرج محمد بن العباس بن فَسانْجِس.

وكان معزُّ الدولة مُقيماً في بستان الصَّيْمَري، وانتقل إلى الدار في ذي القعدة قبل أن يَكْمل بناؤها، ولحق الناسَ في هذا الصُّقْع شدائدُ من الجُند ونزولهم دور الناس.

وصادر معزُّ الدولة الكُتَّاب أبا علي الخازن(٢)، وأبا الفرج محمد بن العباس صاحب الديوان، وأبا الفَضْل الشِّيرازي وغيرَهم، على ألف ألف درهم وست مئة ألف درهم، وجعل ما يُؤخذ منهم(٣) مَصروفاً إلى عِمارة الدار المَذْكورة.

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في (م ف م١): الحارث، والمثبت من (خ).

(٣) في (م ف م١): من هؤلاء المصادرين.

قال المصنف رحمه الله: وقد درسَت[١] هذه الدار فلم يبقَ لها أثرٌ، وبقي مكانها دَحْلَةَ[٢] تأوي إليها الوحوش، والبِيعة قائمةٌ بحالها، ولم يبقَ من آثار الدار سوى قطعةٍ يسيرة من المُسَنَّاة[٣]، أبقاها الله ليَعْتَبر بها مَن يأتي على مَمَرِّ الأيام، والحَجَرُ المغصوب في البناء أساسُ الخراب والانعدام، فليت الحلال سلم فكيف بالحرام.

وفيها مات

أبو علي الخازن

فوُجد في بيته ثمانيةٌ وتسعون ألف دينار، وجواهر وحُليٌّ وفُرُش وغيرها تساوي مئة ألف دينار، وقُلد الخُزُن مكانه محمد بن العباس بن فَسانْجِس.

وفي شعبان تقلَّد القاضي أبو العباس عبد الله بن الحسن بن أبي الشَّوارب القضاء في جانبي بغداد ومدينة المنصور وقضاء القُضاة، وخُلع عليه من دار معزّ الدولة، وركب في الخِلَع وبين يديه الدَّبادِب والبُوقات، وفي خدمته الجيش والأتراك، وكان سفيرُه أرسلان جامدار[٤] مُعزّ الدولة، وشرط على نفسه أن يحمل في كلِّ سنةٍ إلى خزانة معز الدولة مئتي ألف درهم، وكتب عليه بها كتاباً، وجعلها نجوماً معروفةً، وامتنع الخليفةُ من تقليده ومن الوصول إليه، وأمر أن لا يدخل عليه يوم موكبٍ ولا غيره، وضمن معز الدولة الحسبةَ ببغداد والشرطةَ وغيرها[٥].

وفي شعبان مات أبو بكر محمد بن علي بن مقاتل بمصر، فوجدوا في داره ثلاث مئة ألف دينار مَدفونة، وكان يتقلَّد أمر الضّياع الخَراجية بمصر[٦].

(١) في (م ف م١): هذا قول ثابت بن سنان، قلت: وقد درست، والمثبت من (خ)، وانظر تكملة الطبري ٣٩٢، والمنتظم ١٤/ ١٣٢، والكامل ٨/ ٥٣٤، وتاريخ الإسلام ٧/ ٧٦٢.

(٢) نَقْب ضيق الفم متسع الأسفل، يعني أنها صارت خراباً.

(٣) سَدٌّ يبنى لحجز ماء السيل أو النهر، فيه مفاتح للماء تفتح على قدر الحاجة.

(٤) موظف يتصدى لإلباس السلطان أو الأمير ثيابه، وهي مركبة من لفظين فارسيين: جاما: الثوب، ودار: الممسك. التعريف بمصطلحات صبح الأعشى ٩٠.

(٥) من قوله: وجواهر وحلي وفرش... إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٦) بعدها في (م١ ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً، وتنتهي فيهما وفي (م) هذه السنة.

وفيها دخل نجا غلامُ سيفِ الدولة إلى الرُّوم، فسبى ألفَ فارس، وأسر جماعة، وغَنِم ما مقداره ثلاثين ألف دينار.

وفيها مات

عبد الملك بن نوح

صاحب خُراسان، تَقَنْطَرَ به فرسُه، ونُصِّب مكانه أخوه منصور، ودخل بُخْتيار على الخليفة، فأخذ المنصور تقليداً بالولاية، وقيل: إنما أخذ تقليداً لسالار صاحب أَذْرَبيجان، وبَذْرَق العَلَويّ الحُجَّاج.

وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن عبد الله بن زياد، أبو سَهْل، القَطَّان[1].

كان يُكثِرُ تلاوةَ القرآن، فصار نَصْبَ عينيه يَنتزع منه ما شاء من غير تَعَب، وكان يقوم الليلَ ويصوم النهار، زاهداً في الدنيا.

توفي ببغداد في شعبان، ودُفن عند مَعْروف الكَرْخي، وكان ثقةً.

إسماعيل بن علي

ابن إسماعيل بن بَيان، أبو محمد، الخُطَبي، كان يرتجل الخُطَب[2].

ولد سنة تسع وستين ومئتين، وكان فاضلاً، نبيلاً، عارفاً بأيام الناس وأخبار الخلفاء والملوك، فصيحاً، يتحرَّى الصِّدق والتواضع.

وقال: وجَّه إليَّ الراضي بالله ليلة عيد، فحُملتُ إليه راكباً على بغلة، فدخلتُ عليه وهو جالس في الشُّموع، فقال لي: يا إسماعيل، إنِّي قد عزمتُ على الصلاة بالناس في المُصلَّى، فماذا أقول إذا انتهيتُ في الخطبة إلى الدعاء لنفسي؟ فأطرقتُ ثم قلتُ: يا أمير المؤمنين،

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٩٤، والمنتظم ١٤/ ١٣٣، والسير ١٥/ ٥٢١، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٨٦.

(٢) تاريخ بغداد ٧/ ٣٠٤، الأنساب ٥/ ١٤٧، المنتظم ١٤/ ١٣٤، معجم الأدباء ٧/ ١٩، السير ١٥/ ٥٢٢، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٨٨.

تقول: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ﴾ الآية [١٩: النمل] فقال لي: حسبك، وأمرني بالانصراف، واتَّبعني خادمٌ فدفع إليَّ خريطة فيها أربع مئة دينار.

توفي الخُطَبي في جُمادى الآخرة، وقيل: في المحرَّم، واتَّفقوا على صدقه، وثقته، وأمانته، وفضله.

الحُسين بن القاسم

أبو علي، الطَّبري، الفقيه الشافعي[(١)].

صنّف كتباً كثيرةً منها «المُحَرَّر»، وهو أول كتاب صُنِّف في الخلاف، وكتاب «الإفصاح» في المذهب وغيره، وتوفي في جمادى الأولى.

عبد الله بن إسماعيل

ابن إبراهيم بن عيسى بن أبي جَعْفر، أبو جعفر، الهاشمي[(٢)].

ولد سنة ستين ومئتين، وكان جليلاً، نَبيلاً، خَطيباً بجامع المنصور، وكان يفتخر به ويقول: رَقي هذا المِنْبَر ـ يعني منبر جامع المنصور ـ الواثقُ بالله سنة ثلاثين ومئتين، ورَقيتُ هذا المنبر سنة ثلاثين وثلاث مئة، وبين الرَّقيتين مئة سنة، وأنا وهو في القُعْدُد[(٣)] إلى المنصور سواء، هو الواثق بن المُعْتَصم بن الرَّشيد بن المَهْدي بن المنصور، وأنا عبد الله بن إسماعيل بن إبراهيم بن عيسى بن المنصور.

وكانت وفاتُه في صفر، وقيل: في سنة اثنتين وخمسين وثلاث مئة، وكان ثقةً.

عبد الرَّحمن بن محمد

ابن عبد الله [بن محمد] بن عبد الرَّحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرَّحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان، أبو المُطَرِّف، والي الأندلس[(٤)].

---

(١) اختلف في اسمه هل هو الحسن أو الحسين؟ انظر تاريخ بغداد ٨/ ٦٤٨، طبقات الشيرازي ٩٤، المنتظم ١٤/ ١٣٥، وفيات الأعيان ٢/ ٧٦، السير ١٦/ ٦٢، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٨٩، طبقات الشافعية الكبرى ٣/ ٢٨٠.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٦٣، المنتظم ١٤/ ١٣٦، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٩٠، السير ١٥/ ٥٥١.

(٣) يعني النسب.

(٤) العقد الفريد ٤/ ٤٩٨، جذوة المقتبس ١٢، الكامل ٨/ ٥٣٥، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٩١، السير ١٥/ ٥٦٢.

ولي سنة ثلاث مئة لمَّا مات جدُّه لأبيه عبد الله بن محمد بن عبد الرَّحمن، وله ألقابٌ منها: النَّاصر لدين الله، أمير المؤمنين، وهو أول من لقَّب نفسه بالناصر، وبأمير المؤمنين بالأندلس، وكانوا قبله يُسمَّون بني الخلائف ويُسلَّم عليهم بالإمرة، فلمَّا ضعُف أمرُ الخلافة ببغداد في أيام المقتدر وغيرها تلقَّب بنو أمية بإمرة المؤمنين، وكذا بنو عُبيد الله بالقَيْروان والمَهْدية، وتلقَّب عبد الرَّحمن بالقَمر الأزْهَر، والأسد الغَضَنْفَر، وأمُّه أمُّ ولد يقال لها: مُزْنَة.

وكان شُجاعاً، شَهماً، محمودَ السّيرة، مَيمونَ النَّقيبة، لم يزل يستأصل المُتَغلِّبين حتى تمَّ أمرُه بالأندلس، فأقام والياً خمسين سنة، ولم يبلغ أحدٌ من بني أمية هذه المدة.

وأخذ المُلك عن جدِّه وهو شابٌّ وبالحَضْرة أكابرُ أعمامه وأعمام أبيه، وذوو القُعْدُد في النسب من أهل بيته فلم يتعرَّض له أحدٌ، واجتمع في دولته من العلماء والفُضَلاء ما لم يجتمع في دولة غيره، وله غزوات عظيمة.

قال ابن عبد ربِّه: وقد نظمتُ أرجوزةً ذكرتُ فيها غزواته من سنة إحدى وثلاث مئة إلى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة[(١)].

قال: وافتتح سبعين حصناً من أعظم الحصون، ومدحه بقصائدَ كثيرةٍ منها قوله: [من البسيط]

قد أوضح الله للإسلام منهاجا ... والناسُ قد دخلوا في الدِّين أفواجا
وقد تَزيَّنَت الدنيا لساكنها ... كأنَّما أُلبسَت وَشْياً وديباجا
يا بن الخَلائف إن المُزْنَ لو علمت ... نَداك ما كان منها الماء ثَجَّاجا
مات النِّفاق وأخطا الكفرُ رَمْيَتَه[(٢)] ... وذَلَّت الخيلُ إلْجاماً وإسراجا
وأصبح النَّصْرُ مَعْقوداً بألويةٍ ... تَطْوي المَراحِلَ تَهْجيراً وإدلاجاً
غادرْتَ في عَقْوَتَي جَيَّان مَلْحَمةً ... أبكيتَ منها بأرض الكفر أعلاجا

(١) ذكرها في العقد ٤/ ٥١٠ ـ ٥٢٧.

(٢) في العقد ٤/ ٤٩٩: وأعطى الكفر ذِمَّته.

تُمْلا بك الأرضُ عَدْلاً مثل ما مُلئت جَوْراً وتُوضِحُ للمعروف مِنْهاجا
إنَّ الإمارةَ لا تَرضى ولا رضيت حتى عَقَدتَ لها في رأسها تاجا[١]

وكانت وفاة أبي المُطَرِّف في رمضان، وكان له من الولد: الحكم وعبد الجبار وسليمان وعبيد الله وعبد الملك وغيرهم، فقام بعده ولده الحكم بعهدٍ من أبيه.

عُتْبة بن عُبيد الله

ابن موسى بن عُبيد الله، أبو السَّائب، من أهل هَمَذان[٢].

ولد سنة أربع وستين ومئتين، وكان أبوه تاجراً موسراً، أديباً، يؤمُّ الناس في مسجدٍ بهَمَذان فوق ثلاثين سنة، ونشأ أبو السَّائب يطلب العلم، وغلب عليه في ابتداء عُمُره علمُ التَّصوف، والميلُ إلى الزُّهد، ثم خرج عن بلده، واتَّصلت أسفارُه، ولقي العلماء، وقرأ القرآن، وكتب الحديث، وتفقَّه على مذهب الشافعي، وعرف الأمير أبو القاسم بن أبي السَّاج خبرَه وما هو عليه، فقلَّده الحكمَ بأذْرَبيجان، وعَظُمَت حالُه، وقُبِض على ابن أبي السَّاج، فعاد إلى الجبل، وتقلَّد هَمَذان، ثم دخل بغداد، وتقلَّد أعمالاً جليلةً بالكوفة، وديار مُضَر، والأهواز، وعامة الجبل، وقطعة من السواد، ثم تقلَّد مدينة أبي جعفر، ثم تقلَّد قضاء القُضاة.

وكانت وفاتُه في ربيع الآخر، ودفن بداره في سوق يحيى.

وقال ابن القَطَّان: رأيتُ أبا السَّائب في منامي بعد موته فقلتُ: ما فعل الله بك مع تخليطك؟ فقال: غفر لي، فقلتُ: وكيف ذاك؟ فقال: إنَّ الله عرض عليَّ أفعالي القبيحةَ، ثم أمر بي إلى الجنة، وقال: لولا أني كتبتُ على نفسي أنِّي لا أُعَذِّب من جاوز الثمانين لعَذَّبْتُك.

فاتِك بن عبد الله

أبو شُجاع، الإخشيدي، ويعرف بالمجنون[٣].

(١) في العقد: في رأسك التاجا، وهي الأشبه.

(٢) تاريخ بغداد ١٤/ ٢٧٢، المنتظم ١٤/ ١٣٧، السير ١٦/ ٤٧، تاريخ الإسلام ٧/ ٨٩٤.

(٣) وفيات الأعيان ٤/ ٢١ ـ ٢٣، وتاريخ الإسلام ٧/ ٨٩٤.

وكان من أكبر غلمان الإخشيد، وهو الذي رثاه المتنبي بقوله:

الـحُـزْنُ يُـقـلـقُ والـتَّـجَـمُّـلُ يَـرْدَعُ[١]

الأبيات.

ولي إمرة دمشق وغيرها[٢]، وكان صارماً شجاعاً.

(١) تمامه: والدمع بينهما عَصِيٌّ طَيِّع، وهو في ديوانه ٣/ ١٢.

(٢) قال الذهبي في تاريخه ٧/ ٨٩٥: وليس هو بفاتك الخزندار الإخشيدي الذي ولي إمرة دمشق سنة خمس وأربعين، توفي فاتك المجنون في شوال بمصر.

السنة الحادية والخمسون وثلاث مئة[1]

فيها نُقلَت سنةُ خمسين وثلاث مئة [من حيث المُغِلات] إلى سنة إحدى وخمسين الخَراجية، وكتب الصابئ كتاباً عن المطيع في المعنى منه[2]: ففضل الله تعالى بين الشمس والقمر، وأنبأنا أنَّ لكلٍّ منهما طريقاً سُخِّر فيها، وطبيعةً جُبل عليها، وأنَّ تلك المُخالَفة والمُبايَنة في المَسير يؤدِّيان إلى مؤالَفة ومُوافَقة في التَّدبير، فمن هناك زادت السنة الشمسية فصارت ثلاث مئة وخمسةً وستين يوماً ورُبعاً بالتقريب المُعَوَّل عليه، وهي المدة التي تقطع فيها الشمس الفَلَك مرةً واحدة، ونَقَصت السنة الهِلالية فصارت ثلاثَ مئة وأربعةً وخمسين يوماً وكَسْراً، وما زالت الأمم السالفة تَكْبِس زيادات السنين على اختلاف مذاهبها، وفي كتاب الله شهادةٌ بذلك، قال الله تعالى: ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥] فكانت هذه الزيادة بإزاء ذلك.

فأما الفُرس فإنَّهم أجْرَوا معاملاتهم على السَّنة المُعْتَدِلة التي شهورُها اثنا عشر شهراً، وأيامها ثلاث مئة وستُّون، ولقَّبوا الشهور اثني عشر لَقباً، وسمَّوا الأيام بأسامي، وأفردوا الأيام الخمسة الزَّائدة وسَمَّوها المُسْتَرقَةَ، وكَبسوا الرُّبُع في كلِّ مئةٍ وعشرين [سنة][3] شهراً، فلمَّا انقرض مُلكهم بَطَل ذلك.

وأما الرُّوم فرتَّبوا شهورَ السنة على ما عُرف، وساقوا الخمسةَ أيام معها، وكبسوا الرُّبع في كلِّ أربع سنين يوماً، واقتدى المعتضد بالله بهم، وذكر كلاماً طويلاً حاصلُه تعجيلُ الخَراج وحساب أيام الكَبيس.

ذكر دخول الروم زَرْبَة:

قال ثابت: دخلوها مع الدُّمُسْتُق في مئة وستين ألفاً، وهي في سفح جبل مُطِلٍّ عليها، فصعد بعضُ جيشه الجبل، ونزل هو على بابها، وشرع الروم في نَقْب السور،

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في (خ): مرحلة، وليس النص في (م ف م١) لاختصار نشير إليه قريباً، والمثبت من المواعظ والاعتبار ٣٤٩، وانظر تاريخ الإسلام ٨/ ٧ وما بين معكوفين منه.

(٣) ما بين معكوفين من المواعظ والاعتبار، وتاريخ الإسلام ٨/ ٧.

فأرسلوا يطلبون الأمان، فأمَّنهم وفتحوا له أبواب المدينة فدخلها، وندم حيث أمَّنهم، ونادى بأن يخرجَ جميعُ مَن في البلد إلى الجامع، فلمَّا أصبح بث رَجَّالته وكانوا ستين ألفاً، فكلُّ مَن وجدوه في منزله قتلوه، فقتلوا عالمَاً لا يُحصى، وأخذوا جميع ما كان فيها، وكان في الجملة سبعون ألف رُمْح، وقطع من حوالي البلد أربعين ألف نَخْلة، وهدم المنازل وأحرقها.

ونادى: مَن كان في الجامع فليذهب حيث شاء، ومَن أمسى فيه قُتل، فازدحم الناس في أبوابه حتى مات منهم خلقٌ عظيم، ومرُّوا على وجوههم حُفاةً عُراةً لا يدرون أين يأخذون، فماتوا في الطُّرُقات عَطَشاً وجوعاً.

وأخرب أسوار البلد، وأحرقَ الجامع والمِنْبَر، وهدم حولها أربعةً وخمسين حِصْناً، منها بالأمان ومنها بالسيف، كذا ذكر ثابت بن سنان، وأقام في بلاد الإسلام عشرين يوماً، وأخذ من أهل بَغْراس مئة ألف درهم وأقرَّهم، ولمَّا عاد إلى بلاده أعاد سيف الدولة عين زَرْبة إلى بعض ما كانت عليه بعد مدة.

ذكر دخول الروم حلب:

وهي حادثةٌ لم يَجْر في الإسلام مثلُها، كان سيف الدولة قد ظنَّ أنَّ الدُّمُسْتُق لا يعود إلى بلاد الإسلام في هذه السنة، فأقام بحلب غير مُسْتعدٍّ، فبينا هو غافلٌ وإذا بالدُّمُسْتُق قد أقبل ومعه ابنُ أخت الملك، ولم يعلم سيفُ الدولة به حتى بَغَتَه، فخرج إليه، وحاربه الدمستق في مئتي ألف، منهم ثلاثون ألف راجل بالجَواشِن[1]، وثلاثون ألف فاعل للهَدْم بطريق البلخ، فلم يثبت له سيف الدولة، فانهزم في نفرٍ يسير، وكانت دارُه بظاهر البلد، فجاء الدمستق إليها، فوجد فيها ثلاث مئة وتسعين بَدْرة دراهم، وألفاً وأربع مئة بغل، ومن السلاح ما لا يُحصى، فأخذ الجميع، وأحرق الدار، وملك الرَّبَض.

وقاتله أهل حلب من وراء السُّور، فقتلوا [جماعةً من الروم، فسقطت ثُلمةٌ من السُّور على جماعة] من أهل حلب، فطمع الروم في تلك الثُّلْمَة فأكبُّوا عليها، ودافع

---

(١) الدروع.

أهلُ البلد عنها، فلمَّا جاء الليل بنَوها، ولمَّا أصبحوا صَعِدُوا عليها وكبَّروا، فعدل الروم عنها إلى جبل جَوْشَن فنزلوا به، ومضى رَجَّالةُ الشُّرَط بحلب إلى منازل الناس[1] فنهبوها، وإلى خانات التجار، فقيل لمَن على السُّور: اِلحقوا منازلكم، فنزلوا وأخلَوا السور، وتسوَّروه الروم، ونزلوا ففتحوا الأبواب، ودخلوا فوضعوا السيف في الناس.

وكان في البلد ألفٌ ومئة من الروم أُسارى، فتخلَّصوا وحَملوا السِّلاح، وعادوا الروم فما زالوا يقتلون حتى كَلُّوا ومَلُّوا، وسَبَوا من الرجال والنساء بضعة عشر ألف صبي وصَبية، وأخذوا من الأموال والأمتعة والأسلحة وأموال التجَّار ما حَمل الدُّمُسْتُق بعضَها على البغال التي أخذها لسيف الدولة، فلمَّا لم يبقَ معه شيء أحرق الباقي، وعمد إلى الحُبابِ التي فيها الزيت فصبَّ فيها الماء حتى فاضَ الزيتُ على وجه الأرض فشربَتْه، وأخرب الجامع والمساجد، وأقام فيها تسعة أيام، وكان معه أربعة آلاف بغل عليها حَسَكُ حديدٍ مُطرَّحةً حول العسكر بالليل إلى غير ذلك، وما نجا منه إلا مَن صَعِد قلعة حلب بنفسه.

ولمَّا كان اليوم التاسع أراد أن ينصرفَ بما معه، فقال له ابنُ أخت الملك: هذا بلدٌ قد حصل في أيدينا، وليس ثَمَّ مَن يدفعنا عنه، والوزراء والقُوَّاد والأعيان والكُتَّاب والأموال والجواهر في القلعة، فبأيِّ سبب ننصرفُ وما فتحناها؟ فقال الدُّمُسْتق: قد وصلنا إلى ما لم يَكن في الحساب من القتل والسَّبْي والأسر وأَخْذ المال والسلاح والكُراع، وغنمنا غنيمةً ما غنمها أحدٌ ولا سمع بمثلها، والذي في القلعة ما عندهم غيرُ نفوسهم، وإذا نزلوا هلكوا؛ لأنَّهم لا يجدون قوتاً، والرأي أن ننصرف فإن طلب الغايات رَديء، فقال ابنُ أخت الملك: لابدَّ لي من القلعة، فقال: انْزِل عليها وقاتلها وحاصرها، ولا تُلِحَّ في قتالها، فإنْ حصَرْتَها أياماً أخذْتَها، فقال: لا آخذُها إلا بالسيف، فقال الدمستق: أنا مقيمٌ على باب البلد في عسكري.

فأصبح ابنُ أخت الملك، وأخذ تُرْساً وسيفاً، وأتى القلعة ومَسْلَكُها ضَيِّقٌ لا يحمل أكثرَ من واحد، فصَعِد وصعد خلفه جماعةٌ من أصحابه، واحدٌ بعد واحد، فكان في

(١) في (خ): منزلهم، والمثبت من الكامل ٨/ ٥٤٠، وانظر تكملة الطبري ٣٩٤، والمنتظم ١٤/ ١٤٠ ـ ١٤١، وتاريخ الإسلام ٨/ ٨.

القلعة جماعةٌ من الدَّيْلَم، فتركوه حتى قَرُب من الباب، وأرسلوا عليه حَجَراً، فوقع عليه فانقلب، ثم وثب وهو مَشْدوخ، فرماه واحدٌ من الدَّيْلَم بخِشْت[(١)] في صدره فقتله، وأخذه أصحابُه وانصرفوا به إلى الدُّمُسْتق.

وكان الدمستق قد أسر من أعيان المسلمين ألفاً ومئتي رجل، فضرب أعناقهم بأسرهم، وسار إلى بلد الروم، ولم يتعرَّض لقرى حلب، وقال لأهلها: ازرعوا واعمُروا فهذا البلد قد صار لنا، وبعد قليل نعود إليكم.

وفيها ملك ركنُ الدولة بن بُوَيْه جُرْجان، ومضى وَشْمَكير إلى الجبل[(٢)].

وفيها كتبت العامةُ ببغداد على حيطان المساجد لعنةَ معاوية بن أبي سفيان، ولعنة مَن غصب فاطمة عليها السلام حقَّها من فَدَك، ومَن منع الحسن رضوان الله عليه أن يُدفَن مع جده رسول الله ﷺ، ولعنة مَن نفى أبا ذر الغفاري، ولعنة مَن أخرج العباس بن عبد المطّلب من الشُّورى [ولم يمنعهم السلطان من ذلك]، ثم إنَّ ذلك مُحي في أول الليل، فأراد معزُّ الدولة إعادته، فأشار عليه [أبو محمد] المُهَلَّبي الوزيرُ أن يكتب مكان ما مُحي: لعن الله الظَّالمين لآل رسول الله ﷺ من الأوَّلين والآخرين، وصرَّحوا بلعنة معاوية لا غير.

وفيها أسرت الروم أبا فراس بن أبي العلاء سعيد بن حَمْدان من مَنْبج وكان واليها.

[وفي هذه السنة] وقع بالعراق بأرض الجامدة بَرَد، كلُّ بَرَدَةٍ رَطْل ونصف بالعراقي ورطلان.

وفيها توفي

الحسن بن محمد بن هارون

أبو محمد، المُهَلَّبي، من ولد المُهَلَّب بن أبي صُفْرة، وزير مُعزِّ الدولة[(٣)].

---

(١) هي الحربة بالفارسية.

(٢) من أول السنة إلى هنا ليس في (م ف م١).

(٣) يتيمة الدهر ٢/ ٢٦٥، المنتظم ١٤/ ١٤٢، الكامل ٨/ ٥٤٦، معجم الأدباء ٩/ ١١٨، وفيات الأعيان ٢/ ١٢٤، تاريخ الإسلام ٨/ ١٠ و ٤٢، السير ١٦/ ١٩٧ المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ٢١٦، وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

أقام في وزارته ثلاث عشرة سنة وثلاثة أشهر، وكان فاضلاً، شاعراً، فصيحاً، حليماً، أديباً، نبيلاً، كثيرَ المعروف، جَواداً، سَمْحاً، ذا مروءةٍ وأناة واصطناعٍ للرجال.

قال أبو إسحاق الصَّاغاني(١): صاغ الوزير دواةً ومَرْفَعاً(٢)، وحلَّاهما حِليةً ثقيلة، وكانت طولَ ذِراع وكسر في عرض شبر، فأُحضرت بين يديه، وكان الفضل بن عبد الرَّحمن الشِّيرازي جالساً عن يمينه، وأنا على جانب الشيرازي، فاستحسنها الشيرازي وقال لي فيما بيننا: ما كان أحوجني إلى ثمنها لأنتفع به، قلتُ: وما يصنع الوزير؟ فقال: يدخل في حِر أُمِّه.

وسمع الوزير ما جرى بيننا، فلمَّا كان من الغد دخلتُ على الشيرازي فقال: عرفتَ خبرَ الدواة؟ قلتُ: لا، قال: جاءني بها البارحة رسولُه بمَرْفَعها ومعها خمسة آلاف درهم، ومِنديل فيه عشرُ قطع ثياب، وقال: الوزيرُ يقول: أنا عارفٌ بانقطاع الموادِّ عنك، وكثرةِ المؤن وتضاعفها عليك، وقد آثرتُك بهذه الدواة لما رأيتُ من استحسانك لها، وأضفتُ إليها ما تكتسي به، وما تَصرفُه في بعض نَفَقتك، فعجبتُ في اتِّفاق ما تجارَيْنا فيه وجاء هذا على أثَره.

وتقدَّم الوزير بصياغة دواةٍ أخرى فصِيغَت، ودخلنا مجلسه وهي بين يديه، وهو يوقِّع منها، فنظر إلينا ونحن نلحظها فقال: هي، مَن منكما يُريدها على الإعفاء من الدخول، فاستحيينا منه، وعلمنا أنَّه قد سمع قولَنا، وقلنا: بل يُمتِّع الله الوزيرَ بها ويُبقيه حتى يَهَب لنا ألفاً مثلَها.

وكانت وفاتُه ببغداد عن أربع وستين سنة، ودُفن بمقابر قريش، وقيل: إنَّه كان توجَّه إلى عُمان فمات بها في الطريق، فحُمل في تابوت إلى بغداد، وقبض معزُّ الدولة على أولاده، وكتَّابه، وأسبابه، وصادرهم، ثم استوزر أبا الفَضْل العباس بن الحسن الشِّيْرازي.

---

(١) كذا في (خ) والمنتظم ١٤/ ١٤٢، وفي معجم الأدباء ٩/ ١٣٠: قال هلال [ابن المحسن بن إبراهيم الصابئ]: وحدثني أبو إسحاق جدي. فلعل ما في المنتظم ومختصر المرآة تحريف.

(٢) حمالة للدواة.

[وفيها توفي]

دَعْلَج[1] بن أحمد

ابن دَعْلَج بن عبد الرَّحمن، أبو محمد، السِّجِسْتاني، الفقيه، المُعَدَّل، نزيل بغداد.

سمع الحديث بخُراسان، والرَّي، وحُلْوان، وبغداد، ومصر، والكوفة، ومكة وغيرها، وكان من ذوي اليَسار، والمشهورين بالبِرِّ والإفضال، وله صدقات جاريةٌ، ووقوف على أهل الحديث ببغداد ومكة وسِجِسْتان.

وأثنى عليه الأئمة[2]، وقدم نَيْسابور مرَّتين [وسمع المصنَّفات من أبي بكر بن خُزَيمة]، وكان يُفتي على مذهبه، ثم جاور بمكة وعاد إلى بغداد.

وسبب عوده ـ [وقد حكاه الخطيب، عن القاضي أبي العلاء الواسطي، عن دَعْلَج] ـ قال: خرجتُ ليلةً من الليالي بمكة أريد المسجد، وإذا بثلاثة من الأعراب قد لزموني وقالوا: لك أخ من أهل خُراسان [قتل أخانا، فنحن نقتلك به، قال: فقلتُ: يا قوم، اتقوا الله فإنَّ خُراسان] ليست بمدينة واحدة، ولم أزل أُداريهم حتى اجتمع الناس علينا، فخَلَّوا عني، فانتقلتُ إلى بغداد.

وحكى الخطيب، عن الأزهري عن ابن حَيُّويه أبي عمر قال: أدخلني داره ـ يعني دَعْلَج[3] ـ فأراني بِدَراً من المال مُعَبأة في منزله، فقال: خذ منها ما شئت، فقلتُ: أنا عنها في كفاية وغنى، ولا حاجة لي فيها، وشكرتُه ودعوتُ له.

[ذكر حكايته مع الرجل المديون:

قال الخطيب: حدثني] محمد بن علي [ابن عبد الله] الحَدَّاد[4]، عن شيخ سمَّاه قال: حضرتُ يوم جمعةٍ في الجامع بمدينة المنصور، فرأيتُ رجلاً بين يديَّ في الصف

---

(١) في (م): فصل وفي هذه السنة توفي دعلج، والمثبت من (م١ ف)، وانظر ترجمته في: تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٦، وتاريخ دمشق ٦/ ٨٥، والمنتظم ١٤/ ١٤٣، وتكملة الطبري ٣٩٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٠، والسير ١٦/ ٣٠.

(٢) في (م ف م١): وذكره الأئمة وأثنوا عليه فقال الحاكم أبو عبد الله: دعلج شيخ أهل الحديث في عصره، له وقوف وصدقات جارية على أهل مكة والمدينة وغيرهما. والمثبت من (خ).

(٣) في (خ): وقال أبو عمر: أدخلني دعلج داره، والمثبت من (ف م م١)، وانظر هذا الخبر وسابقه في تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٨.

(٤) في (خ): حكى محمّد بن علي الحداد، والمثبت من (م ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٩/ ٣٦٨ ـ ٣٦٩.

حسنَ الوَقار، ظاهرَ الخشوع، دائمَ الصلاة، ولم يزل يتنفَّل منذ دخل المسجد إلى قريب قيام الصلاة، ثم جلس، ودخلت قلبي مَحبَّتُه.

ثم أقيمت الصلاة فلم يصلِّ مع الناس الجمعة، فكَبُر عليَّ ذلك، وغاظني فعلُه، فلما قضيتُ الصلاة تقدَّمتُ إليه وقلتُ له: أيها الرجل، ما رأيتُ أعجبَ منك، أطلتَ صلاةَ النافلة وأحسنتَها، ثم تركتَ الفريضةَ وضيَّعتَها؟! فقال: لي عذرٌ مَنعني من الصلاة، قلتُ: وما هو؟ قال: أنا مَديون اختفيتُ في منزلي مدَّةً بسبب الدَّين، ثم حضرتُ اليوم الجامع، فقبل أن تُقامَ الصلاة التفتُّ فرأيتُ صاحب الدين ورائي، فمن خوفي منه أحدثتُ في ثيابي، قلتُ: ومَن صاحبُ الدين؟ فأشار إلى دَعْلَج، وكان صاحبٌ لدعلج إلى جانبه، فسمع ما نقول وهو لا يعرفه، فقام ومضى إلى دَعلج فأخبره بالقصة، فقال دعلج للرجل: خذه واذهب به إلى الحمَّام، واطرح عليه خِلْعةً من ثيابي، وأجلسه في منزلي حتى أنصرف من الجامع، ففعل الرجل ذلك.

فلما انصرف دعلج إلى منزله أمر بالطعام وأُحضر، وأكل هو والرجل، ثم أخرج حسابه، فإذا عليه خمسةُ آلاف درهم، فقال له دعلج: انظر لا يكون عليك في الحساب غلط، فقال الرجل: لا والله، فكتب دعلج تحته بالوفاء، ثم دفع إليه خمسة آلاف درهم وقال: أما الحساب الأول فقد أحلَلْتُك منه، وأسألك أن تقبلَ هذه وتجعلَني في حلٍّ من الروعة التي دخلت قلبك في الجامع لمَّا رأيتَني، فقال: أنت في حلٍّ، وانصرف الرجل شاكراً داعياً.

[ذكر قصته مع ابن أبي موسى الهاشمي:

قال الخطيب: حدثني أبو منصور محمد بن أحمد العُكْبَري قال: حدثني] أبو الحسين أحمد بن الحسين الواعظ قال: أُودِعَ أبو عبد الله بن أبي موسى الهاشمي عشرة آلاف دينار [ليتيم]، فضاقت يدُه، وامتدَّت إليها فأنفقها، فلما بلغ الغلام [مبلغ الرجال] أمر السلطان بفكِّ الحَجْر عنه، وتسليم المال إليه.

قال ابن أبي موسى: فضاقت عليَّ الأرضُ بما رَحُبَت، وتحيَّرتُ في أمري لا أدري من أيِّ وجهٍ أغرَم المال، فركبتُ من داري بُكرةً وقصدتُ الكَرْخ، ولا أدري أين أتوجَّه، وانتهت بي البغلةُ إلى دَرْب السَّلولي، فوقفتْ على باب مسجد دَعْلَج [بن

أحمد]، فنزلتُ ودخلتُ المسجد، وصليتُ خلفه صلاة الفجر، فلما فرغ قام ورحَّب بي، وأخذ بيدي وأدخلني منزله، فلمَّا جلسنا جاءت الجارية بمائدة لَطيفة وعليها هَرِيسة، فقال: يأكلُ الشريف، فأكلتُ وأنا لا أدري كيف آكل، فلما رأى تقصيري قال: أراك مُنْقَبضاً فما الخبر؟ فقصَصْتُ عليه القصة، فقال: كل فإنَّ حاجتك تقضى[1].

ثم أحضر حَلْواء، فأكلنا وغسلنا أيدينا، فقال: يا جارية، افتحي لنا ذاك الباب، ففتحت وإذا بخزانة مملوءة زُبُلاً[2] مُجَلَّدة، فأخرج بعضها وفتحها إلى أن أخرج النقد التي كانت الدنانير منه، فوَزَن عشرة آلاف دينار بالطيار وقال: يأخذُ الشريف هذه، فقلت: يُثبتُها الشيخ عليَّ، فقال: أفعل.

فقمتُ فركبت بغلتي، وتركت الكيس على القَرَبوس، وقد كاد عقلي يطير فَرَحاً، وغَطَّيتُه بطَيْلَساني، وعدتُ إلى داري، وانحدرتُ إلى دار السلطان بقلبٍ قويٍّ وجنان ثابت، وحضر القضاةُ والشُّهود والنُّقباء ووُلاة العهود، وأُحضر الغلام ففَكَّ الحَجْر عنه، وسلم إليه المال، وعظُم الشُّكر والثناء عليَّ [وظنُّوا أني فرطتُ في المال].

فلمَّا عدتُ إلى منزلي دعاني أحدُ الأمراء من أولاد الخليفة ـ وكان كثير المال ـ فقال: [قد] رغبتُ في معاملتك، وأُضَمِّنك أملاكي [ببادوريا ونهر المَلِك]، فضَمنتُ ذلك بما تقرَّر بيني وبينه، وجاءت السَّنة، ووَفَّيْتُه الضَّمان، وحصل في يدي من الرِّبح ما له قدرٌ كبير.

وكان ضمانُ هذه الضياع [ثلاث] سنين، فلمَّا مضت حَسبتُ حسابي وقد حصل لي ثلاثون ألف دينار، فأخذتُ عشرةَ آلاف دينار ومضيتُ إلى مسجد دَعلج، وصلَّيتُ خلفه، ودخلنا منزله، فقدَّم المائدة والهَريسة والحَلْواء، وأكلنا، وعرَّفتُه حالي، ودعوتُ له وشكرتُه وقلتُ: قد حصل لي ببركتك ثلاثون ألف دينار، وقد أحضرتُ عشرة آلاف دينار عوض ما أخذت منك، فقال: يا سبحان الله، والله ما خرجت الدنانير من يدي ونويتُ أن آخذ منك عِوَضاً، حَلِّ بها أنت الصبيان، فقلتُ: يا شيخ، أيش أصلُ هذا الذي وهبتَ منه عشرة آلاف دينار؟!

---

(١) في (م ف م١): قد قضيت.

(٢) في (ف م م١): زنبلات، وهما بمعنى القُفَّة.

[فقال: اعلم] أني نَشأتُ في قراءة القرآن، وسمعتُ الحديث، وكنتُ أتَّجِر، فجاءني رجل من تُجَّار البحر فقال لي: أنت دَعلج بن أحمد؟ قلتُ: نعم، قال: قد رَغِبتُ في تسليم مالي إليك لتتَّجر به، فما سهَّل الله به من فائدة كانت بيننا، وما كان من جائحةٍ كانت في أصل المال.

فسلَّم إلي بارنامجات بألف ألف درهم، وقال لي: ابْسُط يدَك، ولا تعلم مكاناً يَنْفَقُ فيه هذا المتاع إلا حملتَه إليه، ولم يزل يتردَّد إليَّ سنةً بعد سنة والبضاعة تنمي، وهو يحمل إليَّ شيئاً بعد شيء، فلما كان في آخر السنة اجتمعنا قال: أنا كثيرُ الأسفار في البحر، فإن قضى الله عليَّ بما قضى على خلقه فهذا المال لك، تصدَّق منه، وابْنِ المساجد، وافعل الخير، وغاب عنِّي مدةً، والظاهرُ أنَّه هلك، فأنا أفعل بالمال ما أمرني به، فاكتُم عليَّ هذا الحديث أيام حياتي.

وقال الدَّارَقُطني: استرجع مُعزّ الدولة من غلامه جاشتكين أموالاً، فطلب شهوداً يشهدون عليه أنَّه غيرُ مُكرَه، وجعلوه وراء سِتْر، وجُمع الشُّهود، وحضر دَعْلج، وشهدوا وقالوا له: إشْهَد، فقال: وأين الذي أشهد عليه، لعلَّه مُكْرَه أو مُقَيَّد، أخرجوه لي حتى أراه، ولم يشهد، وبلغ معزَّ الدولة فقال: ما كان فيهم مسلمٌ غيره[1].

ذكر وفاته:

مات هذه السنة، وقيل: سنة ثلاث وخمسين يوم الجمعة[2] حادي عشر ذي الحجة ببغداد، وله خمس وتسعون سنة.

وأسند عن خلق كثير، وكان ثَبْتاً، صدوقاً، ثقةً، قَبِل الحكَّام شهادته وأثنَوا عليه، وكان الدارقطني هو المُصنِّفَ له كتبه، والناظِرَ في أصوله، وصنَّف له «المسند»، ولمَّا تمَّ بعث به إلى أبي العباس بن عُقْدَة لينظر فيه، وجعل بين كلِّ ورقتين ديناراً.

---

(١) تاريخ دمشق ٦/ ٨٧ (مخطوط).

(٢) في (م ف م١): ذكر القاضي أحمد بن كامل أنه مات في هذه السنة، وذكر أبو بكر النيسابوري أنه مات في سنة ثلاث وخمسين يوم الجمعة، والمثبت من (خ).
وقد ذكر الخطيب في تاريخه ٩/ ٣٧١ ـ ٣٧٢ القول الأول منسوبا إلى محمد بن الحسين القطان والحسن ابن شاذان، ونقلته عنه سائر المصادر، وذكر ابن عساكر في تاريخه ٦/ ٨٩ القول الثاني منسوباً إلى أبي عبد الله الحافظ الحاكم النيسابوري.

وقال الدارقطني: ما رأيتُ في مشايخنا أثبتَ منه، كان إذا شكَّ في حديث ضَرب عليه.

وخلّف[١] ثلاث مئة ألف مِثقال ذهب، فأخذها معزُّ الدولة، وكان قبل ذلك لا يتعرَّض للتَّركات، لكنَّه لم يصبر عن أموال دَعلج حتى أخذها، ولم يتعرَّض لأوقافه، وكانت في جميع البلاد [والأماكن والأقطار كالمدينة ومكة وغيرهما].

محمد بن الحسن

ابن محمد بن زياد بن هارون، أبو بكر، النَّقَّاش، مولى أبي دُجانة الأنصاري[٢].

ولد سنة ستٍّ وستين ومئتين، وأصله من المَوْصل، وسكن بغداد، وكان عالماً بالقراءات والتفسير، وصنَّف في التفسير كتاباً سماه «شفاء الصدور»، وله تصانيف، وسافر شرقاً وغرباً، وتوفي في بغداد يوم الثلاثاء ثاني شوال، ودفن يوم الأربعاء في داره، وكان يسكن دار القُطْن.

وقال أبو الحسن بن الفَضْل القَطَّان: حضرتُه وهو يجود بنفسه، فجعل يُحرِّك شفتَيه بشيءٍ لا أعلمه، ثم نادى بأعلى صوته: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] يُردِّدها ثلاثاً، ثم خرجت روحه. وقد تكلَّموا فيه.

[وفيها توفي]

محمد بن داود

أبو بكر، الدِّيْنَوري، ويعرف بالدُّقِّي[٣].

من أجلِّ المشايخ وأحسنهم حالاً، وأقدمهم صحبةً للمشايخ.

---

(١) في (م ف م١): ذكر ما خلّف من المال، قال الخطيب: خلّف، وهذا القول لم أجده في ترجمته من تاريخ بغداد، وذكره ابن عساكر ٦/ ٨٩ دون نسبة، وذكره الذهبي منسوباً إلى أبي ذر الهروي.

(٢) تاريخ بغداد ٢/ ٦٠٢، تاريخ دمشق ٦١/ ٣٢٨، المنتظم ١٤/ ١٤٨، تاريخ الإسلام ٨/ ٣٦، السير ١٥/ ٥٧٣، وميزان الاعتدال (٦٩٩٤)، وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٤٨، تاريخ بغداد ٣/ ١٧٢، الرسالة القشيرية ١١٨، الأنساب ٥/ ٣٢٧، تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٥، المنتظم ١٤/ ٢٠٩، مناقب الأبرار ٢/ ١٦٢، تاريخ الإسلام ٨/ ١٥٤، السير ١٦/ ١٣٨.

[أثنى عليه أبو عبد الرَّحمن السُّلَمي، وأبو نُعيم، والحافظ ابن عساكر، وابن خَميس وغيرهم، فقال السُّلَمي: كان من كبار المشايخ] أقام ببغداد مدة، ثم انتقل إلى دمشق فسكنها،[وله الكلام الحسن والحكايات الغريبة.

حكاية الصورة:

ذكرها الحافظ ابن عساكر في «تاريخه» قال:] اجتاز الدُّقِّي ببِيْعَة النَّصارى بالشام، فقال له أصحابه: نريد أن ندخلَ هذه البِيعة، فنهاهم، فألحُّوا عليه فقال: ادخلوا، فدخلوا ثم خرجوا، فقال لهم: إيش استفدتُم من دخولكم؟ قالوا: لا شيء.

فقام ودخل إليها، فرأى في الحائط صورة عيسى عليه السلام، فرفع عصاه عليه وقال: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦] فرفعت الصورة يدها[١] وقالت بلسان فصيح: لا لا لا، وكان هناك جماعةٌ من الرُّهبان، فأسلموا كلُّهم على يده، وخرجوا من البِيعة وصاروا صوفية، فقال لأصحابه: إذا دخلتُم البِيَع فادخلوا هكذا، وإلا فلا تدخلوا.

[وحكى عنه ابن جَهْضَم] قال: فُتح عليَّ بنصف دينار وأنا بالرَّمْلَة، وكان عليَّ بالقدس نصفُ دينار دين، وقدم عليَّ فقراءُ من الحجاز وبهم فاقةٌ، فجعلتُ أُميِّزُ هل أنفقه عليهم أو أقضي به دَيني؟ وبات الفُقراء جياعاً، فلما كان بالليل ضَرب عليَّ ضِرْسي فلم أنم، فقلعتُه، ثم ضرب [عليَّ] آخر [ثم آخر]، فهَمَمْتُ بقَلْعه، فأخرجتُ النِّصْف دينار قبل طلوع الفجر وقلتُ: هذا للفقراء، فهتف بي هاتف: لو لم تخرجه لقلعنا أضراسَك كلَّها[٢].

وقال[٣]: حدَّثني أبو الخير العَسْقلاني قال: كنتُ مارًّا ببغداد وبين يديَّ فقيرٌ يمشي، وإذا بقائل يقول: [من مخلع البسيط]

أمدُّ كَفَّيَّ بالخُضوعِ إلى الذي جاد بالصَّنيعِ

فصاح الفقير ووقع ميتاً.

---

(١) في (م ف م١): رأسها، والخبر في تاريخ دمشق ٦٢/ ٥٠.

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٨ - ٤٩.

(٣) القائل هو عبد الملك بن محمد القشيري كما في تاريخ بغداد ٣/ ١٧٣، وعنه تاريخ دمشق ٦٢/ ٥١.

[وحكى عنه ابن جَهْضَم قال:](١) نزلتُ على قبيلة من العرب في البادية، فأضافوني، فرأيتُ غلاماً أسودَ مُقيَّداً، وجِمالاً مَيتة بفِناء البيت، فناداني الغلام: أنت ضيفٌ، ولك حقٌّ، فاشفع فيَّ إلى مولاي فإنَّه لا يَرُدُّك.

فلما حضر الطعام قلتُ لصاحب البيت: لا آكلُ طعامَك حتى تُطلق هذا العبد، فقال: إنه أفقرني وأتلف مالي، قلتُ: وكيف؟ قال: كنتُ أعيشُ من هذه الجمال التي ترى، وصوته طَيِّبٌ، فحمَّلها أحمالاً ثقالاً وحَدا لها، فقطعت مسيرةَ ثلاثة أيام في يومٍ واحد، فلمَّا حطَّ عنها أحمالَها وقعت ميتةً كما ترى، ولكن قد وهبتُه لك، وحَلَّ القيدَ من رجله، فقلت: أحبُّ أن أسمعَ صوتَه، فحَدا وهناك جملٌ يُستقى عليه الماء، فهام الجمل على وجهه وقطع حِبالَه، ووقعتُ مَغشيًّا عليَّ، وما سمعتُ صوتاً أطيبَ من صوته.

وأنشد الدُّقِّي يقول: [من مجزوء الكامل]

إنْ كنتَ تُنكر أنَّ للأصـ … ـواتِ فائدةً ونَفْعا
فانظُر إلى الإبل اللواتي … هنَّ أغلظُ منك طَبْعا
تُصغي إلى حَدْوِ(٢) الحُدا … ةِ فتقطعُ الفَلَواتِ قَطْعا

[ذكر نبذة من كلامه:

حكى عنه السُّلَمي أنه] قال: كلامُ الله تعالى إذا أشرف على السَّرائر أزال عنها رُعونةَ البشرية(٣).

وقال: بُني أمرُنا هذا على أربع: لا نأكلُ إلا عن فاقة، ولا ننامُ إلا عن غلبة، ولا نتكلَّم إلا عن وَجْد(٤)، ولا نسكت إلا عن خِيفة.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، والخبر في تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٩ من طريق ليس فيه ذكر لابن جهضم. وانظر مناقب الأبرار ٢/ ١٦٣.

(٢) في (خ): نغم، وكلاهما صحيح.

(٣) طبقات الصوفية ٤٤٦، وما بين معكوفين من (ف م م١).

(٤) في (ف م م١): رفد.

وقال: كلُّ أحدٍ يُنسب إلى نسبٍ إلا الفقراء؛ فإنَّهم يُنسبون إلى الله، نَسَبُهم الصِّدق، وحسَبُهم الفقر.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال[١]: المعدة حَوْضُ البدَن، إذا وُضع فيها حلال صدر إلى الأعضاء بالصِّحَّة، وإذا وُضع فيها الحرام أو الشُّبَه صدر إلى الأعضاء بالسُّقْم، فصارَت بينه وبين الله حجاباً.

وقال: كم مسرور سرورُه بلاؤه، وكم مغموم غمُّه نجاتُه[٢].

وأنشد بين يديه قوَّال:

بـالـلـه فـارْدُد فـؤادَ مُـكْـتَـئـبٍ لـيـس لـه مـن حـبـيـبـه خَـلَـفُ

فقام طوالَ الليل يبكي ويَسقط، والفقراء يبكون حوله.

وقال: مَن ألِف الاتِّصال، ثم ظهر له عين الانفصال؛ تنغَّص عليه عيشُه، وانْمَحَق عليه وقتُه، وصار مُتلاشياً في مَحَلِّ الوَحْشة، وأنشد: [من الطويل]

لـوَ انَّ الـلـيـالـي عُـذِّبت بـفـراقـنـا لأصـبـحـتِ الأيـام شُـهْـبَ الـذَّوائـبِ
ولـو جُـرع الأيـامُ كـأسَ فـراقـنـا مَحا دمعُ عينِ الليل ضوءَ الكواكب[٣]

وقال: سألتُ الزَّقَّاق: لمَن أصحب؟ فقال: لمَن تسقُط بينك وبينه مُؤنة التحفُّظ، وفي روايةٍ: لمَن يعلمُ منك ما يعلمُه الله منك فتأمنه على ذلك[٤].

ذكر وفاته:

[واختلفوا فيها؛ فقال السُّلَمي:] مات في هذه السنة وزاد على مئة سنة.

[وحكى عنه في «المناقب» أنه مات سنة تسع وخمسين وثلاث مئة[٥].

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، والخبر في المناقب ٢/ ١٦٣، وطبقات الصوفية ٤٤٩.

(٢) بعدها في (م ف م١): من كلام كثير.

(٣) تاريخ دمشق ٦٢/ ٤٨، ومناقب الأبرار ٢/ ١٦٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٥٤، وفيها عجز البيت الأول للثاني.

(٤) من قوله: وأنشد بين يديه قوال... إلى هنا ليس في (م ف م١)، والخبر في تاريخ بغداد ٣/ ١٧٤.

(٥) كذا نقل عن السلمي وصاحب المناقب، والذي في مطبوع كتابيهما أنه توفي بعد الخمسين وثلاث مئة، انظر طبقات الصوفية ٤٤٥، ومناقب الأبرار ٢/ ١٦٢.
وأرخ الخطيب وفاته في تاريخه ٣/ ١٧٥ سنة (٣٦٠)، وعنه ابن عساكر والذهبي.

حدَّث عن ابن مجاهد وقرأ عليه القرآن، وسمع الخرائطي وغيره، وقال في «المناقب»[١]: وكان ينتمي إلى أبي عبد الله بن الجَلَّاء، وكان من أقران أبي علي الرُّوْذَباري، وكان أوحد زمانه في وقته.]

محمد بن سعيد

أبو بكر، الحَرْبيّ، الزاهد[٢].

توفي في ربيع الأول ببغداد، وكان صالحاً، عابداً، ثقةً، فقال: دافعتُ الشَّهَوات حتى صارت شهوتي المدافَعَةُ فحسب.

[وفيها توفي]

محمد بن محمد بن الحسن

أبو عبد الله، التُّرُوْغْبَذيّ[٣].

كان من جلَّة مشايخ طُوس، [ذكره في «المناقب» وقال: صحب أبا عثمان الحيري وطبقته] وصار أوحد زمانه، مُجَرّداً، عالي الهِمَّة، كبيرَ الشأن، خرج يوماً من طُوس[٤]، وقال لصاحبٍ له: اشتر خبزاً كثيراً، فلمَّا صاروا إلى الجبل إذا قومٌ قد قطع عليهم اللصوصُ الطريق، ولم يأكلوا منذ مدَّةٍ، فقدَّم إليهم الخبزَ، فأكلوا [حتى شبعوا].

وقال: ترك الدنيا للدنيا من علامات جمع الدنيا.

وقال: مَن ضيَّع اللهَ في صغره أذلَّه اللهُ في كبره.

وقال: الأسماء مكشوفةٌ والمعاني مستورةٌ.

وقال: ليس في اجتماع الإخوان أنسٌ مع وَحْشَة الفِراق، [ومات في هذه السنة][٥].

---

(١) مناقب الأبرار ٢/ ١٦٢، ولم يتفرد به ابن خميس، بل سبقه السلمي والخطيب وابن عساكر.

(٢) تاريخ بغداد ٣/ ٢٥١، والمنتظم ١٤/ ١٤٩، وتاريخ الإسلام ٣٨/٨، وهذه الترجمة ليست في (م ف م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٤، والمنتظم ١٤/ ١٥٩، ومناقب الأبرار ٢/ ٢١٤.

(٤) في النسخ في الموضعين: طرسوس، والمثبت من مصادر ترجمته.

(٥) أرّخ وفاته ابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ١٥٩ سنة (٣٥٣). وما بين معكوفين من (ف م م١)، وجاء بعده في (م١ ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة الثانية والخمسون وثلاث مئة[١]

فيها: قال ثابت بن سنان: وفي يوم الأحد العاشر من المُحرَّم طالب [السلطان يعني] مُعزّ الدولة الناسَ بغَلْق الأسواق ببغداد، وتعطيل البيع والشراء، ومنع الهَرَّاسين والطباخين من الطبخ، ومنع القصَّابين من الذِّباحة، والسَّقّائين من إسقاء[٢] الماء، ونصبُوا القِباب في الأسواق، وعلَّقوا عليها المُسوح، وأخرجوا النساء مُنْشَرَات الشعور، مُسَوَّدات الوجوه، يَلطِمْنَ في الأسواق والشوارع [والطرقات]، ويُقِمن المآتم على الحسين بن علي عليهما السلام، [ولم يمكن أهل السنّة مقاومة الشيعة، وكانت الشيعة أكثر، وقالوا:] هذا أولُ يوم نِيْح على الحسين رضي الله عنه ببغداد.

وفي رجب[٣] قُلِّد القاضي أبو بشر عمر بن أكثم القضاء بمدينة السلام بأسرها، على أنْ يتولَّى ذلك بغير رزق، وأُعفي أبو العباس بن أبي الشَّوارب مما كان تقرَّر أنْ يحملَه إلى خزانة معز الدولة، وأمر أنْ لا يُمضَى شيءٌ من أحكام ابن أبي الشَّوارب[٤].

وفيها قُتل ملك الروم، وصار الدُّمُسْتُق [الذي فتح حلباً] هو الملك، واسمُه نقفور[٥]، [وهذا قول ثابت بن سنان][٦].

وفيها أصاب سيفَ الدولة طرفُ فالجٍ في يده ورجله اليسرى، وكان قد دخل بلاد الروم [ولم يوغل]، ووصل قونِيَة، ثم عاد.

وكان[٧] هبة الله بن ناصر الدولة الذي استأمن إلى معزِّ الدولة لم يستقم له ببغداد أمرٌ، فقَصَد سيفَ الدولة وأقام عنده، فبينا هبة الله يوماً راكب ظاهرَ حلب سايره أبو الحسين، وكان سيفُ الدولة مريضاً، فما زال هبة الله يحادثه حتى أخرجه إلى

---

(١) في (م): بعد الثلاث مئة.

(٢) في (ف): استسقاء، وفي (م) و(م١): استقاء، والمثبت من (خ)، وانظر المنتظم ١٤/ ١٥٠.

(٣) في المنتظم ١٤/ ١٥٠: وفي جمادى الآخرة، والمثبت موافق لما في تكملة الطبري ٣٩٧.

(٤) من قوله: وفي رجب قلد القاضي... إلى هنا ليس في (ف م م١) وما سلف بين معكوفين منها.

(٥) سماه الذهبي في تاريخ الإسلام ٨/ ١١: تقفور، بتاء ثالث الحروف كما ذكر محقق الكتاب.

(٦) في المنتظم ١٤/ ١٥٠: وفي شعبان مات الدمستق الذي فتح بلدة حلب واسمه نقفور، والمثبت موافق لما في الكامل ٨/ ٥٤٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ١١.

(٧) من هنا إلى قوله: وفي يوم الخميس ثامن عشر ذي الحجة، ليس في (ف م م١).

الصحراء، ورماه بخشبٍ[١] كان في يده، فوقع في لَبَّتة فسقط، فقال: لغلمانه حُزُّوا رأسَه فحزُّوه، وقيل: إنما فعل به ذلك لأنَّه تعرَّض لغلام من غلمانه.

وبلغَ هبةَ الله أن عمَّه قد أفاق من مرضه، فاستوحش، وسار من فوره إلى حَرَّان، وتبعه نجا غلامُ سيف الدولة، فلحق سوادَه فأخذه، ورجع به إلى سيف الدولة، ودخل هبةُ الله حرَّان، فأوهم أهلَها أنَّ عمَّه مات، وأنَّه قد كتب إلى أبيه ليُنْجِدَه بالرجال ويقيم بحَرّان، وطلب من أهلها أنْ يَحلِفوا له، ويكونوا معه على مَن حاربه، فحلفوا واستثْنَوا في أيمانهم إلا أنْ يكون الذي يُحاربه عمُّه فإنَّهم لا يحاربونه، وكانوا قد أغلقوا أبواب البلد في وجهه قبل ذلك، فأرادوا أنْ يَغسلوا ما فعلوا.

فلمَّا كان بعد أيام وافى أخو نجا غلامُ سيف الدولة، فأغلقوا الأبواب في وجهه، فأظهر أنَّه قاصدٌ مَيَّافارِقين، وكتب إلى نجا يُخبره، فسار نجا بنفسه، فانهزم هبةُ الله إلى أبيه بالموصل، ونزل نجا بظاهر حَرَّان وذلك في شوال، وخرج إليه وجوه أهلها للسلام، فوكَّل بهم وتهدَّدهم بالقتل وقال: أغلقتُم الأبواب في وجه أخي؟ فاعتذروا، وطالبَهم بألف ألف درهم خيانةً، وتردَّدت الرسائل بينهم على ثلاث مئة ألف وعشرين ألف درهم، وقال: أُريد المال.

وبعث معهم الفرسان والرَّجَّالة، وألزمهم الأجعالَ الثقيلة، فدخلوا البلد، وقسَّطوا المال عليهم، على الأغنياء والسُّوقة والنساء وغيرهم، فباع الناس ما يساوي درهماً بدانِق، ولم يجدوا مَن يشتري، فاشتراه أصحاب نجا بأوكس ثمنٍ، وخرِبت حَرَّان، وافتقر أهلُها، واستوفى نجا المال، وسار إلى مَيّافارِقين عاصياً على مولاه سيف الدولة، وبقي البلد شاغراً بغير سلطان، وتسلَّط العيَّارون على أهله.

وفي يوم الخميس ثامن عشر ذي الحجة ـ وهو يوم غدير خُمّ ـ أُشعلت النيرانُ ببغداد، وضُربت الدَّبادِبُ[٢] والبوقات، وأصبح الناس إلى مقابر قريش للصلاة هناك، وإلى مشهد الشيعة.

قال ثابت بن سنان: وأنفذ بعض البطارقة الأرمن إلى ناصر الدولة[٣] رجلين

(١) حربة صغيرة، انظر تكملة المعاجم ٤/٩٨، والمعجم الذهبي ٢٣٩ .

(٢) هي الطبول.

(٣) في (ف م م١): وذكر ثابت بن سنان في هذه السنة عجائب، منها أن بعض بطارقة الأرمن أرسل إلى ناصر الدولة. والمثبت من (خ)، وانظر المنتظم ١٤/ ١٥١، وتاريخ الإسلام ٨/ ١١، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٣٤.

مُلْتَصِقَين، سنهما خمس وعشرون سنة، مُلتحمَيْن[١]، ومعهما أبوهما، وأن الالتصاق كان في المعدة، ولهما بطنان وسرتان ومعدتان، وتختلف أوقات جوعهما وعطشهما وبرازهما[٢] وبولهما، ولكل واحد منهما صدر وكتفان وذراعان ويدان وفخذان وساقان وإحليل، وكان أحدهما يميل إلى النساء، والآخر يميل إلى الغلمان.

وذكر القاضي علي بن المحسِّن التَّنوخي، عن أبيه، عن جماعة من شيوخ الموصل أنه أُحضر إلى ناصر الدولة رجلان من هذا النَّمط، وأن ناصر الدولة عجب منهما، ومات[٣] أحدهما وبقي أياماً، فأنتن وأخوه حي، ولا يمكن إلا دفن الحي مع الميت، وجمع ناصر الدولة الأطباء على أن يقدروا على الفصل بينهما فلم يكن لهم حيلة، فلحق الحيَّ من رائحة الميت ما كان سبباً لموته، فدُفنا جميعاً [، وكان لهما جوف واحد، ومعدة واحدة، فسبحان من جَلّت قدرته أن تُحدّ، كما عزّت نعمته أن تُعَدّ.

فصل:][٤] وفيها توفّيت

خولة

أخت سيف الدولة بحلب، وحُمل تابوتها إلى مَيّافارِقين، وهي التي رثاها المتنبي فقال[٥]: [من البسيط]

يـا أخـتَ خـيـرِ أخٍ يـا بـنـتَ خـيـرِ أبٍ كـنـايـةً بـهـمـا عـن أشـرفِ الـنَّـسَـبِ

[وكانت صاحبة حِشْمَةٍ وحُرمة.][٦]

عُمر بن أَكْثَم

ابن أحمد بن حيّان، أبو بِشْر الأسدي. ولد سنة أربع وثمانين ومئتين، وولي القضاء ببغداد[٧].

---

(١) في (خ) و (م): ملتحيين، والمثبت من (ف م١).

(٢) في (ف م ١): وأوقات تبرزهما.

(٣) من قوله: وذكر القاضي علي... إلى هنا من (ف م ١)، وجاء بدله في (خ): قال القاضي التنوخي ومات.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م ١).

(٥) بعدها في (م): قصيدة منها هذا البيت. اهـ. والبيت الآتي أول القصيدة في شرح البرقوقي ١/ ٢١٥.

(٦) ما بين معكوفين من (ف م ١)، ومن هنا إلى نهاية السنة ليس في هذه النسخ، والاعتماد على (خ) وحدها.

(٧) المنتظم ١٤/ ١٥٢ ـ ١٥٣، وذكر الخطيب في تاريخه ١٣/ ١٠٩، والذهبي في تاريخ الإسلام ٨/ ١١٧، والسير ١٦/ ١١١ أن وفاته في سنة (٣٥٧ هـ).

[السنة الثالثة والخمسون وثلاث مئة

قال ثابت بن سنان: وفي يوم عاشوراء فعل ببغداد ما فعل عام أول من تعطيل الأسواق والنوح وغيره،][1] فلما كان وقت الضحى وقعت فتنة عظيمة في قطيعة أم جعفر [قريباً من مقابر قريش] بين السنة والشيعة، وجرت بينهم جراحات، ونهب الناس [بعضهم بعضاً][2].

وفيها قدم رجل علوي من خراسان ثم إلى إرمينية ثم إلى مَيَّافارِقين، واجتمع بنجا غلام سيف الدولة، فأوقعا بأبي الوَرْد وهو من العرب، وكان بيده بعضُ بلدان إرمينية، فقُتل في الوقعة، وقيل: قتله نجا، ولم يحضر العلويّ، وأخذ نجا خِلاط وقلاعَها من يد أبي الورد، وسار العلوي إلى حران ثم إلى حلب، فلما اجتمع بسيف الدولة خرج معه إلى المَصِّيصَة.

وفيها نزل الدُّمُسْتُق على المَصِّيصَة مع جيشٍ ضخم، وأقام عليها سبعةَ أيام، ونقب سورها نيّفاً وستين نَقْباً، وقاتله أهلُها ودفعوه عنها، وضاق به الأمر، وعَدِم الميرة، وغلا السّعر، فرحل عنها بعد أن أقام في بلاد المسلمين خمسة عشرة يوماً، وأحرق رُسْتاق المَصِّيصَة وأَذَنة وطَرَسوس، وخرج سيف الدولة والخُراساني إلى المَصِّيصَة، فوجد الدُّمُسْتُق قد انصرف، وتفرَّقت جُموع الخُراساني من شدة الغلاء في السواحل وحلب والشام، ورجعوا إلى بغداد، ثم مَضَوا إلى خراسان.

وقيل: لما انصرف الدُّمُسْتُق عن المَصِّيصَة بعث إلى أهلها وقال: إني مُنصرفٌ عنكم لا لعَجزٍ عن فتح بلدكم ولكن لضيق العَلوفَة، وأنا عائدٌ إليكم بعد هذا الوقت، فمَن أراد منكم الانتقال إلى بلد آخر قبل رجوعي فلينتقل، فمَن وجدتُه بعد عَودي قتلتُه.

وتفاقم الغَلاءُ بالشام والثُّغور حتى فقد الناس القوت[3].

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وجاء بدله في (خ): وولي القضاء ببغداد كما فعل عام أول، وانظر المنتظم ١٤/ ١٥٥، وتكملة الطبري ٤٠١، والكامل ٨/ ٥٥١ ـ ٥٥٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٣ ـ ١٧، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٣٦.

(٢) ما بين معكوفين من المنتظم ١٤/ ١٥٥.

(٣) من قوله: وفيها قدم رجل علوي... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفيها كتب القرامطة إلى سيف الدولة يستهدونه[١] حديداً، فقلع أبواب الرَّقَّة وهي من حديد وسدَّها[٢]، وأخذ كلَّ حديد وجد بديار مُضَر؛ حتى انتهى إلى أخذ مَوازين الباعة والبقَّالين، حتى كتب القرامطة إليه: قد استغنينا عنه، فأخذ القاضي أبو حُصين الأبواب فكسرها، وصاغ منها أبواباً لداره، ثم طلب القرامطة حديداً فبعث إليهم القاضي بأبواب داره، وكان الحديد يُحمل إليهم في الفرات إلى هِيت، ثم يُحمل في البَرِّيَّةِ إلى هَجَر[٣].

وفيها[٤] خرج معزّ الدولة في ربيع الآخر إلى الموصل لأمرٍ جرى بينه وبين ناصر الدولة، وقيل: في جمادى الآخرة[٥]، فانحدر من داره إلى دار الخليفة مودِّعاً له، فودعه وخرج إلى مَضاربه بباب الشَّمَّاسِيَّة.

قال أبو الحسن الخُراساني حاجب معزّ الدولة: كنت معه بحضرة المطيع، فلما تَقوَّض المجلس قال لي: قل للخليفة: إني أريد أن أطوفَ هذه الدار وأشاهدَ صُحونها وبساتينها، فتأمر مَن يمشي معي ويُريني ذلك، فقلت للخليفة، فتقدَّم إلى خادمه شاهك وحاجبه ابن أبي عمرو[٦]، فمشيا بين يديه وأنا وراءهما، وبَعُدْنا عن الحَضْرة، فقالا لمعز الدولة: لا يجوز أن نَتَخَرَّق الدار في أكثر من اثنين أو ثلاثة، فاختر من تريد ورُدَّ الباقين، فاختار أبا جعفر الصَّيْمَريّ وعشرة أنفس من غلمانه وحُجّابه، ووقف باقي الجند والحاشية في صحن السلام، ودخلنا، ومضى مُعزّ الدولة مُسرعاً، فجذبتُ قَباءه من خلفه، وقلت له بالفارسية: في أيِّ موضع أنت حتى تسترسل وتعدو من غير تَحفُّظٍ ولا استظهار؟! ألا تعلم أنه قد فُتك في هذه الدار بألف أمير وألف وزير؟! فلو وقف لنا عشرة في مضيق لأخذونا في هذه المَمَرَّات، فقال له الصَّيْمَريّ: لقد صدقك، فقال:

---

(١) في (ف م١): يسألونه، وفي (م): يستمدونه.

(٢) في (م): وشدها.

(٣) بعدها في (ف): والحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

(٤) من هنا إلى أول السنة (٣٥٤ هـ) ليس في (ف م١).

(٥) في الكامل ٨/ ٥٥٣ أن ذلك كان في رجب، وانظر المنتظم ١٤/ ١٥٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٣، والنجوم الزاهرة ٣/ ٣٣٦.

(٦) في (خ): خادمه ساهل، وحاجبه عمرو، والمثبت من المنتظم ١٤/ ١٥٦.

قد كان ذلك غَلَطاً، وإن رجعنا الساعة يقال: إنا فَزِعنا، وسقطنا من أعينهم، وقلَّت هيبتُنا في صدورهم، ولكن احتفوا بي فإن مئةً من هؤلاء لا يقاومونا.

فسعينا سَعْياً حثيثاً، وانتهينا إلى دار فيها صَنَم من صُفْر على صورة امرأة، وبين يديها أصنامٌ صغار كالوصائف، فتحيَّر معز الدولة، وسأل عن الصنم فقيل له: هذا حُمِل في أيام المقتدر من بلد الهند، فتح صاحب عمان بلداً، وبعث به إلى الخليفة وقال: إنه كان يُعبد، فقال: قد استَحسنتُ هذا الصنم وشُغفت به، ولو كان مكانه جارية لاشتريتُها بمئة ألف دينار؛ على قلَّة رَغبتي في الجواري، وأريد أن أطلبَه من الخليفة، فقال له الصَّيْمَريّ: لا تفعل فإنه يَنْسِبُك في ذلك إلى ما ترتفع عنه.

وبادرنا بالخروج، فما رجعت إلينا عقولنا إلا بعد اجتماعنا بأصحابنا.

وقال معز الدولة للصَّيمري: [قد ازدادت محبتي للمطيع لله وثقتي به؛ لأنه لو كان يُضْمِر لي سوءاً أو يُريده بي لكنا اليوم في قبضته، فقال الصَّيْمَريّ:][1] الأمر على ذلك.

وصعد معز الدولة إلى داره، وبعث إلى نقيب الطالبيين بعشرة آلاف درهم ليفرِّقها في العلويين شكراً لله على سلامته.

قال المصنف رحمه الله: في هذه الحكاية تخليط؛ فإن الصيمري مات سنة تسع وثلاثين وثلاث مئة، وقول الخراساني: قد قُتل في هذه الدار ألفُ أمير وألف وزير! ما قتل فيها أحد، ثم إن معزَّ الدولة كان فَوَّض الأمور إلى ولده عز الدولة، وأخو معز الدولة ركنُ الدولة ملكُ المشرق، فكيف يُتصوَّر أن يبدو من المطيع في حقِّ معز الدولة ما يكره.

قال ثابت: وكان ناصر الدولة قبل أن يَحمل مال التعجيل قد بذل زيادة عشرة آلاف دينار بأن يَعقد لولده أبي تغلب فَضْل الله الغَضَنْفَر مكان أبيه، فلم يُجِبْه معز الدولة، وقدم قتلة الحاجب الكبير وجماعة القوّاد، ثم خرج في رجب، وعبر دجلة، وسار إلى الموصل على الظَّهر، وجاءه أبو الحسين الباهلي رسول ناصر الدولة يضمن له ثلاث

(١) ما بين معكوفين من المنتظم ١٤/ ١٥٧.

مئة ألف درهم عِوضاً عما لزمه من النفقة ويرجع عنه، فما أجاب، وسار إلى الموصل، ولما قرب منها خرج ناصر الدولة إلى نَصِيبين.

ولما كان يوم الثلاثاء لإحدى عشرة ليلة خلت من شعبان وصل معز الدولة إلى بلده في الما[١]، وكان قد لحقه ذَرَبٌ شديد، وخلَّف بالمَوْصِل جماعة من الأتراك والدَّيْلَم لحفظ البلد، وبلغ ناصر الدولة، فسار إلى مَيَّافارِقين من نَصِيبين، وترك معز الدولة نَصِيبين، وسار الحاجب الكبير وجماعة من القوّاد إلى مَيَّافارِقين، ولا يدري أين ذهب، فعاد الحاجب الكبير إلى معز الدولة يريد الموصل خوفاً عليها، وصار أبو تغلب وإخوته إلى الموصل، فوافقوا أصحاب معز الدولة، فكانت بينهم حروب في رمضان، فكانت على أولاد ناصر الدولة، فأحرقوا زَبازِبَ[٢] معز الدولة التي كانت ببلده، وزواريق الغِلال التي كانت بالموصل، ثم جاء ناصر الدولة واجتمع عليهم، واستأمن إليه الدَّيْلَم، واستأمن جميع الترك، وأخذ ما كان لمعز الدولة من سلاح وكُراع وغيره مما يساوي مئتي ألف درهم، وبعث ناصر الدولة بالأسارى إلى القلعة.

وسار معز الدولة يريد الموصل، وخرج منها ناصر الدولة وأولاده فصاروا إلى سِنْجار، ونزل معز الدولة بَرْقَعيد، ولم يعلم ما جرى على أصحابه، وكانت نفسه ساكنة إلى من فيها من عسكره وخواصّه، وبلغه أن ناصر الدولة عدل إلى الجزيرة، فسار من بَرْقَعيد خلفَه، فاعترضه في الطريق أبو المُظَفَّر حمدان بن ناصر الدولة، فوقف معز الدولة مكانه طول نهاره، وفرَّق الجَواشِن[٣] والتَّخافيف على غلمانه، وجمع سَوادَه، ورتَّب رجاله، وبات ليلته مكانه، فسار من غدٍ على عقبه يريد الجزيرة، فدخلها فلم يجد بها ناصر الدولة، وبلغه ما جرى على أصحابه بالموصل، فكاتب الحاجب الكبير ومعظم العسكر معه بنَصِيبين، فكتب إليه معز الدولة أن يَلحق به، فلحق به إلى بَلَد لليلتين بقيتا من شهر رمضان[٤].

---

(١) كذا، وفي الكامل ٨/ ٥٥٣: ووصل معز الدولة إلى الموصل وملكها في رجب، وسار يطلب ناصر الدولة حادي عشر شعبان.

(٢) مفردها: زَبْزَب، ضرب من السفن.

(٣) هي الدروع.

(٤) انظر الخبر بأوضح مما هنا في الكامل ٨/ ٥٥٣-٥٥٤ .

ووصل أبو الهَيْجاء حَرْب بن أبي العلاء سعيد بن حَمدان إلى معزّ الدولة مستأمناً، فأكرمه ووصلَه، ورجع معز الدولة إلى نَصِيبين، ثم إلى بَرْقَعِيد، ثم دخل الخابور، وسار مستأمناً[١]، وعاد معز الدولة إلى المَوصل، ونزل شرقيّ دجلة، وجاء أبو تغلب إلى بَلَد، وكاتب معز الدولة، وتكررت بينهما الرسائل على أن يُضَمِّنه ما كان بيد أبيه، ويطلق الأسارى، فأجابه، وتعجَّل له ببعض المال وهو ست مئة ألف درهم، وبعث بالمال والأسارى، وعاد معز الدولة وعساكره إلى بغداد في ذي الحجة.

وجاء الدُّمُسْتُق فنزل على طَرَسوس، ثم رحل عنها، وأهدى لسيف الدولة هدايا، فاحتفل للرسول، وجلس على سريره وعلى رأسه تاج.

فيها[٢] سار سيف الدولة إلى مَيَّافارِقين يُريد غلامَه نَجا، وكان قد عصى عليه، وكاتب معزَّ الدولة أن يكون معه على مواليه، ويساعده عليهم، وعاد من القلعة التي أخذها من أبي الوَرْد[٣]، فنزل مَيَّافارِقين، وأحرق رَبَضَها، ووقعت عليه حِيلةٌ من أصحاب سيف الدولة، فأخذوا القلعة التي كان يحتمي بها، ولما وصل سيف الدولة إلى مَيَّافارِقين انحاز عنها، وحصل في يد سيف الدولة قلاعُه، وجماعةٌ من غلمانه وكُتَّابه، وأخٌ له، فقتلهم سيف الدولة، ولم يقتل أخا نجا، وكتب إليه يَعِدُه ويتوعَّدُه، وعُمل لسيف الدولة خيمةٌ ارتفاع عُمُدها خمسون ذراعاً؛ تَسَعُ خمس مئة إنسان، وصار نجا إلى سيف الدولة؛ فأعاده إلى مرتبته، وأحسن إليه، وعفا عنه.

---

(١) كذا، وفي تكملة الطبري ٤٠١: فأقبل معز الدولة إلى برقعيد، فأتاه حمدان بن ناصر الدولة مستأمناً، وأتاه أبو الهيجاء بن أبي العلاء بن حمدان مستأمناً أيضاً، وأتى معز الدولة الموصل، واستأمن إليه المهيا والمسيب غلاما أبي تغلب، فخلع عليهما وطوقهما وسورهما، وأتاه أبو الحسن علي بن ميمون ورهن نفسه عنده... فرحل حينئذ ومعه عمرو إلى الحديثة...

(٢) قبلها في (خ): السنة الثالثة والخمسون وثلاث مئة. اهـ. وإيراد هذه الجملة في هذا الموضع خطأ، لأن ما قبلها من أحداث السنة (٣٥٣ هـ) كما ورد في النسخ الأخرى.

(٣) في (خ): ابن أبي الورد، والمثبت موافق لما في الكامل ٨/ ٥٥١، وقد سلف أنه أبو الورد في أحداث أول السنة.

وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد

ابن محمد بن موسى، أبو اليُسْر الأنصاري المَوْصِليّ.

قدم بغداد حاجّاً، وحدَّث بها، وكان فقيهاً شاعراً، كتب إليه أبو الطاهر الهاشمي[١]: [من الخفيف]

يا أخي يا عَديلَ روحي ونَفْسي … وصَفيِّي من بين أهلي وجِنسي
وَحْشَتي بالبعاد منك على حَسْـ … ـبِ سروري بالقرب منك وأُنْسي
فابْقَ لي سالماً على كلِّ حالٍ … ما دَجا الليل أو بدا ضوء شمسِ

فكتب إليه بديهاً يقول:

أنا أَفديكَ من رئيسٍ جَليلٍ … وقليلٌ له الفداء بنفسي
كنتَ بالقربِ مني في كلِّ وقت[٢] … في سرورٍ مُجَدّد لي وأُنسِ
ونعيمٍ مُؤَبَّدٍ وحُبورٍ … كلَّ يومٍ لديه أُضحي وأُمسي
فكأن الأيامَ أيامُ عيدٍ … وافقت باجتماعنا يومَ عُرسِ
وكأن الظَّلامَ زاد ضَحاءً … حين ألقاه فيه أو ضوء شَمسِ
فنأى واغْتَديْتُ بعد تَنائيْـ … ـهِ كأني في ضِيْقِ لَحْدٍ وحَبْسِ
وتَبدَّلْتُ بعد طائرِ سَعْدٍ … لفراقي له بطائرِ نَحْسِ
بي إليه على اقترابِ مَزارٍ … ظَمَأٌ فوق ما بَوارِدِ خِمْسِ
يا رئيساً آباؤه السَّادة الصِّيـ … ـدُ نَمَتْهُ من خير أصلٍ وغَرْسِ
والأديب الذي أَبَرَّ على كُـ … ـلِّ أديبٍ في كلِّ مَعنى وجِنسِ
قد أتتني أبياتُك الغُرَرُ الزُّهْـ … ـرُ اللواتي تحيى بها كلُّ نَفْسِ
فأزالَتْ عنّي هُمومي بفَقْدَ يْـ … ـكَ وأَحْيَتْ مُوَسَّداً تحت رَمْسِ
وتَسَلَّيْتُ عن بِعادك لا عنـ … ـكَ بدُرٍّ أودعتُه بَطْنَ طِرْسِ

(١) في تاريخ بغداد ٦/ ٥٠١: كتب إلي أبو منصور طاهر.

(٢) في تاريخ بغداد: كنت في القرب منه في كل وقت.

مـن قَـريضٍ حكـى الَّـلآلـىءَ في جِيْـ ... ـدِ فـتــونٍ لـكــلِّ جِـنٍّ وإنْـسِ
فـاسْـلَـمِ الـدَّهـرَ وابْـقَ لـي أبـداً أنــ ... ـتَ مُـعـافًـى فـأنـت سَـيْـفـي وتُـرْسـي

أحمد بن محمد بن سعيد

أبو سعيد النَّيْسابوري، له التصانيف في علوم الحديث وغيرها، و «التفسير الكبير»، وخرَّج على كتاب مسلم، وكان واعظَ أهل نيسابور، وشيخ الصُّوفية، وعظيمَ الشأن، خرج من نَيسابور بأموال عظيمة وعَسْكرٍ عظيم يريد القراءة، فاستُشهد بطَرَسوس.

وكان صَدوقاً زاهداً وَرِعاً[(١)].

بُنْدار بن الحسين

ابن محمد بن مُهَلَّب، أبو الحسين الشِّيرازي.

سكن أَرَّجان، وكان عالماً بالأصول، وله لسانٌ في علوم الحقائق، وكان الشِّبليّ يُعَظِّمه.

ومن كلامه: حروف الصُّوفي تحت كلِّ حرفٍ منها معنى؛ فالصاد دِلالة صِدقه وصبره وصفائه، والواو دِلالة ودِّه ووِرْده ووَفائه، والفاء دِلالة فَقْره وفَقْده وفَنائه، والياء للإضافة والنسبة.

وقال: القلب مَحلُّ الأنوار، وموارد الفوائد، وقد جعله الله أميراً بقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ [ق: ٣٧]، وأسيراً بقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال: ٢٤].

وقال: رؤي مجنون ليلى في النوم فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي وجعلني حُجَّةً على المحبِّين.

قال المصنف رحمه الله: إذا كانت مَحبَّةُ مَخلوق أوصلتْه إلى هذا المقام الشَّاهق فكيف بمن شَغل قلبَه بمحبة الخالق!؟

وأنشد يقول: [من الطويل]

أحِـبُّ حـبـيـبـاً لا أُعـابُ بـحـبِّـه ... وأحـبـبـتُـمُ مَـن فـي هـواه عُـيـوبُ

---

(١) تاريخ بغداد ٦/ ١٥٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٥٢، والسير ١٦/ ٢٩.

وقيل لبُنْدار: ما الدنيا؟ فقال: ما دنا من القلب، وشَغَل عن الحقّ.

وقال: السماع على ثلاثة أوجه؛ سماعٌ بالطّباع، وسماعٌ بالحال، وسماع بالحق، فسماع الطَّبع يشترك فيه الخاص والعام، فإن جِبِلَّة البشرية تَستلذُّ الصوتَ الطيِّبَ، وسماع الحال هو الذي يتأمَّل ما يَرِد عليه من عِتابٍ، أو خِطاب، أو وَصْلٍ، أو هِجران، أو قُربٍ، أو بُعدٍ، أو تَأسُّفٍ على فائت، أو تَعطُّشٍ إلى آتٍ، أو خوفِ فراقٍ، أو فرحٍ، أو وِصالٍ، أو حِذارٍ واتصال، وما يجري مجراه، وأما سماعُ الحقّ فهو الذي يسمع بالله، ولله، ومع الله، ولا يتَّصف بهذه الأحوال التي هي مَمزوجة بالحظوظ البشرية[١].

ثَوابة بن أحمد

ابن ثوابة، أبو الحسن، الموصلي[٢]، مات بمصر في المحرَّم، وقيل: سنة ثمان وخمسين[٣]، وكان ثقة.

وقال: حدثنا علي بن إسحاق الغَسَّاني، حدثنا عبد الله بن الهيثم، حدثنا الأصمعي قال: رأيتُ بالبصرة جاريةً كأنها الشمس، وهي تتكلَّم بكلامٍ ما سمعتُ مثلَه، ثم رفعت صوتَها وقالت: [من الطويل]

أنوحُ على دهرٍ مضى بغَضارةٍ ... إذ العيشُ غَضٌّ والزمانُ مواتي
وأبكي زماناً صالحاً قد فَقَدْتُه ... يُقطِّع قلبي ذِكرُه حَسَراتِ
فيا زَمناً ولَّى على رَغْم أهله ... ألا عُدْ كما قد كنتَ مُذْ سَنواتِ
تَمطَّى علينا الدَّهرُ في مَتْنِ قوسِه ... ففرَّقَنا منه بسَهمِ شَتاتِ

عبد الله بن محمد

ابن عبد الله الرَّازي، الشَّعْراني.

(١) حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٤، وطبقات الصوفية ٤٦٧، والسير ١٦/ ١٠٨، وتاريخ الإسلام ٨/ ٥٤.

(٢) المنتظم ١٤/ ١٥٨، وفي تاريخ بغداد ٨/ ٢٤، وتاريخ دمشق ٣/ ٥٩٢ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٢٣: ثوابة بن أحمد بن عيسى بن ثوابة أبو الحسين الموصلي.

(٣) وكذا ذكر الخطيب وابن عساكر والذهبي، وتابع المصنفُ جدَّه في ذكر ثوابة في وفيات (٣٥٣ هـ).

ولد ونشأ بنيسابور، وكان من كبار مشايخها في وقته، قيل له: ما بالُ الناس يعرفون عيوبَهم ولا ينتقلون عنها إلى الصواب؟ فقال: لأنهم اشتغلوا بالعلم للمُباهاة به، ولم يشتغلوا به لاستعماله، وأصلحوا الظَّواهر دون البَواطن؛ فأعمى الله قلوبَهم عن النَّظَر في الصواب، وقيَّد جوارحَهم عن العبادة.

وقال: إنما يَتولَّد ضيقُ الصَّدر والهَمُّ من قلَّةِ المعرفة بالله تعالى(١).

علي بن يعقوب

ابن إبراهيم بن شاكر، أبو القاسم، المعروف بابن أبي العَقَب، محدِّث شامي مشهور، ثقة، زاهد، ثبت، ومن شعره: [من الوافر]

أَنِسْتُ بوَحْدَتي ولَزِمتُ بيتي ... قدام العيشُ لي ونما السُّرورُ
وأدَّبني الزمانُ فصِرْتُ فَرْداً ... وَحيداً لا أُزارُ ولا أزورُ
ولستُ بقائلٍ ما عِشتُ يوماً ... أسار الجيشُ أم ركب الأميرُ
متى تَقنعْ تَعِشْ مَلِكاً عزيزاً ... يَذِلُّ لعزِّك الملكُ الفَخورُ(٢)

---

(١) طبقات الصوفية ٤٥١، والمنتظم ١٤/ ١٥٨.

(٢) تاريخ دمشق ٥٢/ ٤٠ (مجمع اللغة)، والسير ١٦/ ٣٨، وتاريخ الإسلام ٨/ ٥٩.

السنة الرابعة والخمسون وثلاث مئة[(١)]

فيها عُمل يوم عاشوراء ببغداد ما جرى به الرسم من النوح ونحوه، ومُنع الناس من البيع والشراء.

وفيها وثب غِلمان سيف الدولة على غلامه نجا بحضرة مولاهم، وضربوه بالسيوف حتى برد، ولحقت سيفَ الدولة غَشيةٌ مقدار ساعة، فأمرت زوجته وهي ابنة [أبي العلاء] سعيد بن حمدان بأن يُجَرَّ برِجل نجا، ففُعل به ذلك إلى أن أُخرج من قصرها [وفيه كانت الحادثة]، وطُرح في مَصبِّ الأقذار[(٢)] والمياه النَّجِسة طول ليلته ومن الغد إلى وقت العصر، ثم أُخرج وكُفِّن بشقة[(٣)]، ودُفن عند سور مَيَّافارِقين، [وقد ذكرنا غزواته وعصيانه على مولاه.] وكان قد عزم على هلاك بيت مواليه، واتَّفق مع معز الدولة، وقال غلمان سيف الدولة لسيف الدولة: نقتله، فنهاهم عنه، فما انتَهوا حتى قتلوه.

وقيل[(٤)]: إنه جرى بينه وبين سيف الدولة كلامٌ على الشَّراب، فأفحش له نجا، فقام نَجاح غلامُ سيف الدولة فقتله.

وسار سيف الدولة إلى خِلاط فملَكها وكانت لنجا.

وفيها قلَّدَ المطيعُ أبا أحمد خَلَفَ بن أبي جعفر سِجِسْتان، وخلَع عليه، ووصل إليه بسفارة معز الدولة.

وفيها مُطر العراق في نيسان بَرَداً؛ وزن البَرَدة مئةُ درهم.

وفي جُمادى الأولى[(٥)] تقَلَّد الحسين بن موسى الموسوي نقابة الطالبيين بأسرهم سوى أبي الحسين بن أبي الطيب وولده؛ فإنهم استَعْفَوا منه، ورَدَّ أمرَهم إلى أبي الحسين علي بن موسى الحمولي[(٦)].

---

(١) في م: بعد الثلاث مئة.

(٢) في (ف م م١): الأمطار، والمثبت من (خ).

(٣) في (م١): بسيفه.

(٤) من هنا إلى وفاة أخت معز الدولة ليس في(ف م م١).

(٥) في تكملة الطبري ٤٠٣، والمنتظم ١٤/ ١٦١، والكامل ٨/ ٥٦٥: وفي جمادى الآخرة.

(٦) في المنتظم ١٤/ ١٦١: أبي الحسن علي بن موسى حمولي.

وفي جمادى الأولى توفيت[١] أخت معز الدولة، ودُفنت بمقابر قريش، ونزل الخليفة في طياره إلى دار معز الدولة ليُعزّيه، فنزل معز الدولة إليه، ولم يُكلّفه الصعود، وعَزّاه الخليفة، فقبّل معز الدولة الأرضَ [بين يدي الخليفة] دَفَعات، ورجع الخليفة إلى داره.

وفيها بنى نقفور ملك الروم قَيْسارِيَّة قريبة من بلاد الإسلام، وأقام بها، ونقل إليها أهلَه وعياله؛ ليقرب من بلاد الإسلام فيغير عليها، [فخيَّبَ الله سَعيه وأمله] وترك أباه بالقسطنطينية، وبعث إلى نقفور أهلُ المَصِّيصة وطَرَسوس رسولاً يسألونه أن يَقبل منهم إتاوة، ويؤدُّونها إليه كل سنة؛ على أن يُنفذ إليهم صاحباً من عنده يقيم عندهم، فأجابهم.

ثم بلغه أن أهل البُلدان قد ضعفوا جداً، وأنه لا ناصر لهم، ولا دافع له عنها، وأنه لم يبق لهم أقوات، وقد أكلوا الكلاب والميتات، وأنه يَخرج من طَرَسوس كلَّ يوم ثلاث مئة جنازة، فانصرف رأيه عما كان أجابهم إليه، وأحضر رسولهم وقال له: مَثَلُكم كمثل الحيَّة في الشتاء؛ إذا لَحِقها البَرد ضَعُفت وذَبُلَت حتى يُقَدِّر مَن رآها أنها ميتة، فإن أخذها إنسان وأحسن إليها انتعشَت ولَدَغَتْه فقتلته، فإن أنا تركتُكم حتى تستقيم أحوالكم تأذَّيْتُ بكم.

وأخذ الكتاب الذي أورده، فأحرقه على رأس الرسول، فاحترقَتْ لحيته ووَجْهُه فقال له[٢]: ارجع إليهم، وعَرِّفهم أن ما لهم عندي غير السيف، فانصرف.

فأقام ملك الروم على عَزْم أن يقسم جيوشَه ثلاثَ فِرق؛ فرقة إلى مَيّافارِقين، وأخرى إلى الشام، وأخرى إلى الثُّغور.

وكان بميافارقين ستة آلاف كُرّ حِنطة، فمزَّقها سيف الدولة وفرَّقها؛ لئلا يأخذها الروم[٣].

---

(١) في (خ): وفيه توفيت، بدل: وفي جمادى الأولى توفيت، والمثبت من (ف م م١).

(٢) في (خ): وفيها فقال له.

(٣) من قوله: وبعث إلى نقفور أهل المصيصة وطرسوس... إلى هنا، ليس في (ف م م١).

وسار ملك الروم[١] بنفسه إلى المَصِّيصَة، ففتحها بالسيف في رجب، وقتل من أهلها خلقاً عظيماً[٢]، وأمر بأن يُساق الباقون من الرجال والنساء والصبيان إلى بلد الروم، ففعل بهم ذلك، وكانوا نحواً من مئتي ألف إنسان.

ثم صار[٣] منها إلى طَرَسُوس فحاصرها، فطلب أهلُها أماناً فأعطاهم، ففتحوا له أبوابَها فدخلها، ولقيَ أهلَها بالجميل، ودعا رؤساءهم إلى طعامه فأكلوا معه، وأمرهم بالانتقال عنها، وأن يَحمل كلُّ واحدٍ منهم من ماله وسلاحه ما أطاق، ويدع لهم الباقي، ففعلوا، وبعث معهم من بَطارقته نفراً يَحمونهم من الأرمن إلى أنطاكية، فتعرَّض لهم طائفةٌ من الأرمن، فقطع الملك آنافهم، وعاقبهم، وحمل بعضهم في البحر حتى وصلوا إلى أنطاكية سالمين، وجعل جامعها إصطَبلاً لدوابّه، ونقل ما كان فيه من القناديل إلى بلده، وقَلَّدها بطريقاً من بَطارقته في خمسة آلاف، وكذا فعل بالمَصِّيصة، وأمر بعمارة البَلَدين، وعمل على أن يجعلهما[٤] معقلاً؛ لقربهما من ديار الإسلام فيغير منهما، ويتمكن من البلاد، وجلب[٥] المِيْرَة إلى البلدين من كل مكان.

وقيل: إن المصيصة رجع إليها بعض أهلها وتَنصَّروا.

وفيها في يوم الغَدير عُمل ما جرى به الرَّسْم من ضَرب الدَّبادِب والبوقات، وزيارة قبر موسى بن جعفر ﵄.

وفيها أنفذ أبو تغلب بن ناصر الدولة إلى معز الدولة ما كان بقي من الأتراك الذين أُسروا بالمَوصل، وحمل ما كان أخذه من المال والثياب الذي خَلَّفها معز الدولة بالموصل، فأما المال فأخذه، وأما الثياب فإن نفسه شَرُفت عنها وقال: لعل أبا تغلب أعجبه شيء منها، فردَّها، وكان لها قيمة[٦].

---

(١) قبلها في (ف م م١) ما نصه: ذكر فتوح الروم المصيصة: سار ملك الروم، والمثبت من (خ).

(٢) في (ف م١): كثيراً.

(٣) في (م): سار.

(٤) في (ف م١): جعلهما.

(٥) في (خ): وجلبت.

(٦) من قوله: وفيها من يوم الغدير.. إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفي هذه السنة سار بالحاج أبو أحمد الحسين بن موسى النَّقيب.

[فصل:] وفيها توفي

أحمد بن الحسين

ابن الحسن بن عبد الصَّمد، أبو الطَّيِّب، الجُعْفيّ، الشاعر، المعروف بالمتنبي، وكان أبوه يعرف بعِيْدَان[١].

[قال الخطيب: ولد المتنبي] بالكوفة بكِنْدَة سنة ثلاث وثلاث مئة، ونشأ بالشام فأكثر المقام بالبادية، وطلب الأدب وعلم العربية، وفاق أهلَ عصره في الشعر، واتصل بالأمير سيف الدولة أبي الحسن علي بن حمدان فانقطع إليه، وأكثر القولَ في مديحه، ثم مضى إلى مصر فمدح بها كافوراً الخادم، ثم ورد بغداد.

وقال [الخطيب: حدثنا علي بن المُحَسِّن التَّنوخي، عن أبيه قال: حدثني] أبو الحسن محمد بن يحيى العَلَويّ قال: كان المتنبي وهو صبيٌّ ينزل في جواري بالكوفة، وكان أبوه يُعرف بعِيدان السَّقَّاء يستقي لنا الماء ولأهل المحلَّة، ونشأ وهو محباً للعلم والأدب، وصحب الأعراب، فجاءنا بعد سنين بدويًا، وكان[٢] قد تعلم العربية والكتابة والقراءة، وأكثر مُلازمةَ الورَّاقين، فأخبرني وَرَّاقٌ كان يجلس إليه قال:

ما رأيتُ أحفظَ من هذا الفتى ابن عِيدان، قلت له: وكيف؟ قال: كان اليوم عندي وقد أحضر رجل كتاباً من كتب الأصمعي نحو ثلاثين ورقة، فأخذه فنظر فيه طويلاً، فقال له الرجل: يا هذا، أُريد بيعه وقد قَطَعْتَني عن ذلك، فإن كنتَ تُريد حفظَه فهذا يكون بعد شهر إن شاء الله، فقال له: فإن كنتُ قد حفظتُه في هذه الساعة فمالي عليك؟ قال: أَهَبه لك، قال: فأخذتُ الدفترَ من يده، فأقبل يتلوه عليّ إلى آخره، ثم استلَبه[٣] فجعله في كُمِّه، فقام صاحبه وتعلَّق به، وطالبه بالثمن فقال: قد وهبتَه لي، فمنعناه منه وقلنا: قد شرطْتَ شَرطاً على نفسك، هذا للغلام فتركه.

---

(١) في (ف م م١): بعَبْدان، وانظر حواشي تاريخ بغداد ٥/ ١٦٥، والمتنبي لمحمود شاكر رحمه الله ١٣٧.

(٢) في (ف م١): بعد سنتين بدوياً فجاء وكان، والمثبت من (خ م).

(٣) في (ف م م١): استله.

وقال المحسِّن عن أبيه: سألتُ المتنبي عن نسبه، فما أقرَّ لي به، وقال: أنا رجل أَخْبِط القبائل وأطوي البوادي وحدي، ومتى انتسبتُ لم آمَن أن يَأخُذني بعض العرب بطائلة بيننا وبين القبيلة التي انتسبتُ إليها، وما دمت غير مُنتَسِبٍ إلى أحد فأنا أسلم على جميعهم.

قال: واجتمعتُ بعد وفاته [بسنين مع القاضي أبي الحسن ابن] أمِّ شَيبان[١]، وجرى ذكره فقال: كنتُ أعرف أباه بالكوفة شيخاً يُسمّى عِيدان؛ يستقي الماء على بعير له، وكان جُعفيًّا صحيحَ النَّسب.

قال التّنوخي: وكان المتنبي لما خرج إلى كَلْب أقام فيهم، وادَّعى أنه عَلَويّ حَسَني، ثم ادَّعى بعد ذلك النبوة، ثم عاد يدَّعي أنه علَويّ؛ إلى أن شهدوا عليه بالشام أنه كاذب في الدَّعوَتين، وحُبس دهراً طويلاً، وأشرف على القتل، ثم استُتيب [وأشهد عليه بالتوبة] فأطلق.

[قال المحَسِّن: وحدثني] أبو علي بن أبي حامد قال: سمعتُ خلقاً كثيراً بحلب يحكون والمتنبي بها إذ ذاك] أنه تنبأ[٢] في بادية السَّماوة ونواحيها إلى أن خرج إليه لؤلؤ أمير حمص، فقاتله وأسره، وشَرَّد مَن كان قد اجتمع إليه[٣] من كلب وكلاب وغيرهما [من قبائل العرب]، وحبسه دهراً طويلاً، فاعتلَّ وكاد يَتلف، فسئل في أمره، فاستتابه، وكتب عليه كتاباً ببُطلان ما ادَّعاه، ورجوعِه إلى الإسلام.

وكان قد تلا على أهل البراري كلاماً زعم أنه قرآن نزل عليه، فمنه: والنَّجْم السَّيَّار، والفَلَك الدَّوَّار، والليل والنهار؛ إن الكافر لفي أخطار، امض على سُنّتك، واقْفُ أثرَ مَن كان قبلك من المرسلين، فإن الله قامِعٌ بك زَيْغَ مَن ألحد في دينه، فضَلَّ عن سبيله.

[قال المحَسِّن:] وكان المتنبي إذا شُوغِب في مجلس سيف الدولة، وذكر له هذا القرآن[٤] وأمثاله يَجْحَده.

(١) في (خ): بعد وفاته بابن أم شيبان القاضي، والمثبت من (ف م م١).
(٢) في (خ): وقال أبو علي بن أبي حامد إنه تنبأ، والمثبت من (ف م م١).
(٣) في (م): من كان معه ممن اجتمع إليه.
(٤) في (خ): الهذيان، والمثبت من (ف م م١)، وما سلف بين معكوفين منها.

قال المُحَسِّن: [فأما أنا فإني] سألتُه[١] بالأهواز في سنة أربع وخمسين عن معنى المتنبي، فأجابني بجواب مُغالِط وقال: هذا شيء كان في الحَداثة أوجبَتْه الصُّورة[٢]، فاستحييتُ أن أستقصي عليه فسكتُّ.

وهذا قول المحسن، وأما أبو القاسم عبد الله بن عبد الرَّحمن الأصفهاني فإنه ذكر في كتابه المسمى بـ «الواضح» أن الذي حبس المتنبي بحمص ابنُ كيغلغ، وكان أمير حمص، وأراد قتلَه[٣]، وكان خروجه ببلد اللاذقية بين النُّصَيْريّة، ثم انتقل إلى جبل جَوْشَن من بلاد الشام[٤].

[وقال أبو القاسم الأصفهاني:] وقد هجاه الضَّبِّي فقال: [من الكامل]

الزم مَقالَ الشّعرِ تَحْظَ بِرُتْبةٍ وعن النُّبُوَّةِ لا أبا لك فانتَزِحْ
تَرْبَحْ دماً قد كنتَ توجب سَفْكَه إن الممتَّعَ بالحيا لم يَسْتَرِحْ[٥]

[وقال الأصفهاني:] قال المتنبي لكافور: وَلِّني صَيدا، فقال: كيف أُوَلّيك صيدا وفي رأسك ما فيه؟! من كان يُطيقك بعد هذا؟[٦]

ذكره مقتله:

[روى الخطيب عن علي بن أيوب قال:] خرج المتنبي من بغداد إلى فارس، فمدح عضد الدولة [، وأقام عنده مدةً، ثم رجع من شيراز إلى بغداد، فقُتل في الطريق قريباً من النُّعْمانية في رمضان[٧]، وقيل: في شعبان.

---

(١) في تاريخ بغداد ٥/ ١٦٨: قال لنا التنوخي: قال لي أبي: فأما أنا فإني سألته. والمثبت موافق لما في المنتظم ١٤/ ١٦٥، وما بين معكوفين من (ف م م١).

(٢) في (ف م م١): الضرورة.

(٣) في (خ): وقال عبد الله بن عبد الرَّحيم الأصفهاني بن كيغلغ أمير حمص هو الذي حبس المتنبي بحمص وأراد قتله، والمثبت من (ف م م١)، وانظر الأعلام ٤/ ٩٦، والصبح المنبي ٢٦٩، والمتنبي للعلامة محمود شاكر ١٤٢، والخزانة ٢/ ٣٤٧.

(٤) في (خ): جبل جوشن ثم في بلاد الشام، والمثبت من (ف م م١).

(٥) في الواضح للأصفهاني ص١: إن الممتع بالحياة لمن ربح.

(٦) في (ف م١): يطيقك بعدها، وانظر الواضح ص٢.

(٧) تاريخ بغداد ٥/ ١٦٩.

وفي سبب قتله أقوال؛ أحدها أنه كان معه مال كثير، فقتله العرب لأجل مالِه؛ وكان قد وصل له من عضد الدولة] أكثر من مئتي ألف درهم[١]، وارتحل من شِيراز بغير خَفير، فخرج عليه الأعراب فقتلوه وابنه مُحَسَّداً بمكان يقال له: الصَّافية، واسم قاتله: فاتك بن أبي الجَهْل الأسدي.

[والثاني: أن سبب قتله كلمة قالها عن عَضُد الدولة، فدَسَّ إليه مَن قتله؛ وذلك] أنه لما وَفَد[٢] على عَضُد الدولة أكرمه ووصله بثلاثة آلاف دينار وثلاث خِلَع، في كل يوم خِلْعَة سبع قِطَع، وثلاثة أفراس بسروج مُحَلّاة، ثم دسَّ عليه مَن سأله: أين هذا [العطاء] من عطاء سيف الدولة؟ فقال [المتنبي]: هذا أجزل إلا أنه عطاءُ مُتَكَلِّف، وسيف الدولة يعطي طَبْعاً، فغضب عَضُد الدولة، وأذن لقوم[٣] من بني ضَبَّة فقتلوه.

وقال المُظَفَّر بن علي الكاتب[٤]: اجتمعتُ برجلٍ من بني ضَبَّة يُكنى أبا راشد[٥] فقال: أنا حضرتُ قتلَ المتنبي؛ أذن لنا عضد الدولة في قتله، فخرجتُ مع أبي وكنا ستين راكباً، فكَمَنَّا في وادٍ، فمرّ بنا في الليل ولم نعلم به، فلما أصبحنا تبعناه[٦]، فلحقناه وقد نزل تحت شجرة كُمَّثْرى وعندها عَين، وبين يديه سُفْرةٌ فيها طعام، فلما رآنا قام ونادى: هلمُّوا يا وجوهَ العرب، فلم يُجِبْه منا أحدٌ، فأحسَّ بالدَّاهية، وركب ومعه ولدُه وخمسة عشر غلاماً، وجمعوا الجمال والبغال، فلو ثبت مع[٧] الرجالة لم يُقْدَر[٨] عليه، ولكنه بَرَز إلينا فتَطارَدْنا، فقُتل ولدُه وغلمانه، وانهزم شيئاً يسيراً، فقال غلام له: أين قولك [يا مولاي بالأمس]:

---

(١) في (خ): فمدح عضد الدولة بأكثر من مئتي ألف شعر، والمثبت من (ف م م١)، وانظر المنتظم ١٤/ ١٦٥.

(٢) في (خ): وقيل إنه لما وفد، والمثبت من (ف م م١).

(٣) في (ف م م١): فاغتاظ عضد الدولة وأمر قوماً، والمثبت من (خ).

(٤) في (ف م م١): فذكر المظفر بن علي الكاتب قال.

(٥) في المنتظم ١٤/ ١٦٦: أبا رشيد.

(٦) في (ف م م١): تبعنا أثره.

(٧) في (ف م م١): فلو ثبتت معه.

(٨) في (ف م١): نقدر، وفي (م): يقدروا.

الـخَـيْـلُ والـلـيـلُ والـبَـيْـداءُ تـعـرِفُـنـي   والضَّربُ والطَّعنُ والقِرْطاسُ والقَلَمُ؟!

فقال له: قتلتَني قتلك الله، والله لا انهزمتُ أبداً

ثم رجع كارًّا علينا، فطَعَن زعيمَنا في عنقه فقتله، واختلفت عليه الرِّماحُ فقُتل، فرجعنا إلى الغنائم ـ وكنت جائعاً ـ فلم يكن لي همٌّ إلا السُّفرة، وأنا يومئذ صبيٌّ حين راهَقْتُ، فأخذتُ آكل منها، فجاء أبي وضَربني بالسَّوط وقال: الناسُ في الغنائم وأنت مع بطنك، اكْفُ ما في الصُّحَيْفَة وأعطني إياها، فأكفأتُها ودفعتُها إليه وكانت فضَّة، ورميتُ الدَّجاج والفِراخ في حجري.

وكان المتنبي قد هجا ضَبَّةَ الأَسَديَّ بقوله: [من الرجز]

مـا أنـصـفَ الـقـومُ ضَـبَّـه   وأمُّـه الـطُّـرْطُـبَّـه[1]

وقال الأصفهاني: كان قد هرب من كافور إلى أرَّجان، ومدح بها ابن العَميد وزيرَ ركن الدولة بن بُويه [وكنيته أبو الفضل] فأعطاه في دفعات [ثلاثين] ألف درهم، ثم مضى [من عنده] إلى عَضُد الدولة، فأعطاه ما قيمته ثلاثين ألف دينار، وقال له: امضِ وأحضر عيالَك ـ وكانوا بالكوفة ـ فلما سار إلى بَنُورا قرية عند النُّعمانية، وجد هناك خيلاً قد كَمَنوا له، فحملوا عليه، فطُعن فوقع، فنزل رجل فحَزَّ رأسَه وقتل ابنَه مُحَسَّد وبعضَ غلمانه.

والقول الثالث: أن[2] الذي قتله كَثْرةُ ماله وبخله، فكان يحمل معه أمواله ولا يعطي خَفيراً درهماً، فلما رحل من شيراز سأله الخُفَراء أن يعطيهم خمسين درهماً ويخفروه، فلم يفعل.

وكان آخرَ ما مدح به عَضُد الدولة قصيدته التي يقول فيها[3]: [من الوافر]

ولـو أنـي استـطـعتُ غَـضَـضْـتُ طَـرفـي   فـلـم أُبـصـر بـه حـتـى أراكـا
[وأنَّـى شـئـتِ يـا طُـرُقـي فـكـونـي   أذاةً أو نَـجـاةً أو هَـلاكـا

وجعل قافية البيت الهلاك فهلك][4].

(١) ديوانه بشرح البرقوقي ١/ ٣٣٠، والطرطبة: المسترخية الثديين.
(٢) في (خ): وقيل إن، والمثبت من (ف م م١).
(٣) في (خ): عضد الدولة قوله في قصيدة، والمثبت من (ف م م١).
(٤) المنتظم ١٤/ ١٦٥ ـ ١٦٦، والبيتان في ديوانه ٣/ ١٢٧، ١٣٣، وما بين معكوفين من (ف م م١).

وكان مقتلُه يوم الأربعاء لثلاثٍ بقين من شعبان، وقيل: من رمضان [في هذه السنة] وله ثلاثٌ وخمسون سنة.

وقد رثاه [أبو القاسم] المُظَفَّر الزَّوْزَنيّ فقال: [من الرمل]

لا رعا الله صَرْفَ[1] هذا الزمانِ إذ دَهانا في مثل ذاك اللسانِ
ما رأى الناسُ ثانيَ المتنبي أيُّ ثانٍ يُرى لبِكْرِ الزَّمانِ
كان في شعره نبياً ولكن ظَهرتْ مُعجزاتُه في المعاني

فصل مما يتعلق بشعره:

قال أبو الفتح بن جنّي: أسقط المتنبي من شعره الكثير، وبقي ما يتداوله الناس فكان يُنْشَد.

[وكان قد أُحصي ما أخذ من] سيف الدولة في مدة أربع سنين فكان خمسةً وثلاثين ألف دينار.

ولما هجا كافوراً أراد قتلَه فهرب في البَرِّيَّة إلى الشام؛ ولهذا عَدَّد المنازلَ في قصيدته التي يقول فيها: [من المتقارب]

ألا كلُّ ماشِيةِ الخَيْزَلى[2]

لأنه وقع في تيه بني إسرائيل، ومرَّ على الحَسا والمفاوز[3] وحِسْمى وغيرها[4].

ولما قُتل وُجد في رَحْله دواوين أبي تَمّام وأبي نُواس والبُحتريّ وغيرهم.

وقد شرح ديوان المتنبي أبو الفتح بن جنّي، فيقال: إنه أعطاه ألف دينار، ثم أبو الحسن الواحدي، ثم أبو العلاء المَعَرِّي، ثم جاء أبو زكريا التِّبريزي فجمع بين كلام ابن جنّي والمعري.

---

(١) في وفيات الأعيان ١/ ١٢٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٦٦: سرب.

(٢) تمامه: فدا كل ماشية الهيذبى، وهو في ديوانه بشرح البرقوقي ١/ ١٦٠، والخيزلى: مشية للنساء فيها استرخاء وتثاقل.

(٣) في (ف م م١): والمنازل.

(٤) بعدها في (ف م١): وشعره مشهور، انتهت ترجمة المتنبي، وفي (م): وشعره مشهور بين الناس، وله ديوان معروف، انتهت ترجمته.

قلت: وقد أثبت المصنِّف رحمه الله في هذه الترجمة جملةً وافرةً من شعر المتنبي، وشرح ما فيها من الغريب، وهي على حروف المعجم، فأضربتُ عن ذكر شيءٍ منها؛ وذلك لاشتهار شعر المتنبي بين الناس، والله أعلم.

علي بن محمد

ابن [أحمد بن] إسحاق [بن] البُهلول، أبو الحسن(١).

تفقَّه على مذهب أبي حنيفة، وتقلَّد قَضاءَ الأنبار وهِيت وغيرها، وكانت وفاته في بغداد في ربيع الأول.

[وفيها توفي]

محمد بن حِبّان

[بكسر الحاء] ابن أحمد بن حِبّان، أبو حاتم، البُسْتيّ، الحافظ.

[رحل إلى العراق والبصرة والأهواز والكوفة وبغداد والجزيرة والشام ومصر والحجاز، وكتب بنَيْسابور وبُخارى.

وأثنى عليه الأئمة؛ فقال الحاكم في «تاريخ نيسابور»: كان حافظاً، عالماً، حجة، توفي بداره ببُسْت](٢)، وهي اليوم مدرسةٌ لأصحاب الحديث والفقه، وعليهم الجِرايات، وفيها خزائن كُتبه.

وكان عارفاً بالحديث والفقه والطب والفلسفة والهندسة والوَعْظ.

وله التصانيفُ الحِسان، [والمسند وهو الصحيح، والتاريخ، وغير ذلك.

وكان قد] ولي القضاء بسَمَرْقَند مدّةً طويلة [، ثم انتقل إلى بُسْت وتوفي بها كما ذكر الحاكم.

---

(١) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ١٣/ ٥٥٧، والمنتظم ١٤/ ١٧٠. وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١)، جاء بدلها في (خ): كان بسجستان، وانظر في ترجمته: تاريخ دمشق ٦١/ ٢٥٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٧٣، والسير ١٦/ ٩٢ والمصادر في حواشيها.

وقال غيره: توفي بسجستان. وقول الحاكم أصح.

وذكره ابن ماكولا فقال: العالم الجليل كثير التصانيف، سمع خلقاً كثيراً من أهل الأمصار منهم: الحسن بن سفيان وطبقته، ومن أهل الشام: مَكْحولاً البَيْروتي، وأبي الحسن بن جَوصا، وأبي يَعلى المَوْصلي وغيرهم.

وروى عنه الحاكم أبو عبد الله، وأبو بكر النُّوقاني، والدارقطني، وشيوخ الخطيب وغيرهم، واتفقوا عليه. والله أعلم بالصواب].

محمد بن الحسن

ابن يعقوب بن الحسن بن الحسين بن مِقْسَم، أبو بكر، العَطَّار، المُقرئ.

ولد سنة خمس وستين ومئتين ببغداد، سمع الحديث الكثير، ولم يكن له ما يُعاب به؛ إلا أنه قرأ بحروفٍ خالف فيها الإجماع، ولما شاع عنه ذلك أنكر عليه العلماء، وارتفع أمرُه إلى السلطان، فأحضره، واستتابه بحضرة الفقهاء فتاب، وقيل: إنه لم يرجع.

وقال أبو أحمد الفَرضي: رأيتُ في المنام غير مرة كأني في المسجد الجامع أصلّي مع الناس، ورأيتُ ابنَ مِقْسم يَستدبر القبلة وظهرُه إليها، فأوَّلْتُ ذلك مخالفتَهُ الإجماع فيما اختار لنفسه من القراءات.

وكانت وفاتُه في ربيع الآخر ببغداد، وكان ثقةً في الحديث، جاهلاً فيما ابتدع من القراءات[1].

محمد بن عبد الله

ابن إبراهيم بن عَبدويه، أبو بكر الشافعي.

وُلد سنة ستين ومئتين، وسكن بغداد.

وكان إماماً، عالماً، نبيلاً، عاقلاً، صَنَّف كتباً كثيرة فأحسن التصنيف.

---

(١) تاريخ بغداد ٢/ ٦٠٨، والمنتظم ١٤/ ١٧٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٧٤.

ولما مَنعت الدَّيْلَمُ الناسَ أن يذكروا فضائل الصحابة ﷺ، وكتبوا بسبِّ السَّلف على المساجد كان أبو بكر يتعمَّد في ذلك الوقت إملاءَ فضائل الصحابة في الجامع ومسجدٍ قُرْبَه[1].

وكانت وفاته في ذي الحجّة، ودُفن قريباً من الإمام أحمد رحمة الله عليه.

وأجمعوا على صدقه، وثقته، وديانته، وزَهادته[2].

(١) في تاريخ بغداد ٣/ ٤٨٣، والمنتظم ١٤/ ١٧٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٧٦: إملاء الفضائل في جامع المدينة وفي مسجده بباب الشام ويفعل ذلك حسبة ويعده قربة.

(٢) هذه الترجمة والتي قبلها ليستا في (ف م م١).

السنة الخامسة والخمسون وثلاث مئة

وفيها في يوم عاشوراء عُمل مثل ما عُمل في السنة الماضية ببغداد من النَّوْح وغيره، وورد الخبر بأن بني سليم قطعوا الطريق على قافلة الحاج من المغرب ومصر والشام في سنة أربع وخمسين وثلاث مئة، وكانت قافلةً عظيمة فيها عشرة آلاف جمل من دق مصر[١]، ومن متاع المغرب اثنا عشر ألف جمل، وكانت الأموال في الأعدال، [قال ثابت بن سنان:] وكان لقاضي طَرَسوس ـ ويعرف بالخواتيمي ـ فيها مئةٌ وعشرون ألف دينار، وأخذ بنو سليم الجِمال بأحمالها، وتلف أكثر الناس بالمشي والجوع والعطش كما جرى في نَوبة القِرمطي، ومن الناس من عاد[٢] إلى مصر، ومنهم من قصد الشام، والغالب على أكثرهم التلف.

وفيها فتح مُعِزُّ الدولة عُمان؛ جَهَّز إليها جيشاً فقتل من أهلها مَقتلةً عظيمة، وكان صاحبها عمران بن شاهين، فانهزم منها، وكان مُعزُّ الدولة مُقيماً بواسط، فرجع إلى بغداد، وخلف غلمانه وعسكره بواسط على أن يعود، وكان عَليلاً.

وفيها عاد سيف الدولة من مَيّافارِقين إلى حَرّان، وجرى من عُمّاله على أهل حَرَّان جَورٌ شديد، وظُلمٌ وعَسْف.

وفي رجب تمَّ الفداءُ بين سيف الدولة والروم، وتَسَلَّم سيف الدولة أبا فراس بن حمدان [واسمه: الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدان]، والقاضي أبا الهيثم بن أبي الحُصَين.

وفيها أمر معزُّ الدولة أن يُبنى موضعُ السِّجن المعروف بالجديد ببغداد مارَسْتاناً، وأمر أن يوقف عليه الأوقاف، وشرعوا في بناء المُسَنّاة، وأن يكون مَغَلُّ الضياع الموقوفة عليه في كل سنة خمسة آلاف دينار، فمات قبل أن تتم.

وفيها وَرَد جيشٌ عظيم إلى الرّيِّ من خُراسان، فيه بضعة عشر ألف رجل من التُّرك وغيرهم يريدون غزو الروم، فحمل إليهم ركن الدولة من الأطعمة والدواب والثياب شيئاً كثيراً، ثم إن هؤلاء الغُزاة ركبوا يوماً ودخلوا الرَّي، فقتلوا من وجوه قوَّاد ركن

(١) بعدها في (م م١): اثني عشر ألف حمل من المغرب. وانظر المنتظم ١٤/ ١٧٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٧.
(٢) في (م م١): رجع.

الدولة جماعةً، ونهبوا دار أبي الفضل بن العَميد وزير ركن الدولة، فحاربهم ركن الدولة، فقتل منهم نحواً من خمسة آلاف، وقيل: ألفاً وخمس مئة، وتفرَّقوا في النَّواحي فلم يجتمعوا.

وفيها ردَّ مُعزُّ الدولة مَواريثَ ذوي الأرحام، وقيل: في أول وِلايته.

وفيها وصلت الروم إلى آمِد، فأقاموا عليها أياماً، فلم يقدروا على فتحها، فنهبوا ضياعها وضياع مَيّافارِقين، وجاؤوا إلى نَصيبين، فأخرَبوا وسَبَوا وقتلوا، وعادوا إلى بلادهم.

وفيها حاصر ملك الروم أنطاكية، فقاتله أهلها، فلم يَقدر على فتحها، فانصرف عنها إلى طَرَسوس بعد أن أخرب ما حول أنطاكية.

وملك أبو الفضل بن العميد وزير ركن الدولة أذْرَبيجان، وأقام بها.

وحج بالناس أبو أحمد الحسن بن موسى نقيب الطالبيين.

[فصل وفيها توفي

أحمد بن عبد الرحمن بن الفضل

أبو بكر، العِجْليّ، البغدادي، الدَّقَّاق، ويعرف بالوليّ.

سمع الحديث وتوفي ببغداد في رجب، سمع عبد الله بن محمد بن ناجية وغيره.

وروى عنه أبو إسحاق الطبري وغيره.

وأخرج له الخطيب حديثاً عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «إذا أُتي أحدكم بهدية فجُلساؤه شُركاؤه فيها»، والله أعلم.][1]

وفيها توفي

الحسين بن داود

ابن علي بن عيسى بن محمد بن القاسم بن الحسن بن زيد بن الحسن بن علي بن أبي طالب عليهم السلام.

(١) هذه الترجمة من (ف م م١)، وليست في (خ)، وانظر تاريخ بغداد ٥/ ٤١٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٨٠.

[ذكره الحاكم أبو عبد الله في «تاريخه» وقال: كان الحسين بن داود] شيخ آل رسول الله ﷺ في عصره بخراسان، وسيد العَلَوية في أيامه، وكان من أكثر الناس صلاةً وصدقةً ومحبَّةً لأصحاب[١] رسول الله ﷺ، [صحبتُه بُرْهةً من الدهر، فما سمعتُه] ذكر عثمان إلا قال: أمير المؤمنين الشهيد رضي الله عنه وبكى، وما سمعته يذكر[٢] عائشة رضي الله عنها إلا وقال: الصديقة بنت الصديق حبيبة رسول الله ﷺ وبكى.

وما زال آباؤه محترمين مُعَظَّمين، فكان أبوه داود بن علي المُنْعِم على آل رسول الله ﷺ في عصره، وكان علي بن عيسى زاهد العلوية في عصره، ويلقب بالفَيَّاض لكثرة عطاياه[٣]، وجدُّه محمد بن القاسم نادم المأمون، ويقال للقاسم: راهب آل محمد ﷺ في عصره، وكان الحسن بن زيد أميرَ المدينة في عصره، وشيخَ مالك بن أنس وأستاذَه، وروى عنه في «الموطأ».

وقال الحاكم أبو عبد الله: سمعتُ الحسين بن داود يقول في ربيع الآخر من هذه السنة: رأيتُ رؤيا عجيبة، فسألته عنها فقال: رأيتُ في المنام كأني على شطّ بحر، وإذا بَزورقٍ كأنه البرق يمرّ، فقالوا: هذا رسول الله ﷺ فقلت: السلام عليك يا رسول الله، [فقال: وعليك السلام، فما كان بأسرع من أن رأيت زورقاً آخر قد أقبل، فقالوا: هذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقلت: السلام عليك يا أبه، فقال: وعليك السلام، فما كان بأسرع من أن جاء زورق آخر، فقالوا: هذا الحسن بن علي، فقلت: السلام عليك يا أبه، فقال: وعليك السلام، فما كان بأسرع من أن جاء زورق آخر ليس فيه أحد] فقلت: لمن هذا الزورق؟ فقالوا: لك.

قال الحاكم: فما أتى عليه بعد هذه المدة أو الرؤيا أقل من شهر حتى توفي[٤].

(١) في (خ): لآل، والمثبت من (ف م١)، وانظر المنتظم ١٤/ ١٧٦، وتاريخ بغداد ٨/ ٥٧٨، وتاريخ الإسلام ٨/ ٨١.

(٢) في (خ): ويبكي وما ذكرت، والمثبت من (ف م م١).

(٣) في المنتظم ١٤/ ١٧٦: وكان عيسى يلقب بالفياض لكثرة عطاياه.

(٤) ما بين معكوفين من (ف م م١)، والخبر في المنتظم ١٤/ ١١٧.

وكانت وفاته يوم الاثنين ثاني عشر جمادى الآخرة بين الظهر والعصر [في هذه السنة.

سمع من جعفر بن أحمد الحافظ، وعبد الله بن محمد بن شيرويه، وأبي العباس الثَّقَفي وغيرهم.

وروى عنه الحاكم وغيره.]

محمد بن الحسين

ابن علي بن الحسن بن يحيى بن حسَّان بن الوضَّاح، الأنباريّ الشاعر.

انتقل إلى نيسابور فسكنها، وكانت وفاته بها في رمضان.

ومن شعره: [من الطويل]

سقى الله بابَ الكَرْخِ رَبْعاً ومَنزلاً ... ومَن حَلَّه صَوْبَ السَّحابِ المُجَلْجِلِ
رأى عَرَصاتِ الكَرْخ أو حَلَّ أرضَها ... لأَمْسَكَ عن ذكرِ الدَّخولِ فحَوْمَلِ[1]

[وفيها توفي]

محمد بن عمر

ابن سالم بن البراء بن سَبْرة، أبو بكر، ابن الجِعابي، قاضي المَوْصل.

ولد في صفر سنة أربع وثمانين ومئتين، وكان أحدَ الحُفَّاظ المجَوِّدين [، صحب أبا العباس بن عُقْدة، وأخذ عنه الحفظ]، وله تصانيف كثيرة في علوم الحديث.

[وحكى الخطيب عنه أنه] دخل الرقّة، فقال لغلامه: لي عند فلان قِمَطْران من كتب، فاذهب فأتني بهما، فعاد الغلام مَغْموماً وقال: ضاعت الكتب، قال: فقلتُ له: لا تَغتمّ فإن فيها مئتي ألف حديث لا يُشْكِل عليَّ منها إسناد ولا متن.

وكان أحفظَ أهل بغداد، وأعرفَهم بعلل الحديث، وأسماء الرجال وأنسابهم وكُناهم وضعفائهم، وانتهى إليه العلم حتى لم يبق في زمانه مَن يتقدَّمه فيه في الدنيا.

---

(١) بين هذا البيت وسابقه سبعة أبيات، انظر تاريخ بغداد ٣/ ٣٤، والمنتظم ١٤/ ١٧٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٨٤. وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

[وحكى الخطيب عنه أنه] قال: أحفظ أربع مئة ألف حديث، وأُذاكر بست مئة ألف حديث.

وكانت وفاته في رجب ببغداد(١).

وقد تكلموا فيه: قال البرقاني: ما علمتُ فيه إلا خيراً، وقال الخطيب: كان يسكن باب البصرة ويَتشيَّع، وصُلِّي عليه بجامع المنصور، وحُمل إلى مقابر قريش فدُفن بها. وكانت سُكينة نائحة الرَّافضة تنوحُ عليه في جنازته، وكان أوصى أن تُحرق كتبُه بعد موته، فأُحرقت جميعها [، وأُحرقت معها كتب الناس، منها مئة وخمسون جزءاً لأبي الحسين بن البوَّاب.

وحكى الخطيب أيضاً عن البرقاني أنه قال: كان له علم بمعرفة الشيوخ والإخوة والأخوات وتواريخ الأمصار، وكان كثير الغرائب، ومذهبه مذهب الشيعة معروف.

وحدّث ببغداد وأصفهان ودمشق وحلب والعواصم وغيرها، وسمع خلقاً كثيراً، وروى عنه جمٌّ غَفير، إلا أنه] تغير في آخر عمره، [وأمر بإحراق كتبه لأنه] عاشر المتكلّمين، وترك الصلاة والصوم فسقط من عيون البغداديين، فخرج من بغداد إلى دمشق، فأخرجه أهلُها، فرجع إلى بغداد [فمات بها في هذه السنة.

وقال الخطيب:] كان يشرب الخمر مع [الرئيس أبي الفضل بن] العَميد.

وقال الدارقطني: كان يكتُب على رجله بالمِداد وهو نائم، وكان يبقى أياماً لا يغسلها.

[وحكى الحاكم أن البرقاني قال وقد سئل عنه: خلط، وكذا قال الدارقطني.

وقد ذكر له الخطيب معظماً(٢) من شعره، منها أنه قال:](٣) [من الخفيف]

يا خليليَّ جَنِّباني الرَّحيقا إنني لستُ للرَّحيقِ مُطيقا

---

(١) في (ف م م١) بعدها: سمع أبا بكر النيسابوري وابن رزقويه وشيوخ الخطيب. والذي في تاريخ بغداد ٤/ ٤٢، والمنتظم ١٤/ ١٧٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٨٥ أنه رأى أبا بكر النيسابوري وروى عنه ابن رزقويه والدارقطني وابن شاهين وابن الفضل القطان وأبو نعيم الحافظ وغيرهم.

(٢) كذا، ولعلها قطعاً.

(٣) ما بين معكوفين من (ف م م١)، بدله في (خ): وقال الخطيب من شعره. وانظر تاريخ بغداد ٤/ ٤٧.

غـيـر أنـي وَجَـدتُ لـلـكـأس نـاراً تُـلـهِـبُ الـجـسـمَ والـمِـزاجَ الـرَّقـيـقـا

ومنه أيضاً[١]: [من الخفيف]

وإذا جُـدتَ لـلـصَّـديـقِ بـوَعْـدٍ فـصِـلِ الـوَعْـدَ بـالـفَـعـالِ الـجَـمـيـلِ
لـيـس فـي وَعْـدِ ذي الـسَّـمـاحـةِ مَـطْـلٌ إنـمـا الـمَـطْـلُ[٢] فـي وعـود الـبـخـيـلِ

قال المصنف رحمه الله: يا سبحان الله[٣]، أما كان في محاسنه ما يُغَطِّي بعضَ مساوئه، ولله در الشّبلي حيث يقول: [من الوافر]

إذا عـاتـبـتُـه أو عـاتـبـوه شـكـا جُـرْمـي وعَـدَّد سَـيِّـئـاتـي
أيـا مَـن دَهـرُه غَـضَـبٌ وسُـخْـطٌ أمـا أَحْـسَـنْـتُ يـومـاً فـي حـيـاتـي[٤]

(١) في (ف م م١): وأنشد له أيضاً، والمثبت من (خ)، والبيتان في تاريخ دمشق ٦٣/ ٤٦٤.
(٢) في (خ): الوعد.
(٣) في (ف م م١): قلت يا سبحان الله.
(٤) سلف البيتان في ترجمة الشبلي ص٢٤١ من هذا الجزء.

السنة السادسة والخمسون وثلاث مئة

فيها عُمل يوم عاشوراء ما عُمل في السنين الماضية، ومات سيف الدولة بن حَمْدان في صفر، ومات مُعزُّ الدولة في ربيع الآخر، وقبض أبو تَغْلب الغَضَنْفَر على أبيه ناصر الدولة في جُمادى الأولى، وكان قد ساءت أخلاقُه، وتَغَيَّرت أحوالُه، فقبضه وهو نائم في فراشه، وبعث به إلى القلعة المعروفة بكواشى، وأنفذ معه أخاه أبا البركات بن ناصر الدولة مُوَكَّلاً به - وهو أمرد - وطريف الخادم، فانتبه وهو محمولٌ على فراشه، ورآهم متوجّهين به إلى ناحية دجلة فقال: أتريدون أن تُغرقوني؟ فقالوا: لا، ولكن نَمضي بك إلى القلعة، فقال: غَطُّوني حتى أنام.

ولما وصل إلى أسفل القلعة حملوه وأصعدوه، وكانت عادتُه إذا جاء إلى هذه القلعة، وأصعَدَه إليها أهلُها؛ أعطى كلَّ واحد خمسةَ دنانير، فلما رَقوه في هذه النَّوبة وقفوا ينتظرون ما جرت به العادة، ولم يعلموا أنه مَقبوضٌ عليه، فقال لهم: أي شيءٍ تريدون؟! فوالله لقد أصبحتُ لا أملك لا صَفراء ولا بيضاء، فانصرفوا عنه.

وكان الغَضَنْفَر قد طالب أباه بميراثه من أمِّه الكردية - وهي فاطمة بنت أحمد بن علي الكردي - فتهدَّد بمكروه، وخاف منه.

ولما بعث به إلى القلعة أمر مَن يَحفظُه أن لا يُجيبه عن شيءٍ يسأله عنه البتّة، وكان قد وَكَّل به في القلعة رجلاً من الأكراد شديدَ البُغْضِ له، وخادماً كان بهذا الوصف له طَرَده دفعات، وكان إذا سألهما عن خبر أولاده وخبر أبي تَغْلب، وأين هو، وأي شيء يعمل؛ يُجيباه بغير هذا فيقولان: تُريد أن تأكل، تريد أن تشرب!؟ فيقول: ليس عن هذا سألتُكم، فيقولون: بهذا أُمِرْنا أن نُخاطبك لا غير، فكان هذا أمرَّ عليه من الحبس.

وفي شعبان خُلع على القاضي أبي محمد عُبيد الله بن أحمد بن مَعروف، وقُلّد القضاء بالجانب الغربيِّ من مدينة السلام، ومدينة أبي جعفر، وحَريم دار السلطان، وقُلّد القاضي أبو بكر أحمد بن سيَّار القضاءَ مما بقي من الجانب الشرقي من بغداد، وبعد مُدَيدة قُلِّد القاضي ابن مَعروف الإشرافَ على الحكماء[1] على ما ذكرنا أنه قُلّده من القضاء[2].

---

(١) كذا، وفي المنتظم ١٤/ ١٨٢: الإشراف على الحكم والحكام.

(٢) من قوله: وقبض أبو تغلب الغضنفر... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفي شعبان مات الأمير هارون بن المعتضد.

وفيها[١] ورد الخبر بأن غِلمان سيف الدولة نَصَّبوا ابنَه أبا المعالي شريف مكان أبيه، ومَضَوا إلى مَيَّافارِقين حتى يسيروا به إلى حلب، واجتازوا بديار مُضَر، وأقطع بها ضياع هبة الله بن ناصر الدولة لبني نهر[٢]، ثم سار إلى حلب.

وسار أبو المُظَفَّر حَمْدان بن ناصر الدولة من الرَّحْبَة إلى الرقَّة فأقام بها، وكان قد قلَّد حربَها وخراجَها أبا الهيثم بن القاضي أبي حُصين، فأوقع بأهلها المَكاره، وأخذ منهم ثلاث مئة ألف درهم فدفعها إلى حَمْدان، ومن جُملة من صادر قاضيها ابن حبيب من أهلها.

وكان مسير حمدان إلى الرقة مُقارَبةً لأخيه أبي تغلب حيث قبض أباه، واستوحش من أخيه، وبعث إليه، وطلب أباه، فسار إليه أبو تغلب بعسكر حلب، فتحصّن حمدان بالرَّافقة، وأغلق أبوابها.

وبعث أبو تغلب أخاه أبا البركات إلى الرَّحْبَة ليَنزعها من نائب حمدان أخيه، فأغلقت زوجتُه ـ وهي بنت أبي العلاء سعيد بن حمدان ـ أبواب الرَّحْبة. واتفق إخوة أبي تغلب على رئاسته عليهم، وكتب أبو تغلب إلى عزّ الدولة بختيار يسأله أن يقومَ مقام أبيه في ضمان البلاد بما كان في زمن معزّ الدولة؛ وهو ألف ألف ومئتا ألف درهم في كل سنة، فدخل عز الدولة على الخليفة في ذي القعدة ـ وهو أول يوم دخل عليه فيه بعد موت أبيه ـ فقرَّر أمر أبي تغلب، وأخذ له الخِلَع واللواء والعهد، وأضاف إلى الجزيرة قِنَّسْرين[٣] والعواصم وما كان بيد سيف الدولة، وقرَّر عليه مالاً آخر عن هذه البلاد.

وحج بالناس أبوَ أحمد النَّقيب.

(١) من هنا إلى قوله: وحج بالناس أبو أحمد النقيب، ليس في (ف م م١).
(٢) كذا، ولم أقف على صوابها.
(٣) في (خ): وجند قنسرين؟!

وفيها توفي

أحمد بن بُوَيْه

أبو الحُسين، الدَّيْلَميّ، الملقَّب مُعزُّ الدولة.

كان يَحتطب على رأسه، ثم ملك البلاد، وقدم بغداد سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، ودخل على المستكفي، وسَمَلَه، ونهبَ دار الخلافة، وقد ذكر ذلك في السنين.

ذكر وفاته:

أصْعَدَ من واسط وهو عَليل من تَنْعيظةٍ لحقته في ذلك اليوم؛ وهو يوم الأربعاء لليلتين بقيتا من شهر ربيع الأول، وعرض له قَذْفٌ مُتَّصل[١]، وخَلّف عَسكرَه وغلمانَه وجميعَ جيشه بواسط مع الحاجب سُبُكْتِكين، على أن يُقيم ببغداد عشرين يوماً، ثم يعود لاستتمام ما شرع فيه من أمر العُمران، ووصل إلى بغداد يوم السبت لليلة خلت من شهر ربيع الآخر، وزادت علَّته، ولحقه شخٌّ عظيم، ولم يكن يبيت الغذاءُ في معدته، فمات يوم الاثنين لثلاث عشرة بقيت من ربيع الآخر بعد المغرب؛ وهو أول يوم من نيسان، ودُفن بداره التي بناها من الغد بعد أن أظهر التَّوبةَ من ذنوبه، ورفع ضمان الشّرط والحِسْبة والقَبّان ببغداد، ورَدَّ على القاضي أبي تمام الحسن بن محمد الهاشمي ما أخذ من ضِياعه، واعتقد أنه بردِّ المظالم يُمَدُّ له في العمر.

وكانت إمارته إحدى وعشرين سنة وأحد عشر شهراً ويومين.

وقال الخطيب[٢]: لما نزل به الموت أمر بأن يُحْمَل إلى بيت الذَّهب، وطلب القاضي أبا تَمَّام؛ وكان قد صادره وأخذ مالَه وضياعه فردها عليه، وبكى وتاب، وحضر وقتُ الصلاة، فقام القاضي ليخرج، فقال له: إلى أين؟ قال: أصلي، قال: صل ها هنا، قال: هذه دار مَغصوبةٌ لا تصحُّ الصلاةُ فيها[٣].

---

(١) ذكر مترجمو معز الدولة أنه توفي بعلة الذَّرَب أو الإسهال أو داء البطن، انظر تكملة الطبري ٤٠٧، والمنتظم ١٤/ ١٨٣، والكامل ٨/ ٥٧٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ٩٢، والسير ١٦/ ١٨٩، والمختصر في أخبار البشر ٢/ ١٠٦، والوافي بالوفيات ٦/ ٢٧٨، والبداية والنهاية ١١/ ٢٦٣، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٤، وشذرات الذهب ٣/ ١٨.

(٢) كذا نسب القول إلى الخطيب، ولم نقف عليه في تاريخه، ولم يترجم لمعز الدولة، وهو في المنتظم ١٤/ ١٨٣ من كلام ابن الجوزي.

(٣) هذه الحادثة في تكملة الطبري ٤٠٧ منسوبة إلى أبي عبد الله البصري وصاحبه أبي القاسم الواسطي.

وكان معزُّ الدولة أوَّلَ مَن أحدث ببغداد سبَّ الصحابة، ويوم عاشوراء، ويوم الغَدير، ونحو ذلك، وسأل القاضي عن الصحابة ﷺ،فذكر سَوابقَهم، وأن علياً رضوان الله عليه زَوَّج عمر رضوان الله عليه ابنتَه أم كلثوم، فاستعظم ذلك وقال: والله ما علمتُ بهذا، وتصدَّق بأموالٍ كثيرة، وأعتق مماليكه، وردَّ كثيراً من المظالم، وبكى حتى غُشي عليه.

وقال أبو الحسين العَلَويّ: بينا أنا في داري على دجلة بمَشْرَعة القَصَب؛ في ليلة ذات غَيْمٍ ورَعدٍ وبَرقٍ ومَطر إذ سمعتُ هاتفاً يقول: [مجزوء الكامل]

لـمَّـا بَـلـغـتَ أبـا الـحـسـيـ ـنِ مُـرادَ نَـفْـسِـك فـي الـطَّـلَـبْ
وأَمِـنْـتَ مـن نُـوَبِ الـلَّـيـا لـي واحْـتَـجَـبْـتَ عـن الـنُّـوَبْ
مُـدَّت إلـيـك يـدُ الـرَّدى فـأُخِـذْتَ مـن بـيـتِ الـذَّهَـبْ[1]

فمات في تلك الليلة.

وكان له هَناتٌ وحَسَنات، أما الحسنات فكان قد سَدَّ فُوَّهَةَ نهر الرُّفَيْل، وشَقَّ النَّهْرَوانات، وعمل المغيض بالسِّنْديَّة، وردَّ مواريثَ ذوي الأرحام.

ولما توفي جلس مكانَه ولدُه بختيار بعهدٍ منه، وجاء في ذلك اليوم مطرٌ شديد، وبعث بختيار مَن حفظ شوارع بغداد، وبعث إلى الحاجب سُبُكْتِكين بأن يَقْدم من واسط بالعساكر، فقدم، وركب بختيار للقائهم ـ ويقال: إن المطيع أيضاً ركب ـ فلما أقبل عزُّ الدولة؛ وأذناب خيله مُهْلَبة[2]، وسُروجه مُقْلَبة، ولم يره الناس في صدر المَوكب على عادته ارتفع الضَّجيجُ والصُّراخ، وبكا بختيار والمُطيع والرجال والنساء، فلم يُرَ ببغدادَ باكياً مثل ذلك اليوم، واشتغل الناسُ بالحُزن عليه عن الحركة؛ حتى الشطار والجُند، ودفع بختيار للجُنْد رزقاً منه، وقام بالأمر أحسن قيام.

(١) تكملة الطبري ٤٠٩، والمنتظم ١٤/ ١٨٣، ووفيات الأعيان ١/ ١٧٦، والوافي ٦/ ٢٧٩.
(٢) يعني مقطوعة أو منتوفة الشعر.

أحمد بن عبد الله

ابن محمد المُزَنيّ، أبو محمد، الهَرَوي، المُغَفَّلي. منسوب إلى عبد الله بن مُغَفَّل الصحابي رضي الله عنه.

من أعيان أهل خُراسان، سافر إلى البلاد، وتوفّي ببُخارى في رمضان، وحمل الوزير أبو عبد الله البَلْعَمي بهَراة[١].

وكان قد جاور بمكة، وحجَّ بالناس، وخطب بمكة، وقُدِّم إليه المقام وهو قاعد في البيت جوفَ الكعبة، ولم يكن هذا لغيره.

وكان لما جاور بمكة جاءه كتاب من مصر بأن يُقيم الحج للناس، ويصلي بعرفات ومنى، ففعل، وأتمّ الصلاة بمنى، فأنكروا عليه فقال: أنتم سَفْر وأنا مُقيم.

أسند عن خلقٍ كثير، وأجمعوا على فضله ودينه وصدقه وأمانته.

ومن شعره: [من الوافر]

نَزلْنا كارهين بها فلما ... أَلِفْناها خَرَجْنا مُكْرَهينا
وما حُبُّ الدِّيارِ بنا ولكن ... أَمَرُّ العيشِ فُرْقَةُ مَن هَوِينا

جعفر بن أحمد بن الحارث

أبو محمد، المَراغيّ.

مُحَدِّث مَشهور قال: أنشدني منصور بن إسماعيل الفقيه: [مجزوء الكامل]

الكَلْبُ أحسنُ عِشْرةً ... وهو النِّهايةُ في الخَساسَهْ
ممَّن ينازع في الرِّئا ... سةِ قبلَ أوقات الرِّئاسهْ[٢]

قال: وأنشدني منصور أيضاً:

لي حِيلةٌ فيمَن يَنُمُّ ... وليس في الكذَّابِ حيلهْ
مَن كان يَخلُق ما يقو ... لُ فحيلتي فيه قليلهْ[٣]

(١) في تاريخ الإسلام ٨/ ٩٤، والسير ١٦/ ١٨٣، وطبقات السبكي ٣/ ١٩: قال الحاكم: ورأيت الوزير أبا علي البلعمي وقد حمل في تابوته وأحضر إلى باب السلطان يعني ببخارى للصلاة عليه.

(٢) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٨٠، وشعب الإيمان (٧٩١٥)، وجامع بيان العلم (٩٨٤)، وانظر تاريخ الإسلام ٨/ ٩٧.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ٦/ ٨٠، والسير ١٤/ ٢٣٨.

عليّ بن الحسين

ابن محمد بن أحمد بن الهيثم بن عبد الرَّحمن بن مروان بن عبد الله بن مروان بن محمد بن مروان بن الحكم بن أبي العاص، أبو الفَرَج، الأَصْبَهاني، الأُمويّ، الكاتب.

ولد سنة أربع وثمانين ومئتين، وكان عالماً بأيام الناس، والأنساب، والسِّيَر، والآداب، والأخبار.

وكان شاعراً مُحْسِناً، وصنَّف كُتباً كثيرة منها: «الأغاني الكبير»، و«مُجَرَّد الأغاني»، و«مقاتل الطالبيين»، و«الدِّيارات»، و«آداب الغُرباء»، و«أخبار الإماء الشواعر»، و«مرج البحرين»[1]، و«أيام العرب» ذكر فيه ألفاً وسبع مئة يوم، ووقع له بالأندلس مصنَّفات لم تصل إلى هذه البلاد، منها كتاب: «نسب بني عبد شمس»، وكتاب «التَّعديل»، و«نسب بني شيبان»، و«نسب المَهالبة»، و«بني تغلب» و«بني كلاب»، وكتاب « الغلمان»، وغير ذلك.

ومات ببغداد في ذي الحجة هذه السنة، وقيل: سنة سبع وخمسين وثلاث مئة.

حدَّث عن خلق كثير، وكان الغالب عليه رواية الأخبار والآداب، وقد طُعن عليه من حيث الديانة لا من حيث الرواية، وكان يتشيّع.

قلت: وقد ذكره قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خَلِّكان رحمه الله في كتابه المسمى بـ«وفيات الأعيان»، وقال: كان مُنقَطِعاً إلى الوزير المُهَلَّبي، وله فيه مدائح، فمن شعره فيه: [من الطويل]

ولـمـا انْـتَـجَـعْـنـا لائـذيـن بـظِـلِّـه ... أعـان ومـا عـنَّـى ومَـنَّ ومـا مـنَّـا
ورَدْنـا عـلـيـه مُـقـتِـريـن فـراشَـنـا ... ورُدْنـا نَـداه مُـجْـدِبـيـن فـأَخْـصَـبْـنـا

قال: وله فيه من قصيدة يُهَنِّئه بمولودٍ جاءه من سُرِّيّة رومية: [من الكامل]

اسْـعَـد بـمـولـودٍ أتـاك مُـبـاركـاً ... كـالبَـدْرِ أشـرقَ جُـنْـحَ لـيـلٍ مُـقْـمِـرِ
سَـعْـد لـوقـتِ سـعـادةٍ جـاءت بـه ... أمٌّ حَـصـانٌ مـن بـنـاتِ الأَصْـفَـرِ

---

(١) لم أقف على من ذكره له.

مُتَبَجِّحٌ فـي ذِرْوَتَـيْ شَـرَفِ الـورى   بيـن الـمُـهَـلَّـبِ مُـنْـتَـمـاه وقـيـصـرِ
شمسُ الضُّحى قُرِنتْ إلى بدرِ الدُّجى   حتى إذا اجـتـمـعـا أتـتْ بـالـمُـشْـتـري

وكتب إلى بعض الرؤساء وكان مريضاً: [من البسيط]

أبـا مـحـمـدٍ الـمـحـمـود يـا حَـسَـنَ الـ   إحسان والجود يا بحرَ النَّدى الطَّامي
حـاشـاك مـن عَـوْدِ عُـوَّادٍ إلـيـك ومـن   دواءِ داءٍ ومـــن إلـــمـــام آلام[1]

[وفيها توفي]

سيف الدولة

علي بن عبد الله أبي الهيجاء بن حَمْدان بن حَمْدون، أبو الحسن[2].

سيّدُ بني حمدان وصَدْرُهم ومَن يدور عليه أمرُهم.

[قال الحافظ ابن عساكر:] وُلد في ذي الحجة سنة إحدى وثلاث مئة، وقيل: سنة ثلاث وثلاث مئة، ونشأ في الجزيرة، وتعلَّم الفروسية وبَرَع فيها، وقدم الشام سنة ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، وجرت له مع الإخشيد وقائع، فلما مات الإخشيد بدمشق سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، وتوجَّه كافور مع أنوجور إلى مصر، جاء سيف الدولة فأخذ دمشق، وركب فسايره الشَّريف العَقيقي، فجَرت مُباحثة، فقال سيف الدولة: مُمازحاً للعقيقي: ما تصلح هذه الغوطة إلا لرجلٍ واحد، فأخبر العقيقي أهلَ دمشق، فكتبوا إلى كافور وأنوجور بالقدوم عليهم ليساعدوهما على سيف الدولة، فجاءا فدفعاه عنها، وصالحاه على أن يكون بيده ما كان بيده زمن الإخشيد وهي: حمص وحلب وأنطاكية والثغور، فعاد إلى حلب وأقام يجاهد الروم إلى أن مات[3].

وذكره أبو منصور الثعالبي في كتاب «يتيمة الدهر» فقال: كان بنو حَمْدان ملوكاً[4]، أوجُههم للصَّباحة، وألسنتُهم للفصاحة، وأيديهم للسَّماحة، وعُقولهم للرَّجاحة،

(١) وفيات الأعيان ٣/ ٣٠٨، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ١٣/ ٣٣٧، ومعجم الأدباء ١٣/ ٩٤، والمنتظم ١٤/ ١٨٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٠٠، والسير ١٦/ ٢٠٢. ومن ترجمة أحمد بن بويه إلى هنا ليس في (ف م ١).

(٢) بعدها في (ف م ١): وسنذكر سنه في ترجمة أخيه ناصر الدولة وبدايتهم، وكان أبو الحسن علي بن عبد الله يلقب بسيف الدولة.

(٣) تاريخ دمشق ٥١/ ١٩ ـ ٢٠.

(٤) في (خ): وقال الثعلبي: كانوا بنو حمدان ملوكاً، والمثبت من (ف م ١).

وسيف الدولة مَشهور بسيادتهم، كان غُرَّةَ الزمان، وعماد الإسلام والإيمان، وبه سِدادُ الثُّغور، وقِوام الأمور، ووقعاتُه في طوائف العرب مشهورة، وصَرْعاته لهم مأثورة، ولم يزل يَفُلُّ أنيابها، ويُذِلُّ صِعابَها، وغزواته تُدرِك من طاغية الروم بالثار، ويُحسِن في الإسلام الآثار، وحضرتُه مَقْصِدُ الوفود، ومَطْلَع السُّعود والجود، ومَحَطُّ الرِّحال، وقِبلةُ الآمال، ومواسم [الأدباء، ومراسم] العلماء والفضلاء والشعراء.

قال: ويقال: إنه لم يجتمع بباب أحد من الملوك ما اجتمع ببابه من أهل العلم وشيوخ العصر.

وكان شاعراً، أديباً، فصيحاً، شديدَ الاهتزاز عند المدائح[١]، أقام المتنبي عنده أربع سنين، فوَصَله بنيِّفٍ وثلاثين ألف دينار.

وقال عبد الله بن أحمد بن معروف: كنت بحلب عند الحسن بن محمد الصّلحي وأبي القاسم ابن المغربي كاتبَي سيف الدولة، فدخل شيخٌ ضرير، فسلَّم عليهما وقال: لي إلى الأمير سيف الدولة حاجةٌ، ومعي رُقعةٌ إليه، وأخرجها وإذا فيها طول، فقالا: هذه رقعةٌ طويلة، وربّما لا يَنبسط الأمير لقراءتها فاختصِرْها، فقال: ما أريد [إلا] أن تعرضاها عليه، فدفعاه، فقام يَجُرُّ رجلَيه وهو مُنكسِرُ القلب، فتداخَلَتْني له رِقَّةٌ، ودخلتُ على سيف الدولة فجلستُ، وإذا بالحاجب قد عرض عليه رقعة وفيها: فلان ابن فلان المَوصليّ الضَّرير - وما كان يدخل عليه أحد حتى يُكتَب اسمُه ويُعرَض عليه - فقال: وهذا يعيش؟! إئذن له، فما أظنُّه مع ما كنتُ أعرفُ من زُهده في الملوك، وتركه الدنيا، قَصَدني إلا من شِدَّةٍ شديدة.

فدخل الشيخ بعينه فسلَّم، فاستَدْناه ورحَّب به وقال: إليَّ إلي، أما سمعتَ بنا في الدنيا، أما آن أن تزورَنا مع ما لك عندنا من الخِدمة والحُرْمَة والسَّبب الأكيد؟!

فقام الضرير قائماً، وسلَّم إليه الرُّقعةَ بعينها، فقرأها كلَّها فقال: أين يونس بن بابا؟ - وكان خادمه[٢] - فحضر فأَسَرَّ له بشيء، وأسرَّ إلى جماعة بشيء، فأحضر بعضُهم دنانير، وبعضهم كسوة، وبعضهم فُرُشاً وطيباً وفرساً وبغلاً؛ يساوي البغل ثلاثة آلاف

(١) يتيمة الدهر ١/ ٣٧، وعنه تاريخ دمشق ٥١/ ٢٠.

(٢) في الفرج بعد الشدة ٣/ ٣٩: خازنه.

درهم، وترك الجميعَ بين يدي الشيخ وكان يساوي ألوفاً، ثم قال لهم: أخلوا له داراً سَمَّاها، وكتب إلى الموصل بأن يُجرى على عياله ما يكفيهم.

ثم قال لكاتبه أبي إسحاق بن شهرام: اعتذر إليه، وعَرِّفه أنه جاءنا في آخر السنة وقد اقتَسمت أموالَنا الحقوقُ والزُّوَّار والجيوش.

فجاء ابن شهرام إلى الشيخ، فأخبره بما أطلق له والكلُّ حاضر، وكان يُعجبه إذا أطلق شيئاً لإنسان أن يُشاهده.

قال ابن معروف: فقلتُ لأبي إسحاق: لا تُورد على الشيخ هذا عَقيب اليأس العظيم الذي لحقه فتَنشقَّ مَرارتُه، فبكا بكاءاً شديداً وقال: أيها الأمير، قد زدتَ على ما كان في ضميري بدرجات، فإن رأيتَ أن تأذنَ لي بتقبيل يدك؛ فإنه أعظم عندي من كلِّ عَطيَّة، فدنا الشيخُ منه فقبَّل يده، فسارَّه سيف الدولة بشيء. وانصرف الشيخ إلى الدار التي أُعِدَّت له، وقال له: أقم عندنا حتى نَنْظُرَ في أمرك.

قال ابن معروف: فسألتُ الخادم ما الذي أسرَّ إليه؟ فقال: أمر له بجاريةٍ وَصيفةٍ بِكْر من جواري أخته، ومعها حُليّ وجواهر تزيد على عشرة آلاف درهم، فحُملت إليه.

قال ابن مَعروف: فقلتُ، أيها الأمير، لم نسمع عن أحدٍ من أهل الأرض قديماً ولا حديثاً بمثل هذا العطاء إلا عندك، فقال: دعني من هذا وأخبرني عن قولك: لا تورد على الشيخ هذا عَقيب الإياس فتَنشقَّ مَرارتُه! فقلت: كنتُ عند الصُّلحي وابن المغربي منذ ساعة، وجاء هذا الشيخ ومعه الرُّقْعَة، وقصصتُ عليه القصة، وقلتُ في آخرها: انصرف هذا الشيخ أخزى مُنْصَرف، وجاء إلى الأمير فعامله بمثل هذا، فخففتُ عليه.

فغضب غضباً شديداً وقال: عليَّ بالصّلحي وابن المغربي، فحضرا فقال: وَيْحَكما، ألم أُحسن إليكما، ألم أَصطَنِعْكما وأُنوِّه بذكركما، وأُسني أرزاقكما وجوائزَكما، وعدَّد إحسانَه إليهما، وهما يشكرانه، فقال: ما أُريد هذا، وإنما أُريد أن تقولا: لا أو نعم، فقالا: بلى وزيادة، فقال: من حَقِّي عليكما وشكري أن تقطعا رجاء مُؤَمِّلٍ مني، وتؤيسا قاصِدي من بِرّي، وتَنسباني إلى الضَّجَر والمَلَل؟! ما كان عليكما لو أخذتُما رُقعةَ الضَّرير، فإن أجرى الله على يدي شيئاً كنتما شَريكَيَّ فيه، وإن ضجرتُ كان الضَّجَر منسوباً إليّ وأنتما بريئان منه؛ وقد قضيتما حقَّ قاصِدِكما، فلا حَقَّه قضيتُما،

ولا حقَّ الله فيما أخذه على ذي الجاه من بذل جاهه، ولا حقَّ إنعامي عليكما، وبالغ في ذمِّهما حتى كأنهما قد جَنيا جِناية، فأخذا يَحلفان: ما أَرَدْنا إلا التَّخفيف عن الأمير بقراءة رقعةٍ طويلة، لينقلها إلى لطيفة[1]، وجعل الحاضرون يتعجَّبون أن هذا التَّأنيب لهما أحسن من عطائه للشيخ ما أعطاه.

ومن شعره: [من الطويل]

وساقٍ صَبوحٍ[2] للصَّبوحِ دَعوتُه ... فقام وفي أجفانه سِنَةُ الغَمْضِ
يَطوفُ بكاساتِ العُقارِ كأنْجُمٍ ... فمن بين مُنْقَضٍّ علينا ومُنْفَضِّ
وقد نَشَرت أيدي الجَنوبِ مَطارِفاً ... على الجَوِّ دُكْناً والحواشي على الأرضِ
يُطَرِّزها قوسُ السَّحابِ بأصفَرٍ ... على أحمَرٍ في أخضَرٍ إثْرَ مُبْيَضِّ
كأذيال خَودٍ أقبلَتْ في غَلائلٍ ... مُصَبَّغَةٍ والبعضُ أقصرُ من بعضِ

قلت: قال قاضي القضاة شمس الدين رحمه الله: وهذا من التَّشبيهات الملوكيَّة التي لا يكاد يَحضُر مثلها للسُّوقة[3]، والبيت الأخير أخذ معناه أبو الفرج بن محمد ابن الإخوة، فقال في فَرَسٍ أدْهَم مُحَجَّل: [من الخفيف]

لَبِسَ الصُّبْحَ والدُّجُنَّةَ بُرْدَيْـ ... ـنِ فأرخى بُرْداً وقَلَّص بُرْدا

وقال: كان لسيف الدولة جاريةٌ من بنات ملوك الروم في غاية الجَمال، فحسدها بقيَّةُ الحَظايا لقُربها منه، ومَحَلِّها من قلبه، وعَزَمْنَ على إيقاع مَكروهٍ بها من سُمٍّ وغيره، فبلغه الخبر، فخاف عليها، فنقلها إلى بعض الحصون احتياطاً، وقال فيها: [من الخفيف]

راقَبَتْني العيونُ فيك فأشفقـ ... ـتُ ولم أَخْلُ قطُّ من إشفاقِ
ورأيتُ العدوَّ يَحْسُدني فيـ ... ـكِ مُجِدّاً يا أَنْفَسَ الأعلاقِ
فتَمنَّيتُ أن تكوني بعيداً ... والذي بيننا من الوُدِّ باقِ
رُبَّ هَجْرٍ يكون من خوفِ هَجْرٍ ... وفراقٍ يكون خوفَ فراقِ

(١) في (خ): بقراءة رقعة غيرها لطيفة، والخبر بطوله ليس في (ف م ١)، والمثبت من الفرج بعد الشدة ٣/ ٤٢.

(٢) في يتيمة الدهر ١/ ٥٣، وتاريخ دمشق ٥١/ ٢١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢: صبيح.

(٣) هذا الكلام للثعالبي في يتيمة الدهر ١/ ٣٥، نقله عنه قاضي القضاة شمس الدين ابن خلكان في وفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢.

ومن شعره: [من مجزوء الوافر]

أُقَـبِّـلُـه عـلـى جَـزَعٍ كـشُـرْبِ الـطـائـرِ الـفَـزِعِ
رأى مـاءً فـأطـمـعـه فـخـافَ عَـواقِـبَ الـطَّـمَـعِ
وصـادفَ خُـلْـسَـةً فـدنـا ولـم يَـلْـتَـذَّ بـالـجُـرَعِ

ومن شعره: [من الطويل]

تَـجَنَّـى علـي الـذَّنْـبَ والـذَّنْـبُ ذَنْبُه وعـاتـبـني ظُـلماً وفي شِقِّه العَتْبُ
إذا بَـرِمَ الـمَـولـى بـخِـدْمـةِ عَـبْـدِه تَـجَـنَّـى لـه ذَنْبـاً وإن لـم يـكـن ذَنْبُ
وأعْـرضَ لـمَّـا صـار قـلـبـي بـكَـفِّـه فـهلَّا جَـفـاني حيـن كـان لـيَ القَلْبُ

ويحكى أن سيف الدولة كان يوماً بمجلسه والشعراء يُنشدونه، فتقدَّم رجلٌ رَثُّ الهيئة وأنشد: [من المنسرح]

أنـت عـلـيٌّ وهـذه حـلـبُ قـد نَـفِـد الـزَّادُ وانـتـهـى الـطَّـلَـبُ
بـهـذه تَـفـخَـرُ الـبـلاد وبـالـ أمـيـرتُـزهـى عـلـى الـوَرى الـعَـربُ
وعـبـدُك الـدهـرُ قـد أضـرَّ بـنـا إلـيـك مـن جَـور عـبـدك الـهَـرَبُ

فقال سيف الدولة: أحسنتَ والله، وأمر له بمئتي دينار.

وقال: لما وصل الخالديَّان إلى حضرة سيف الدولة ومدحاه؛ أنزلهما، وقام بواجب حقِّهما، وبعث لهما مرَّةً وَصيفاً ووصيفة، ومع كلِّ واحدٍ منهما بَدْرة، وتخت ثياب من عمل مصر، فقال أحدهما من قصيدة طويلة: [من الكامل]

لم يَغْدُ شُكرُك في الخلائق مُطلقاً إلا ومـالُـك فـي الـنَّـوال حَـبـيـسُ
خَـوَّلْـتَـنـا شـمـسـاً وبـدراً أشـرقـت بـهـمـا لـديـنـا الـظُّـلْـمَـةُ الـحِـنْـديسُ
رَشَـأٌ أتـانـا وهـو حُـسْـنـاً يـوسـفٌ وغَـزالـةٌ هـي بـهـجـةً بَـلْـقـيـسُ
هـذا ولـم تَـقْـنَـعْ بـذاك وهـذه حـتـى بَـعَـثْـتَ الـمـالَ وهـو نـفـيـسُ
أتـت الـوَصـيـفـةُ وهـي تَـحـمـلُ بَـدْرَةً وأتـى عـلـى ظَـهـر الـوَصـيـفِ الـكـيـسُ
وأَجَـزْتَـنـا مـمـا أجـادت حَـوْكَـه مـصـرٌ وزادت حُـسْـنَـه تِـنِّـيـسُ
فـغـدا لـنـا مـن جُـودك الـمـأكـول والـ مـشـروب والـمَـنْـكـوحُ والـمَـلْـبـوسُ

فقال له سيف الدولة: أحسنتَ إلا في لفظة المنكوح؛ فليست مما يُخاطَب الملوك بها.

وكتب إلى أخيه ناصر الدولة: [من الطويل]

وَهَبْتُ لك العليا وقد كنتَ أهلَها ... وقلتُ نعم بيني وبين أخي فَرْقُ
وما كان بي عنها نُكولٌ وإنما ... تَجاوزْتُ عن حقِّي فتمَّ لك الحَقُّ
أما كنتَ ترضى أن أكون مُصَلِّياً ... إذا كنتُ أرضى أن يكون لك السَّبْقُ[(١)]

ذكر وفاته:

مرض بعلَّةِ الفالج قديماً، ثم أخذه عُسْر البول.

[قال الحافظ ابن عساكر:] توفي بحلب يوم الجمعة عاشر صفر أو لخمس بقين منه[(٢)].

وتولى أمره القاضي أبو الهيثم بن أبي الحُصين، وغسله عبد الحميد بن سهل المالكي قاضي الكوفة، غسَّله تسع مرات أولاً بالماء والسِّدر، ثم بالصَّنْدَل، ثم بالذَّرِيْرة، ثم بالعَنْبر، ثم بالكافور، ثم بماء الوَرْد، ثم بماء المِسك، ثم بماء القَراح أخيراً، ثم غسله غُسلين، ونُشِّف بثوب دَبيقي ثمنه خمسون ديناراً، وكُفِّن في سبعة أثواب تساوي ألفي دينار فيها قميصُ قَصَب؛ بعد أن صُبر بمئة مثقال غالية، ومَنَوين كافور، وصلى عليه أبو عبد الله بن الأقساسي العلوي الكوفي، وكبَّر عليه خمساً، وحُمل في تابوت إلى مَيَّافارِقين مع مملوكه تقي، فوصل إليها في ربيع الآخر، فلما وصل إلى التربة التي بناها لنفسه أخرجه من التابوت بوصيَّةٍ منه، ووضعه في لَحْده، وجعل تحت خَدِّه لَبِنَةً صغيرة من تُرابٍ جَمعه من دِرْعه وقت لقائه للعدو ودخوله بلاد الروم، ودفن عند أمه وأخيه، وعمره ثلاث وخمسون سنة[(٣)] [على حسب ما ذكرنا من مولده].

وكانت إمارته ثلاثاً وعشرين سنة.

---

(١) انظر فيما سلف من أشعار: تكملة الطبري ٤١٢، ويتيمة الدهر ١/ ٤٢ ـ ٥٦، وتاريخ دمشق ٥١/ ٢١، والكامل ٨/ ٥٨٠ ـ ٥٨١، ووفيات الأعيان ٣/ ٤٠٢ ـ ٤٠٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٠٣.

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٢٢، وما بين معكوفين من (ف م م١).

(٣) الأعلاق الخطيرة ١/ ٣١٣ ـ ٣١٥.

وملك أبو المعالي سعد الدولة وبين يديه قرغويه.

وقيل: لما حمل تقيّ تابوتَه إلى مَيَّافارِقين قدمها سعد الدولة، فأراد تقي أن يقبضه ويستولي على الأمر، وعلم به سعد الدولة، فقبض على تقي، واستأصله، وحبسه في حصن كيفا.

وقد مدح سيف الدولة خلقٌ كثير[1]، واختصّ به المتنبي، وممن اختصَّ به الخالديّان، وهما شاعران مُجَوِّدان من قرية ببلد الموصل، وهما محمد وسعيد ابنا هاشم، وهما يشتركان في النظم، ولهما ديوان مشهور، وأنشد أحدهما يوماً سيف الدولة قصيدته التي يقول فيها: [من الهزج]

تَـصُـدُّ ودارُهـا صَـدَدُ وتُـوعِـدُه ولا تَـعِـدُ

إلى أن قال في المديح:

بـوجـهٍ كـلّـه قَـمَـرٌ وسـائـرُ جِـسْـمِـه أَسَـدُ

فعجب سيف الدولة، وجعل يُرَدِّد هذا البيت، وكان عنده الشَّيْظَمي الشاعر، فقال لسيف الدولة: احْمَد ربَّك فقد جعلك من عجائب البحر[2].

ومن شعر محمد بن هاشم الخالدي في دير مُرَّان: [من البسيط]

يا ديرَ مُرَّان لا تَعْدَم دُجى وضُحى سِجالَ غَيثٍ مُلِثِّ الوَدْقِ سَحَّاحِ[3]
إن تُفْنِ كأسَك أكياسي فإن بها يَفُلُّ جَيشُ هُمومي جيشَ أفراحي

يوسف بن عمر

ابن محمد بن يوسف بن يعقوب بن إسماعيل بن حمَّاد بن زيد بن دِرْهم، أبو نصر، الأزديّ، القاضي.

---

(١) بعدها في (ف م م١): انتهت ترجمة سيف الدولة والحمد للّه وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم، السنة السابعة والخمسون وثلاث مئة.

(٢) تاريخ دمشق ٥١/ ٢١.

(٣) في (خ): سقاك غيث... سجاج، والمثبت من يتيمة الدهر ٢/ ٢٢٠.

ولد سنة خمس وثلاث مئة، وما زال منذ نشأ فتى، نبيلاً، عفيفاً، جميلاً، حاذقاً بصنعة القضاء، بارعاً في علم الأدب والكتابة، حسنَ الفصاحة، واسعَ العلم باللغة والشعر، تامَّ الهَيبة.

ولي القضاء بمدينة السلام في حياة أبيه وبعد وفاته.

قال الخطيب: ولا يُعرف في القضاء أعرف منه ومن أخيه الحسين، فإنهما وليا القضاء بالحيرة، وكذا أبوهما عمر، وجدُّهما محمد، وأبوه يوسف، فأما يعقوب فإنه وَلي قضاء مدينة النبي ﷺ، ثم تقلَّد فارس.

وكان أبو نصر فصيحاً، وله شعر، فمنه: [من المجتث]

يا مِحْنةَ الله كُفِّي ... إنْ لم تَكُفِّي فخِفِّي
ما آنَ أن تَرْحَمينا ... من طولِ هذا التَّشَفِّي
خَرجتُ أطلبُ بَخْتي ... فقيل لي قد تُوفِّي[1]

(١) تاريخ بغداد ٦/ ٤٧٣، والمنتظم ١٤/ ١٨٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٠٨.

السنة السابعة والخمسون وثلاث مئة

فيها عمل بختيار يوم عاشوراء أعظم ما كان يعمله أبوه من تعطيل الأسواق، ولُبس المُسوح، وإنشاد الأشعار، والنِّياحة في الطُّرُقات ونحوه، وكذا فعل[(١)] في يوم غدير خُمّ.

وفيها توفي وَشْمكير

المحارب لركن الدولة؛ خرج يريد الري في العسكر الوارد من خراسان، فأخذ يَتصيَّد، فاعترضه خنزير، فرماه وَشْمكير فأخطأه، فحمل عليه الخنزير، فعثرت به[(٢)] الفرس فرمت به، ووقعت فوقه فمات.

وفيها مات ناصر الدولة بن حَمْدان في قلعة كواشى[(٣)].

وفيها تزوّج بختيار بابنة عسكر الكردي على صَداقٍ مَبلغُه ثلاث مئة ألف دينار، وعقد العقد في داره.

وفيها قُتل أبو فراس بن حمدان الشاعر.

وفيها وصلت الروم إلى حلب، فخرج إليهم قَرَغويه فأسروه، ثم أفلت، وقتلوا وسَبَوا وعادوا.

وفيها مات كافور الإخشيدي صاحب مصر، ودُفن في داره.

وفيها مات المتقي لله.

وفيها ملك عضد الدولة كَرْمان، وهرب صاحبها اليَسَع إلى ما وراء النَّهر، وغَنِم خزائنَه وأموالَه.

---

(١) من هنا إلى أواسط ترجمة كافور في السنة الآتية (٣٥٨ هـ) ليس في (خ) لخرم وقع فيها. وسنعتمد على (ف م م١) إلى أوائل سنة (٣٥٨ هـ)، ثم على نسخة باريس.

(٢) في (م١): فعقرته.

(٣) هذا الخبر والذي قبله أورده الهمداني في تكملة تاريخ الطبري ٤١٠ ـ ٤١١، وابن الأثير في الكامل ٨/ ٥٧٨، ٥٧٩ في أحداث سنة (٣٥٦ هـ).

وفيها هلك الحاجُّ وجِمالُهم من العَطَش، ولم يقف بعرفة إلا القليل.

وفيها توفي

المتَّقي لله

واسمه إبراهيم بن جعفر المقتدر.

قد ذكرنا خَلْعَه وسَمْلَه في ثلاث وثلاثين وثلاث مئة، وعاش إلى هذه السنة، توفي وله ستون سنة وأيام، فقد عاش بعد خَلْعه خمساً وعشرين سنة.

وفيها توفي

أحمد بن مَحْبوب بن سليمان

أبو الحسن، البغدادي، ثم الرَّمْلي، الفقيه، ويعرف بغلام أبي الأديان.

سافر إلى الأمصار، وسمع الشيوخ، وجاور في آخر عمره في مدينة النبي ﷺ.

سمع بأطرابلس الشام أبا عقيل بن مسلم الخَولاني وطبقته من شيوخ الشام وغيرهم.

وروى عنه أبو الحسن علي بن جَهْضَم، والحاكم أبو عبد الله، وغيرهما. وكان ثقةً صالحاً[(١)].

وفيها توفي

أبو فراس بن حَمدان

واسمه: الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حَمْدان، التَّغْلبيّ، العَدَوي.

الأمير، الشجاع، الفاضل، الشاعر، الفصيح، وأبو العلاء كنية أبيه سعيد.

وكان مولده بمَنْبِج، ونشأ بها.

ولد في سنة عشرين وثلاث مئة، وكان يتنقَّل في بلاد الشام في دولة ابن عمه سيف الدولة علي بن حمدان، وكان سيف الدولة قد ولّاه مَنْبِج، ولما نزلت الروم حلب خرج يتصيَّد حوالي مَنْبج ـ ولم يعلم ـ في سبعين راكباً، فتبعه ابن أخت ملك الروم فأسره،

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٣٩٥، وتاريخ دمشق ٢/ ٢٣٥ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٨/ ١١١.

ولما وقعت عليه الروم قيل له: خذ لنفسك، فقال: لا والله، لا يراني الله مُوَلّياً أبداً، فحُمِل إلى القسطنطينية، فأقام في الأسر سنين، وكان يكاتب سيف الدولة بالأشعار وغيرها، فقال له ملك الروم: اشتر نفسَك دون أصحابك، فقال: لا والله، وقاطع على نفسه وعلى مَن معه بمئتي ألف دينار، فقال له ملك الروم: أبصِرْ كم يَنوبُك من هذا المال وأُطلِقُك، فقال: لا والله إلا أنا وأصحابي.

وحكى الحمصي: كان في زمان أبي فراس امرأةٌ جميلة، وكان مُغْرًى بها، ويبعث إليها بالأموال والهدايا، ويسألُها أن يجتمع بها وهي تأبى عليه، فبينما هو جالس في بعض الأيام إذا بها قد جاءت إليه، فقال: أنا أبعث إليك بالأموال والهدايا وتمتنعين، فكيف جئتِ ابتداءً؟! فقالت: كنتُ أنا الساعةَ وزوجي نَذكُرك، فأثنى عليك وقال: ومن أين في الدنيا مثل الأمير أبي فراس، الفاضل، الشجاع، الجواد، الفصيح؟ فلما أثنى عليك وقع في قلبي مثل النار، فقال: وَيْحك، ومَن يُثني عليَّ هذا الثَّناء أخونُه في زوجته؟! لقد خِبْتُ إذاً وخَسِرْتُ، قومي إليه، ودفع إليها مالاً، فأخذتْه وانصرفت.

ذكر طرف من أشعاره:

وله ديوان مشهور، فمن شعره: [من الوافر]

رأيتُ الشَّيبُ لاحَ فقلتُ أهْلاً ... ووَدَّعْتُ الغِوايةَ والشَّبابا
وما إن شِبْتُ من كِبَرٍ ولكن ... لَقيتُ من الأحبَّةِ ما أشابا

وقال أيضاً: [من الخفيف]

لم أؤاخِذْك إذ جَنيتَ لأني ... واثِقٌ منك بالإخاء الصَّحيحِ
فجَميلُ العدوِّ غيرُ جميلٍ ... وقَبيحُ الصَّديقِ غيرُ قبيحِ

وقال أيضاً: [من الهزج]

غِنى النَّفْسِ لمَن يَعْقِـ ... ـلُ خيرٌ من غِنى المالِ
وفَضْلُ الناسِ في الأنْفُـ ... ـسِ ليس الفَضْلُ في الحالِ

وقال وقد سمع صوتَ حَمامةٍ وهو في الأسْر: [من الطويل]

أقولُ وقد ناحَتْ بقُربي حَمامةٌ ... أيا جارتي ما فاقَ حالُك حالي

مَعاذَ الهوى ما ذقت طارِقَةَ النَّوى ولا خَطَرَتْ منكِ الهُمومُ ببالي
أيَحمِلُ مَحزونُ الفؤادِ فُؤادَه إلى مَرْقَبٍ نائي المَحَلّةِ عالي
تعالَيْ تَرَيْ روحاً لَدَيَّ ضَعيفةً على بَدَنٍ مُضْنًى يُعَذِّبُ بالي
أيَضْحَكُ مأسورٌ وتبكي طَليقةٌ ويَسْكُتُ مَحزونٌ ويَنْدُبُ سالي
لقد كنتُ أولى منكِ بالدَّمع مُقلَةً ولكنَّ دَمْعي في الحوادثِ غالي

وقال أيضاً: [من البسيط]

ما كنتُ مُذْ كنتُ إلا طَوعَ خِلّاني ليست مؤاخَذَةُ الإخوان من شاني
إذا خليلِيَ لم تَكْثُرْ إساءتُه فأين مَوقعُ إحساني وغُفراني
يَجْني الليالي وأستحلي جِنايتَه حتى أَدُلَّ على عَفوي وإحساني
يَجني عليَّ وأَحْنو دائماً أبداً لا شيءَ أحسن من حانٍ على جاني

وقال أيضاً وأحسن فيه: [من المجتث]

قَلبي يَحِنُّ إليه نعم ويَحنو عليه
وما جَنى أو تَجَنَّى إلا اعتَذَرْتُ إليه
وكيف أَمْلِكُ أمري والقَلْبُ رَهْنٌ لديه
وكيف أدعوه عَبدي وعُهدتي في يديه

ذكر مقتله:

ذكر ثابت بن سنان وقال: في سنة سبع وخمسين وثلاث مئة في يوم السبت لليلتين خلتا من جمادى الآخرة أو الأولى ورد الخبر بأن وَحْشَةً جرت بين أبي فراس الحارث ابن أبي العلاء سعيد بن حَمْدان وبين أبي المعالي شريف الدولة بن حَمْدان، وخرج أبو المعالي يَطلبه، وكان أبو فراس بحمص، فانحاز[1] أبو فراس إلى قريةٍ في طَرَف البَرِّيَّة تُعرف بصَدَد، وأنفذ أبو المعالي غِلمانه ليجمعوا له الأعراب، وكان ظالم العُقَيليّ في جملته، فاستدعاه فتقاعد عليه، فخرج أبو المعالي من حلب، فنزل سَلَمْية بأرض حمص، وجمع بني كلاب، وقَدَّمَهم على مُقَدمته مع قَرَغويه غلام أبيه سيف الدولة، وقطعة من الجيش، فكبسوا أبا فراس على صَدَد، فناوشَهَم ساعة، واستأمن من

(١) في (م١): فاجتاز.

أصحابه إلى قَرَغويه واختلط بمَن استأمَن، فقال قَرَغويه ـ لا عفا الله عنه ـ لبعض غلمانه الأتراك: اقتلْه، فضَرَبَه بدَبُّوس فسقط، فنزل الغلامُ فاحتزَّ رأسَه، وبقيت جُثَّتُه في البريَّة مُلقاةً، حتى مَرَّ به بعض الأعراب، فكفَّنه ودفنه، وعاد ابنُ سيف الدولة، وقلَّد دكا غلام قرغويه حمص. وهذا قول ثابت بن سنان.

وقال الحافظ ابن عساكر ولما بلغ أمه قتله ـ واسمها سَخينة ـ قَلعت عينَها حُزناً عليه، وقتل وهو ابن سبع وثلاثين سنة.

واختلفوا في مقتله، فذكر ثابت بن سنان أنه قتل في هذه السنة وهي سنة سبع وخمسين وثلاث مئة، وقال قوم: في سنة خمسين وثلاث مئة[١].

وفيها توفي

محمد بن أحمد

ابن علي بن مَخْلَد، أبو عبد الله، الجَوهريّ، المُحْتَسِب، ويُعرف بابن المُحْرِم، أحد تلامذة أبي جعفر الطَّبري.

حكى عنه الخطيب أنه قال: تَزَوَّجتُ امرأةً، وجلستُ على العادة أكتب، فجاءت أمُّها، فأخذت المِحْبَرة وضربت بها الأرض فكسرتها، وقالت: هذه أشدُّ على بنتي من ثلاث مئة ضَرَّة.

قال: وقال محمد بن أبي الفَوارس: وُلد في سنة أربع وستين ومئتين، ومات في ربيع الآخر في هذه السنة.

وحدَّث عن الكُدَيْميّ وغيره، وروى عنه ابن رِزْقويه وغيره، وضعَّفه ابنُ أبي الفوارس وقال: في كُتبه مَناكير[٢].

---

(١) انظر في ترجمته وأشعاره: نشوار المحاضرة ١/ ٢٢٥ و ٢/ ٢٥٥، ويتيمة الدهر ١/ ٥٧، وتاريخ دمشق ٤/ ٩٧ (مخطوط)، والكامل ٨/ ٥٨٨، والمنتظم ١٤/ ٢٢٧، (وفيات سنة ٣٦٣ هـ)، ووفيات الأعيان ٢/ ٥٨، والسير ١٦/ ١٩٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ١١٣.

(٢) بعدها في (ف م١): والحمد للّه وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم، وانظر ترجمة ابن المحرم في تاريخ بغداد ٢/ ١٦٥، والمنتظم ١٤/ ١٩٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ١١٩.

السنة الثامنة والخمسون وثلاث مئة

وفي يوم عاشوراء فُعل ما جَرت به العادةُ من النَّوحِ وغيره.

وفيها سَعَّر السُّلطان ببغداد، فازداد الغَلاء، وبيع الكُرّ بتسعين ديناراً، فأسقط التسعير، فعاد الأمر كما كان عليه.

وفيها وصلت الروم إلى الجزيرة، ودخلوا كَفَرْتُوثا، فقتلوا من أهلها ثمان مئة، ومضوا إلى حمص وقد انتقلوا عنها فأحرقوها.

وفيها توفي أبو أحمد الفضل بن عبد الرَّحمن الشيرازي بحُمَّى حادة ووَرَم الحَلْق في المحرَّم.

وفيها نزل ملك الروم أنطاكية، وسرت سراياه في الشام، وأحرق ربَضَ طَرابُلس، وحاصر مدينة عِرْقَة، وفتح حصنها وهدمه، وأخذ منه خلقاً كثيراً كانوا قد التجؤوا إليه من طرابلس وغيرها، وأخرج أرباض الساحل، ثم قصد حمص وأحرقها ولم يجد فيها أحداً، ثم قصد حَلباً، فوجد قرغويه قد حَصَّنها، ويقال: إنه أسر من المسلمين في هذه السنة مئة ألف رأس، ولم يكن يأخذ إلا الشباب والصبايا، ويقتل الشيوخ والكهول والعجائز، ويقال: إنه فتح في هذه السنة ثمانية عشر مِنبراً للإسلام، فأما القرى فما يُحصى ما أخرب وأحرق منها، وعبرت خيلُه الفُرات، ووصلت إلى كَفَرْتوثا على ما ذكرنا، وكانت إقامتُه ببلاد الإسلام شَهرين يفعل هذه الأفاعيل، لا يلقاه أحدٌ من المسلمين، ولا يدفعه دافع، فوقع الوَباءُ في عسكره والفناء، فرجع بالأسارى والغنائم إلى بلده.

ذكر ما جرى بين أولاد ناصر الدولة[1]:

بعث أبو تَغْلِب أخاه أبا البركات إلى قتال أخيه أبي المظفَّر حَمدان صاحب الرَّحْبة، فخرج حمدان بأمواله وعياله إلى بغداد، فأكرمه عز الدولة، وأهدى له هدايا كثيرة

(١) هنا يبدأ الجزء السادس عشر من مختصر مرآة الزمان من نسخة باريس (ب)، وسيكون الاعتماد عليه، وعلى النسخ (ف م م١) إلى أن ينتهي الخرم في نسخة الخزائنية (خ)، هذا، وما جرى بين أولاد ناصر الدولة ليس في (ف م م١).

وألطافاً، وسَفَر بينه وبين أخيه أبي تَغْلب في الصُّلح فأجابه، وعاد حمدان إلى الرَّحْبة، وخَلَّف أهلَه وأسبابه ببغداد، فراسله أخوه أبو تَغْلب بالمسير إليه ليتَّفقا على أمر، فامتنع وقال: ما وقع الصُّلح على هذا، فبعث إليه أبو تغلب أخاه أبا البركات، فخافه حَمدان، فخرج من الرَّحْبة يريد بغداد، فأخذ عليه أبو البركات المخاض، فدخل بَرِّيَّة تدمر، فكاد يَهلك من العطش، فأرسل إلى أخيه أبي البركات يُقَبِّح فِعلَه ويقول: إن أقمتَ على ما أنت عليه قصدتُ دمشق، فرجع أبو البركات إلى عَرَبان، ورجع حَمْدان إلى الرحبة، فراسله أبو البركات واجتمعا، فقال له: المصلحةُ أن تجتمع بأخيك أبي تغلب لتزولَ الوَحْشة، فامتنع حمدان وافترقا.

وسار أبو البركات إلى ماكِسين، ووصل إلى حمدان مئتا فارس من بني نُمير، فقَوِي قَلبُه، وسار خلف أبي البركات واقتتلا، فاتفق أنه وقعت من يد حَمدان في رأس أخيه أبي البركات ضَربةٌ ولم يقصده فقتله، فحَزِن عليه، وبعث به إلى أخيه أبي تغلب في تابوت، وحلف أنه ما قصده، فبكى أبو تغلب وقال: والله لأُلْحِقَنَّه به ولو خرجْتُ من الملك.

وجَهَّز أخاه أبا عبد الله في خمس مئة فارس إلى حَمْدان، وقال: سِرْ فإنّا على إثرك، ثم أردفه بأخيه محمد بن ناصر الدولة، فبلغه أن محمداً واطأ حَمدان على الفَتْك بأبي تَغْلب، فرَدَّه وقَيَّده، وبعث به إلى قلعة تُعرف بمليصا[1]، وبعث إلى أخيه الحسين - وكان مُقيماً بالحَديثة - يُخبره بما كان في عَزْم أخيه محمد من الفَتْك، وأرسل إلى إخوته أبي القاسم وإبراهيم - وكان بعضهم بسِنْجار - فأخبرهم، فصَوَّبوا رأيَه، ثم كاشفوه بعد ذلك، واتفقوا مع حَمدان على قتاله، فجمع وسار إليهم إلى ديار ربيعة، فلم يكن لهم به طاقة، فراسله أخواه الحسين وإبراهيم أن الذي أوحَشَهما ما فعل بأخيهما محمد، ودخلا في طاعته، وإنما قصدا الحيلة عليه، وسارا من سِنجار إلى المَوْصل، فقصد إبراهيم بالِس، ومضى أبو الحسين إلى أبي تغلب، ثم سار إبراهيم إلى بغداد، فتلقاه نائب عز الدولة، وأنزله بباب البستان.

---

(١) في الكامل ٨/ ٥٩٥: كواشي، وفي نسخة منه: ملاسي.

وقصد أبو تغلب أخاه حَمْدان إلى الرَّحْبة، وبعث في مُقَدّمته أخاه هبة الله، فدخل حمدان البرية، وأقام أبو تغلب بقَرْقيسيا، ثم دخل حمدان بغداد، فنزل في الدار التي فيها عِيالُه، وتعرف بدار زُرَيْق الكاتب[١]، وكان عزُّ الدولة غائباً بواسِط، فلما قدم بغداد أكرمَهما وأحسن إليهما إحساناً كثيراً.

وقال ثابت بن سنان: لما وقع الخلاف بين أبي تغلب وأخيه حمدان ـ وكان حمدان بالرقَّة ـ كتب إلى أخيه أبي تغلب يَحلف له بالإيمان المُغَلَّظة، وبطلاق زوجته بنت سعيد ابن حَمدان؛ أنه إن أحوجه ليستعينَنَّ عليه بعزِّ الدولة والدَّيْلَم، فإن بلغ ما يريد وإلَّا استعان عليه بالقرامطة الهَجَرِيِّين، فإن بلغ ما يريد وإلا استعان عليه بملك الروم، فلما وقف أبو تغلب على كتابه استشاط، وقبض ضِياعَه، وطرد غِلمانه، وبعث إليه أخاه أبا البركات لقتاله، فوصل إلى الرَّحبة في شعبان، فاستأمن أكثرُ أصحاب حمدان، فصار حمدان إلى مكان يعرف بالدَّالية في مئة رجل، وأخذ عيالَه ومالَه، وانحدر إلى بغداد فدخلها في شهر رمضان، فتلقَّاه عز الدولة والحاجب الكبير والجيش، وأنزله في دار قريبة منه وأكرمه.

وكان عزُّ الدولة قد بعث سُبُكْتِكين العَجميّ مولى مُعزّ الدولة للقاء حَمدان من البرية، فلقيه عند هِيت، وانفصل عنه ومضى يتصيَّد، فعَنَّ له حَمير وَحْش، فركض يطلبها، فصرع منها ثلاثة، وصَدَمه غلام له وهو يركض، فوقع على رأسه فأسكت، ومات يوم الجمعة في رمضان ببغداد، وكان قد حُمل إلى منزله، فدفن بمقابر قريش لإحدى عشرة ليلة خلت من رمضان.

وحمل بختيار إلى حمدان مئة وخمسين ألف درهم، وثلاث مئة ثوب من ألوان الخزِّ، والدِّيباج، والعتابيّ، والقَصَب، والدَّبيقي، وعشرة أفراس، وعشرة أبغُل، وأطواق الذهب والفضة، وغير ذلك من الفُرش والمتاع والأثاث، وسفر بينه وبين أخيه في الصُّلح، وقد ذكرناه.

---

(١) في تكملة الطبري ٤١٨: دار ابن رزق الكاتب النصراني.

وخرج حمدان من بغداد لخمسٍ بقين مِن جمادى الآخرة إلى الرَّحبة، وحمل إليه عز الدولة مثل ما حمل إليه أولاً، وشيَّعه إلى ظاهر بغداد، وخلَّف زوجتَه وأموالَه ببغداد، وأفرج أبو تغلب عن الرَّحبة فدخلها، وذكر بمعنى ما ذكرنا من قبل عن أبي البركات، وعودِ إبراهيم وحمدان إلى بغداد، وحمل إليهما عز الدولة الأموال والثياب والهدايا.

وفي رمضان قدم الوزير أبو الفضل العباس بن الحسين من الأهواز، وتلقاه الأمير عزُّ الدولة بالوادي والجيشُ والقواد.

وفيها لما قدم عز الدولة بغداد نقل أباه معز الدولة من داره إلى تربة بُنِيت له بمقابر قريش، مجاورة لقبر موسى بن جعفر عليه السلام، وهي قائمةٌ إلى هلمَّ جَرّا، ومشى بختيار بين يدي تابوته، ولم يتخلَّف أحد من الدولة إلا المطيع.

وفيها استولى القائد أبو الحسن جَوْهر غلام المنصور بن القائم بن عبيد الله المهدي على مصر، وكان أرسله إليها المعزُّ لدين الله أبو تميم مَعَدُّ بن المنصور، وبعث معه الجيوش والقبائل والبربر والخزائن، فدخلها في شعبان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة ليلة بقيت منه، وخطب للمعزّ بها على جميع المنابر، وكان الخطيب عبد السَّميع بن عمر العباسي، وانقطعت دعوة بني العباس في هذه السنة من مصر والحجاز واليمن ونواحيها والشام، وصارت للمصريِّين، وهربت الإخشيدية من مصر إلى الشام، ولم تزل الدعوة للمصريين بهذه الأماكن من هذه السنة إلى سنة خمس وستين وخمس مئة، مئتي سنة وثمان سنين، ومضى بعد المطيع سبعة من الخلفاء، حتى عادت الدعوة في زمن المستضيء لما نذكر إن شاء الله تعالى.

ولما وصل القائد جوهر إلى مصر كان الحسن بن عبيد الله بن طُغْج بالرَّمْلة، والشام بيده، فبعث إليه القائد جوهر قائداً يقال له: جَعفر بن فلاح، فقاتلهم فأخذوه أسيراً، وبعث به جعفر إلى مصر، فبعث به جوهر إلى المُعِزّ إلى المغرب، فكان آخر العهد به، وهذا الحسن ـ وكنيته أبو محمد ـ هو الذي مدحه المتنبي بقوله: [من الطويل]

أيا لائمي إن كنتَ وقْتَ اللَّوائمِ علمتَ بما بي بين تلك المَعالِمِ[1]

(١) ديوانه ٤/ ٢٣٦.

القصيدة.

ثم سافر ابن فلاح إلى دمشق، فدخلها في المحرَّم سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وخطب بها للمعز يوم الجمعة بالجامع، وهي أول خطبة خطب بها للمعزّيين بدمشق، وبطلت خطبة بني العباس، وعاد ابن فلاح إلى الرَّمْلَة.

قال ابن عساكر: وقام الشريف أبو القاسم إسماعيل بن أبي يعلى بدمشق، وقام معه الأحداث، ولبس السَّواد، ودعا للمطيع، وأخرج إقبالاً والي المصريين.

وبلغ ابن فلاح، فعاد إلى دمشق في ذي الحجة، فنازلها، فقاتله أهلُها، فظهر عليهم ودخلها، وهرب الشريف أبو القاسم إلى بغداد على البَرِّيَّة، فقال ابن فلاح: مَن جاء به فله مئة ألف درهم، فلقيه ابن عليان العَدَوِيّ في البرية، فجاء به إلى ابن فلاح، فشَهره على جَمل، وعلى رأسه قَلَنْسوة من لُبود، وفي لحيته ريشٌ مَغروز، ومن ورائه رجل من المغاربة يوقع به الفعل، ثم حبسه، وبعث إليه ابن فلاح بطعام، فامتنع من أكله، فقال له: كُلْ فالذي تَحذرُ منه وقعتَ فيه.

ثم استدعاه ليلاً وقال له: ما حَملَك على ما صنعتَ وقطعتَ دعوة مولانا، ومن وَثَّبَكَ على هذا الأمر؟ ووبّخه فقال: ما وَثَّبني عليه أحد، وإنما هو رأي سَنحَ لي، وأوقَعَني فيه القضاء والقدر، وأنا في يديك فاصنع بي ما شئتَ، والتَّعييرُ أشدُّ من القتل، فرَقَّ له ابن فلاح وقال: لا بأس عليك، ووعده أن يُكاتب فيه جوهراً ويُخَلِّصَه، ثم قال للذين أَتَوْا به: لا جَزاكم الله خيراً، غَدَرْتُم بالرجل؟! واسترجع منهم المئة ألف درهم، ولم يَنَلْه بسوء لشرفه وكرمه وحسن سيرته، وكان ابنُ فَلاح يحبُّ العَلويين[1].

[فصل:] وفيها مات أحمد بن الراضي بالله بمرض البواسير، وطالت عليه، ودُفن عند أبيه بالرُّصافة، وكان في عَزْم ملك الروم أن يَقْصِد البيت المقدس فصرفه الله عنه.

وفي ذي الحجة كتب المطيع لأبي شُجاع عضد الدولة عَهْدَه على كِرْمان، وأنفذ إليه الخِلَع واللواء وطَوْقاً وسِوارَيْن.

---

(١) تاريخ دمشق ٦٧/ ١٣٨ ـ ١٤٠. ومن قوله: ولما وصل القائد جوهر إلى مصر... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفيها توفي سابور بن أبي طاهر القِرْمُطيّ في ذي الحجة، كان قد طالب عُمومته بتسليم الأمرِ إليه، فحَبَسوه، فأقام أياماً، وأُخرج مَيتاً من الحبس[١].

وعمل في ذي الحجة ببغداد غَديرُ خُمّ على ما جرت به العادة.

وفيها قصد هبة الله بن ناصر الدولة مَيّافارِقين وبها زوجة سيف الدولة بنت أبي العلاء سعيد بن حَمدان، فأغلقت الأبواب في وجهه، فأظهر أنه يُريدُ الغَزْوَ، وطلب مالاً، وكان قَصْدُه البلد، فراسلت مَن كان معه من غلمان سيف الدولة واستمالَتْهم، فتقاعدوا عنه، فرحل على أقبح حال[٢].

وحج بالناس أبو محمد نَقيبُ الطَّالبيين من بغداد، وحج من مصر قائدٌ معه أموالٌ عظيمة، ففرَّقها في أهل الحَرَمين، وخُطب للمعز بمكة والمدينة واليمن، وبَطلت الخطبةُ لبني العباس.

وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد بن الحسن

أبو إسحاق، القِرْمِيْسينيّ، الصوفي.

شيخُ الجبال[٣] في وقته، وله مقامات في الوَرَع، صحب المشايخ، وكان مُتَمَسِّكاً بالكتاب والسنة.

وقال[٤]: بقيتُ أربعين سنة ما بتُّ في مَوضعٍ فيه سَقْف، وبقيتُ مدَّةً أشتهي شَبعة[٥] عَدَس، فخرجتُ يوماً، فرأيتُ قواريرَ مُعَلَّقة، فقيل: هذه خَمر وعندها دِنان، فكسرتُ

(١) هذا الخبر والذي قبله ليسا في (ف م م١).
(٢) هذا الخبر ليس في (ف م م١).
(٣) في (ف م م١): قال ابن خميس في المناقب كان شيخ الجبال، والمثبت من (ب).
(٤) في (ف م م١) وحكى عنه أيضاً أنه قال، والمثبت من (ب).
(٥) في (ف م م١): أكلة.

الجميع، فحملوني إلى ابن طولون، فضربني مئتي[1] خَشَبة وحَبَسني، وبلغ أستاذي أبا عبد الله المغربي فخلَّصَني، ولما وقعت عينُه عليَّ قال: أيش فعلت؟ قلت: شبعة عدس ومئتي خشبة، فقال: لقد نجوتَ مَجَّاناً.

وقال: أتيتُ الرقَّة لأَعْبُرَ الفرات إلى الشام ومعي جماعة، فنزلنا في سفينة، وفيهم غلامٌ حَدَث، فقال: بالله لا تُعبروني في الفرات، فوالله إني لأفزع من ساقية، فشَدَدْنا عينيه، وأمسك[2] بيدي حتى عبر، فلما صرنا إلى ذلك الجانب قمتُ أُصلّي، ومعنا مقرئ، فقرأ شيئاً من القرآن، فتواجد الغلام، وألقى نفسَه في الفرات، فقطعها يَشُقُّها شَقاً وما ابتلَّ ثوبُه، فلما صار في ذلك الجانب وقف باهتاً، فأرسلتُ إليه السفينة فعبر فيها.

استوطن إبراهيم المَوْصِل، وكان صالحاً ثقة[3].

أحمد بن رُمَيْح بن وَكيع

أبو سعيد، النَّخَعيّ[4].

ولد بالشَّرْمَقان، ونشأ بمَرْو، ومضى إلى اليمن فأقام عند الزَّيديّة.

وقال الحاكم: سألتُه المقامَ بنَيْسابور فقال: عند مَن أُقيم، ما الناس اليوم بخُراسان إلا كما أنشدني بعضُ أشياخنا: [من الطويل]

---

(١) في (ف م م١): بمئتي.

(٢) في (ف م م١): ومعهم غلام حدث... لا تعبروا بي... قال فشددنا عليه وأمسكته.

(٣) وقع بعدها في (ف م م١) ما نصه: قلت قد جاء القرميسيني في المشايخ جماعة، أحدهم ذكرناه في سنة سبع وثلاثين وثلاث مئة، واسمه إبراهيم بن شيبان، صحب أبا عبد الله المغربي وإبراهيم الخواص وغيرهما، وذكره ابن خميس في المناقب، وصاحب هذه الترجمة اسمه إبراهيم بن أحمد، يقال: إنه صحب أبا عبد الله المغربي والخواص أيضاً، والخطيب ذكر هذا صاحب الترجمة وقال: طاف البلاد شرقاً وغرباً، وكان صالحاً ثقة، أسند إبراهيم بن أحمد عن النسائي والحسن بن سفيان وغيرهما وروى عنه الدارقطني وغيره، واستوطن الموصل ومات بها، قلت: وذكر في المناقب قرميسيني آخر وقال: اسمه مظفر، وذكر له كلاماً حسناً. انتهى.
وانظر ترجمة إبراهيم بن أحمد في: تاريخ بغداد ٦/ ٥٠٣، وتاريخ دمشق ٢/ ٣٦١ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٢٣، والسير ١٦/ ١٣٦.

(٤) هو أحمد بن محمد بن رميح بن عصمة بن وكيع بن رجاء أبو سعيد النخعي، انظر تاريخ بغداد ٦/ ١٣٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ١١١، والسير ١٦/ ١٦٩ وذكروا أنه توفي سنة (٣٥٧ هـ)، وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

كَفى حَزَناً أن المروءةَ عُطِّلَتْ وأنّ ذوي الألبابِ في الناس ضُيَّعُ
وأن ملوكاً ليس يَحظى لديهمُ من النَّاسِ إلا مَن يُغَنِّي ويُصْفَعُ

[وفيها توفي]

كافور بن عبد الله

الخادم الإخشيدي، أبو المِسْك، صاحبُ مصر.

اشتراه سيّده أبو بكر محمد بن طُغْج بثمانية عشر ديناراً ـ وقيل: بخمسة عشر ـ من الزَّيَّاتين، فاستولى على مصر والشام، وتوفي الإخشيد سنة أربع ـ أو خمس ـ وثلاثين وثلاث مئة، فأُقعِد ابنُه أبو القاسم أنوجور، وأبو الحسن علي مكانه، ودخلا مع الخليفة في ضَمان البلاد، وكان المُدَبِّر لأمرهما كافور، وسار إلى مصر فقتل غَلْبون ومَلَكها ـ وكان غَلْبون قد تَغلَّب عليها.

وكان كافور شجاعاً، مِقداماً، جَواداً، يُفَضِّل على الفحول، وقصده المتنبِّي ومَدَحه، فأعطاه أموالاً كثيرة، ثم فارقه إلى العراق.

وقال أبو الحسن بن آذِن النَّحْوي[1]: حضرتُ مع أبي مَجلسَ كافور وهو غاصٌّ بالناس، فقام رجلٌ فدعا له وقال في دعائه: أدام الله أيامِ مَولانا، بكسر الميم من أيام، فأنكر كافور والحاضرون ذلك، فقام رجلٌ من أوساط الناس فقال:

لا غَرْوَ أن لَحَنَ الدَّاعي لسيِّدنا أو غَصَّ من بَهَرٍ[2] بالرِّيْق أو بَهَرِ
فمِثلُ هَيْبَتِه حالت جَلالتُها بين الأديب وبين القَوْلِ بالحَصَرِ
وإن يكن خَفَضَ الأيامَ من غَلَطٍ في موضعِ النَّصْبِ لا عن قِلَّةِ البَصَرِ
فقد تفاءلْتُ من هذا لسيِّدنا والفَألُ مَأثَرة عن سيِّدِ البَشَرِ
بأنَّ أيَّامَه خَفْضٌ بلا نَصَبٍ وأنَّ أوقاتَه صَفْوٌ بلا كَدَرِ

فعجب[3] الحاضرون وكافور، ووصَلَه وأحسن جائزتَه.

(١) في تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٠٦: بن أد بن النضر النحوي، وفي النجوم الزاهرة ٤/ ٣: بن أذين النحوي، وهذا الخبر ليس في (ف م م١).

(٢) في تاريخ دمشق، والنجوم الزاهرة، ووفيات الأعيان ٤/ ١٠٢: من دهش.

(٣) هنا ينتهي الخرم في (خ).

وذكر له جدي في «المنتظم» حكاية من أحسن ما يُخَلَّد في بطون الأوراق مما يدلُّ على مكارم الأخلاق فقال: حكى أبو جعفر المسلم بن عُبيد الله بن طاهر العَلويّ النَّسابة قال: ما رأيتُ[(١)] أكرمَ من كافور، كنتُ أُسايره يوماً وهو في مَوكب خفيف يُريد التَّنَزُّه، وبين يديه عِدَّةُ جَنائب بمراكبِ ذهبٍ وفضَّة، وخلفَه بِغالُ الموكب، فسقطت مِقْرَعَتُه من يده ولم يرها ركابيته، فنزلتُ عن دابتي، وأخذتُها من الأرض، ودفعتُها إليه، فقال: أيها الشَّريف، أعوذ بالله من بلوغ الغاية، ما ظننتُ أن الزمان يُبلّغني حتى تفعل بي أنت هذا، وكاد يبكي، فقلت: أنا صنيعة الأستاذ ووليّه، فلما بلغ باب داره وَدَّعني، فلما سرتُ التفتُّ فإذا بالجنائب والبغال كلها خلفي، فقلت: ما هذا؟ قالوا: أمر الأستاذ أن يُحمل مركبه كله إليك، فأدخلتُه داري، فكانت قيمتُه تزيد عن خمسة عشر ألف دينار[(٢)].

وقال المصنف رحمه الله: كان[(٣)] المسلم [بن عبيد الله بن طاهر بن يحيى النَّسَّابة] من صالحي العَلويين وساداتهم.

[ذكر حكاية له:

ذكرها أبو العباس النَّسابة مصنف كتاب «ترجمة المشتاقين» فقال:] كان له غلام قد ربّاه، وكان من أحسن الغِلمان، فرآه بعضُ القُوَّاد، فبعث إليه ألف دينار مع رجل وقال: [اذهب إلى الشريف و] اشتر لي منه الغلام.

[قال الرجل: فوافيتُه وهو في الحمَّام، ورأيتُ الغلام عرياناً، فرأيتُ منظراً حسناً] فقلتُ في نفسي: لا شكَّ أن الشريفَ لا يَفوتُه هذا الغلام، [وظننتُ ظنَّ السُّوء] وأدَّيتُ الرسالة، فقال: ما دفع فيه هذا الثَّمن إلا وهو يُريد أن يعصي الله، ارجع إليه بماله فلا أبيعُه، [قال الرجل: فعُدتُ] إليه فأخبرتُه.

(١) في (ب خ): وقال أبو جعفر المسلم... ما رأيت، والمثبت من (ف م م١).

(٢) المنتظم ١٤/ ٢٠٠.

(٣) في (ف م م١): قلت كان، والمثبت من (ب خ).

ونمتُ تلك الليلة، فرأيتُ النبي ﷺ في المنام، فسلَّمتُ عليه فما رَدَّ، وقال: ظَنَنْتَ في ولدي مُسلم الخَنا مع الغلام، امض إليه واسأله أن يجعلك في حِلّ. [قال الرجل:] فلما طلع الفجر مضيتُ إليه، وأخبرتُه بالمنام، وبكيتُ، وقَبَّلتُ يديه ورجليه، وسألتُه أن يَجعلني في حِلّ، فبكى وقال: أنت في حِلّ والغلام حرٌّ لوجه الله تعالى.

ذكر وفاته:

مات كافور سنة ثمان وخمسين، وقيل: سنة ست وخمسين، وقيل: سنة سبع وخمسين وثلاث مئة، في جمادى الأولى، قبل وصول القائد جوهر إلى مصر بيسير، وكتب على قبره، وحمل تابوته إلى القدس(١): [من البسيط]

ما بالُ قبرِك يا كافورُ مُنْفَرداً ... بالصَّحْصَح المَرْتِ بعد العَسْكَرِ اللَّجِب
يَدوسُ قبرَك آحاد الرجال وقد ... كانت أُسودُ الشَّرى تَخشاك من كَثَبِ

وقال الوليد بن بكر الغَمْري: وَجَدْتُ على قبر كافور مكتوباً: [من البسيط]

انظُرْ إلى عِبَر الأيام ما صَنعتْ ... أفنتْ أُناساً بها كانوا وما فَنِيَتْ
دُنياهم ضَحكتْ أيامَ دولتهم ... حتى إذا فَنِيتْ ناحَتْ لهم وبَكَتْ

وكانت إمارته اثنتين وعشرين سنة.

وقيل: لما دخل جوهر مصر خرج كافور إلى الشام فمات به، والأصح أن جوهراً دخل بعد موت كافور، والله أعلم.

[وفيها توفي]

محمد بن أحمد بن جعفر

أبو بكر، الشَّبَهِيّ(٢)، النَّيسابوري.

---

(١) في (ف م م١): حكى الحافظ ابن عساكر قال: مات كافور في سنة ست وخمسين وثلاث مئة بمصر، وحمل تابوته إلى بيت المقدس، وقيل مات في سنة سبع وخمسين وثلاث مئة، وحمل في جمادى الأولى، وذلك قبل وصول القائد جوهر إلى مصر بيسير وكتب على قبره، والمثبت من (ب خ)، وانظر تاريخ دمشق ٥٩/ ٢٠٧، ووفيات الأعيان ٥/ ٩٩، والسير ١٦/ ١٩٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٠٥ و ١١٨، والكامل ٨/ ٥٨١.

(٢) تحرفت في النسخ كلها إلى: البيهقي، والمثبت من طبقات الصوفية ٥٠٥

[قال ابن خميس:] كان من أفتى مشايخ نَيْسابور في زمانه [، صحب أبا عثمان الحِيري].

سئل عن الفتوة فقال: هي حسنُ الخُلُق، وبَذْلُ المعروف.

وقال له بعض أصحابه: إنني إذا دخلتُ السُّوق يقول الناس: انظروا إلى خشوعِ هذا المُنافق، فقال له: فخف الله على نفسك؛ فإن النبي ﷺ قال: «المسلمون شهداء الله في الأرض».

مات قبل الستين وثلاث مئة[1].

---

(١) في (ف م م١): قال ابن خميس: مات محمد قبل الستين وثلاث مئة، وانظر مناقب الأبرار ٢/ ٢١٩، وأخرج الحديث أحمد (١٢٩٣٩)، ومسلم (٩٤٩) من حديث أنس بن مالك ﷺ.

السنة التاسعة والخمسون وثلاث مئة

فيها عُمل ببغداد يوم عاشوراء ما جرت به العادة. وفيها في صفر أخذت الروم أنطاكية، نزلت الروم على حصنٍ قريب منها يُعرف بحصن لوقا[1] وأهله نصارى، فوافقوهم على أن ينتقلوا منه إلى أنطاكية، ويُظهروا أنهم إنما انتقلوا منه خوفاً من الروم، حتى إذا حصلوا بأنطاكية وجاءت الروم فنازلتها عاونوهم على فتحها، وانصرفوا عنهم على ذلك، فانتقل النصارى إلى أنطاكية، وفي أحد جوانبها جبل، فنزلت النصارى فيه، واستوطنوه، ولم يعلم أهل أنطاكية بما كان بين النصارى والروم.

ثم جاء الروم بعد شهرين مع أخي نقفور الملك، فحصروا أنطاكية، فصَعِد أهلها على الأسوار، وجاءت طائفة فقصدوا الجبل الذي فيه النصارى، ففتحوا لهم الأبواب فدخلوا، ووضعوا السيف في أهلها، وسَبَوا وقتلوا خلقاً عظيماً، وساقوا من النساء والصبيان ما أرادوا وقيل: سَبَوا عشرين ألفاً، وبعثوا بهم إلى بلادهم، وقالوا للشيوخ والعجائز والأطفال: اذهبوا حيث شئتم.

ثم أنفذ الملك جيشاً إلى حلب في عشرة آلاف، فملكوا الرَّبض، وكان شريف بن سيف الدولة يحاصرها وفيها قَرغويه، فانحاز شريف إلى خُناصِرة طرف البرية ليبعد عن الروم، وبقي قرغويه وأهل حلب في القلعة.

فخرج إلى الروم رجلٌ هاشميٌّ من أهل حلب يقال له: طاهر، ومعه جماعة من الأعيان، فتوسَّط[2] بين قرغويه وبين الروم، وتَرَدَّدت الرسائل حتى تقرَّر الأمرُ بينهم على صُلحٍ وهُدنةٍ مؤبَّدة، وكتبوا بينهم كتاباً مضمونه: أن الصلح تقرر بين قرغويه الحاجب السَّيفي الدمشقي وفتاه بَكجور وجماعة من أعيان الحلبيين وبين الخادم الطربادي صاحب مائدة نَقفور ـ وكان هذا الخادم يقود الجيوش ولم يكن له منزلة الدُّمُسْتق ـ وتاريخ الكتاب في صفر سنة تسع وخمسين وثلاث مئة على أن يدفعوا لهم كل سنة وزن ثلاثة قناطير من الذهب، وقيل: من الفضة، على أن يؤمنوهم على

(١) في (ف م م١): توما، وفي (ب خ): فرقا، والمثبت من الكامل ٨/ ٦٠٣.

(٢) في (ف م م١): فتوسطوا.

أموالهم وأنفسهم وأهاليهم وجميع المسلمين، وتدخل في الصُّلح حلب وأعمالها، وحمص وأعمالها، وسَلَمية، وجُوسِيَة، وشَيْزر، وكَفَرْطاب، وأفامية، ومَعرّة النُّعمان، وجبل السُّمَّاق، ومَعَرّة مَصْرِين، وقِنَّسْرِين، والعَمْق، والزَّرَّاعة.

وذكروا الأماكن المختصَّة بهذه البلاد، ولم يذكروا حماة، والظاهر أنها لم تكن عامرة يومئذ، وجعلوا الحدَّ الفاصل من الشرق الفرات، ومن الغرب البحر وأنطاكية، ومن الشمال أَعْزاز، وجعلوا ما يأخذونه في أقساط مُقسَّطة في ثلاث دفعات، ففي كانون الأول قنطار، وفي أواخر حزيران قنطار، والثالث في أواخر تشرين الثاني، ووزن كل قنطار سبعة آلاف ومئتي مثقال بالرومي، ووزن كل مثقال درهم ونصف إسلامي.

وشرطوا على المسلمين شروطاً منها: أن المسلمين من سُكَّان حلب والبلاد التي ذكرنا والقرى يُؤدّون عن كل إنسان يَتِمُّ له خمسة عشر سنة ستة عشر درهماً، سوى العِميان والزَّمْنى، وأن لايؤخذ من النصارى جِزية، وأن لايكون للمسلمين سلطان إلا مَن يُنَصّبه ملك الروم، ومتى غزا الملك بلادَ الإسلام يكون عَسكرُ هذه البلاد في خدمته، ومتى ورد جاسوسٌ يريد بلاد الروم حَمله مُقَدَّم حلب إليهم، وأن لا يَعْمُرَ المسلمون حصناً، ويمكّنوا النصارى من عِمارة[1] البِيَع والكنائس والصَّوامع، وأن يعطوهم رهائنَ من حلب ممن يختارونه ويُسمُّونه من الأشراف، وذكروا أشياءَ أُخَر.

فأعطاهم قرغويه ما طلبوا، ورجعوا عن البلاد إلى بلادهم ومعهم رهائن من أهل حلب: أبو الحسن بن أسامة، وأبو طالب الهاشمي، وأبو الفرج العطار وغيرهم.

وسببُ هذا اختلاف المسلمين؛ أما بغداد فكان الخُلفاء من بني بُوَيه مثل الأسرى، وأما الجزيرة فكان الخلاف بين أولاد حَمْدان واقعٌ، وأمورُهم مُخْتَلَّة، وأما مصر فكانت فتوحاً متجددة، ولم يتمكّن جَوْهر بعدُ من البلاد.

[فصل:] وفيها قُتل نقفور ملك الروم، وبسبب قتله صالح الروم ورجعوا إلى بلادهم.

---

(١) في (خ ب): بناية.

وفيها في ربيع الأول انتظم الصُّلْحُ بين أبي المعالي بن سيف الدولة وبين قرغويه، وأقاما الخطبة بحلب للمُعزّ، وبعث إليهما جوهر القائد بالأموال والخِلَع.

وفي رجب جاء أبو تَغْلب بن ناصر الدولة من الموصل، فحَصر حَرَّان شهراً فلم يقدر عليها، وأفسد أصحابُه ثمارَها وزرْعَها، وقَلَّت المِيرةُ عنده، فخرج إليه المحسن بن أبي عبيد الله العلوي والحسن بن صغير من حيث لم يعلم أهل البلد، فأخذا لهم أماناً، ودخل أبو تغلب وإخوته يوم الجمعة إلى حَرَّان ، فصلَّوا الجمعة وخرجوا إلى العسكر، وجعل أبو تغلب الخيار إلى أهل حَرّان فيمَن يولّي عليهم، فاختاروا سَلامة البَرْقَعيديّ لحُسن سيرته فولاه، ثم رجع أبو تغلب إلى الموصل، وأخذ معه أربعين من أحداث حران[١].

وفي ربيع الآخر نادى الهَجَريّون: لايخرجْ من البصرة قافِلة، ولا من الكوفة، ولا إلى مكة، ومَن خالف فلا ذِمامَ له.

وفيها صُرف القاضي أبو بكر أحمد بن سيَّار عن القضاء في حَريم دار السلطان، ورُدَّ القضاء إلى أبي محمد بن مَعروف، وتقلَّد ابن سَيّار القضاء بطريق خُراسان مضافاً إلى ما كان بيده.

وفيها كتب جماعة من أهل مَيّافارِقين إلى أبي تغلب بتسليم ميافارقين إليه، وعلمت والدةُ أبي المعالي، فجمعت أهلَ البلد عندها، واعتقلت منهم جماعة، وجدَّدت الأيمانَ عليهم لولدها، وكان بالشام يُصلح الحال.

وفيها استوزر بختيار أبا الفرج محمد بن العباس بن فَسَانْجس الشِّيرازي، وخلع عليه، وسلم إليه الكتاب والدواوين، وكان قد ضمن له سبعة آلاف ألف درهم، فأخذها من الكُتّاب، منهم أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابئ، أخذ منه مئتي ألف درهم، ومن الحاشية بأسرهم، ثم انحدر إلى واسط والبصرة والأهواز على تسع مئة ألف درهم، وصادر عامل واسط والبصرة، وأخذ خطوطهم بستة آلاف ألف درهم، وجمع أموالاً عظيمة، وكتب إلى بختيار أنه قد خان ، فقبض عليه وعلى أهله وأسبابه، واعتقل في البصرة[٢].

---

(١) هذا الخبر ليس في (ف م م١)، ولم أقف على تفصيله لغير المصنف.

(٢) من قوله: وفيها صرف القاضي... إلى هنا ليس في (ف م م١).

[قال ثابت بن سنان:] وفيها وصلت هدية إسحاق بن إبراهيم بن زياد صاحب اليمن من البصرة، وفيها فيل، ودَقَل من عودٍ قَماري، طوله عشرة أذرع، ووزنه ثلاثون منّاً. قال ثابت: وكان فيه قشر بيضة ذكروا أنها بيضة حية، فكانت تسع من الماء على التقدير خمسة عشر رطلاً بالعراقي.

[قال: وظننت أنها بيضة نَعامة إلا أن قشرها كان أغلظ، ولونها مُخالف للون النَّعام.

وكان فيها ببغاء بيضاء وسوداء المِنقار والرجلين، وعلى رأسها ذؤابة. وأظرف ما كان في الهدية: حمارة كبيرة عظيمة الخَلْق في قدر البغل الصغير، مُخطَّطة أحسن تخطيط، وذكروا أن هذه الأتان من بلدة من بلاد الحَبَش تملكها امرأة، وبينها وبين اليمن ألف وثمان مئة فرسخ[1].

وفيها انقض كوكب عظيم ثلث الليل الأول أشرقت الدنيا به، حتى صار كأنه شعاع الشمس قد طلعت، وسُمع بعد انقضاضه صوتٌ عظيم كالرعد الشديد؛ من غير أن يكون في السماء غَيْمٌ.

وحج بالناس أبو أحمد [النقيب، واسمه] الحسين بن موسى، نقيبُ الطَّالبيين، وجاء كتابه إلى بغداد في أول سنة ستين وثلاث مئة أنه لم يَرِد أحدٌ من مصر، وأنه أقام الخطبة للمُطيع والهَجَريّين بعده، وعَلَّق القناديل التي بعثها المطيع معه في البيت، وكان فيها قنديل من ذهب فيه ست مئة مثقال والباقي فضة، وأنه نصب الأعلام الجُدد التي كانت معه وعليها اسمُ الخليفة.

وفيها توفي

صالح بن عُمير العُقَيليّ

ولي إمرة دمشق خلافةً عن الحسن بن عُبيد الله بن طُغْج سنة سبع وخمسين وثلاث مئة لما انهزم فاتك الكافوري، وكان صالح يتولّى الجَيْدور، فأرسل إليه شيوخ البلد، فجاء فسلَّموا إليه دمشق، وغلب القُرمطيّ على الشام، فخرج صالح إلى الرَّمْلَة، فلما عاد القرمطيّ إلى الأحساء عاد صالح إلى دمشق فمات بها، وكان شجاعاً جواداً[2].

(١) في (ف م م١): وثلاث مئة فرسخ.

(٢) تاريخ دمشق ٢٣/ ٣٦٠، وتاريخ الإسلام٨/ ١٣٥، والوافي بالوفيات ١٦/ ٢٦٨، والنجوم الزاهرة ٤/ ٥٦.

فاتِك

أبو شُجاع، الخازن، الإخشيديّ.

ولي إمرة دمشق سنة خمس وأربعين وثلاث مئة من قبل ابنَي الإخشيد، وكان شجاعاً، وهو غير فاتك الذي رثاه المتنبي، ذاك مات سنة خمسين وثلاث مئة بمصر، وهذا مات بدمشق(١).

[فصل: وفيها توفي]

نقفور ملك الرُّوم

لم يكن من بيت المُلك، وذكر مَن زعم أنه يعرف أمره أنه وَلَدُ رجلٍ مسلم من أهل طرسوس يعرف بابن الفَقَّاس(٢) تَنَصَّر.

وكان نقفور رجلاً شُجاعاً، شَهماً، مُدَبِّراً سائساً، لم يُرَ مثلُه منذ عهد الإسكندر ذي القَرْنَين، وهو الذي فتح حلب ولم يفتحها أحدٌ قبله، فعَظُم في عين الروم، وجَلّت منزلتُه، وارتفع قَدرُه، فوثب على الملك الذي كان في زمانه، فقتله، وجلس مكانه، وتزوج امرأته على كُرْهٍ منها، وكان لها ولدان(٣) من المقتول.

وصرف نقفور هِمَّته إلى بلدان الإسلام، وحيازة الأول فالأول منها، حتى ملك طَرَسوس، وأنطاكية، وعين زَرْبى، وأَذَنة، والمِصِّيصة، وما يُجاورها من الحصون، وأحرق رَساتيقَ كثيرة [، وفعل ماشرحناه].

وكان يَرْصُد البلاد، فإذا جاء استواء الغِلال(٤) خرج فأحرقها، فيموت أهلُ البلاد جوعاً، وقتل من أهلها ما لا يُحصى، وسبى من النساء والغلمان والشباب ما لا يُحصيه حَدّ، ولم يلْقَه أحد، وساعدته المقادير بما وقع بين المسلمين من الخُلف، وشُغل بعضهم ببعض، ولم يَشُكَّ أحدٌ في أنه يأخذ بلاد الشام وديار ربيعة ومُضَر(٥).

---

(١) تاريخ دمشق ٥٧/ ٤٤٧ ، والنجوم الزاهرة ٤/ ٥٦.

(٢) في (ف م م١): العقاس.

(٣) في (ف م م١): كره منها حيث قتل زوجها وكان لهذه المرأة التي قتل زوجها ولدان.

(٤) في (ف م م١): وكان يترصد البلاد فإذا استوت الغلال.

(٥) في (ف م م١): ولم يشك أحد في أنه يملك بلاد الإسلام يعني بلاد الشام وديار ربيعة ومضر في يده.

فلما استوثق له الأمر، وانتظم له التدبير؛ انقضت مدَّتُه، وأتاه الله من حيث لايحتسب، فقُتل بأضعف سبب وأهونه؛ وذلك لأنه عمل على أن يَخصي ابني زوجته من الملك الذي قتله، ويَهديهما إلى البِيعة ليستريح منهما ومن أن يكون لهما نَسلٌ يَصلُح للملك، فيَأمَن بذلك على نفسه ومُلكه ومُلك مَن بعده من ولده وعقبه.

وبلغ زوجتَه فقَلِقت[1] لذلك، واحتالت في أن أرسلت إلى الدُّمُسْتق ـ وهو ابن الشَّمشق، واتفقا على أن يصل إليها في زي النساء ومعه جماعة ممن يثق بهم في مثل زيه، وكان ابن الشمشق شديد الخوف من نقفور لعظم هيبته، فاستجاب للمرأة ليستريح منه ويأمن على نفسه، فاحتالت حتى أدخلتهم الكنيسة التي تتصل بدار الملك في ليلة الميلاد من سنة تسع وخمسين وثلاث مئة في شهر ربيع الأول، وقد صلَّى نقفور ونام واستثقل في نومه، ففتحت المرأة الباب الذي بين الكنيسة والدار، فدخلوا عليه فقتلوه، وثار جماعة من أصحابه، فقتلوا منهم سبعين رجلاً، وأجلسوا في الملك الأكبر من وَلَدي المرأة، وصار المدبِّر له ابن الشمشق.

وكان نقفور يبات في الحديد[2]، إلا تلك الليلة فإنه نام عُريانا للأمر المقدور، وعجل الله بروحه الخبيثة إلى النار، وأراح المسلمين منه، وكانت قِتلته بالقسطنطينية[3].

---

(١) في (ف م م١): وبلغ زوجته ما قد عمل عليه في أمر ولديها.

(٢) في (ف م م١): ويقال إن نقفور ما بات إلا في الحديد.

(٣) بعدها في (ف م م١): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم. وانظر في هلاك نقفور: المنتظم ١٤/ ٢٠١ ، والكامل ٨/ ٦٠٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٦ ،والنجوم الزاهرة ٤/ ٥٦ .

السنة الستون وثلاث مئة

فيها في يوم عاشوراء فعل ببغداد ما جرت به العادة من النَّوح وغيره.

وفي صفر لحقت الخليفة سَكتةٌ، فاسترخى جانبُه الأيمن، وثَقُل لسانُه.

ومات أبو الفضل محمد بن الحسين بن العَميد وزير رُكن الدولة بن بُوَيْه، واستكتب ركن الدولة أبا الفتح علي بن محمد بن الحسين.

وفيها في ربيع الأول زَوَّج عزُّ الدولة ابنتَه [واسمها] بلكندر وعمرها ثلاث سنين من أبي تَغْلب[بن ناصر الدولة] على صداق مبلغه مئة ألف دينار ، وكان العقد في دار عز الدولة ولم يحضره ، وقبل العقد عن أبي تغلب صاحبه علي بن عمرو بن مَيْمون .

وفيها تقَلَّد القاضي أبو محمد بن مَعروف قضاء القُضاة ، وقضاء الجانب الشَّرقي من مدينة السلام ، مُضافاً إلى القضاء بالجانب الغربي ومدينة المنصور ، وخُلع عليه بين يدي المطيع ،وركب معه الوزير أبو الفضل العباس بن الحسن الشِّيرازي إلى جامع الرُّصافة ، وقُرئ عهده ، وصُرف أبو بكر بن سَيَّار من الجانب الشرقي ، وقبل ابن معروف شهادة أبي سعيد الحسن بن عبد اللّه السِّيرافي ،واستخلفه على الحُكم في الجانب الشرقي ، وقبل أيضاً شهادة أبي الحسن علي بن عيسى الرُّمَّاني النَّحْويّ .

وفيها قبض أبو تغلب على أخيه محمد في شعبان وحمله إلى القلعة[١].

قال المصنف رحمه الله[٢]: وإلى هذه السنة انتهى تاريخ أبي الحسن ثابت بن سنان، وقيل[٣]: إلى سنة ثلاث وستين، وهذا أصح، [ذكره ابن الصابئ وغيره، وختم ثابت كتابه في هذه السنة، انتهى بذكر بعضها.

والدليل أن تاريخ ثابت بن سنان انتهى إلى سنة ستين وثلاث مئة قولُ أبي الحسن هلال بن المُحَسِّن بن إبراهيم الصَّابئ في تاريخه الذي ذيَّله على تاريخ ثابت بن سنان، قال: وآخره سنة ستين وثلاث مئة لما نذكر.

---

(١) من قوله : وفيها تقلد القاضي أبو محمد ... إلى هنا ليس في (ف م م١) .

(٢) في (ف م م١): قلت.

(٣) في (ف م م١): وقال بعضهم.

ذكر ما ختم به ثابت بن سنان تاريخه من العجائب:

قال: ومنه ما شاهدته، ومنه ما أخبرني به مَن أثق به لصدق لهجته، من بني آدم والحيوان والنبات، فمن ذلك قال: رأيت امرأة في صدر خلافة المقتدر ببغداد بلا ذراعين ولا عَضُدَين، ولها كَفَّان وأصابع مُعَلَّقات في رأس كتفيها لا تعمل بهما شيئاً، وكانت تعمل أعمال اليدين برجليها، وتفعل بهما كل ما تريد حتى الغَزْل، وتسرِّح رأس امرأة غيرها، و] منها[(١)] أن مَلَّاحاً كان يَنْقُط اللَّبَنُ من ثديه، وأنه كان يُرضع ابناً له[(٢)] من ذلك اللبن، وعاش مدة.

ومنها أن امرأةً كان لها قَرْنان في جانبَيْ رأسها.

ومنها أن رجلاً قدِم من مصر إلى بغداد وله قَرْنان، فقطعهما وكواهما، وكانا يَضربان عليه، فبرئ.

ومنها سِنَّورٌ أحمر لونه كلون العُنَّاب، وله أَلْيَةٌ عِوضُ ذَنَبِه[، وذكر أشياء من هذا الجنس]، ومَبدأُ كتابه من خلافة المقتدر في سنة خمس وتسعين ومئتين إلى هذه السنة، وهي سنة ستين وثلاث مئة؛ خمس وستون سنة.

وفيها سار أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطي من هَجَر والأحساء إلى الشام ومعه محمد بن عَضودا وظالم بن مَوهوب العُقَيلي في قبائل العرب، فحاصر دمشق في ذي الحجَّة، فخرج إليه القائد جعفر بن فَلاح، فاقتتلوا أياماً، فلما كان في آخرها حَمل القِرمطيُّ بنفسه على جعفر فقتله، وقتل عامَّة عسكره، وملك دمشق، وولّاها ظالم العُقيلي، وأقام القرمطيُّ بها أياماً ثم عاد إلى هجر، وخرج بعده ظالم من دمشق[(٣)].

وحج بالناس أبو أحمد النَّقيب.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، جاء بدله في (ب خ): وذكر في تاريخه أشياء ختمه بها منها.

(٢) في (ف م م١): وأنه أرضع ابناً له.

(٣) هذا الخبر ليس في (ف م م١).

[فصل: وفيها توفي

إبراهيم بن محمد

ابن صالح بن سِنان بن يحيى بن الأركون، أبو إسحاق، الدِّمَشْقيّ.

قال الحافظ ابن عساكر: هو مولى خالد بن الوليد؛ لأن خالداً سبى الأركون حين فتح دمشق، فأسلم على يده، قال: وإلى جده سنان تُنسب قَنْطَرة سنان بنواحي باب توما.

سمع إبراهيم الكثير، وتوفي بدمشق وقد جاوز الثمانين.

حدَّث عن أبي زُرْعَة الدِّمَشْقي وطبقته، وروى عنه ابن مَنْده وغيره، وكان ثقة.][١]

وفيها توفي

جعفر بن فَلاح

أحد قُوَّاد المِصريين، وأول أمير ولي لهم دمشق، وكان فيمن خرج مع جَوْهر من المغرب، وشهد معه فتوحَ مصر، ثم بعثه جوهر فغلب على الرَّمْلَة سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وأقام بدمشق.

ولخمس[٢] خلون من صفر من هذه السنة أمر المؤذنين بجامع دمشق أن يؤذنوا بحي على خير العمل، وكذا بالمساجد، وأن يُثَنُّوا الإقامة [كما هو مذهب أبي حنيفة].

وكان ينزل بمكان يقال له: الدّكّة، بين نهر يزيد وتورا، وقيل: هي فوق يزيد قريباً من دير مُرَّان، فجاء أبو محمد الحسن بن أحمد القرمطي إلى دمشق ويُلقَّب بالأعصم، وكان جعفر مريضاً، فخرج فقاتله، فقتله القرمطي في ذي القعدة، وقيل: في شوال، ولما علم بقتله بكاه ورثاه؛ لأنهما وإن كانا عَدوَّين غير أن التشيع يجمعهما[٣].

وكان جعفر شاعراً، كتب إلى الوزير يعقوب ويقال: إنها له، وهي هذه الأبيات:

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وانظر تاريخ دمشق ٢/ ٥٠٧ (مخطوط).

(٢) من قوله: وفيها توفي جعفر بن فلاح...إلى هنا؛ ليس في (ف م م١) بدله فيها: قال الحافظ ابن عساكر ولخمس، والمثبت من (خ ب).

(٣) بعدها في (ف م م١): وسنذكر القصة بعد هذا.

ولـي صـديـقٌ مـامَـسَّـنـي عَـدَمٌ … مُـذْ نَـظَـرتْ عـيـنُـه إلـى عَـدَمـي
أعـطـى وأقـنـى ولـم يُـكَـلِّـفـنـي … تَـقـبـيـلَ كـفٍّ لـه ولا قَـدَم
قـام بـأمـري لـمـا قَـعَـدْتُ بـه … ونِـمـتُ عـن حـاجـتـي ولـم يَـنَـمِ[١]

سليمان بن أحمد بن أيُّوب

أبو القاسم، الطَّبَراني، اللَّخْمِيّ.

ولَخْم قبيلة من المغرب، قدموا الشام من اليمن، فنزلوا بيت المقدس، بالمكان الذي وُلد فيه عيسى عليه الصلاة والسلام، وبينه وبين بيت المقدس فرسخان، والعامة تقول: بيت لَحْم بالحاء المهملة وهو خطأ.

ولد سليمان سنة ستين ومئتين، وكان أحدَ الحُفَّاظ المكثِرين الرحَّالين، فاضلاً، كبيراً، نبيلاً، وله التصانيف الحسان «المعجم الكبير» في أسامي الصحابة، و«الأوسط» في غرائب شيوخه، و«الأصغر» في أسامي شيوخه.

أقام بأصبهان محدِّثاً ستين سنة، وتوفي بها ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من ذي القعدة، فبلغ مئة سنة، ودُفن إلى جانب قبر حُمَمَة الدَّوْسي صاحب رسول الله ﷺ بباب مدينة جَيّ، وروى عنه الأكابر والأعلام ما لا يُعدُّ كثرةً، واتفقوا على صدقه وفضله وأمانته وورعه[٢].

[فصل: وفيها توفي]

محمد بن جعفر بن محمد

أبو عمرو[٣]، الزَّاهد، البغدادي.

---

(١) نسبت الأبيات إلى علي بن النعمان في يتيمة الدهر ١/ ٤٠٠، ووفيات الأعيان ٥/٤١٨، وتاريخ الإسلام ٨/ ٤٠٤، وانظر ترجمة جعفر في وفيات الأعيان ١/ ٣٦١، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٤٢، والنجوم الزاهرة ٤/ ٥٩.

(٢) تاريخ دمشق ٧/ ٥٣٠ (مخطوط)، والمنتظم ١٤/ ٢٠٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٤٣، والسير ١٦/ ١١٩. وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

(٣) في (ب ف م م١): أبو عمر، وكذا في أصل المنتظم ١٤/ ٢٠٨ (كما أشار محققه)، والوافي ٢/ ٣٠٢، والمثبت من (خ)، وهو كذلك في المنتظم، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٥١، والسير ١٦/ ١٦٢، والبداية والنهاية ١١/ ٢٧١، والنجوم الزاهرة ٤/ ٦٢.

[سافر إلى البلاد، فسمع ببلد نَيْسابور إبراهيم بن أبي طالب وطبقته، وبالرَّي محمد ابن أيوب البَجَليّ وأقرانه، وببغداد جعفر الفريابي وأمثاله، وبالكوفة عبد الله بن سوار ونُظرائه، وبالبصرة أبا خليفة القاضي، وبالأهواز عَبدان بن أحمد، وبالحجاز أحمد بن يزيد وأمثالهم، و] روى عنه حُفَّاظ نَيسابور وغيرهم.

وكان صائماً قائماً، [وأثنى عليه الحاكم، وكان] قَنوعاً، يضرب اللَّبِن لقبور الفقراء، ويُفطر على رغيفٍ وجَزَرة ونحو ذلك، وكانت وفاتُه بنيسابور في جمادى الآخرة عن خمس وتسعين سنة، وأجمعوا عليه.

[وفيها توفي]

محمد بن الحسين بن عبدالله

أبو بكر، الآجُرِّي، البغدادي.

كان ديِّناً، صالحاً، عَفيفاً، حدَّث ببغداد [سنة ثلاثين وثلاث مئة]، ثم انتقل إلى مكة فجاور بها، وصَنَّف الكتب الكثيرة منها: كتاب «العُزْلة» وغيره.

[وروى محمد بن أبي طاهر البزَّاز قال:] لما دخل الحرم استطابه واستحسنه فقال: اللهم أحيني في هذا المكان سنة، فهتف به هاتف: يا أبا بكر لم سنة؟ بل ثلاثين سنة.

[فأقام به ثلاثين سنة] فلما كان في آخر يوم من السنة الثلاثين هتف به هاتف: يا أبا بكر، قد وَفَينا بالوَعْد، فمات في المحرَّم.

[أسند عن خلقٍ كثير، منهم أبو مسلم الكَجِّي وطبقته، وروى عنه محمد بن أبي الفوارس وغيره،] وأجمعوا عليه(١).

محمد بن الحسين

أبو الفضل، ابن العَميد، وزير ركن الدولة.

---

(١) بعدها في (ف م م١): وقد ذكرنا فيما تقدم من اسمه الآجري، وذكرنا طرفاً من أخباره. وانظر ترجمة الآجري في تاريخ بغداد ٣/ ٣٥، والمنتظم ١٤/ ٢٠٨، وتاريخ الإسلام٨/ ١٥٣، والسير ١٦/ ١٣٣.

كان شجاعاً، مُدَبِّراً، فاضلاً، يلتقي الجيوش، ويفتح البلاد، ويُحبُّ العلماء، وكانت وفاتُه في صفر[١].

محمد بن سليمان بن أحمد[٢]

أبو طاهر، البَعْلَبَكّي، المؤدِّب.

سكن صيدا، وقرأ القرآن على هارون الأخفش، وروى عنه أبو عبد الله بن مَنْدَه وغيره، وكان ثقةً رحمة الله عليه.

(١) تكملة تاريخ الطبري ٤٢٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٥٣، والسير١٦/ ١٣٧ وفي حواشيه مصادر أخرى.

(٢) في (خ): محمد بن أحمد بن سليمان، وهو خطأ، والمثبت من (ب)، وهذه الترجمة وسابقتها لم ترد في (ف م م١)، وانظر ترجمته في تاريخ دمشق ٦٢/ ١٧٥ ، وتاريخ الإسلام٨/ ١٥٥.

السنة الحادية والستون وثلاث مئة

فيها عُمل ببغداد يوم عاشوراء ما جرت به العادة من النَّوْحِ وغيره.

وفيها استتر محمد بن العباس بن فَسانْجس ببغداد وأهله وأسبابه.

وفيها مات أبو القاسم سعيد بن أبي سعيد الجَنَّابي في هَجَر، وقام بالأمر بعده أخوه أبو يعقوب يوسف، ولم يبق من أولاد أبي سعيد الجنابي غيره، وعقد القَرامطة الأمر بعد يوسف لستة نَفَرٍ من أولادهم شِركةً بينهم، وكانت وفاة سعيد في جمادى الأخرى.

وفي رجب وُلد أبو القاسم عبد الله بن عزّ الدولة بُختيار بواسط[(١)].

وفيها تواترت الأخبار أن ملك الروم عَزم على القصد إلى بلاد المسلمين في ست مئة ألف مقاتل، فانزعج أهل الشام والجزيرة، وأنه يريد العبور من عند مَلَطْيَة إلى ديار ربيعة؛ ليفعل فيها ما فعل بحلب، فدفعه الله تعالى.

وفيها[(٢)] سلَّم أخو حَمْدان بن ناصر الدولة قلعةَ ماردين إلى أبي تَغْلب، وكانت أموالُ حمدان فيها وجواهرُه وحُرَمه، فنقل أبو تغلب الجميع إلى المَوْصِل، وكان حَمدان قد وثق بأخيه فخانه.

ومن ها هنا نبتدئ بشيء مما ذكره أبو الحسن هلال بن المُحَسِّن بن إبراهيم الصَّابئ؛ فإنه ذكر تاريخاً من أول سنة إحدى وستين وثلاث مئة إلى سنة أربع وسبعين وأربع مئة[(٣)]، سلك فيه أسلوب خاله ثابت بن سنان وألحقه به.

قال ابن الصابئ: في جمادى الأخرى ورد الخبر بأن أبا علي الحسن بن أبي منصور أحمد القِرمطيّ سار إلى مصر، ونزل بعَين شَمس، وجرت بينه وبين جَوهر القائد وقعة، وكان الاستظهار فيها لجوهر، وانهزم القرمطي.

قال ابن الصابئ: لما دخل جوهر مصر سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، ووَطَّأ الأمور للمُعزّ، وأقام الخطبة له؛ سيَّر القائد جعفر بن فَلاح إلى الشام، فأسر الحسنَ بن

---

(١) من قوله: وفيها استتر محمد ...إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) من هنا إلى قوله بعد صفحات: وفيها وردت الأخبار أن بني هلال... ليس في (ف م م١).

(٣) كذا (؟!) وهو خطأ، فإن الصابئ توفي سنة (٤٤٨هـ)، انظر تاريخ بغداد ١٦/ ١١٧، وتاريخ الإسلام ٩/ ٧١٩، والسير ١٦/ ٥٢٤.

عُبيد الله بن طُغْج، وبعث به إلى مصر، ولما نهب الرَّمْلَة قصده النَّابُلْسي الزَّاهد، واستكفَّ جعفراً عن النهب فكفّ، ثم استخلف ابنَه على الرَّمْلَة، وسار إلى طَبَريّة، وبلغه أن ابن أبي يَعْلى الشريف قد أقام الدعوة بدمشق للمُطيع، فسار إلى دمشق، فعَصَوا عليه وقاتلوه، فظهر عليهم، وهرب ابنُ أبي يعلى إلى البَرْبر، وجيء به إليه، فأحسن إليه، وبعث به إلى مصر مع جماعة من الأحداث الذين قاموا معه.

وعرف القرامطة استيلاءَ المغاربة على الشام، وأخذَهم ابنَ طُغْج، فانزعجوا من ذلك؛ لما يفوتهم من المال الذي كان قَرَّره ابنُ طُغْج لهم ـ وهو في كل سنة ثلاث مئة ألف دينار ـ فبعثوا أبا طَريف عَديّ بن محمد بن المعمّر صاحبهم إلى عز الدولة بختيار، والوزير يومئذ أبو الفرج محمد بن العباس، يطلبون المساعدة على المغاربة بالمال والرجال، فاستقر أن عزَّ الدولة يعطيهم ألف ألف درهم ، وألف جَوْشَن[1]، وألف سيف، وألف رمح، وألف قوس، وألف جَعْبَة، وقال: إذا وصل أبو علي الجَنَّابي إلى الكوفة حمل إليه جميع ذلك، ولما وصل الجنابي إلى الكوفة كان في عَددٍ كثير من أصحابه ومن الأعراب، فبعثوا إليه بالمال والسِّلاح، وسار يُريد الشام، وبلغ جعفر بنَ فلاح خبرُهم، فاستهان بأمرهم، ثم لم يَشعر بهم حتى كَبسوه بدمشق بمكان يقال له: الدّكَّة، فقتلوه، واحتَوَوْا على سواده وأمواله وكُراعه.

ومَلك أبو علي دمشق، وأمَّن أهلَها، وأحسن السِّيرةَ فيهم، وغلب على الشام، واجتمعت إليه العرب، وسار إلى الرَّمْلَة وبها سعادة بن حيَّان، فخرج إلى يافا، وتحصَّن بحصنها، ودخل أبو علي الرَّمْلَة، وقتل مَن وجد من المغاربة، ثم رحل طالباً مصر، وخلَّف بالرَّمْلَة أبا محمد عبد الله بن عُبيد الله الحسني، ومعه دَغْفل بن الجراح الطَّائي، وجماعة من الإخشيدية والكافورية، وجاء فنزل عين شمس على باب مصر، واقتتلوا أياماً، وظهر القرمطيُّ على المغاربة، وقتل منهم زهاء خمس مئة رجل، وغنم أموالَهم وأسلحتَهم ودوابَّهم.

فلما كان يوم الأحد لثلاث خلون من ربيع الأول وقف الهَجَريُّ على الخندق والمغاربة من ورائه، ونَشِبت الحرب، واقتتلوا إلى العصر، فخرجت المغاربةُ من الخنادق، وحملوا على الهَجَريّ، فانْدَقَّ عَسكرُه لا يلوي على أحد، وجعل يَرُدُّهم

(١) هو الدرع.

وهم منهزمون، فما وقفوا إلى الرَّمْلَة، وظنَّ جوهر أن هزيمةَ القرمطيّ مَكيدةٌ، فلم يتعرَّض لما كان في عسكره إلى ثلاثة أيام، حتى تحقَّق الخبر، فاستولى على الجميع.

ونادى جوهر في الإخشيدية فاجتمعوا، فعمل لهم طعاماً، وحلف لهم على المصافاة، ثم قبضهم وقيَّدهم وحبسهم، وكانوا ألفاً وثلاث مئة مقاتل.

وقال القرمطي في هذه الوَقعة: [من الكامل]

زعمت رجالُ الغَرْب أني هِبْتُها ... فدمي إذاً ما بينهم مَطْلولُ

يا مِصرُ إن لم أَسْقِ أرضَك من دمٍ ... يَروي ثَراك فلا سَقاني النِّيلُ[1]

وقال أيضاً: [من الخفيف]

زعموا أنني قصيرٌ لَعَمْري ... ما تُكالُ الرِّجال بالقُفْزانِ

إنما المَرْءُ باللسانِ وبالقلـ ... ـبِ وهذا قلبي وهذا لساني

ثم عاد الهَجَريُّ إلى بلده، وتَفرَّقت الأعراب في البريَّة.

وفي جُمادى الآخرة اجتمعت الأتراك ببغداد، وتحالفوا على الاتّفاق والتَّعاضد، وفعلت الدَّيْلَم بواسط مثل ذلك، وتجدَّدت منهم جُرأةٌ واستطالة لم يعهدوا فيه.

وقلّد أبو طاهر ابن الوزير أبي الفضل العباس بن الحسين وزارة أبي العباس سلار ابن عز الدولة بختيار والنظر في أموره.

وفيها عاد الهَجَرِيُّ إلى الشام، فلما وصل الأردن انصرفت المغاربة إلى مصر، ونزل الهجري الرملة في آخر شعبان، وصرف عنه أهل البادية، وأقام في أصحابه الهجريين.

وفيها وقع الصُّلح بين منصور بن نوح صاحب خُراسان وبين ركن الدولة بن بُويه وولده عَضُد الدولة أبي شُجاع؛ بأن يحمل ركن الدولة إلى ابن نوح في كل سنة مئة ألف دينار، ويحمل عَضُد الدولة خمسين ألفاً.

وفيها وردت الأخبارُ أن بني هلال اعترضوا الحاجّ البصريين والذين جاؤوا من خُراسان، فنهبوهم، وقتلوا خلقاً كثيراً، وبطل الحج، ولم يَسلم إلا مَن مضى من بغداد مع الشَّريف أبي أحمد الموسَوي[2].

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ٤، والكامل ٨/ ٦١٦.

(٢) من هنا إلى نهاية السنة ليس في (ف م ١).

وفيها توفّي سعيد بن أبي سعيد أبو القاسم ، الجَنَّابيّ، القِرمطيّ، الهَجَريّ .

ولم يكن بقي من أولاد أبي سعيد غيره، وغير أخيه يوسف، وقام مكانه أخوه يوسف، وعقد القرامطةُ الأمرَ بعد يوسف لستة نَفَرٍ من أولادهم على وجه الشّركة بينهم، لا يَستبدُّ أحدهم بشيءٍ دون الآخر.

عبد الرحمن بن أحمد بن عمران

أبو القاسم، الدِّينَوَرِيّ، الواعظ.

مات بدمشق، وكان يُنشد: [من الكامل]

يا أيُّها الرَّجلُ المُعَلِّمُ غيرَه هلا لنفسك كان ذا التَّعليمُ
تصف الدَّواءَ لذي السَّقام من الضَّنا ومن الضَّنا يَصِفُ الدَّواءَ سَقيمُ
لا تَنْهَ عن خُلُقٍ وتأتيَ مثلَه عارٌ عليك إذا فعلْتَ عظيمُ

وقال أيضاً:

ابدأ بنفسك فانْهَهَا عن غَيِّها فإذا انتهتْ عنه فأنت حكيمُ
وهناك يُسْمَعُ ما تقولُ ويُقْتَفَى منك المقالُ ويَنْفَعُ التَّعليمُ(١)

عثمان بن عمر(٢) بن خَفيف

أبو عمرو، المقرئ.

كان من الأبدال، صاحب كرامات، من أهل القرآن، والفقه، والدّيانة، والصِّيانة.

توفي ببغداد في رمضان.

علي بن إسحاق بن خَلَف

أبو الحسن، الزَّاهي، الشاعر، البغدادي.

(١) تاريخ دمشق ٩/ ٨٤٣ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٩٤ .
والأبيات التي أنشدها الدينوري جميعها من قصيدة نُسبت للمتوكل الكناني الليثي، أو للأخطل، أو لسابق البربري، أو للطرماح، أو لأبي الأسود الدؤلي، انظر خزانة الأدب ٨/ ٥٦٤-٥٦٩ ، وديوان أبي الأسود ٤٠٣-٤٠٥ .

(٢) في (خ ب) وأصل المنتظم١٤/ ٢١١ : عثمان بن عثمان، والمثبت من تاريخ بغداد ١٣/ ١٩٥ ، والمنتظم، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٩٥ .

كان فصيحاً، ومن شعره: [من مجزوء الرمل]

قُــم نُــهَــنِّــئ عــاشِــقَــيْــن أصــبــحــا مُــصْــطَــلِــحَــيْــن
جُــمِــعــا بــعــد فِــراقٍ فُــجِــعــا مــنــه بــبَــيْــن
ثــم عــادا فــي سُــرورٍ مــن صُــدودٍ آمِــنَــيْــن
فــهــمــا روحٌ ولــكــن رُكِّــبــا فــي بَــدَنَــيْــن(١)

[فصل: وفيها توفي

محمد بن فارس بن حَمْدان

ويعرف بالمَعْبَدِيّ.

كان يقول: إنه من ولد أم مَعْبَد الخُزاعية، ويعرف بالعَطَشيّ؛ لأنه كان يسكن سوق العطش ببغداد، ومات في ذي الحجة ببغداد.

حدَّث عن جماعة منهم جعفر بن محمد القَلانِسيّ الرَّمْلي، وخَطّاب بن عبد الدائم الأَرْسُوفيّ، ومَخْلد بن محمد الماحُوزي وغيرهم.

وروى عنه الدارقطني في المتقدمين، وابن رزقويه في المتأخرين وغيرهما.

وقال الخطيب: سألتُ أبا نُعيم الأصبهاني عنه فقال: كان ضعيفاً.

روى أحاديث لا تثبت، منها عن ابن عباس قال: قلت: يارسول الله، للنار جواز؟ قال: «نعم، حُبُّ علي بن أبي طالب».

والثاني عن ابن عباس أيضاً قال: قال رسول الله ﷺ: «شفعت في أبي وعمي وأخي من الرضاعة ـ يعني ابن السَّعديَّة ـ ليكونوا بعد البعث هَباءً مَنثوراً».

قال الخطيب: وهذان الحديثان باطلان، والله أعلم(٢).]

---

(١) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٦٥، والمنتظم ١٤/ ٢١٢، والسير ١٦/ ١١١.
(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وانظر تاريخ بغداد ٤/ ٢٧١، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٩٨.

السنة الثانية والستون وثلاث مئة

فيها لم يُعمل في يوم عاشوراء ما جَرت به العادةُ من النَّوح وغيره، وسببُه ما جرى على المسلمين من الروم بالجزيرة ونَصِيبين وغيرهما مما سنذكره إن شاء الله تعالى، وكان الحاجب سُبُكْتِكين مقيماً ببغداد، وبختيار بواسط، فمنعهم سبكتكين، وكان يميل إلى السنة.

[ذكر دخول الروم نصيبين:

قال علماء السير:] وفي يوم السبت مُستَهلّ مُحرَّم دخل ملك الروم نصيبين، فقتل وسَبى، واستأسر عامَّة أهلها، وهدم وأحرق، ووصل الخبر إلى بغداد فاضطرب أهلُها، ووافق ذلك ورودُ خبر الحاج للسنة الماضية، وما فعل بهم بنو هلال، ومات أكثرُهم، وشَغَب العوام، وقامت(١) الفتن.

وقال ابن الصَّابئ: خرج الدُّمُسْتُق في جموعٍ كثيرة إلى بلاد الإسلام، فوَطئها، وأثَّر آثاراً قبيحة، وغلَب على ديار ربيعة بأسرها، ودخل نَصِيبين فاستباحها، وقتل أكثرَ أهلها، وسبى السَّبْيَ العظيم من نسوانها وصبيانها، وأقام فيها نَيِّفاً وعشرين يوماً، ولم يكن من أبي تَغْلِب نَهْضَةٌ إليه؛ لكنه دفع إليه مالاً صانعه به عن نفسه.

ووَرد مدينةَ السلام خَلْقٌ كثير من أهل تلك البلاد، فاستَنفروا الناس في المساجد الجامعة والأسواق، وكسروا المنابر، ومنعوا الخُطباء من الخطبة، وصاروا إلى دار المُطيع، وحاولوا الهجومَ عليه، واقتلعوا بعضَ شبابيكها، حتى غُلِّقت أبوابُها، ورماهم الغلمان بالنُّشَّاب من رَواشِنها وحيطانها، ونسبوه إلى العَجْزِ عما أوجبه الله على الأئمة، وتَعَدَّوا في القول إلى الغِلظة القبيحة، والسَّبِّ الفَظيع.

ووافق ذلك شُخوص عزِّ الدولة من واسط إلى الكوفة للزيارة، فخرج إليه أهلُ السَّتر والدِّيانة من أهل بغداد، منهم أبو بكر الرَّازي الفقيه، وأبو الحسن علي بن عيسى النَّحْوي، وأبو القاسم الدَّارَكيّ، وابن الدَّقاق الفقيهَين، وشَكَوا إليه ما طرق المسلمين من هذه الحادثة العظيمة، وعاتبوه على أن شَغل نَفْسَه وجيشَه بصاحب البَطِيحة،

(١) في (ف م م١): وثارت.

وأهمل أمر الرّوم، فوعدهم بالعَوْدِ إلى واسط، ومُصالحة عمران، والانكفاء إلى الثغور، فسكنوا وانصرفوا.

ورجع إلى واسِط، وكتب إلى أبي تغْلب يُخبره أنه على نية الغزو، ويُلزِمه أن يُعِدَّ له الأزواد والعُلوفات، وبعث في ذلك أبي بكر محمد بن عبد الرحمن بن قُرَيْعَة القاضي، وأخرج أبا طاهر بن بَقيَّة إلى سبكتكين ليُصلح ما تَشَعَّث بينه وبين العبَّاس الوزير، ويُعيده له إلى الصفاء والمَودَّة، ويُنهِضه معه إلى الغزو، ويأمره باستنفار المُطَّوِّعة ومَن يرغب في الجهاد من العامة.

فأما أبو تَغْلب فأجاب جواباً، ووعد في المُلتَمَس منه.

وأما سبكتكين فأظهر صلاحَ النيَّةِ في الوزير، وأسرَّ خِلافَه، وركب مع الأمير أبي إسحاق ببغداد، واستنفر الناسَ والعوامَّ، فثار منهم عَددُ الرَّمل بأصناف السلاح، حتى بَهَره ما شاهد منهم، وكان ذلك من أقوى الأسباب في أن استَجاش على عزِّ الدولة أيامَ خَلْعِه طاعتَه بهم، وجرَّ هذا الاستنفار وقوعَ الفتن.

وورد الخبرُ بمصير الدُّمُسْتُق[1] إلى آمِد، وكان بها هَزارمرد غلامُ أبي الهيجاء بن حمدان، فكاتب أبا تغلب مُستصرِخاً به، فبعث إليه أبا القاسم هبة الله أخاه في جيشٍ كَثيف، فأغَذَّ السَّيرَ حتى وصل إلى آمد ليلةَ الفِطر، وجاء الدُّمُستق فتلقّاه هبة الله وهزارمرد، وقاتلاه أشد قتال، فنصر الله الإسلام، وقتلوا من الرُّوم خلقاً كثيراً، وأسروا الدُّمستق؛ فكان في عدَّةٍ كثيفة لكنه التقى هبة الله اتّفاقاً في مَضيق، وهو في أول عسكره، وعلى غير أُهْبَةٍ من أمره، فأخذه أسيراً، وأسر جماعةً من البَطارِقة، وأُنفِذَت رؤوس القتلى إلى بغداد.

وكتب أبو تَغْلب كتاباً إلى الخليفة بالفتح منه: بسم الله الرحمن الرحيم، لعبد الله أبي القاسم الفَضل، الإمام، المطيع لله، أمير المؤمنين، من عبده وصنيعته ابن حَمْدان: سَلامٌ على أمير المؤمنين، فإني أحمد إليه الله الذي لا إله إلا هو، وأسألُه أن يُصلِّي على محمد عبده ورسوله ﷺ، أما بعد: أطال الله بقاءَ سيِّدنا ومولانا أمير

(١) من قوله: ورجع إلى واسط وكتب إلى أبي تغلب ... إلى هنا ليس في (ف م م١).

المؤمنين، أدام الله عزَّه وتأييده، وكرامتَه، وسعادتَه وحِراستَه، وأتمَّ نعمتَه عليه، وزاد في إحسانه لديه، والحمد لله الذي نصر أولياءه، وقهر أعداءه، وذكر الإسلام وفضلَه وأطال إلى أن قال: وقد عَلم سيدنا ومولانا ماكان من طاغية الروم في استحكام طَمَعِه، وتسلُّطه، واستيلائه، وتَبسُّطِه على الثُّغور الشامية عند تشاغل المسلمين عنها، وبُعدِ ذَوي الثَّبات والبَصائر منها، وأنه أتى إليها وإلى نَصيبين بَغتةً، وفعل بها ما فعل، وذكر أَسْرَ هبةِ الله له، وأنه في قَبْضَتِهِ وبطارقته، وذكر كلاماً طويلاً.

فأجابه المُطيع بكتابٍ يَشكره فيه، ويُقوِّي عزيمتَه وهِمَّتَه[١].

وحبس أبو تغلب الدُّمُستق عنده، وأحسن إليه إحساناً كثيراً رجاء أن يَبلُغ به من صاحب الروم ما يَرومُه، فخرج به خُراجٌ عظيم فمات منه.

وفيها قدم بَخْتكين أرادرويه[٢] واسِطاً على عزّ الدولة، فأكرمه وأعظمه، وكان من الأتراك، فعقد له على الأهواز؛ وذلك برأي العبَّاس الوزير ليَجذبَ الأتراك إليه عن سبكتكين، وثبت عنده أن الوزير يُدبِّر الأمرَ عليه، وثبت عند الوزير أن سبكتكين يريد الخروج على عز الدولة، وأنه قد استمال الدَّيْلَم إليه.

ولما أحسن عز الدولة إلى بختكين فهم سبكتكين المراد، فانضاف إليه جماعة، فرأى عز الدولة إصلاحَه، فراسله واستصلحه، وأصلحه الوزير، فأظهر الانقياد إلى الطاعة، وفي القلب ما فيه، وخلع عليه عز الدولة الخِلَع الجليلة، وزاد في ألقابه الأسفَهْسَلار[٣].

وفي صفر توفي عبد الصمد بن محمد القاهر [بالله.

قال ابن الصابئ:]وفيها في شعبان احترقَت الكَرْخ؛ [وذكر كلاماً طويلاً حاصله[٤]:] أن أهل الكَرْخ قتلوا رجلاً من أهل المَعونة، فبعث الوزير [أبو الفضل الشِّيرازي] مَن طرح النار من النَّخَّاسين إلى السَّمَّاكين، فاحترقت أموال عظيمة، من

---

(١) من قوله: وكتب أبو تغلب كتاباً إلى الخليفة... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) انظر الكامل ٨/ ٦٣٥ .

(٣) هذا الخبر ليس في (ف م م١).

(٤) ما بين معكوفين من (ف م م١)، بدله في (ب خ): وذلك.

جملتها سبعة عشر ألف دُكَّان وثلاث مئة دكان، وثلاث مئة وعشرون داراً، أجرة ذلك في الشهر ثلاثة وأربعون ألف ديناراً، واحترق ثلاثة وثلاثون مسجداً.

والتقى رجلٌ من الصالحين الشّيرازي فقال له: أيها الوزير، قد أريتنا قُدرتَك، ونحن نُؤمِّل أن يُرينا الله قدرتَه فيك، فلم يُجبه بشيء لتفاقُم الأمر [وكان الشيرازي يميل إلى السنة، وما فعل ذلك إلا لينتقم من أهل الكَرْخ]، وكَثُر الدُّعاءُ عليه، فسخط عليه عزُّ الدولة، وسَلَّمه إلى الشريف أبي الحسن محمد بن عمر العَلَوي، فأنفذه إلى الكوفة، وعذَّبه بأنواع العذاب، وسقاه ذَراريح[١] فتَقَرَّحَت مَثانتُه، فمات في ذي الحجة [من هذه السنة.

وذكر غير ابن الصابئ] في حريق الكَرْخ وجهاً آخر [فقال:][٢] لما أمر عزُّ الدولة سبكتكين الحاجب بأن يُنَفِّر الناس للغزاة، ونادى، وظهر ما ظهر من العُدَّة والسلاح؛ انقلب الأمر، فصار أهل بغداد قسمين سنة وشيعة، ثم إنهم وجدوا إلى القتال طريقاً بإشهار السلاح.

ويقال: إن سبكتكين فرَّق فيهم سلاحاً كثيراً ليصل ذلك إلى الروم، فلما حملوا السلاح وقعت الفتنة، وأظهر كلُّ فريقٍ ما كان في نفسه، فدخل سبكتكين بينهم، فأرادوا قتلَه، فكتب إلى عز الدولة، فقدم بغداد ليُسَكِّن الفتنة، فزاد الأمرُ وتفاقم، واستولى العَيَّارون والشُّطَّار على بغداد، وكبسوا الدُّور، وتعرَّضوا للحريم، فألجأت الضَّرورةُ إلى أن رمى السُّلطان النارَ في الجانب الغربي من بغداد؛ لأن الفتنة كانت فيه أقوى، فرمى النار من حدّ بِرْكةِ زَلْزَل إلى عند السمَّاكين، فأحرق الكَرْخَ كلَّه، ومنع الناس من إطفائها، فأخذت يميناً وشمالاً، فأحرقت ألوفاً من الناس والبهائم، وكان يوماً عظيماً لم يَجْرِ في الإسلام مثلُه، وأعطى السلطان العَيَّارين الأمان، فسكنت الفتنة.

وفيها زُلزلت بلاد الشام، وهُدِمت الحصون، ووقع من أبراج أنطاكية عدَّة، ومات تحت الهَدْم خَلْقٌ كثير.

---

(١) هي السموم.

(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١)، بدله في (ب خ): فمات في ذي الحجة وقيل في حريق الكرخ وجهاً (كذا) آخر وهو أنه.

[فصل في ذكر دخول أبي تميم المُعِزّ مصر:]

قال ابن الصابئ: وفي يوم الجمعة الثامن من شهر رمضان دخل المعزُّ إلى مصر ومعه توابيتُ آبائه، وقد مهَّد له جوهر الأمور، وبنى له القاهرة، فكان نزوله فيها.

[هذه صورة ما ذكر ابن الصابئ، وحكاه جدي في «المنتظم»(١).

قلت: ولابدَّ من ذكر السبب في مجيء المعزِّ إلى مصر، وترك بلاد المغرب مع سَعَتها وكثرة مُدنها، فذكر القاضي] عبد الجبار البصري [وقال:] كان السبب في مجيئه إلى مصر أن الروم كانوا قد استولوا على الشام، والثُّغور، وطَرَسوس، وأنطاكية، وأَذَنة، وعين زَرْبَة، والمِصِّيصة وغيرها، ففرح بمُصاب المسلمين، وبلغه أن بني بُويه قد غَلَبوا على بني العباس، وأنهم لاحُكْمَ لهم معهم، فاشتدَّ طَمَعُه في البلاد، وكان له بمصر شيعةٌ يكاتبونه ويقولون: إذا زال الحَجَر الأسود ملك مولانا المعزُّ الدنيا كلها، ويعنون بالحجر الأسود كافوراً، وكان كافور يومئذ أميرَ مصر نيابةً عن أبي محمد الحسن بن عُبيد الله بن طُغْج، وكان الحسن قد دخل مع الشيعة في الدَّعوة، وكان ضعيفاً رِخْواً، قد طمع فيه الجند وكرهوه وكرههم، فقال له أبو جعفر بن نَصْر ـ وكان من دُعاة المعزّ: هؤلاء القوم قد طمعوا فيك، والمعزُّ لك مثلُ الوالد، فإن شئتَ كاتبتَه ليَشُدَّ منك، ويكونَ من وراء ظهرك، فقال: إي والله قد أحرقوا قلبي.

فكتب إلى المعزّ فأخبره، فبعث القائد جوهراً ـ وهو عبد روميّ ـ لهم في مئة ألف مقاتل، فدخل مصر في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة بغير حَرْب، فاستولى على الخزائن والأموال والذَّخائر، وخرج الحسن ابن طُغْج إلى الرَّمْلَة، فبعث إليه ابن فلاح فأسره، وبعث به إلى جوهر، فبعث به إلى المعزِّ، فلما دخل عليه قَرَّبه وأدناه وبَشّ به، وقال له: أنت ولدي، وإنما بعثتُ جوهراً لينصرَك، وقد لحقني بتجهيز الجيوش أربعة آلاف ألف دينار وخمس مئة ألف دينار، فظنَّ الحسنُ أن الأمر كما قال، فسعى إليه بجماعةٍ من قُوَّاد مصر والأمراء وأرباب الأموال، وكان كلُّ واحدٍ منهم مثل قارون في

---

(١) ١٤/ ٢١٥.

الغنى، فكتب المعزُّ إلى جَوهر باستئصالهم، وأخذ أموالهم، وأن يبعث بهم إليه، ففعل جوهر، فحبسهم مع الحسن، فكان آخر العهد بهم.

[قال عبد الجبار:] ولما دخل المعزُّ إلى القاهرة احتجب في القصر، وبثَّ عيونه[١] ينقلون إليه أخبار الناس، وهو متوفر على التنعُّم[٢]، والأغذية المسمّنة، والأطلية التي تُنقّي البشرة وتحسِّن اللون، ثم ظهر للناس بعد مدة وقد لبس الحريرَ الأخضر، وجعل على وجهه اليواقيت والجواهر تلمع كالكواكب، وزعم أنه كان غائباً في السماء، وأن الله رفعه إليه، فامتلأت قلوب العامَّة والجُهّال منه رُعباً وخوفاً، وقطع ما كان على ابن الإخشيد كل سنة من الأتاوة للقرامطة، وهو ثلاث مئة ألف دينار.

وفيها ضاق الأمر على عزّ الدولة، فبعث إلى الخليفة يطلب إسعافه، فباع المطيع له ثيابَه وأنقاضَ داره من ساجٍ ورصاص، وجمع من ذلك أربع مئة ألف درهم، وبعث بها إليه، ثم ازدادت ضائقتُه، فقبض على وزيره [أبي الفضل] العباس [بن الحسين الشيرازي]، وصادره على ألفي ألف درهم، واستوزر أبا طاهر محمد بن [محمد بن] بَقيَّة.

والسبب في ذلك: أن عز الدولة لما عاد من واسِط، وصالح عمران صاحب البَطيحَة؛ طلب من وزيره الشِّيرازي المال ليدفعه إلى الرجال، فعدل إلى المصادرات حتى لأهل الذِّمَّة، فكثر الدعاءُ عليه في الجوامع والبِيَع والكنائس، واتفق أنه أحرق الكَرْخ، وطالب المطيع بمال وقال: إن مساعدةَ الغُزاة تجب على الإمام، فقال له المطيع: إنما يلزم الإمام ذلك إذا كانت الدنيا في يده، فأما وليس في يدي منها إلا القوت القاصر عن كفايتي، وهي في يد غيري، ما يَلزمني غَزوٌ ولا حجٌّ ولا شيءٌ مما تنظر الأئمة فيه، وإنما لكم مني هذا الاسم الذي يُخطَب به على المنابر، فإن أحببتم أن أعتَزِل.

---

(١) في (ف): وبعث أعوانه.

(٢) في (ف م م١): النعم.

وقويت الشَّناعات على الشِّيرازي، واجتمع جماعةٌ إلى سبكتكين وقالوا: هذا عدوُّك، وهذا وقتُك، وأشاروا بأبي طاهر محمد بن بَقيَّة ـ ولم يكن من بيت الوزارة ـ فأجابهم إلى ذلك[1].

[شرح حال ابن بقية قبل وزارته:

قال ابن الصابئ:] كان ابن بقية أحدَ أربعة أخوة من أهل أوانا، وكلهم يُسمَّى محمداً، وكان أبوهم أحد المُزارعين، ويسمَّى محمداً أيضاً [، وبقيّة جدهم، وإنما نسبوا إليه اختصاراً].

وخدم محمداً وكنيته أبو الحسن أخو أبي طاهر[2]. وكان أوجه أولاد بقية محمد بن جعفر الأصبهاني، ويلقب بنَمْلة[3].

وكان صاحبَ مطبخ معزّ الدولة، وكان ضامنَ تكريت وأعمالها، وتدرَّج أبو الحسن محمد بن بقية معه من حال إلى حال حتى استعمله على ذلك كله، واستخلف أبو الحسن محمد أخاه أبا طاهر في المطبخ، وفسد حال مهله[4] عند معز الدولة، ولحقته علَّةٌ منعته من الخدمة، فضمن أبو طاهر تلك الأعمال، وترقَّى قليلاً قليلاً حتى مات معزُّ الدولة وولي عزُّ الدولة، فأقام على المطبخ إلى يوم ولي الوزارة.

وكان يقدِّم لعزّ الدولة الطعامَ بنفسه، ويذوق الألوان لوناً لوناً، فلما وَزَر شرع يفعل ذلك، فنهاه عزُّ الدولة، فقال الناس: انتقل ابن بقية من الغضارة إلى الوزارة.

وكان ابن بقيّة كريماً يُغطِّي كرمُه عيوبَه، وزر أربع سنين وأياماً، وكان واسعَ النَّفس، وكانت وظيفته من الثَّلج في كل يوم ألف رطل، وراتبه من الشَّمْع في كل شهر ألفا رطل، ثم آل أمره إلى أن سَمَله عَضُد الدولة، وصَلَبه وهو ابن نيِّفٍ وخمسين سنة ـ وسنذكره في ترجمته ـ وقيل: إنما سَمَله عزُّ الدولة[5].

---

(١) من قوله: والسبب في ذلك... إلى هنا ليس في (ف م م١).
(٢) هكذا جاءت العبارة في (خ ب)، وفي (ف م م١): وجد محمد أيضاً أبو الحسن أخو أبي طاهر، ولم أتبين صوابها.
(٣) في (ف م م١): مملة، وفي (ب): بنهلة.
(٤) كذا، وفي (ف م م١): مملة.
(٥) المنتظم ١٤/ ٢١٦، ووفيات الأعيان ٥/ ١١٨، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٧٨، والسير ١٦/ ٢٢٠.

وفيها سار القرمطي إلى مصر، وسنذكره إن شاء الله في ترجمته في سنة ست وستين وثلاث مئة.

وحج بالناس أبو أحمد النَّقيب العَلَوي [الذي حجَّ بهم في السنة الماضية.

فصل: وفيها توفي

إبراهيم بن محمد بن سَخْتَويه

أبو إسحاق، المُزَكّي، النَّيسابوري.

طاف البلاد، وأنفق على الحديث أموالاً كثيرة. حكى الخطيب عنه أنه قال: أنفقتُ على الحديث بِدَراً من الدَّنانير، وقدمتُ بغداد في سنة ست عشرة وثلاث مئة لأسمع من ابن صاعد ومعي خمسون ألف درهم بضاعة، فرجعتُ إلى نيسابور ومعي أقلّ من ثُلثها، أنفقتُ ما ذهب منها على أصحاب الحديث.

وقال الخطيب بإسناده عن محمد بن عبد الله الحافظ قال: كان ابن سختويه من العبَّاد المجتهدين الحجَّاجين ، المُنفقين على العلماء والمستورين. عُقِد له الإملاء بنيسابور سنة ست وثلاثين وثلاث مئة، وهو أسود الرأس واللحية، وزُكِّي في تلك السنة، وكان يُعدُّ في مجلسه أربعة عشر مُحَدِّثاً منهم أبو العباس الأصَمّ .

وتوفي بسوسنقين في شعبان، وحُمل في تابوت إلى نَيْسابور فصلَّينا عليه، ودُفن في داره وهو ابن سبع وستين سنة.

وسوسنقين منزل بين هَمذان وساوة.

سمع بنيسابور من محمد بن إسحاق بن خُزيمة وغيره، وببغداد من أبي حامد الحَضْرمي وطبقته، وبسَرْخَس من محمد بن عبد الرحمن الدَّغولي وغيره.

وكان ثَبْتاً، حُجَّة، مُكثراً، مواصِلاً للحج، روى كُتباً كباراً، وكان ثقةً][1].

---

(١) هذه الترجمة من (ف م م١)، وليست في (خ ب)، وإلى نهاية السنة ليس في (ف م م١). وانظر في ترجمة إبراهيم: تاريخ بغداد ٧/ ١٠٥ ، والمنتظم ١٤/ ٢١٦ ، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٠٠، والسير ١٦/ ١٦٣ .

وفيها توفي

السَّرِيُّ بن أحمد بن السَّرِيِّ

أبو الحسن، المَوْصِليّ، الرَّفَّاء.

شاعر، فصيحٌ، مُجَوِّد.

فمن شعره يمدح أبا المُرَجَّى بن ناصر الدولة وقد رَمِدت عينُه: [من الكامل]

شَكَتِ العُلى لما شَكَتْه جُفونُه ... فشَكاتُه مقرونةٌ بشَكاتِها
قد قلتُ للأعداء مَهْلاً إنها ... نُوَبٌ تَجلَّى الصبحُ من ظُلُماتِها
قالوا اشتكى رَمداً حَمى أجفانَه ... سِنَةَ الرُّقادِ وغَضَّ من لَحَظاتِها
فأجبتُهُم لم تَرْمَد العينُ التي ... تَحمَرُّ بأساً يومَ حَرْبِ عِداتِها
لكنْ رأتْه مُحارباً أموالَه ... بنَوالِه فجَرتْ على عاداتِها

وقال يمدح أبا الهيجاء حَرْب بن سعيد بن حَمْدان(١): [من الوافر]

بَلاني الحبُّ فيكَ بما بَلاني ... فشَأْني أن تَفيضَ غُروبُ شاني
أبيتُ الليلَ مُرْتَفِقاً أُناجي ... بصِدْقِ الوَجْدِ كاذِبةَ الأماني
فتَشهَدُ لي على الأَرَقِ الثُّريَّا ... ويَعلَمُ ما أُجِنُّ الفَرْقَدانِ
إذا دَنَتِ الخيامُ بهم فأهْلاً ... بذاك الخِيْمِ والخِيَمِ الدَّواني
فيا وَلَعَ العَواذِلِ خَلِّ عنِّي ... ويا كَفَّ الغَرامِ خُذي عِناني

وقال يمدح حَمدان بن ناصر الدولة ويُهَنِّيه بمولود سمّاه تَغْلِب، وكَناه أبا السرايا:

غداً تُبدي مدامِعُنا الخفايا ... إذا زُمَّت لِطيَّتِها المَطايا
وَقفْنا نَحْمَدُ العَبَراتِ لما ... رأينا البَيْنَ مَذْمُومَ السَّجايا
كأن خُدودَهنَّ إذا استَهَلَّت ... شقائقُ فيه من طَلٍّ بقايا
وقد فَوَّقْنَ بالألحاظِ نَبْلاً ... قلوبُ العاشقين له رَمايا
تمنَّينا اللقاءَ فكان حَتْفاً ... وكم أُمنيَّةٍ جَلبتْ مَنايا
أرى الآفاقَ قد مُلِئتْ سُروراً ... بتَغْلِبِ الأميرِ أبي السَّرايا

---

(١) ذكرها الثعالبي في يتيمة الدهر ٢/ ١٨٥، وياقوت في معجم الأدباء ١١/ ١٨٦ من غرر شعره في الغزل.

بمولودٍ براه الله ليثاً وغَيثاً يَستهلُّ على البَرايا
نَجيباً نَجَّبَتْهُ كرامُ قوم فجاء شَبيهَهم حَزْماً ورايا
ثَناءَيْ عليهم ما دمتُ حيّاً ثناءَ المُسْتهام على الثنايا
حياةُ المجدِ أن يَحيى وتُفني أعاديه الحوادثُ والرَّزايا
فقُلْ لأبي المُظَفَّر قد ظَفِرْنا بما نَرجو لديكَ من العَطايا
ومَن يَهْدِ الحَيا لرياضِ مَدْحٍ يَفُزْ منها بأطرافِ الهدايا
كما جادَ السَّحابُ الجُودُ أرضاً فأبْرزَ من مَحاسنها الخفايا
وقد جاءت مَدائحُنا نُقوداً فلا تَجعلْ جوائزَها نَسايا

وقال يمدح أهل البيت والحسين عليهم السلام دائماً أبداً: [من البسيط]

إذا عَدَدْنا قُريشاً في أباطِحها كانوا الذَّوائبَ منها والعَرانينا
أغنَتْهُمُ عن صفاتِ المادحينَ لهم مدائحُ الله في طه وياسينا
أقامَ رَوْحٌ ورَيْحانٌ على جَدَثٍ ثوى الحُسين به آمين آمينا
كأن أحشاءنا من ذِكرِه أبداً تُطوى على الجَمْر أو تُحشى السَّكاكينا
مَهْلاً فما نَقَضوا أوتارَ والدِه وإنما نَقَضوا في قتله الدِّينا
آلَ النبيِّ وَجَدْنا حُبَّكم سَبباً يَرضى الإلهُ به عنّا ويُرضينا
فما نُخاطبُكم إلا بسادَتِنا ولا نُناديكُمُ إلا مَواليـنا
إن أَجْرِ في حُبِّكم جَرْيَ الجَواد فقد أضحَتْ رِحابُ مَساعيكم مَيادينا
وكيف يَعدوكُمُ شِعري وذِكرُكُمُ يَزيدُ مُسْتَحْسَنَ الأشعار تَحسينا

من أبيات.

وكان بين السَّرِيّ وبين الخالِدِيَّيْن الشاعرين مُهاجاة، فبالغا في أذاه عند سيف الدولة حتى قطع رُسومه، فانحدر إلى بغداد، ومدح الوزير أبا محمد المُهَلَّبيّ بمدائح، منها قوله: [من الكامل]

أصبحتَ أعلا الناسِ قِمَّةَ سُؤددٍ والناسُ بعدك كلُّهم أكفاءُ
أيمينُك البحرُ الخِضَمُّ وقد طَمَتْ أمواجُه أم صَدْرُكَ الدَّهْناءُ

أذكَرْتَنا شِيَمَ المُهَلَّبِ في النَّدى والبأسِ إذ هي شِدَّةٌ ورَخاءُ
وشَمائلٌ شهِدَ العدوُّ بفضلها والفَضْلُ ما شَهِدَت به الأعداءُ

وبلغ الخالديَّين، فانحدرا خلفه، وتوصَّلا إلى المهلَّبي حتى صارا من نُدمائه، وجعلا هِجِّيْراهُما ثَلْبَه، فأعرض عنه ولم يُعطه شيئاً، فآل أمرُه إلى أن عَدِم القُوتَ، ومات ببغداد[1].

العباس بن الحسين

أبو الفَضْل، الشِّيرازي، الوزير.

كان جبَّاراً، فاتكاً، ظالماً، قُتل بالكوفة بسقية الذَّراريح، ودُفن بمشهد علي عليه السلام وهو ابن تسع وخمسين سنة.

عبد الصمد بن محمد القاهر بالله

كان القاهر بالله قد رشَّحه للخلافة لأنه أكبر ولده، فلما ولي الراضي بالله قطع لسانَه، فنبت بعد أربع سنين، فكتمه، فخَلَت به عمَّتُه أم سلمة بنت المُعْتَضد ـ وكانت عاقلةً فاضلة ـ فقالت له: قد تحدَّث بنبات لسانك الخدمُ، وتسهيلِ الكلام عليك، فأنكر، فألحَّت عليه، فقال لها بلسانٍ ثقيل: ياعمتي، إن اعترفتُ ذهب رأسي، فلما كلَّمها سجدت لله شكراً وقالت: اكتم حالَك، وأرى لك من المصلحة الخروج من هذا البلد، فربَّما شاع خبرُك فتهلك.

فخرج إلى مصر، فاستقبله كافور وأعظمه، وذلك في سنة أربع وثلاثين وثلاث مئة، ثم إن عبد الصمد قصَّر في حقِّ كافور، فغاظه، فأعرض عنه، فأُشير عليه بقصد كافور، والاعتذارِ إليه واستنزال ما عنده، ، فقَصده في داره، فرجع إلى ما كان عليه من الإحسان إلى عبد الصمد، وواصل برَّه، وقام بأمره أحسنَ قيام، فكان يركب بالقباء، ويَحضر دارَ كافور في المواسم والأعياد وأيام المواكب، فيُعظِّمه الناس ويخدمونه.

---

(١) انظر في ترجمته: تاريخ بغداد ١٠/ ٢٦٩، ويتيمة الدهر ٢/ ١٣٧، والمنتظم ١٤/ ٢١٨، ووفيات الأعيان ٢/ ٣٥٩، والسير ١٦/ ٢١٨، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٣٤.

واستدعى أخاه أبا الفضل محمد بن القاهر، فخرج إليه، وأقاما وأمرُهما على السَّداد حتى مات كافور، ودخل جوهر مصر سنة سبع أو ثمان وخمسين، فخرجا إلى الشام، وعرف المطيع خبرَهما فقال: ما أعجب أمرَ هذين الرجلين، أتُراهما يخافان مني أكثر مما يخافانه من المغاربة والقرامطة! وأعطاهما أماناً أكَّده على نفسه، وكُتب عنه بأمره، وقال: ما أرى التَّعَرُّضَ لأحد من أهلي، ولا الإساءة إلى أولاد الخلفاء، فقد كان لحقني من المُسْتكفي ما أحسن الله لي العاقبةَ فيه، وعاد بسوء العاقبة عليه.

وكوتب عبد الصمد وأخوه محمد بذلك، فوردا بغداد في سنة ثمان وخمسين وثلاث مئة، وأقاما ببغداد على حالِ صِيانةٍ وحراسة، ومات عبد الصمد في هذه السنة[1].

(١) لم أقف على هذا الخبر.

السنة الثالثة والستون والثلاث مئة

فيها أعاد عزُّ الدولة النَّوحَ يوم عاشوراء إلى ما كان عليه.

وأظهر الوزير أبو طاهر ابن بقيَّة العَدْلَ والإنصافَ والإحسان، فشكره الناس، وذَمّوا الشّيرازي، وشَهر ابنُ بقية السُّعاةَ بالناس على الجِمال بجانبَيْ بغداد، وحَبَسهم، ثم نفاهم.

وخلع عليه المطيع الخِلَعَ السُّلطانية، وكَناه، ولَقَّبه النَّاصح للدَّولة، وسعى في إصلاح الحال بين الحاجب سُبُكْتِكين وعزِّ الدولة، وتحالفا على التَّصافي، وركب الحاجب إلى عز الدولة، وخَدَمه ، ولم يعد بعدها اجتمع به إلا في المواكب، وعلى حالة الاحتراز.

وفي المحرَّم تقلَّد القضاء أبو الحسن محمدُ بن صالح ابن أم شَيبان الهاشميّ قضاءَ القُضاة، صارِفاً لأبي محمد عُبيد الله بن أحمد ابن مَعروف، وركب معه أبو طاهر بن بقية، ووجوه الناس إلى داره بباب البصرة.

وسببه: أن ابن معروف طولب ببيع دار أبي منصور بن أبي عَمرو الشِّيرازي من أبي بكر الأصبهاني صاحب سُبكتكين، فامتنع، فقيل له: إن الوكيل الذي يبيع نَصَبه الخليفةُ، وليس يُراد منك إلا سماع الشهادة والإسجال، فأقام على الامتناع، وأغلق بابَه، وسأل الإعفاءَ من القضاء، فأُعفي، وطولب ابنُ أم شَيبان بأن يُقَلَّد القضاء فامتنع، فألَحّوا عليه، فأجاب بعد أن شرط لنفسه شروطاً؛ منها: أنه لا يَرتزق على القضاء، ولا يُخلَع عليه، ولا يُشْفَع إليه في تغيير حقٍّ، ولا يُنْقَض ما يوجبه الشَّرع، ويُجعل لحاجبه وللفارض على بابه، ولخازن ديوان الحكم، ولكاتبه، وللأعوان ما يكفيهم.

فأجيب إلى ذلك ، وكُتب عهدُه على بغداد من الجانبين، وشقّ الفرات، وواسط، ودجلة، وطريق خُراسان، وحُلْوان، ودياربكر وربيعة، والمَوصل، والحَرَمَين، واليمن، ودمشق، وحمص، وجُنْد قِنَّسْرين، والعواصم، ومصر، والإسكندرية وغيرها، وكُتب عهدُه على ما جرت به العادة في العهود، وكان العهد من إنشاء أبي منصور أحمد بن عُبيد الله

الشّيرازي صاحب ديوان الرسائل، وحضر أبو طاهر مع ابن أمِّ شَيبان إلى المطيع، وسلّم العهد إليه.

وفي ربيع الأول لعشرٍ بقين منه سار عزُّ الدولة إلى الموصل، وسُبُكتكين الحاجب في مُقدّمته، وسببه: أن أبا الفضل الشيرازي حَسَّن لعزِّ الدولة الاستيلاءَ على المَوْصل، وأطمعه في تلك البلاد ليَشْغَلَه عنه، وقوَّى تلك المشورة أبو طاهر بن بقية، ووردت على ابنِ بقيَّة كتبُ أبي الحسن علي بن عُمر[1] كاتب أبي تَغْلب، يُخاطبه فيها بدون ما كان يخاطبه قبل ذلك، فغاظه، وشتم كاتب أبي تغلب في مجالسه، وبلغ الكاتب فكتب إليه بالكتابة المستوفاة، فلم يرُدَّه ذلك.

وانضاف إلى هذا أن حَمْدان وأبا طاهر إبراهيم ابنَي ناصر الدولة كانا عند عزّ الدولة، فكاتب أبو تغلب أخاه أبا طاهر، ووَعده بكلِّ خير، وأراد أن يَقتطعه عن حَمْدان، فأجابه، وطلب منه خيلاً تقف له في مكان عَيَّنه، فأرسل بها إليه، وهرب أبو طاهر من بغداد إلى الموصل، فعزَّ ذلك على عز الدولة وقال: هذا غَدْر.

وصغَّر حَمدان أبا تغلب في عين عزّ الدولة، وأطمعه في البلاد، وحَلَف على الوفاء له، وسار إلى الموصل وسُبكتكين في المقدمة؛ بينه وبين عزّ الدولة مرحلة من الجانب الغربي، واستمر سُبكتكين في الجانب الشرقي، ووصل عز الدولة إلى الموصل وقد انصرف عنها أبو تغلب إلى سِنْجار بجيوشه، وقد أخلى الموصل من كل شيء، ثم عطف من سِنجار يُريد بغداد، وعلم به عزُّ الدولة.

وكان سُبكتكين قد تأخَّر بحَديثة الموصل، فكتب إليه عز الدولة بالعبور إلى الجانب الغربي، والمسير في إثر أبي تغلب، ورد إليه حَمدان وجماهيرَ القُوَّاد، ورد أبا طاهر بن بقية في الزَّبازب[2] إلى بغداد.

وسبق أبو تغلب، ونزل القرية المعروفة بالفارسية على نهر الرُّفَيل، وبينها وبين بغداد فرسخان، وعامَلَ أهلَ السَّواد بالجميل، وأحسن إليهم، وضربت طلائعُه إلى باب بغداد، وخرج إليه جماعةٌ من العَيَّارِين والشُّطَّار مَسرورين به.

(١) في الكامل ٨/ ٦٣٤: علي بن أبي عمرو.

(٢) يعني السفن.

وبرز عمدة الدولة أبو إسحاق بن مُعزّ الدولة ـ وكان يَخْلُف أخاه عز الدولة ـ إلى باب الشَّمَّاسِيَّة، وانتقل المطيع وأهلُه وجميع أسبابه إلى قصر معز الدولة، وعبر عمدة الدولة بطائفة من الجيش إلى الجانب الغربي لقتال أبي تغلب، ووصل ابنُ بقية فشدَّ من عمدة الدولة، وجاء الحاجب سُبكتكين إلى أَوانا، ورجع أبو تغلب إلى أوانا، ووقع الطِّراد بين العَسكَرَين، ثم تكافَّا وتراسلا في الصُّلح.

وأصعد أبو طاهر بن بقية من بغداد، واجتمع بسبكتكين، وحضرهما رسل أبي تغلب، واستقرَّ العقد على ما كان عليه في الأول وزيادة ألف كُرٍّ في كل سنة، وزيادة مال.

وسار أبو تغلب يريد الموصل، وعز الدولة في خفَّةٍ من العَسْكر، وتحدَّث الناس بأن المواطأة كانت من سبكتكين على عز الدولة؛ ولهذا لم يقاتل أبا تغلب، ولا جَرَّد العَزْم في قتاله مع القدرة، ودخل سُبكتكين بغداد، وأسلم عزَّ الدولة، وقامت القيامة على ابن بقية، وطالب سبكتكين بالعود إلى الموصل فتَثَقَّل.

وقيل: إنه همَّ في ذلك الوقت بالقبض على ابن بقية وعُمدة الدولة ووالدة عز الدولة وأولاده وأسبابه، فتوقَّف، ثم سار بالعسكر وبابن بقية إلى الموصل.

ولما عرف عزُّ الدولة رجوعَ أبي تغلب إلى الموصل جمع أطرافَه، وردَّ قُوَّادَه من النواحي التي كان فرَّقهم فيها، ونزل الدَّيْر الأعلى من الموصل، وعبَّى مَصافَّه واستعدَّ.

وجاء أبو تغلب فنزل الحَصْباء مستعدًّا للقتال، ولم يبق بينهما من المسافة إلا طول قَصبة الموصل، وأحجَمَ كلُّ واحدٍ منهما عن مُناجَزة صاحبه تَجنُّباً لركوب الخطَر، إلا أن أبا تغلب كان الأظهر لكثرة عَدده، وكون أهل الموصل معه.

وكان الدَّيْلَم قد آذَوا الناس، وخاض الناس بينهما في إتمام الصُّلح الذي تقدَّم ذِكرُه، فاشتطَّ أبو تغلب، واستام النَّقيصَةَ من المال الذي قُرِّر عليه، وطلب من عزِّ الدولة أن يُسلِمَ إليه ابنتَه، وأن يُلَقَّب لَقباً سُلطانياً، فأجابه عز الدولة إلى ذلك.

وطلب عز الدولة من أبي تغلب إزالَةَ الاعتراض عن ضياع حمدان وأسبابه، وإعادَة ما أخذ منها، وتسليمَ قلعة ماردين إلى حمدان فإنّ أباه أعطاه إياها، فامتنع أبو تغلب من ذلك كلِّه، ولم يَلتزم في الصُّلح شيئاً من ذلك، فسكت عن ذلك.

واتفق غيبة حمدان ببغداد، وجرت الأيمانُ بينهما على يد الشَّريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسَويّ.

وانحدر عزُّ الدولة إلى الحَديثة، ودخل أبو تغلب الموصل، وكَحَل جماعة من أهلها تصرَّفوا مع عز الدولة، وقتل رجلاً من بني عَقيل يُعرف بأبي العجاج وكان قد استأمن إلى عز الدولة، ووصل سبكتكين وابن بقية بالجيش إلى الخدمة، واجتمعوا بعزّ الدولة.

وعلم حَمدان بالصُّلح، فعزَّ عليه كونُه لم يدخل في الصُّلح، وأَنِفَ أبو طاهر بن بقية من انصراف عز الدولة على الحالة التي انصرف عليها، وجعلوا كَحْل الجماعة الذين كَحلهم أبو تغلب وقَتْلَ العُقيليّ سبباً للرجوع إلى الموصل، فعادوا.

وهرب أبو تغلب إلى تل أعْفَر، وبعث بأبي الحسن بن عمرو كاتبه[1] إلى عزّ الدولة يُعاتبه على النَّقْضِ والغَدْر، فقبض ابن بقية عليه، وأهانه، وأذلَّه، وأنكر عليه كحْلَ الجماعة وقتلَ العُقيليّ، فاعتذر بأن أبا تغلب لم يَعلم بشيء من ذلك، وأن بعضَ غلمانه فعله.

ثم تقرَّر الصُّلح على أن يُفرِج عن ضياع حَمْدان دون قلعة ماردين، وأن يُنفِذ إلى عز الدولة القوم الذين كحلوا العمال وقاتلَ العقيلي، فبعث بهم أبو تغلب إلى عز الدولة، فعفى عنهم لعلمه بأنهم لا صُنْعَ لهم في ذلك.

وعاد عز الدولة إلى بغداد، وبعث الخِلَع السُّلْطانية لأبي تغلب مع كاتبه علي بن عمر، ولُقِّب بعدَّة الدولة، وحُملت إليه ابنةُ عزِّ الدولة مع بدر الحرمي في رمضان[2].

وفي شعبان توفي أبو الحسن محمد بن بقية أخو أبي طاهر، وكان أبو الحسن هو الأكبر، فمشى أخوه أبو طاهر في جنازته، وجلس للعزاء، وجاءه عزُّ الدولة معزِّياً.

وفيها في شعبان خرج عز الدولة من بغداد إلى الأهواز، ووقعت فتنة الأتراك، ولحق أبو طاهر بن بقية به.

---

(١) سلف قريباً أنه أبو الحسن علي بن عمر، وأنه في الكامل ٨/ ٦٣٤ أبو الحسن علي بن أبي عمرو، وفي تكملة الطبري ٤٣١ أبو الحسن بن عمرو، كما هنا.

(٢) من قوله في أول السنة: وأظهر الوزير أبو طاهر... إلى هنا ليس في (ف م م١).

ذكر السبب في ذلك: كان عز الدولة قد ضاق ما بيده من المال، وكَثُرت عليه المُطالبات من الجند وغيرهم، فأشار عليه ابنُ بقية بالانحدار إلى الأهواز لمُحاسبة أرادرويه[1]، وصَرْفِه عن البلاد، والنَّظر في المال وجمعه، وتفرقة الأتراك عن سبكتكين، والاحتيال عليه ليستريحا منه، ويتَّسعا بأمواله وإقطاعاته، فانحدر إلى الأهواز، فلقيهما أرادرويه بالمال والتَّقدمة، وخَدَمهما.

وأقام عز الدولة بالأهواز، فوقع بين غلامين من التُّرك والدَّيْلَم مُنابذة على بناء مَعْلَفٍ على باب دار أحدهما، فمنعه الآخر، وثارت الفتنة بين التُّرْك والدَّيْلَم، وكان لأرسلان التُّركي خيمةٌ على باب عز الدولة يقضي فيها الأشغال، فسمع أرسلان الضَّوْضاء، فركب، فعارضه بعضُ الدَّيْلَم، فشتمه أرسلان، فضربه الدَّيلمي فقتله.

وثار الأتراك يطلبون بدم أرسلان، ورَمَوا الدَّيلمَ بالنُّشَّاب، فقتلوا منهم رجلاً، وجرحوا نفراً، وخرجوا بأجمعهم إلى الصحراء.

واجتهد عز الدولة في كفِّ الفريقين فلم يقدر، فاجتمع إليه رؤساء الدَّيْلَم ـ وكانوا مُطَّلعين على اعتقاده في سُبُكْتِكين والأتراك ـ فقالوا له : هذا أمر قد انتشر ، وفي نفسك من سبكتكين ما فيها ، والوجه أن تَقبض رؤساءَ الأتراك الذين عندك ، وتنزل إلى بغداد فَتَقْلَعَ سبكتكين عنها ، وتستريح منه ومن الأتراك ، فقَبِل منهم ذلك ، فبعث إلى رؤساء التُّرك : بختكين أرادرويه وغيره، فقبض عليهم، وقيَّدهم، واستولى على إقطاع سبكتكين بالأهواز وأسبابه، وكتب إلى البصرة بالنِّداء في الأتراك والإيقاع بهم، فنُهبت منازلهم وهربوا.

وكان عز الدولة قد عهد إلى والدته وإلى عمدة الدولة أخيه أنه إذا أرسل إليهما على جناح طائر من الأهواز أنه قد مات، فإذا جاء إليهما سبكتكين للعزاء قبضاه، فلما قَبض على رؤساء الأتراك كتب في تلك الساعة إليهما على جناح طائر بوفاته، وظن أن سبكتكين لا يتأخَّر عنهما، وكان أثبتَ وأعقلَ من ذلك، ولو حضر ما التفت؛ لأن غِلمان داره كانوا أربع مئة سوى الحُجَّاب والأتباع، وكان هذا الرأي ضعيفاً مع ما فيه

(١) في الكامل ٨/ ٦٣٥ : آزادرويه، وفيه خلاف كثير.

من الطِّيَرة والإشاعةِ المكروهة، فأرسل سبكتكين إليهما يسألهما عن الخبر، وكيف وَرَد، وتوقَّف عن الركوب إلى أن جاءته كتب أصحابه بما جرى، فجمع الأموالَ إليه، وأخبرهم أن السّتر قد انخرق، وأن دماءهم قد استُحِلَّت، وعَرَّفهم ما جرى على أصحابهم، فسألوه أن يتأمَّر عليهم فتوقف، وأرسل إلى عُمدة الدولة يقول:

إن الأمر قد انتقض بين الأتراك وعز الدولة انتقاضاً لا يلتئم أبداً، وإنهم قد أرادوه على الأمر فأبى أن يَخرج عن طاعة مواليه، وسأله أن يَعقد له الأمر، ويبقى عزّ الدولة مكانَه، ويَستميل له من بقي من الترك والدَّيلم، فأجابه، ووافقه على البكور في غدٍ ليَتِمَّ الأمر.

وبلغ والدته فخافت أن يؤول الأمر إلى هلاك أحد وَلَديها، فمنعته، وصار إليها مَن كان من الدَّيلم مُقيماً ببغداد، وقَوَّوا عَزمها على مُحاربة سبكتكين ومَن معه من الأتراك، فانتقض ما قرَّره مع عمدة الدولة.

واجتمع الدَّيْلَم في دار مؤنس التي ينزلها عمدة الدولة، وركب سبكتكين إليهم، وناصبهم الحَرْبَ، وأحرق جوانب الدار فاستسلموا، وسألوا سبكتكين الإفراجَ عنهم لينحدروا إلى واسط، وأن لا يَفْضَح حَرمَ مولاه وأولادَه، فاستحيا منهم، وجمع عُمدةَ الدولة أبا إسحاق وأخاه أبا طاهر محمداً ووالدتَهما والحرم وجميعَ مَن في الدار في زورق حديدي، وأحدرهم إلى واسط، وتفرَّق الدَّيْلَم وضَعُفوا.

وكان المطيع عند هذه الفتنة انحدر مع المُنْحَدِرين في زورق، فبعث سبكتكين فرَدَّه.

وقيل: إنهم جاؤوا به فأوقفوه على باب سبكتكين ساعة حتى استؤذن في أمره، فأمر بردِّه إلى داره، ووَكل به فيها على الوجهِ الجميل، واستولى على ما كان لعز الدولة ببغداد من السِّلاح والكُراع والأثاث وغيره.

ونزل الأتراك إلى دور الدَّيلم بعد أن نهبوها، وتعَدَّوا إلى دور أهل بغداد، والتجار، وأرباب الأموال، ووافقهم العوامّ على النَّهب، فهُتكت الحريم، وتفرَّقت الأموال، وافتقر كثيرٌ من الناس، فركب صاحب الشُّرطة، ونادى في الناس، وصَلب جماعةً من العَيَّارين عند الجسر، فسكنت الفتنةُ قليلاً، وتضافرت الألسنةُ بطاعة سبكتكين ونُصرته، فعرَّف منهم العُرَفاء، ونَقَّب النُّقباء، وقَوَّد القُوَّاد، وخَلَع عليهم، وحملهم على الدَّوابّ، وصار له منهم جندٌ استجاش بهم.

وفيها أظهر المطيع ما كان يَستُره من عِلَّته، وثِقَلِ لسانه، وتَعَذُّرِ الحركة عليه للفالج الذي ناله قديماً، فانكشف ذلك لسبكتكين، فدعاه إلى خَلْعِ نفسه، وتسليم الأمر إلى ولده الطائع لله، ففعل ذلك، وعقد له الأمر يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي القعدة، فكانت خلافتُه إلى أن خَلَع نفسَه تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأربعة وعشرين يوماً، وصورة ما كتب:

هذا ما أشهد على مُتضمَّنه أميرُ المؤمنين الفضلُ المطيعُ لله بنُ المقتدر بالله حين نظر لدينه ورَعيَّته، وشُغل بالعلَّة الدائمة عما كان يُراعيه من الأمور الدينية اللازمة، وانقطع إفصاحه عما يَجب عليه لله في ذلك، فرأى اعتزالَ ما كان عليه من هذا الأمر، وتسليمَه إلى ناهِضٍ به، قائمٍ بحقّه، عَقده له، وأشهد بذلك طَوعاً. وذكر التاريخ المذكور، وفي آخره بخط القاضي أبي الحسن محمد بن صالح:

شهد عندي بذلك أحمد بن حامد بن أحمد[1]، وعمر بن محمد بن أحمد، وطلحة ابن محمد بن جعفر، وتوفي المطيع سنة أربع وستين، وكان بعد خَلْعه يُسمَّى الشيخَ الصَّالح.

الباب الرابع والعشرون

في خلافة الطائع لله

واسمه: عبد الكريم بن الفضل المطيع، وكنيته أبو بكر، وأمه أمُّ ولد يقال لها: عَتب، أدركت خلافته.

وبويع يوم خلع أبوه نفسَه طائعاً لا مُكرهاً، وذلك يوم الأربعاء لثلاث عشرة خلت من ذي القَعدة سنة ثلاث وستين وثلاث مئة، وسِنُّه ثمانية وأربعون سنة، وقيل: خمسون، ولم يلِ الخلافة أكبرُ سنًّا منه، ولا مَن له أبٌ حيٌّ غيره وغير أبي بكر الصديق رضوان الله عليه، وكلاهما كنيته أبو بكر.

(١) كذا في (خ ب) وأصل النجوم الزاهرة ٤/ ١٠٥، وفي المنتظم ١٤/ ٢٢٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٣٨، ومطبوع النجوم الزاهرة: أحمد بن حامد بن محمد.

وكان الطائع أبيضَ، أشقر، حسنَ الجسم، شديدَ القُوى؛ كان في دار الخلافة أُيَّلٌ عظيم يقتل الدَّوابَّ بقَرْنَيه، ولا يتمكَّن منه أحد، فرآه الطائع يوماً وقد صال على بَغلٍ فشقَّ راويته، فحمل عليه، فأمسك بقَرْنَيه، فلم يقدر على الإفلات منه، ودعا بنجَّار وقال: انْشُر قَرْنَيه، فنشرهما، حتى إذا بقيا على شيءٍ يسير فقطعه بيده، وهرب الأيل على وجهه، وسقطت فَرَجِيَّةُ الطائع عن كتفه، فتطأطأ بعض الخدم ليأخذها، فغمزه الطائع، وأشار إليه: ادفعها إلى النجَّار ـ وكانت من الوَشْي ـ فأخذها النجَّار وباعها بمئة وسبعين ديناراً.

وركب الطائع يوم الثلاثاء تاسع عشر ذي القعدة في الجانب الشَّرقي من بغداد، وعليه البُردة، ومعه الجيش، وسُبكتكين بين يديه.

ومن غد هذا اليوم خَلَع على سبكتكين الخِلَع السُّلطانية، وعقد له لواء الإمارة، ولُقِّب نصر الدولة، وحضر عيد الأضحى، فركب إلى المصلَّى من الجانب الشَّرقي، وعليه السَّواد: قَباء وعمامة رُصافية، فصلَّى بالناس، ثم خطب فقال:

الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله والله أكبر متقرِّباً إليه، ومُعتمداً عليه، ومتوسِّلاً بأكرم الخلائق لديه، الذي صيَّرني إماماً مَنصوصاً عليه، ووهب لي حُسنَ الطَّاعة فيما فوَّضه إليَّ من أمر الخلافة على الجماعة، الله أكبر الله أكبر الله أكبر لا إله إلا الله، والله أكبر مُقِرًّا بجميل آلائه فيما أسنده إليَّ من حِفظ الأمة وأموالها وذَراريها، وقَمع بي الأعداء في حَضَرها وبَواديها، وجعلني خير مُسْتَخْلَف على الأرض ومَن عليها.

الله أكبر الله أكبر تَقَرُّباً بنَحْرِ البُدْنِ التي جعلها الله من شعائره، وذكرها في مُحكَم كتابه، واتّباعاً لسنَّة نبيه وخليله ﷺ في فدية أبينا إسماعيل وقد أُمر بذَبْحه، فاستسلم لإهراق دمه وسَفْحه، غيرَ جَزِعٍ فيما يأتيه، ولا نَكَل عن ما أمر به فيه، فتقرَّبوا إلى الله في هذا اليوم العظيم بالذبائح فإنها من تقوى القلوب.

الله أكبر الله أكبر الله أكبر، وصلى الله على محمد خِيرته من خلقه، وعلى أهل بيته وعِترته، وعلى آبائي الخُلفاء النُّجَباء، وأيَّدني بالتوفيق فيما أتوَلّى، وقمصني[1] من

(١) في المنتظم ١٤/٢٢٦ : وسددني.

الخلافة فيما أعطى، وأنا أُخوِّفُكم معاشرَ المسلمين غُرورَ الدنيا، فلا تركَنوا إلى ما يَبيد ويَفْنى، ويَزول ويَبلى، فإني أخاف عليكم يوم الوقوفِ بين يدي الله غداً وآدم ومحمد المصطفى، وصُحُفكم تُقرأ عليكم، فمَن أوتي كتابَه بيمينه فلا يَخاف ظُلماً ولا هَضْماً، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشةً ضَنْكا، ونحشره يوم القيامة أعمى، أعاذنا الله وإياكم من الرَّدى، واستعملَنا وإياكم بأعمال أهل التُّقى، وأستغفر الله العظيم لي ولكم ولجميع المسلمين. ثم نزل[١].

وفيها ازداد تَنشُّط[٢] العامة، وصاروا حِزبين، فالشيعةُ ينادون بشعار عزّ الدولة، والدَّيْلَم والسنة ينادون بشعار سُبكتكين، وكَثُرت الفتن، وكُبست المنازل، وأُحرق الكَرْخُ ثانياً.

وكان حَمدان بن ناصر الدولة قد توجَّه إلى الرَّحْبَة، فراسله سُبكتكين، فعاد إلى بغداد في نصف ذي القعدة، وورد بدر الحرمي بغداد عائداً من المَوْصِل بعد تسليم بيت معز الدولة إلى أبي تغلب، ولما عَرف في طريقه ما جرى استتر ورجع إلى أبي تغلب، وخلَّى ما كان معه من أمواله وأموال التجَّار، فنُهب جميعُه.

وأما عز الدولة فإنه أدخل يده في إقطاع الأتراك بأسرها، وانقسم الأتراك بالأهواز قسمين؛ فقسم لحق بسبكتكين، وقسم تلافاهم عزُّ الدولة، وقالت الدَّيلم: لا بد لنا في الحرب من أتراك[٣]، فأطلق بختكين أرادرويه، ورتَّبه موضع سُبكتكين، ولقَّبه حاجب الحُجَّاب، وقدَّر أن الأتراك يأنَسون به، ويعدلون عن سُبكتكين إليه، وردَّ الأتراك الذين نفاهم من البصرة إليها، وردَّ عليهم أموالهم، وأمَّنهم.

وبلغه خبر والدته وإخوته ووصولهم إلى واسط، فسار إليهم، واجتمع بهم، وكتب إلى رُكن الدولة يُعرِّفه حالَه، ويَستصرخ به، وتابع إليه المكاتبة، وكتب إلى أبي تَغلب يَستنجد به، ويعده بإسقاط ما عليه من المال إن جاء بنفسه وعسكره، وراسل عمران بن شاهين صاحب البَطيحَة، وأنفذ له خِلَعاً وفرساً بمركب ذهب، وتوقيعاً بإسقاط ما عليه

(١) من قوله: ذكر السبب في ذلك كان عز الدولة قد ضاق ما بيده.... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) في (ب خ ف): تبسط، والمثبت من (م م١).

(٣) هكذا وردت العبارة في (خ ب)، وهذا النص بتفصيلاته لم أقف عليه، وانظر الكامل٨/ ٦٣٤ .

من مال الصُّلح الذي كان صالحه عليه مع إبراهيم حاجبه، وسأله المصاهرةَ على إحدى بناته، وطلب منه عسكراً يُنفذه في السُّفن ليَستعين به على قتال الأتراك.

ولما صار عزُّ الدولة بين واسِط والأهواز هرب من الأتراك أربعُ مئة غُلامٍ من أنْجادهِم إلى بغداد، وبقي عزُّ الدولة في الدَّيْلَم.

وأما رُكن الدولة فأجابه، وعَظَّم عليه الخَرْقَ الذي خَرَقَه، وقال: هذا يحتاج إلى رجالٍ وأموالٍ وسِلاح وتَثَبُّت وتدبير، وأنه يَضعُف عن الحركة، وقد عَوَّل على عَضُد الدَّولة في المَسير إليه ومعونته، وكتب إليه عضد الدولة يقول: الواجبُ أن لا تُفارقَ واسِطاً حتى نَلْحقَ بك، ونَتَّفقَ على ما فيه الرَّأيُ.

وأما أبو تغلب فإنه احتاط في أمره، وبعث إليه رسولاً فأخذ خَطَّه، وأشهد عليه القُضاةَ والشُّهود والقُوَّادَ، واتفقا على أنه متى سار من واسِط سار أبو تغلب من المَوْصِل.

وأما عِمران بن شاهين فقال لرسوله إبراهيم: قد جئتنا في أمورٍ غير مُتَوجِّهة عندنا، أما المال المتروك فالتَّحَمُّدُ به علينا مع العلم بأنه باطل غير واقع موقعه، لكنا نَقْبَله، وأما الوُصْلَةُ فقد خطب إلينا الطالبيُّون وهم موالي فما أجبناهم، ولي أولاد أخ هم أكْفَاءُ لبناتي، ومع هذا فما زوَّجْتُهم لأني لا أَطيبُ نَفْساً بتسليم بناتي إلى الرِّجال، وأما الفَرَس والخِلْعَة فلستُ ممن يَلْبَس ثيابَكم ولا أركَبُ مَراكبكم، مراكبي هذه السفن، لكن ابني أبو محمد يَقْبَل ذلك ولا يَرُدُّه، وأما إنفاذُ عَسكري إليكم فإن رجالي لا يَسكنون إلى رجالكم لكثرة مَن قتلوا منهم، وبعد هذا فقل له: ينبغي أن تَثْبُتَ وتَتدبَّر وقل له: قد قَصَدْتَ مُحارَبتي فرجعتَ خائباً، وقصدتَ ابنَ حمدان فانصرفتَ كذلك، وقَصَدْتَ الأهواز وعُدْتَ على مثل هذه الصُّورة من الفِتنة، وإني أعلم أن أمرَك سَيَتأدى، وتجيء إلى عندي، وسأُذَكِّرُك هذا القول، وأُعامِلُك من الجميل بخلاف ما عامَلْتَني به.

وصار إلى عزِّ الدولة أبو أحمد الحسين بن موسى الموسوي مُفارقاً لسُبكتكين، وصار إليه أيضاً أبو الحسن محمد بن عمر بن يحيى العَلَوي من الكوفة مُقاطعاً لسبكتكين.

ذكر رسالة سبكتكين إلى عزّ الدولة :

بعث إليه فوهيار الدَّيْلَميّ ـ وكان قد اختار المقام عند سبكتكين ـ يقول لعز الدولة : قد جنيتَ على نفسك جِنايةً عظيمة بما دبَّرْتَه، وإني لك على ما عاملتَني به خيرٌ لك ممن تَسْتَجيش به علي، هؤلاء الغلمان قد نَفروا عنك نُفوراً لا يَسكنون إليك أبداً، فاقبل منّي، وأفرج عن واسط لتكون هي وبغداد في يدي بإزاء أموالهم، وخذِ البَصرة والأهواز بإزاء مالِ الدَّيْلَم، واجعل أمري وأمرَك واحداً، ولا تفتح باباً للحرب فلستَ من أهلها ورجالها، واعلم بأنني ناصِحٌ لك، ومُشفِقٌ عليك من عُقبى المخالفة، حافظٌ به لك وصيَّةَ مولاي رحمه الله فيك ـ يعني معزّ الدولة ـ التي ما حفظتَها أنت فيّ، والسلام.

فعرض عزُّ الدولة هذه الرسالة على الدَّيْلَم فأكبروها، ورَدُّوا فوهيار أقبحَ ردّ، فلما أُخبر سُبكتكين بذلك شرع في الاستعداد للحرب، وعَمل على المسير إلى واسط، وقدَّم أمامَه كتاباً من الطائع إلى عزِّ الدولة مع رجلٍ عَلَوي فيه :

من عبد الله عبد الكريم الإمام الطائع لله أمير المؤمنين إلى عزِّ الدولة أبي منصور مولى أمير المؤمنين : سلامٌ عليك، أما بعد، فإن أميرَ المؤمنين يَحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله أن يُصلِّي على محمدٍ عبده ورسوله ﷺ.... وذكر الإسلامَ وفضلَه، والخلفاءَ المتقدِّمين، وحذَّر فيه من الفتنة، ووَعَد وأوعد، ثم قال : فإن انتقَلْتَ إلى حيث تُقلَّد من الأصقاع، وتَعدل في أهله، وتَصْدِفُ عن سَنن الجَوْرِ في معاملتهم؛ قابلناك بما تستحقُّ من الإكرام، وإن أبيتَ وأقمتَ على ما لا يَسوغُ الصَّبْرُ عليه في الدِّين والسِّياسَة؛ قَصَدْناك بجيوشنا، ونَفَرنا إليك كالنُّفور إلى الثغور، وهذا كتابُ الإنذار قبل بادِرَةِ القَصْد، فاخترِ الأَعْوَدَ والأجدى، وعَجِّل بالإجابة فإنا نَتَوَكَّفُها[١]، وإن كنَّا غيرَ لابِثينَ إلا رَيْثَ وصول الجواب، والسلام.

فلما وقف عزُّ الدولة وأبو طاهر بن بَقية على الكتاب استَفْحَشا ألفاظَه لما فيه من التَّقصير في خطاب عز الدولة، والتَّحَكُّمِ عليه ونسبته إلى الجَوْرِ والظُّلْم، وما فيه من

---

(١) يعني ننتظرها.

الوَعْدِ والوَعيد، ولم يَريا إجابةَ الطَّائع بالاعتراف له بالخلافة، لئلا يُلْزِمَهما لوازم الطَّاعة، ولم يَريا تَرْكَ الجواب فيكون ذلك نُكولاً عن الحُجَّة، فأمر أبا إسحاق إبراهيم ابن هِلال الصَّابئ أن يُجيب عنه بجوابٍ يُخاطبه فيه بالإمرة، وأن يُغْلِظَ له فيه، فكتب إليه جواباً منه:

للأمير أبي بكر عبد الكريم بن أمير المؤمنين المطيع لله من عزِّ الدولة أبي منصور بن مُعزّ الدولة أبي الحسين مولى أمير المؤمنين المطيع: سَلامٌ على الأمير، أما بعد: فإنه وصل كتابُه أحسن الله توفيقَه وتسديدَه، وهدايتَه ورُشْدَه، مُفْتتحاً بالاعْتزاء إلى إمرة أمير المؤمنين، والتَّقَلُّد لأمور المسلمين، وقد علم أن الخلافة تحتاجُ إلى إجماعٍ لا يَختلِفُ فيه رأيان، ولا يَختصم فيه اثنان، فإن تَعذَّر اجتماعُ الكُلِّ لانبساطهم في الأرض ذات الطُّول والعَرْض؛ فلا بدَّ من اتِّفاق أشرافِ كلِّ قُطرٍ وأفاضلِه، وأعيانِ كلِّ صُقْعٍ وأماثله، ليَحصل الإجماعُ حينئذٍ حُصولاً لا يَعْتَلّ، ويَنْتَظِمَ انتظاماً لا يَخْتَلّ، أو من عهدِ إمامٍ جائزٍ أمرُه وحُكمُه، أصيلٍ رأيُه وفَهْمُه مُمَكَّنٍ مما يُورِدُ ويُصْدِر، مُخَيَّرٍ فيما يأتي ويَذَر، غيرِ مَحجوبٍ عن الإرادة، ولا مَحْمولٍ على الكَراهة، ولا مُضْطَهَدٍ بالإخافة، ومع ذلك فليس له أن يُمضِيَ ذلك على المسلمين إلا بعد عَرْضِه على صُلَحائهم وخيارِهم، وكُبَرائهم وعُظَمائهم؛ ليَرجعَ الأمرُ إلى الاتِّفاق الذي هو القُطْبُ المُدارُ عليه، والعَمودُ المُشارُ إليه.

وقد علم الأمير أن الأئمةَ كانت إذا أرادت أن تَعْهَد عَهْداً أحْكَمت له الأُصول، ومَهَّدت له السَّبيلَ، وهذا عمر بن الخطاب ﷺ هو القُدْوَة العُظْمى، وفيه الأُسْوَةُ الكُبرى، سُئل لمَّا احتُضِر عن الخليفة بعده فقال: لم أكن لأَتَحمَّلها حياً وميتاً، وكيف أفعل ذلك وقد مضى رسول الله ﷺ ولم يَسْتَخْلِف؟ فلمَّا ألحَّ عليه المسلمون جعلها شُورى في السِّتَّة المعروفين، وفَوَّض إلى المسلمين أن يَختاروا لأنفسهم مَن يَرتَضونه ويختارونه ويُوَلُّونه، فإذا لم يكن البِناءُ ـ أيَّد الله الأمير ـ موضوعاً على أحد هذين الاثنين، ولا مَعقوداً على أحد هذين الوَجْهَين، بل كان مَعدولاً عنهما، ومُخَالفاً فيه شَرطهما فما أَخْلَقَ به أن تَتَقَوَّضَ أعاليه، وتَزِلَّ قدمُ بانيه.

ومعلوم أن أمير المؤمنين المطيع لله ـ تَولَّاه الله بالحراسة حياً، وبالمغفرة مَيتاً ـ بَرزَ عن داره هارباً خائفاً من الخَطَر الذي أُكرِه عليه، وإن هَرَبَه كان إلى جِهتي، وسُكونَه إلى جَنْبَتي، وأنه رُدَّ العُصاة، وحُصِرَ حَصْر العُتاة، وأقر في جيشه، وأُخيف على نفسه، ولم تُرْعَ له ذِمَّة ولا حُرْمَة، ولا وُقِّرَت له شَيْبة ولا كَبْرَة، فأصبح فريداً وَحيداً، مَسلوباً مَغلوباً، قد أُبعد عنه أنصارُ الدولة، وأحاط به غُواةُ الفتنة، لايَملك لنفسه ضَرًّا ولا نَفْعاً، ولا يستطيع نَصْراً ولا دَفْعاً، ولا يَصِحُّ من مثله اختيار، ولا يثبت عليه بالإقرار، ولاتَقَدَّمت منه مُشاورةٌ لأحد، ولامُكاتَبةٌ إلى طَرَف، بل أقدم عليه الطَّائفة النَّاشِزة التي لا تَتِمُّ بهم بَيعة، ولا أُقيمت لهم خُطبة[1]، ولا رضيت الأمة، ولا اجتمعت الكافَّة.

والأمير يعلم أنه لو أراد واحد من هؤلاء المماليك أن يَعقِدَ لنفسه عَقْدَ نكاح ما تمَّ إلا بأمري، ولا خرج عن حُكمي، ومَن فعل ذلك منهم بغير أمري فهو مَلْعون على لسان رسول الله ﷺ، قال: «من تولَّى غيرَ مَواليه فعليه لعنةُ الله» الحديث[2]. وجميعهم بين مُسْتَرَقّ مُلكُه عائدٌ عليّ، وبين مُعْتَق وَلاؤه مَنسوبٌ إليّ، ولا يَنعقد بمثلهم أمرٌ، ولا يَنْفُذُ بقولهم حُكم، ولا يكون الأمرُ الذي انفرد به حُجَّةً على أعيان المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها، وأسافلها وأعاليها، وأقاصيها وأدانيها، وكيف يكون الأمرُ تاماً بشِرْذِمةٍ من العبيد، مَحصورة العَدَد، مُنقطعة المَدَد، لم يخرج سُلطانهم ببغداد عن طَرَفها، ووراءها مني طالبٌ يَطلبها وينحوها، وقاصدٌ يَبتغيها ويَقفوها.

وقد علم الأميرُ أن من شرط وُلاةِ العهود تعريفَ اللُّقَطة، وردَّ الضَّالَّة، وحَبْسَ الأُبَّاق من أَرِقَّاء المسلمين والمعاهَدين عليهم، وإعادتهم إلى الانقياد إليهم، فما الحُجَّةُ عليَّ في الاشتمال على مَن هو في هؤلاء الغلمان من عَبيدي الذين لم يَخرجوا عن مِلْكي ببيعٍ ولا إعتاق، ولا إذنٍ ولا انطلاق، مع الدَّعوى أنه للبَريَّةِ سائس، وعليها رائس، وقد سمع اللهَ تعالى يقول: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ﴾ الآية[٤٤: البقرة]... وذكر فُصولاً أُخَر. وهذا الكتاب هو الذي أوجَبَ نكبةَ الصَّابئ.

---

(١) في هامش (ب): ولا أقيمت لهم حقيقة. وعليها إشارة الصحة.

(٢) قطعة من حديث علي رضي الله عنه، أخرجه أحمد(٦١٥)، والبخاري(٣١٧٢)، ومسلم (١٣٧٠).

وكتب عزُّ الدولة إلى سُبكتكين كتاباً يَتضمَّن عِتابَه، فمنه: أما بعد؛ أطال الله يا أخانا على الطَّاعة اللائقةِ بك، والهداية المشاكِلة لفضلك بَقاك، وأدام عُلُوَّك وأبقاك، وأمتَعَنا بك في عَودِك إلى المَعْهود منك، وانصرافَ(١) عنا نَزْغَ الشيطان بك، إن أَوْلى ما اعتمد عليه العاقلُ وأتاه، وذهب إليه وتَوخَّاه: أن يَعرف الحقَّ الذي عليه، فيُؤَدِّيَه كما يَنبغي له ويَقتضيه، وأن يَحترِز في مَجاري كَلِمِه، ويَتَوَقَّى في مَساعي قَدَمِه، مما يوقع النَّقْصَ في الدِّين، ويُسْخِطُ ربَّ العالَمين، وإذا نزلت به نعمةٌ قَراها بغاية شُكرِه وحَمدِه، وأحسنَ ضِيافتَها بوُسْعِه وجُهدِه، وصانها عن عَواقب إنكارِه وجَحْدِه، إذ كان المنعم شَرَط ألا يَريم(٢) ألا يَريم ما وجدته، ولا يُقيم ما فقدته، وكثيراً ما يُسْكِر الواردين حِياضُها، ويُغْشي عُيُونَ المُقْتَبِسين إيماضُها، فيَذْهَلون عن الامتراء لدِرَّتها، ويَعْمَهون عن الاستمتاعِ بنَضْرَتها، ويكونون كمَن أطار طائرَها لما وَقَع، ونَفَّر وَحْشِيَّها لما أَنِس، ولا يَلبثون أن يَتَعَرَّوا من جِلبابها، ويَنْسَلخوا من إهابها، ويَتَعَوَّضوا منها بالحَسْرَةِ والغَليل، والأَسَفِ الطَّويل﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[الرعد: ١١]، ونُعيذُك بالله من الاستمرار على ذلك، ونَسأله أن يَأْخُذَ قبل التَّمادي فيه بيدك.

وأنت ـ أدام الله عِزَّك ـ الرجلُ الرَّاجِح، الذي قد حَلَبَ الدَّهْرَ أَشْطُرَه، وعَرف خَيرَه وشَرَّه، وتَحلَّى بحِلْيَةِ الكُهول، وتَجَلَّل بملابس أرباب العقول، وقبيح بك أن تَهفُوَ هَفْوَةَ الجَذَعِ وقد قَرَحْتَ واحتَنَكْتَ، وأن تَغْلَطَ وقد مارَسْتَ ودارَسْتَ، وقد أجرى الله لك على أيدينا، وعلى يد الأمير معزِّ الدولة نَضَّر الله وَجْهَه قِبَلَنا نِعماً، ما ندَّعي عليك شيئاً منها إلا وأنت له مُسَلِّم، ولسانُ حالك به مُتَكَلِّم؛ لأن ذلك السيد الماضي غفر الله له أعطاك مالم تَسْمُ لك إليه هِمَّة، وخَوَّلَك ما لم يَبْلُغ منك إليه أُمنيَّة، وفَضَّلك على كثيرٍ من عبيده وأوليائه، وأدانيه وأقربائه، ولم يَدُرْ في خَلَدِه أنَّ مِثلَ إحسانه إليك يُكْفَر، ولا أن مِثلَ مَتْجَرِه فيك يَخْسَر، وقد جَذَب بضَبْعَيْك من مَطارِحِ الأرِقَّاء العَبيد، إلى مراتب الأحرارِ الصِّيْد، وأَوْطَأَ الرِّجالَ عَقِبَك، وأكثر مالَك ونَسَبك، وعَظَّم خَطَرَك وقَدْرَك، وأبعَدَ صِيتَك وذِكْرَك.

---

(١) كذا، ولعلها: وصرف.

(٢) في يتيمة الدهر ٢/ ٢٩٨، والتذكرة الحمدونية ٢/ ٢٦٥: للنعم شروط من الشكر لا تريم ما وجد ولا تقيم ما فقد.

وكنتَ في أيامنا مُوفَّراً مَصونا، مُوَقَّراً مأمونا، مُتَرَفِّعاً عن بَذْلِ الخِدْمَة، مَحمولاً على دالَّةِ الحُرْمَة، مُسامَحاً بما تَطلُبه، مُسَوَّغاً ما تَقْتَرِحُه، مُشَفَّعاً فيما تسأله، مُجاباً إلى ما تَلْتَمِسه، نُقَرِّبُ مَن قَرَّبْتَ، ونُبعِدُ مَن أبعدْتَ، ونرضى ما رَضيتَ، ونكره ما كَرِهت، إقطاعاتُك مُقَرَّةٌ عليك، ومَوادُّكَ مُنْصَبَّةٌ إليك، لا تَعرِفُ إلا الصَّبوحَ والغَبوق، ولا نُلزِمُك شيئاً من الحقوق المؤدِّية إلى العُقوق، وأنت مَشغولٌ باقتناء الذَّخائرِ النَّفيسَة، وبناء الأبنية الرَّفيعة المَشِيْدَة، ونحن في نَوائبَ تُلِمُّ بنا، وجَوائحَ تَرِدُ علينا، وعَدُوٍّ نَهْدٍ نُساوِرُه، وأمرٍ مُضَيَّعٍ نُباشِرُه، وأنت مَشغولٌ بنفسك، لا ترى لنا ما يَراه الشَّريكُ لشَريكه، فَضْلاً عن المَولى لمَليكه.

وما زلتَ تَترقَّى في العُقوق؛ إلى أن صِرتَ لا تَحضُرُ عندنا في مَجلس، ولا تركبُ معنا في مَوكِب، ولا تهنِّئنا بعَطيَّة، ولا تُعَزِّينا عن رَزِيَّة، وتَدَّعي مع ذلك علينا أنا نَبْغيكَ بالغَوائل، ونَنْصُبُ لك الحَبائل، وما مُرادُك إلا أن تَتداولَ الناسُ دَعواك، ويَتفاوَضُوا شَكواك، فيتَخَمَّر في قلوبهم، ويَتقرَّر في نفوسهم أن ذلك رُخصةً في المَرْكِب الذي ارتَكَبْتَه، وفُسْحَةً في الإثم الذي احْتَقَبْتَه.

وعَلَّامُ الغيوب المُطَّلِعُ على ضَمائر القلوب يَشهد عليك باستحالةِ ما تَذْكُره، ويَشهد لنا بصَفاء ما نُضمِرُه، وإنا بريئون من كل ما زَعَمْتَ وظَنَنْتَ واتَّهَمْتَ، ولو كنَّا نُريد بك سُوءاً لكان مَرامُه أسهلَ وأيسرَ، وطَريقُه أخصَرَ وأقصر، وكنا قادِرين على انتهازِ فُرَصٍ منك كثيرة، منها: شَغَبُ غِلمانِك عليك، وإحاطتُهم بك، وهَرَبُك منهم وَحيداً، وخُروجُك من بينهم فَريداً، وقد علمتَ أنا وَقَيْناك منهم، وكفَيناك إيَّاهم، وأنْفَذْنا إليك مَن حَماك وحَرَسَك، وصانَك وحَفِظَك، وفَعلْنا في ذاك ضدَّ فِعلك في إفساد غِلماننا علينا، وتجرئتهم بالمكروه إلينا... وذكر فُرَصاً كثيرة وكلاماً طويلاً، فلم يلتفت سُبكتكين إلى ذلك، وأصرَّ على لقائه[1].

وحجَّ بالناس أبو منصور محمد بن عُمر العَلَوي، ولم يصلوا إلى مكة لعدم الماء، فعدلوا إلى المدينة، فلما وصلوا إليها بَرَكت الجمالُ مَيتةً من العَطَش، فوقفوا يومَ عَرفة عند رسول الله ﷺ، وخُطب بمكة للمُعزّ ولم يُخْطَب للمُطيع.

(١) من قوله: وكان حمدان بن ناصر الدولة قد توجه إلى الرحبة.... إلى هنا ليس في (ف م م١).

[فصل:] وفيها توفي

عبد العزيز بن أحمد بن جعفر(١)

[أبو بكر] الفقيه الحَنْبَليّ[، ويعرف بغُلام الخَلَّال].

ولد سنة اثنتين وثمانين ومئتين، وتَفَقَّه وصنَّف المصنَّفات في مذهب الإمام أحمد رحمة الله عليه، منها كتاب «المقنع» مئة جزء، وكتاب «الكافي» نحو مئتي جزء(٢)، و«الشَّافي» ثمانون جزءاً، و«زاد المسافر» و«التفسير» و «القولين»، وفي الأصول. وكان زاهداً.

وحكى الخطيب عنه أنه مرض فقال لأهله(٣): أنا عندكم إلى يوم الجمعة، فقالوا: الله يعافيك، فقال: سمعتُ أستاذي أبا بكرٍ الخَلّال يقول: سمعتُ المَرُّوْذِيَّ يقول: عاش أحمد بن حنبل ثمانياً وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودُفن بعد الصلاة، وعاش أبو بكر المَرُّوذِيُّ ثمانياً وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وعاش الخلال ثمانياً وسبعين سنة، ومات يوم الجمعة، ودفن بعد الصلاة، وأنا لي ثمان وسبعون سنة، وأنا عندكم إلى يوم الجمعة، وأموتُ وأُدفن بعد الصلاة.

فلما كان يوم الجمعة لسبعٍ بَقينَ من شَوَّال في هذه السنة مات، ودُفن بعد الصلاة بمقبرة باب الأَزَج عند دار الفيل.

[حدَّث عن محمد بن عثمان بن أبي شيبة، وأبي خليفة الفضل بن الحُباب، والبغوي، وابن صاعد وغيرهم.

وروى عنه الدارقطني، وابن رزقويه].

وكان صدوقاً، وَرِعاً، ثقة، [صالحاً مأموناً] رحمه الله(٤).

---

(١) كذا في النسخ و(ل ص) من المنتظم ١٤/ ٢٣٠ كما أشار محققه، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٠٥، وفي تاريخ بغداد ١٢/ ٢٢٩، والمنتظم، والكامل ٨/ ٦٤٧، والسير ١٦/ ١٤٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢١٤، وطبقات الحنابلة ٢/ ١١٩: عبد العزيز بن جعفر بن أحمد.

(٢) كذا؟! ولم يذكروا من كتبه هذا الكتاب، وإنما يصدق هذا الوصف على كتابه الخلاف مع الشافعي.

(٣) في (ب خ): ولما مرض قال لأهله، والمثبت من (ف م م١).

(٤) ما بين معكوفين من (ف م م١).

أبو الفتح علي

ابن محمد بن أبي الفَتح[1]، البُسْتي، الكاتب، الشاعر.

كان فاضلاً يُعاني التَّجانُس، فمن شعره: [من المتقارب]

تَرَحَّلْتُ عنكم لفَرْطِ الشَّقاءِ وخَلَّفْتُ رُشْدي وَرائي وَرائي
فَنائي قريبٌ إذا غِبْتُ عنك وإمَّا رَجَعْتُ فنَاءٍ فنائي

وقال: [من الوافر]

كتبتُ ولم تُجِبْني عن كتابي فأهَّلَني لتَسْرِيح الجَوابِ
أرِحْني بالإجابةِ من هُمومٍ أحاطَتْ من تَبارِيحِ الجَوى بي

و قال: [من الرمل]

إنما الجاهل إنْ لايَنْتَه فهو من غَفْلَتِه لايَنْتَبِهْ
خُذْه بالغِلْظَة كي تَنفعَه فلقد أضرَرْتَ أن لا تنتبه

وقال: [من المتقارب]

إذا مَلِكٌ لم يكن ذا هِبَهْ فدَعْه فَدوْلَتُه ذاهِبَهْ

وقال: [من المتقارب]

إذا ما ظَفِرْتَ بوُدِّ امرِئٍ قليلِ الخِلافِ على صاحِبِهْ
فلا تَغْبِطَنَّ به نِعمةً وعَلِّق يَمينَك يا صاحِ بهِ

وقال: [من السريع]

إذا أتى خَطْبٌ فآراؤه تُغني عن الجَيْشِ وتَسْريبِهِ
وإنْ دجا ليلٌ فأنواره تُضيءُ للرَّكْب وتَسري بهِ

وقال: [من الطويل]

(١) كذا في (خ ب) والنجوم الزاهرة ٤/ ١٠٦ ، وهذه الترجمة ليست في (ف م م١). واسمه في سائر المصادر: علي بن محمد ـ ويقال: ابن أحمد ـ بن الحسن بن محمد بن عبد العزيز. وقيل: علي بن محمد بن حسين بن يوسف بن عبد العزيز. انظر يتيمة الدهر ٤/ ٣٤٥ ، وتاريخ دمشق ٥١/ ١٥٧ ، والمنتظم ١٤/ ٢٣١ ، ووفيات الأعيان ٣/ ٣٧٦ ، والسير ١٧/ ١٤٧ ، وتاريخ الإسلام ٩/ ٣٢ ، والبداية والنهاية ١١/ ٢٧٨ ، وديوانه ٢١ .

مَـواعـيـدُه بـالـوَصْـلِ أحـلامُ نـائـمٍ أُشَـبِّـهُـهـا بـالـقَـفْـرِ أو بـسَـرابِـه
فمَن لي بوَجهٍ لو تَحَيَّر في الدُّجى أخـو سَـفَـرٍ في لـيـلـه لَـسَـرى بـهِ

وقال: [من البسيط]

نَزَّهْتُ نَفسي عن الدُّنيا وزُخْرُفِها لا فِـضَّـةً أبـتـغي فـيـهـا ولا ذَهَـبَـا
نَفْسي التي تَملِكُ الأشياءَ ذاهِبَةٌ فـكـيـف آسَـى عـلـى شيءٍ إذا ذَهَـبـا

وقال: [من السريع]

يـاأيُّـهـا الـذَّاهِـبُ فـي مَـكْـرِهِ مَهْلاً فما المَكْرُ من المَكْرُماتْ
عـلـيـك بـالـصِّـحَّـة فـهـي الـمُـنـى تحيي مُحَيَّاكَ إذا المَكْرُ ماتْ(١)

وقال: [من البسيط]

يـا مَـن يُـؤَمِّـلُ فـي دُنـيـاه عـافِـيَـةً أبْعَدْتَ ما أنت في دار المُعافاةِ
دُنـيـا تَـغُـرُّ فـكُـنْ منـهـا عـلـى حَـذَرٍ والـدَّهْـرُ يـأتـي بـحـالاتٍ وآفـاتِ(٢)

وله من مُنكراته رحمة الله عليه: [من البسيط]

إذا عَلا مَلِكٌ بالـلَّـهْـوِ مُشْتَغِلاً فاحْكُمْ على مُلْكِه بالوَيْلِ والعَطَبِ(٣)
أما تَرى الشَّمسَ في الميزانِ هابِطَةً لأنـه بُـرْجُ أهـلِ الـلَّـهْـوِ والـطَّـرَبِ

وقال: [من البسيط]

إذا رَضِـيـتَ بـمَـيْـسـورٍ مـن الـقُـوتِ بَقيتَ في النّاسِ حيًّا غيرَ مَمْقُوْتِ(٤)
يـا قُـوتَ يَـومي إذا ما دَرَّ خَـلْـفُـك لـي فـلَـسْـتُ آسَـى عـلـى دُرٍّ ويـاقـوتِ

وقال: [من السريع]

طُـوبـى لـمَـن زالَـتْ مُـهـاجـاتُـه وطـال لـلـه مُـنـاجـاتُـه
يـا ربِّ مَـن أوْبَـقَـه ذَنْـبُـه فـفـي مُـنـاجـاتـك مَـنْـجـاتُـه

---

(١) روايته في صلة الديوان ٢٣١:

عـلـيـك بـالـصـحـبـة فـهـي الـتـي تـحـيـي فـتـحـيـيـك إذا الـمـكـر مـات

(٢) روايته في الديوان ٥٢:

دنـيـاك ثـغـر فـكـن فـيـهـا عـلـى حـذر فـالـثـغـر مـثـوى مـخـافـات وآفـات

(٣) في يتيمة الدهر ٤/ ٣٥٩: إذا غدا ملك... بالويل والحرب.

(٤) في صلة الديوان ٢٣٠: في الناس حراً.

وقال: [من السريع]

أُرْثُوا لِمَن ليس له إرْثُ ... وأَبِّنُوهُ وله فارْثُوا

يا باغِيَ الخُلْدِ ألستَ الذي ... غُذِّي بما جاوَرَه فَرْثُ

ولأبي الفتح: [من البسيط]

لا تُغْبَنَنَّ ولا تَخْدَعْك بارِقَةٌ ... من ذي وِدادٍ [يُري] بِشْراً وإلْطافا

فلو قَلَبْتَ جميعَ النَّاسِ قاطِبَةً ... وسِرْتَ في الأرضِ أوْساطاً وأطرافاً

لم تَلْقَ فيها صَديقاً[1] صادِقاً أبداً ... ولا أخاً يَبْذُلُ الإنْصافَ إن صافى

وقال: [من الطويل]

بنفسيَ مَن أهدى إليَّ كتابَه ... فأَهْدى ليَ الدُّنيا مع الدِّينِ في دُرْجِ

كتابٌ مَعانيه خِلالَ سُطورِه ... لآلِئُ في دُرْجٍ كواكبُ في بُرْجِ

وقال: [من الوافر]

لئن كَذَبَتْ ظُنوني في مَقامي ... لديكَ وخانَني الأملُ الفَسيحُ

فإنِّي لا أُخالِفُ قولَ ربِّي ... فأرضُ اللهِ واسِعَةٌ فسِيحوا

وقال[2]: [من الطويل]

وأشتاقُكُم يا أهلَ وُدِّي وبيننا ... كما يَزْعُمُ البَيْنُ المُشِتّ فراسِخُ

فأمَّا الفَيافي بيننا فطَويلَةٌ ... وأمَّا هَواكُم في فُؤادي فراسِخُ

وقال: [من البسيط]

يا آمِري باقتناءِ المالِ مُجْتَهِداً ... كيما أَعيشَ بمالي في غَدٍ رَغَدا

هَبْني بجُهديَ قد حَصَّلْتُ رِزْقَ غَدٍ ... فمَن ضَمِيني بتَحصيلِ النَّجاةِ غدا

وقال: [من الكامل]

يا مَن يُخاطِبُ قومَه ليَقودَهم ... بخِطابِه نَحْوَ الأَسَدِّ الأنْفَعِ

قلْ ما تقولُ لهم بوَزْنِ عُقولِهم ... وبوَزْنِ عَقْلِكَ ما يُقالُ لك اسْمَعِ

---

(١) في الديوان ١٢٧ : لا تعتبن... من ذي خداع، فلو فليت، لم تلف منها صديقاً.

(٢) في (ب): وله.

وقال: [من الطويل]

ومن هِمَّتي عِشْقُ السَّماحِ وليس لي ... ثَراء على معنى السَّماحِ مُساعِدُ
وفي الكَفِّ قَبْضٌ للأمورِ وبَسْطَةٌ ... ولكنْ إذا ما ساعَدَ الكفَّ ساعِدُ

وقال: [من الطويل]

دَعوني وأَمْري واخْتِياري فإنني ... عَليمٌ بما أَفْري وأَخْلُقُ من أمري
إذا مرَّ بي يومٌ ولم أصْطَنِعْ يداً ... ولم أسْتَفِدْ عِلماً فما ذاك من عُمْري

وقال: [من الوافر]

وأهوى من بني الأتراكِ ظَبْياً ... دَقيقَ الخَصْرِ سَمَّوه قَراجا
بعثْتُ إليه أسْتهدي وِصالاً ... بلا مَطْلٍ فلما أن قَرا جا

وقال: [من مجزوء الكامل]

كم مُذْنبٍ قد ضافَني ... فَقَرَيْتُه صَفْحاً وغُفْرا
كم حاسِدٍ صابَرْتُه ... فقَتَلْتُه بالصَّبْرِ صَبْرا

وقال في ابن عَبَّاد الصَّاحِب: [من البسيط]

يا من أعاد رَميمَ المُلْكِ مَنْشُورا ... وضمَّ بالرَّأي أمْراً كان مَنْشُورا
أنت الوزيرُ وإن لم تُؤتَ مَنْشُورا ... والأمرُ بعدَكَ إن لم تُؤتَمَن شورى

وقال: [من مخلّع البسيط]

إذا خَدَمْتَ المُلوكَ فالْبَسْ ... من التَّوَقِّي أعزَّ مَلْبَسْ
وادْخُلْ إذا ما دَخَلْتَ أعْمَى ... واخْرُجْ إذا ما خَرَجْتَ أخْرَسْ

وقال: [من الطويل]

فلو نَسيَ اللهُ العبادَ دَعَوْتُه ... ليَذْكُرَني لكنَّه ليس بالنَّاسي
ولو كُنتُ أَدْري أين رِزْقي طَلَبْتُه ... ولكنَّه عِلمٌ طَواه عن النَّاسِ

وقال: [من الوافر]

فلا مَثْوى أَحُطُّ به رِحالي ... وأرْفَأُ فيه رَتّا من مَعاشي(١)
ومَن يكُ من مَعاشٍ في ضَياعٍ ... فإنّي من مَعاشي في مَعاشِ

(١) في (خ ب): وأريا فيه ريا من معاشي، والمثبت من الديوان ١١٢.

وقال: [من البسيط]

إذا تَحَدَّثْتَ في قوم لتُؤْنِسَهم ... بما تُحَدِّثُ من ماضٍ ومن آتِ
فلا تُعيْدَنَّ قولاً إنَّ طَبْعَهُمُ ... مُوَكَّلٌ بمُعاداةِ المُعاداتِ

وقال: [من المديد]

أقولُ للحائكِ الظَّريفِ وفي ... بَنانِه طاقةٌ يُخَلِّصُها
هلْ لك في ردِّ مُهْجَةٍ لفتى ... ليس له طاقةٌ يُخَلِّصُها[1]

وقال: [من الطويل]

وقالوا رُضِ النَّفْسَ الحَرونَ وكُفَّها ... تُطِعْكَ وأَلْزِمْها أداءَ الفَرائضِ
فإن لم تَرُضْها أنت وحدَك مُصْلِحاً ... وَجَدْتَ لها من دَهرِها ألفَ رائضِ

وقال: [من الطويل]

لنا صاحِبٌ فيه انْخِنَاثٌ وإنَّه ... يقول بأنِّي مُولَعٌ بلِواطِ
فتَباً له من كاذِبٍ مُتَزَيِّدٍ ... وشَيخِ لِواطٍ يَسْتَجيبُ لِواطِ

وقال: [من مجزوء الكامل]

يا قومُ إنِّي جائعٌ ... والجوعُ من إحدى الفَجائعْ
ولعلَّني قد كنتُ أشْـ ... ـبِعُ كلَّ يومٍ ألفَ جائعْ

وقال: [من السريع]

يا فَرْحَةَ القَلْبِ ونَيْلَ المُنَى ... وصَفْوَ عَيْشِ الصَّبِّ إن صافَى
ومالِكاً يَظْلِمُني عامِداً ... عن قُدْرَةٍ إن رُمْتُ إنْصافا

وقال: [من الطويل]

سقى البارقُ الغَوريُّ عَذْباً من الحَيا ... مَحَلَّتَنا بين العُذَيبِ وبارِقِ
وأَغنى مَغانيها وأَرْضى رِياضَها ... وشَقَّ بلَطْمِ القَطْرِ خَدَّ الشَّقائقِ[2]

---

(١) في هامش (ب): هما لأبي نواس الحسن بن هانئ. قلت: ولم أقف عليهما لأبي نواس ولا للبستي فيما بين يدي من مصادر، وهما في ذيل تاريخ بغداد ١/ ٤٠٦، والوافي بالوفيات ١٩/ ٣٣٤ لعبد الوهاب بن ناصر الأقفالي البصري.

(٢) نسبهما الثعالبي في يتيمة الدهر ٥/ ٢١٠ إلى أبي بكر اليوسفي محمد بن أحمد.

وقال: [من الطويل]

عَـفـاءٌ عـلـى هـذا الـزَّمـانِ فـإنـه ... زَمـانُ عُـقـوقٍ لا زَمـانُ حُـقـوقِ
فـكُـلُّ رَفـيـقٍ فـيـه غـيـرُ مُـوافـقٍ ... وكـلُّ صَـديـقٍ فـيـه غـيـرُ صَـدوقِ

وقال: [من الطويل]

يـقـولـون ذِكْـرُ الـمَـرْءِ يَـحْـيَـى بـنَـسْـلِـهِ ... ولـيـس لـه ذِكْـرٌ إذا لـم يـكـن نَـسْـلُ
فـقـلـتُ لـهـم نَـسْـلي بـدائـعُ حِـكْـمَـتي ... فـمَـنْ سَـرَّه نَـسْـلٌ فـإنـا بـهـا نَـسْـلـو

وقال: [من المنسرح]

مَـنْ جَـعـلَ الـصَّـبْـرَ فـي مـقـاصِـدِه ... وفـي مَـراقـيـه سُـلَّـمـاً سَـلِـمـا
كـم صَـدْمَـةٍ لـلـزَّمـانِ مُـنْـكَـرَةٍ ... لـمـا رأى الـصَّـبْـرَ صَـدَّ مـا صَـدَمـا
فـاصْـبِـرْ فـإنَّ الـزَّمـانَ عـن كَـثَـبٍ ... يـأْسُـو عـلـى الـرَّغْـمِ كُـلَّ مـا كَـلَـمـا

وقال: [من الطويل]

رأيـتُـكَ تَـكـويـنـي بِـمِـيـسَـمِ ذِلَّـةٍ ... كـأنـكَ قـد أبْـدَعْـتَ عِـلَّـةَ تَـكـويـنـي
وتَـلْـويـنـيَ الـحَـقَّ الـذي أنـا أهـلُـه ... وتَـذْهَـبُ فـي أَمْـري إلـى كـلِّ تَـلْـويـنِ
فـأَمْـسِـكْ ولا تَـمْـنُـنْ عـلـيَّ فـبُـلْـغَـةٌ ... من العَيْشِ تَكفيني إلى يومِ تَكفيني

وقال: [من الكامل]

يـا مُـغْـرَمـاً بـوِصـالِ عَـيْـشٍ نـاعـمٍ ... سَـتُـصَـدُّ عـنـه طـائـعـاً أو كـارِهـا
إن الـمَـنِـيَّـةَ تُـخْـرِجُ الآسـادَ عـن ... غـابـاتـهـا والـطَّـيـرَ عـن أَوْكـارِهـا

وقال: [من الطويل]

أَنِـسْـتُ بـأيَّـامِ الـشَّـبـابِ وظِـلِّـهـا ... وآنَـسْـتُ دَهْـراً فـي جِـوارِي الـجَـواريـا
فـلـمَّـا رأيـتُ الـشَّـيـبَ يَـبْـسِـمُ ضـاحِـكـاً ... بَـكَـيـتُ فـأخْـجَـلْـتُ الـعـيـونَ الـجَـوارِيـا

مات البُسْتيُّ بما وراء النَّهر، وقيل: بدمشق، والأوَّلُ أصحّ.

[وفيها توفي]

عيسى بن موسى

ابن أبي محمد بن المتوكل على الله، أبو الفَضْل، الهاشميّ.

ولد سنة ثمانين ومئتين، وسمع الحديث [ورواه.

وروى الخطيب عنه أنه] قال: مَكَثْتُ ثلاثين سنة أشتهي أن أُشارِكَ العامَّةَ في أكل الهَرِيسة من السُّوق، فلم أقدِرْ على ذلك لأجل البُكور إلى سماع الحديث.

وكانت وفاته ببغداد في ربيع الأول.

[سمع محمد بن خَلَف بن المَرْزُبان، وأبا بكر بن أبي داود ولزمه نَيِّفاً وعشرين سنة، وروى عنه أبو علي بن شاذان وغيره،] وكان ثقةً مأموناً[(١)].

[وفيها توفي]

محمد بن أحمد بن سَهْل

أبو بكر، الرَّمْليّ النَّابُلسيّ، الزَّاهد.

[قال الحافظ ابن عساكر: كان مقامه بالرَّمْلَة] بعث إليه كافور الإخْشيدي بمالٍ، فردَّه وقال للرسول: قل لكافور: قال الله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ فالاستعانةُ بالله تكفي، فرَدَّ كافور الرسولَ بالمال إليه وقال: قل له: قال الله تعالى: ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَىٰ﴾ [طه: ٦] فأين ذكر كافور ههنا؟ المُلْكُ والمالُ لله، فقال أبو بكر: صدق كافور، هو والله صوفي لا أنا، ثم قَبِل المال.

وكان هذا الشيخ[(٢)] ينزل أكواخَ بانياس تارةً، وتارةً الرَّمْلَة، فلما نزل المُعِزُّ مِصرَ كان يُفتي بقتالهم، وينال منهم، ثم عاد من الرَّمْلَة إلى دمشق خوفاً منهم، فلما ولي

(١) تاريخ بغداد ١٢/ ٥١٣، والمنتظم ١٤/ ٢٣٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢١٦.

(٢) في (ف م م١) قبلها: وقال ابن عساكر: كان هذا الشيخ، والمثبت من (خ ب)، والنص الآتي بتفصيلاته مجموع من روايتي ابن عساكر ٦٠/ ١٥٧، وابن الجوزي ١٤/ ٢٤٥. وانظر تاريخ الإسلام ٨/ ٢١٦، والسير ١٦/ ١٤٨.

أبو محمد الكُتاميّ دمشق أخذه، فجعله في قَفَصٍ من خَشَب، وبعث به إلى المُعِزّ، فلما دخل عليه قال له: أنت القائل: لو كان معي عشرة أسهم لرميت بتسعة في المِصْرِيّين وواحدٍ في الروم؟ قال: نعم، قال: ولِمَ؟ قال: لأنَّكم غَيَّرتُم المِلَّة، وقتلتُم العلماء والصالحين، وادَّعيتُم أن نورَ الإلهية فيكم، فأمر أن يُشْهَر ثلاثة أيام، ويُضْرَبَ كلَّ يومٍ ألْفَ سَوْط، ثم يُسْلَخ في اليوم الثالث، ففُعل به ذلك، فقال في اليوم الأول وهو يُشْهَر: هذا امتحان، وفي اليوم الثاني: هذه كفَّارات، وفي اليوم الثالث: هذه درجات.

ثم سَلَخَه بعض اليهود من رأسه إلى قدمه وهو لا يتأوَّه، قال اليهوديُّ: فَرحِمْتُه، فطَعَنْتُه بالسكِّين في فؤاده فمات، فأرَحْتُه، وحُشي جِلدُه تِبناً، وصُلِبَ.

ورُوي عنه أنه كان يقول: ﴿ كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا ﴾ [الإسراء: ٥٨].

فرأى ابن الشَّعشاع المصريّ أبا بكرٍ في المنام وهو في هَيئةٍ حَسَنة فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: [من الوافر]

حَبـانـي مـالـكـي بـدَوامِ عِـزٍّ ... وواعَـدَنـي بـقُـرْبِ الانـتـصـارِ
وقَـرَّبَـنـي وأدْنـانـي إلـيـه ... وقـال انْـعَـمْ بـعَـيشٍ فـي جِـواري

[قال ابن عساكر: حَدَّث الرَّمْليُّ عن أبي سعيد بن الأعرابي وغيره، وروى عنه تمَّام ابن محمد، وعبد الوهَّاب المَيْداني، و]روى عنه الدَّارقطنيُّ وقال: حدَّثني الشَّهيدُ بالرَّمْلَة، وكان يذكره ويبكي [عليه ويقول: نِعمَ الرجلُ الرَّمْلي الشَّهيد] رحمة الله عليه.

السنة الرابعة والستون وثلاث مئة

[وفي المحرَّم قدم الحاج إلى بغداد وأميرهم أبو منصور محمد بن عمر بن يحيى العَلَوي، وأخبروا أنهم ما لحقوا الوقفة، وأنهم وقفوا بالمدينة.]

وفيها خرج سُبكتكين والطَّائع من بغداد في أول المحرَّم، فوصلا دَير العاقول يُريدان واسطاً لقتال عز الدولة، فمات المطيع يوم الاثنين لثمانٍ بقين من المحرم، وكان قد انْحَدر مع ابنه الطَّائع، فحُمل إلى بغداد في تابوت، ثم مات سبكتكين بعده بيوم واحد، فحمل في تابوت إلى بغداد، وكان هذا من أعجب الحوادث.

ولما مات سُبكتكين تماسك الأتراك، وعَقدوا الرئاسةَ لهفتكين[1] التركي مولى معز الدولة، وأمَّروه وأطاعوه، وكان أعور، وعَرض عليه الطَّائعُ اللَّقَبَ فامتنع منه، واقتصر على الكُنية، وأقرَّ أصحابَ سُبكتكين على ما كانوا عليه، وعمل على لقاءِ عزِّ الدولة.

وكان حَمدان قد عاد من الرَّحْبَة إلى بغداد بكتاب سُبكتكين، وبلغه اتِّفاقُ أبي تَغْلب مع عزِّ الدولة، فسار على مُقدِّمة سبكتكين، فالتقى مقدمةَ عز الدولة وفيها دبيس بن عَفيف الأَسدي فأوقع بهم، وكان فيها جماعةٌ من الدَّيْلَم، وكانت الوَقْعَةُ بين جَبُّل وفَمِ الصُّلح، فقتل وأسر منهم، وذلك في المحرَّم يوم الخميس لاثنتي عشرة ليلة بقيت منه.

فلما مات سُبكتكين كتب إليه هفتكين كتاباً يُعرِّفُه وفاتَه، وأنه قد صار موضعَه، ويستدعيه إليه ليتَّفِقا على ما يُدَبِّرانه، فاعتقد حَمدان عند ذلك الانحياز إلى عز الدولة، وأن الأتراك قد انحلَّ أمرُهم بوفاة سُبكتكين، فبعث بالكتاب إلى عزّ الدولة، وأخبره أنه صائر إلى هفتكين، واشترط عليه شروطاً، وكان عز الدولة قد عبر إلى الجانب الغربي من واسط، وأخلى الشَّرقي، وجمع السُّفن إليه، وأقام ينتظر عَضُد الدولة، وكان عضد الدولة قد خرج من شِيراز.

ولما ورد على عز الدولة كتابُ حَمدان استبشر، وهمَّ بالإصعاد إلى بغداد، وظنَّ أن أمر الأتراك قد انحلّ، فلما عرف ثُبوتَه، وأن هفتكين قد قام مقام سبكتكين؛ راسل هفتكين مع الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسوي بما يؤنسه، ودعاه إلى طاعته،

---

(١) في (ب): للفتكين، حيثما ورد، والمثبت من (خ)، وكلاهما صحيح، انظر السير ١٦/ ٣٠٧.

وكانت الوَحْشَةُ قد تمكَّنتْ فلم تُغْنِ الرّسالةُ شيئاً، فقال حمدان لهفتكين: أنا أكون في مقدّمتك، فقال: افعل، فعبر من الجانب الشرقي إلى الغربي، ومعه ابنه وغلمانه وأسبابُه، فاستأمن إلى عزّ الدولة، فتلقَّاه، وأكرمه، وحمل إليه مالاً ودواباً وثياباً.

وبلغ ذلك الأتراك، فضَعُفَت قلوبُهم، وتوقَّفوا عن المسير أياماً، ثم عَزموا عليه، ورجعوا، ونزلوا قريباً من فَرْسَخ عن واسط، وعَقدوا جِسراً من السُّفن التي كانت معهم، ولهم زَبازِب كثيرة فيها المقاتلة، وحَصَل في أيديهم الجانب الشرقي بأسره، وكانوا يَعبرون على الجسر فيُقاتلون الدَّيْلَم، فأقاموا كذلك خمسين يوماً، وركب يوماً حَمدان يقاتل الأتراك، فعرفوه، فأكبُّوا عليه بالدَّبابيس حتى أثْخَنوه، وأخذوه أسيراً، ووقع في وَرِكه دَبُّوسٌ فعرج منه إلى آخر عمره، وحملوه إلى الهفتكين، وأشرف الدَّيلَم على الهزيمة مرات، وكانت الأيام كلُّها للأتراك.

واشتدَّ الحِصار على عزِّ الدولة، وضاقت عليه المِيْرَة، واستولى الأتراك على واسِط من الجانبين، وتواترت كتب عز الدولة إلى أبي تَغْلِب بالقدوم عليه، وإلى عَضُد الدولة بالإسراع إليه.

فأما أبو تَغْلب فبعث أخاه أبا عبد الله الحسين في طائفةٍ من الجيش، فنزل تَكْريت، فأقام ينتظر ما تَنكشف الحربُ عنه، وانْحَدر بنفسه وبجميع جيشه إلى مدينة السَّلام، وأما عضد الدولة فقدم بغداد بعد هذا، وسنذكر قُدومَه في موضعه إن شاء الله تعالى.

وفيها في المحرَّم تُوفِّي أبو منصور إسحاق بن المتقي لله عن إحدى وخمسين سنة، وكان ممن تَرشَّح للخلافة، ودُفن بداره في دار ابن طاهر.

وفي المحرَّم توفِّي أبو دُلَف كيخسرو بن عضد الدولة بشيراز(١).

وفي يوم الأربعاء لثلاث عشرة ليلة بقيت من المحرم أوقع العَيَّارون ببغداد حريقاً من الخَشَّابين إلى دَرْب الشَّعير، فاحترق شيءٌ كثير، ونهب العَيَّارون مالاً عظيماً، وغلبوا على الأمور وتَلَقَّبوا بالقوَّاد، فأخذوا الخفائر عن الأسواق والدُّروب، ونُهب الناسُ في الجوامعُ يوم الجمعة من الجانبين.

---

(١) من قوله: ولما مات سبكتكين تماسك الأتراك... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وكان في جُملة العَيَّارين[١] رجلٌ أسود يعرف بأسود الزُّبْد لأنه كان يأوي إلى قَنْطَرة الزُّبْد، ويَستطعم الناس وهو عريان ليس عليه ما يُواريه، فلمّا رأى مَن هو أضعفُ منه قد أخذ السيفَ ونَهب أخذ هو سيفاً، وانضاف إليه جماعة، فأخذ الأموال، واشترى جاريةً بألف دينار، فأرادها على نفسها فمنَعتْه، فقال: لِمَ تمنعيني؟ فقالت: أكرهُك، فقال: ما تكرهين مني؟ فقالت: كُلّك، قال: فما تُحبّين؟ قالت: تَبيعُني، قال: أو أفعل خيراً من ذلك؟ فحملها إلى القاضي، وأعتقها، ووَهَب لها ألفَ دينار، فعجب الناس من مُروءته حيث لم يُجازِها على كراهيتها له إلا بالإحسان.

وفيها سار عَضُد الدولة من فارس، فنزل أرَّجان في غُرَّةِ ربيعٍ الأول، ووافتْه العساكر من الرَّيِّ والأهواز، وسار يَطلب العراق.

وفي ربيع الأول ورد أبو تغلب إلى بغداد، ونزل بدُرْتا في الخيم، فماج الناس ببغداد، وتحرَّك العيَّارون، وظهر من كان مُسْتَتراً من أصحاب عز الدولة، وقتل أبو تَغْلِب جماعةً من العَيَّارين، وأنفذ أخاه إبراهيم إلى النجمي[٢] فأنزله به، وسيَّر أبا السرايا بن سعيد بن حَمدان إلى واسط مَدَداً لعزِّ الدولة، وعَقَد الجِسر بقطيعة أمّ جعفر، وعبر بنفسه إلى الجانب الشرقي فاخترقه، وعاد إلى عسكره، وقبض على أصحاب الأتراك، وتتبَّع أسبابهم[٣]، وأدخل يده في أموالهم.

ولما بلغ ذلك الأتراك ساروا بأجمعهم مع الطائع لله إلى بغداد، فوَرَد أوائلهم يوم الجمعة رابع عشر ربيع الآخر، ومعهم جمعٌ كثيرٌ من العامَّة والعَيَّارِين، وصاروا إلى قصر فرح بإزاء معسكر أبي تَغْلب، وهَتفوا به، وشتموه أقبحَ شَتْم.

ودخل الطَّائعُ والأتراك بغداد من الغد، ورحل أبو تغلب إلى الجَلْحاء، وخَلَّى عن الجانب الغربي، واستتر مَن كان ظَهرَ من أصحاب عزّ الدولة، وملك الأتراك الجانبين، وعسكروا بباب الشَّمَّاسِيَّة، ونزل الخليفة في داره، وخلع هفتكين على حَمدان، وجَدَّد الأيمان معه.

---

(١) في (ف م م١): وقال الخطيب كان في جملة العيارين، ولم أقف على الخبر في تاريخه، وذكره الهمداني في تكملة الطبري ٤٣٥، وابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ٢٣٥ .

(٢) كذا، ولم أتبينها، ولم أقف على الخبر بتفصيلاته هذه.

(٣) في (خ): آثارهم.

ووصلت الأخبار بوصول عضد الدولة إلى واسِط، وانفصاله عنها إلى بغداد، فأحضر الطَّائعُ القُضاةَ والأشرافَ والقوَّادَ مُستهلّ جُمادى الأولى، وأخذ الأيمانَ على الأتراك بالطَّاعة، والمُناصحة في العِيال، وركب من غدٍ إلى باب الشَّمَّاسِيَّة، واستنفر الناسَ لقتال عضد الدولة، وعاد إلى داره.

ذكر حال عضد الدولة مع الأتراك حتى هزمهم:

كان عز الدولة لما مات سُبكتكين كتب إلى ركن الدولة بإيثاره بالمدد من العَسْكر، وأن لا يُقوِّي عَزْمَ عضد الدولة على المسير بنفسه إلى بغداد، وقناعته بالمَدَد الذي يُنفذه إليه مع بعض أصحابه، وكاتب عضدَ الدولة بمثل ذلك؛ لأن خواصَّه أشاروا عليه: لا يدع عضد الدولة يدخل مملكتَه، ويشاهد نِعمتَه، فأجابه ركن الدولة بأن الخَطْب الذي هو بإزائه مع بقاء الأتراك على حالهم مُحتاجٌ إلى مِثْلِ عَضُدِ الدولة في كثرة ماله ورجاله، وقيام هَيبته، وحُسْنِ تدبيره، وأجابه عضد الدولة بأن المَدَد فيما يُراد له لا يفيد حتى يتولَّى ذلك بنفسه، وكان غرضُ عضد الدولة ما أنف أصحابُ عزِّ الدولة منه(١).

وسار حتى نزل الأهواز، وتَلَوَّم تلوُّماً طويلاً حتى دخل واسطاً تاسع عشر ربيع الآخر، ولما حصل بالأهواز وانحدر أبو تغلب إلى بغداد تماسك أمر عزّ الدولة، وأمَّلَه مَن كان آيساً منه، واستأمنت إليه طائفةٌ من الأتراك قَوِيت بهم نفسُه.

ولما قَرب عضد الدولة من واسِط تلقَّاه عزُّ الدولة وأخواه أبو إسحاق ومحمد وأبو طاهر بن بقية، فترَجَّلوا، وقَبَّلوا الأرض بين يديه، ما عدا عِزُّ الدولة فإنه لم يترجَّل، وأكبَّ عليه عَضُد الدولة وعانقه، وكان رُكن الدولة قد كتب إلى عزِّ الدولة يُوصيه بتعظيمِ عَضُد الدَّولة وخدمته.

ونزل عضد الدولة بالجانب الشرقي من واسط ومعه أبو الفتح علي بن محمد بن العَميد ـ وكان قد قَدِم عليه بعسكر الرَّيّ ـ ورتَّبَ المسيرَ إلى بغداد على أن يكون عزُّ الدولة في الجانب الغربي، وهو في الجانب الشرقي، ورحل حتى نزل ديرَ العاقول وعز

(١) في (خ ب): وكان غرض عز الدولة ما أنفق أصحاب عز الدولة منه، وليس في (ف م م١) لاختصار طويل يشار إليه في موضعه، ولعل المثبت هو الصحيح، انظر الكامل ٨/ ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٨.

الدولة بإزائه، وورد عليه تأهُّبُ الطَّائعِ والأتراكِ للقائه، فَعبَّأَ عَسْكَرَه، وجعلَ موكبَ خاصَّته في القَلْب، وفي مَيمنته أبا الفتح بن العَميد في جيش الريّ، وفي ميسرته عُمدة الدولة وأبا إسحاق وابن بقية مع طائفة من عسكر عز الدولة، ونزل بإزاء المَدائن.

وكان انحدار الطائع والأتراك ليلة السبت لأربع عشرة خلت من جمادى الأولى، ووصلوا إلى دَيالى، والتَقَوْا على أرضٍ مُستوِيةٍ قريبة من ديالى، وكانوا قد عَقدوا عليه جُسوراً، واقتتلوا فكانت الدَّبْرَةُ أولاً على عَسْكَرِ عَضُد الدولة من ناحية المَيْسرة، وكان فيها عسكر عز الدولة، فاستَجَرَّهم الأتراك، وقتلوا منهم جماعة نحو المئتين، وزحف عليهم عضد الدولة فانهزموا، وقتل من أكابرهم عِدَّة، وجاؤوا إلى جسور دَيالى فازدحموا عليها، وغَرِقَ منهم خلقٌ كثير، وركبهم الدَّيْلَم، وكان معهم من العَيَّارِين خلقٌ كثير، فأفناهم الدَّيْلَمُ بالقَتْلِ والغَرَق، واستباحوا عَسكرَهم، وأحرقوا خيامَهم، وجاءهم الليلُ فحال بينهم، وكان عز الدولة في الجانب الغربي فكتب إلى عَضُد الدولة بخطِّ يده:

ولكنَّ الجوادَ أبا شُجاعٍ ... وفِيُّ العَهْدِ مأمونُ المَغيبِ
بَطيءٌ عنك ما استغنيتَ عنه ... وطَلَّاعٌ عليكَ مع الخُطوبِ[(١)]

ودخل التُّرك بغداد مُقَطَّعين، ومضى الطائع إلى عُكْبَرا، وأصبح الأتراك فأخذوا معهم مَن أمكن أخذه من عيالاتهم وأولادهم، وتَبِعَهم العددُ الكثير ممن يَخاف من المقام بعدهم، وساروا نحو الشام.

وسار عَضُد الدولة من الجانب الشَّرقي، وعزُّ الدولة من الجانب الغربي، ودخل ابن بَقِيَّةَ بغداد، ونادى في الناس فسكنوا، ونزل عضد الدولة بباب الشمَّاسيّة وعز الدولة بإزائه من الجانب الغربي، وأظهروا أنهم يتَّبعون الأتراك، فلما وصل الخبر أنهم وصلوا تكريت مُمزَّقين مَسْلوبِين دخل عضد الدولة إلى دار سبكتكين فنزلها، وعز الدولة في دار المتّقي لله.

---

(١) نسبا إلى إبراهيم بن العباس الصولي في ديوانه ١٢٩ (الطرائف الأدبية)، ومعاني العسكري ٢/ ١٩٥، والتذكرة الحمدونية ٤/ ٤٧، وفيها: ولكن الجواد أبا هشام.

وكان الطائع قد راسَلَ عَضُد الدولة لما كان بدير العاقول، فأجابَه إلى ما يُريد، وبعث إليه من عُكْبرا القاضي ابن مَعْروف، فحَلَّفه، واستَوْثَق منه.

ثم أقبل الطائع في طَيَّارِه يوم الخميس لتسعٍ خَلَوْن من الشهر، وخرج عَضُد الدّولة في طياره، فتلقَّاه من قَطيعة أم جعفر، وصَعِد معه، وقَبَّل البِساط الذي تحته ويدَه، وطُرِحَ له كُرسي فجلس عليه بين يديه، وكان على عضد الدولة قَباء أسود، وعِمامة سوداء، وسيف ومِنطَقة ذهب، وأحدقت الطَيَّارات والزَّبازِبُ بطيَّار الخليفة مملوءةً من الدَّيْلَم وغيرهم، وانحدر كذلك إلى دار الخلافة، وبعث إليه عضد الدولة بمالٍ وَفُرُش وطيب، وخطب له يوم الجمعة لعشرٍ بقينَ من جُمادى الأولى، وإلى هذه الغاية لم يُخْطَب في هذه المدة لأحد.

وأمر الطَّائعُ بأن يُكتَب إلى الآفاق بعَوْدِه إلى داره، واستقامةِ الأمور والأحوال، فكتب أبو إسحاق إبراهيم بن الصابئ كتاباً بليغاً في ذلك.

ذكر ماجرى لعز الدولة مع عضد الدولة:

لما استقرَّ عَضُد الدولة ببغداد، وانهزم الأتراك، اجتمع أصحابُ عزِّ الدولة من الدَّيْلَم والتُّرك، وشَغَبوا عليه بالزَّاهِر، وطالبوه بالعطاء، واشتَطُّوا عليه، فغضب، وتبرَّأ منهم، وقال لعضد الدولة: تولَّ أمورهم. ووجد عضد الدولة ذلك طريقاً إلى ما نازعتْه نفسُه إليه.

وقيل: لما رأى عضد الدولة مُلْكَ العراق أعجبه، وحَسَد عزَّ الدولة، فوضع الدَّيْلَم فشغبوا عليه، فأرسل إليه عضد الدولة في المصير إليه؛ ليَجتمعا على ما فيه المصلحة من تدبير الأمور، فجاء عز الدولة إليه ومعه أخواه عمدة الدولة وأبو طاهر، فلما صاروا عنده اعتقلهم، ووكَّل بهم، وذلك في يوم الجمعة لخمس بقينَ من جُمادى الآخرة، ولم يَعرِض لابن بَقيَّة، ووعده بالجميل، وأنه يَستخدمه ويُجريه على رسمه ومنزلته، وأمره أن يَمضي إلى دار عز الدولة، وبعث معه جماعةً من الدَّيْلَم والحاشية، فختم على أمواله وخزائنه، ووَكَّل بإصطبلاته، ومضى إلى داره.

وقبض عَضُد الدولة على خَواصِّ عز الدولة، فلما كان من الغد جمع عضد الدولة القُضاةَ والشُّهودَ والأشرافَ والعلماء، وقرأ عليهم كتاباً مَضمونُه: أن عزَّ الدولة استَثْقَل

النَّظَرَ في الأمر فاعتزله، واستعفى منه، وسأل توفيره على ما هو أرْوَحُ له منه، فأُجيب إلى ذلك، وأن للخاصَّة والعامَّة عندنا كلَّ ما يَسُرُّ من حُسنِ السِّيرةِ والحِراسَةِ والصِّيانةِ والعَدْلِ وإزالةِ الظُّلْمِ والإحسان، وأخَذ جماعةً من العَيَّارين فقتلَهم وصَلَبهم في عدَّةِ مواضع، وهرب المفسدون.

ثم كتب عَضُد الدولة إلى أبيه في معنى عزِّ الدَّولة، وكتب عن الطَّائع كتاباً في هذا المعنى، وبعث بالكتابَين مع أبي الفتح ابن العَميد على الجَمَّازات[1]، فمن كتاب الطَّائع: قد عرفتَ أطال الله بقاءك ما انعقَدتْ به البيعةُ لأمير المؤمنين في أيام المطيع لله رحمة الله عليه، وما اكتنَفَه في تلك الحال من غَواشي فَسادِ جِهاتٍ، فأصبح أميرُ المؤمنين بينها مُشْتَرَك[2] الرَّأي، مَغلوباً على الاختيار، حتى استَنْقَذه الله بنَجْلِك الكريم، وسَليلك النَّجيبِ عَضُدِ الدولة، أدام الله به الإمتاعَ، فأخلَصَ في نُصْرةِ أمير المؤمنين نِيَّتَه، وأرْهَف ليُثبِتَ أمرَه عَزيمتَه، وتَحَمَّل باستطاعته طاعتَه ... إلى أن قال: ورأيُ أمير المؤمنين في عَضُد الدولة أن يُقيمَ بقُربِه، ولا يتغيَّر من دار السَّلام... وذكر فصولاً في هذا المعنى.

وأما كتاب عضد الدولة فمَضْمونُه: إن الأمورَ كانت قد اضطَرَبَتْ، وهَذَّبْتُ مَملكةَ العراق، وخاطَرْتُ بنفسي ومالي وجُندي، ورَدَدْتُ الخليفةَ إلى داره، وإن بختيار لا يُحسِنُ أن يُقيمَ دولةً، ومتى خرجتُ عن العراق اضطَرَبَت الممالك.

ثم إن عضد الدولة ساس الأمورَ، وبعث بالشَّريف أبي أحمد الموسَوي إلى أبي تَغْلب بإسقاطِ ما عليه من مال، وبعث كذلك إلى عمران بن شاهين وغيرهما.

وفيها قَدِمت أمُّ عزِّ الدولة من واسِط ومعها أولادُه وحُرَمُه، فخَيَّرها عَضُدُ الدولة بين أن يَجمع بينها وبين ولدها أو المُقام في دارها، فاختارت المقام عندهم، فأقامت، ونزل الحرم والأولاد في الدار الغربية، وأقام لهم الوظائف والرَّواتب.

---

(١) مراكب سريعة تتخذها الناس في المدن، شبه العجلة التي تجرها الخيل. المعجم الوسيط.

(٢) في (ب): مستنزل.

ذكر قصة الأتراك:

ساروا من بغداد إلى عُكْبَرا وسامُرّاء وتَكْريت، وتَفَرَّق بعضُهم، ولم يبق مع الهَفْتَكين سوى ثلاث مئة غُلام، فسار إلى الشَّام، وأقام بحمص أياماً، ثم سار إلى دمشق والعَيَّارون قد مَلَكوها، فنزل بظاهرها، وخرج إليه أشرافُها وشيوخُها، وخدموه، وأظهروا السُّرورَ به، وسألوه المقامَ عندهم، ودَفعَ أذى العَيَّارِين عنهم، فأجابهم إلى ذلك، وتَوثَّق منهم بالأيمان والعُهود، ودخلها فأحسن السّيرة، وقَمَعَ أهلَ الفساد، وقامت له الهَيْبَةُ في قلوبهم، فأَحَبُّوه، وأطاعته العرب المتغلِّبون على ضواحي دمشق، وكتب إلى المعزِّ بالطاعة، فاستدعاه إلى حَضْرَتِه ليُحْسِنَ إليه ويَرُدَّه إلى دمشق، فخاف منه، فتعَلَّل عليه، ومات المُعزُّ، وقام ابنُه العزيز، فجَهَّز إليه جيشاً مع القائد جَوْهَر، وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

وقيل: إنه كان بدمشق قائدٌ من قُوَّاد المصريين يقال له: رَيَّان قد آذى أهلَها، فأخرجوه، ووَلَّوا الهفتكين ـ وهو الأصحّ ـ فدخلها في شعبان، وأقام الدَّعوةَ للمُطيع.

وخرج ابن الشَّمْشَقيق[1] الرُّومي في هذه السنة إلى الثُّغور، فمَلَكها، واستولى على أكثرها، فدَعَتِ الضَّرورةُ أبا بكر ابن الزَّيَّات صاحبَ طَرَسوس إلى مُصالَحتِه، فصالحه، وخرج إليه في عِدَّةٍ من أهل طَرَسوس، فأحسَنَ إليهم وأَمَّنَهم، وسار إلى حمص وافتتحها، وقصد بَعْلَبك فافتتحها، فكتب ابن الزيات إلى الهَفْتَكين وأهلِ دمشق يقول: لا طاقةَ لكم بصاحب الروم، والمصلحة أن تَدخلوا في طاعته، وتُقَرِّروا عليكم مالاً.

فأجابه الهفتكين، ورَدَّ الأمرَ إليه فيما يفعلُه، فدخلَ ابنُ الزيَّات على ابن الشمشقيق وحادثه، فأعطاهم الأمانَ على نفوسهم وأموالهم، وأن يؤدُّوا إليه في كل سنةٍ ثلاث مئة ألف درهم.

فكتب ابنُ الزيَّات إلى الهفتكين وشيوخ دمشق بأن يَخرجوا للقائه، فتلقَّوه من الزَّبَداني في أحسَنِ زِيّ، فأقبل عليه، وقَرَّبه، وأكرَمَه، وخاطب الدِّمشقيين بأحسنِ خِطاب، وأكرَمهم.

---

(١) في (خ ب): السمسق، والمثبت من تكملة الطبري ٤٤٤، وتاريخ دمشق لابن القلانسي ٢٢، وكنز الدرر ٦/ ١٦٩.

ولما رأى دمشقَ أعجبته، فأمر أصحابَه ألا يتعرَّضوا لها، وأقام أياماً بظاهرها والهفتكين يخرج إليه كلَّ يوم، ويُسايره، ويَلعَبُ بين يديه بآلة الحرب، فقال ابن الشمشقيق لابن الزَّيَّات: مارأيتُ أحسنَ من هذا الغلام، وقد أعجَبَني وأحببْتُه، وكان يركب في المماليك في الزّيّ الإسلامي، ويتطاعنون بين يديه، ويَرْمون بالنُّشَّاب، فعرَّفَ ابنُ الزَّيَّات الهفتكين قولَ الروميّ، فترجَّل وقبَّلَ الأرضَ بين يديه، فقال الرومي لابن الزيات: عَرِّفْه أنني قد وَهَبْتُ له الخَراجَ، فترجَّل ثانياً وقبَّلَ الأرضَ بين يديه.

ثم إن الهفتكين بعث إليه بالفرس الذي كان تحته والسلاح ـ وكان قد طلَبه من ابن الزيَّات ـ وبعث معه عشرين فَرَساً بتجافيفها[1]، وعِدَّةً ورِماحاً، وشيئاً كثيراً من أصناف الثِّياب والطِّيب والطُّرَف، فردَّ الجميع، وأخذ الفَرَس والسِّلاح، وبعث له مُكافأةً على الهديَّة أثوابَ دِيباج كثيرة، وبغلات وغيرها، وسار إلى السَّاحل، ووَدَّعه الهفتكين ورجع إلى دمشق.

ونزل الروميُّ على صَيدا، فخرج إليه أبو الفتح بن الشَّيخ ـ وكان رجلاً جَليلَ القَدْر ـ ومعه شيوخ البلد، وطلبوا الأمان فأعطاهم، وقرَّروا على نفوسهم مالاً، وأهْدَوا له هَدِيَّةً، فرحل عنهم على موادَعةٍ، ونزل على بيروت فقاتلوه، ففتحها عَنوةً، ونهبها وسبى أهلَها، وفعل بجُبيل كذلك، ثم نازل طرابلس فأقام عليها نيفاً وأربعين يوماً يُقاتل أهلَها ويقاتلونه، فبينا هو كذلك إذ دسَّ إليه بسيل وقسطنطين سُمّاً في شرابٍ فاعتَلَّ، ونزل على أنطاكية فقطع أشجارَها، ورحل عنها، واستخلف على حصارها بِطريقاً يقال له: البرجي، وسار إلى القُسْطَنْطينية فمات بها، وفتح البرجي أنطاكية.

ذكر ما جرى لابن بَقيَّة:

لما أقام عضد الدولة ببغداد ينتظر جواب أبيه استمالَ ابنَ بَقيَّة، وقَرَّبه، وجعله برسْم وزارة الأمير أحمد بن عضد الدولة، وخيَّره فيما يريد من الأعمال، فاختار واسِطاً وتكريت وأَوانا، فأعطاه ذلك، وخلع عليه الخِلَع السُّلطانية، وحمله على فَرَسٍ بمركب ذهب، وأعطاه في كل سنة خمسَ مئة ألف درهم إقطاعاً، وضمَّ إليه جماعةً من الدَّيْلَم والقُوَّاد.

---

(١) التِّجْفاف: آلة للحرب يُلْبَسُه الفرس والإنسان ليقيه في الحرب.

وانحدر، فلما صار بواسِط أظهر الخلاف على عضد الدولة، والإنكار لما جرى على عزِّ الدولة، وقَبَض على القُوَّاد الذين ضَمَّهم إليه ـ وذلك في شعبان ـ وكاتبَ عمران ابن شاهين وغيرَه، فأجابوه لما يريد.

وكان أبو كاليجار ابن عز الدولة بالبصرة، فكاتبه، وجعل في نفسه متى قصده عضد الدولة صار إلى البصرة، ثم لم ير أن يذهب إلى البصرة خوفاً من عامله، فعوَّل على قصد عمران بن شاهين متى دَهَمه أمر.

وتبيَّن لعضد الدولة فسادُ الرأي في ابن بقية، وتخلية سبيله، فراسله بأبي الفَضْل أحمد الشِّيرازي وأبي طاهر المقنعي الشاهد يقول: قد عرفتَ ما عاملناك به، وأسْدَينا الصَّنيعةَ إليك فيه، ولم يَتجدَّد بعد انحدارِك من حَضرتنا ما يُوحِشُك ويَحملُك على ما بدا منك، فإن كان بلغَك شيءٌ فعَرِّفْنا حتى نُبْطِلَه، ونُعطيك من الوَثيقةِ ما يَتكامل لك السُّكونُ به، وإن كنتَ تُريد زيادةً على ما أعطيناك زِدناك.

فلم يلتفت إلى رسالته، وكان جوابُه لعضد الدولة: وَقَفْتُ على الرسالة والأمان، فوَجدْتُ معانيهما مبنيَّةً على المَخْرَقَة[1] المستمِرَّة، والزَّخْرفَة المُستحيلة، ومازال الله يَلْطُفُ بي عند وقوعي في تلك الوَرْطة التي لا أرانا الله في مولانا عزِّ الدولة شِبْهَهَا، حتى تَخلَّصْتُ منها خلاصَ المَظْلوم[2]، وأفلتُّ منها إفلاتَ المَكْلوم، وقد جَعلتُ دوني سيوفاً حِداداً، وسواعدَ سِداداً، وقد أعطيتَ قبلي أُناساً أماناً قولاً، وأسقطْتَهُ فعلاً، فلم تَفِ بشيءٍ منه، بل صَدَفْتَ عنه، فياليتَ شِعري أيَّ أمانٍ تُعطيني وقد حلفتَ أيماناً ونكثتَها، ومنها قصَّةُ مولانا عز الدولة: لما اطمأنَّ إليك انتهَزْتَ فُرْصَتَه، واستَلَبْتَ غُرَّتَه، وفرَّقْتَ بين ولده وبينه، واستَولَيْتَ على ممالكه وأَنْشَبْتَ مَخالِبَك فيها، والله يأخذُ الباغي، ويُهلِكُ الظَّالم، وكتب إليه: [من الطويل]

إذا المَرْءُ لم يَحْتَلْ وقد جَدَّ جَدُّه أضاعَ وقاسى أمرَه وهو مُدبِرُ
ولكنْ أخو الحَزْمِ الذي ليس نازِلا به الخَطْبُ إلا وهو للقَصْدِ مُبْصِرُ

(١) في (ب): المخزمة، وفي (خ): المحرفة، ولعل المثبت هو الصواب، ولم أقف على نص الرسالة.
(٢) أورد الهمداني في تكملة تاريخ الطبري ٤٤٠ نص الرسالة من هذا الموضع.

وكتب أيضا إلى عضد الدولة في جواب كتاب أُعيد عليه فيه بإطلاقه واستخدامه إياه: [من الوافر]

ومـا بُـقْـيـا عـلـيَّ تَـرَكْـتُـمـانـي ... ولـكـن خِـفْـتُـمـا صَـرَدَ الـنِّـبَـالِ

فانظروا إلى هذا الجاهل الأحمق الذي أوقعه لسانُه فيما أوقعه؛ فإن عَضُدَ الدولة تمكَّن منه بعد ذلك، فقتَله أقْبَحَ قِتْلَة، ومَثَّل به شَرَّ مُثْلَة.

وعاد ابنُ بقية إلى بغداد، وزادت منزلتُه عند عز الدولة أضعافَ ما كانت.

وكان عضد الدولة قد عَوَّل على إنفاذ عَسْكَرٍ في الماء إلى أبي كاليجار ليأخُذَ البَصْرةَ منه، فلما حَدَث من ابنِ بقيةَ ما حَدَث جعل ابتداءه به، فبعث إليه الجيشَ، وبعث ابنُ بقية إلى عمران، فأرسل إليه عَسْكراً في السُّفُن مع أخيه أبي المعربان، وجاؤوا إلى واسِط، واقتتل الفريقان، وانتشرت الأمورُ على عضد الدولة من جميع الجوانب، وابنُ بقية مُتَحَصِّن بواسِط مُسْتَظْهِر، فبينا هم على ذلك والأمور قد اختلَّت على عضد الدولة، وخاف أصحابُ الأطرافِ منه لما فعل بابن عمه عز الدولة، وجاءه جوابُ أبيه رُكن الدولة مع ابن العَميد يقول: أنا بعثتُكَ لتُنْجِدَ ابنَ أخي أو لِتَنْزِعَه من المُلْك؟! والله لئن لم تُفْرِج عنه، وتُسَلِّم إليه مُلْكَه، وتَخْرُج من العراق لأَسِيرَنَّ إليك بنفسي، وصاحَ في ابن العميد وشَتَمَه.

ولما جاءت عَضُدَ الدولة هذه الرسالةُ لم يجد بُدّاً من طاعة أبيه، وكان وُرودُ الجواب في شعبان.

وتَرَدَّدَتْ بين عز الدولة وعضد الدولة مُراسلات بأنه يكون نائباً عنه، وأخذَ منه الأهواز، وشَهَّد فيه الشُّهود، وثبت على الحكام، ومضمونه: السَّمْعُ والطَّاعَةُ لعضد الدولة، وأن عز الدولة نائبُه في البلاد، وأنه سامِعٌ مطيعٌ، وأول الكتاب:

هذا كتابٌ لمولانا الملك الجَليل عضد الدولة أبي شجاع بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين، كتبه له عزُّ الدولة وعُمدة الدولة ابنا معز الدولة، وأشهدا جميعاً على أنفسهما وكلٌّ واحد منهما بما يثبت على قاضي القُضاة أبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي، والقاضي أبي تمَّام، والحسن بن محمد الهاشمي، والقاضي أبي محمد عبد الله بن مَعْروف وغيرهم، ومَن حَضَر من الأشراف والعلماء والشُّهود والخواصّ والقُوَّاد وغيرهم؛ أن عَضُدَ الدولة استَخْلَفَنا على مدينة السَّلام وواسِط

والبَصْرة، وما يجري مُجراها من أعمال العراق خاصّة دون ما سواها من كُوَر الأهواز، فإنها خارجةٌ عن تدبيرنا، ومُفْرَدَةٌ لمولانا عضد الدولة، وعلى أنّا نَسمَعُ له ونُطيع، ونَنتهي إلى أوامره، من غير عُدولٍ عن ذلك ولا مُخالَفة، وأننا نُطيع مولانا الطَّائعَ لله أمير المؤمنين، ونَحرُسُه حِراسةً تامة، ونَطوي ضَمائرَنا على خُلوصها له، حتى لا يَلْحَقَه نقصٌ في نفسِه وسُلطانِه وأسبابِه، ونُقيم له الدَّعوةَ على منابر الإسلام، ولمولانا عضد الدولة دائماً ما عِشْنا.

ثم ذكر كلاماً طويلاً إلى أن قال: والله وتالله وبالله، وذكر الحجَّ والصِّيامَ والعِتاقَ والطَّلاق، والبراءة من محمد سيِّد المرسلين، ومن وَلاء مولانا علي بن أبي طالب أمير المؤمنين، ولَقيتُ اللهَ بدمه وبدم الحسين وأهل بيته صلوات الله عليهم أجمعين، وذكر ما جرت به العادة في الأيمان.

ولما شَهد الشُّهود، وأثبتت النُّسخة على القضاة، وحُملت إليه؛ أطلق عزَّ الدولة وأخوَيْه عُمدة الدولة وأبا طاهر في رمضان، وردَّ على عز الدولة جميعَ ما أَخَذ منه من الخزائن والأموال وغيرها.

وركب عز الدولة، وارتفع ضَجيجُ العوامّ، وأكثروا من الدُّعاء له، وذكروا عضد الدولة بما لا يَليق، وصاحوا عليه من الجانب الغربيِّ بإزاء داره، فنَبا به المقام، فخرج إلى الزَّعْفَرانيَّة لخمسٍ مَضَيْنَ من شَوَّال، وزوَّج ابنَه أبا الفوارس ببنت عز الدولة، ووصل إلى واسط في النِّصف من شوال، فخرج ابنُ بقية عنها، ولمَّا أبعَدَ عضد الدولة رجع إليها.

ذكر ما أخذ عضد الدولة من المُصادرات مُدَّةَ مُقامه ببغداد:

ومَبلَغُه خمسة آلاف ألف وتسع مئة وخمسين ألف درهم[١].

وفي ذي القعدة خلع الخليفةُ على عزِّ الدولة خِلَع السَّلْطَنة، وتزوج ابنة عزّ الدولة[٢] على صداق مبلَغُه مئة ألف دينار، وكان العَقدُ بحضرة الطائع وعز الدولة، والخاطب القاضي أبو بكر محمد ابن قُرَيْعَة، واسم البنت شاه زنان.

---

(١) في تكملة تاريخ الطبري ٤٤٢: ألف ألف وتسع مئة وخمسين ألف درهم.

(٢) في (ب خ): وتزوج أبا الفوارس ابنة عز الدولة، والمثبت من تكملة الطبري ٤٤٩، والمنتظم ١٤/ ٢٣٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٨٥.

وفي ليلة يوم الاثنين لتسعٍ بقين من ذي القعدة طلع كوكبُ الذُّؤابة من ناحية المشرق، وذؤابته مقدار رُمحين، ولم يزل يطلع إلى عشر بقين من ذي الحجة.

وفي سَلْخ ذي القعدة صُرف أبو الحسن محمد بن صالح عن قضاء القُضاة، وتقلَّده أبو محمد عُبيد الله بن مَعروف، وخُلع عليه من دار الخلافة، وركب ابن بقية إلى داره.

وفيها في ذي الحجة قُبض على أبي إسحاق إبراهيم بن هلال الصَّابئ بعد أن أُعطي الأمان، وظهر من الاستتار، وطالت مُدَّته في النَّكْبَة والحبس، ثم أُفرج عنه، ولولا عز الدولة لتَلفَ، وسبب نكبته الكتاب الذي كتبه للطائع، وقد ذكرناه.

وفيها خُلع على الشريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسَوي، وقُلِّد نقابةَ الطالبيين.

وفي آخر ذي الحجة دخل عضد الدولة إلى داره بشيراز.

ولم يحج بالناس أحدٌ من العراق من قِبَل السلطان، وخرج جماعةٌ من أهل خُراسان فلَقُوا شدَّةً ورجعوا، وحجَّ أهل مصر، وأقيمت الخطبة للمعزّ متولّي مصر وحده[١].

[فصل:] وفيها توفي

سُبُكتكين

حاجبُ معزِّ الدولة ومولاه.

[وقد ذكرنا أخباره، وعصيانه على عز الدولة، وأن الطائع طوَّقه وسَوَّره، ولقَّبه نصر الدولة.

وكان قد] ركب يوماً، فوقع من على الفرس، فانكسر ضِلعُه، فاستدعى المُجَبِّر فردَّ ضلعَه على ما كان عليه، [وأدخلوه الحمَّام فأعطى المجبِّرَ] ألفَ دينار وخِلعةً وفرساً.

وكانت داره بالمُخَرَّم ولم يكن بالعراق مثلُها، يقال: إنه غَرِم على بنائها خمسة آلاف ألف درهم، وكانت عند الزَّاهر، وقد دَثَرت فلا عينٌ ولا أثر.

(١) من قوله: وفيها سار عضد الدولة من فارس... إلى هنا ليس في (ف م م١).

ذكر وفاته:

قد ذكرنا أنه خرج مع الطائع لقتال عز الدولة في هذه السنة، فنزلا[(١)] بدير العاقول، فمرض، ولحقه ذَرَبٌ عظيم، فتوفي يوم الثلاثاء لسبع بقينَ من المحرَّم، فكانت مدَّةُ إمارته شهرين وثلاثة عشر يوماً، وحُمل تابوته إلى بغداد، فدُفن في تربة ابنته بالمُخَرَّم.

[قال ابن الصَّابئ:] وخلَّفَ غير ما كان مُودَعاً عند أبي بكر الأصفهاني البَزَّاز صاحبِه ألفَ ألف دينار مُطِيعيَّة، وعشرة آلاف ألف درهم ورقاً، وستّين صُندوقاً منها صندوقان فيهما جواهر والباقيات مملوءات آنية ذهب وفضة، ومئة وثلاثين مركباً ذهباً، وزن كلِّ مَرْكب ألف مثقال، وست مئة مركب فضة، وأربعة آلاف ثوب ديباجاً، وعشرة آلاف ثوب دبيقياً وغير ذلك، وثلاث مئة غلام، وأربعين خادماً، وثلاثة آلاف فرس وجمل وبغل، وثلاث مئة حِمل قماش.

[وقال الخطيب:] كان يسكن دار السَّلْطَنة التي عند الزَّاهر، وجاء عضد الدولة فزاد فيها، وكلُّ مَن جاء بعده زاد فيها[(٢)].

[قلت:] بقيت إلى زمن أبي العباس أحمد الناصر لدين الله فأخربها[، وسنذكرها هناك إن شاء الله تعالى.

فصل: وفيها توفي]

المُطيع لله

واسمه الفضل بن جعفر المقتدر، وكنيته أبو القاسم.

خلع نفسَه طائعاً لا مُكْرَهاً، وفوَّض الأمر إلى ولده عبد الكريم الطائع، وكانت ولايته إلى حين خَلَع نفسه تسعاً وعشرين سنة وأربعة أشهر وأحد عشر يوماً.

وأقام يتعبَّد في داره ـ وكان قد أسنَّ ـ واحتجب عن الناس شُغلاً بمرضه[، وكان يُسمَّى بعد خلعه الشيخ الصالح أو الفاضل].

(١) في (ب خ): وقد دثرت وقد ذكرنا عصيانه على عز الدولة وخروجه مع الطائع لقتاله فنزلا، والمثبت من (ف م م١) وما سلف بين معكوفين منها.

(٢) انظر تكملة الطبري ٤٣٤-٤٣٥، والمنتظم ١٤/ ٢٣٨، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٢٨.

وكان عاقلاً، سَمْحاً، قنوعاً من الدنيا، سالماً مما كان فيه غيره من طلب الدنيا.

وكان الطائع قد خرج إلى واسِط وحمله معه، فنزل دير العاقول، فاشتدَّ مرضُه، ومات في المحرَّم قبل سبكتكين بيوم واحد، وكان عمره ثلاثاً وستين سنة [لأنه ولد في سنة إحدى وثلاث مئة]، وحمُل إلى بغداد فدُفن بتربة جدَّته أم المقتدر بالرُّصافَة.

وكانت وفاتُه ليلة الاثنين لثمانٍ بقينَ من المحرَّم، وصلَّى عليه أبو محمد عبيد الله بن مَعْروف القاضي.

وكان له من الولد ثلاثة: عبد الكريم الطَّائع، وعبد العزيز، وجعفر.

وقضى له أبو السَّائب عُتبة بن عُبيد الله الهَمَذاني، وأبو القاسم بن أبي الشَّوارب، وعبيد الله بن مَعروف، وأحمد ابن أم شَيبان على الجانب الشرقي، ولم يكن له وزير، كان الوزراء لبني بُوَيه.

وقد أسند المطيع الحديث، وقال أبو الفضل بن عبد العزيز الهاشمي [١]: سمعتُ المطيع يقول وقد أحدَقَ به خلقٌ كثير من الحنابلة حُزروا ثلاثين ألفاً فقال: سمعتُ شيخي ابنَ مَنيع يقول: سمعتُ أحمد بن حنبل[٢] يقول: إذا مات أصدقاء الرجل ذَلَّ[٣].

محمد بن بدر

أبو بكر الحَمامي.

كان والده بدر مولى أحمد بن طولون، وكان يُسمَّى بدراً الكبير، ويُعرف بالحَمامي، كان أميراً على فارس وتلك النَّواحي، وكان حسنَ السّيرة، فتوفيّ وقام ولده محمد في تلك الناحية مقامه، وأطاعه القُوَّاد والناس.

قدم بغداد وحدَّث بها، قال أبو نُعَيم: وكان ثقةً، ومات ببغداد، وقال الخطيب: كان يتشيَّع، ولم يكن من أهل هذا الشأن، يعني الحديث[٤].

---

(١) في تكملة الطبري ٤٣٢، وتاريخ بغداد ١٤/ ٣٥٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣١: أبو الفضل التميمي. وهو عبد الواحد بن عبد العزيز، ترجمه الخطيب في تاريخه ١٢/ ٢٦٥وليس في نسبه أنه هاشمي.

(٢) في (ف م م١): وقد أسند المطيع الحديث وروينا عنه أثراً يقول سمعت أحمد بن حنبل. والمثبت من (ب خ).

(٣) بعدها في (ف م م١): انتهت ترجمة المطيع والله أعلم، السنة الخامسة والستون وثلاث مئة.

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ٤٦٨، والمنتظم ١٤/ ٢٤١، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣٢.

السنة الخامسة والستون وثلاث مئة

فيها في المحرَّم انحدر أبو طاهر بن بَقيَّة إلى واسِط والبَصْرة على اتِّفاقٍ بينه وبين عزِّ الدولة في أن يجمع الأموال، ويَسْتَظهرا بها من معاودة عَضُد الدولة، لما تحدِّثُه به نفسه من العَوْد إلى العراق، فلما وصل إلى واسِط جاهر عضدَ الدولة بالقَبيح قولاً وفعلاً، وخلع على الجند، ونَصب لهم المَوائد، وجدَّد العهدَ بينه وبين عمران بن شاهين، واستظهر بذلك على عزّ الدولة أيضاً.

ثم أصعد إلى بغداد في شعبان، والتقاه عز الدولة، وخلع عليه بعد دخوله، وتجدَّدت بينهما وَحْشة لأن أبا طاهر كان يخافُه، ويُسيءُ به الظنَّ، وكان عزُّ الدولة معه كالمَحْجور عليه، فكان يرى القبيحَ فيه.

وكان عز الدولة قد أشار عليه طائفةٌ من العَسْكر بقَبْضِ أبي طاهر بالبصرة وواسط، ولم يتَّفِق له ذلك حينئذٍ، فلما عاد إلى بغداد علم باستمالته للدَّيلم والأتراك بالمال، وبما ملأ عيونهم حتى شَغَبوا بعضَ الشَّغَب، فعاتبه عز الدولة، فأنكر وأظهر له خلافَ ذلك، وأقام على هذه الوَحْشة، وكان رأس المشغبين سَهْلَ بنَ بِشر ضامنَ الأهواز، فاحتال عليه ابن بقية حتى حصل في يده فقتله.

وفي جمادى الأولى اتفق الحال بين عز الدولة وأبي يعقوب الهَجَري، على أن يُقْطِعه عز الدولة من سَقْي الفرات ما ارتفاعه أربع مئة ألف درهم، وكتب له عز الدولة كتاباً بذلك، وقصد أن يتألَّفه، ويؤمّن السُّبُل للحاج وغيرهم، واستفتى الفقهاء فأفتَوْه بذلك.

وفيها كتب ركن الدولة كتاباً إلى عَضُد الدولة يُعَرِّفه فيه كِبَرَ سِنِّه، وقُرْبَ ما يتوقَّعُه من أمر الله تعالى الذي لا بُدَّ منه، وإيثاره قبل نزول ذلك مُشاهدتَه، والخروجَ بما في نفسه إليه، واتَّفقا على أن يجتمعا في أصبهان.

وسار رُكنُ الدَّولة من الرَّيِّ، وعضد الدولة من شِيراز ومعه أبو الفوارس وأبو كاليجار ولده، ووزيره المطهر بن عبد الله، والتقَوا بأصبهان في ربيع الآخر، وحضر ركن الدولة وأولاده أبو منصور مؤيَّد الدولة، وأبو الحسن فخر الدولة، وأبو العباس

خسروفيروز، وأبو الفتح بن العَميد، وخَدَم عضدُ الدولة أباه خدمةً أبان فيها عن بِرِّه، وأوسع الصلات على إخوته وأصحابِ ركن الدولة وحاشيته.

واتفق ركن الدولة مع عضد الدولة، وقسم ركن الدولة البلاد والممالك بين أولاده، فجعل لعَضُدِ الدولة فارس وأرَّجان وكَرْمان، ولمؤيَّد الدولة الرَّيّ وأصبهان، ولفخر الدولة هَمَذان والدِّيْنَور، وجعل أبا العباس في كَنَف أخيه عضد الدولة، وأوصاه به، وكتب وصيَّته بما توافق عليه الإخوة، وكانت الوصيَّةُ بخطِّ أبي الفتح بن العميد إلى عضد الدولة، وأن يَنظُرَ في جميع الممالك، وأوصى كلَّ واحد منهم بأن لا يخرج عن طاعة الآخر، ومضمونها:

هذا عهدٌ عَهِده ركن الدولة إلى عضد الدولة ولده، مُستخيراً لله فيما يأتيه، راجعاً إليه فيما يُدَبِّرُه ويَقضيه، مُهتدياً به فيما يأمر به ويُمضيه، ومَن يَعتمد على الله يَهدِه ويَكفيه، حين رأى ولَدَه عضدَ الدولة أكفأ مَن استكفاه، وأوفر مَن استرعاه، وأولى مَن عَهِد إليه واعتمد في أموره عليه، وعَصَب برأيه نواصي أموره، وألقى إلى عَزْمِه أزِمَّة تدبيره، ارتضاه للنَّظر في أمور ممالكه ووُلاتها، وبلاده وحُماتها، مُشيراً ومُستنداً، ومؤازراً ومُنْفَرداً ... وذكر الأماكن التي وقع عليها التَّعيين، وشَرط أن لا يُنازع أحدٌ صاحبَه فيما أُفرد به، ووقعت الشَّهادةُ على الإخوة بمَحْضَرٍ من القُضاة والعُلَماء والأشراف والقُوَّاد والأعيان، وفي آخر الكتاب: وكتب ذو الكِفايتَين أبو الفتح بن العَميد في رجب من هذه السنة.

وفيها في رجب جلس قاضي القُضاة أبو محمد بن معروف في دار عزِّ الدولة، ونظر في الأحكام؛ لأن عز الدولة اقترح عليه ذلك ليُشاهد حُكمَه، وما يجري في مجلسه[(١)].

وفيها مات ابن الشمشقيق ملك الروم.

وفيها سار ركنُ الدولة إلى الرَّيّ، وعاد عضد الدولة إلى شِيراز فقدمها في شعبان.

وفيها مات المعزُّ صاحبُ مصر، وسنذكره في موضعه إن شاء الله تعالى.

---

(١) من بداية السنة إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفيها عاد جوابُ ركن الدولة إلى عز الدولة بما يُطَيِّب قلبَه، وكان لما بلغ عزَّ الدولة ما فعل ركن الدولة من قسمة البلاد بين أولاده كتب إليه يُخبره ما عليه عَضُد الدولة من سوء النية، وأن في قلبه من بغداد ما فيه، ويسألُه زَجْرَه عنه، وأن يُؤمِّنه مما يخاف من غائلته، وكانت الرسالة مع أبي سَهْل عيسى بن الفضل الروابي[1]، فخاطب ركنُ الدولة عضدَ الدولة في الكفِّ عنه، فشكا إليه ما عاملَه به، وما بدا من ابن بقية، فلم يزل به ركنُ الدولة حتى أجابه من غير نيَّةٍ صحيحة، وعاد عيسى إلى عزِّ الدولة، فعرَّفه ما وصَّى ركن الدولة عضدَ الدولة ، ويبعثه على مُلاطفته وطاعته، ويأمرُه باجتناب ما يوحشه ويُنفِّره.

وفيها توفي الأمير أبو صالح منصور بن نوح صاحب خُراسان، فقام أبو القاسم نوح ابن منصور مقامه وسِنُّه ثلاث عشرة سنة .

وفيها خُلع على أبي عبد الله أحمد بن محمد بن عبيد الله العلوي لإمارة الحاج من دار عز الدولة، وركب معه أبو طاهر بن بقية إلى داره[2].

[وفيها توفي أبو الحسن ثابت بن سنان بن ثابت بن قُرَّة صاحب التاريخ].

وحج بالناس من بغداد الموسوي، وحجَّ من مصر من جهة العزيز بن المُعزّ عَلَويّ، وأقيمت له الدعوة بمكة والمدينة بعد أن منع أهل مكة والمدينة من الميرة، ولاقوا شدائد من الغلاء، [وقطعت الميرة عنهم من مصر.

فصل: وفيها توفي

إبراهيم بن أحمد

ابن محمد بن رَجاء، أبو إسحاق[3]، النَّيسابوري، الأبْزاري، الوَرَّاق.

قال الخطيب: رحل وطلب الحديث، وكان صالحاً زاهداً ثقةً.

---

(١) كذا ، ولم أعرفه.

(٢) من قوله: وفيها عاد جواب ركن الدولة... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٣) في (ف م م١): أبو الحسن، وهذه الترجمة ليست في (ب خ)، والمثبت من تاريخ دمشق ٢/ ٣٦٧ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٢٦ ، والسير ١٦/ ١٥٢ .

قال بلال بن سعد: إبراهيم من المسلمين الذين سلم المسلمون من يده ولسانه.

طلب الحديث على كِبَر السنّ، وعُمِّر حتى احتاج الناس إليه، وكان مزحاً فَكِهاً، يقال له: ما اغتسلْتَ من حرامٍ قط؟! فيقول: لا، ولا من حَلال؛ لأنه لم يتزوَّج.

سمع الحسن بن سفيان، وأبا القاسم البغوي وغيرهما.

وروى عنه أبو عبد الله الحاكم، وأبو عبد الرحمن السُّلَميّ، وأجمعوا عليه].

وفيها توفي

ثابت بن سِنان

ابن ثابت بن قُرَّة، أبو الحسن، صاحب التاريخ.

كان طبيباً فاضلاً، عاشر الخُلفاء والملوك، وكان فريداً في فَنِّه، [وفي الطب، وذكره ابن الصابئ وقال: هو صابئ، وتوفي في هذه السنة،] وكان ثقةً[1].

الحسين بن محمد

ابن أحمد بن ماسَرْجِس، أبو علي، الماسَرْجِسيّ، النَّيسابوريّ، الحافظ.

أسلم ماسَرْجِس على يد عبد الله بن المبارك وكان نصرانياً.

صنَّف الحسين بن محمد على تراجم الرجال ألفَ جزء وثلاثَ مئة جزء، ولم يصنّف في الإسلام أكثر منه مُهذّباً، وجمع حديثَ الزُّهري جمعاً لم يُسبَق إليه، وصنَّف المغازي، وكتاب القبائل، وخرَّج على كتاب البخاري ومسلم الصَّحيحين، وتوفيّ بنيسابور يوم الثلاثاء تاسع رجب، ودفن في داره وهو ابن ثمانٍ وستين سنة، وأجمعوا عليه[2].

عبد الله بن عَديّ بن عبد الله

أبو أحمد، الحافظ، الجُرْجَانيّ.

---

(١) معجم الأدباء ٧/ ١٤٢، ووفيات الأعيان ١/ ٣١٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢١٠ (وفيات ٣٦٣). وما بين معكوفين من (ف م م١).

(٢) تاريخ دمشق ٥/ ١١٠ (مخطوط)، والمنتظم ١٤/ ٢٤٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣٩.

أحدُ أئمّة الحديث المُكْثِرين منه، ولد يوم السبت غُرَّةَ ذي القَعدة سنة سبع وسبعين ومئتين بجُرْجان، وصنَّف كتابَ الجرح والتعديل مِقدارَ ستين جزءاً، ذكر فيه ضُعَفاء المحدِّثين، وسماه «الكامل»، وسئل الدارقطني أن يُصنِّفَ كتاب الجرح والتعديل فقال: يكفي كتابُ ابن عدي، ولم يكن في زمانه مثلُه في الحفظ والثِّقة؛ إلا أنه كان يَلْحَن.

وكانت وفاتُه بجُرْجان يوم السبت غُرَّةَ جُمادى الآخرة، ودُفن عند مسجد كُرْز بن وَبْرَة بجُرجان، وأجمعوا عليه(١).

عبد السلام بن محمد بن أبي موسى

أبو القاسم، الصُّوفي، البغدادي.

سافر الكثير، ولقي الشُّيوخ من أهل الحديث والتصوُّف، وجمع بين علم الشريعة والحقيقة، والفُتُوَّة وحُسنِ الخُلُق، وجاور بمكةَ سنين، وتوفِّي بها، وكان شيخَ الحَرَم في وقته، زاهداً عابداً ثقة(٢).

[وفيها توفي]

عبد العزيز بن عبد الملك بن نَصْر

أبو الأصْبَغ، الأموي، الأندلسي.

[سمع بالأندلس والعراق والشام ومصر وخُراسان.

وذكره الحاكم فقال:] ولد بقُرطبة، ثم [سافر إلى خراسان] فاستوطن بُخارى وتوفي بها.

[أدرك بدمشق أصحاب هشام بن عمار، وسمع خَيْثَمة بن سليمان وأبا سعيد بن الأعرابي، وخلقاً كثيراً. وروى عنه الدارقطني والحاكم.]

---

(١) تاريخ جرجان ٢٦٦، وتاريخ دمشق ٩/ ٧٧١ (مخطوط)، والمنتظم ١٤/ ٢٤٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٤٠، والسير ١٦/ ١٥٤.

(٢) تاريخ بغداد ١٢/ ٣٢٩، والمنتظم ١٤/ ٢٤٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣٠، ووفاته عندهم في سنة (٣٦٤هـ)، والتراجم الثلاث السالفة ليست في (ف م ١).

قال الحاكم أبو عبد الله: سمعته ببُخارى يروي أن مالك بن أنس كان يحدِّث فجاءت عَقْرَبٌ فلَدَغَتْه [ستَّ عشرة مرة]، فتغيَّر لونُه ولم يتحرَّك، فقيل له في ذلك فقال: كَرِهتُ أن أقطعَ حديثَ رسول الله ﷺ[١].

[فصل: وفيها توفي]

مَعَدّ بن إسماعيل بن عُبيد الله

أبو تميم، المُلَقَّب بالمُعِزِّ لدين الله، صاحب مصر.

ولد بالمَهديَّة يوم الاثنين حادي عشر رمضان سنة تسع عشرة وثلاث مئة، وبويع بالخلافة يوم الجمعة التاسع والعشرين من [رمضان، وقيل:] شوّال، سنة إحدى وأربعين وثلاث مئة.

وهو أول خليفة ظهر بمصر من بني عُبيد، فأقام والياً ثلاثاً وعشرين سنة وخمسة أشهر وسبعة وعشرين يوماً، منها بمصر ثلاث سنين[؛ لأنه دخل القاهرة سنة اثنتين وستين وثلاث مئة.

وقال هلال بن المُحَسِّن الصَّابئ: كان المعز لدين الله مُغْرًى بالنجوم[٢]، والنظر فيما يقتضيه الطَّالع، فنظر يوماً في مَولده وطالعه فحكم له بقطع فيه، فاستشار مُنَجِّمه فيما يُزيله عنه، فأشار عليه أن يَعمل سِرداباً تحت الأرض ويَتوارى فيه إلى حين جواز الوقت، فعمل على ذلك، وأحضر قُوَّاده وكُتَّابه، وقال لهم: إن بيني وبين الله عهداً في وَعْدٍ وَعَدَنيه، وقد قَرُبَ أوانُه، وقد جعلت نزاراً ولدي وليَّ عهدي بعدي، ولقَّبتُه العزيز بالله، واستخلفتُه عليكم وعلى تدبير أمورِكم مدّةَ غيبتي، فالزموا الطاعةَ، واتركوا المُخالَفةَ، واسلكوا الطَّريق[٣] السَّديدة، فقالوا: الأمرُ أمرُك، ونحن عَبيدُك وخَدَمُك. ووصَّى العزيزَ بما أراد، وجعل القائد جوهراً مُدَبِّرَه[٤]، والقائمَ بأمره بين يديه، ثم نزل إلى سِردابٍ اتَّخذه، وأقام فيه سنة.

---

(١) تاريخ دمشق ٤٢/ ٣٤٤.

(٢) في (خ ب): بمصر ثلاث سنين وكان مغرى بالنجوم، والمثبت من (ف م م١).

(٣) في (ف م م١): الطرائق.

(٤) في (م): مدبر أمره.

وكان المغاربةُ إذا رأَوْا غَماماً سائراً ترجَّل الفارسُ منهم إلى الأرض، وأومأ بالسلام إليه؛ يشير إلى أن المعزَّ فيه.

ثم خرج بعد ذلك وجلس للناس، فدخلوا عليه على طَبقاتهم، ودَعَوا له، فأقام على ما كان عليه أولاً مُدَيدة، ثم مرض وتوفّي يوم الجمعة السابع عشر من شهر ربيعٍ الأول [سنة خمس وستين وثلاث مئة]، وقام ولدُه العَزيز بعده.

وقال القاضي عبد الجبَّار البَصري: بثَّ دُعاتَه في الأرض، وزعم أنه المهديّ الذي يملك الدُّنيا، واحتجب عن الناس ثم ظهر، وكانت المغاربة في مُدَّة غَيبته إذا رأى أحدُهم طائراً سَجَد له؛ يعتقد أن روح المعزِّ فيه، وكان له جواسيسُ ينقلون إليه الأخبار، فيُخبرُ الناسَ بها، فامتلأت القلوبُ منه هَيبةً[1] [وهو الذي قتل فقيه الشام النابلسي الرَّمْليّ].

وكان له أولاد: نزار وعبد الله وعقيل، وسبع بنات، وقام بأمر العزيز ولدِه جوهرٌ القائد[2].

---

(١) في (ف م م١): من هيبته.

(٢) انظر ترجمة المعز في: تكملة الطبري ٤٤٦، تاريخ دمشق لابن القلانسي ٢٧، المنتظم ١٤/ ٢٤٥، الكامل ٨/ ٦٦٣، وفيات الأعيان ٥/ ٢٢٤، تاريخ الإسلام ٨/ ٢٤٧، السير ١٥/ ١٥٩، النجوم الزاهرة ٤/ ٦٩، كنز الدرر ٦/ ١١٩، ١٧٣ وفي حواشيها مصادر أخرى.

السنة السادسة والستون وثلاث مئة

فيها في المحرَّم تُوفِّي رُكنُ الدولة أبو علي الحسن بن بُوَيْه [والدُ عَضُد الدولة]، ومرض أبو طاهر بن بَقيَّة مرضاً أشرف منه على الموت، ثم عوفي، فلو أراد الله به خيراً لقبضه قبل المُثْلَة.

وأظهر عضد الدولة ما كان يُخفيه في قصد بغداد، وعلم عزُّ الدولة، فكاتب فخرَ الدولة بن بُوَيه، وأبا دُلَف سَهْلان، وأبا الفوارس صاحب الخيل، وصاحب البَطيحة، وأبا تَغْلب على أن يكونوا معه، ويساعدونه على عضد الدولة، وكلُّ ذلك بتدبير ابن بقية.

وفيها في ربيع الآخر قُبض على ذي الكِفايتين أبي الفتح علي بن محمد بن العميد بالرَّيِّ، وكان قد تَبسَّط التَبسُّطَ الشديد في أيام رُكن الدولة، واستمال الدَّيْلَم إلى نفسه، وكان في نفس عضد الدولة عليه؛ لأنه هو الذي بعثه إلى ركن الدولة بتلك الرسالة في كون عزِّ الدولة لا يَصلح للعراق، وعاد برسالة ركن الدولة ينهاه عن عزّ الدولة، فاتَّهمه في الأمر، وقَوَّى تُهَمَتَه أن عضد الدولة لما فارق بغداد إلى شِيراز أقام ابنُ العميد بها، فأعطاه عز الدولة من الأموال والخِلَع السُّلطانية وغيرها شيئاً كثيراً، فكان عَضُد الدولة يقول لما خرج من بغداد: خرجتُ من بغداد وأنا زريق الشارب، وخرج ابن العميد وهو ذو الكفايتين أبو الفتح[١].

واتَّفق أن الصَّاحب إسماعيل بن عباد كان قريباً من مؤيَّد الدولة بن ركن الدولة، فباعده ابنُ العميد، ووضع الدَّيلم على أن يطالبوا مؤيد الدولة بإبعاده عنه ـ وكان كاتِبَه ـ فأبعده إلى أصفهان، وكان ابن العميد إذا ركب إلى دار مؤيَّد الدولة مشى جميعُ الناس والدَّيلمُ بين يديه ومن خلفه، فإذا انصرف انصرفَ الكلُّ معه.

واتَّفق أيضاً أنه زايد عَضُدَ الدولة في جاريةٍ كان عضد الدولة يميل إليها، فاشتراها بثمن زائد، فكاتب عضد الدولة مؤيَّدَ الدولة بالقبض عليه، فقبض عليه، وأعاد الصَّاحبَ أبا القاسم بن عَبَّاد إلى وزارته إلى حين وفاته، وقتل ابن العميد بعد ذلك.

---

(١) انظر تكملة تاريخ الطبري ٤٥٠.

وفي جمادى الأولى نُقلت بنت عز الدولة إلى الطائع.

وشَرَع عضد الدولة في الاستعداد لنزول العراق، والتأهُّبِ لقتال عز الدولة، وكاشفه عز الدولة، وقطع خُطبته، وجاهر ابنُ بقية عضدَ الدولة بالعَداوة، ونال منه بلسانه في مجالسه، وكتب كتاباً عن الخليفة مَضمونه: أن الاتِّفاق وقع من ركن الدولة على قسمة البلاد بين أولاده، وأن لا يتعرَّض لعز الدولة ببغداد، وأن الخليفة لايرضى بغير ذلك.

وجمع ابن بقية القُضاة والشُّهود والأعيان والحُجَّاج الخُراسانية، وأحضرهم إلى الطَّائع، وأشهدهم عليه بذلك.

وكتب الطائع على رأس الكتاب: المُلكُ لله وحده، وكتب القُضاة والأشراف خطوطَهم فيه بالشَّهادة على الخليفة، وأمر ابنُ بقية أبا إسحاق بن هِلال الصابئ أن يكتب كتاباً إلى عضد الدولة عن الخليفة، فكتب كتاباً طويلاً منه:

من عبد الله عبد الكريم الطائع لله أمير المؤمنين إلى عَضُد الدولة أبي شُجاع بن ركن الدولة أبي علي مولى أمير المؤمنين، سلامٌ عليك، أما بعد؛ فإن من سُنن العَدْلِ التي يؤثر أميرُ المؤمنين أن يُحييها، وآداب الله التي يَرى أن يأخُذَ بها ويَقْتَفيها: إقامةَ المُحسن بإحسانه، والإيفاءَ به على أقرانِه، والمجازاةَ له عن راشِدِ مَساعيه وصائب مَراميه؛ ليكون قضاءً لما أسلف وقدَّم، وكِفاءً لما أكَّد وألْزم، وقد علمتَ وعلم غيرُك بعيانِ ما أدركتْه الأعمار، وسماعِ ما نقلتْه الأخبار؛ أن الدولةَ العباسية لم تزلْ تَعْتَلُّ طَوراً وتَصحُّ أطواراً، وتَلْتاثُ[1] مَرَّةً وتَستقلُّ مِراراً، من حيث أن أصلَها راسِخٌ لا يَتَزَعْزَع، وبُنيانَها ثابتٌ لا يَتَضَعْضَع... إلى أن قال: وأن المُطيع أبقى الأمرَ على عز الدولة، فليس لأحدٍ أن يُنازعه فيه، وذكر ابنَ بقية وقال: هو نصيرُ الدولةِ النَّاصحُ، وأثنى عليه ثناءً عظيماً، واستوفى شروطاً كثيرة، وأشار في الكتاب إلى مُباينة عضدِ الدولة وقتاله.

وكان هذا الكتاب سبباً لنِقْمة عضد الدولة على إبراهيم الصابئ، ونكبه لأجله، ولما قال: أُكْرِهتُ قال: مَن أكرهك على تجويده واستيفائه واستقصائه.

---

(١) تضعف.

قال المصنف رحمه الله: وقد نكب الطَّائعُ أبا إسحاق الصابئ قبل هذا بسبب الكتاب الذي كتبه إلى الطائع، وقد تقدَّم ذِكره.

وسار عزُّ الدولة وابنُ بقية من بغداد إلى المَشْهَدَيْن فزارا، ودخلا واسِطاً في جُمادى الآخرة.

وصاهر عزُّ الدولة عمرانَ بن شاهين، فزوَّجه عمران ابنتَه، وتزوج الحسن بن عمران بنتَ عز الدولة. وبعث ابن بقية إلى بغداد، فأتلف جماعةً من الكُتَّاب، منهم سهل بن بشر، وإبراهيم بن السرَّاج وغيرهما.

وكتب عز الدولة إلى الطائع يأمره بالانحدار إلى واسِط، فانحدر في شعبان ومعه القاضي ابن معروف والأشراف، وسار عز الدولة وابن بقية إلى الأهواز برأي ابن بقية، وما كان عز الدولة يُريد أن يَخرجَ من واسِط، وتبعهم الطائع والعساكر.

وورد الخبر بوصول عضد الدولة إلى أَرَّجان، فانزعج عز الدولة وابن بقية، وأمر الطَّائعَ أن يَكتب إلى عضد الدولة كتاباً يتضمَّنُ إصلاحَ ذات البَيْن، وكان ذلك خديعةً منه ليجمع لهما عساكر المعاهدين، فكتب إليه الطائع:

أما بعد، فإن أمير المؤمنين إذا احتاج في استِصْلاحِ وليٍّ من أوليائه، وصَفيٍّ من أصفيائه؛ وَجد مَن يَستغني عن ذلك بالوَثيقِ من دينك، والصَّحيح من يَقينك، والوافر من حَزْمِك، والرَّاجح من حِلْمك، إذ كنتَ ترجع إلى مَنْشأ كريم، وعَرْفِ مَحْتِدٍ قديم[1]، وأمير المؤمنين ينظر في الجانبين، ويرى إصلاحَ ذات البَيْن، وقد أمر الله بالأُلْفَة، ونهى عن الفُرْقَة، ولم يزل أمير المؤمنين منذ نَزَغَ الشيطان بينكما مَغْضوضَ الجُفونِ على قَذى، مُنْطَوي الجوارحِ على أذى، وقد أمن أن تنتقضَ نِعم الله بينكما، أو ينافس بقدح في نفاستكما، وبقاطع يعترض ذات بينكما، وأنت أولى مَن هُدي إلى أرشدِ طريقة وأحسن خَليقة، فتأمَّلْ كلام أمير المؤمنين، واحْقِنِ الدّماء، وسَكِّن الدَّهْماء، وأطِعِ الإمام، وصِلِ الرَّحِم، ومتى خالفتَ كُنتَ بخلاف ما ذكَرْنا من المساعي الصَّالحة؛ التي تَرفعُ قَدْرَك، وتَنْشُرُ ذِكْرَك.

(١) العرف بفتح العين: الرائحة الطيبة، وبضمها: الجود، والمحتد: الأصل.

وبعث بالكتاب مع خادمٍ من خَدَمه، فلما قرأه قال للخادم: الجوابُ يكون مُشافهةً لأمير المؤمنين.

ولما أشرفت الحالُ على الحرب ردَّ عزُّ الدولة الطائعَ إلى بغداد، ونزل عضد الدولة برامَهُرْمُز، ونزل عز الدولة عند قَنْطَرة أرْبَق وقطعها بينهما، فعمل عضد الدولة سُفناً، وعبر عليها هو وعسكرُه.

فلما كان يوم الأحد لإحدى عشرة ليلةً خلت من ذي القَعدة التقى الفريقان، فاستأمن إلى عضد الدولة مُعظَمُ خواص عز الدولة وأعيانُ عسكره، فانهزم هو وابن بقية وعمدة الدولة إلى ناحية البصرة، وعبروا دُجَيل الأهواز، وألقى عز الدولة سلاحَه عن نفسه، وتلثَّم لئلا يُعرَف، وجُرح فرسُه، وعاين التَّلَف، ولَحِقه ابن بقية، وعُمدة الدولة، وحَمدان بن أبي تغلب، واجتمعوا في مَطارا، ونُهِبت الخزائنُ والأموال، وشيءٌ لا يُحصيه إلا الله تعالى(١).

ثم وَردوا قريباً من البَطائح على حالٍ سَيِّئة، وبعث إليهم عمران بن شاهين زَواريقُ فيها طعامٌ وثيابٌ وسِلاح، ونزلوا في الماء واخترقوا البطائح، فتلقَّاهم عمران في عسكره، وقبَّل يد عز الدولة، وأنزله، وأكرمه، وأقاموا عنده ثلاثة أيام، وصحَّ قولُ عمران لما راسلَ عز الدولة وقال: إنك ستحتاج إليَّ، وتحصل في يَدي، ثم ساروا إلى واسِط.

وفيها تَنكَّر عز الدولة على أبي طاهر بن بقية لما وصل إلى واسط، وقال: كنتُ على عَزْمِ المُقام بواسط، ومالي مَحروز، وعَسكري بحاله، أشرتَ عليَّ أن أَمضيَ إلى الأهواز حتى جَرى ما جَرى، أنت أخرجْتَني من نعمتي، وضَيَّعتَ أموالي، وشَتَّتَّ عساكري، فقال له ابن بقية: قد يجري على الملوك ما هو أعظم من هذا، وعليَّ أن أَلُمَّ شَعَثَك، وأُصلحَ أحوالَك، ورجع إليه كثيرٌ من الدَّيْلَم والأتراك، واستَجدَّ خِيَماً وسلاحاً، وانضاف إليه مَن كان بالبصرة وبغداد، وكان لابن بقية بواسِط ذَخيرةٌ، فرجع إليها، وأطلق، وخَلَع على الجُنْد.

(١) انظر تكملة تاريخ الطبري ٤٥٤ .

وجاءت كتب أبي تَغْلب إلى عزِّ الدولة بما يُطَيِّب قلبَه، وضرب الله عز الدولة ببَلْوى كان فيها أعظم الفَضيحةِ له؛ وذلك لأنه أُسِر بالأهواز في الوَقْعة غلامٌ له تركيّ يقال له: باتكين، لم يكن قبل بأَحْظى غِلمانه عنده، ولا بأقربهم منه[١]، فجُنَّ عليه جُنوناً عظيماً، وحَزِن لفَقْده حُزناً شديداً، وتسلَّى عن كلِّ شيءٍ خرج عن يده إلا عنه، وحَدث له من الوَجْدِ به ما أزاله عن تماسُكه، فاطَّرح القَرار والهدف[٢]، وامتنع من الطعام والشّراب، وانقطع إلى البكاء، واحتجب عن الناس، وكان إذا وصل إليه وزيرُه أو خواصُّه أخذ في الشَّكوى، وقَطَعهم عما جاؤوا فيه، فاستَعْجزَ الجُندُ رأْيَه واطَّرحوه، وقالوا لابن بقية: دَبِّر أنت الأمور، ودع هذا ونحن معك، فاستهان بعز الدولة واطَّرحه.

وحمل عز الدولة ما كان في نفسه من الغلام على أن كاتب عضد الدولة قبل أن تَضعَ الحربُ أوْزارَها، وتَستقرَّ الأمورُ قرارَها، يسألُه ردَّ الغلام عليه، وكتب إلى خواصِّه المُطْبِقين به يسألُهم مَعونَتَه على ما رَغِب إليه، فافتُضح بين الناس، وعاتبه الأقاربُ والأباعد فما ارعوى، وبعث الشّريفَ أبا أحمد الحسين بن موسى رسولاً في هذا الأمر، وبذل في فِديةِ الغلام جاريتين عَوَّادَتَين[٣] مُحَبَّبتين كانتا نَشأتا عنده،لم يكن ببغداد أبْرَع منهما، ولا أحْذَق بالصّناعة ـ وكان أبو تَغْلب قد بَذَل له فيهما مئتي ألف درهم، فأبى أن يَبيعهما ـ وقال للشريف: لا تتوقَّف في زيادة، ولا تفكِّر في شيء؛ فقد رضيتُ أن آخُذَ الغلام وأمضي إلى أقصى الأرض.

فجاء الشريف إلى عضد الدولة، وأدَّى الرسالة، وكان الغلام قد اختلط مع الغلمان في يوم الوَقْعة، وبعث به عضد الدولة إلى شيراز إلى ولده أبي الفوارس، فلما علم عضد الدولة بغَرام عز الدولة بالغلام كتب إلى ولده يأمره برَدِّه وإعطاءه للشريف، وأخذ عَضُد الدولة الجاريتين.

---

(١) انظر تكملة الطبري ٤٥٥، والمنتظم ١٤/ ٢٤٧، والكامل ٨/ ٦٧٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٨٧، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٢٦.

(٢) كذا، وفي الكامل: وامتنع من لذاته والاهتمام بما رفع إليه من زوال ملكه وذهاب نفسه.

(٣) تضربان على العود.

قال: وأعطاني عز الدولة عِقْداً من اللؤلؤ، ما رأيتُ أكبرَ ولا أحسنَ، وقال: إن قَنَع بالجاريتين وإلا فادفع له العِقْد، فلما رضي بالجاريتين لم أذْكُر له العِقْد، ورَدَدْتُه إلى عز الدولة فأوهبني إياه، ثم عَلِم به عضد الدولة بعد ذلك، فكان سبباً لنِقْمَته عليَّ، وواقفني عليه.

فقلت: إن بختيار أعطاني إياه، فلما قَنِعْتَ بالمحمول إليك لم يَحْسُن بي أن أخونَه فيما جعلني فيه أميناً.

وحَمَّل عضد الدولة للشريف رسالة إلى عز الدولة، وأمره أن يؤدِّيَها على خَلْوةٍ من ابن بقية، وضم إليه بَهرام بنَ أرْدشير.

فلما عاد الشريف إلى عز الدولة، وأدَّى إليه الرسالة، ولم يَحْضُرها ابن بقية، فاستوحش ابن بقية من عز الدولة، وقَدَّر أن عضد الدولة أمر بالقبض عليه وتسليمه عوضاً عن الغلام، وأن عز الدولة يفعل ذلك لعِظَم ما عنده من الغلام، فهمَّ بالعِصيان ـ وكان بالجانب الغربيِّ من واسط، وعنده الأموال والرجال ـ وعلم عزُّ الدولة فتلافاه وقال: أنت الوزير والمدبِّر، والرأيُ لك، فتوقَّف إلى أن تمَّ له القبضُ عليه.

وعاد الشريف إلى البصرة ينتظر مجيء الغلام، وأشار إبراهيم الحاجب على عز الدولة بأن يُقيم بواسط ويتماسك، ووبَّخه على قَبْضِه الغلام، وقال له: اصْدِفْ عنه، وكان الغلام قد وصل إلى البصرة، فكتب عضد الدولة إلى الشريف يقول: لا تَرْحَلْ بالغلام إلى عز الدولة حتى يَرْحَلَ عن واسط، ويُخلِّي بين نُوَّابنا وبينها، فشقَّ ذلك على عز الدولة، وكاتب الشريف بسببه، فلم يُذْعِن عضد الدولة بتسليم الغلام حتى يَرحل عز الدولة عن واسِط، فحَمله ما في قلبه من الغلام على أن رحل عنها، فدخل بغداد في صَفر سنة سبع وستين، فكان الغلام سبباً لفَضيحة عز الدولة، وسُقوطِ حُرْمَته، وزوالِ مُلْكه، وقدم الشريف بالغلام.

وكان بين إبراهيم بن إسماعيل حاجب عز الدولة وبين أبي طاهر بن بقية تباعُدٌ وتنافُر، وكان عز الدولة قد استخلفه ببغداد لما خرج لقتال عضد الدولة، فلما عاد إلى واسط استدعاه إليه، وشكا ابنَ بقية، فأمره بالقبض عليه، فقال عز الدولة: أخاف من الجيش، فشَجَّعه إبراهيم وقال: أنا أُرضي الجيشَ بماله.

فلما كان يوم الاثنين لاثنتي عشرة ليلةً بقيت من ذي الحجة عبر أبو طاهر في زَبْزَبه على العادة إلى عز الدولة، فلما حصل عنده قبض عليه وعلى أمواله وأسبابه، فكانت وزارتُه أربعَ سنين وأحد عشر يوماً، وشَغَب الجندُ، فعزم عز الدولة على قتل ابن بقيه، وكان ذلك قبل وصول الغلام إليه(١).

وفيها وردت جَميلة بنت ناصر الدولة تُريد الحج ومعها أخواها إبراهيم وهبة الله، وأخذت معها مالاً عظيماً لتُفرّقه على أهل الحَرَمين، وتُنفقَه في طريق مكة، فجرى بين أصحابها وبين الحاجِّ الخُراسانية قتالٌ على الماء، فأصاب أخاها هبةَ الله سَهمٌ عائرٌ فقتله، فدفنَتْه بالمدينة، ثم نقلتْه بسوء رأيها إلى الموصل عند عودها من الحج(٢)، وضُرب المثل بحجتها، وكان معها أربع مئة مَحْمِل على لونٍ واحد، ولم يُعلَم في أيِّها كانت، ونَثَرت على الكعبة لمَّا شاهدتها عشرة آلاف دينار من ضَرْب أبيها، وكَسَت المُجاورين بالحَرَمَين، وأنفقت فيهم الأموالَ الجليلة، وتصدَّقَت بدم أخيها هبة الله [، وذلك من دينها وزُهدها].

وفيها خُلع على أبي الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العَلويّ، وقُلِّد الحج، وحجَّ بالناس أحمد بن أبي الحسين العلوي، وخطب للعزيز بمكة والمدينة ولم يخطب للطائع.

وفيها توفي

إسماعيل بن نُجَيْد

ابن أحمد بن يوسف بن سالم، أبو عمرو السُّلَميّ.

كان من كبار المشايخ، له قَدَمُ صِدق وحكايات مشهورة.

قال أبو سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان: كان جدّي قد طلب على رؤوس الناس شيئاً لبعض الثُّغور، فتأخَّر عنه، فضاق به ذَرْعاً وبكى، فجاءه أبو عمرو بن نُجيد بعد العَتَمة ومعه كيس فيه ألفا درهم، فقال له: اجعل هذا في الوجه الذي تأخَّر، ففرح أبو عثمان، ودعا له، فلما جلس قال: قد رجوتُ لأبي عمرو بما فعل، فإنه قد ناب عن

(١) من قوله أول السنة: ومرض أبو طاهر بن بقية... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٢) في (ف م م١): ثم نقلته إلى الموصل عند عودها من الحج وهذا من سوء رأيها.

الجماعة في ذلك الأمر، وحمل كذا وكذا، فقام أبو عمرو على رؤوس الناس وقال: يا أبا عثمان، إنما حملتُ إليك ذلك المال من مال أبي، فينبغي أن تَرُدَّ عليَّ المال لأَرُدَّه إليه، فأمر بردِّ الكيس إليه على رؤوس الناس، فلما كان وقت العتمة جاء إلى أبي عثمان ومعه الكيس، فقال: يمكن أن تَصرِف هذا في ذلك الوجه ولا يعلم به غيرُنا، ثم رمى بالكيس وقام، فبكى أبو عثمان، وكان يقول بعد ذلك: مَن مثلُ هِمَّة أبي عمرو.

وقال أبو عمرو: مَن كَرُمَت عليه نفسُه هان عليه دينُه، ومن لم تهذبه مروءتُه(١) فاعلم أنه غيرُ مُهَذَّب.

وقال: إذا أراد الله بعبدٍ خيراً رزقه خدمةَ الصَّالحين، ووفَّقه لقَبول ما يُشيرون به عليه، وسَهَّل له سُبُلَ الخيرات وحجَبه عن رؤيتها.

وقال: إنما تتولَّد الدَّعاوى من فَساد البدايات، فمَن صَحَّت بدايتُه صحَّت نهايتُه، وقرأ قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ﴾ الآية [١٠٩: التوبة].

وقال: من سَهُل عليه إسقاطُ جاهه عند الخلْق سَهَّل الله عليه الإعراضَ عن الدنيا وأهلها.

وقال: مَن استقام لا يَتعوَّج به أحدٌ، ومن اعْوَجَّ لا يستقيم به أحد.

واجتمع مع جماعةٍ فيهم النَّصراباذي، فقال للقوَّال: قل شيئاً فهو خيرٌ لنا من أن نغتابَ أحداً، فقال له أبو عمرو بن نُجَيد: لأن تغتاب ثلاثين سنة أنجى لك من أن تُظهِرَ في السَّماع ما لستَ به(٢).

ركن الدولة الحسن بن بُوَيْه أبو علي

كان عاقلاً، شُجاعاً، نَبيلاً، لم يدخل مع الخلفاء في شيء، ولم يَطمع في غير ما في يده، وكان يُراعي وصيَّةَ أخوَيْه في أولادهم، ويَحفظ عُهودَهم في أصحابهم

(١) في المصادر: من لم تهذبك رؤيته.

(٢) طبقات الصوفية ٤٥٤، ومناقب الأبرار ٢/ ١٧١، والمنتظم ١٤/ ٢٤٨، والسير ١٦/ ١٤٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٣٧ (وفيات سنة ٣٦٥ هـ).

وخواصِّهم، وكان عظيماً عند الملوك والخلفاء، بمنزلة وزير الوزراء، يَرجعون إلى رأيه وحُسنِ تدبيره.

وكان عادلاً، مُنْصِفاً، مَحبوباً إلى الناس.

ذكر وفاته:

أصابه قُولَنْج شديد، فمات ليلة السبت ثامن عشرين المحرَّم، وقيل: ثامن عشرة، فكانت إمارته أربعاً وأربعين سنة وشهراً وتسعة أيام، وعمره ثمان وسبعون سنة.

وكانت وفاتُه بالرَّيِّ، وكان ولدُه مؤيَّد الدولة بأصبهان، فجاء إلى الرّيّ، فدخلها يوم السبت لخمسٍ بقينَ من المحرم، وورد الخبر إلى بغداد يوم الجمعة ثامن صفر، فكتمه ابن بقية؛ لأنه كان قد استعدَّ لدعوةٍ عَملها لعز الدولة، فلما كان من غد يوم الدعوة أظهر ذلك، وجلس عز الدولة في العزاء والدولة ثلاثة أيام[1].

الحسن بن أحمد

ابن أبي سعيد الحسن بن بَهْرام، أبو علي، وقيل: أبو محمد، القِرْمِطيّ، الجَنَّابيّ.

ولد بالأحْساء في رمضان سنة ثمان وسبعين ومئتين، وغلب على الشام سنة تسع وخمسين وثلاث مئة في رمضان، وقتل جعفرَ بن فَلاح، واستخلف على دمشق ظالم بن مَوهوب العُقيليّ، ثم عاد إلى الأحساء.

وفي سنة اثنتين وستين وثلاث مئة توجَّه إلى مصر، ونزل بمَشْتول الطَّواحين، وكان المعز يُصافيه لما كان بالمغرب ويُهاديه، فلما وصل إلى مصر قطع ذلك عنه، فوافى القِرمطيُّ بغداد، وسأل المطيعَ على لسان عز الدولة أن يُمِدَّه بمالٍ ورجال، ويولّيه الشام ومصر ليُخْرِجَ المعزَّ منها، فامتنع المطيع وقال: كلهم قرامطة على دين واحد، أما المصريون فأماتوا السُّنَن، وقتلوا العلماء، وأما هؤلاء فقتلوا الحاجّ، وقلعوا الحَجَر الأسود، وفعلوا وفعلوا، فقال عز الدولة للقرمطي: اذهب فافعل ما تراه، وذكروا أنه أعطاه سلاحاً ومالاً، فسار إلى الشام ومعه أعلام سُود، وأظهر أن المطيع ولّاه، وعلى الأعلام اسم المطيع، وتحته مكتوب: السَّادة الرَّاجِعين إلى الحقّ، ومَلَكَ

(١) المنتظم ١٤/ ٢٤٩، والكامل ٨/ ٦٧٠، والسير ١٦/ ٢٠٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٥٤.

الشام، ولَعن المعزَّ على منبر دمشق وأباه، وقال: هؤلاء من وَلَدِ القَدَّاح، كذَّابون مُمَخْرِقون أعداء الإسلام، ونحن أعلم بهم، ومن عندنا ظهر القَدَّاح.

ثم أقام الدعوة لبني العباس، وسار إلى مصر، وحصر المعزَّ في القاهرة، فأرضاه بمال، فرجع إلى الأحساء، ثم عاد إلى الشام، فنزل الرَّمْلَة فمات بها في رجب وهو يُظهر طاعةَ عبد الكريم الطائع، وجدُّه أبو سعيد الجَنَّابيّ أول القرامطة، وقد ذكرناه.

وكان أبو علي الحسن صاحب هذه الترجمة شاعراً فصيحاً، قال الحسين بن عثمان الخِرقيّ الحَنبلي: كنتُ بالرملة سنة ست وستين وثلاث مئة، فوردها أبو علي الحسن القِرمطيّ القصير الثياب ـ ويُلقَّب بالأَعْصَم ـ فاستدعاني، فحضرتُ عنده ليلةً، وأحضر الفَرَّاشون الشُّموع، فقال لكاتبه أبي نَصْر بن كُشاجِم: يا أبا نَصْر، ما يَحضُرك من صفةِ هذه الشُّموع؟ فقال: إنما يَحضر العبدُ مجلسَ الأمير ليَستفيدَ منه، فقال القرمطي بديهاً: [من المتقارب]

ومَجْدولَةٍ مثلِ صَدْرِ القَناةْ ... تَعرَّتْ وباطنُها مُكتسي
لها مُقْلَةٌ هي رُوحٌ لها ... وتاجٌ على هَيئةِ البُرْنُسِ
إذا غازَلَتْها الصَّبا حَرَّكَتْ ... لِساناً من الذَّهبِ الأَمْلَسِ
وإن رَنَّقَتْ لنُعاسٍ عَرا ... وقُطَّت من الرأسِ لم تَنْعَسِ
وتُنْتِجُ في وقتِ تَلْقِيحها ... ضِياءً يُجَلِّي الدُّجى الحِنْدِسِ
فنحن من النُّور في أسْعُدٍ ... وتلك من النَّارِ في أنْحُسِ

فقام ابن كُشاجِم فقبَّل الأرض بين يديه، وسأله أن يأذنَ له في إجازتها فأذن، فقال:

ولَيلَتُنا هذه ليلةٌ ... تُشاكِلُ أشكالَ إقْليدِسِ
فيارَبَّةَ العود حُثِّي الغِنا ... ويا حامِلَ الكأسِ لا تَحْبِسِ

فخَلَع عليه وعلى الحاضرين، ووصَلَهم بِصِلات.

ومن شعر القرمطيّ أيضاً: [من الكامل]

يا ساكنَ البلدِ المُنِيْفِ تَعزُّزاً ... بِقِلاعِه وحُصونه وكُهوفِهِ
لا عزَّ إلا للعزيز بنفسه ... وبخَيْله وبرَجْلِه وسيوفه
وبُقبَّةٍ بيضاءَ قد ضُرِبَت إلى ... جَنْبِ الخيامِ لجارِه وحَليفِه

قَـرْمٌ إذا اشـتَـدَّ الـوَغـى أردى الـعِـدا وشَـفـى الـنُّـفـوسَ بـضَـرْبـه ووقـوفـه
لـم يَـرْضَ بـالـشَّـرَفِ الـتَّـلـيـدِ لـنـفـسه حـتـى أشـادَ تَـلـيـدَه بـطَـريـفـه

وقال لما فُلَّ جيشُه بعَين شَمس بمصر: [من الوافر]

ولـو أنِّـي مَـلَـكْـتُ زِمـامَ أمـري لـمـا قَـصَّـرتُ فـي طـلـبِ الـنَّـجـاحِ
ولـكـنـي مَـلَـكْـتُ فـصـار حـالـي كـحـالِ الـبُـدْنِ فـي يـوم الأضـاحـي
يُـقَـدْنَ إلـى الـرَّدى فـيَـمُـتْـنَ كُـرْهـاً ولـو يَـسْـطِـعْـنَ طِـرْنَ مـع الـرِّيـاحِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

لـه مُـقْـلَـةٌ صَـحَّـت ولـكـنْ جُـفـونُـهـا مِـراضٌ بـهـا تُـسبى الـعـقـولُ وتَـتْـلَـفُ
وخَـدٌّ كـلَـوْنِ الـوَرْدِ يُـجـنـى بـأعـيُـنـي وقـد عـزَّ حـتـى إنـه لـيـس يُـقْـطَـفُ
وعَـطْـفَـةُ صُـدْغٍ لـو تـعـلَّـمَ عَـطْـفَـهـا لـكـان عـلـى عُـشَّـاقِـه يَـتـعَـطَّـفُ

وقال وكتب بها إلى جَعفر بن فَلاح والي دمشق قبل لقائه: [من البسيط]

الـكُـتْـبُ مُـعْـذِرَةٌ والـرُّسْـلُ مُـخْـبِـرَةٌ والـحـقُّ مُـتَّـبَـعٌ والـخـيـرُ مَـوجـودُ
والـحَـرْبُ سـاكِـنـةٌ والـخـيـلُ صـافِـنَـةٌ والـسِّـلْـمُ مُـبْـتَـذَلٌ والـظِّـلُّ مَـمْـدودُ
وإن أَنَـبْـتُـم فـمَـقْـبـولٌ إنـابَـتُـكـم وإن أَبَـيْـتُـم فـهـذا الـكُـورُ مَـشْـدودُ
عـلـى ظُـهـورِ الـمَـطـايـا أو يَـرِدْنَ بـنـا دمـشـقَ والـبـابُ مَـهْـدومٌ ومَـرْدودُ
إنـي امـرؤٌ لـيـس مـن شـأنـي ولا أَرَبـي طَـبْـلٌ يَـرِنُّ ولا نـايٌ ولا عُـودُ
ولا اعـتـكـافٌ عـلـى خَـمـرٍ ومَـجْـمَـرَةٍ وذاتِ دَلٍّ لـهـا دَلٌّ وتَـفْـنـيـدُ
ولا أَبـيـتُ بَـطـيـنَ الـبَـطْـنِ مـن شِـبَـعٍ ولـي رَفـيـقٌ خَـمـيـصُ الـبَـطْـنِ مَـجـهـودُ
ولا تـسـامَـتْ بـي الـدُّنـيـا إلـى طَـمَـعٍ يـومـاً ولا غَـرَّنـي فـيـهـا الـمـواعـيـدُ[1]

محمد بن إسحاق

ابن إبراهيم بن أَفْلَح بن رافِع بن إبراهيم بن أفلح بن عبد الرَّحمن بن عُبيد بن رِفاعَة، أبو الحسن، الأنصاريّ، الزُّرَقيّ.

---

(١) تاريخ دمشق ٤/ ٤٠٠ (مخطوط)، والسير ١٦/ ٢٧٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٠ ـ ٢١ و ٢٥٤.

كان نَقيبَ الأنصار ببغداد، عارفاً بأمورهم ومَناقِبهم، ومات ببغداد في جُمادى الآخرة، ودفن عند أبيه بمقبرة الأنصار، وكان ثقةً حَسنَ السِّيرة، وجدُّه رفاعة بن رافع شهد العَقَبةَ وأحُداً، وكان نقيبَ الأنصار ﷺ(1).

[فصل وفيها توفي]

محمد بن الحسن بن أحمد

أبو الحسن، السَّرَّاج، البغداديّ.

كان زاهداً عابداً مجتهداً، صلّى حتى أُقْعِد، وبكى حتى عَمي، وتوفي يوم عاشوراء.

[سمع أبا شُعيب الحَرَّاني وغيره، وروى عنه محمد بن أبي الفَوارس وغيره،] وكان صالحاً ثقةً(2).

[فصل وفيها توفي]

أبو عبد الله بن أحمد، المقرئ، الزَّاهد

[صحب يوسف بن الحسين الرازي وطبقته.

قال في «المناقب»:] كان من أعلى المشايخ هِمَّةً وأفتاهم.

[وحكى عنه أنه] قال: ما قَبِلتُ من أحدٍ شيئاً(3) إلا رأيتُ له عليَّ مِنَّةً لا أقوم بها أبداً.

وَرِث من أبيه خمسين ألف دينار سوى الضِّياع، فأنفقها كلَّها على الفقراء.

وكان له أخٌ صالح يُكنى أبا القاسم، مات في سنة ثمان وسبعين وثلاث مئة [، وكان على منهاج أخيه في الزُّهد والوَرَع والعبادة.](4)

(1) تاريخ بغداد ٢/ ٧٣، والمنتظم ١٤/ ٢٥٠. والتراجم الأربعة الأخيرة ليست في (ف م م١).

(2) المنتظم ١٤/ ٢٥١، والسير ١٦/ ١٦١، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٥٩.

(3) في طبقات الصوفية ٥١١، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٢٢: ما قبل مني أحد شيئاً.

(4) بعدها في (ف): والحمد لله وحده وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة السابعة والستون وثلاث مئة

فيها وصل عضد الدولة إلى الأهواز، فقرَّر أمورَها ورتَّب الحُماةَ في طُرُقها، وسار إلى البصرة لخمسٍ بقين من المحرَّم وقد انصرف أبو كاليجار مَرْزبان بن عز الدولة، فوجد الفتنةَ قائمةً بين مُضَر وربيعة، فنظر في ذلك، وما زال حتى ألَّف بين القبيلَتَين، وضَمِن بعضُهم بعضاً، وكتب بينهما كتابَ اتِّفاق، وأصلح بينهما، فانْحَسَمت موادُّ الفتنة، وسار إلى واسط فدخلها في ربيع الأول، فعمل كما عمل في الأهواز والبصرة.

وفيها توفي يوسف بن الحسن الجَنَّابي، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

ذكر ما نقله عز الدولة بعد دخوله بغداد حتى خرج عنها:

ولما دخل عز الدولة بغداد تجدَّد لابن بقية طَمعٌ في أن يُراسِلَه، وبذل له ثلاث مئة ألف دينار يُصَحّحها من كُتَّابه وأسبابه ومن باقي النواحي إذا رَدَّه إلى وزارته، وأن يقومَ بالحرب وتدبير الجيش، وبلغ أصحاب عز الدولة والقُوَّاد الذين كانوا أشاروا بالقبض عليه، فقالوا لعز الدولة: إنما هذا طَمَعاً للخلاص مما هو فيه، فإذا مَلك نفسَه أثار الفتنة وقلب الدولة، ولا يؤمَن أن يواطئ عضدَ الدولة عليك وعلينا، فقال: ما الرَّأي؟ قالوا: حَسْمُ مَوادّه بسَمْله، فسَمَله في ربيع الأول.

ثم استشار قُوَّادَه في المقام ببغداد أو الخروج عنها، فأشار بعضُهم بالثَّبات، وقال بعضهم: نَجمعُ عسكرنا، ونقصد الأهواز مُخالفين لعَضُد الدولة، ونقصد بلادَ فارس، فإذا عاد إلينا عُدنا إلى بغداد.

فبرز بعسكره إلى باب الأَزَج، وعقد جسراً هناك، وتردَدَّت الرسائل بينه وبين عضد الدولة على أن يُسلِم إليه بغداد، ويَدخلَ في طاعته، ويُقيمَ في كَنَفه، أو يخرج إلى الشام فيفتح البلاد، فقال: أخْرجُ إلى الشام، وتقرَّر الأمرُ بينهما على هذا، وشَرَط عليه عضد الدولة أن لا يَتعرَّض لبلاد أبي تَغْلب بن حَمْدان إلا مُختاراً في أعماله، وكان قَصْدُ عضد الدولة تأييسَ أبي تَغْلِب[1]، فقال: نعم.

(١) في الكامل ٨/ ٦٩١ أن ذلك لمودة ومكاتبة كانت بين عضد الدولة وأبي تغلب.

ووقع النِّداءُ ببغداد في الجانبين بالصُّلْح، وطابت قلوبُ الناس وسكنوا.

ورحل عز الدولة يوم الجمعة لليلةٍ خلت من شهر ربيع الآخر إلى قُطْرَبُّل، وتفرَّق دَيْلَمُه عنه؛ فطائفةٌ ثبتت معه وسارت بمَسِيره، وطائفة انحازت مع الحسن بن فيلسار، فسار بها إلى جِسر النَّهْرَوان، وطائفة دخلت في طاعة عضد الدولة.

ودخل أوائلُ أصحابِ عضد الدولة بغداد لليلتين خلتا من ربيع الآخر، ونزل عضد الدولة بالخِيَم بالشَّفيعي(١)، وخرج الطَّائع إلى لقائه، وضُربت له القِباب في الجانب الشرقي وزُيِّنَت، وسار إلى باب الشَّمَّاسِيَّة في أحسنِ هَيئة، وأجمل تعبئة، وبين يديه خمسة أَفْيِلَة مُزَيَّنة بالمقاتلة، وكان يوماً عظيماً، وأقام بباب الشماسية إلى حادي عشر ربيع الآخر، ثم نزل دارَ السَّلْطَنة التي كان ينزلها سُبكتكين بالمُخَرِّم.

وسار الحسن بن فيلسار من النَّهْرَوان متأمِّراً على مَن معه من الدَّيْلَم يقصد بعضَ الجِهات التي يَتمكَّن فيها من الفساد، فأنفذ إليه عضد الدولة أبا القاسم سعد بن محمد الحاجب في عِدَّةٍ من الدَّيْلَم، فأوقع به، وأخذه أسيراً وبه ضَرَباتٌ قد أَثْخَنَتْه، فلَبِث قليلاً ثم مات، وقُتل أكثر مَن كان معه.

ذكر ما جرى عليه أمر عز الدولة:

لما سار عن بغداد وكان معه حَمدان بن ناصر الدولة سار لمسيره واتِّقائِه، واجتمع إلى عز الدولة ألفا رجلٍ، وحَصل له من الخيل والسلاح ما استقلَّ به واستَظْهَر، ونهب خيولَ المزارعين والبُناة بنواحي دُجَيْل ومَسْكِن، وكانت عِتاقاً، ونهب الغِلال، واتَّفق مع حمدان على قَصْدِ أبي تغلب ومُحاربَتِه، وأخذِ البلاد منه، ومتى رجع عن هذا الرأي كان حمدان آمناً من أن يُسْلِمَه إلى أخيه، واستَوْثَق منه بالأيمان والعهود المُغَلَّظة.

فلما وصل إلى تكريت قدم عليه أبو الحسن علي بن عمر كاتبُ أبي تغلب بهدايا يسيرة، وسار معه إلى الحَديثة، وأغواه، ودعاه إلى القَبْض على حَمدان، وتسليمه إلى أخيه أبي تغلب؛ على أن يجتمع معه أبو تَغلِب، ويُنفق أموالَه، ويَبْذُلَ رجالَه وسلاحَه،

(١) انظر المنتظم ١٤/ ٢٥٢.

ويعودَ معه إلى بغداد يُحارب عضد الدولة، فامتنع من ذلك وقال: كيف أصنع بالأيمان والحِنْث؟

فاستعان عليه بوالدته وأخيه عُمدة الدولة أبي إسحاق وخواصِّه، فلم يفعل، واتَّصلت الهدايا والمُلاطفات من أبي تغلب، ولم يزل أبو الحسن علي بن عمر بأصحاب عز الدولة في أمر حَمْدان.

وكان أبو تغلب وأختُه جَميلة في قلبهما من حَمدان، طالبِين بثأر أخيهما أبي البركات عنده.

وأقام عز الدولة على المنع، ولما قَرُب من الموصل اجتمع أبو تغلب بعُمدة الدولة، وتقرَّر بينهما الأمر على قبض حَمدان من حيث لا يَدخل عز الدولة في الأمر؛ لئلا يَحْنَث بيمينه.

وكان عز الدولة بحَديثَة الموصل، فرجع عمدة الدولة إليه، وخَوَّفه وقال: نحن في قبضة أبي تغلب، وإن لم تَفْعل قَصَدَنا وحارَبَنا، وما لنا به طاقة، وقد حلَف لنا على المساعدة بنفسه وماله ورجاله على خلاص بغداد.

فخاف عز الدولة وطمع، فسلَّم حمدان إلى أخيه يوم الخميس لعشرٍ بقين من جمادى الأولى، فحبَسه في بعض القِلاع ثم قتله، وهرب أبو السَّرايا بن حمدان إلى عضد الدولة، فحصل في حملته.

وجمع أبو تغلب وحَشَد، وأخرج المال واستكثر منه، واجتمع بعز الدولة على ظهور الخيل، فتحالفا وتعاهَدا وتخالصا، وانحدرا في خمسة وعشرين ألف مقاتل، ويكون عز الدولة مُواجِهاً مُلاقياً، وأبو تغلب مُرادِعاً ومُستَدْبِراً لظهر عسكر عضد الدولة.

ذكر ما فعله عضد الدولة بعد دخوله بغداد:

ركب إلى دار الطَّائع في جُمادى الأولى يوم الأحد لتسعٍ خلون منه، ومعه أصنافُ الجُند والأشراف والقُضاة والأماثل ورسولُ أبي القاسم نوح بن منصور بن نوح صاحبِ خُراسان، فخلع عليه الطائع الخِلَع السُّلطانية، وتوَّجه بتاجٍ مُرَصَّعٍ بالجوهر، وطَوَّقه،

وسَوَّره، وقَلَّده سيفاً، وعقد له لِوائين بيده؛ أحدهما مُفَضَّض[١] على رسم الأمراء، والآخر مُذْهب على رسم ولاة العهود، ولم يُعقَد هذا اللواء الثاني لغيره ممن يجري مجراه، ولا خُلِع التاجُ على مَلكٍ قبله، ولُقِّب تاجَ الملَّة مُضافاً إلى عضد الدولة، وكتب له عهداً على ما وراء بابه، وقُرِئ بحضرة الخلفاء، فإذا أخذه الرجل منهم قال له الخليفة: هذا عهدي، خُذْه إليك واعمل به، وحمله على فَرسٍ بمركب ذهب، وقاد بين يديه آخر بمركبٍ مثله.

وخرج من حَضرته فاشتق الجانب الشرقي وقد نُصِبت له القِبابُ المُزَيَّنة إلى باب الشَّمَّاسِيّة.

ثم انحدر في طَيَّارٍ إلى داره، وجلس من الغد يوم الاثنين بالخِلعَ، والتَّاجُ على رأسه، وهو على السَّرير، ودخل إليه الناس على طبقاتهم فهَنَّؤوه، وأنشد الشُّعراء.

ثم ركب في يوم الثلاثاء في الجانب الغَربيّ، فاخترقه من النَّجْمِيّ إلى باب التِّبْن وقد نُصِبت له القِباب، ثم نزل في الطَّيَّار إلى داره، وتصدَّق بعشرين ألف درهم.

وذكر أبو الحسَن علي بن عبد الله بن حاجب النعمان صِفةَ الخَلْع على عضد الدولة فقال: لما حَضَر عضد الدولة إلى الطائع في مَورِده الثاني إلى بغداد سألَه أن يَزيد في لقبه تاجَ المِلَّة، ويُلْبِسَه التاج، وسبعَ جِباب، وفَرَجِيَّة، وعِمامة، فأجابه إلى ذلك، وصِيغ التاج والطَّوق والسِّوارَين من ألفين وخمس مئة مِثقال.

وكان ترتيبُ الأمر أن جلس الطائع على سرير الخلافة في صدر السِّدِلِّي[٢] من داره في دَسْت خزٍّ أسود مُحَوّم بالذهب، وحوله من خدمه الخواصّ نحو مئةُ خادم بالثياب الجميلة، والمَناطق، والسيوف المُحَلّاة، وقد أحدقوا بالسَّرير، وبأيديهم المَذَابّ، والحُجَّاب والأشراف والأعيان خارج السِّدِلِّي، والطائع جالس وبين يديه مصحف عثمان رضوان الله عليه، وعليه البُردة، وبيده القَضيب، وعلى رأسه الرُّصافِيَّة، وضُربت على الأساطين الوُسْطى سِتارةُ دِيباجٍ أنفذها عضد الدولة، وسأل أن تكون حجاباً بين الخليفة والناس؛ لئلا تقع عين أحد من الجُند عليه قبله.

---

(١) أي مُوَشّى بالفِضَّة. وينظر المنتظم ١٤/ ٢٥٣ وتاريخ الخلفاء ١/ ١٦٨ .

(٢) معرب، وأصله بالفارسية: سه دله، كأنه ثلاثة بيوت. تاج العروس، وفي تكملة المعاجم لدوزي ٦/ ٥١: سِدِلَّة: مصطبة، صُفَّة، أريكة.

وامتلأت الدَّارُ من الدَّيْلَم، والتُّرك، والقُضاة، وأرباب المناصب والمراتب، والأشراف الطالبيين والعباسيين وغيرهم، وجاء عضد الدولة، فحين قَرُب من الستارة رُفعت، وحينئذٍ وقع طَرْفُه على الخليفة، فقال له مؤنس الصِّقِلّي: قَبِّل الأرض، فقبَّلها من أول الصَّحن، ولم يُقبّلها أحدٌ ممن معه لئلَّا يُشاركه، وكان بين يديه زيار القائد، فارتاع لما شاهد وقال: أيها الملك، أهذا هو الله عز وجل؟ فقال: لا بل خليفة الله في الأرض.

ثم قَبَّل الأرضَ سبعَ مرات حتى وصل إلى السَّرير، فقال له الطائع: ادْنُ، فدنا، فقبَّل يدَ الخليفة ورِجلَه، وثنى الخليفةُ يمينَه عليه، وبين يدي السّرير كرسيّ، فأشار الخليفةُ إلى عضد الدولة بالجلوس عليه، فأومأ إليه، ولم يَجلس حتى أقسم عليه الطائع، فجلس، فقال له: ما كان أشوَقَنا إليك، وأتْوَقَنا إلى مُفاوضتك، فقال: العُذْرُ مَعلوم عند مولانا، فقال: نيَّتُك مَوثوقٌ بها، وعَقيدَتُك مَسكونٌ إليها، وقد فَوَّضْتُ إليك ما وَكَل الله تعالى إليّ من أمور الرَّعِيَّة في شرق الأرض وغربها، سوى خاصّتي وأسبابي وما وراء بابي، فتولَّ ذلك مُستجيراً بالله تعالى، فقال: يُعينني الله على خِدمةِ مولانا وطاعته.

ثم قال عضد الدولة: أُريد وجوهَ القُوَّاد الذين دخلوا معي يَسمعون هذا، فقال الطائع: يُحضَروا ويُحضر ابن مَعروف وابن أم شَيبان والزَّيْنَبيّ، وسمَّى جماعةَ القُضاة والأشراف، فحضروا، وأعاد عليه القولَ بحضرتهم.

ثم أُفيضت عليه الخِلَع، فعاد وأراد أن يُقَبِّل الأرضَ فلم يقدر من ثِقَلِ التاج، وأعطاه الطائع من بين المِخَدَّتين سيفاً آخر مُحلَّى، فقلَّده به مُضافاً إلى سيف الخِلعة.

فلما أراد عضد الدولة أن يَنصرف قال للطائع: إني أتطَيَّرُ أن أعودَ على عَقبي، وأريد أن يُفتَح لي باب إلى دجلة، فأذن في ذلك، فحَضر في الحال ثلاث مئة صانعٍ كان عضد الدولة قد أعدَّهم، ففتحوا له باباً، وركب الفرس بمركب الذهب والطائع يراه إلى أن خَرج من البلد.

ذكر هديَّةِ الطائع لعضد الدولة في اليوم الثالث من الخِلْعَة:

فَرَجِيَّةُ وَشْيٍ مُثقلة، وغِلالةُ قَصَبٍ، وقَلَنْسُوَةُ وَشْيٍ مُذَهَّب، وصينيَّة ذهب وزنُها ثمان مئة مِثقال، فيها مَغْسَلُ ذهب، وطاساتٌ وكاسات مُطَعَّمة، وثيابُ دِيباج، وتُحَفاً كثيرة.

وبعث إليه عضد الدولة خمسَ مئة حِمْل، منها ألفُ ألف دِرهم فِضَّة، وخمسون ألف دينار، وخمس مئة ثوب أنواعاً من الدِّيباج وغيره، وثمانون صينية ذهب وفضة، فيها أنواعُ الطِّيب من المِسْكِ والعَنْبَر والنَّدِّ والكافور، وعشرة أفراسٍ بمراكب الذهب، وسَهَّارِيّ[١]، وغيرها.

وقبض عَضُد الدولة على مَن بقي من أصحاب عز الدولة، واستخرج منهم أموالاً كثيرة، وحمل أبو سعد بن بَهْرام أبا الطاهر بن بَقيَّة إلى عضد الدولة وهو مَسْمول، وطولب بالمال فلم يكن عنده شيء، فشُهِر في جانبَيْ بغداد على جَمَلٍ وعليه بُرْنس، ثم قتله.

وفيها جلس الطائع لرسول أبي القاسم نوح، وعقد له على خُراسان، ودفع إليه الخِلَع واللواء سِفارةَ عضد الدولة؛ لأن أبا صالح منصور بن نوح كان مُصاهراً لعضد الدولة، فلما مات أقاموا ابنه أبا القاسم نوحاً مكان أبيه، فهؤلاء ملوك ما وراء النهر.

وهذا **أبو القاسم نوح** بن منصور بن نوح بن نصر بن أحمد بن إسماعيل بن أحمد بن أسَد بن سامان خُداه بن حيثمان[٢] بن طُمغاث بن نُوشرد بن بهرام جوبين بن بهرام جُشْنس بن فيرزاد بن خسرو بن نَرْسِي بن بهرام بن أردشير بن سابور بن يزدجرد الأثيم.

وفي رجب وَرَد رسولُ شريف بن سيف الدولة صاحب حلب إلى عضد الدولة، وهما ابن الناصر العلوي وعبد الله بن أحمد الإسكافي، يَبْذُلان الطاعة عن شريف، فقبل عضد الدولة منهما ذلك، وخاطب الطائع، وتنجَّز له الخِلَع واللواء والعهد، وخادماً من خَدَم الخليفة[٣].

وفيها زادت دجلة زيادةً عظيمة في نيسان؛ بلغت إحدى وعشرين ذراعاً وثلثاً، وانفجر بالزَّاهر من الجانب الشَّرقي بَثْقٌ غَرَّق الدُّور والشَّوارع، وهرب الناس إلى السُّفُن، وهيَّأ عضد الدولة الزَّبازب تحت داره، وأطلق المال، وجلب القَصَب من كل

(١) في المعجم الوسيط: السهاري: مصباح ضئيل النور ينير البيت ليلاً بعد نوم أهله.

(٢) كذا، وفي الكامل ٧/ ٢٧٩: جشمان، وفي الأنساب ٧/ ١٢، والإكمال ٥/ ١٤٨، ومعجم البلدان (سامان): جُبا، أو حيا.

(٣) من أول السنة إلى هنا ليس في (ف م م١).

مكان، واتَّفق أن زَورقاً كبيراً جاء وفيه قَصَب، فساقه الماء إلى الفُوَّهة التي انفتحت عند الزَّاهر فسدَّها، وعاجلوا بالتُّراب فوقه وطَمَروه فيها، ودُفن في موضعه، فكان سبباً في سدِّ الفُوَّهة، ثم أصبح الماء ناقصاً ففرح الناس.

وفي يوم الاثنين الثاني من شَوَّال خرج عضد الدولة من بغداد قاصداً عز الدولة وأبا تغلب، وخرج الطائع معه بالجيش كله، ودخل أبو علي الفارسي على عضد الدولة لما أراد الخروج لقتال عز الدولة، فقال له: ما رأيناك في صُحبتنا[1]! فقال: أنا من رجال الدعاء لا من رجال اللقاء، فخار الله للملك في عزيمته، وأنجح قَصْدَه في نهضته، وجعل العافيةَ زادَه، والظَّفَرَ تُجاهَه، والملائكةَ أنصارَه، وأنشد: [من المنسرح]

ودَّعْتُه حيث لا تُودِّعُه نفس ولكنها تسيرُ معه

ثم تولَّى وفي الفؤاد له ضِيقُ مَحَلٍّ وفي الدُّموعِ سَعَه

فقال له عضد الدولة: بارك الله فيك، فإني أَثِقُ بطاعتك، وأتيقَّن صفاءَ طَوِيَّتِك، وقد أنشدنا بعض أشياخنا بفارس فقال: [من مخلع البسيط]

قال لهم[2] إذ سار أحبابُه وبدَّلوه البُعدَ بالقُربِ

والله ما شَطَّت نَوى ظاعِنٍ سار من العَينِ إلى القَلْبِ

فدعا له أبو علي وقال: أيأذن مولانا في نقل هذين البيتين؟ قال: نعم، فاستملاهما منه.

والتقوا يوم الأربعاء لاثنتي عشرةَ ليلةً بقيت من شوّال، ووقف عَضُد الدولة في القلب، ووقف الناس بين يديه، واشتدَّت الحرب، وقُتل من الفريقين جماعة، وكان الطائع في عِدَّةٍ من الفُرسان والرجال مع الأثقال والسّواد، فنصر الله عضد الدولة، وانهزم عز الدولة عند ارتفاع النهار فأُخِذ أسيراً، وهرب أبو تَغْلِب ومعه عمدة الدولة وأبو طاهر ابنا معز الدولة وأبو كاليجار بن عز الدولة.

ذكر السبب في هزيمتهم:

كان عضد الدولة لما اتفق عز الدولة عليه وأبو تغلب وتحالفا أعمل الحيلة في إفساد ما بينهما، فدسَّ كتاباً إلى أبي تغلب على لسان بعض ثِقاته يقول: قد صحَّ عندي أن عزَّ

(١) في المنتظم ١٤/ ٢٥٢: ما رأيك في صحبتنا؟

(٢) في المنتظم ١٤/ ٢٥٣: قالوا له.

الدولة وعضد الدولة قد اتَّفقا في السرِّ عليك، وأن يأخذوك أسيراً يوم الحرب، ويَمضي عز الدولة فيأخذ الموصل ويقيم بها، ويعود عضد الدولة إلى بغداد، فاستَظْهِرْ لنفسك.

فاحترز أبو تغلب من مُخالطة عز الدولة، فلما وَقَعت الحرب قاتل عز الدولة، وأرسل إلى أبي تغلب أن يَحمل على المَيْمَنة مراراً، فتوقَّف لما كان خامَرَ سِرَّه من الكتاب، فوقف على تلٍّ مُشْرِفٍ من بعيد، ولم يخالط العسكر، فكانت الهزيمةُ، وتبعوا أبا تغلب، وخرج فنجا ومعه أخو عز الدولة وولده أبو كاليجار.

وعاد الطائع إلى بغداد، وحمل الأُسارى من الدَّيْلَم والتُّرْك في الزَّواريق، فمنهم من غرق، ومنهم من بقي، ومنهم من استُبقي.

وسار عضد الدولة إلى الموصل، فوصلها يوم الأربعاء عاشر ذي القعدة، فنزل دارَ أبي تغلب، وولَّى العمَّالَ في النواحي، وبعث وراء المنهزمين، وهم عمدة الدولة، وأخوه أبو طاهر، وأبو كاليجار بن عز الدولة، ووالدة عمدة الدولة وأخيه، وتفرَّقوا، وسار بعضهم إلى دمشق مع زوجة معزّ الدولة وبها هفتكين التركي، فأنزلهم وأحسن إليهم، وأقاموا عنده.

وأما أبو تغلب فسار إلى مَيَّافارِقين ومعه أختُه جميلة، وكانت مُشاركةً له في الأمر والنَّهي، ومعه أخواته الباقيات وحُرَمُه، وبعث إليه عضد الدولة أبا الوفاء طاهر بن محمد، فلما قَرُب من مَيَّافارِقين سار أبو تغلب بعياله إلى قلعة بَدْليس، ونزل بميافارقين هزارمرد الحَمْداني غلام جدِّه أبي الهيجاء، وجاء أبو الوفاء فنازلها، وسار أبو تغلِب إلى قلاعه، واستنزل منها مالاً حمله معه، وتبعه أبو الوفاء، ثم عاد فحصر مَيَّافارقين، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفي هذه السنة جرَت لعضد الدولة لما دخل بغداد قصَّةٌ مع أبي الحسين بن سَمعون نذكرها إن شاء الله تعالى في ترجمة أبي الحسين[1]، وحجَّ بالناس أبو عبد الله العلوي.

(١) من قوله: وفي يوم الاثنين الثاني من شوال خرج عضد الدولة... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفيها توفي

أبو القاسم إبراهيم[(١)] بن محمد

ابن أحمد بن مَحْمويَه النَّصْراباذِيّ، النَّيسابوريّ. ونصراباذ مَحلَّةٌ من مَحالّ نَيسابور [، وثمَّ جماعة يُنسَبون إلى هذه المحلَّة.

وأما أبو القاسم صاحب هذه الترجمة سمع الحديث الكثير، وأثنى عليه الحاكم أبو عبد الله، وأبو عبد الرَّحمن السُّلَميّ، وابن خَميس[(٢)] وغيرهم، وقالوا: هو نيسابوري المولد والمنشأ].

وكان شيخَ خُراسانَ في وقته، وإليه يُرْجَع في علوم القوم، والسُّنَن، والتَّواريخ، وعلوم الحقائق.

[وقال القُشَيري:] صحب الشِّبليّ وغيره، [وكان عالماً بالحديث، كثير الرواية.

وقال السُّلمي في «الطبقات»: هو شيخ الصوفية بنيسابور] وله لسان الإشارة مَقروناً بالكتاب والسُّنَّة [، وما كانت تُشَبَّه أوقاتُه وبكاؤه إلا بأوقات الشبلي وبكائه.

ذكر نبذة من كلامه:]

قال: إذا بدا لك شيء من مبادئ الحقِّ فلا تلتفت معه إلى جنَّةٍ ولا إلى نار، وإذا رجعتَ إلى ذلك الحال فعَظِّم ما عظَّمه الله تعالى.

وقيل له: الكلُّ مُلْكُه فكيف اشترى؟ فقال: اشترى كشِرى الأب للطفل.

وقال: العبادات إلى طَلَب العَفْوِ عن التَّقْصيرِ فيها أحوج إلى طلب العِوَض عنها[(٣)].

وقال: أهلُ المحبَّةِ واقفون مع الحقِّ على مقامٍ إن تقدَّموا غَرِقوا، وإن تأخَّروا حُجِبوا.

---

(١) في (ف م م١): وفيها أبو القاسم النصراباذي واسمه إبراهيم، والمثبت من (خ ب).

(٢) انظر: تاريخ بغداد ٧/ ١٠٧، وطبقات الصوفية ٤٨٤، والرسالة القشيرية ١٢٤، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٠١، وتاريخ دمشق ٢/ ٤٩١ (مخطوط)، والمنتظم ١٤/ ٢٥٦، والسير ١٦/ ٢٦٣، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٦٣.

(٣) في طبقات الصوفية ٤٨٧: العبادات إلى طلب الصفح والعفو عن تقصيرها أقرب منها إلى طلب الأعواض والجزاء بها.

وقال: أثقالُ الحقِّ لا يَحملها إلا مَطايا الحقّ.

وقال: جَذْبَةٌ من جَذَباتِ الحقِّ تُربي على عَمل الثَّقَلَين.

وقال: أنت بين نِسبتين؛ نِسْبَةٍ إلى الحقّ ونِسْبةٍ إلى آدم، فإذا انتسبتَ إلى الحقِّ دخلتَ في مقامات الكَشْفِ والعِصْمَة، وتلك نسبة تحقيق العبودية ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، وإذا انتسبتَ إلى آدم دخلتَ في مقامات الظُّلمِ والجهل ﴿وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

[وحكى عنه في «المناقب» أنه] قال: سِجْنُك نفسُك، فإذا خرجتَ منها وقعتَ في راحة الأَبَد.

وقال: إنما سُمّي أهلُ الكهف فِتْيةً لأنهم آمنوا بغير واسطة.

وقال: الحقُّ غَيور، ومن غَيرته لم يجعلْ إليه طَريقاً سواه.

وقال: نهاياتُ الأولياء بدايات الأنبياء.

وقال: دخلتُ البادية [في بعض أسفاري] فصُعِقْتُ، فكُشِف لي عن القمر، فإذا في وجهه مَكتوب: ﴿فَسَيَكْفِيكَهُمُ ٱللَّهُ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ الآية [١٣٧: البقرة]، فاستَقْلَلْتُ من وقتي ومَشَيت[1].

وقيل له: إنه ليس لك في المحبة شيء؟ فقال: محبَّةٌ توجبُ سَفْكَ الدِّماء، ومحبةٌ توجب حَقْنَها، وإن كان كما قالوا فلي حَسَراتٌ أحترِقُ منها، وأنشد: [من الطويل]

وَمَن كان في طولِ الهوى ذاقَ سَلْوَةً ... فإني من لَيلى لها غيرُ ذائقِ
وأكثرُ شيءٍ نِلْتُه من وِصالها ... أمانيُّ لم تَصدُقْ كلَمْحَةِ بارِقِ

وقال: للخلق كلِّهم مقامُ الشَّوق، وليس لهم مقام الاشتياق، ومَن دخل في مقام الاشتياق هام فيه حتى لا يُرى له أَثَرٌ ولا قَرار.

وقال: للنَّفس قوت، وللقلب قوت، وللسرِّ قوت، وللرُّوح قوت؛ فقُوتُ النَّفسِ الطُّمَأنينة، وقوت القلب الرُّوحانيّة، وقوت السرِّ الفكرة، وقوت الرُّوحِ السَّماعُ الصَّادرُ

(١) في مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٤: فاستقللت وفتح عليَّ من ذلك الوقت.

عن الحق، وقوت الأقوات على الحقيقة هو الله تعالى؛ لأن الكفايات منه، وأنشد: [من الطويل]

إذا كُنتَ قُوتَ النَّفْسِ ثم هَجَرْتَها فلم تَلْبَثِ[1] النَّفْسُ التي أنت قوتُها
ستبقى بقاءَ الضَّبِّ في الماء أو كما يعيشُ ببَيْداءِ المهامِه حُوتُها

واستسقى يوماً فجاء المطر فقال: [من الكامل]

خرجوا ليَسْتَسقوا فقلتُ لهم قِفوا دَمعي يَنوبُ لكم عن الأنْواءِ
قالوا صَدَقْتَ ففي دُموعِكَ مَقْنَعٌ لو لم تكن مَمزوجَةً بدماءِ[2]

ذكر وفاته:

خرج إلى مكة سنة خمس[3] وستين وثلاث مئة، وكان يَعِظُ على المنابر ويُذَكِّر، ومات بمكة [في سنة سبع وستين وثلاث مئة، ودُفن] عند تربة الفُضَيل بن عِياض ﵁.

وكان صدوقاً، ثقةً، أجمعوا عليه.

[حكى في «المناقب»[4] وقال:] رآه بعضُ الصَّالحين في المنام بعد موته فقال: ما فعل الله بك؟ فقال: عُوتِبْتُ عِتابَ الأشراف، ثم نُوديتُ: يا أبا القاسم، هل بعد الاتّصال انفصال؟ فقلت: لا، يا ذا الجلال والإكرام، وما وُضِعْتُ في اللَّحْدِ حتى لَحِقْتُ بالأحد[5].

[فصل وفيها تُوفّي]

بَخْتِيار أبو منصور عزُّ الدولة

ابن مُعزّ الدولة أبي الحسين بن بُوَيْه.

(١) في مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٤: فكم تلبث، وهي الأشبه، والمثبت موافق لما في تاريخ دمشق ٢/ ٤٩٣.
(٢) من قوله: وقيل له إنه ليس لك في المحبة شيء... إلى هنا ليس في (ف م م١).
(٣) في (ف م م١): ذكر الحاكم أبو عبد الله قال: خرج النصراباذي إلى مكة في سنة خمس.
(٤) مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٤.
(٥) في (ف م م١): بالأبد، وبعدها في (م): انتهت ترجمته.

كان من أحسن الناس خُلُقاً، وأشدِّهم قُوَّةً، كان يَصرَعُ الثَّورَ الشَّديدَ وحده، ويبارز الأُسودَ في صُيودها(١).

وكان المطيع قد خلَع عليه، وسَلْطَنَه، وطَوَّقَه، وسَوَّره، وقد ذكرنا أخبارَه في السنين.

وانتهى أمرُه إلى أن جاء عَضُد الدولة وأخرجه من بغداد، فعاد وحارَبَه ومعه أبو تَغْلِب بن حَمْدان، فانهزم أبو تغلب.

ذكر مقتل عز الدولة:

[قال ابن الصابئ:] لما التقى عز الدولة بعضد الدولة قاتل قتالاً شديداً، وثَقُل به سلاحُه، فقصَّر به فرسُه، فوقع إلى الأرض، فظَفِرَ به بعضُ الأكراد، فأخذ ما عليه وهو لا يَعرفه، وخلَّى عنه، وأدركه أرسلان كورموش فتعرَّف عليه، وجاءه أرسلان تكين الكوركيزي، فأخذاه وحملاه إلى عضد الدولة، وقيل: إن رأسَه حُمل إلى عضد الدولة في طشت، فتأمَّلَه، وتفَقَّد طاقات شَعَرٍ أبيض كانت في عوارضه.

وكان سِنُّه لما قُتل ستاً وثلاثين سنة، ومدةُ إمارته إحدى عشرة سنة وشهوراً، وقُتل جماعةٌ من خواصّه صَبْراً بين يدي عضد الدولة [، وكان بين مَصْرَعِ عز الدولة وابن بَقيَّة اثني عشر يوماً(٢).

فصل وفيها توفي

عبد الله بن محمد

أبو القاسم الحَرَّاني، إمامُ جامع دمشق.

كان زاهداً، صالحاً، وكانت وفاته بدمشق، ودُفن بباب كَيْسان عند أبي إسحاق البَلُّوطيّ.

حدَّث عن محمد ابن أبي شيخ الحرَّاني وغيره. وروى عنه الدارقطني وغيره، وكان ثقةً صدوقاً](٣).

(١) كذا، وفي المنتظم ١٤/ ٢٥٦: متصيداته.

(٢) وفيات الأعيان ١/ ٢٦٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٦٦، والسير ١٦/ ٢٣١.

(٣) مختصر تاريخ دمشق ١٣/ ٢٨٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٦٨، وما بين معكوفين من (ف م م١)، وبعد هذا فيها: السنة الثامنة والستون وثلاث مئة.

محمد بن عبد الرحمن

أبو بكر، البغداديّ، ويُعرف بابن قُرَيْعَة.

وكان خَفيفَ الرُّوح، كثيرَ المَزْحِ، مَليحَ العِبارَةِ، طَيِّبَ النَّادِرة، وخُصَّ بأبي محمد المُهَلَّبي الوزير في أيامه، ولازمه، ونفق على عز الدولة من بعده، وقَرَّبه، ولَطَفَ به عنده، ونادمه، وكان لا يُفارقه، ويُحَمِّله الرسائل، وله ألفاظ مُدَوَّنة.

كتب إليه أبو عبد الله الزُّبَيْرِيّ وَرَقةً يقول فيها: المملوك أبو عبد الله الزبيري، الموسوم بالدُّعاء للملوك في المواكب، والأذان في الجوامع، له مدّةٌ ما وصل إليه جائزة.

فوقَّع عليها: ذكرتَ أنك منذ مدة لم تَقْبِض ما أجريتُه لك من باب البرِّ شيئاً، فشُوهَةٌ بُوهَة، وأحوالٌ مَكروهة، أيكون أحدٌ أحقَّ منك نَسَباً في المهاجرين، وزَعَقاتٍ في الدِّين، وصَيحاتٍ بمنافع المسلمين؟ اللهم غَفْراً، نتلافى ما فرطت منك تلافياً شافياً كافياً إن شاء الله تعالى.

وحضر عند عزِّ الدولة جماعةٌ من الفقهاء فيهم هَرَوِيّ، فقال: أيها الأمير، هذا من بلد القِشْمِش[١]، ومَعْدِن المِشْمِش، من أهل هَراة، رجالُها سَراة، وجبالُها شَراة، فضَحك عز الدولة.

وحضر يوماً عند عَضُد الدولة وقد خرج من بين يديه أبو العباس أحمد بن علي النَّفَّاط العامل، فقال: هذا أبوه كان يَبيع النَّفْط، فقال له ابن قُرَيْعَة وكان واقفاً بحضرته: هذا لقبُ تعريف، لأن اللقب ثلاثة؛ لقبُ تَشريف، ولَقَبُ تعريف، ولَقَب تَسخيف، فقال له عضد الدولة: مثل ماذا؟ فقال: أما التَّشْريف فمثلُ ركن الدولة وعضد الدولة وما كان في معناه، وأما التعريف فمثل ابن النَّفَّاط، وابن اللَّقَّاط، وابن المَقَّاط[٢]، وأما التَّسخيف فمثل زيقط وبطبط وقطقط، فضحك عضد الدولة منه وقال:

---

(١) الزبيب الصغير لا نوى له.

(٢) المِقاط: الحبل.

شارَكْنا بختيار في لَهْوِه وطَنْزِه[١]، فقال: أيها الملك، لكان زمانٌ وآل والملوك تُعاشَر بمثل أخلاقها، وإن كان بختيار أخذَ من اللهو بنَصيب وأخذنا معه فإن مولانا يَجِدُنا في الجِدِّ بحيث يَختار ويؤثر ويُحبّ[٢].

وكان أبو الحسين الزاهري[٣] يستفتي ابنَ قُرَيعة دائماً في تَعَضُّلاتٍ يَضَعُها، فكتب إليه يوماً: ما يقول القاضي أيَّده الله في رجلٍ باع حِجْراً[٤] على رَجُل، فلما رفَع المُشتري ذَنَبَها ليُقَلِّبَها بعد وَزْن ثمنها، فخرج منها ريحٌ مُصَوِّتَة؛ اتَّصلت بحَصاةٍ ففَقأتْ عين الرَّجُل، ما الواجب فيها الدِّيَةُ أو الرَّدّ؟

فكتب ابنُ قريعة تحت خطِّه: الجواب وبالله التوفيق: لم تَجْرِ عادةٌ بمثل هذه البَدائعِ بين مُشْتَرٍ ولا بائع، فلذلك لم تثبت في فَتاوى الفُقهاء، ولم تُسْطَر في كُتب العلماء، ولكن هذا وما شاكَلَه يَجري مُجرى الفُضول، المُسْتَخْرَج من أحكام العُقول، فأقول: إن دِيَةَ ما جَنَتْهُ الحِجر مُلْغاةٌ في حُكم المُهْدَار؛ لأن «العَجْماءَ جَرْحُها جُبار[٥]»، لحديث النبي المختار ﷺ، لا سيّما والمُشتري عند كَشْفِ عَورتها اسْتَثَارَ [كامِنَ] سَوْرَتَها[٦]، ولكن رَدُّ السِّلْعَة واجب، وعلى البائع لها إرجاعُها[٧] وردُّ ما قَبض؛ لأنه دَلَّس حِجْراً، مَضِيقُها مَنْجَنيقُها، ومُطْلِقُها بَيْدَقُها، ولم يَبْرَ من ذلك، وإن السِّهام إذا كانت طائشة فتلك من العيوب الفاحِشة، وأغراضها نواظِرُ الحَدَق، وقلّما يَستظهرُ المُقَلِّبون للخيل بالدَّرَق.

وأمره المُهَلَّبي أن يُشْرِف على بناءٍ في داره، فحضر رجلٌ من العامَّة، فادَّعى أن وَكيلَ المُهَلَّبيّ اشترى منه ثلاثين بيضةً لتزويق السقوف، ولم يعطِه شيئاً، فقال

(١) سخريته.

(٢) انظر التذكرة الحمدونية ٩/ ٣٥٦.

(٣) كذا، ولم أقف على أكثر هذه الأخبار، وفي تاريخ بغداد ٣/ ٥٥٥ خبران بين ابن قريعة وأبي الحسن الزهراني، فلعله هو، والله أعلم.

(٤) هي أنثى الخيل الكريمة.

(٥) أخرجه أحمد (٧٢٥٤)، والبخاري (١٤٩٩)، ومسلم (١٧١٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٦) جنى آثار غضبها.

(٧) في (ب): ارتجاعها.

ابن قُرَيْعة: يا هذا بَيِّن دَعواك، وأفْصِحْ عن نَجواك، فمن البَيْض بيضُ نَعامي، وهندي، وبطي، ونَبَطي، وحَمامي، وعَصافيري، حتى إن الدُّودَ يَبيض، والسَّمك يبيض، فمن أيِّ أجناسه تدَّعي؟ فقال الرجل: ما أدري ما تقول، لي ثلاثون بيضةً من بيض الدَّجاج النَّبَطيّ والسلام.

وكان له بستان وفيه أكَّارٌ يقال له: صاعِد، فبلغه أنه قد سَرق طَوْقَ دولاب البستان وزُجَّه، فكتب إليه: يا صاعد، حَدَر الله بروحك إلى جهنم ولا أصعدها، ومن الخيرات أبعدَها، بلغني أن عاتياً عَتا على الدُّولاب في غَفْلَةِ الرُّقَباء والأصحاب، فسَلَبه طَوْقَه وزُجَّه من غير دلالة ولا حُجَّة، فهَمَمْتُ بالدُّعاء عليه، ثم عَطَفْتُ بالحُنُوِّ عليه، وقلت: اللهم إن كان أخَذه من حاجة فأَغْنِه عن المعاودة إلى مثله، وإن كان أخذه من غير حاجة فابْتُر عُمُرَه، واكْفِ المسلمين شَرَّه، فكتب إليه صاعد: قد عَمّرتُ الدولاب من عندي، والسلام.

وزحمه رجلٌ راكِبٌ على حمار فقال: [من مخلع البسيط]

يا خالقَ اللَّيلِ والنَّهارِ صَبْراً على الذُّلِّ والصَّغارِ
كم من جَوادٍ بلا حمارٍ ومن حمارٍ على حمارِ

وركب ابن قُرَيْعة مع القاضي ابن مَعْروف بواسط، فدخلا دَرْبَ الصَّاغة، فتأخَّر ابنُ قريعة وتقدَّم ابن معروف، فقال ابن قريعة: إن تقدَّمت فحاجب، وإن تأخرت فواجب.

توفي ابن قريعة ببغداد يوم السبت لعشرٍ بقين من جمادى الآخرة عن خمس وستين سنة.

قال الخطيب: ولاه أبو السَّائب عُتبة بن عُبيد الله قضاءَ السِّنْدِيّة وأعمالَ الفُرات، وكان كثيرَ النَّوادر، حسنَ الخاطر، يُسْرِع بالجواب المطبوع من غير تصنُّع، وله أخبار طريفة، وكان فاضلاً، ولا أعلمه أسْنَدَ الحديث(١).

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٥٥٠، والمنتظم ١٤/ ٢٥٨، ووفيات الأعيان ٤/ ٣٨٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٧٧، والسير ١٦/ ٣٢٦.

أبو طاهر محمد

ابن محمد بن بَقيّة، وزير بَختيار.

قد ذكرنا بدايته وأخبارَه أيام وزارته، وكان عضد الدولة قد بعث إليه يُميلُه عن بختيار، فقال: الخيانةُ والغدر ليسا من أخلاق الرِّجال.

ذكر مقتله:

قد ذكرنا أن عز الدولة لما خرج من بغداد ودخلها عضد الدولة سلَّمه إليه أبو سعد ابن بهرام مَسْمولاً، فشَهره في بغداد من الجانبين وعلى رأسه بُرْنُس، ثم أمر أن يُطْرَح تحت أرجل الفِيَلَة فقتلتْه، ثم حُمِل فصُلِب في طَرَف الجِسْر من الجانب الشَّرقيّ، ولم يَشفع فيه الطائع لأمرٍ كان في نفسه منه، وأُقيم عليه الحَرَس.

وقيل: إن عز الدولة بعث به إلى عضد الدولة لما خرج عن بغداد لقتاله، وكتب أهلُ بغداد لعنَة عضد الدولة على حيطان الجوامع والأسواق؛ لأنه كان عادلاً جَواداً مُحسِناً إلى الجُند والرَّعِيَّة، سَخيًّا، فاجتاز به أبو الحسن محمد بن عمر الأنباري الصُّوفيّ الواعظ، وكان صَديقاً له، فرثاه بأبيات، وهي: [من الوافر]

عُلوٌّ في الحياةِ وفي المَماتِ ... بحقٍّ أنت إحدى المُعْجِزاتِ
كأنَّ الناسَ حَولك حين قاموا ... وُفودُ نَداكَ أيامَ الصِّلاتِ
كأنَّكَ قائمٌ فيهم خَطيباً ... وكلُّهم قِيامٌ للصَّلاةِ
مَدَدْتَ يديك نحوَهم اقتفاءً ... كمَدِّهما إليهم بالهِباتِ
ولما ضاقَ بَطْنُ الأرض عن أن ... يَضُمَّ عُلاكَ من بعد المَماتِ
أصاروا الجوَّ قَبْرَكَ واستنابوا ... عن الأكفانِ ثَوْبَ السَّافياتِ
لعُظْمِكَ في النُّفوس تبيتُ تُرْعى ... بحُفَّاظٍ وحُرَّاسٍ ثِقاتِ
وتوقَدُ عندك النِّيرانُ ليلاً ... كذلك كنتَ أيَّامَ الحَياةِ
ولم أرَ قبلَ جِذْعِكَ قطُّ جِذْعاً ... تَمكَّن من عِناقِ المَكْرُماتِ
رَكِبتَ مَطيَّةً من قبلُ زيدٌ ... عَلاها في السِّنينِ الذَّاهِباتِ
وتلك فَضيلةٌ فيها تأسٍّ ... تُباعِدُ عنك أسبابَ الدِّناتِ
وكنتَ لمَعْشَرٍ سَعْداً فلما ... مَضيتَ تَفرَّقوا بالمُنْحِساتِ

وكنتَ تُجيرُ من صَرْفِ الليالي فعادَ مُطالِباً لك بالتِّراتِ
أسأْتَ إلى النَّوائبِ فاسْتَثارت فأنتَ قَتيلُ ثأرِ النَّائباتِ
وصَيَّرَ دَهْرُكَ الإحسانَ فيه إلينا من عَظيمِ السَّيِّئاتِ
غَليلي باطنٌ لك في فؤادي يُخَفَّفُ بالدُّموعِ الجارياتِ
ولو أنّي قَدَرْتُ على قيامي بفَرْضِك والحُقوقِ الواجباتِ
مَلأْتُ الأرضَ من نَظْمِ المَراثي ونُحْتُ بها خِلافَ النَّائحاتِ
ولكنّي أُصَبِّرُ عنك نفسي مَخافَةَ أن أُعَدَّ من الجُناةِ
وما لك تُربةٌ فأقولُ تُسْقى لأنَّك نُصْبُ هَطْلِ الهاطِلاتِ
عليكَ تَحيَّةُ الرَّحمنِ تَتْرى بِرَحْماتٍ رَوائحَ غادياتِ(١)

وبلغتْ عضدَ الدولة، فأباح دمَ الأنباري، وجدَّ في طَلَبه سنةً فلم يوجَد، وبلغت الأبياتُ الصاحبَ إسماعيلَ بن عَبَّاد، فكتب له أماناً، وكان ابنُ عَبَّاد بالرَّيِّ، فقدم الرجلُ عليه، فقال: أنت قائلُ الأبيات؟ قال: نعم، قال: أنشِدْني إيَّاها، فأنشدها، فلما بلغ إلى قوله: ولم أرَ قبل جِذْعك قطُّ جِذعاً... البيت، قام ابن عَبَّاد قائماً، واعتنقه، وقبَّل فاه، ثم خَلَع عليه، وكتب له كتاباً إلى عضد الدولة بالإحسان إليه، فلما دخل عليه قال: ما حَمَلَك على مَرْثِيَة عَدوي!؟ فقال: حقوقٌ سَلَفَتْ، وأيادٍ سَبَقَتْ، فجاشَ الحُزْنُ في قلبي.

وكان بين يَديْ عَضُدِ الدولة شُموعٌ تُزْهِر فقال له: قل فيها شيئاً، فقال: [من المتقارب]

كأن الشُّموعَ وقد أظهَرَتْ من النَّارِ في كلِّ رأسٍ سِنانا
أصابعُ أعدائكَ الخائفينَ تَضَرَّعُ تَطلُبُ منك الأمانا

فرَضي عنه، وخلَع عليه، ووصَلَه ببَدْرَةٍ، وأعطاه فَرَساً من مَراكبه.

وذكر هِلالُ بن الصَّابئ أن الأبيات ظهرت بعد موت عضد الدولة، وأن ابنَ بَقيَّةَ بقي مَصلوباً على خَشَبته؛ إلى أن حُطَّ في أيَّام صَمْصام الدَّولة ودفن، والأوَّل أصحّ.

---

(١) الأبيات في الكامل ٨/ ٦٩٠، ووفيات الأعيان ٥/ ١٢٠، ومختصر تاريخ دمشق ٦/ ٩٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٧٩، والسير ١٦/ ٢٢١، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٣٠.

السنة الثامنة والستون وثلاث مئة

فيها في المحرَّم سار عضد الدولة خلف أبي تَغْلب بنفسه، فأجْفَلَ هارباً من بين يديه، وفارقه كثيرٌ من رجاله وقوَّاده، وعاد عضد الدولة إلى الموصل في صفر، وبعث وراءه الجُند، فأتى بَدْليس، فتبعوه، فدخل الروم، وكان عضد الدولة قد بعث إليه قائداً يقال له: طغان، فلحقه في مَضيقٍ من مَضائق الرُّوم، فعطف عليه أبو تَغْلِب، فضربه على رأسه ضَربةً بقي أثرُها إلى أن تُوفّي، وأسر جماعةً من أعيان قُوَّاد عضد الدولة وخواصّه، فضرب رقابَهم بين يديه صَبْراً، وعاد طغان إلى الموصل ومَن سَلِم منهم، ووصل أبو تغلب إلى حِصن زياد، وجاءت عساكر الرُّوم، فعاد أبو تغلب إلى آمِد، وأقام [بها] إلى أن فُتحت مَيَّافارِقين[١].

ذكر فتحها:

كان أبو الوفاء قد نازلها فلم يَقدر عليها، فمضى إلى أَرْزَن ففتحها، وعاد إلى مَيَّافارِقين وبها هزارمرد، فحاصرها بعد أن فتح حصون ديار ربيعة كلها، ولما عاد إلى ميافارقين أقام ثلاثة أشهر يضربها بالمَجانيق، ونزل البَليخ وهو صابر، ومات هزارمرد، فكتبوا إلى أبي تغلب يخبرونه، فأمر أن يُنصَبَ مكانه مؤنس غلام الحَمْدانية، وكان في البلد قاضٍ يقال له: أبو الحسن بن المبارك بن ميمون[٢]، فاستولى على تدبير مؤنس، وحَفظ البلد وحَصَّنه، وقاتل قتالاً شديداً، فبعث إليه أبو الوفاء يَستميله ويَعِده، فلم يُجِبْه.

وكان في البلد شيخ يقال له: أبو الحسين أحمد بن عبيد الله الفارقي، فبعث إليه أبو الوفاء فاستمالَه، فأجابه، واجتذَب أهل البلد إليه، وعلم القاضي، فأراد الفَتْكَ به، فحماه أهلُ البلد.

فلما كان لليلتين خلتا من جُمادى الأولى ثار الفارقي ومعه أهل البلد، فلجأ مؤنس ومَن معه إلى منازلهم، وقبض الفارِقيّ على القاضي ومَن يَلوذُ به، وفيهم رجل يقال له:

(١) الكامل ٨/ ٦٩٣ وما بين معكوفين منه.

(٢) في الأعلاق الخطيرة ١/ ٣٢٢: أبو الحسين محمد بن علي بن المبارك.

ابن الطَّبَرِيّ، فأرسل مؤنس إلى الفارقيّ يَطلب الأمان، فبعث إلى أبي الوفاء فأمّنه، وفتح النار في الباب، ودخل جيشُ أبي الوَفاء، وبعث أبو الوفاء بالقاضي وابن الطَّبري إلى عضد الدولة وكان بالموصل فصلبهما.

وأما أبو تغلب فلما علم بفتوح مَيّافارِقين، وأن أبا الوفاء قد مَلَكها، علم أنه سيسير إليه، ولا يقدر على مُقاومته، فأنفَذ أخَواته مستأمناتٍ إلى أبي الوفاء سوى جَميلة، وتبيَّن أصحابُه خَوفَه وخَوَره، فالتاثوا عليه، وهرب إلى ناحية الرَّحْبَة ومعه أختُه جَميلة وحُرَمه، وتخلَّف عنه مَن كان معه من الأتراك والكُتَّاب، وقصدوا أبا الوفاء.

وجاء أبو الوفاء إلى آمِد، ففتحوا له أبوابَها، واستولى على ديار بَكْرٍ بأسرها، وعاد إلى الموصل ومعه الأسارى والمستأمِنَة بعد أن رتَّب في الحُصون مَن يَحفظها.

وأما أبو تغلب فإنه بعث أخاه أبا عبد الله الحسين من طريق الرَّحبة إلى عضد الدولة يسأله العَفو، والاستخدام على ما كان عليه، وأقام بالرحبة ينتظر الجواب، فاجتمع الحسين بعضد الدولة بالموصل، وعَرَّفه رسالةَ أخيه، فقال: أنا أعفو عنه، وأردُّ عليه بلادَه؛ على أنه يَصير إلى الحَضْرة، ويدخلَ في الطاعة، فعلم أبو عبد الله أن أخاه لا يُجيب إلى ذلك، فوطَّد له عند عضد الدولة حالاً أنه يعود إلى خِدمته إن لم يُجب أخوه إلى ذلك.

ومضى إلى أبي تغلب، وأعاد عليه الرسالة فلم يُجِب، وسار إلى الشام لاجئاً إلى أصحاب مصر، وسار معه أخوه أبو عبد الله، ثم فارقه من أَرَك قبل تَدْمُر بمرحلة، وسار يريد الفرات، فأرسل خلفه جماعة، فلم يظفروا به، ووصل إلى عضد الدولة سالماً في شهر رمضان، فأكرمه وأحسن إليه.

وبعث عضد الدولة إلى الرَّقَّة والرَّحْبَة وجميعَ حصون الجزيرة مَن تسلَّمها، وصارت في يده، وبعث إلى قِلاع أبي تغلب التي فيها أموالُه وذَخائرُه وجواهرُه وضياعاتُه وحُليُّ نِسائه وغير ذلك، وهذه القِلاعُ في جانب دجلة من الشرق على طريق الجَزيرة، وهي قلعة أَرْدُمُشْت، وقلعة الشّعباني، وقلعة هَرور، وقلعة ملاص وغيرها.

وكانت قلعة أردمشت مملوءة من أصناف الثياب والجواهر والحلي والمتاع والفُرُش وغيرها، فسَيَّر إليها عضد الدولة مَن افتتحها واحتوى على جميع ما فيها، وخرج بنفسه فأشرف عليها، ورتَّب فيها الوُلاةَ والمُتَصَرِّفين وفي جميع أعمال أبي تغلب.

وكان محمد بن ناصر الدولة مُعتقلاً في أَرْدُمُشْت مُقيَّدًا وله ثماني سنين، فأطلقه عضد الدولة، وأحسن إليه، وردَّ عليه ضِياعه، وهذا محمد كُنيته أبو الفوارس هو الذي اتَّهمه أبو تغلب لما سار لقتال حَمدان بالرَّحْبة.

قال المصنف رحمه الله: وقد ذكر قصّته القاضي التَّنوخيّ فقال: كان أبو تغلب قد استوحش من أخيه محمد، فقبض عليه، وقَيَّده، وحَبسه في قلعة أردمشت، وجعله في مَطمورة، ووَكَّل بحفظ طعامه وشرابه عجوزاً كان يَثِقُ بها، وكانت ضابطة يقال لها: نازبانو، وأمرها أن لا يَصل إليه أحد، وأن تُخفيَ خبَرَه ومَوضعَه، ففعلت، وأقامت على ذلك ثماني سنين.

ثم إن أبا تغلب انحدر إلى بغداد مُعاوناً لعز الدولة على عضد الدولة، فكانت بينهم الوَقعة العظيمة بقصر الجَصّ؛ قُتل فيها بختيار، وانهزم أبو تغلب إلى الموصل، فخاف من تخليص أخيه محمد، فكتب إلى والي القلعة واسمُه طاشتم أن يُمكّن صالح بن بانويه الكردي من قتْلِ محمد، وكان صالح مُشاركاً لطاشتم في حفظ القلعة، وكتب إلى صالح بقتله، فجاء ليدخل عليه فقالت العجوز: لا سمع ولا طاعة، ولا أُمَكِّنك إلا بكتاب أبي تغلب فإنه سلَّمه إلي، وبيني وبينه علامة.

واتَّفق نزولُ عضدِ الدولة على الموصل، وهرب أبو تغلب من بين يديه، وبثَّ قوَّادَه في بلد الموصل، فجاء بعضُ قُوَّادِه فنازل تلك القلعة وفتحها، وبلغه خبر محمد، فأرسل إليه مَن يُحضره عنده، فبكى وأخذ يَتضرَّع يظنُّ أنه يُقتَل، فقالوا له: لا بأس عليك فأخوك قد هرب، ومَلَك عضد الدولة البلاد، فسجد شكراً لله تعالى، وأرادوا أخذ حديده فقال: لا أفعل حتى يَراني الملك، فحُمِل إلى الموصل، وأُدخل على عَضُد الدولة في تلك الحال، فرَقَّ له، وأمر بأخْذِ حديده، وخَلَع عليه الخِلَع السنيَّة، وأعطاه الخيل بمراكبِ الذَّهب والفضة، والبغال عليها الصَّناديق فيها الأموال العظيمة والثياب الفاخرة، وأقطعه إقطاعاً بثلاث مئة ألف درهم، وصار من خواصّه[1].

(١) الفرج بعد الشدة ٢/ ١٨٤ ـ ١٨٩، ومن أول السنة إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفيها عاد عضد الدولة إلى بغداد لما قَرَّر أمورَ الموصل، وخرج الطَّائع للقائه من قُطْرَبُّل، فنُصِبت له القِباب، ودخلها في سَلْخ ذي القعدة، وأمر الطائع أن تُضْرَب على باب عضد الدولة الطُّبولُ والبُوقات في أوقات الصلوات الثلاث: المغرب والعشاء والفجر، وأن يُخْطَب له على المنابر بعد الخليفة، وهذان الأمران لم يكونا لغيره قبل.

ذكر حصول والدة عز الدولة وأخويه وولده المرزبان عند هفتكين:

قد ذكرنا حضورهم عنده، وأولاهم من الإحسان شيئاً عظيماً، واتَّفق أن العساكرَ المصريَّة قَصَدت الشام، وخرج هفتكين إلى لقائهم، فوصل الرَّمْلَة والتَقَوا، فاستأمن أبو كاليجار المرزبان إلى المصريين، واقتتلوا فانهزم هفتكين؛ لأن المصريين كانوا أكثر عدداً، وقُتل أبو طاهر بن مُعزِّ الدولة، واستأمن أبو إسحاق في آخر الأمر، وأَسَر المُفَرّج بن دَغْفَل الطَّائي الهفتكين وجماعةً من الترك، وحملهم إلى مصر، فأبقى عليهم العزيز، وأحسن إليهم، وأحسن إلى أبي إسحاق بن مُعزِّ الدولة، وأبي كاليجار المرزبان بن عزّ الدولة وأصحابهم، وأنزلهم، وأكرم مَثْواهم، وخَلُص الشام بأسره للعزيز، ما عدا حلب فإنها كانت بيد سعد الدولة بن سيف الدولة.

ذكر أخبار هفتكين إلى أن توفِّي وحقيقة شرح الجملة التي ذكرناها:

وقد ذكرنا حصولَه بدمشق، واستقرارَه فيها، وكان يُكاتب المعزَّ ويُطيعه، فلما مات المعز كاتبه العزيز، ووعده الاصطِناعَ ورفعَ المنزلة، والبقاءَ على ما هو عليه إن وَطِئ بساطَه، فكتب إليه: إن هذا البلد أخذتُه بسيفي، وما أَدينُ لأحدٍ فيه بطاعة.

فغاظ العزيزَ جوابُه، واستشار يعقوب ابن كِلّس وزيرَه، فأشار عليه بأن يُجَهِّزَ القائدَ جوهراً في العساكر إلى الشام، وبلغ الهفتكين، فجمع وجوهَ الدِّماشِقَة وشيوخَها، وقال لهم: قد عرفتُم أنكم سألتموني أن أتولَّى أمرَكم، وما تصرَّفْتُ إلا على وَفْقِ مُرادِكم، وقد طلبني مَن لا طاقةَ لي به، وأنا داخلٌ بلادَ الرُّوم، وأُبَصِّره مكاناً أكون مُقيماً فيه؛ لئلا يَلْحَقَكم بسببي ضَررٌ ممَّن يَقصِدُني.

وكان الدِّمشقيُّون يَكرهون المغاربةَ لمخالفتهم إياهم في الاعتقاد، ولأجل ما عامَلَهم به أُمراؤهم وولاتُهم، فقالوا له: أقم ونفوسُنا وأموالُنا بين يديك، ونحن نَفديك بأنفسنا.

وسار جوهر في عسكرٍ كَثيفٍ بعد أن أخذ من العزيز أماناً لهفتكين، وخاتماً، ودستاً من ثيابه، وكتاباً إليه بالعفو عنه، فلما حصل جوهر بالرَّمْلَة كاتب الهفتكين بالرِّفْقِ والمُلاطَفة، ودعاه إلى السِّلْم والطَّاعة، ووعده أن يُبَلِّغَه ما يُريد، وأعلمه بما معه من الأمان، فأجابه بالجميل والشُّكرِ على ما بذله، وغالطه بأن أحال على أهل دمشق.

وسار جوهر وقَرُب من دمشق، فخرج إليه الهفتكين في أصحابه ومَن جمعه من العرب، وأقامت الحربُ بينهم شهرين، وقُتل من الفريقين عددٌ كثير، وظهر من شجاعة الهفتكين والغلمان الذين معه ما عَظُموا به في النُّفوس، وتَقَرَّرت لهم الهَيبةُ في القلوب، وأشار عليه أهلُ دمشقَ بمكاتبة الحسن بن أحمد القِرمطيّ، واستدعائه إلى الشام، وعرف جوهر خبره، فعلم أنه متى حَصل بين عدوَّين خِيفَ عليه، فرجع إلى طَبَرَيَّة.

ووصل القرمطي إلى هفتكين، واجتمعا، وتعاهدا على قتال جوهر، وسارا خلفه، فسار من طَبريَّة إلى الرَّمْلَة، فأقام بها، وبعث بأثقاله إلى عَسْقَلان، وكتب إلى العزيز يُعرِّفه الصورة، ويَستأذنه إن دَعَتْه الضَّرورةُ قَصْدَ عَسْقلان.

ووافى الهفتكين والقرمطي فنزلا على الرملة، ونازلا جوهراً، وكان معهما خمسون ألفاً من الفُرسان والرَّجَّالة، وكان القتال على نهر الطَّواحِين، بينه وبين الرملة ثلاثة فَراسِخ، ولا ماءَ لهم إلا منه، فقطعاه عن جوهر، فتَضرَّر عسكرُه، فسار إلى عَسْقلان في أول الليل، فوصل إليها في آخره، فدخل إليها، وأغلق أبوَابَها، وتَحصَّن بها.

وتبعه الهفتكين والقرمطي، وحاصراه فيها، وضاقت به الميرة، وغَلَت الأسعار، وكان الوقتُ شتاءً فلم يُمكن حَملُ الأقوات في البحر، واشتدَّ الحالُ بجوهر، وأكل أصحابُه الدَّوابّ والميتة، وكان يخرج فيقاتل، فإذا وَجَد فُرصةً من الهفتكين دعاه إلى الطاعة وأرغبه، فيسترجع الهفتكين شجاعته، ويَهمُّ أن يَقبلَ منه[1]، فيَثْنيه القرمطي، وكاتب الهفتكين رجلاً يقال له: ابن الخَمَّار، وكان يُخالف اعتقادَ المصريّين ويقول: هؤلاء كفَّار ويجبُ قتالُهم.

---

(١) في تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣٢: فيسترجعه الفتكين ويسترجله ويهم أن يقبل منه، وانظر الكامل ٨/ ٦٥٨.

واشتدَّ الأمرُ بجوهر، فاحتال في الخَلاص، فراسل هفتكين، وسألَه القُربَ منه، فأجابه، ووقفا على فَرسيهما سرًّا، وقال له جوهر: قد علمتَ ما يَجمعُني وإياك من عصمة الإسلام وحرمة الدين، وهذه فتنةٌ قد طالت، وأُريقت فيها دِماءٌ، ونحن المؤاخذون بها عند الله، وقد دَعوتُك إلى الصُّلْحِ والمُوادَعة، وضَمِنْتُ لك ما أردْتَ فأَبيتَ، فقال: معي في الرَّأي القرمطي، وبيني وبينه أيمان، فقال: إذا كان الأمر كذا فأنا ألتَمِسُ منك أن تأذَنَ لي في الخروج من عَسْقلان إلى مصر بمن معي، ونَسير تحت ذِمامك، وسوف ترى ما أفعل، فقال: بشرط وهو أن أُعلِّق سيفي على باب عَسقلان ورُمْحَ القرمطي، وتخرج أنت وأصحابك من تحتهما، فقال جوهر: جزاك الله خيراً فقد تفضَّلْتَ وأحسَنْتَ، لَأَحْدِرَنَّه.

وعاد الهفتكين فأخبر القرمطي فقال: ما فعلت مصلحة! ارجعْ عن هذا فإنها خَديعة، ودعْهم يموتون جوعاً، أو تأخذهم بالسيف فإن جوهراً صاحب مَكرٍ وخَديعة، فقال: قد كان وحَلَفْتُ له وما أَغْدِر به.

وأصبح جوهر وأصحابه، فخرجوا من تحت سيف الهفتكين ورمح القرمطي، وسار إلى مصر، واجتمع جوهر بالعزيز، وشرح له الحال، فقال: ما الرَّأي؟ فقال: أن تَخرجَ بنفسك، وإلا فإنهم وارِدون على أثَري.

ففتح العزيز بيوتَ الأموال، وبرَز بالعساكر، واستصحب الذَّخائرَ وتوابيتَ آبائه، وسار جوهر على مُقدِّمته إلى الرَّمْلَة والهفتكين والقرمطي بها، فنزل العزيز وبينهما مقدار فَرسخ، والتقى الصَّفَّان والهفتكين يلعب بين الصفَّينِ بسلاحه، فقال العزيز لجوهر: أرني الهفتكين، فأراه إياه وعليه كَزاغَنْد أصفر[1]، وهو تارةً يضرب بالسيف، وتارةً باللتّ، وتارةً يطعن بالرُّمح، والناس يَتحامونه، فأَعجبَ العزيزَ ما رآه من فروسيته، فانفرد العزيز، وصعد على رابيةٍ وعلى رأسه المِظَلَّة، وأرسل رِكابيًّا إلى الهفتكين وقال: قل له: أنا العزيز، وقد أزْعَجْتَني من سرير مُلكي، وأحْوَجْتَني إلى مُباشرة الحرب، وقد عفوتُ عنك، فاترُك ما أنت عليه ولك عليَّ عهدُ الله وميثاقُه أن أصطَنِعَك، وأجعلك إِسْفَهْسَلار عسكري، وأهَبُ لك الشَّامَ بأسرها.

(١) سترة مضرّبة محشوة متخذة من القطن أو الحرير تستخدم عوضاً من الدرع. تكملة المعاجم ٩/ ٧٧.

فجاء الرِّكابيّ إليه، وأدّى الرِّسالة، فخرج من العَسْكر بحيث يراه الناس، وتَرجَّل، وقبَّل الأرضَ مراراً، ومَرَّغ خَدَّيه وقال: قل له: يا مولاي، لو تقدَّم هذا القول منك لسارعتُ إلى أمرك، فالآن ليس إلا ما ترى، فأبلغَه ذلك، فأعاد الركابيَّ إليه وقال: قل له: يَقرُبُ مني بحيث أراه ويراني، فإن استَحْقَقْتُ منه أن يَضربَ وَجهي بالسيف فلْيَفْعل، فقال: قل لمولاي: ما كنتُ ممَّن أُشاهدُ طَلْعَتَه وأنابذُه الحرب، وقد خرج الأمرُ عن يدي.

ثم حمل على مَيسرة العزيز فهزمها، فأرسل العزيز إلى الميمنة فأمرها بالحَمْلَة، وكان هو في القلب، وحمل وعلى رأسه المظلَّة، فانهزم الهفتكين والقرمطي، وقُتل من أصحابهما نحو عشرين ألفاً، وقال: مَن جاءني بالهفتكين أو القرمطي فله مئة ألف دينار.

وكان الهفتكين يميل إلى المُفَرِّج بن دَغْفَل بن الجرَّاح الطائي، وكان أمْرَدَ وَضيءَ الوجه، فاتَّفق أنَّ الهفتكين لما انهزم قَصدَ ساحلَ البحر ومعه ثلاثة أنفس وقد أجْهَدَه العَطَش، فلقيه المفرِّج في سَريَّةٍ من الخيل، وسقاه ماءً، فقال له: احملني إلى أهلك، فجاء به إلى قرية يقال لها: لُبْنى، فأجلسه هناك، ووَكَل به جماعة، وجاء إلى العزيز فتوثَّق منه في المال، ثم أخبره أن الهفتكين قد حَصَل في يده، ومضى، وجاء به، فأمر العزيز بأن يُضْرَب له نوبة من مَضاربه الخاص، وفَرش فيها فُرشه، وأَحضر جميع ما يحتاج إليه، وأنزله في المضرب، ولم يَشكّ أنه مَقتولٌ، وأمر بأصحابه الأُسَراء فضُربت لهم المضارب، وحُملت إليهم فنون الفُرُش والأطعمة، وبعث له العزيز دَسْتاً من دُسوته، فقام وقَبَّل الأرض، وبكى، وعَفَّر خَدَّيه في التُّراب وقال: ما أستحقُّ إلا القتل، ولكن مولانا أبى إلا ما تقتضيه أعْرافُه الشَّريفة، ولم يَقْعُد في الدّست، وبعث له الخِلَع والثِّياب والتُّحَف مع الخدم، وأعلموه أن العزيزَ قد عَفى عنه.

فلما كان الليل جاء العزيزُ إلى مَضْرَبِه بنفسه، فقام وقَبَّل الأرض، وحثا التُّرابَ على رأسه، وجعل يَبكي ويَنتَحِب، فقال له العزيز: ما نَقمتُ عليك إلا كوني دعوتُك إلى مُشاهدتي؛ لعلك أن تَستحي مني، فأبيتَ، والآن فقد عَفوتُ عما جرى، ورَضيتُ عنك، وسوف تَرى ما أفعلُ معك.

ثم نزّل أصحابَه على مَقاديرِهم، وأسنى أرزاقَهم، ورفَع منازلَهم، واستَحْجَبه العزيز، وجعله من خاصَّته، ثم بعث العزيز النُّجُب[١] بالكُتب، فلَحِقوا الحسنَ بنَ أحمد القِرمطي بطَبريَّة، فأعادوا عليه الرسائل، وأن العزيز قد عفا عما جرى، وسأله أن يَطأ البِساط فامتنع، وتقرَّر الحالُ على أنه يَدخل في طاعة العزيز، وأن يحمل إليه في كل سنة سبعون ألف دينار، فرضي، وعَجَّل له برِزقِ سنةٍ، فأخذه، وعاد إلى هَجَر.

ورجع العزيز إلى القاهرة، وأنزل الهفتكين في دار عظيمة، ونقل إليها الآلات والمال والتُّحَف، وسَلَّم إليه بابَه وحِجابتَه، وشرع الهفتكين في التكبُّر على وزير العزيز يعقوب، ولم يلتفت إليه، فدَسَّ إليه الوزير مَن سَقاه السمَّ فمات، فحزن عليه العزيز، واعتقل الوزير نَيِّفاً وأربعين يوماً، فأُنكرت الأموال فأَطْلَقَه[٢].

وفي رمضان ورد تابوتُ حَمدان بن ناصر الدولة إلى بغداد، فدُفِن في مقابر قريش، وُجد مقتولاً في بعض القِلاع [ولا يُعْرَف له قاتلٌ]. وحجَّ بالناس أبو عبد الله العَلَويّ.

وفيها توفي

أحمد بن جعفر

ابن حَمدان بن مالك بن شَبيب، أبو بكر، القَطِيعيّ، البغدادي.

ولد في المحرَّم سنة أربع وسبعين ومئتين.

كان عبد الله بن الإمام أحمد بن حنبل يأتي إلى منزل القَطِيعي وهو صغير، فيُقْعِده في حجره ويُسمعه، فتقول أُمُّه وهي بنت أخي أبي عبد الله الجَصَّاص: أبا عبد الرَّحمن إنه يؤلمك؟ يعني: قُعوده في حجرك، فيقول عبد الله: إني أُحبه.

وتوفي وقد جاوز التسعين، ودُفن قريباً من الإمام أحمد رحمه الله[٣].

---

(١) الإبل أو الخيل القوية السريعة الخفيفة المعدة للبريد.

(٢) انظر تاريخ دمشق لابن القلانسي ٣١ ـ ٣٧، والكامل ٨/ ٦٥٦ ـ ٦٦١، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٨٨ ـ ١٩٠. ومن قوله: ذكر حصول والدة عز الدولة عند هفتكين... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٣) تاريخ بغداد ٥/ ١١٦، والمنتظم ١٤/ ٢٦٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٨٢، والسير ١٦/ ٢١٠. ومن قوله: وحج بالناس أبو عبد الله العلوي... إلى هنا ليس في (ف م م١).

[فصل وفيها توفي

تميم بن مَعَدّ

ومَعَدّ هو المُعِزّ] خليفة مصر[(١)].

كان تميم أمْيَزَ أولاده، فاضِلاً، جَواداً، سَمْحاً، يقول الشِّعر.

[وجرت له قصةٌ عجيبة أنبأنا بها غيرُ واحدٍ عن عبد الوهَّاب بن المُبارك الأنماطيّ بإسناده إلى أبي علي] الحسن بن الأشكري المصري قال: كنتُ[(٢)] من جُلَساء الأمير تميم بن المعزّ، فبعث إلى بغداد، فاشتُرِيَت له جاريةٌ من أحسنِ النساء وأحذَقِهم بالغناء، فلمَّا وَصلت إليه دعا نُدماءه وأنا فيهم، فلما أكلْنا مُدَّت السِّتارة وهي خلفها، فأمرها بالغناء فغنَّت تقول: [من الكامل]

وبدا له من بعد ما انْدَمَلَ الهَوى ... بَرْقٌ تألَّقَ مَوْهِناً لمَعَانُه

يبدو كحاشيةِ الرِّداءِ ودونَه ... صَعْبُ الذُّرى مُتَمَنِّعٌ أركانُه

فبَدا لِيَنْظُرَ كيف لاحَ فلم يُطِقْ ... نَظَراً إليه وصَدَّه سَجَّانُه[(٣)]

فالنَّارُ ما اشْتَمَلَتْ عليه ضُلوعُه ... والماءُ ما سَمَحَتْ به أجْفانُهُ

فطَرِب تميم والجماعة، ثم أمرها بالغناء فغنَّت: [من البسيط]

أَستودِعُ اللهَ في بغدادَ لي قَمَراً ... بالكَرْخِ من فَلَك الأَزْرارِ مَطْلَعُه

[وفي رواية:

أشتاقه وبودِّي لو يُودِّعُني ... روحُ الحياةِ وأنِّي لا أُوَدِّعُهُ]

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، بدله في (خ ب): تميم بن المعز بن معد خليفة مصر. هذا وقد تبع المصنف جدَّه في ذكر تميم في وفيات هذه السنة، وتبع ابنُ تغري بردي المصنفَ، انظر المنتظم ١٤/ ٢٦٢، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٣٣، وذكر القاضي ابن خلكان في وفياته ١/ ٣٠٣، والذهبي في تاريخه ٨/ ٣٩٨، والمقريزي في المقفى ٢/ ٥٨٨ أن وفاته سنة (٣٧٤ هـ).

(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وجاء بدله في (خ ب): قال علي بن الحسن الأشكري المصري كنت، والخبر في جذوة المقتبس ٧١، والمنتظم ١٤/ ٢٦٢، والمقفى ٢/ ٥٩٧، ووفيات الأعيان ٥/ ٣٣٧ - ٣٣٩.

(٣) في (خ ب): سبحانه، وفي (م م ١): أشجانه، والمثبت من (ف).

فاشتدَّ طَرَب تَميم، وأفرط جداً، وقال لها: تَمنَّي ما شئتِ فلك مُناك، فقالت: أتمنَّى عافيةَ الأمير وبَقاءه، فقال: والله لابدَّ أن تتمني، فقالت: على الوفاء أيها الأمير؟ قال: نعم، قالت: أتمنَّى أن أُغنِّي هذه النَّوبةَ ببغداد، فاسْتُنقع لونُ تميم وتغيَّر، وتكدَّر المجلس، وقام وقُمنا.

قال ابن الأشكري: فلَحِقَني بعضُ خَدَمه وقال: ارجع إلى الأمير فهو يَدعوك، فرَجَعْتُ إليه فقال: هل رأيتَ ما امتُحِنَّا به؟ قلتُ: نعم، قال: لابدَّ من الوَفاءِ لها، وما أَثِقُ في هذا بغيرك، فتأهَّبْ لتَحْمِلَها إلى بغداد، فإذا غَنَّتْ هناك فارجع بها، فقلت: سَمْعاً وطاعة.

فجَهَّزها في مَحْمِلٍ ومعها جاريةٌ سوداء تَخدِمها، ومَضَينا إلى مكة، وقضينا حَجَّنا، وسِرْنا مع القافلة إلى بغداد، فلما نَزلْنا القادِسيَّةَ جاءت الجاريةُ السَّوداء فقالت: إنها تقولُ لك: أين نحن؟ قلت: بالقادسيَّة، فأخبَرَتْها، فلم ألبث أن سَمعتُها قد انْدَفَعَتْ تُغَنِّي هذه الأبيات: [من مجزوء الكامل]

لـمـا وَرَدْنـا الـقـادِسـيَّـةَ حـيـث مُـجْـتَـمَـعُ الـرِّفـاق
وشَـمـمْـتُ مـن أرضِ الـحـجـازِ نَـسـيـمَ أرواحِ الـعِـراق
أيـقَـنْـتُ لـي ولـمـن أُحِـبُّ بـجَـمْـعِ شَـمْـلٍ واتِّـفـاق
وضَـحِـكْـتُ مـن فَـرَحِ الـلِّـقـاءِ كـمـا بَـكَـيـتُ مـن الـفِـراق

فتصايَحَ الناسُ من كل مكان: بالله أعيدي، فما سُمع لها كلمة، ونزلْنا قريةَ الياسِريَّة يَبات[١] الناس بها ويُصبحون فيَدْخلون بغداد، فلما كان وقت الصَّباح إذا بالسَّوداء قد أتَتْني مَذْعورة، فقلت: ما الخبر؟ قالت: ذهبت سِتّي فلا أدري إلى أين، فلم أُحِسّ لها أثراً، فأقمتُ، وقَضيتُ حوائجي، ورجعتُ إليه فأخبرتُه الخبرَ، فعَظُم عليه، وما زال ذاكراً لها واجِماً عليها[٢].

(١) في (خ): يبيت، والمثبت من (ب ف م م١)، وهما بمعنى.
(٢) بعدها في (ف): متأسفاً، وفي (م): حتى مات والله أعلم. والتراجم الثلاث الآتية ليست في (ف م م١).

الحسن بن عبد الله

ابن المَرْزُبان، أبو سعيد، السِّيرافي، القاضي، النَّحْوي.

كان أبوه مَجوسياً واسمه بَهْزاد، فسمَّاه أبو سعيد عبد الله.

سكن الحسن بغداد، ووَليَ القضاء بها، وكان مُفتنًّا في علوم القرآن، والنّحو، واللغة، والفقه، والفرائض، والكلام، والعَروض، والقوافي، والحساب، وسائر العلوم، وشرح كتاب سيبويه، وله التَّصانيف الحِسان.

وجمع بين هذه العلوم والزُّهدِ في الدنيا والوَرَع، فكان لا يخرج كلَّ يومٍ إلى مجلس القضاء والتدريس حتى يكتبَ عشرَ وَرَقات، يأخذ أُجرتها عشرة دراهم تكون قدْرَ مؤنته منها، وكان يكتب خطاً حَسناً يُضاهي به خطَّ ابنِ مُقْلَة، ثم يخرج إلى الناس.

وكان نَزِهاً عَفيفاً، وكانت وفاتُه في رجب عن أربع وثمانين سنة، ودُفِنَ بمقابر الخَيْزُران قريباً من قبر أبي حنيفة، وهو ثقة[١].

عبد الله بن محمد بن وَرْقاء

أبو أحمد الشَّيباني.

من أهل البيوتات، وأسرته من أهل الثُّغور.

قال: أنشدنا ثعلب، أنشدنا ابنُ الأعرابي في صِفةِ النِّساء: [من الطويل]

هي الضِّلَعُ العَوْجاءُ أنّى تُقيمُها ألا إنَّ تَقويمَ الضُّلوعِ انكِسارُها
أيَجْمَعْنَ ضَعْفاً واقتداراً على الفتى أليس عَجيباً ضَعْفُها واقتِدارُها[٢]

وكانت وفاتُه ببغداد في ذي الحجة وسنُّه تسعين سنة[٣].

(١) تاريخ بغداد ٨/ ٣١٦، والمنتظم ١٤/ ٢٦٤، ومعجم الأدباء ٨/ ١٤٥، والسير ١٦/ ٢٤٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٨٧.

(٢) تاريخ بغداد ١١/ ٣٥٤، والمنتظم ١٤/ ٢٦٦، وذم الهوى ١٧٣.

(٣) في (ب): في ذي الحجة عن تسعين سنة.

محمد بن محمد

ابن يعقوب، أبو الحُسين، النَّيسابوري.

من ولد الحجَّاج بن الجَرَّاح، قرأ القرآن، وسمع الكثير، وكان عبداً صالحاً، ثَبْتاً، حافظاً، ثقةً، صدوقاً، صنّف «العِلَل»، و «الشيوخ»، و «الأبواب».

وكانت وفاتُه في ذي الحجة عن ثلاث وثمانين سنة.

وكان نَسيبَ الحاكم أبي عبد الله، وأثنى عليه فقال: أبو الحسين الحجَّاجي، العبد الصالح، الصَّدوق، الثبت، كان من الصالحين المجتهدين في العبادة، صَحبتُه نيِّفاً وعشرين سنة ليلاً ونهاراً، ما علمتُ أن الملائكةَ كتبت عليه خطيئةً، رحمة الله عليه[1].

(١) تاريخ بغداد ٤/ ٣٦٣، وتاريخ دمشق ٦٤/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٩٥، والسير ١٦/ ٢٤٠.

السنة التاسعة والستون وثلاث مئة

فيها لما عاد عضد الدولة إلى بغداد من الموصل وقد استولى على بلاد أبي تَغْلب بن حَمدان وأمواله وذَخائره؛ سأل الطائعَ أن يُجدِّدَ له العَهْد، ويَخلَع عليه، فجلس على سريره، واحتفل له، وخلع عليه كما خلع في أول مرة وزيادة، فقال أبو إسحاق الصابئ على البَديه وهو مسجون: [من المنسرح]

يا عَضُدَ الدولةِ الذي عَلِقَتْ يداه من فَخره بأعْرَقِهِ
لَبستَ للمُلْك تاجَ مِلَّتِه فحُزْتَ من غربه ومَشْرِقهِ
أَحْرَزْتَ منه الجَديدَ في عُمُرٍ أطالَه الله غيرَ مُخلِقِه
يَلوحُ منك الجَبينُ مُبْتَهِجاً[(١)] لِحاظُنا من ضياء رَوْنَقِهِ
كأنه الشَّمسُ في إنارتها ويُشبه البَدْرَ في تألُّقِهِ
لما رأيتُ الرجالَ تُنشِدُه من كُلِّ فَحْلِ القَريضِ منطقه[(٢)]
فقال لي خاطري أتَطمَعُ أن تُساجِلَ البَحْرَ في تَدَفُّقِهِ
خَفِّفْ وأوجِزْ فقلتُ مُخْتَصِراً للقولِ في جِدّه وأَصْدَقِهِ
يَفتَخِرُ النَّعلُ تحت أَخْمَصِهِ فكيف بالتَّاجِ فوق مَفرِقِهِ

قلت: ذكرُ النَّعلِ والتَّاجِ واقترانهما غيرُ مُسْتَحْسَن[(٣)].

وفي المحرَّم توفي أبو الحسن عمران بن شاهين صاحب البَطيحَة فُجاءة.

وفي صفر قُتل أبو تغلب بن ناصر الدولة.

وفيها قَبض عضد الدولة على الشَّريف أبي أحمد الحسين بن موسى الموسويّ وأخيه أبي عبد الله أحمد، وقُلِّد أبو الحسن علي بن أحمد بن إسحاق العَلويّ نقابةَ الطَّالبيين ببغداد وواسِط، وقُلِّد أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى نقابتهم بالكوفة، وأبو الحسن أحمد بن القاسم المُحَمَّدي نقابتهم بالبصرة والأهواز، وحَدَر بالشَّريفين أبي أحمد وأخيه إلى بعض قِلاعِ فارس، فاعتُقلا فيها.

(١) كذا في (خ) و(ب)، ولعلها: فابتهجت.
(٢) في المنتظم ١٤/ ٢٧١: مفلقة، وبعده بيت لم يذكره المصنف.
(٣) من أول السنة إلى هنا ليس في (ف م ١).

واحتجَّ عضد الدولة على أبي أحمد بأشياء منها: أنه أخرج خَطًّا مُزَوَّراً عليه إلى أبي تغلب بإفشاء سِرٍّ كان بينه وبين عضد الدولة، فقال له: ائتمنَّاك على سِرِّنا فأفشَيْتَه إلى عدوِّنا، فقال: أما الخطُّ فوالله ما كتبتُه، ولا أفشَيتُ لك سرًّا فقال: بلى، وخنتني في العقد الجوهر الذي بَذَله بختيار في الغُلام، فقال: والله ما خُنتك؛ لأنك رضيتَ بالجاريتين، فما جاز لي أن أخونَ بختيار.

وأما أحمد أخو الشريف فما كان له ذَنبٌ، وإنما اختار أن يكون مع أخيه وقال: والله ما أُفارق أخي، فاعتُقلا.

وفيها قَبض عضد الدولة على أبي محمد عُبيد الله بن مَعروف القاضي، وأنفذه إلى فارس، فاعتقله في قلعة، وقُلِّد قضاء القُضاةِ مكانه أبو سعد بِشرُ بن الحسين ـ وكان شيخاً كبيراً ـ وكتب عهده من الطائع، وردَّ إليه أمرَ القُضاةِ بأسرهم، منهم: أبو محمد عبد الله بن محمد بن [عبد الله بن] إبراهيم ابن الأكفاني[1]، كان على مدينة أبي جعفر، ومحمد بن عبد الله بن صُبَر على الرُّصافَة من باب الشمَّاسية إلى المُخَرَّم، وأبو محمد العُثماني على مدينة الشَّرقية، وأبو بكر بن عبد الله بن الأزرق على جسر النَّهْرَوان وطريق خُراسان، وأبو الحسن عبد العزيز بن أحمد الخَرَزي حَريمَ دار الخلافة وما يليها، وأبو إبراهيم إسماعيل بن الحسن العَلَوي واسطاً وما يليها، وأبو العباس المنصوري أرَّجان ورامَهُرْمُز ونواحيها، وأبو حازم علي بن عبد الله بن مكرم الأنبار وطريق الفُرات، وأبو بكر أحمد بن أبي موسى الهاشمي ديارَ ربيعة، ونَصِيبين، وبَرْقَعيد، وكَفَرْتُوثا، ودارا، ورأسَ عين، والخابور، وطُورَعَبْدين ونحوهما[2]، وأبو تمام عبد الكريم بن علي بن أبي حُصين المَوْصل وأعمالها، وأبو محمد عبد الله ابن محمد بن عُقبة الرَّحْبَة، والدَّالية، وقَرْقِيْسِيا، وعانة، والرَّقَّة ونواحيها[3]، وأبو بكر

(١) ما بين معكوفين من تاريخ بغداد ١١/ ٣٧٠، والسير ١٧/ ١٥١.

(٢) كذا في النسخ، ولعلها: ونحوها، أو وتخومهما، والله أعلم.

(٣) في (خ): وعامة الرقة ونواحيها، وفي (ب): وعامة والرقة ونواحيها، وليس في (ف م م١) لاختصار طويل ترد الإشارة إليه، ولعل المثبت هو الصواب إن شاء الله، فإن عانة بلد مشهور بين الرقة وهيت يعدّ في أعمال الجزيرة وهي مشرفة على الفرات. انظر معجم البلدان ٤/ ٧٢ (عانة).

عبد الله بن الحسين بن إسماعيل المَحامِليّ ديارَ بكر وهي: آمِد، ومَيَّافارِقين، وأَرْزَن، وبَدْليس، وخِلاط ونواحيها وغير ذلك.

ذكر ما جرى للقاضي عُبيد الله بن مَعروف مع عَضُد الدَّولة:

قال أبو علي المُحَسِّن التَّنوخيّ: أراد عضد الدولة أن يجمع مجلساً فيه القضاةُ والشُّهود والفقهاء والوجوه، وإحضار ابنِ مَعروف وتفسيقَه بحضرتهم، فقلت له: يا مولانا، الرجل وَقاح، وقد يئس من نفسه، وربما أجاب جواباً يُحفظ ويُحفظ عنه، وهو أقلُّ من أن تَبلُغَ به هذا، فسكت ـ ومعنى يحفظ عنه: أنه يُفَسِّقُ عضد الدولة.

قال ابن معروف: لما حَبسني عضد الدولة أرسل إليَّ يقول: إنا أحسَنَّا إليك حالاً بعد حال إحساناً لم يقع منك رعايةٌ له؛ لما قَدِمنا إلى الحضرة في سنة أربع وستين وثلاث مئة وجَدْناك مَصروفاً، وضُرب أخوك بالسِّياط، وشُهر على الجِمال، وتُعُوِّضَ منك بأبي الحسن محمد بن صالح الهاشمي الذي من صفته كذا وكذا... ومَدَحه، فرَدَدْناك إلى العمل، وأعَدْنا من جاهك ما سَقط وبَطَل، وبَلَّغنا إقطاعَك في كلِّ سنة مئةً وأربعين ألف درهم، وما ارتَزقها قاضٍ قبلَك، وانصرَفْنا من العراق فصِرت من المُجْلِبين علينا، وكان بختيار وابنُ بقية يَذكرانا في مجالسهما ذكراً يتجاوزان الأدب به فتُساعدهما عليه، وتشاركهما فيه. ووردنا ثانياً فحَضَّرتَ[1] رسالةً من الخليفة قلت: مولانا أمير المؤمنين يأمر سيّدنا الملك بكذا وكذا، تقصيراً لنا، ثم دخلتَ إلى حضرتنا بخُفِّ ديباجٍ أصفر مُستهيناً بأمرنا، ثم أمرناك أن تَستخْلِف أبا بكر بن صُبَر فقلت: لا يَصلح، وراجعْناك وقلنا: لِمَ لا يَصلح؟ فقلت: لأني قلتُ لا يَصلح، ثم لما قَبَضْنا عليك وَجَدْنا في بيتك الملاهي مما لا يكون مثلُه في دور القضاة وأهل التَّصوُّن، وقيل لنا: إنك تجلس في مجلس الحُكم وأنت جُنُب، وتَشرب النَّبيذ وأنت غير مُتحاشٍ ولا مُحْتَشِم، وتَحضُر مجالسَ بختيار وابن بقية وتسمع أغانيهما، وتدخل معهما في هَزْلهما ولَهْوهما، ومَن كان بهذه الصفة لا يَصلُح أن يكون أهلاً للقضاء.

(١) كذا، ولعلها، وحبّرت، ولم أقف على الخبر فيما بين يدي من مصادر.

فقلت للرسول: كلُّ ما ذكر مولانا فقد حُرِمت فيه التوفيق، وفارقْتُ فيه الصَّواب، وفي عفْوِ مولانا الملك ما يدعو إلى مُسامحتي والصَّفح عني؛ فقال لي الرسول: قد قال لي الملك أنك ستُجيب بهذا الجواب، وأمرني أن لا أَقْنَع منك إلا بالجواب عن كلِّ بابٍ، فقلت: أخاف أن أقولَ قولاً يَتجدَّد لي به ذنبٌ مُستأنَف، فإن كنتُ آمناً من ذلك قلتُ.

فمضى الرسول وأخبره فقال: هو آمن، فرجع إلي وقال: أنت آمِن، قل ما عندك، فقلت:

أما قول مولانا الملك: إني كنتُ مَصروفاً فأعادني إلى العمل؛ فما كنتُ مصروفاً، وإنما امتنعتُ من النَّظَر، وسألني بختيار وابن بقية المُقام عليه فأَبيت.

وأما تفضُّلُ مولانا في تقليدي فما أَدفعُه.

وأما زيادتُه في إقطاعي فإنه قال لي وقد أخرجني إلى الخليفة: رُدَّه بلُطفٍ ونُقابلك عليه من الإحسان بما تؤثره، فبذَلْتُ في الخدمة جُهدي، حتى انتهى الأمر إلى المراد، فأنعم علي بزيادة الإقطاع مما أنا مُعترفٌ بالنِّعمةِ فيه، وشاكر عن المنَّةِ به.

وأما حضوري مجالسَ بختيار وابن بقية فو الله ما شاركتُهما في قولٍ قالاه، ولا كان ذلك مما يَسوغُ لمثلي.

وأما قولي في رسالة الخليفة: سيدنا الملك؛ فإن سيدنا أعظم من مولانا.

وأما لُبسي الخفَّ الديباج فهو أعظم من دخولي على الحضرة بخفٍّ من جلود.

وأما ابن الصُّبر فأنا مَوسومٌ بأمرٍ لا يجوز لي فيه إلا الصِّدقُ.

وأما ما وُجد في داري من الملاهي؛ فقد كنتُ ابتعتُ جَواري ولم أدرِ ما كان معهنّ، وهن اليوم عندكم، فسَلوهنَّ هل استدعيتُ أحداً منهن إلى مَلهاة.

وأما جلوسي في مجلسِ القضاء جُنباً فوالله ما فعلتُه، ولو فعلتُه لجاز حُكمي بإجماع الأُمّة.

وأما شُربُ النَّبيذ فإنني رجلٌ حَنفيّ أعتقد شُرْبَه حلالاً، وهذا جواب عن الفضول، ومع هذا فيسَعُني عفوُ مولانا الملك.

فلما أعاد الأجوبةَ إلى عضد الدولة قال: قد علمنا أنه سيُجيب.

ثم أمر بحَمْلِه إلى قلعةٍ بفارس، وكان قَبْضُه عليه في صفر هذه السنة، فأقام محبوساً إلى أن أطلقه شرف الدولة عند انتقال المُلْكِ إليه.

وكان عضد الدولة يظنُّ أن الطائعَ يَنزعج بقبضه عليه لكونه كان خَصيصاً به، فأرسل عضد الدولة مع ابن الحاجب النعمان إلى الطائع يُعَرِّفُه ذنوبَه، ويقول: نَزَّهْتُ مولانا أمير المؤمنين أن يَنتسب إلى خدمته مثلُه، فقال: نِعْمَ ما فعلتَ.

وفيها جَهَّز عضد الدولة أبا القاسم المُطَهَّر بن عبد الله إلى البَطيحة لقتال أبي محمد الحسن بن عمران بن شاهين، وكان قد قام مقام والده عمران لما مات، فقيل لعضد الدولة: إن الحسن لا يُقيم البطيحة بعد أبيه، فخلع عضد الدولة على المُطَهَّر، وجهَّزه بالمال والرجال والقوَّاد، فاستخلف ببغداد على الوزارة أبا الريَّان حمد بن محمد، فقطع المُطهّر الأنهار وسدَّ أفواهَها، وعمل المُسَنَّيات الموصلة إلى التِّلال والمعاقل، وأطلق المالَ الكثير.

وكان البَطائحيون يُفسدون ما كان يعمل، وكانوا يَخرجون فيقاتلون العَسكر، وكلما سدَّ مكاناً فتحوه، فأقام شهوراً كثيرة، ونَفَقت الأموال، وتضاعفت المؤن، وكتب إليه عضد الدولة يَستبطئه، ويَنسبه إلى العَجْز، فخاف، وضاق صدرُه من طول المقام، وقد[1] افصدني. فقال: أنت قريبُ عهدٍ بالفَصْد، فشتمه وطَرده، وأخذ سكّيناً فقطع رواشن[2] ذراعيه، فاستصفى ومات، وحُمل إلى بلده كازَرون، فدُفن به، واضطرب العَسكر، وبعث أبو محمد الحسين بن عمران يطلب العَفْوَ من عضد الدولة، وأن يَحمل إليه مالاً قرَّره عليه، فأجابه، وأعاد العسكر إلى بغداد[3].

وفيها تزوَّج الطائع بنتَ عضد الدولة الكبرى، وعُقد العقدُ بحضرة الطائع على صَداقٍ مَبلغُه مئتي ألف دينار، وكان الوكيل عن عضد الدولة في العقد أبو علي الحسن ابن أحمد الفارسي النَّحوي، والخطيب القاضي أبو علي المُحَسِّن بن علي التَّنوخيّ.

---

(١) في (خ ب): وقد أقصدني، وليس في (ف م م١) لاختصار نشير إليه قريباً، وفي النص سقط ظاهر، لعل صوابه: وقال للطبيب افصدني.

(٢) في الكامل ٨/ ٧٠١ : شرايين .

(٣) من قوله: وفيها قبض عضد الدولة على الشريف أبي أحمد... إلى هنا ليس في (ف م م١).

وفي شعبان وَرد رسولُ العزيز صاحب مصر إلى عضد الدولة، ويكنى بأبي الوليد، وما زالت كتُبه تتواتر حتى أجابه عضد الدولة بصِدْقِ الطَّوِيَّة، وإخلاصِ النية.

وذكر ابن الصابئ ما يدلُّ على أن عضد الدولة ابتدأه بالرسالة فقال: وقفتُ على هذا الكتاب وفيه: من عبد الله وليّه نزار أبي المنصور الإمام العزيز بالله أمير المؤمنين إلى عضد الدولة الإمام ونصير ملَّة الإسلام أبي شُجاع بن أبي علي: سلامٌ عليك، فإن أمير المؤمنين يَحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو، ويسأله الصلاةَ على جدِّه محمد رسول رب العالمين، وحُجَّة الله على الخلق أجمعين، صلاةً باقيةً ناميةً مُتَّصِلةً دائمةً بعترتِه الهادِية، وذُرِّيتِه الطيبة الطاهرة.

وبعد: فإن رسولك وصل إلى حضرة أمير المؤمنين مع الرسول المُنْفَذ إليك، فأدَّى ما تحمَّلَه عنك من إخلاصك في ولاء أمير المؤمنين ومَودَّته، ومعرفتك بحقِّ إمامته، ومحَبَّتك لآبائه الطائعين الهادين المهديين، فسُرَّ أمير المؤمنين بما سمعه عنك، ووافق ما كان يَتوَسَّمه فيك، وأنك لا تعدل عن الأحقِّ والأولى، والأفضل والأحرى، إلى الأَرْذَل والأدنى... وذكر كلاماً في هذا المعنى وقال:

وقد علمتَ ما جرى على ثغور المسلمين من المشركين، وخرابَ الشَّام وضعف أهله، وغلاءَ الأسعار، ولولا ذلك لتوجَّه أمير المؤمنين بنفسه إلى الثُّغور، وسوف يُقدِّم الخِيَرة، وكتابُه يَرد عليك عن قريب، فتأهَّب للجهاد في سبيل الله.

وذكر كلاماً هذا معناه وفي آخره: وكتب يعقوب بن يوسف عبد مولانا أمير المؤمنين.

وكتب إليه عضد الدولة كتاباً يَعترِفُ بفضل أهل البيت عليهم السلام، ويُقرُّ للعزيز بأنه من تلك النَّبْعةِ الطَّاهرة، وأنه في طاعته، ويُخاطبه بالحَضْرة الشَّريفة وما هذا معناه[1].

وحج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر بن يحيى العَلويّ.

---

(١) من قوله: وفي شعبان ورد رسول العزيز... إلى هنا ليس في (ف م م١).

[فصل] وفيها توفي

أحمد بن زكريا بن فارس

أبو الحُسين، اللُّغوي[١].

صاحب كتاب «المُجمل» في اللغة، وله التصانيفُ الحِسان.

وكان عالماً بفنون العلوم، [ولكن غلب عليه علم اللغة،] وروى عنه الأئمة وكانت وفاته ببغداد.

أنبأنا غير واحدٍ عن أبي الفضل محمد بن ناصر قال: أنشدنا أبو زكريا الخطيب التِّبريزي لابن فارس عند موته[٢]: [من البسيط]

يا ربِّ إنَّ ذُنوبي قد أحطْتَ بها ... عِلماً وبي وبإعلاني وإسراري

أنا المُوحِّد لكني المُقِرُّ بها ... فهَبْ ذنوبي لتوحيدي وإقراري

[ومات بعد يومين.]

وفيها توفي

أحمد بن عطاء

ابن أحمد بن محمد بن عطاء، أبو عبد الله، الرُّوْذَباريّ، ابن أخت أبي علي الروذباري، شيخ الشام في وقته[٣].

---

(١) في (ف م م١): وفيها توفي ابن فارس اللغوي واسمه أحمد بن زكريا، والمثبت من (ب خ).
وقد سبقَ المصنفَ في إيراد اسمه ووفاته في هذه السنة ابنُ الجوزي في المنتظم ١٤/ ٢٧٥، وابن الأثير في الكامل ٨/ ٧١١، قال ياقوت في معجم الأدباء ٤/ ٨٠: ولا يعاج به - يريد أن صواب اسمه: أحمد بن فارس ابن زكريا - ووُجد بخط الحميدي أن ابن فارس مات في حدود سنة ستين وثلاث مئة، وكل منهما لا اعتبار به لأني وجدت خط كفه على كتاب الفصيح تصنيفه، وقد كتبه في سنة إحدى وتسعين وثلاث مئة.
قلت: وقد صحح الذهبي في تاريخه ٨/ ٧٤٦، وفي السير ١٧/ ١٠٥ وفاته في سنة (٣٩٥ هـ)، وانظر يتيمة الدهر ٣/ ٤٦٣، وإنباه الرواة ١/ ٩٢، ووفيات الأعيان ١/ ١١٨، وفي حواشي هذه الكتب مصادر أخرى لمن أراد الاستزادة.

(٢) في (ب خ): وفاته ببغداد، وأنشد قبل موته بيومين لنفسه، والمثبت من (ف م م١).

(٣) طبقات الصوفية ٤٩٧، وتاريخ بغداد ٥/ ٥٥٢، والرسالة القشيرية ١٢٥، والمنتظم ١٤/ ٢٧٢، وتاريخ دمشق ٢/ ٦ (مخطوط)، ومناقب الأبرار ٢/ ٢١٠، والكامل ٨/ ٧١٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٩٩، والسير ١٦/ ٢٢٧.

[سكن صُور، وأثنى عليه الأئمة، فقال أبو عبد الرحمن السُّلَميّ:] كان يرجع إلى أحوالٍ اختصَّ بها، وأنواعٍ من علوم الشريعة، منها: علم القرآن[1]، والحديث، والحقائق، وتعظيم الفقر وصيانته، ومحبّته للفقراء والرفق بهم، وأخلاق في التجريد يُربي على أقرانه فيها.

[وقال القشيري في «الرسالة»: هو شيخ الشام والصّوفية في وقته.]

نشأ ببغداد، وأقام بها مدَّةً، ثم انتقل إلى الساحل فأقام بصور.

[ذكر طرف من أخباره:

حكى ابن خميس عنه في «المناقب» والقشيري] قال: كنتُ راكباً على جمل، فغاصت رِجلُه في الرَّمل فقلتُ: جلَّ الله، فقال الجمل: جلّ الله.

وكان إذا دُعي إلى دعوة في دور بعض السُّوقة أطعم الفقراء طعاماً طيباً؛ لئلَّا يَمدُّوا أيديَهم إلى طعام الدَّعوة إلا بالتَّعَزُّز، حفظاً لجانب الفقراء لئلا يُنسبوا إلى الشَّرَه، فيأتم الناسُ بطريقهم.

[قال: ودعاه رجل إلى دعوة، فحضر ومعه الفقراء، فلما خرجوا قام يمشي في أثرهم،] فاجتاز برجلٍ وهو يقع في الفُقراء ويَشتُمهم، فقال له: إيش بينك وبينهم؟ قال: استقرض مني واحدٌ منهم مئة درهم ولم يَرُدَّها علي، ولا أعلم له مكاناً، فبعث إليه الشيخ بمئة درهم، وقال الرسول: هذه من الفقير الذي استَقْرَضَها منك، وكان له عُذْرٌ في تأخيرها عنك.

ثم اجتاز بعد ذلك بذلك الرجل وهو يَمدح الفقراء ويقول: هؤلاء السَّادةُ الصُّلَحاء.

[حكى السُّلَمي وابن خميس عنه قالا:] دخل يوماً دارَ بعضِ أصحابه، فرأى فيها بيتاً مُقفَلاً، فقال: صوفي له بيتٌ مُقفَل، فكسر القُفل، وأمر ببيع كلِّ ما في البيت، وعَمِل بثمنه دعوةً للفقراء، وجاء صاحبُ البيت، فدخل فلم يجد فيه شيئاً، وجاءت زوجتُه بعده وعليها كِساء، فدخلت بيتاً وقالت: يا أصحابنا، هذا الكِساء من مَتاع

(١) في طبقات الصوفية: علم القراءات من القرآن.

البيت المُقْفَل فبيعوه، فقال لها الزوج: لمَ فعلتِ هذا؟ فقالت: اسكت، مثلُ الشيخ يُباسطنا ويَحكم علينا ونَدَّخِر عنه شيئاً.

[ذكر نبذة من كلامه:

حكى عنه في «المناقب» أنه] سئل عن القَبْض والبسط فقال: القَبضُ أوّلُ أسباب الفناء، والبسط أول أسباب البقاء.

وقال: الذَّوقُ أولُ المواجِد، فأهلُ الغَيبة إذا شربوا طاشوا، وأهل الحضور إذا شربوا عاشوا.

وقال: أقبحُ من كلِّ قَبيح صوفيٌّ شَحيح.

وقال: من قَلَّت آفاتُه اتَّصلَت بالحقِّ أوقاتُه.

وقال: مُجالسةُ الأضداد ذَوَبان الرُّوح، ومجالسة الأشكال تَلقيحُ العقول.

وأنشد له في «المناقب»: [من الطويل]

فما مَلَّ ساقِيْها وما مَلَّ شارِبٌ ... عُقارَ لِحاظٍ كأسُها يُسْكِرُ الُّلبَّا
يَدوُر بها طَرْفٌ من السِّحْرِ فاترٌ ... على شَكْلٍ[1] نُورٍ ضَوؤه يَخطِفُ القَلْبا
تُشيرُ بلَحْظٍ يَحجِبُ الخالَ حُسْنُه[2] ... تجاوزْتَ يا مَشغوفُ في حالِكَ الحُبَّا
فسُكْرُكَ من لَحظي هو الوَجْدُ كلُّه ... وصَحْوُكَ من لَفْظي يُبيحُ لك الشُّرْبا

[وحكى الخطيب عنه أنه] قال: مَن خرج يريد العلم لم ينفعه العلم، ومَن خرج إلى العلم يُريد العملَ بالعلم نفعه قليل العلم.

وأنشد له الخطيب: [من الطويل]

إذا أنتَ صاحَبْتَ الرِّجالَ فكن فتًى ... كأنَّكَ مَملوكٌ لكلِّ صَديقِ
وكنْ مثلَ طَعْمِ الماءِ عَذْباً وبارِداً ... على الكَبِدِ الحَرَّى لكلِّ رَفيقِ

ذكر وفاته:

[حكى الخطيب عن أبي عبد الله الصُّوري قال: توفي أحمد الرُّوذَباري] بقرية بين عكا وصور يُقال لها: مَنْوات في ذي الحجة من هذه السنة، فحُمل إلى صور فدفن بها.

---

(١) في مناقب الأبرار ٢/ ٢١١، وطبقات الصوفية ٥٠٠: على جسم.

(٢) في طبقات الصوفية: يقول بلفظ يخجل الصب حسنه، وفي مناقب الأبرار: يقول بلحظ يخجل الحب حسنه.

وقيل: إنه وَقَع من سَطْحٍ فمات، وقيل: مات فجأة.

[وقد وهم أبو نعيم فقال[١]: مات سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وهو يعقد[٢].

أسند عن القاضي المحاملي، وابن الزبرقان، وأبي بكر بن أبي داود وغيرهم.

وروى عنه أبو الحسن بن جُميع، وأبو الحسن علي بن جَهْضَم، وأبو عبد الله محمد ابن عبد الله بن باكويه، وآخرون]، وأجمعوا عليه.

الحسين بن علي

أبو عبد الله، البَصريّ، ويعرف بالجُعَل.

سكن بغداد، وكان من شيوخ المعتزلة، وصَنَّف على مذاهبهم، وتوفي يوم الجمعة لليلتين خلتا من ذي الحجة، وفُجِع به عضد الدولة لأنه كان مُقدَّماً عنده، ونازلاً في ألطَفِ منزلة منه.

وكان من وجوه المتكلِّمين ومُبَرِّزيهم، ومَن له المعرفة والدولة فيهم.

وكان عضد الدولة يَرى رأيَ المعتزلة، وظهروا في أيامه، وجلسوا في الجوامع، ولما قيل لعضد الدولة: هذا مَذهبٌ قد دَثَر فقال: رأيي رأيُ أبي عبد الله البَصري، فلما مات عضد الدولة تَفرَّقوا ولم يجتمعوا خوفاً من العامة[٣].

[فصل وفيها توفي

عبد الله بن محمد

الرَّاسِبيّ بغداديُّ الأصل، من كبار المشايخ وأرباب المعاملات.

[ذكر في «المناقب» أنه] قال: القلبُ إذا امتُحن بالتَّقوى نُزِع عنه حبُّ الدنيا والشَّهوات، وأُوقفَ على المُغَيَّبات.

وقال: المحبَّةُ إذا ظَهرت افتُضِحَ المحبُّ، وإذا كُتِمتْ قَتَلَتْ، وأنشد: [من الكامل]

ولقد أُفارقُه بإظهارِ الهوى ... عَمْداً ليَسْتُرَ سِرَّه إعلانُه

(١) في الحلية ١٠/ ٣٨٣.

(٢) كذا، ولم أتبينها وليست في الحلية، ولعلها: وهو ثقة. والله أعلم.

(٣) تاريخ بغداد ٨/ ٦٢٦، والمنتظم ١٤/ ٢٧٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٠١. وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

وَلَـرُبَّـمـا كَـتـمَ الـهـوى إظـهـارُه ولـربَّـمـا فَـضَـح الـهـوى كِـتْـمـانُـه
عِيُّ الـمُـحِـبِّ لـدى الـحـبـيـبِ بَـلاغَـةٌ ولـربَّـمـا قـتـلَ الـبَـلـيـغَ لـسـانُـه
كـم قـد رأيـنـا قـاهـراً سُـلـطـانُـه لـلـنـاسِ ذَلَّ بـحِـبِّـه سُـلـطـانُـه

وقال: خلق الله الأنبياء للمجالسة، والعارفين للمُواصَلة، والمؤمنين للمُجاهَدة.

وقال: أعظمُ البَلاء صُحْبتُك لمَن لا يُوافِقُك، ولا تَقدِرُ على تَرْكِه.

وقال: أعظم حِجابٍ بينك وبين الحق اشتغالُك بتدبير نفسك، واعتمادُك على عاجزٍ مثلك في أسبابك.

[صَحِب الرَّاسبي ابنَ عطاء والجَريري، ودخل الشام، ثم عاد إلى بغداد فتوفي بها في هذه السنة.](١)

أبو تَغْلِب الغَضَنْفَر

قد ذكرنا سيرته وأيامه على ترتيب السنين، ولما استولى عضد الدولة على الموصل، وديار ربيعة، وقلاع ابن حَمدان، انهزم إلى خَلاط، وقصد أرْزَن الرُّوم، فلَحِقه عسكرُ عضد الدولة مع أبي الوفاء، فحاربه، فأسر أبو السَّرايا أبا تغلب، وبعث به إلى عضد الدولة، فقتله في صَفَر.

قال المصنّف رحمه الله: وهذا لا يصحّ، والأصحُّ أن أبا تغلب لما استولى عضد الدولة على بلاده هرب إلى دمشق مُسْتَنجِداً بصاحب مصر، وبدمشقَ عَيَّارٌ يقال له: قَسَّام قد استولى عليها وتحصَّن بها، وخالف على صاحب مصر، فلم يُمَكِّنه من دخولها، فنزل ظاهرَها، ثم ارتفع إلى نَوى، وفارقه أبو الغِطريف ابنُ عمّه، وصار إلى عضد الدولة فأكرمه.

وبعث أبو تغلب كاتبَه إلى صاحب مصر يَستنجِد به، فجاء الجواب: يَحضر البِساط وعندنا كل ما يُريد، فامتنع، ورحل من نوى فنزل كَفَرعاقِب، وفارقه أخوه أبو طاهر إبراهيم باتِّفاقٍ منه، وصار إلى عضد الدولة.

(١) في (خ ب): في أسبابك وتوفي ببغداد، والمثبت من (ف م م١). وانظر ترجمته في طبقات الصوفية ٥١٣، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٢٤، وذكرا أن وفاته سنة (٣٦٧ هـ).

وبعث صاحب مصر غلاماً له يقال له: الفضل لحصار دمشق، فاجتمع به أبو تغلب وكانا على ظهور خيولهما، ووعده الفضل عن صاحب مصر بكلِّ خير، وسأله المسير إلى دمشق فامتنع، وسار الفضل إلى دمشق فلم يتمّ له أمرٌ، فعاد.

وكان بالرَّمْلَة المُفَرِّج بن دَغْفَل الطائي قد استولى عليها، فسار إلى بني عُقيل ليواقِعَهم، فلجؤوا إلى أبي تغلب فأجارهم، وحشد المفرّج والفضل، وسار إليهم أبو تغلب على باب الرملة يوم الخميس لليلةٍ بقيت من صفر، فانهزمت بنو عُقيل، وضَعُف أمر أبي تغلب، وفارقه مَن بقي معه من الأتراك إلى العراق، وبقي من غِلمانه الحَمَدانية سبعُ مئة فارس، فقاتل، فضرب بعضُ الصعاليك فَرسَه من ورائه فوقع، فأخذه المفرّج أسيراً، فشدَّ يديه ورجليه بسِلسلةٍ على ناقة، وأضمر أنه يُبقي عليه، وسمع به الفضل فجاء ليأخُذَه من المفرّج، فامتنع من تسليمه وقال: تُريد أن تتقرَّب به إلى صاحب مصر؟! فأناخ الناقةَ، وضربه بيده بسيفه حتى قَتله، وجاء بعض الأعراب فقطع يديه ورجليه؛ لأنه كان قد فعل بولَدٍ له كذلك.

وأخذ الفضل رأسَه، وسار به إلى مصر، وبعث المفرج بأُخته جميلة وعياله إلى حلب، فبعث بها ابنُ سيف الدولة إلى عضد الدولة، فحُبِست في دار المملكة، وأخذ الله بالثأر لناصر الدولة وأولاده من أبي تغلب، وصار عِبرةً للعالَمين، وبيتُ الظَّالمِ خرابٌ ولو بعد حين(١).

محمد بن صالح

ابن علي بن يحيى بن عبد الله، أبو الحسن، القاضي، القُرَشيّ، الهاشمي، العباسي، ويعرف بابن أمِّ شَيبان.

أصله من الكوفة، وأمُّ شَيبان هي والدة يحيى بن عبد الله جدِّ أبيه، اسمها كُنيتها، وهي بنت يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن يحيى بن زكريا بن طلحة بن عبيد الله التَّيمي، وأمُّ زكريا بن طلحة أم كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

---

(١) تاريخ دمشق لابن القلانسي ١٨ ـ ٤٠، والكامل ٨/ ٦٩٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٢٧٠ و ٢٩٢، والسير ٣٠٦/١٦.

وُلِد محمد يوم عاشوراء سنة أربع وتسعين ومئتين، ووَلَدَه ثلاثةٌ من الصحابة: أبو بكر وطلحة ﵄ والثالث لم يُسمّه، والأصحُّ اثنان.

قدم به أبوه بغداد من الكوفة سنة إحدى وثلاث مئة، وقرأ القرآن، وسمع الحديثَ الكثير، وتفقَّه على مذهب مالك.

وكان عاقلاً، مُتميّزاً، كثيرَ التَّصانيف.

قال الخطيب: ولا أعلم قاضياً تقلَّد القضاءَ من بني هاشم بمدينة السلام غيرُه.

وكان عضد الدولة يقول: ما وقعتْ عَيني على أحدٍ من أهل بغداد يَستحقُّ التَّفضيلَ سوى رجلين: ابن أُمِّ شَيبان، ومحمد بن عُمر العَلوي، وهما من أهل الكوفة لا من أهل بغداد.

مات ابنُ أم شيبان فجأة في جُمادى الأولى، واتَّفقوا على فضله وصدقه[1].

محمد بن علي بن الحسن

أبو بكر، التِّنِّيْسِيّ.

سمع منه الدارقطني بتِنِّيْس[2]، ورآه وحده فقال: يا أبا بكر، ما في بلدك مسلم؟! قال: بلى، ولكنهم اشتغلوا بالدنيا عن الآخرة.

---

(١) تاريخ بغداد ٣/ ٣٣٨، والمنتظم ١٤/ ٢٧٣، والسير ١٦/ ٢٢٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣١١.

(٢) في (ب) والترجمة منها: التفليسي سمع منه الدارقطني بتفليس، وهو خطأ، والتصويب من تاريخ دمشق ٦٣/ ٢٩٢، والسير ١٦/ ٢٣٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣١٢، والتراجم الثلاث الأخيرة ليست في (ف م م١).

السنة السبعون وثلاث مئة

فيها خرج عضد الدولة إلى هَمَذان فأقام بها، وقدم عليه الصاحب إسماعيل بن عبَّاد من عند أخيه مؤيَّد الدولة من الريّ، فخرج عضد الدولة للقائه بعيداً عن همذان، وبالغ في إكرامه واحترامه، وأمر أربابَ الدولة بالتردُّد إلى خدمته كلَّ يوم، وتمارض فجاء عضد الدولة إلى عيادته مرَّتين، وكلّ ذلك فعله تأنيساً لأخيه مؤيد الدولة.

وورد كتاب مؤيَّد الدولة يستطيل مقامَ الصَّاحب، ويذكر اضطرابَ الأمور بغيبته، فخلع عليه عضد الدولة الخِلَع النَّفيسة، وحمله على الخيل العِتاق بمراكب الذهب، وأقطعه إقطاعاتٍ جليلةً، وسار إلى مؤيَّد الدولة في ربيع الآخر.

وعاد عضد الدولة إلى بغداد بعد أن هَذَّب الجَبَل، وقبض على جماعةٍ من الأكراد، وأخذ قلاعَهم، فنزل النَّهْروان حادي عشر جُمادى الآخرة يوم الأربعاء، والتمس من الطَّائع أن يتلقَّاه.

قال ابن حاجب النعمان: لم تكن العادةُ جاريةً بتلقِّي الخلفاء للأمراء، وإنما فتح هذا الباب المطيع، لما ماتت أختُ مُعزِّ الدولة ركب المطيع إليه، فعزَّاه فيها، فطَمِع الأمراء في الخلفاء، فلما نزل النَّهْروان أرسل أبا الحسن محمد بن عُمر العَلويّ إلى الطائع، فوافى بابَ دار الخلافة نصفَ الليل، فقال أصحاب النَّوبة: لا سبيلَ لك إلى الوصول إلى الخليفة، فقال: طالعوه بأني جئتُ في مُهمّ، فأخبروا الخدم، فأمر الطائع بإحضاره، قال: فقبَّلتُ الأرضَ بين يديه وقلتُ: يا مولانا أمير المؤمنين، قد وصل هذا الملك، وهو من الأكابر المُعَظَّمين، والملوك المُفَخَّمين، وقد أمَّل من مولانا أن يُميِّزه على مَن تقدَّمه، ويُشرِّفه باستقباله الذي يُنبي عن جميلِ الرأي فيه، فقال الطائع: نحن على ذلك عازمون، وله مُعتَقدون.

وقيل: لم يكن للطائع نيَّةٌ في ذلك، وإنما لم يَقدِر على الامتناع، فأظهر المنَّةَ ابتداءً منه.

وعاد محمد إلى عضد الدولة فأخبره فقال: هذه خدمةٌ قد أحسنتَ المقام فيها، وبقيت أخرى لا أعرف لها سواك، قال: وما هي؟ قال: تمنع العوامّ غداً عند لقائنا من

الدُّعاء والصِّياحِ، فقلت: يا مولانا، بلدٌ قد غبتَ عن أهله زماناً، ونفوس أهله متطلِّعةٌ إليك ثم تُريد منهم السُّكوت!؟ فقال: ما أعرف ذلك إلا منك. وكان أهل بغداد قد تلقَّوْه بالكلام الفاحِشِ في نَوْبة عزِّ الدولة، فما أحبَّ أن يَدعوا له بتلك الألسُن.

قال محمد العلوي: فدعوتُ أصحابَ المعونة وقلت: قد أمر الملك بكذا وكذا، فأشيعوا أن في مُقابلةِ ذلك ضَرْبَ الأعناق، فأشاعوه، ووقفت الغلمانُ في الأماكن واحتَرزَت، فلما دخل بغداد لم يَنطق أحدٌ بحرف، فعجب من طاعة العوام للعلوي وقال: هؤلاء أضعافُ جُندنا وقد أطاعوه، فلو أراد بنا سوءاً لأوقعه، ثم عَزم على مُصادرته، فنظر في روزمانجات حسابه ألف ألف درهم باسم العلوي في معاملاته، فقبض عليه، واستولى على أمواله[١].

وهذا محمد العلوي هو الذي كان عضد الدولة يَشكره ويقول: ما رأيتُ في بغداد سوى رجلين: العلوي وابن أُمِّ شَيبان، وكان هذا فعلُه معه فكيف بمن لا يَشكره، وما عسى العوام أن يفعلوا؟! وإنما جعل ذلك وسيلةً إلى استئصاله وأخذِ ماله.

وبعد دخول عضد الدولة بغداد زُفت إلى الطائع ابنتُه، وحُمل معها من الحليّ والجواهر والثياب والأمتعة ما لم يُحمل مع غيرها[٢].

وفيها غَرِقت بغدادُ من الجانبين، وأشرف أهلُها على الهلاك، ووقَعت القَنْطَرَتان اللَّتان على الصَّراة، فغَرِم على بنائهما أموالاً كثيرة، وحجَّ بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوي، وخُطب بمكة والمدينة لصاحب مصر، ولم يُذكر الطائع.

[فصل وفيها توفي

أحمد بن سعيد بن سعد

أبو الحسين، البغداديّ، وكيل دَعْلَج بن أحمد.

سمع الكثير، وكان زاهداً عابداً، خرج حاجًّا من بغداد فتوفي بمكة، وقيل: بين المكة والمدينة في المحرم.

---

(١) المنتظم ١٤/ ٢٧٥ ـ ٢٧٧.

(٢) من بداية السنة إلى هنا ليس في (ف م م١).

حدَّث عن عبد الكريم بن أبي عبد الرحمن النسائي، عن أبيه بكتاب «الضعفاء والمتروكين»، قال الخطيب: وحدثناه عن البرقاني، وروى عنه الدارقطني هذا الكتاب وغيره. وكان صالحاً ثقة.][1]

وفيها توفي

أحمد بن علي

أبو بكر، الرَّازي، الإمام، الحَنفي.

ولد سنة خمس وثلاث مئة، وهو إمام أصحاب الرأي في وقته.

كان مَشهوراً بالزُّهد والوَرَع، وحالُه يَزيد على حال الرُّهبان.

وَرَد بغداد في شبيبته، ودرس الفقه على أبي الحسن الكَرْخي، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة، ورحل إليه المتَفَقِّهةُ من البلاد، وخوطب غيرَ مرَّةٍ في أن يَلي القضاء ببغداد فامتنع.

وله التصانيف الحسان منها: كتاب «أحكام القرآن»، وما صُنِّف مثلُه، وغيره.

وقال أبو بكر الأَبْهَرِيّ: خاطبني المطيع على قضاء القُضاة، وكان السَّفيرُ في ذلك أبو الحسن بن أبي عمرو الشَّرابي، فأبَيْتُ عليه، وأشرتُ بأبي بكر الرّازي، فأُحضر وخوطب فامتنع، فسألني أبو الحسن معونتَه على ذلك، فخلوتُ به وحدَّثتُه، فقال: تُشير عليَّ بذلك؟ قلت: لا.

ثم قمنا إلى بين يدي الشَّرابي، فأعاد خطابَه وعُدتُ إلى معونته، فقال لي الرازي: أليس قد أشرتَ عليَّ أن لا أفعل! فوَجَم أبو الحسن الشَّرابي وقال: سبحان الله، تشير علينا بإنسان وتشير عليه أن لا يفعل! فقلت: نعم، أما لي في ذلك أسوةٌ مالك بن أنس؛ أشار على أهل المدينة أن يُقدِّموا نافعاً القارئ في مسجد رسول الله ﷺ، وأشار على نافع أن لا يفعل، فقيل له في ذلك فقال: نعم، أشرتُ عليكم بنافع بأني لا أعرفُ مثلَه، وأشرتُ عليه أن لا يفعل لأنه يَحصل له أعداء وحُسَّاد، كذا أنا أشرتُ عليكم بأبي بكر لأني لا أعرف مثله، وأشرتُ عليه أن لا يفعل لأنه أسلَمُ لدينه.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٥/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣١٥.

توفي الرازي في ذي الحجة عن خمس وستين سنة، وصلى عليه محمد بن موسى الخُوارزمي صاحبه، ودُفن بمقابر الخيرزان.

قال المصنف رحمه الله: وكتابه «أحكام القرآن» في غاية الجَودة؛ لولا ما دَسَّ فيه من الاعتزال(١).

[وفيها توفي

أحمد بن محمد

ابن الفَتْح بن خاقان، أبو العباس، ابن النَّجَّاد، إمامُ جامع دمشق.

قرأ القرآن على هارون بن موسى الأخفش، وسمع أبا علي محمد بن سليمان أخا خَيْثَمة وغيره، وروى عنه تمَّام بن محمد.

وتوفي بدمشق، ودُفن بالباب الصغير، وكان ثقة وقوراً مأموناً.](٢)

محمد بن جعفر

ابن الحسين بن محمد بن زكريا، أبو بكر، الورَّاق، غُنْدَر.

كان حافظاً، مُتقناً، سمع بنَيْسابور، ومَرْو، وبغداد، والجزيرة، والشام، ومصر، والعراق، وما وراء النهر، والتُّرك، وكتب من الحديث ما لم يكتبه أحدٌ، وسمع ما لم يسمعه أحد، ثم استُدعي إلى بخارى لينزل إلى الحضرة، فمات في المَفازَة، وأجمعوا عليه(٣).

---

(١) تاريخ بغداد ٥/ ٥١٣، والمنتظم ١٤/ ٢٧٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣١٥، والسير ١٦/ ٣٤٠. وهذه الترجمة ليست في (ف م م١).

(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١). وانظر ترجمته في تاريخ مولد العلماء ٢٩٨، وتاريخ دمشق ٢/ ٢١١ (مخطوط)، وتاريخ الإسلام ٨/ ١٤١، وذكروا أن وفاته سنة (٣٦٠ هـ).

(٣) تاريخ بغداد ٢/ ٥٣٣، والمنتظم ١٤/ ٢٧٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٢٧، والسير ١٦/ ٢١٤.

السنة الحادية والسبعون وثلاث مئة

فيها طلب الطائع من عضد الدولة إجراء الماء إلى دار الخلافة، فساقه من الخالص إليها في نهر، فهو باق إلى اليوم يدخل الدار فيسقي البساتين وينتفعون به، ثم أجراه عضد الدولة إلى داره بالزاهر.

وفيها اتَّفق فخرُ الدولة وقابوس بن وَشْمَكير على عداوة عضد الدولة باطناً، وتحالفا عليه، وراسل عضد الدولة الطائع أن يَعقِدَ لمؤيد الدولة على جُرْجان وطَبَرِستان، ويبعث إليه بالخلع والعهد ففعل، وجَهَّز عضد الدولة العساكر إلى مؤيَّد الدولة مع زيار ابن شهراكويه ومعه الأموال والسلاح.

وسار مؤيَّد الدولة إلى بلاد قابوس فحصره فيها، وقاتله، واستولى عليها، وأزال نعمتَه، ويقال: إنه حبسه، ولم ينفعه فخر الدولة، وكان له طَبَرِستان وما والاها.

وقال قابوس عند هزيمته: [من البسيط]

قُلْ للذي بصُروفِ الدَّهر عَيَّرَنا ... هل عاند الدَّهرُ إلا مَن له خَطَرُ
أما ترى البحْرَ تعلو فوقَه جِيَفٌ ... وتَسْتَقِرُّ بأقصى قَعْرِه الدُّرَرُ
فإن تكن نَشِبَتْ أيدي الخُطوبِ بنا ... ومَسَّنا من تَوالي صَرْفِها ضَرَرُ
ففي السَّماء نُجومٌ غيرُ ذي عَدَدٍ ... وليس يُكْسَفُ إلا الشَّمسُ والقَمَرُ(١)

وفيها سَخِطَ عضد الدولة على القاضي أبي علي المُحَسِّن بن علي التَّنوخي، وألزمه منزلَه، وصرفه من أعماله، ولم يزل في السُّخْط حتى مات عضد الدولة.

وحاصلُه أن عضد الدولة لما كان بهَمَذان ذكر في مجلس القاضي أنه يريد أن يقبض على الصاحب بن عبَّاد، فأخبر المحسِّنُ ابنَ عباد بما عزم عليه عضد الدولة، وبلغ عضد الدولة فعزَّ عليه ونكَبه.

وفيها أُطلق أبو إسحاق إبراهيم بن هلال الصابئ الكاتب من الاعتقال، وصُرف إلى داره، وكان القَبْضُ عليه في سنة سبع وستين، ومدةُ اعتقاله ثلاث سنين وسبعة أشهر وأيام.

---

(١) الأبيات في معجم الأدباء ١٦/ ٢٢٤، والكامل ٩/ ٢٤٠، ووفيات الأعيان ٤/ ٨٠.

وكان سبب اعتقاله الكتبَ التي قدَّمنا ذكْرَها، وكثرةَ ماله، فأخذ منه عضد الدولة مئة ألف درهم وحبسه، فكان يَمدحه بالقصائد وهو مَحبوس، وخرج عضد الدولة إلى الكوفة لزيارة المَشْهَد، فلما عاد إلى بغداد كتب إليه: [من الكامل]

أهلاً بأشْرَفِ أوْبَةٍ وأَجَلِّها ... لأجَلِّ ذي قَدَمٍ يُلاذُ بنَعْلِها
يا خيرَ مَن زَهَتِ المنابرُ باسمِه ... في دولةٍ عَلِقَت يداه بحَبْلِها
أرْضَيتَ ربَّك والرسولَ وآلَه ... والناسَ في حَزْنِ البلادِ وسَهْلِها
كانت زيارتُك الغِنى في أهلها ... بيدٍ تَعُمُّهُمُ بفائضِ بَذْلِها
مَولايَ عبدُكَ حالِفٌ لك حَلْفَةً ... تَعْيى مناكبُ يَذْبُلٍ عن حَمْلِها
لقد انتهى شَوقي إليكَ إلى التي ... لا أستطيعُ أُقِلُّها من ثِقْلِها
لو بِعتَني بجميع عُمري لَفْظَةً ... أو لَحظةً بالطَّرْفِ لم أَسْتَغْلِها
قَضَّيتُ سابِغَةَ السّنين مُقاسياً ... غَمَّاءَ مَحْبِسِها وحَلْقَةِ كَبْلِها
لم تُخْلِني ساعاتُها من رَوْعَةٍ ... وكذا أنا من دَمْعَةٍ لم أُخْلِها
بُدِّلْتُ فيها من غُرابي بازياً ... بل بومَةً شَمْطاءَ لم أَسْتَحْلِها
أَفَتَسْتَمِرُّ بي المناحِسُ هكذا ... في دَولةٍ أنا واحدٌ من أهلها[1]

من أبيات طويلة، فلما قرأها عضد الدولة رقَّ له وقال: هذا المسكين قد طالت حَبْسَتُه، وأمر بإطلاقه، ومضى إلى داره، وشَغَله عن النَّظَر في حاله مَرضُه، وافتقده غير مرة.

وفيها قَلَّد الطائع كتابَته أبا القاسم عيسى بن علي بن عيسى، وخَلَع عليه، وصَرف عيسى بن مروان النصراني عنها[2]، وحجَّ بالناس أبو عبد الله العَلوي.

وفيها توفي

أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل

أبو بكر، الجُرْجاني، الحافظ.

---

(١) معجم الأدباء ٢/ ٤٢ ـ ٤٤.

(٢) من قوله: وفيها اتفق فخر الدولة وقابوس... إلى هنا ليس في (ف م م١).

طاف الدُّنيا، ولَقي الشيوخ وسمع منهم، وصنَّف الكُتُبَ الحِسان، منها: «الصحيح» صنَّفه على صحيح البخاري، و«الفَرائد»، و«العوالي»، وغير ذلك، وتوفي في رجب.

وكان الدارقطني[١] يَتأسَّفُ على لقائه ويقول: عَزمتُ غير مرة على الرحلة إليه فلم أُرْزَق، وأجمعوا على حِفظه وصِدقه وفَضله وثِقته.

الحسن بن أحمد بن صالح

أبو محمد، السَّبِيعيّ، الحافظ، الكوفي.

طاف الدنيا، وكان مُكثراً إلا أنه كان عَسِرَ الرواية، وكان الدارقطني يجلس بين يديه كجُلوسِ الصبيّ بين يدي المعلِّم هَيبةً له، ومات في ذي الحجّة ببغداد، وأجمعوا عليه.

وقال: قدم علينا حَلباً الوزير جعفر بن الفَضْل، فتلقَّاه الناس، فكنتُ فيمَن تلقَّاه، فعرف أني من أصحاب الحديث فقال: أتعرِفُ حديثاً في إسناده أربعة من الصحابة كلُّ واحدٍ عن صاحبه؟ قلتُ: نعم؛ حديث السَّائبِ بن يَزيد، عن حُوَيْطِب بن عبد العُزَّى، عن عبد الله بن السَّعْدي، عن عمر بن الخطاب في العُمالة[٢]، فعرف صِحَّةَ قولي فأكْرَمَني.

قال عبد الغني بن سعيد: وثَمَّ حديثان، أحدهما يرويه أربعةٌ من الرجال، والثاني يرويه أربعة من النساء، فأما الذي يرويه أربعة من الرجال فحديث نُعَيم بن هَمَّار، عن

---

(١) في (خ ب): وكان الرقابي، والمثبت من تاريخ جرجان ١١٠، والمنتظم ٤/ ٢٨٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٥٤، والسير ١٦/ ٢٩٤.

(٢) أخرجه أحمد (١٠٠)، والبخاري (٧١٦٣)، ومسلم (١٠٤٥)، ولفظه: أن عبد الله بن السعدي قدم على عمر ﵁ في خلافته، فقال له عمر: ألم أُحَدَّث أنك تلي من أعمال الناس أعمالاً، فإذا أُعطيتَ العُمالة كرهتَها؟ فقلت: بلى، فقال عمر: فما تريد إلى ذلك؟ قلت: إن لي أفراساً وأعبُداً وأنا بخير، وأريد أن تكون عمالتي صدقة على المسلمين، فقال عمر: فلا تفعل، فإني قد كنتُ أردتُ الذي أردتَ، فكان النبي ﷺ يعطيني العطاء فأقول: أعطه أفقرَ إليه مني، حتى أعطاني مرة مالاً فقلت: أعطه أفقر إليه مني، قال: فقال له النبي ﷺ: «خذه فتَمَوَّله وتصدق به، فما جاءك من هذا المال وأنت غير مُشرف ولا سائل فخُذْه، وما لا فلا تُتْبِعْه نفسَك».

وانظر ترجمة السبيعي في: تاريخ بغداد ٨/ ٢١٣، والمنتظم ١٤/ ٢٨٢، والسير ١٦/ ٢٩٦، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٥٦.

المِقدام بن مَعْدي كَرِب، عن أبي أيُّوب الأنصاري، عن عَوف بن مالك في الأمر بالطاعة، والوَصيَّة بكتاب الله(١).

وأما الحديث الثاني فرواه الزُّهري، عن عُروةَ بن الزُّبير، عن زينب بنت أبي سلمة، عن حَبيبة بنت أم حَبيبة بنت أمِّ سَلمة، عن أمها أم حَبيبة، عن زينبَ بنت جَحْش في فتح رَدْمِ - سدِّ - يأجوج ومأجوج(٢).

عبد العزيز بن الحارث بن أَسَد

أبو الحسن، التَّميميّ، الحَنْبلي.

كان فاضلاً، وله تصانيف في أصول الكلام، وفي المذهب، والفرائض، وكانت وفاتُه ببغداد في ذي القَعدة(٣).

[فصل وفيها توفي

علي بن إبراهيم

أبو الحسن، الحُصَريّ، البَصري، الصُّوفي، الواعظ(٤).

سكن بغداد، وصحب الشِّبلي وغيره، وكان صاحبَ خَلَوات ومُجاهدات، وما كان يخرج إلا من الجمعة إلى الجمعة.

[قال الخطيب:] وكان قد أسنَّ وصَعُب عليه المجيءُ إلى الجامع، فبني له الرباط المقابل لجامع المنصور، ثم عُرف بصاحبه الزوزني الذي بناه، وكان شيخَ الشيوخ ببغداد.

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٠)، وفي معجم الشاميين (١١٧٠) ولفظه: خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة وهو مرعوب فقال: «أطيعوني ما كنت بين أظهركم، وعليكم بكتاب الله، أحلّوا حلاله، وحرموا حرامه».

(٢) أخرجه أحمد (٢٧٤١٣)، ومسلم (٢٨٨٠) (١) ولفظه: استيقظ النبي ﷺ من نوم وهو محمرّ وجهه وهو يقول: «لا إله إلا الله، ويل للعرب من شرّ قد اقترب، فُتح اليوم من رَدْم يأجوج ومأجوج مثل هذه» وحَلّق، قلت: يا رسول الله، أنهلك وفينا الصالحون؟! قال ﷺ: «نعم، إذا كثر الخبث».

(٣) تاريخ بغداد ١٢/ ٢٣٣، والمنتظم ١٤/ ٢٨٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٦١، والتراجم الثلاث ليست في (ف م م١).

(٤) تاريخ بغداد ١٣/ ٢٤٩، طبقات الصوفية ٤٨٩، الرسالة القشيرية ١٢٥، المنتظم ١٤/ ٢٨٥، مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٧، تاريخ الإسلام ٨/ ٣٦٢.

وقال في «المناقب»: كان الحُصَري[(١)] شيخَ أهل العراق ولسانَها في وقته، ولم يُرَ في زمانه أتمُّ حالاً منه، ولا أحسنُ لساناً، ولا أعلى كلاماً، مُتوحِّداً في طريقته، ظريفاً في شمائله، له لسانٌ في التوحيد يَختصُّ به، ومقامٌ في التَّجريد لم يُشاركْه فيه غيره، وهو أستاذ العراقيين، وبه تأدَّب مَن تأدَّبَ منهم، وكذا قال السُّلَميّ وغيره.

نبذة من كلامه:

قال: كان آدم مَحلًّا للعلل، فخوطب على قدر حاله: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ﴾ [طه: ١١٨]، وإلا فذاك المقام لا يؤثِّر فيه جوعٌ ولا عَطَشٌ ولا عُرْي.

وقال: وَجَدتُ مَن يدعو إلى الله [إنما يدعو] بظاهره، ويدعو إلى نفسه بباطنه؛ لأنه يحبُّ أن يُعَظَّم، ويُشارُ إليه، ويُعرَفُ مَوضعُه، ويُثْنى عليه الثناءَ الحسَن، ومَن أحب ذلك فقد دعا إلى نفسه لا إلى ربِّه، وما عليَّ مني، وأيُّ شيءٍ لي فيَّ [حتى أخاف عليه، وأرجو له] إن رَحِم رحم ما له، وإن عذَّب عَذَّب ما له[(٢)].

قال المصنّف رحمه الله: وهذا كلامٌ حسن، أشار فيه إلى التوحيدِ المَحْض، وسقوطِ الإرادة بالكلِّية، وطريقةِ الفَناء التي عليها قواعُد الحقائق مَبنيَّة، ولعله استنبط هذا من الكتاب الكريم: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨].

وسئل: هل يَحتشم المحبُّ أو يَفزَع؟ فأنشد: [من البسيط]

قالت لقد سُؤتَنا في غيرِ مَنفَعَةٍ ... بطَرْقِك البابَ والحُجَّابُ ما هَجَعوا
ماذا يَريبُك في الظَّلْماءِ تَطْرُقُنا ... قلتُ الصَّبابَةُ هاجَتْ ذاك والطَّمَعُ
قالت لَعَمْري لقد خاطَرْتَ ذا جَزَعٍ ... حتى وَصَلْتَ فهَلّا عاقَكَ الجَزَعُ
فقلتُ هل هو إلا الموتُ أو ظَفَرٌ ... بما يَزولُ به عن مُهْجَتي الهَلَعُ

وكان ينشد دائماً: [من الخفيف]

إنَّ دَهْراً يلُفُّ شَمْلي بجَمْعٍ[(٣)] ... لَزَمانٌ يَهُمُّ بالإحسانِ[(٤)]

---

(١) في (ف م م١): وذكره في المناقب فقال. والمثبت من (خ ب).

(٢) المنتظم ١٤/ ٢٨٦ وما بين معكوفين منه.

(٣) في طبقات الصوفية ٤٩٣، ومناقب الأبرار ٢/ ٢٠٩: بسلمى.

(٤) من قوله: نبذة من كلامه... إلى هنا؛ ليس في (ف م م١).

وقال: الناس يقولون: الحُصَري لا يقول بالنَّوافل! وعليَّ أوراد من حال الشباب؛ لو تركتُ منها ركعةً لَعُوْتِبْتُ.

وقال: عَرِّضوا ولا تُصَرِّحوا فالتَّعْرِيضُ أيْسَر[1]، ويُنشد: [من الطويل]

وأعْـرِضْ إذا مـا جئـتَ عـنـا بـحِيلـةٍ ... وعَـرِّض بـبـعـضٍ إنَّ ذلـك أسْـتَـرُ

فما زِلتَ في إعمالِ[2] طَرْفِكَ نَحوَنا ... ولَـحْـظِـك حتـى كـاد مـا بـكَ يَـظْـهَـرُ

ذكر وفاته:

[ذكر ابن خميس في «المناقب» أنه] مات ببغداد يوم الجمعة في ذي الحجَّة [من هذه السنة. وقال الخطيب:] ودُفن بمقبرة باب حَرْب وقد أناف على الثمانين.

محمد بن أحمد بن طالب

أبو الحسن، الأخباري.

رحل وسمع الكثير، وكان فاضلاً، وقال: أنشدنا ابن الأعرابي: [من الخفيف]

كـنـتُ دهـراً أُعَـلِّـلُ الـنَّـفْـسَ بـالـوَعْـ ... ـدِ وأخـلـو مُـسْـتـأنِـسـاً بـالأمـانـي

فـمـضَـى الـواعِـدون ثُـمّ اقْـتُـطِـعْـنـا ... عـن حـديـثِ الـمُـنـى[3] بـصَـرْفِ الـزَّمـانِ

[فصل وفيها توفي]

محمد بن أحمد بن عبد الله

أبو زيد، المَرْوَزيّ، الفقيه الشافعي[4].

ولد سنة إحدى وثلاث مئة، ولقي محمد بن يوسف الفِرَبْريّ سنة ثمان عشرة وثلاث مئة، فحدَّثه بصحيح البخاري عن البخاري. وكان زاهداً عابداً.

---

(١) كذا في (ب خ)، وهذا القول ليس في (ف م ١)، وفي مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٩: أستر، وهو الأشبه.

(٢) في (خ ب): إعراض، والمثبت من مناقب الأبرار ٢/ ٢٠٩.

(٣) في (خ ب): فمضى الواعدون لي عن حديث المنى، والمثبت من معجم الأدباء ١٧/ ١٦٧، وانظر تاريخ بغداد ٢/ ١٤٧، وتاريخ دمشق ٦٠/ ١٦٤، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٢٧. وهذه الترجمة ليست في (ف م ١).

(٤) تاريخ بغداد ٢/ ١٥٤، وتاريخ دمشق ٦٠/ ١٧٣، والمنتظم ١٤/ ٢٨٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٦٣، والسير ١٦/ ٣١٣.

[قال الخطيب: كان] أحد الأئمة، حافظاً لمذهب الشافعي رحمه الله، حسن النَّظَر، مشهوراً بالوَرَع [قدم نيسابور غير مرة، ثم] حجَّ سنة خمس وخمسين وثلاث مئة، فأقام بمكة سبعَ سنين، ثم قدم بغداد وحدَّث بها، ثم مضى إلى مَرْو فتوفي بها.

قال أبو بكر البَزَّاز[(١)]: عادَلْتُ أبا زيد من نيسابور إلى مكة، فما أظنُّ الملائكةَ كتبتْ عليه خطيئةً قط.

وقال أبو زيد: لما أردتُ[(٢)] الرجوعَ إلى مَرْو وأنا بمكة رأيتُ رسول الله ﷺ في المنام فقلتُ: يا رسول الله، إني أريدُ الرُّجوعَ إلى مَرْو، والمسافة بعيدة، وأنا ضعيف، فالتفت إلى شابٍّ كان إلى جانبه وقال: يا رُوحَ القُدس، كن معه إلى وطنه، فانتبهتُ وأنا أرى أنه جبريل عليه السلام، فخرجتُ من مكةَ إلى مَرْو، فلم أُحسَّ بشيءٍ من التَّعَب.

توفي أبو زيد في رجب، وكان رُكناً[(٣)] من أركان الإسلام، وبدلاً من الأبدال.

وفيها توفي

محمد بن خَفيف بن إسْفِكْشاذ

أبو عبد الله، الشِّيرازي، الصُّوفي، شيخ بلاد فارس[(٤)].

قال أبو عبد الرحمن السُّلَمي: كانت أُمّه نيسابورية، وهو اليوم شيخ المشايخ، وتاريخ الزمان، ولم يبق للقوم أقدمُ سنًّا منه، ولا أتمُّ حالاً ووقتاً، صحب رُويماً، والجَريري، وأبا العباس بن عطاء، ولقي الحسين بن منصور، وهو أعلم المشايخ بعلوم الظاهر، ومُتمسِّكاً بعلوم الشريعة من الكتاب والسنة، فقيه على مذهب الإمام الشافعي رحمة الله عليه.

---

(١) في (ف م م١): وحدثني أبو بكر البزار قال.

(٢) في (ف م م١): وحكى عنه أنه قال: لما أردت، والمثبت من (خ ب).

(٣) في (ف م م١): توفي أبو زيد في رجب، حدث عن الفربري بصحيح البخاري، وهو أول من رواه عنه، وخلق كثير، وروى عنه أبو عبد الله الحاكم والسلمي والدارقطني وغيرهم، وقال أبو نعيم: كان ركناً. ولم نقف على كلام أبي نعيم في الحلية.

(٤) بعدها في(ف م م١): وأثنى عليه الأئمة. وانظر ترجمته في: حلية الأولياء ١٠/ ٣٨٥، وطبقات الصوفية ٤٦٢، والرسالة القشيرية ١٢٠، وتاريخ دمشق ٦٢/ ١٤، والمنتظم ١٤/ ٢٨٨، ومناقب الأبرار ٢/ ١٧٦، والسير ٦/ ٣٤٢، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٦٥.

وكان من أولاد الملوك، أوحدَ عصره، صاحب المقامات والأحوال، والمجاهدات والرياضات.

وقال أبو نعيم[١]: أبو عبد الله بن خَفيف اللّطيف الظَّريف، له «الفصول في الأصول»، و«التحقيق في الوصول»، لقي الأكابرَ والأعلام، وكان أحد أركان الإسلام [صحب أبا العباس بن عطاء، وطاهراً المقدسي، وأبا عمرو الدمشقي وغيرهم، وكان من أولاد الملوك بفارس.

وذكره القُشيري فقال: هو شيخ الشيوخ، وأوحدُ وقته.

وذكره في «المناقب» وحكى عنه العجائب. وكذا الحافظ ابن عساكر، وهو الذي قال في نسبه: إسفكشاذ.

فصل في ذكر] طرف من أخباره ومجاهداته[٢]:

قال: كنت[٣] في بدايتي آخُذُ الخِرَق من المزابل وأُصلح منها ما أَلْبَسُه، وأقمتُ مدةً أُفطر في كلِّ ليلةٍ على كفٍّ من الباقِلَّى.

وكنتُ أقرأ في ركعة قل هو الله أحد عشرة آلاف مرة، وفي الثانية القرآن كلّه، وكنت أصلّي من الغداة إلى العصر ألف ركعة، وأُحيي الليلَ كله.

وقال بعض أصحابه: أمرني أن أُقدِّمَ[٤] إليه كلَّ ليلةٍ عشر زَبيباتٍ لإفطاره، فأشفقتُ عليه، فقدَّمتُ له خمس عشرة، فنظر إليَّ وقال: مَن أمرك بهذا؟ وأكل عشر حَبّاتٍ[٥] وترك الباقي.

وقال ابن خفيف: ما وَجَبت عليَّ زكاةُ الفطر منذ أربعين سنة، ولي قَبول عظيمٌ عند الخاصّ والعام.

---

(١) في (ف م م١): وذكره أبو نعيم في الحلية فقال.

(٢) ما بين معكوفين من (ف م م١).

(٣) في (ف م م١): حكى عنه في المناقب أنه قال كنت، والكلام الآتي لم نقف عليه في ترجمته في المناقب ٢/ ١٧٦، وإنما ذكره ابن عساكر في تاريخه ٦٢/ ١٨.

(٤) في (ف م م١): قال القشيري: قال بعض أصحاب ابن خفيف: أمرني ابن خفيف أن أقدم.

(٥) في (ف م م١): زبيبات.

[وحكى عنه الحافظ ابن عساكر، وفي «المناقب»] قال: استقبلني في حال حداثتي فقير، فرأى فيَّ أثرَ الجوع والضرّ، فأدخلني بيته، وقدَّم إليَّ طَبيخاً فيه كُشك ولحم مُتغيِّر، فأكلتُ الثريدَ وتجنَّبتُ اللحم، فأخذ قطعةً من اللحم فلقَّمني إياها، فشقَّ علي وخَجِلتُ.

ثم خرجتُ إلى مكة ومعي جماعة، فأقمنا أياماً لم نأكل شيئاً، فجئنا إلى حيٍّ من أحياء العرب، فاشتَرَوْا منهم كلباً بدينار، فذبحوه وشَوَوه، وأكلوا للضرورة، وناولوني قطعةً من لحمه، فلما أردتُ أكلَها ذكرتُ خَجَل الفقير مني، وأنها كانت عقوبة، فلما رجَعْنا أتيتُ الفقيرَ واعتذرْتُ إليه.

وقال: دخلتُ[١] الباديةَ على نيَّةِ الحج، وكنتُ قد قَدِمتُ بغداد ولم أدخل على الجُنيد، وفي رأسي نَخوةُ الصوفية، وقد أقمتُ أربعين يوماً لم آكُلِ الخبزَ، ولم أشرب الماء، فعَطِشتُ، فلما وصلنا إلى زُبالَة[٢] ـ وكنت على طهارةٍ من بغداد ـ وإذا بظَبْيٍ على رأس البئر، وقد ارتفع الماء إلى رأسها وهو يشرب، فدنوتُ من البئر لأشرب فولَّى الظبي، ونزل الماء إلى أسفل البئر، فقلت: يا سيدي مالي محلُّ هذا الظبي؟! فسمعتُ هاتفاً من ورائي يقول: هذا الظَّبيُ جاءنا بغير حَبلٍ ولا رَكْوَة، وأنت جئتنا بحبلٍ ورَكوة، ولكن التفت، فالتفتُّ وإذا بالماء في رأس البئر، فشربتُ، فلما قضيتُ الحج وعُدْت إلى بغداد دخلتُ على الجنيد، فلما رآني قال: أما إنك لو صَبَرْتَ ساعةً لنبع الماء من تحت قدميك.

[وحكى عنه في «المناقب» أيضاً] قال: خرجتُ من مصر أُريد الرَّمْلَة للقاء أبي علي الرُّوذباري، فلَقيني عيسى بن يوسف المصري الزاهد، فقال لي: يابن خَفيف، بصُور شابٌّ وكَهْل قد وقفا في مقام المراقبة، فلو نظرتَ إليهما لعلك أن تستفيد منهما، فدخلتُ صور وأنا جائع عطشان وفي وَسَطي خِرْقَة، وليس على كتفي شيء، فأتيتُ المسجد، فإذا بشابٍّ وكَهْل قد استقبلا القبلة، وهما جالسان لا يتكلَّمان، فسلَّمتُ عليهما فلم يَرُدَّا، فقلت: ناشَدْتُكما الله إلا رَدَدْتُما عليَّ السَّلام، فرفع الشابُّ رأسَه من مُرَقَّعَته وقال: يا ابن خفيف، ما أقلَّ شُغْلَك بنفسك حتى تَلقانا!

(١) في (ف م م١): وحكى عنه أيضاً أنه قال: دخلت.

(٢) منزل معروف بطريق مكة من الكوفة.

قال: فذهب عَطَشي وجوعي وتعبي، فأقمتُ عندهما ثلاثة أيام لم آكل ولم أشرب، ولا رأيتُهما أكلا ولا شربا ولا ناما، فقلت لهما في اليوم الثالث: عِظاني، فقالا: نحن أربابُ مصائب، ما لنا لسانٌ في المواعظ، فقلت: بالله، فقال الشاب: عليك بصُحبة مَن يذكِّرك اللهَ برؤيته، وتقع على قلبك هَيبتُه، ويَعِظُك بلسان فعله لا بلسان قوله، اذهب عنا، فانصرفتُ[١].

[ذكر نبذة من كلامه:

حكى عنه في «المناقب» أنه] قال: لما خلق الله الملائكة والإنس والجن خلق العصمةَ والكفايةَ والحيلةَ وقال: اختاروا، فاختارت الملائكة العصمة، ثم قال للجن: اختاروا، فاختاروا العصمة، فقال: قد سُبِقتم إليها، فاختاروا الكفاية، ثم قيل للإنس: اختاروا، فاختاروا العِصْمةَ، فقيل: قد سُبِقتم إليها، فاختاروا الكفاية، فقيل: قد سُبقتم إليها، فاختاروا الحيلة، فبنو آدم يحتالون بجهدهم.

وسئل عن التوكّل فقال: الاكتفاءُ بضمانه، وإسقاطُ التُّهمَةِ عن قضائه.

وقال: ليس شيءٌ أضرَّ بالمريدين من مُسامحةِ النفس في ركوب الرُّخَص والتأويلات[٢].

وسئل عن القُرْبِ فقال: طيُّ المسافات بلطيف المنازلات[٣].

وسئل عنه أيضاً فقال[٤]: قُرْبُك منه بملازمة الموافقات، وقُرْبُه منك بدوام التوفيق.

ذكر وفاته:

[حكى الحافظ ابن عساكر عن عبد الرَّحيم قال: قال ابن خفيف:] سألتُ الله أن ألقاه ولا يكون على بَدَني شيءٌ من اللحم، ولا لأحدٍ عندي شيء، فمات كذلك، أقام سبعةَ عشر يوماً لم يأكل، وكانوا يَشَمُّون منه رائحةَ الطّيبِ والمِسْك شيئاً ما شَموا مثلَه قط.

(١) بعدها في (م): وقد كاد قلبي يطير رعباً.

(٢) في المناقب ٢/ ١٧٧ : وقبول التأويلات.

(٣) في طبقات الصوفية ٤٦٦، والمناقب: بلطيف المداناة.

(٤) في (ف م م١): وفي رواية القشيري عنه أنه قال. والمثبت من (ب خ)، والقول في الرسالة ١٢٠ ـ ١٢١، وطبقات الصوفية ٤٦٦، ومناقب الأبرار ٢/ ١٧٧.

وتوفي ليلة الثلاثاء[١] ثالث عشرين رمضان وله مئة وأربع سنين.

[وقال ابن عساكر:] لما مات حضر أبو أحمد الكبير، وأبو أحمد الصغير، وأبو الطَّيب القزويني، وخلقٌ كثير، وحملوه على سريره، وضَبَّبوه بضَبَّات حديد، ودخل تحته كلُّ قويٍّ وكل شاطر، ومَن يَدَّعي القوَّةَ والفتوة، وكلما تَعِب قومٌ دخل آخرون، وحوله الفرسان من الدَّيالمة، والخَدَم، والحاشية بالسيوف والدَّبابيس.

وصلى عليه أبو بكر العَلَّاف وغيره نحواً من مئة مرة، واجتمع في جنازته اليهود والنصارى والمجوس[٢].

[وقال ابن عساكر: حدَّث ابن خفيف بدمشق عن القاضي الحسين المحاملي، وحمَّاد بن المبارك[٣]، ومحمد بن جعفر التَّمَّار، وذكر غيرهم.

وروى عنه أبو الحسن علي بن جَهْضَم، وذكر غيره.

قلت: وقد ذكره جدي في «المنتظم» فقال: محمد بن خفيف، أبو عبد الله الشيرازي، صحب الجَريري، وابن عطاء، وغيرهما.]

وقد تكلَّم فيه الشيخ أبو الفرج بن الجوزي رحمه الله تعالى[٤].

---

(١) في (ف م م١): وقال أبو عبد الرَّحمن السلمي: توفي ليلة الثلاثاء.

(٢) تاريخ دمشق ٦٢/ ٢٩ ـ ٣٠.

(٣) كذا في (ف م م١) وهذه الزيادة ما بين معكوفين منها، وكذا في (ب س) من تاريخ دمشق ٦٢/ ١٤ كما أشارت إليه محققته، والصواب حماد بن مدرك، وانظر تاريخ الإسلام ٨/ ٣٦٥، والسير ١٦/ ٣٤٢.

(٤) فقال في المنتظم ١٤/ ٢٨٨: وقد ذكرت في كتابي المسمى بتلبيس إبليس عنه من الحكايات ما يدل على أنه كان يذهب مذهب الإباحة. اهـ.

وقال الذهبي في السير ١٦/ ٣٤٦ ـ ٣٤٧: قد كان هذا الشيخ جمع بين العلم والعمل، وعلوِّ السند، والتمسك بالسنن، ومُتِّع بطول العمر في الطاعة.

قلت: وجاء في (ف) بعد نهاية الترجمة ما نصه: انتهت ترجمة ابن خفيف والحمد لله وحده، وصلى الله على أشرف خلقه محمد وآله وصحبه وسلم.

السنة الثانية والسبعون وثلاث مئة

فيها في صفر قَبض عضد الدولة على أبي الوفاء طاهر بن محمد، وحُمل إلى قلعة الماهكي، ثم قُتل بعد وفاة عضد الدولة.

وفي ربيع الآخر فُتح المارستان الذي أنشأه عضد الدولة بالجانب الغربي من بغداد، وهو القائم الآن، ورتَّب فيه الأطباء والمعالجين والوكلاء، وحُملت إليه الأشربةُ والأدوية والفُرش وغيرها.

وفي شوال توفيّ عضد الدولة، وأُخفي خبرُه، وكتمه خواصُّه كتماناً اجتهدوا فيه، واستَدْعَوا صمصامَ الدولة ابنَه إلى دار المملكة، وأخرجوا عهداً من عضد الدولة بتوليته واستخلافه.

وكان في العهد: قد قَلَّدْنا أبا كاليجار المرزبان بن عضد الدولة ولايةَ عهدنا، وخلافَتنا على الممالك والأعمال، والله يختار لنا وله حُسنَ الخيرة... وذكر بمعناه.

وبويع على ما في العهد، والتمسوا من الطائع العهد والخِلَع، فكتب به، وبعث إليه بالخلع واللواء.

وجلس صمصام الدولة، وقرئ العهد بين يديه، واستمرَّ الحال على إخفاء موت عضد الدولة إلى أن تمهَّد أمرُ صمصام الدولة، واجتمعت الكلمة على طاعته، ثم خَلع على الأميرين أبي الحسين أحمد وأبي طاهر هارون شاه(١)، وحُملا على فرسين بمركبي ذهب، وخرجا إلى شيراز للنظر في أمورها.

وكان عضد الدولة لما مات خاف صمصام الدولة من أخيه أبي الحسين أحمد فاعتقله، وكانت والدته ابنة نادر ملك الدَّيلم، فخافهم صمصام الدولة، وعزمت أمُّه على كبس دار صمصام الدولة، وتلبس ثيابَ الرجال، وتأتي معها بالديلم فتُخَلِّص ابنَها.

---

(١) في الكامل ٩/ ٢٢: وأبي طاهر فيروز شاه.

وعلم صمصام الدولة، فأطلقه، وولّاه شِيراز وفارس، وقال له: اِلْحَق قبل أن يصل إليها شرف الدولة، وأعطاه الأموال والرجال، فسار إليها، فوصل الأهواز وقد سبقه شرف الدولة إلى شِيراز.

وأقام أبو الحسين بالأهواز، وباينَ أخاه صمصام الدولة، وتلقَّب بتاج الدولة، وأسقط خطبة أبيه وأقامها لنفسه، وادَّعى الملك[1].

فبعث إليه صمصام الدولة جيشاً من التُّرك والدَّيْلَم، فهزمهم، وقتل جماعةً منهم، واستولى على الأهواز، ووجد فيها أربع مئة ألف دينار، وثلاثة آلاف وخمس مئة ثوب ديباج، وأربع مئة رأس من الدواب، وجِمالاً، وقماشاً، وغير ذلك، فاستولى على الجميع وجاءه الدَّيْلَم والتُّرك فاستخدمهم وأغناهم، فأحبوه، وسار إلى البصرة فملكها، ورتَّب فيها أخاه أبا طاهر، ولقَّبه ضياءَ الدولة.

وفيها وثب أبو الفرج بنُ عمران بن شاهين على أخيه أبي محمد الحسن بن عمران صاحب البَطيحة، فقتله واستولى عليها.

وفيها قُلّد أبو القاسم علي بن أبي تَمَّام الزَّينبي نقابة العباسيين، وخُلِع عليه[2].

وحج بالناس أبو الفتح أحمد بن عمر العلوي[3]، وقيل: لم يحجَّ أحد من العراق إلى سنة ثمانين وثلاث مئة بسبب الفتن والخُلْف بين العراقيين والمصريين.

[فصل وفيها توفي

عبد الله بن أحمد بن ماهبزد

أبو محمد، الأصبهاني.

(١) الذي في الكامل ٩/ ٢٢ ـ ٢٣ أن الذي فعل كل ذلك هو شرف الدولة أبو الفوارس شيرزيل، وأنه استولى على فارس وملك البصرة وأقطعها أخاه أبا الحسين.

(٢) من قوله: وكتمه خواصه كتماناً اجتهدوا فيه... إلى هنا ليس في (ف م م١).

(٣) في المنتظم ١٤/ ٢٩٠، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٤٨: وخلع على أبي منصور بن أبي الفتح العلوي للخروج بالحاج وإقامة الموسم.

سكن بغداد، وحدَّث بها عن البغوي وطبقته، وروى عنه البَرْقاني، وشيوخ الخطيب، وكان صالحاً زاهداً عابداً ثقة.

قال الخطيب: حدثني البرقاني عنه قال: صمتُ ثمانيةً وثمانين رمضاناً.][1]

وفيها توفي

عَضُد الدولة

فَنَّاخُسْرو ـ وقيل: بُوَيه ـ بن أبي علي بن تَمام بن كُوهي، والمشهور فناخسرو، ونسبه إلى أردشير بن بابك[2].

وقد أشار إليه المتنبي بقوله: [من المنسرح]

أبا شُجاعٍ بفارسٍ عَضُدَ الدَّولةِ فَنَّاخُسْرو شَهَنْشَاها[3]

وهو أول من تلقَّب في الإسلام بشَهنْشاه، وقال أبو علي الفارسي: منذ تلقَّب بذلك تَضَعْضَع، وما كفاه هذا حتى مَدح نفسَه فقال: [من الرمل]

عَضُدَ الدولةِ وابنَ رُكْنِها مَلِكَ الأملاكِ غَلَّابَ القَدَرْ[4]

وسنذكر الأبيات إن شاء الله تعالى قريباً.

ذكر طرف من أخباره:

قد ذكرنا دخولَه بغداد، ولما دخلها كان الخراب قد استولى عليها وعلى سوادها بانفجار بُثوقها، وقطعِ المفسدين لطُرقاتها.

---

(١) ما بين معكوفين من (ف م م١)، وانظر تاريخ بغداد ١١/ ٣٦، وذكره ابن الجوزي في المنتظم ١٤/ ٣٠٤ في وفيات سنة (٣٧٣)، وذكره الذهبي في تاريخه ٨/ ٤٠٠ في وفيات سنة (٣٧٤).

(٢) كذا ورد هذا النص في (خ ب)، وترجمة عضد الدولة أخلَّت بها النسخ (ف م م١).
والذي في المصادر أنه: فناخسرو بن ركن الدولة أبي علي حسن بن بويه بن فناخسرو بن تمام بن كوهي.
والذي نسبه إلى أردشير هو الأمير ابن ماكولا. انظر يتيمة الدهر ٢/ ٢٥٧، والمنتظم ١٤/ ٢٩٠، والكامل ٨/ ٥٨٤، ووفيات الأعيان ٤/ ٥٠، والسير ١٦/ ٢٤٩، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٧٦، والنجوم الزاهرة ٤/ ١٤٢، ومصادر أخرى في حواشيها.

(٣) ديوان المتنبي ٤/ ٤١٠ بشرح البرقوقي.

(٤) قال ابن كثير في البداية والنهاية ١١/ ٣٠٠ عقبها: قبّحه الله وقبح شعره وقبح أولاده، فإنه قد اجترأ في أبياته هذه فلم يفلح بعدها.

وكان بنو شَيبان قد منعوا أحداً يسير في طريق، فبعث إليهم العساكر فقتلهم، وأسر منهم ثمان مئة رجل.

وسدَّ البثوق؛ بَثْق اليهودي، وبَثْق السَّهليّة، وأمر الأغنياء بعمارة مُسَنَّياتهم التي على دجلة، وغَرس الزَّاهر الذي كان دار أبي علي بن مُقْلَة، وكانت قد صارت خَراباً تلّا، وغرس التَّاجي بُستاناً عند قُطْرَبُّل، وحَوَّطه على ألف وتسع مئة جَريب، وأمر بحفر الأنهار التي دَرَست، وعَمِل عليها أرْحاء الماء، وحَوَّل من البادية قوماً فأسكنهم بين فارس وكرمان، فزرعوا وعَمَروا البريّة، وحمى الدنيا، وأخَّر الخراج إلى النَّيروز المعتضدي، ورفع الجِباية عن الحاج، وأقام لهم السَّواني في الطريق، وحَفَر المصانع والآبار، وأطلَق الصِّلات لأهل الحرمين، ورَدَّ رسومَهم القديمة، وأدار السُّور على مدينة النبي ﷺ، وكسا المساجد، وأدرَّ الأرزاق، وأقام المؤذِّنين والأئمة والقُرَّاء.

وكان كثيرَ الصَّدَقات؛ تصدَّق مرةً بثلاثين ألف درهم، ومرة بثلاث مئة ألف درهم، وقيل: بثلاث مئة ألف دينار، وعمل الجسر، وكان الغَرَقُ قد هَدم القَنطَرتين العتيقة والجديدة التي على الصَّراة، فعَمرها، فتمَّت الجديدةُ بعد وفاته.

واستحدث المارستان ـ وكان بجكم قد شرع في عمله فلم يتمّ ـ وجلب إليه العقاقير التي لا توجد إلا فيه، وعمل بين يديه سوقاً للبَزَّازين ووقفه عليه، وأوقف عليه ضِياعاً كثيرة، ومما أوقف عليه أرحاء نهر عيسى عند القرية.

وكان يبحث عن سِيَر الملوك(١)، ويطلق للعيون الجامَكيَّات(٢) والجوائز، فكانت أخبار الدنيا عنده، حتى لو تكلَّم إنسانٌ بمصر علم به، فروي أن رجلاً ذكره بمصر، فتَحَيَّل حتى حُمل إليه، فعاتبه وقال: قلتَ كذا وكذا، ورَدَّه إليها، وكان الناس يَحترزون من نسائهم وغلمانهم، ويَتحفَّظون في كلامهم ويقولون: للحيطان آذان.

وكانت هيبتُه عظيمة(٣)، فلو لَطَم إنسانٌ إنساناً قابله شرَّ مقابلة، فانكسف الناس له، وكَفُّوا عن الظُّلم.

(١) في المنتظم ١٤/ ٢٩٢: وكان يبحث عن أشراف الملوك وينقب عن سرائرهم.

(٢) الرواتب، انظر المعجم الفارسي ١٩٨.

(٣) في المنتظم: هيمنته عظيمة.

وكان شُجاعاً، مَهيباً، عاقلاً، ثَبْتاً، كثيرَ الفضل، شديدَ التَّيَقُّظ، بعيدَ الهِمَّة، مُحِبًّا للفضائل، مُتجَنِّباً للرَّذائل، ناظراً في أمور الرعيَّةِ.

وكانت الأخبارُ تأتيه من بغداد إلى شِيراز في سبعة أيام، وتُجْلَب إليه الفواكه الطَّريَّة.

وكان مُحافظاً على صلاته؛ فكان يُباكر الحمَّام، فإذا خرج منه أدَّى فرضَ الصلاة، ويَدخل إليه خواصُّه ووزيره أبو القاسم مُطهّر بن عبد الله، فيجلس بين يديه، ويَعرض عليه الأمور، ويستأذنه في كلِّ أمرٍ بما يراه، ثم يحضر أرباب الدَّواوين على باب قصره كما جرت به العادة يَقضون الأشغال، وإذا حضر وقتُ الطعام أكل وطبيبُه قائمٌ على رأسه يُعَرِّفه منافعَ الألوان ومضارَّها، ثم يغسل يده وينام، ثم ينتبه فيتوضّأ للصلاة ويصلي الظهر، ثم يحضر ندماؤه، وهو ينظر في القصص، ويقضي الأشغال صدراً من الليل، ثم ينام وينتبه وقتَ الفجر فيدخل الحمام، فهذا دَأْبُه، وإن كان يومُ مَوكبٍ دخل عليه الناس على طبقاتهم.

ومن اهتمامه بأمور الرعية مالت نَفسُه إلى جارية، فشغَلَتْه عن النَّظَر في الأمور، فغَرَّقَها، وأخذ غلامٌ من رجل بِطِّيخة فقتله.

وكان يحب العلم والعلماء، ويجري الرسوم على الفقهاء والقرَّاء والأدباء، ووُجد في تذكرته بعد موته: إذا فَرَغْنا من حل إقليدس تصدَّقْتُ بعشرين ألف درهم، وإذا فرغنا من كتاب أبي علي النَّحْوي تصدَّقتُ بخمسة آلاف درهم[١]، وكلُّ ابن يولد لي أتصدَّق بعشرة آلاف درهم، وإن كان من فلانة فبخمسين ألفاً، ولكل بنت بخمسة آلاف درهم.

وكان يؤثر مجالسةَ الأدباء على مجالسة الأمراء، واجتمع له من الفضلاء والأدباء ما لم يجتمع لغيره إلا للمأمون وسيف الدولة بن حمدان؛ كان في أيامه: الصَّاحبُ بن عَبَّاد، وأبو إسحاق الصابئ، والمتنبي، وابن نُباتة، والشَّريف الرَّضي، وأخوه المرتضى، وأبو علي الفارسي، وابن خالَويه، والبَديع صاحب «المقامات»، ومن الزهَّاد ابن سمعون[٢] وغيرهم.

---

(١) في المنتظم ١٤/ ٢٩٣: بخمسين ألف درهم.

(٢) محمد بن أحمد أبو الحسين، انظر تاريخ بغداد ٢/ ٩٥، وتاريخ الإسلام ٨/ ٦٢٠.

وكان يُعطيهم الأموال، ويُدنيهم، ويُجالسهم، وكان ينظر بنفسه في المصالح والإقامات، والحقير من المال مثل الكبير، فلا يُطلق دِرهماً في غير وجهه، ولا يمنع أحداً ما يَستحِقُّه.

وقال لبعض كتَّابه وقد بقي في الشهر ثلاثة أيام: ادفع للغلمان جامكياتهم، فأُنسي الرجل حتى خرج الشهر، فاستدعاه وسأله فقال: أُنسيتُ، فغضب وقال: المصيبةُ أنك ما تعلم ما في فعلك من الغَلَط؛ نحن إذا أطلقنا لهؤلاء الغلمان ما لهم وقد بقي في الشهر يوم كان لنا الفَضلُ عليهم، والإحسانُ إليهم، فإذا دخل في الشهر الثاني يومان أو ثلاثة رَأَوْا لهم المِنَّةَ علينا، فإن تَفضَّلوا بالصبر فنكون معهم إلى الخسارة أقرب من الرِّبْح.

وجاء بعض الدَّيالمة ـ وكان قائداً كبيراً ـ ومعه صَكٌّ إلى كاتبٍ لعضد الدولة، وبيده كتاب لعضد الدولة يكتبه، فقال الدَّيْلمي: اكتُب لي في هذا الصَّكِّ، فقال: ما أتفرَّغُ لك اليوم، أنا مشغولٌ بكتاب الملك، فأخذ الكتابَ من يده ورماه وقال: اكتب لي في صَكِّي، وبلغ عضدَ الدولة الخبر، فأمر بعضَ حُجَّابه أن يَجُرَّ الدَّيلميَّ برجله إلى باب البلد، ويُنفى إلى دَيْلَمان، ففعل به ذلك وأخذ أمواله.

ولما جاء إلى بغداد قال له إبراهيم الصابئ: أخاف على داري من الدَّيْلَم، فأرسل معه بعضَ الدَّيالمة وقال: امنع مَن ينزل عنده، فجاء الرجل، فقعد على الباب، وعَرض له شُغلٌ فقام، وجاء بعض الديالمة، فنزل في الدار وفَرَشَها وقال: صَلُحت لي الدار انتقلوا، وجاء الرجل فقال له: الملك أمر أن لا يَنزل هاهنا أحد، فقام من ساعته، ونقل قُماشه وخرج.

وبعث عضد الدولة صاحباً له يُصلح طريقَ مكة ومعه جمال وآلات، فخرج عليه قومٌ من العرب، فأخذوا الجِمال وبقي جملٌ واحد عليه الكاتب راكب، وعليه قَفَصٌ فيه فاخِتة، فقال له زعيم القوم: ما هذا الطُّوَير؟ فقال: طائرٌ أعطاني إياه عضد الدولة وقال: إذا خرج عليكم أحدٌ من العرب فأطلقوه لأعرفَ خَبرَكم، فأبعثَ العساكرَ إليكم، فقال الرجل: أمسكْ يا إنسان الطائرَ ولا تُطلقه، وردَّ جميعَ الجمال وما أخذ منهم.

وكان عضد الدولة قد حَمى البلاد من كل ناحية، وأباد الأكراد والأعراب والمفسدين، واستأصل شأفَتَهم.

وقال التَّنوخي: قدم بغداد رجلٌ من خُراسان يريد الحجَّ، ومعه عِقدٌ من الجوهر له قيمة، فأودعه عند بعض التجَّار ومضى إلى الحج، فلما عاد طلبه منه فقال: ما أعرفُك، ولا أودعتَ عندي شيئاً، ونال منه، فقال له الرجل: لا تفعل فإن هذا لملك بلدي، وهو يكون سَبباً لهلاكي، وذهاباً لنعمتي، وهو مصرٌّ على إنكاره، فعرف خبرَه رجلٌ من أكابر أهل بغداد فقال له: ما لك إلا عضد الدولة، فكتب رُقعةً يشرح له حالَه، فاستدعاه خلوةً وقال له: كيف حديثُك؟ فحكى له القصة، قال: وأين دكَّان الرجل؟ فقال: في الموضع الفلاني، قال: اذهب غداً واقعد عنده على الدكان، فإذا عَبرتُ عليك فلا تكترِثْ بي، ولا تنزعج، واكتُم الحال.

فمضى الرجل، فلما أصبح غدا إلى الرجل وقال له: يا فلان، أنا رجلٌ غريب، فخَفِ الله فيَّ، وجعل يَستعطفه وهو لا يزداد إلا قَساوة، فبينا هو يَستعطفه وإذا بموكب عضد الدولة قد أقبل، فانهزم الناس من هَيبته، فلما حاذى الدكَّان، وقف وقال للخُراساني: أهلاً وسهلاً، متى قدمتَ؟ فقال له من غير اكتراث: منذ أيام، فقال: سبحان الله! تَقدمُ هذا البلد، ولك علينا من الحقوق القديمة والخِدَم السَّالفة ما لا نَقومُ به ولا تجيءُ إلينا، ولا تُسلِّم علينا، ما هذا الجَفاء؟! والرَّجلُ يُعرِضُ عنه، فقال عضد الدولة: الساعةَ تَحضُر إلينا لنَبُلَّ شوقَنا منك، ونقضيَ حقَّك، وسار في موكبه.

فلما رآه الرجلُ المودَع على هذه الحالة خاف وأبلَس، وحادثه ساعةً وقال: يا فلان، لعن الله الشيطان، أُنسيت عقدَك، وتركتُه في مكان كذا، فاصبر حتى أقومَ وأتذكَّر، ثم قام ودخل دكَّانه فأخرج له العقد وقال: اجعلني في حلٍّ، فأخذ العقدَ ومضى به إلى عضد الدولة، وأخبره الخبر، فبعث بالعقد إلى دكان المودَع، وأمر بأن يُعلَّق في عُنقه ويُصلَب، ويُنادى عليه: هذا جَزاءُ من ائْتُمِن فخان[1].

وكَثُر اهتمام عضد الدولة بالمارستان؛ لأن الصَّرَع كان يَعتريه، فصُرع في دسته مراراً، وبعلَّة الصَّرَع مات.

---

(١) الأذكياء لابن الجوزي ٦٧ ـ ٦٨.

وكانت نيته في بنائه جميلة فما تعرَّض لأوقافه خليفة ولا أمير، بل كانوا يَزيدون فيها، ويفتقدونه بالفُرُش والأشربة وغيرها.

وكان له من البلاد فارس، وكَرْمان، وعُمان، وخُوزِستان، والأهواز، والبصرة، وواسِط، والكوفة، والعراق، والموصل، والجزيرة، وحَرَّان، والرَّقَّة، وديار بكر وربيعة، وآمِد، ومَيَّافارِقين، وخِلاط، وحُكْمه نافذٌ في الدنيا.

وكان يقرأ على أبي علي الفارسي النحو، وطلب منه أن يُصنِّف له كتاباً، فصنَّف له «الإيضاح»، فنظر فيه فقال: استَصْبانا أبو علي، فعمل «التكملة».

ووضع له أبو إسحاق الصابئ إسطرلاباً وأهداه إليه في يوم نَيروز، وكتب إليه: [من البسيط]

أهدى إليك بنو الأملاك واختلفوا ... في مَهْرجانٍ جديدٍ أنت مُبْليهِ
لكنّ عبدَكَ إبراهيم حين رأى ... عُلوَّ قَدْرك عن شيءٍ يُدانيه
لم يَرضَ بالأرض يُهديها إليك فقد ... أهدى لك الفَلَكَ الأعلى بما فيه

فبعث إليه بثلاثة آلاف دينار.

وحُسِب دخلُه في السنة فإذا هو [ثلاث مئة ألف ألف وعشرين ألف ألف درهم، فقال: أريد أن أبلغ به إلى] ثلاث مئة ألف ألف وستين ألف ألف درهم، ليكون دَخْلُنا في كل يوم ألف ألف درهم(١).

ومع صدقاته وأفضاله كان يَنظُر في الدنيا، ويُنافس في القيراط، وأقام المكوس، وأثر آثاراً من الظُّلم.

قال المصنف رحمه الله: والعجب أن الخليفة يكون دخلُه في كلّ يوم ألفي درهم أو خمسة آلاف درهم في الأكثر، وعضد الدولة مَغَلُّه هذا المقدار، فسبحان مَن قَدّر.

ولعضد الدولة أشعار، خرج يوماً إلى بستان يتنزه فقال: لو ساعدنا اليومَ غيثٌ، فطَبَّق الغيم، وجاء المطر، فقال: [من الرمل]

ليس شُربُ الكأسِ إلا في المطَرْ ... وغِناءٌ من جَوارٍ في السَّحَرْ
غانياتٍ سالباتٍ للنُّهى ... ناغِماتٍ في تضاعيفِ الوَتَرْ

(١) المنتظم ١٤/ ٢٩٤ وما بين معكوفين منه.

راقصاتٍ زاهراتٍ نُجُلٍ رافلاتٍ في أفانينِ الحِبَرْ
مُطرِباتٍ مُحْسِناتٍ مُجُنٍ رافِضاتِ الهمِّ إبانَ الفِكَرْ
مُبْرِزاتِ الكأسِ من مَعْدِنِها مُسْقِياتِ الخَمْرِ مَن فاقَ البَشَرْ
عَضُدَ الدَّولةِ وابنَ رُكْنِها مَلِكَ الأملاكِ غَلَّابَ القَدَرْ[1]
سَهَّلَ اللهُ له بُغْيَتَهُ في مُلوكِ الأرضِ ما دامَ القَمَرْ
وأراهُ الخيرَ في أولادِهِ لِيَسوسَ المُلْكَ فيهم بالغُرَرْ[2]

وقال أيضاً: [من البسيط]

يا طِيبَ رائحةٍ من نَفْحَةِ الخِيري[3] إذا تَمزَّقَ جِلبابُ الدَّياجيرِ
كأنما رُشَّ بالماوَرْدِ أو عَبِقَتْ فيه دَواخينُ نَدٍّ عندَ تَبْخيرِ
كأنَّ أوراقَهُ في القَدِّ أجْنِحَةٌ صُفرٌ وحُمرٌ وبِيضٌ كالزَّنانيرِ[4]

وشعره رَكيك إلا أنه من مثله كثير.

ذكر وفاته

لما أحسَّ بالموت تمثَّل بشعر القاسم بن عُبيد الله الوزير: [من الطويل]

قَتَلْتُ صَناديدَ الرِّجالِ فلم أَدَعْ عَدوًّا ولم أُمْهِلْ على ظِنَّةٍ خَلْقا
وأَخْلَيْتُ دُورَ المُلْكِ من كُلِّ نازلٍ وبَدَّدْتُهم غَرباً وشَرَّدْتُهم شَرقا

ثم جعل يبكي ويقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ﴾ [الحاقة: ٢٨ ـ ٢٩] يُرَدِّدُها إلى أن مات.

وكانت وفاته في شوال ببغداد وله سبع وأربعون سنة وإحدى عشر شهراً وثلاثة أيام، وقيل: ثمانية وأربعون سنة وستة أشهر وخمسة عشر يوماً.

وقال ابن الصابئ: وُلد بأصبهان يوم الأحد الخامس من ذي القَعدة سنة أربع وعشرين وثلاث مئة، وكانت إمارتُه خمسَ سنين وشهوراً، ودُفن بدار المملكة، وأُخفي خبرُه حتى خرجت هذه السنة، وتقرَّرت قواعدُ المملكة لولده صَمصام الدولة، ثم حُمل في السنة الآتية

---

(١) في هامش (ب) حاشية: هذا كفر، هل يغلب القدر؟
(٢) في يتيمة الدهر ٢/ ٢٥٩، والمنتظم ١٤/ ٢٩٤: ليساس الملك منه بالغرر.
(٣) نبات له زهر أصفر يستخرج دهنه ويدخل في الأدوية.
(٤) في يتيمة الدهر ٢/ ٢٥٩: صفر وحمر وبيض من دنانير، وانظر المنتظم ١٤/ ٢٩٣.

إلى الكوفة، ودُفن عند أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في تُربةٍ عُمّرت له هناك، وكُتب على قبره في مَلْبَنٍ من ساج: هذا قبر عضد الدولة وتاج الملَّة أبي شجاع بن ركن الدولة، أحبَّ مُجاورةَ هذا الإمام التقي؛ طمعاً في الخلاص يوم تجيءُ كلُّ نفسٍ تُجادلُ عن نفسها، وصلى الله على سيدنا محمد النبي وعِترتِه الطَّاهرة.

ولما مات عضد الدولة اجتمع جماعةٌ من الأكابر وكانوا عشرة، فقال الأول: أيها الملك، كيف غَفَلْتَ عن كَيْد هذا الأمر حتى نَفِذ فيك، وهلَّا اتَّخذْتَ دونه جُنَّةً تَقيك، إن فيك عِبرةً للمُعتبِرين وآية للمُسْتَبصرِين.

وقال الثاني: مَن استيقظ للدنيا فهذا نومُه، ومَن حَلَم فيها فهذا انتباهُه.

وقال الثالث: لقد وَرِث هذه الدنيا بغير إرث، وأعطاها فوق قيمتها، وطلب الرِّبْحَ فيها فخَسِر روحَه.

وقال الرابع: ما رأيتُ غافلاً في غفلته، ولا عاقلاً في عقله مثلَه.

وقال الخامس: مَن جدَّ للدنيا هَزَلَتْ به، ومن هَزَل بها جَدَّت له.

وقال السادس: ترك الدنيا شاغرة، ورحل منها بغير زاد ولا راحلة.

وقال السابع: إن ماءً أطفأ هذه النار لَعَظيم، وإن ريحاً زَعْزَعَتْ هذا الرُّكن لَعاصف.

وقال الثامن: إنما سَلَبَك مَن قَدَر عليك.

وقال التاسع: لو كان مُعْتَبِراً في حياته لما صار عِبرةً في مماته.

وقال العاشر: الصَّاعد في دَرَجاتها إلى سَفال، والنَّازلُ في دَرَكاتها إلى مَعال.

قال المصنف رحمه الله: بين كلام هؤلاء وأولئك المتقدمين المتكلِّمين على تابوت الإسكندر كما بين المَلِكَين في المساواة.

[وفيها توفي]

محمد بن جعفر بن أحمد

أبو بكر، الحَريري، المعدَّل[(١)]، البغدادي، ويُعرف بزوج الحُرَّة.

---

(١) في (ف م م١): محمد بن جعفر أبو أحمد الحريري واسمه أبو بكر المعدل، والمثبت من (خ ب)، وانظر ترجمته في تاريخ بغداد ٢/ ٥٣٥، والمنتظم ١٤/ ٢٩٧، وتاريخ الإسلام ٨/ ٣٧٩.

كان فقيراً يَحمل على رأسه، فتزوَّج زوجةَ المقتدر، فوصل إليه أموال عظيمة.

[وقد حكى الخطيب قصَّته فقال: حدثني علي بن المُحَسِّن، عن أبيه قال: حدثني] الأمير أبو الفضل جعفر بن المكتفي قال: كانت بنت بدر مولى المعتضد زوجة المقتدر بالله، فأقامت عنده سنين، وكان لها مُكرِماً، وعليها مُتفضِّلاً، فلما قُتل المقتدر سَلِمتْ من النَّكْبَة، فخرجت بأموالها وذخائرها من الدار، وكان يدخل إلى مَطبخها حَدَثٌ يحمل فيه على رأسه، يُعرف بمحمد بن جعفر، وكان حَرِكاً، فنَفَق على القَهْرَمانة، فنَقَلَتْه من حال إلى حال حتى جعلتْه وكيلَ المطبخ، ثم ارتفع أمرُه حتى صار ينظر في ضِياعها، وغلب عليها، وصارت تُكلِّمُه من وراء الستر، فعَلِقَ بقلبها، فدَعَتْه إلى تزويجها فلم يَجْسُر، فأعطته مالاً كثيراً، فصانع به القضاة والحكام والأولياء، فتزوَّجها.

فأقام معها سنين فماتت، فوَرِث منها نحواً من ثلاث مئة ألف دينار، وأوصَتْ إليه في ضياعها وأوقافها ومالها، فأُقِرَّتْ في يده.

وكان يُسمَّى زوج الحُرَّةِ لأجل أن المقتدر تزوَّجها، وكذا عادة الخلفاء لغَلَبة المملوكات عليهم فقيل لها: الحرة.

[وقال الخطيب: وحدثني علي بن شاذان قال: كان زوج الحرة جارنا، وسمعتُ منه مجالسَ من أماليه، وكان يَحضُر مجلسه القاضي الجَرَّاحي، وأبو الحسين بن المظَفَّر، والدارقطني، وابن حَيُّويه وغيرهم من الشيوخ.]

توفي زوج الحرة ليلة الجمعة، ودُفن يوم الجمعة لأربع خلون من صفر بالقرب من مَعروف الكَرْخيّ [وحضرتُ مع أبي الصلاة عليه]، وكان عَدْلاً مَرضيًّا.

[حدَّث عن محمد بن جرير الطَّبَري، وعبد الله بن محمد البَغَوي، وأبي بكر بن أبي داود وأمثالهم، وروى عنه ابن رزقويه، والبَرْقاني، وشيوخ الخطيب وغيرهم.

وكان] جليل القدر من الثقات.

فهرس الموضوعات